د. حاتم الهمداني



ذو القرنين

النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلّم الناس الدين والحضارة



ذو القرنين،

النبي المصري الذي طاف بالعالم

وعلم الناس الدين والحضارة

ذو القرنين

النبي المصري الذي طاف بالعالم
وعلم الناس الدين والحضارة

د. حاتم الهمدان

إصدارات إي-كتب
لندن، سبتمبر 2015

Dhul-Qarnayn: Egyptian prophet who toured the world and taught people the religion and civilization
By: **Hatim al-Hamdan**

Published by E-Kutub.com
ISBN: 9781780581750
* * * * *

الطبعة الأولى، لندن، أيلول-سبتمبر 2015
المؤلف: **د. حاتم الهمدان**
الناشر: E-kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024

يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
hatim.alhamdany@yahoo.com

محتويات الكتاب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله، وصحبه، وسلم.

فلقد نزلت آيات سورة الكهف تقص علينا قصة ذي القرنين، وفَهِم المسلمون أن الغرض الأول والأهم من الآيات هو العبرة والعظة، وضَرْب المثل بالملك المؤمن الصالح، الذي يمكنه الله في الأرض، ويؤتيه من كل شيء سببا، فينطلق في الأرض، داعيا إلى دين الله، معاقبا للكافرين ومكافئا للمؤمنين، ومساعدا للمستضعفين، ويقودهم في بناء سد يحميهم من جيرانهم المفسدين.

ورغم أن المسلمين يعلمون أن هذه هي أهم مقاصد الآيات، إلا أنهم مازالوا يتساءلون من وقت نزول الآيات حتى يومنا هذا: يا تُرى من هو ذو القرنين؟ وما هما قرناه؟ وفي أي عصر عاش؟ وما هي بلاد مغرب الشمس؟ وما هي العين الحمئة؟ وكيف وصل ذو القرنين هناك؟ وما هي بلاد مطلع الشمس؟ وما هو الستر الذي لم يجعله الله لسكان مطلع الشمس؟ وما هما السدَّان؟ ومن هم يأجوج ومأجوج؟ وأين يقع الردم أو السد؟ وهل لايزال السد قائما حتى اليوم؟ وهل لا يزال يأجوج ومأجوج محبوسون خلفه؟ ولماذا لم نعثُر على السد، أوعلى يأجوج ومأجوج حتى الآن؟

إن هذه التساؤلات هي تفاعل طبيعي للمسلم عند قراءته أو سماعه لآيات ذي القرنين من سورة الكهف، وهي استجابة لغريزة حب المعرفة التي فطر الله الناس عليها.

ونحن مأمورون في القرآن الكريم بتدبر آياته، كل آياته، ولقد بُذلت جهود جبَّارة في دراسة آيات العقيدة والشريعة، ولقد حان الوقت أن نولي بعض الاهتمام لدراسة آيات القصص القرآني.

وفي عصرنا الحديث تطورت العلوم وتنوعت، وتوفرت الجامعات والباحثين المتخصصين في كل علم وفن، ورأينا علماء وهبوا حياتهم لدراسة نص قديم، أو شخصية قديمة، فكيف نبخل بوقتنا وجهدنا عن دراسة شخصية ذي القرنين وقصته؟ أفيعقل أن تقدم رسائل الدكتوراة في شخصية (خوفو)، و(سرجون)، (يوليوس قيصر)، وغيرهم، وتترك شخصية ذي القرنين وقصته التي جاءت في القرآن، وذلك بحجة أن الله لم يخبرنا من هو، وأنه لو أرادنا أن نعرف لأخبرنا؟

ولقد ظهر في عصرنا الحديث فريق من مدّعي الإستشراق الحاقدين على الإسلام، وانضم إليهم كارهو الإسلام، وزعموا أن القرآن كلام بشر، واستدلوا على شبهتهم ببعض آيات القرآن، التي قالوا عنها –كاذبين- أنها تعارض الحقائق العلمية، أو الحقائق التاريخية.

وكثيرا ما استدل هؤلاء الكاذبون على فِريتهم بقصة ذي القرنين في القرآن الكريم؛ فيزعمون أن القرآن به أخطاء علمية كونية، يقولون إن القرآن لا يعرف كروية الأرض؛ فهو يقول أن للأرض نهاية غربية ونهاية شرقية، وأن من يذهب إلى أقصى غرب العالم يرى الشمس تهبط في إحدى عيون الأرض، ومن يذهب إلى أقصى شرق العالم يرى الشمس تشرق. كما ادعوا أن القرآن يقول بأن هناك أمّتين عظيمتين تبلغان أضعاف البشر كثرة، وأنهما محبوستان الآن خلف سدٍ حديدي.

كما ادعوا أن بالقصة القرآنية أخطاء تاريخية، فقالوا أن القرآن يزعم أن الإسكندر الأكبر كان مؤمنا موحدا، وأنه بلغ القوقاز وبنى سدا هناك، وهو ما تخالفه كتب التاريخ، والدراسات التاريخية المحقِقة، وقال بعضهم أن القرآن إنما وقع في هذه الأخطاء لأن كاتبه –بزعمهم- يستلهم من قصص خيالية أسطورية، نُسجت حول الإسكندر الأكبر قبل نزول القرآن بعشرات من السنين.

ولزم للرد على هؤلاء الأفَّاكين إعادة دراسة قصة ذي القرنين، تارة في ضوء العلم الكوني الحديث، وتارة في ضوء التاريخ القديم، لإظهار كذبهم، والتأكيد على أن القرآن لا توجد به أخطاء، بل به معجزات وبراهين تؤكد أنه تنزيلٌ من الله العليم الخبير.

ولقد بدأتْ محاولاتُ تفسير آيات ذي القرنين في مرحلة مبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية؛ فلقد بدأت أول ما بدأت على يد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظهرت روايات حول الآيات منسوبة لعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكذلك لابن عباس، وغيرهم.

كما وصلتنا روايات عن التابعين، وتابعي التابعين تعلِّق على قصة ذي القرنين، ثم جاء علماء التفسير مثل الطبري، وابن كثير، والقرطبي فجمعوا الآراء المختلفة وحاولوا أن يفاضلوا بينها.

ولقد اجتهد هؤلاء الأعلام في تحديد شخصية ذي القرنين، فذهب فريق منهم أنه الإسكندر الأكبر، غير أن كثير منهم قد رفض هذا الرأي وقالوا أنه أحد ملوك العرب القدماء.

أما مغرب الشمس، ومطلع الشمس فقد ذهب هؤلاء العلماء إلى أنهما آخر اليابس من جهة الغرب وجهة الشرق، وإن لم يحددوا بدقة أي البلاد تكون.

وعندما تكلموا عن منطقة بين السدين، وعن يأجوج ومأجوج، اختار غالبيتهم أن منطقة ما بين السدين تقع في القوقاز، وأن أرض يأجوج ومأجوج تقع في شمال جبال القوقاز، كما رأوا أن السد مازال قائما يحجز خلفه يأجوج ومأجوج.

وفي العصر الحديث حاول بعض الباحثين حل الإشكالات التي ظهرت حول التفسير القديم لآيات ذي القرنين، فقالوا إن ذا القرنين لم يكن الإسكندر الأكبر، وإنما كان قورش الأكبر، وقال البعض أن يأجوج ومأجوج هم الترك والمغول.

أما الزعم القائل بأن القرآن ينقل من إحدى أساطير الإسكندر الأكبر، فلقد أجاب عن ذلك بعض الباحثين بأن هناك دلائل داخل

النص تؤكد أن هذه الأسطورة قد كتبت بعد نزول القرآن، كما أن هذه الأسطورة مثل غيرها من أساطير الإسكندر الأكبر قد خضعت للتطوير والتعديل لقرون طويلة، ومعنى ذلك أن الأسطورة هي التي اقتُبِسَت من القصة القرآنية لا العكس.

وفي هذا البحث بدأتُ بدراسة النواحي الجغرافية والعلمية للآيات، عن طريق التحليل البياني للكلمات والعبارات القرآنية في ضوء الاكتشافات الجغرافية الحديثة، فحاولت تحديد منطقة مغرب الشمس، ومنطقة مطلع الشمس، ومنطقة بين السدين، وكذلك ماهية العين الحمئة، وماهية الستر الذي لم يجعله الله لقوم مطلع الشمس، والطريق الذي سلكه ذو القرنين في رحلته إلى مغرب الشمس، ثم إلى مطلع الشمس.

وبعد ذلك توجهتُ للبحث في تراث الشعوب القديمة عن قصة ذي القرنين، فوجدت ذكريات مبثوثة في عقائد القدماء وأساطيرهم، فعمدت إلى مقارنة هذه النصوص، والروايات المختلفة، فوجدتها تُصدِّق بعضها بعضا، وتصنع نوعا من التواتر الذي يؤكد صدق القرآن في ما أخبر به من أمر ذي القرنين، بل وتشرح بعضا مما أجملته الآيات.

وكذلك عمدت إلى الروايات الواردة وآراء علماء المسلمين حول تحديد قوم يأجوج ومأجوج، وتحديد شخصية ذي القرنين، فدرستها في ضوء المعارف الحديثة، وبيّنت أصول كثير من هذه الروايات ومصادرها، ومواضع الخطأ والصواب فيها، ووجدت ذلك يتوافق مع النتائج التي توصلت إليها من دراسة الآيات وتراث الشعوب القديمة.

ولقد اعتمدت في بحثي هذا على ثلاث مجموعات من المصادر والمراجع: المجموعة الأولى: هي كتب التفسير قديمها وحديثها، والمجموعة الثانية: هي تلك المصادر الجغرافية والعلمية والخرائط التي استطعت بواسطتها تحديد المناطق الثلاث مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وبين السدين، كذلك طبيعة العين الحمئة،

أما المجموعة الثالثة: فهي النصوص التي تحمل تراث المصريين القدماء من عقائد دينية، وأساطير، وكذلك تلك النصوص التي تحمل تراث العراقيين القدماء واليونانيين القدماء، واليهود، وغيرهم من الشعوب.

وفي النهاية أقول أن ما كان من صواب وصلتُ إليه في هذا الكتاب فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ فمن نفسي ومن الشيطان، والله من وراء القصد.

د. حاتم الهمدان

الباب الأول

مغرب الشمس ومطلعها

في هذا الباب سوف أدرُس آيات قصة ذي القرنين التي تتحدث عن مغرب الشمس وعن مطلع الشمس، وقد خصصت الفصل الأول لدراسة الآيات في ضوء العلم الجغرافي، والعلوم الكونية الحديثة، بينما خصصتُ الفصول التالية لدراسة آثار قصة ذي القرنين وذهابه إلى مغرب الشمس ومطلعها، تلك الآثار التي وجدتها مبثوثة في تراث المصريين القدماء، وكذلك في تراث الأمم الأخرى.

والعجيب أنني عندما قمت بتحليل النص القرآني تحليلا علميا، ثم قمت بإعادة قرآءة عقائد وأساطير الشعوب القديمة، فإنني توصلتُ - في كلتا المحاولتين - إلى نفس النتائج حول تحديد موضع بلاد "مغرب الشمس"، وتحديد موضع بلاد "مطلع الشمس"، وماهية العين الحمئة الحامية، وماهية "السِتْر" الذي لم يجعله الله لقوم مطلع الشمس، وكذلك كيفية وصول ذي القرنين إلى هذين المكانين، والتوصُّل إلى نفس النتائج باستخدام منهجين مختلفين يؤكد صحة النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول

تفسير آيات مغرب الشمس ومطلعها في ضوء العلوم الحديثة

يقول الله عز وجل: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا - إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا - فَأَتْبَعَ سَبَبًا - حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا - قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا - وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا - ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا - حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا - كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا"83-91 الكهف.

فأي البلاد هي "مغرب الشمس"؟ وأيها هي "مطلع الشمس"؟ وما هي تلك "العين الحمئة" التي رأى ذو القرنين الشمس وكأنها تغرب فيها؟ وما هو "السِّتْر" الذي لم يجعله الله لسكان مطلع الشمس؟ وكيف وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس، ثم الى مطلع الشمس؟

أسئلة حائرة لا نجد لها جوابا شافيا في كتب التفسير، ولا حتى في اجتهادات الباحثين المعاصرين، لذا فإني سأحاول في هذا الفصل تحليل الآيات، بإستخدام علم الجغرافية الحديث، وغيره من العلوم التي لم تكن معروفة زمن علمائنا الأجلاء عليهم رحمة

الله، محاولا تحديد بلاد مغرب الشمس، وتحديد بلاد مطلع الشمس، وكذلك ماهية العين الحمئة، ومن يكونون هم سكان مطلع الشمس، وما هو الستر الذي لم يجعله الله لهم من دون الشمس.

المبحث الأول: مغرب الشمس ومشرقها

مغرب الشمس ومشرقها المشكلة:

اعتقد الناس في الأزمنة السحيقة أن الأرض مستوية، مبسوطة، مسطحة، كسطح المنضدة، وأن السماء متقببة عليها كالقبة، لأن هذا هو أول ما يتبادر للذهن عند النظر البسيط، كما اعتقدوا أن الشمس تخرج من الأرض في أقصى شرق العالم، حيث تلتقي السماء بالأرض، ثم ترتفع في السماء حتى تصير فوق الناس، ثم تهبط مائلة الى الغروب حتى تدخل في الأرض في أقصى غرب العالم حيث تلتقي السماء بالأرض، لذا فإن مغرب الشمس كانت تعني المكان الذي تهبط فيه الشمس في أقصى غرب العالم، أما مطلع الشمس فهو المكان الذي تشرق منه الشمس في أقصى شرق العالم.

ولكن قبل الميلاد بقرون اعتمد علماء اليونان على بعض الملاحظات العلمية، وقالوا أن الأرض كروية، وأن الشمس تدور حول الأرض، ورفضوا فكرة أن الشمس تخرج من الأرض أو البحر عند الإشراق، أو تدخل في الأرض أو البحر عند الغروب.

وعندما فسَّر علماؤنا - رحمهم الله- مغرب الشمس، ومطلع الشمس، نجدهم يفسِّرون مغرب الشمس بأنه آخر اليابسة من جهة الغرب - أي شاطيء البحر المحيط - في أقصى غرب العالم، وليس الأرض التي تغرب الشمس فيها، وكذلك يفسرون مطلع الشمس بأنه آخر الأرض اليابسة -أي شاطيء البحرالمحيط- من جهة الشرق.

ولقد كان علماء الجغرافيا في العصور القديمة، والوسطى يظنون أن اليابس في العالم هو كتلة كبيرة واحدة، تضم آسيا وأوربا وأفريقيا فقط، ويحيط بها البحر المحيط، وبه الجزر الصغيرة، لذا فلا نستغرب أن يفسِّر ابن كثير مغرب الشمس بأنه آخر اليابسة من جهة الغرب، ويقول أنها تلك البلاد التي تقع على ساحل المحيط الأطلسي وهي المغرب الأقصى والأندلس، ويمكننا أن نستنتج أن ابن كثير وعلماء المسلمين قد غلب على ظنهم أن ساحل آسيا الشرقي، هو آخر العالم من جهة الشرق، فهو مشرق الشمس[1].

ولكن حدث أن اكتُشفت الأمريكيتان في نهاية القرن الخامس عشر، وعلم الناس بعد ذلك أنهما قارتان شاسعتان، كما تم اكتشاف قارة إستراليا، والقارة المتجمدة الجنوبية، وهكذا اتضح لنا أن العالم لايتكوَّن من كتلة واحدة من اليابسة، كما ظن القدماء، بل من عدة كتل من اليابسة تفصلها البحار والمحيطات الشاسعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل مغرب الشمس ومطلعها اللذان ذُكرا في القرآن قُصد بهما مغرب ومطلع اليابس الذي كان يدرك القدماء وجوده فقط؟ أي كتلة اليابسة التي تضم آسيا وأفريقيا وأوربا وهي تمثل العالم القديم؟ أم أن القرآن أراد بمغرب الشمس ومطلعها مغرب اليابس الأرضي كله ومطلعه؟

ربما يقوي الرأي الأول أن القرآن يتحدث إلى القوم بما يعرفون، فإن كانوا يعلمون أن الأندلس والمغرب الأقصى يقعان في نهاية العالم الغربية، والصين مثلا هي تقع في نهاية العالم الشرقية، فيكون هذا هو ما يقصده القرآن ثم كيف يستطيع ذو القرنين في الزمن القديم عبور المحيطات الشاسعة إلى أراض لم تكتشف إلا بعد زمنه بمئات أو آلاف السنين؟

---

1 - على عكس أقصى غرب العالم، لم يكن أقصى الشرق معروفا بدقة في الزمن القديم.

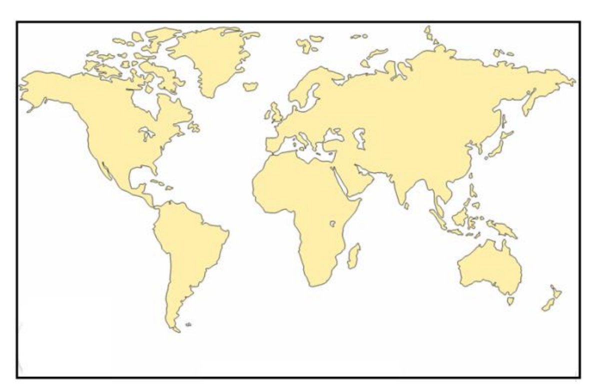
أما الرأي القائل بأن المقصود بمغرب الشمس ومطلعها هو: مغرب الشمس ومطلعها للعالم كله، فيقويه أن القرآن أضاف المغرب والمطلع للشمس، فكأنه أراد مغرب ومطلع كل العالم.

ورغم وجاهة الاحتمال الأول، فإننا إذا بحثنا في الإحتمال الثاني وهو أن المقصود في الآية أقصى العالم كله – متضمنا القارات التي لم تكن معروفة- من جهة الغرب، وأقصى العالم كله من جهة الشرق، لوجدنا أنه الوجه المقصود.

تحديد الساحل الغربي والساحل الشرقي للعالم:

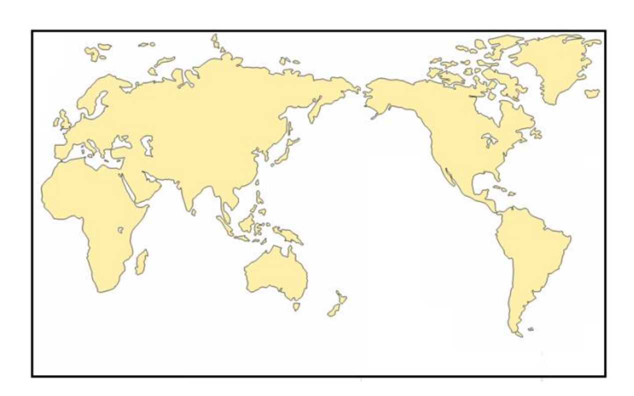
رغم أن اليابس مقسّم إلى قارات وجزر، إلا أننا يمكننا تمييز كتلتين رئيسيتين لليابسة، الكتلة الأولى وهي تضم أوروبا وآسيا وأفريقيا، ومعهم استراليا، وهي الكتلة التي أسماها الجغرافيون العالم القديم، أو نصف الكرة الأرضية الشرقي، وهناك كتلة أخرى تضم الأمريكتين أطلق عليها الجغرافيون العالم الجديد، أو نصف الكرة الأرضية الغربي.

فإذا كان مغرب الشمس هو أقصى اليابسة من جهة الغرب، ومشرق الشمس هو أقصى اليابسة من جهة الشرق، فالسؤال الآن: هل يكون الحد الغربي للعالم هو الساحل الغربي للأمريكيتين وهل يكون الحد الشرقي للعالم هو الساحل الشرقي لآسيا وأستراليا كما في الخريطة التالية:



الشكل رقم (1) خريطة العالم وفيها أقصى العالم من جهة الشرق هو الساحل الشرقي لآسيا واستراليا، وأقصى العالم من جهة الغرب هو الساحل الغربي للأمريكتين.

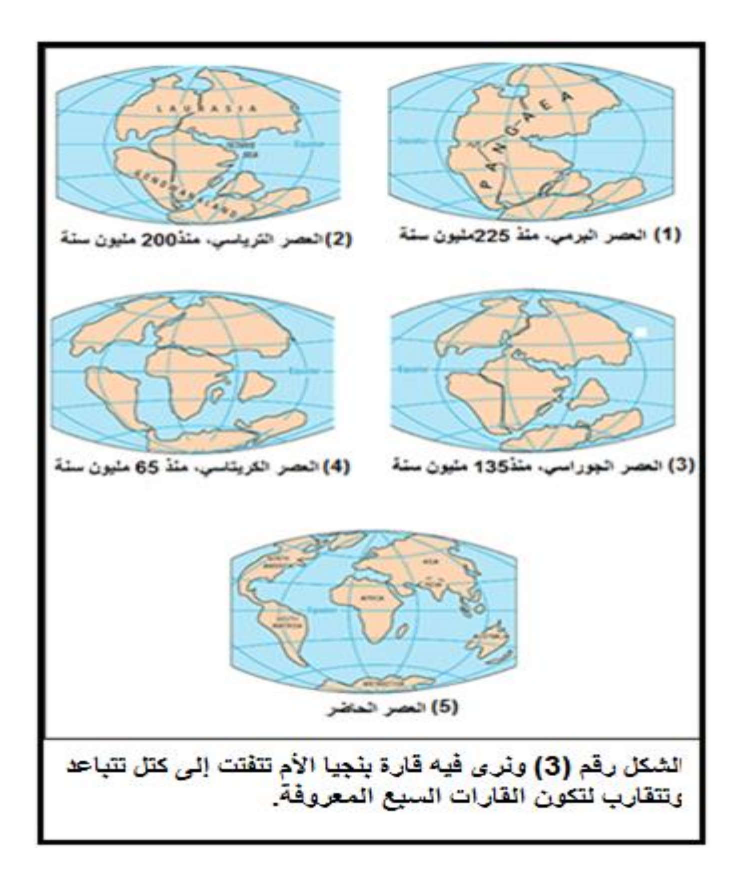
أم أنَّ الحدَّ الغربي للعالم هو الساحل الغربي لأوربا وأفريقيا، والحدَّ الشرقي للعالم هو الساحل الشرقي للأمريكيتين كما في الخريطة التالية:



الشكل رقم (2) خريطة العالم، وفيها أقصى العالم من جهة الشرق هو الساحل الشرقي للأمريكتين، وأقصى العالم من جهة الغرب هو ساحل أوربا وأفريقيا الغربي.

المغرب والمشرق حسب تاريخ انفصال القارات:

من النظريات العلمية التي تؤكدها الأدلة العلمية نظرية "القارة الأم"، أو قارة "بنجيا Pangaea"، وهي نظرية تقول بأن اليابس على سطح كوكب الأرض كان عبارة عن كتلة واحدة متصلة قبل 250 مليون عام، ثم تفتتت هذه الكتلة إلى قطع، وتحركت هذه القطع متباعدة ومتقاربة لتكوِّن القارات الحالية.



الشكل رقم (3) ونرى فيه قارة بنجيا الأم تتفتت إلى كتل تتباعد وتتقارب لتكون القارات السبع المعروفة.

ونلاحظ في الشكل رقم (3) أن ما سوف يصبح الساحل الغربي للأمريكتين يمثل الحد الغربي لقارة (بنجيا)، كما ترى ما سوف

يصبح الساحل الشرقي لكل من آسيا وأستراليا يمثل أجزاء من الساحل الشرقي لقارة (بنجيا)، ونلاحظ أن الأمريكتين كانتا ملتصقتين بأوربا وأفريقيا، وكذلك نلاحظ أن المحيط الأطلنطي ليس إلا شقا في قارة (بنجيا)، اتسع على مدار ملايين السنين بتباعد الأمريكيتين عن أوربا وآسيا، حتى تحول إلى محيط شاسع، ونلاحظ أن المحيط الهادي كان موجودا منذ البداية.

إن هذه الملاحظات تمكننا من القول بأن الساحل الغربي للأمريكتين هو أقصى غرب العالم، وأن الساحل الشرقي لآسيا واستراليا هو أقصى شرق العالم، وذلك باعتبار تاريخ انفصال القارات.

المغرب والمشرق الاعتباريان:

عندما حاول علماء الجغرفيا رسم خريطة العالم واجهتهم مشكلة: وهي أنهم كانوا يعلمون أن اليابس والماء موزعين على سطح كرة، وهي الكرة الأرضية، والرسم على كرة ليس عمليا فكان لابد أن يرسموا توزيع اليابس والماء على سطح مسطح مثل الورق.

ولرسم خريطة العالم على سطح مسطح لابد من وضع نهاية اعتبارية غربية للعالم، ووضع نهاية اعتبارية شرقية له، ولما كان العالم لديهم قبل اكتشاف الأمريكتين عبارة عن ثلاث قارات متصلة يحيط بها البحر المحيط، فقد كان الأمر بسيطا فقد جعلوا الساحل الغربي لأوربا وأفريقيا في أقصى يمين الخريطة والساحل الشرقي لآسيا في أقصى يسار الخريطة.

ولكن بعد اكتشاف الأمريكتين صار أمامنا اختياران؛ الأول أن نجعل غرب العالم هو الساحل الأمريكي الغربي، وأقصى شرق العالم هو ساحل آسيا وأستراليا الشرقيان، ويكون المحيط الهادي هو المحيط الذي يفصل بين المغرب والمشرق مثل الشكل رقم (1)، والخيار الثاني أن نجعل الساحل الشرقي للأمريكتين هو

أقصى شرق العالم والساحل الغربي لأوروبا وأفريقيا هو أقصى غرب العالم مثل الشكل رقم (2).

أي أننا يجب أن نختار أن يكون الفاصل بين المغرب والمشرق الاعتباريان هو المحيط الهادي، أو المحيط الأطلنطي.

ومن المنطقي أن يكون الفاصل بين غرب العالم الإعتباري وشرقه الإعتباري هو المحيط الأكبر سعة، وأن تكون الصلات بين ضفتيه أضعف، لذا فإن المحيط الهادي هو الذي يجب أن يفصل بين غرب العالم وشرقه الاعتباريين، وأن يمر به خط الطول التاريخي. وهكذا فإن غرب العالم الاعتباري هو الساحل الغربي للأمريكيتين، وشرق العالم الاعتباري هو ساحلي آسيا وأستراليا الشرقيان، وهذا ما نجده في خرائط العالم، وفي العُرف الجغرافي. وبهذا نكون قد توصلنا بطريقتين مختلفتين الى أن الساحل الغربي للأمريكتين، هو حد العالم الغربي، والساحل الشرقي لكل من آسيا واستراليا، هو الحد الشرقي، فأما الطريقة الأولى فتعتمد على تاريخ انفصال القارات عن قارة (بنجيا)، أو القارة الأم، والطريقة الثانية تعتمد على تحديد المغرب والمشرق الاعتباريين بناء على أسس جغرافية.

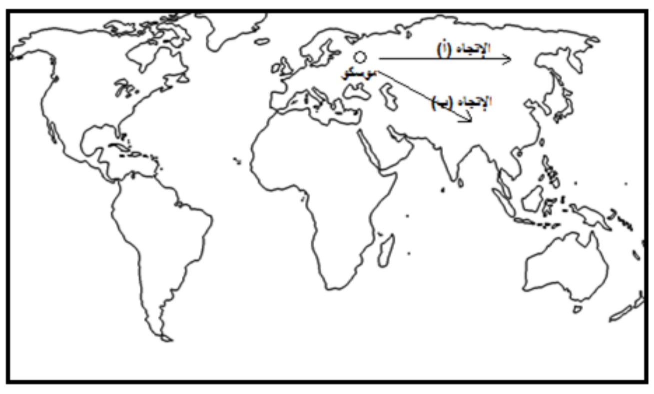
المغرب والمشرق الشمسيان:

هناك فرق بين الشرق والغرب المغناطيسيين من جهة، وبين الشرق والغرب الشمسيين من جهة أخرى، فالشرق والغرب المغناطيسيان هما الاتجاهان اللذان تشير إليهما إبرة البوصلة المغناطيسية، بينما الشرق والغرب الشمسيان هما الاتجاهان الظاهريان لنقطة إشراق الشمس، ونقطة غروبها في الأفق.

ولما كانت الشمس تتعامد على خط الإستواء لفصلين كاملين هما الربيع والخريف، ويتزحزح خط تعامدها شمالا في فصل الصيف حتى يصل الى مدار السرطان، ويتزحزح خط تعامدها جنوبا في فصل الشتاء حتى يصل إلى مدار الجدي، لذا فإن سكان

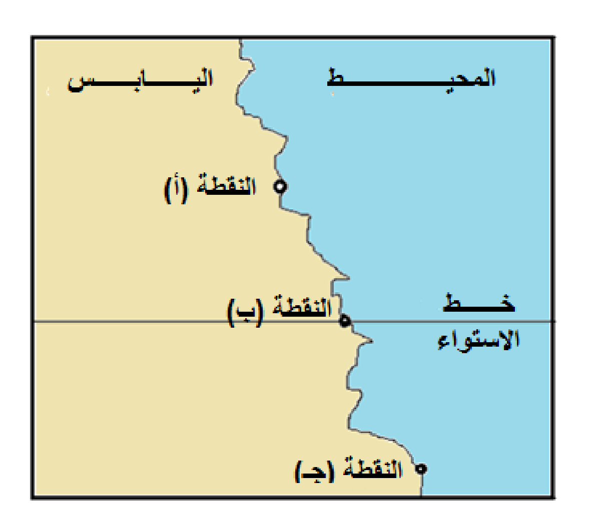
المنطقة التي تقع شمال مدار السرطان - مثل أوربا- يلاحظون أن الشمس لاتشرق من جهة الشرق المغناطيسي، وإنما من جهة الجنوب الشرقي، كما أنهم يلاحظون أن الشمس لا تغرب من جهة الغرب المغناطيسي، وأنما تغرب من جهة الجنوب الغربي، ونتج عن ذلك أنهم أطلقوا على منطقتنا "منطقة الشرق الأوسط"، رغم أن منطقتنا تقع جهة الجنوب الشرقي لأوربا، وليس في شرقها.

وإذا إفترضنا أننا طلبنا من شخص يقيم في مدينة موسكو مثلا أن يذهب برا إلى "مشرق الشمس"، فإنه يجب عليه في كل صباح أن يُيمم وَجْهَه جِهة النقطة الظاهرية لإشراق الشمس في الأفق، وسنجده يتجه إلى جهة الجنوب الشرقي، بدلا من أن يسير في اتجاه الشرق حسب إبرة البوصلة المغناطيسية.



الشكل رقم (4) خريطة العالم توضح إختلاف اتجاه الشخص الذي ينطلق من مدينة موسكو متجها إلى الشرق، فلو تحرك جهة المشرق المغناطيسي فسيسلك الاتجاه (أ)، أما إذا تحرك جهة الشرق الشمسي فسيسلك الاتجاه (ب).

والسؤال الآن: عندما يصل هذا الشخص إلى ساحل المحيط، فأي المواضع بالتحديد سيخبرنا أنها مشرق الشمس؟



الشكل رقم (5) خريطة توضيحية توضح تحديد نقطة مشرق الشمس عند الساحل الشرقي للعالم بشكل افتراضي.

إنه عندما يصل إلى النقطة (أ) فإنه سيلاحظ أن الشمس تشرق من المحيط، جهة الجنوب الشرقي، ثم ترتفع، وعند الظهيرة سيلاحظ أن الشمس ليست فوقه مباشرة بل هي جهة الجنوب، وأن ظله هو يقع الى الشمال، ثم يجدها تغرب في نقطة تقع جهة الجنوب الغربي، وسيفهم أن الشمس أشرقت وارتفعت وغربت جهة الجنوب، وأنه كي يقترب من الشمس فلابد أن يسير جنوبا مع ساحل المحيط.

فإذا وصل الى النقطة (ب)، وهي **نقطة تقاطع خط الاستواء مع الساحل الشرقي**، فإنه سيجد أن الشمس تشرق من المحيط, ثم ترتفع **فتتعامد** عليه، وسيشعر أن وهجها أقرب، ثم سيجدها تهبط فتغرب في نقطة ظاهرية تقابل النقطة التي أشرقت منها.

وهو إن سار جنوبا حتى وصل الى النقطة (ج) فإنه سيرى الشمس تخرج من المحيط وقت الإشراق من جهة الشمال الغربي، ثم ترتفع وعند الظهيرة سيلاحظ أنها ليست عمودية عليه، بل تقع

جهة الشمال، وسيكون ظله جهة الجنوب، وستهبط جهة الشمال الغربي، وسيفهم أنه ابتعد عن الشمس إلى الجنوب. لذا سنجد الرجل يعود الى النقطة (ب)، وسيخبرنا أن المنطقة (ب) هي أقصى الأرض من جهة الشرق، أوأنها هي مشرق الشمس.

وبنفس الطريقة يمكننا تحديد منطقة مغرب الشمس.

وهكذا يمكننا استنتاج أن: نقطة مشرق الشمس هي النقطة التي يتقاطع فيها خط الاستواء مع الساحل الشرقي لأقصى شرق العالم، أما نقطة مغرب الشمس فهي النقطة التي يتقاطع فيها خط الاستواء مع الساحل الغربي لأقصى غرب العالم.

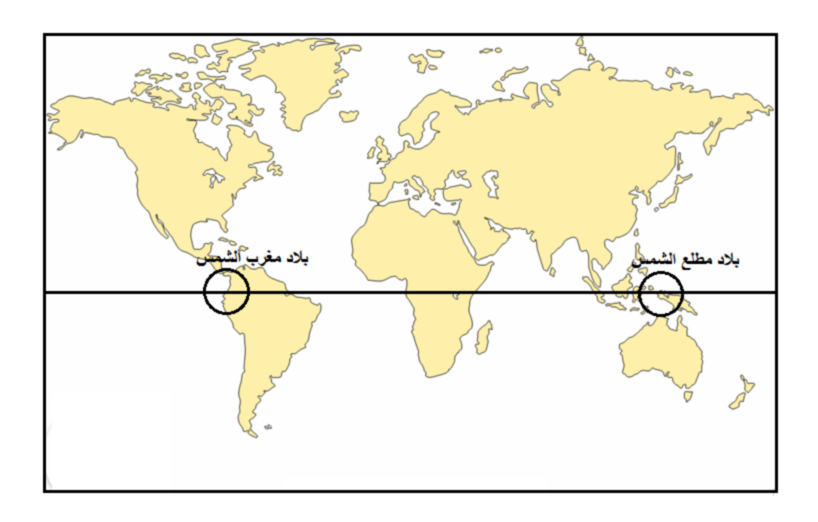
تحديد مغرب الشمس، ومشرق الشمس:

لما كانت الشمس تتعامد في فصلين على خط الإستواء، وأن خط تعامدها يتزحزح شمالا في الصيف، وجنوبا في الشتاء بطريقة متساوية، فإننا يمكننا أن نقول أنها تتعامد طول السنة على خط الإستواء للتبسيط.

وبالتالي فإن نقطة مشرق الشمس هي النقطة التي يتقاطع فيها خط الإستواء بالساحل الشرقي لقارتي آسيا وأستراليا، ونقطة مغرب الشمس هي النقطة التي يتقاطع فيها خط الإستواء مع الساحل الغربي للأمركيتين.

وعلى هذا يمكننا تحديد نقطة مشرق الشمس، بأنها نقطة تقع على الساحل الشمالي لجزيرة (وايجيو) الصغيرة التابعة لجزيرة غينيا الجديدة التي تنتمي لقارة أستراليا، ويمر بهذه النقطة خط الطول 130.806 درجة شرقا، بينما نقطة مغرب الشمس هي نقطة تقع على ساحل أمريكا الجنوبية الغربي المطل على المحيط الهادي، في دولة (الإكوادور) الحالية، ويمر بهذه النقطة خط الطول 80.109 درجة غربا.

وكذلك يمكننا القول أن منطقة -أو بلاد- مشرق الشمس هي تلك المنطقة التي تحيط بنقطة مشرق الشمس، ومنطقة/بلاد مغرب الشمس هي المنطقة التي تحيط بنقطة مغرب الشمس.



الشكل رقم (6) خريطة للعالم توضح نقطتي ومنطقتي مشرق ومغرب الشمس.

وعلى هذا يمكننا تحديد بلاد مغرب الشمس التي وصل إليها ذو القرنين بأنها منطقة الأنديز الاستوائي، والذي تشغله دولة (إكوادور) الحالية، وبعض من دولتي (كلومبيا)، و(بيرو).



الشكل رقم (7) خريطة توضح نقطة ومنطقة مغرب الشمس، وتشمل دولة الإكوادور كاملة، وأجزاء من دولتي كلومبيا، وبيرو.

كما يمكننا تحديد بلاد مشرق الشمس بأنها الجزر التي تحيط بجزيرة (وايجيو) في أرخبيل (الملايو)، وهذه الجزيرة الصغيرة إحدى جزر دولة إندونيسيا الحالية.



الشكل رقم (8) خريطة توضح نقطة ومنطقة مشرق الشمس وتشمل عدة جزر تتبع دولة إندونيسيا وكذلك جزيرة غينيا الجديدة.

المبحث الثاني: العين الحمئة الحامية

يقول الله عز وجل: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ..."، وفي قراءة أخرى صحيحة: "... وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ..."[2]. وقد أجمع العلماء على أن غروب الشمس في العين كان غروبا ظاهريا، أي أنه كان غروبا في رأي العين، وليس غروبا حقيقيا، كما أجمعوا على أن العين كانت حَمِئَةَ وحامية في نفس الوقت.

كانت عين ماء:

لقد سكن العرب صحارى شبه الجزيرة العربية لآلاف السنين وكانوا يطلقون كلمة "عين الماء" على تلك المياه الجوفية التي

---

2 - قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (حمئة)، وكذلك عاصم فى رواية حفص (حمئة) مهموزة بغير ألف، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وابن عامر وحمزة والكسائى (حامية) بألف غير هموزة.

تخرج من باطن الأرض تلقائيا إلى سطح الأرض بدون رفع الإنسان لها، وكانوا يسمونها أيضا "نبع الماء" أيضا، يقول تعالى: "وإذا إستسقى موسى لقومه فقلنا إضرب بعصاك الحجر فإنفجرت منه إثنتا عشرة عينا"[3].

وعلى هذا **لا يمكن** أن يكون المراد من كلمة العين في آية الكهف، البحر أو المحيط، أو بحيرة أو خليج من بحيرات البحر أو المحيط كما ادعى البعض، فعين الماء كانت معروفة عند العرب، وهي تختلف كلّيًا عن البحر أو البحر المحيط، أو خلجانهما.

ولكن تواجهنا مشكلة وهي كيف رأى ذو القرنين الشمس وكأنها تغرب في عين ماء؟ فإن عيون الماء تكون في أرض منخفضة نسبيا، وتكون مساحة الماء صغيرة نسبيا، بحيث أن الذي يقف بعيدا عن العين فإنه يرى الشمس تغرب في الأرض المرتفعة وراء العين، والذي يقف على حافة الماء لا يرى الشمس تغيب في الماء، لأن الماء قليل، بل يرى الشمس تغيب بعيدا في الأفق.

كانت العين عينا حمئة:

اتفق العلماء على أن كلمة حمئة هي صفة للعين، وأن هذه الصفة مأخوذة من كلمة (الحَمَأ)، وهو الطين الأسود المنتن[4].

وكانت العرب تقول حَمَأَت البئر، أي كثرت حَمْأتها، أي أن ماء البئر قد إزداد طينُه الأسود المنتن، وهذا النتن الذي يطرأ على الطين يسببه نوع من البكتيريا التي تنتج غاز كبريتيد الهيدروجين H_2S, وهو غاز نتن الرائحة، تشبه رائحته رائحة البيض الفاسد، وأجسام الحيوانات المتحللة.

3- سورة البقرة الآية رقم 60.

4- ابن منظور، لسان العرب.

كانت العين عينًا حامية:

في قراءة أخرى صحيحة للآية نجد العين توصف بأنها حامية، يقول تعالى: "وجدها تغرب في عين حامية"، وقال العلماء أن العين كانت حمئة وحامية في نفس الوقت، وكلمة حامية استخدمها القرآن في وصف نار جهنم، يقول تعالى: "تصلى ناراً حامية"[5]، ويقول تعالى: "وما أدراك ما هي - نار حامية"[6]، وهذا يجعلنا نفهم أن عين الماء كانت شديدة الحرارة، أو أنها كانت تغلي، وليست دافئة فقط.

ويطلق اسم "العيون الحارة" على تلك العيون التي يكون حرارة ماؤها أعلى من حرارة الجو في منطقة العين، وهي نوعان رئيسان؛ النوع الأول هي تلك العيون التي لا تقع في منطقة النشاط البركاني، ويسخن ماؤها بسبب وصوله الى مناطق عميقة في الأرض، فيلامس الصخور الساخنة، فترتفع درجة حرارته، وهذه العيون لا يكون ماؤها شديد الحرارة، بل يكون ماؤها دافئا فقط، لذا فلا ينطبق عليه الوصف القرآني: "عين حامية".

أما النوع الثاني من العيون الحارة فهي تلك العيون التي تقع في مناطق النشاط البركاني، ويسخن ماؤها بسبب ملامسته للصخور المنصهرة، أو ما يعرف بالصهارة البركانية، وترتفع درجة حرارته بشكل كبير، ويظهر على السطح وهو يغلي، أو قريب من درجة الغليان، وبهذا فإن هذا النوع من العيون يستحق هذا الوصف القرآني: "عين حامية".

عين مغرب الشمس هي بحيرة في منطقة بركانية نشطة:

فهل تكون تلك العين التي وصل اليها ذي القرنين هي بحيرة في منطقة بركانية نشطة؟

---

[5]- سورة الغاشية الآية رقم 4.

[6]- سورة القارعة الآيتين رقم 9، 10.

أرى أن الافتراض بأن العين الحمئة الحامية كانت بمنطقة بركانية نشطة يفسِّر الأمرين معا: يفسر أن مياهها حامية تغلي، كما يفسر رائحة النتن التي تتصاعد منها؛ فإن غاز كبريتيد الهيدروجين المنتن الرائحة يتصاعد من البراكين النشطة، ومن البحيرات البركانية النشطة أيضا.

كما أن هذا الافتراض يفسر رؤية ذي القرنين للشمس وكأنها تغرب في العين، ذلك لأن مناطق النشاط البركاني تكون مرتفعة، فالذي يقف في الشرق من هذه المناطق وقت الغروب فإنه سيرى الشمس وكأنها تغرب فيها.

بحيرة الحميم بدولة (دومينيكا):

ولقد عثرتُ -بفضل الله- على بحيرة بركانية ينطبق عليها الوصف القرآني، وهي (بحيرة الحميم)، أو (بحيرة الماء المغلي) Boiling Lake، وهي بحيرة تقع في دولة (دومينيكا) Dominica, وهي دولة صغيرة عبارة عن جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي، والبحيرة تتميز -كما يتضح من إسمها– بأن ماؤها يغلي ويفور، فمتوسط درجة حرارتها 92 درجة مئوية، لذا فهي جديرة بالوصف القرآني (**حامية**).



الشكل رقم (9) صورة فوتوغرافية للعين الحمئة الحامية بدولة دومينيكا.

وسبب هذه الحرارة المرتفعة للماء هو أن هذه البحيرة بها ما يسميه العلماء (غيزر) gyser، وهو نوع من الينابيع الحارة التي تقذف بالماء الذي يغلي، وسبب هذا الغليان ملامسة الماء للصهارة البركانية داخل البركان، وتوجد هذه البحيرات في أماكن كثيرة في العالم، ولكن في حالة "بحيرة الحميم" فإن (الغيزر) يقع في قلب البحيرة، ولما كان الماء يخرج من باطن الأرض، فإن الكلمة القرآنية **"عين"** تصدق على بحيرة الحميم.

أما لون هذه البحيرة فهو كدر، بسبب اختلاط الماء بالطين الأسود، واللون يختلف على مدار العام بين الرمادي، والرمادي الداكن، والأسود شديد السواد، حسب أحوال النشاط البركاني، ورائحة الماء منتنة بسبب تصاعد غاز كبريتيد الهيدروجين H_2S من البحيرة، وهكذا تكون البحيرة جديرة بالوصف: **"حمئة"**.

صحيح أن سبب وجود الطين الأسود، والرائحة المنتنة مختلفة عن عيون الماء العادية والآبار في جزيرة العرب ولكن مازالت الصفتين منطبقتين على بحيرة الحميم.

أما عن إرتفاع هذه البحيرة فهي تقع على إرتفاع 800 متر فوق سطح البحر، وبالتالي تصلح لأن تُرى الشمسُ وكأنها تغرب فيها. وهكذا يمكننا القول بأن العين الحمئة الحامية التي وصل اليها ذو القرنين هي بحيرة بمنطقة نشاط بركاني من نوع "بحيرة الحميم" التي تقع في دولة (دومينيكا)، وذلك لأني لا أتوقع أن تظل العين الحمئة الحامية التي وصل إليها ذو القرنين موجودة حتى يومنا هذا؛ فوجود بحيرات الفوهات للبراكين النشطة يخضع لعدة توازنات دقيقة، مثل درجة التسخين والتبريد، ودرجة النشاط البركاني وغيرها والتي من الصعب أن تستمر ثابتة لفترات طويلة، ولكن يكفينا من بحيرة الحميم الحالية أنها مثال لتلك البحيرة التي وصل إليها ذو القرنين وأعتقد أن الله عز وجل أبقى هذه البحيرة في عصرنا لتكون شاهدا على صدق القرآن.

ويمنكم مشاهدة مقطع فيديو لبحيرة الحميم Boiling Lake على هذا الموقع:

http://www.youtube.com/watch?v=qz36bLKQWKo

دقة القرآن في ذكر العين الحمئة الحامية:

إن قوله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة" عجيب من عدة نواح: أولا، أن القرآن يصف بدقة وإيجاز نوعا نادرا من البحيرات البركانية، هذا النوع لا يوجد له في عصرنا إلا مثال واحد، وهو بحيرة الحميم بدولة (دومنيكا) التي تقع في أمريكا الشمالية، وهي البحيرة التي لم تنشر عنها أي دراسات علمية قبل عام 1870م، فكيف علم النبي محمد- صلى

الله عليه وسلم- إذا كان هو من كتب القرآن كما يدعون بوجود هذا النوع من البحيرات منذ ألف وأربعمائة عام.

النقطة الثانية أن إخبار القرآن الكريم بأن العين الحمئة الحامية هي في مغرب الشمس، يؤكد أن مغرب الشمس التي أراده القرآن هو منطقة (الأنديز)، حيث أن هذه المنطقة ذات نشاط بركاني كبير، وهذا إعجاز للقرآن، فكما نعلم لم تكن أمريكا الجنوبية ولا منطقة (الأنديز) معروفة للناس في عصر تنزيل القرآن، بينما أقصى العالم القديم جهة الغرب -أي شبه جزيرة (أيبريا) وبلاد المغرب العربي- لا يوجد به أي نشاط بركاني.

بالإضافة لما سبق أرى أن هناك في النص إشارة - ولو أنها بعيدة- لطريقة تعذيب كفار مغرب الشمس، فالقرآن يذكر أن القوم يقيمون بجوار العين الحمئة الحامية، ثم بعد كلمات قليلة يخبرنا بأن ذا القرنين قد قرر أن يعذِّب الكفار منهم، فمن الوارد جدا أن يكون قد عذبهم باستخدام هذا الشيء الرهيب الذي يقيمون بجواره، وهو العين الحمئة الحامية.

المبحث الثالث: مطلع الشمس وسكانه

ننتقل الآن إلى الحديث عن مطلع الشمس، والقوم الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا، يقول المولى عز وجل: " ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا - حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا"، والسؤال الذي يخطر بالبال لماذا قال الله عز وجل مطلع الشمس، ولم يقل مشرق الشمس؟ أتراهما متساويان تماما، أم أن بينهما فرق؟

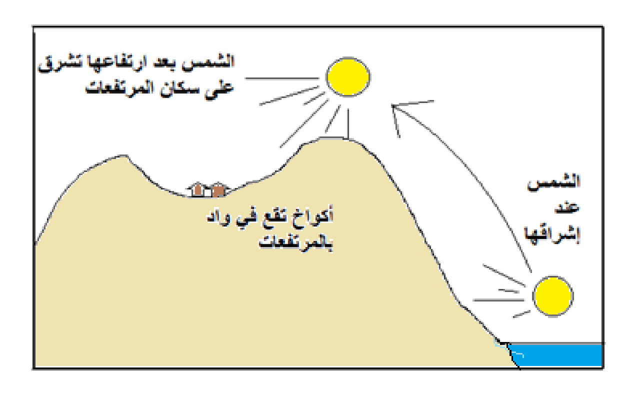
مطلع الشمس ومشرق الشمس:

إن الفرق بين مطلع الشمس، ومشرق الشمس يكمن في دلالة كل من (طلعت الشمس)، و(أشرقت الشمس)، فأشرقت الشمس

تعني أنها ظهرت في الأفق، أما طلعت الشمس فتفيد نفس المعنى، وتعني أيضا ارتفاع الشمس لأن كلمة طلع يطلع تفيد الارتقاء والارتفاع.

لذا أرى أن مطلع الشمس هي منطقة جبال بحيث لا يرى سكان أودية هذه الجبال الشمس إذا أشرقت، لأنها تكون وراء الجبال، وإنما يرونها إذا طلعت، أي ارتفعت قليلا في السماء، يوضح ذلك قوله تعالى: "وجدها تطلع على قوم"، فكأن الشمس لا تشرق عليهم، وانما تطلع عليهم.

فإذا كان مشرق الشمس هو المنطقة التي تقع حول نقطة مشرق الشمس، كما عرَّفتها، وتشمل بعض الجزر، فإن منطقة مطلع الشمس هي منطقة مخصوصة داخل منطقة مشرق الشمس، وتتميز بوجود مرتفعات بها، وهذه المنطقة يسكنها قوم لا تشرق عليهم الشمس إلا إذا طلعت في السماء، وهو ما يحدث لسكان أودية الجبال المرتفعة في المناطق الجبلية.



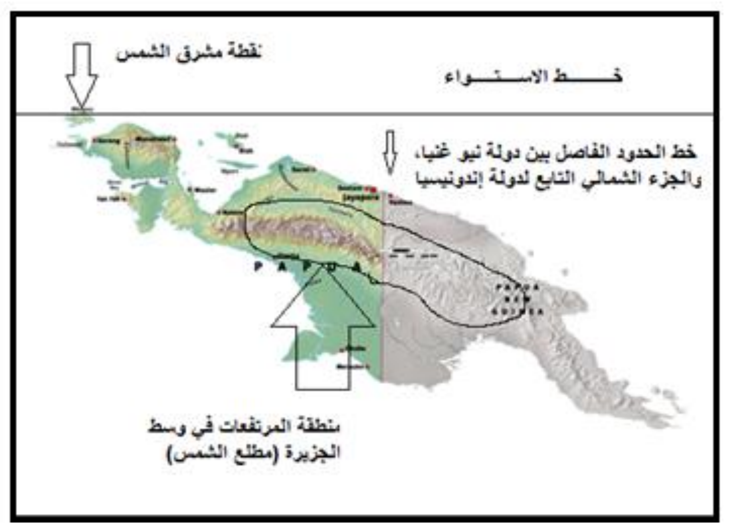
الشكل رقم (10) لمن يقف على ساحل البحر يرى الشمس بمجرد ظهورها (إشراقها) أما سكان الأودية الجبلية فإنه لا يرى الشمس إلا إذا إرتفعت (طلعت) في السماء.

تحديد منطقة مطلع الشمس:

ونحن إذا راجعنا الخريطة، وبحثنا في منطقة مشرق الشمس كما حددناها، فسنجد أن في وسط جزيرة غينيا الجديدة - والتي تعتبر جزء من بلاد مشرق الشمس- توجد سلاسل جبلية تسمى "سلسلة الجبال المحورية"، وبين هذه الجبال توجد أودية يسكنها البشر، وأرى أن هذه المرتفعات هي مطلع الشمس الذي أرادته الآية.



الشكل رقم (11) خريطة توضح نقطة مشرق الشمس.



الشكل رقم (12) خريطة توضح مرتفعات وسط جزيرة غينيا الجديدة، ونلاحظ جزيرة وايجيو والتي يمر بها خط الاستواء وتقع شمال غرب جزيرة غينيا الجديدة

قوم مطلع الشمس:

يقول الله عز وجل: "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا"، وقد كان لعلماء التفسير رأيان أساسيان في تفسير قوله تعالى: "لم نجعل لهم من دونها سترا"، فقالوا: إن بلادهم كثيرة الزلازل فلا يَقِرّ بها بناء يقيهم حر الشمس، كما أن بلادهم بلا أشجار، أو كهوف يحتمون بها، والرأي الآخر أنهم عراة لا يستر أبدانهم من الشمس شيء.

أما جزيرة غينيا الجديدة فقد كانت مجهولة للأوربيين تماما حتى رأى المستكشف البرتغالي (جورج دي منسز Jorge de Meneses طرف الجزيرة الغربي عام 1526م، وأطلق عليها (دي بابوا)، ولكن أول خريطة نشرت تظهر فيها الجزيرة كانت في عام 1600م، وقد ظل الجغرافيون الأوربيون يظنون أن المرتفعات التي تقع في وسط الجزيرة خالية من السكان، وأنه

ليس هناك سوى الأحراج وبعض الطيور والحيوانات البرية، حتى عام 1930م عندما طارت أول طائرة فوق هذه المرتفعات واكتشف العالم حينها وجود قُرى ومجتمعات بشرية وحقول زراعية في أودية هذه المرتفعات.

وبعد ثماني سنوات في عام 1938م وصل (ريتشارد أرشبولد) Richard Archbold إلى وادي نهر (باليِم) Baliem بهذه المرتفعات، حيث وجد على ضفاف هذا النهر مجتمعا بشريا ضخما قوامه خمسون ألف نسمة، وهم قبائل (داني) Dani، التي وجدها تعيش حياة زراعية بدائية على نمط العصر الحجري. أما أهم ما يميز سكان أودية مرتفعات غينيا الجديدة، فهو أنهم **عُراة تماما؛** فالرجال لا يرتدون إلا غطاءً للعُضو الذكري، والنساء لا يرتدين إلا تنورة قصيرة من القش.

وأرى أن هؤلاء هم قوم مطلع الشمس المقصودون في الآية، وأن السِّتر الذي لم يجعله الله لهم من دون الشمس هو الملابس.



الشكل رقم (13) صورة للعراة من سكان مطلع الشمس ويبدو وراءهم وادي (باليَم) محصورا بين مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة.

وهذا يؤكد أن المرتفعات المتوسطة في جزيرة غينيا الجديدة، والتي يسكنها هؤلاء العُراة هي مطلع الشمس المراد في الآية.

دقة القرآن في ذكر مطلع الشمس وقومه:

والآن لنا أن نتسائل كيف علم النبي محمد صلى الله عليه وسلم -إن كان قد أتى بالقرآن من عنده كما يدَّعون- بالمرتفعات المتوسطة بجزيرة غينيا الجديدة، وكيف حدد مكانها بهذه الدِقَّة والبلاغة في نفس الوقت؟ ثم كيف علم بسكان أودية المرتفعات من العراة؟ أولئك الذين لم يكن يدري العالم بوجودهم إلا منذ 85 عاما فقط؟ لاريب أن هذه المعلومات الدقيقة - كما القرآن كله- من عند الله العليم الخبير.

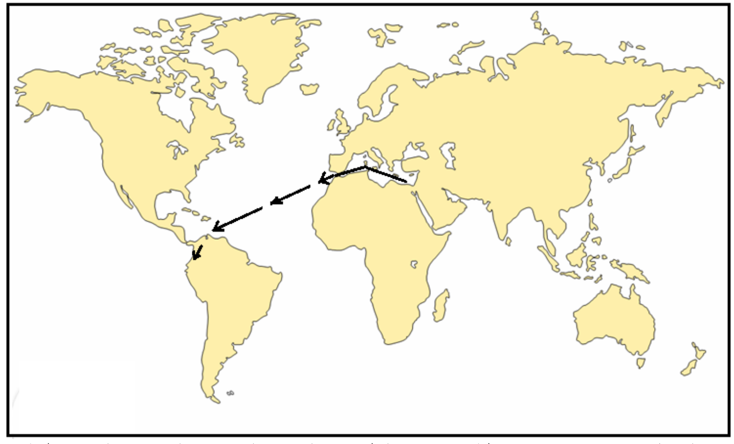
كما أنه لمن العجيب أن يظل هؤلاء القوم على حالهم لآلاف السنين حتى تدركهم المدنية الحديثة وتسجل حالتهم ومعيشتهم، وأرى أن الله حفظ حالهم لآلاف السنين ليكونوا شاهدا ودليلاً على صدق القرآن، مثلما جعل الله "بحيرة الحميم" في دولة (دومنيكا) شاهدا على ذلك.

المبحث الرابع: الرحلة إلى مغرب الشمس، ومطلع الشمس

الرحلة إلى مغرب الشمس:

إن مما يُدهشنا في تحديد مغرب الشمس بمنطقة (الأنديز) الاستوائي، هو ذلك البعد الشاسع بين هذه المنطقة وبين منطقتنا التي يفترض أن ذا القرنين عاش فيها وانطلق منها إلى مغرب الشمس، وما يدهشنا أكثر هو أنه لايوجد طريق بري يصل بين منطقتنا وبين منطقة (الأنديز)، بل لابد من أن يعبر ذو القرنين المحيط الأطلنطي لكي يصل إلى هناك.

بداية أستبعد أن يكون ذو القرنين قد وصل الى هناك بطريقة خارقة للسنن الكونية، لأنه لا يوجد نص على انتقاله بطريقة معجزة، بل إن السياق يشير إلى أنه سافر مستخدما علما كونيا، فالآيات تقول: "إنا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سببا - فأتبع سببا"، والفاء كما تفيد التعقيب والترتيب، فإنها تفيد السببية، فكأنه قال: لما كنا علمناه كيف يتوصل إلى كل شئ، فإنه اتَّبع طـريـقا إلى مغـرب الشـمس. ولما كان الوصــول الى (الأنديـز



الشكل رقم (14) خريطة توضح الطريق الذي سلكه ذو القرنين إلى منطقة مغرب الشمس.

يستلزم عبور المحيط الأطلنطي، فأرى أن ذا القرنين قد أبحر في البحر المتوسط متجها نحو الغرب، حتى وصل إلى مضيق جبل طارق، ثم جاوزه إلى المحيط الأطلنطي، ثم أبحر غربا حتى عبر الأطلنطي، ووصل الى البحر (الكاريبي)، وهناك رسى على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، ثم اتخذ طريقا بريا إلى منطقة (الأنديز) الاستوائي وهو منطقة مغرب الشمس.

وقد يعترض البعض بأن البحر ليس به طرق أو معالم، وبالتالي فإنه لا يصح وصف رحلة بحرية بقوله عز وجل: "فأتبع سببا" بمعنى فأتبع طريقاً.

والحقيقة أن في البحار والمحيطات طرقا كما في البر تماماً، وقد صار هذا الأمر معروفا في علم الإبحار، فهناك الرياح التي تهب في إتجاه معين، وتدفع السفن مثل الرياح التجارية، وهناك تيارات المياه في المحيطات، وهناك المضايق البحرية، وكذلك الجزر والشعاب المرجانية الخطرة التي قد تتحطم عليها السفن، ويجب على الربابنة تفاديها، إن كل ذلك جعل للبحار والمحيطات طرقا بحرية، كما أن في البر طرقا برية.

وأما من الناحية اللغوية فقد استخدم القرآن نفس كلمة (السبب) للدلالة على طرق الكواكب أو مداراتها السماوية، وهي التي لا ترى، ولا توجد علامات عليها غير مرور الكواكب فيها، فهي تشبه الى حد كبير طرق الماء، يقول تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ - أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا"[7].

وأقرب من ذلك قوله تعالى: "فاتخذ سبيله في البحر سربا"[8]، حيث سمَّى الله عز وجل، مسار الحوت في الماء سبيلاً، رغم أنه كان في البحر، ولا معالم لهذا الطريق، وأرى أن سبب أو طريق ذو القرنين الذي اتبعه كان مثل سبيل الحوت طريقا بحريا.

أَتْبَع واتَّبَع، والفرق بينهما:

ننتقل الآن الى مناقشة نقطة أخرى؛ ففي قراءة حفص عن عاصم: "فأتْبع سبباً"، وفي قراءات أخرى صحيحة: "فاتَّبع سببا"،

---

[7] - سورة غافر:الآيات رقم 36-37.

[8]- سورة الكهف الآية رقم 61.

فهل هناك فرق في المعنى بين القراءتين، وهل هناك أي إضافة للمعنى في أي منهما[9].

يقول القرطبي في تفسيره أن (تَبع)، و(اتَّبع)، و(أتْبع)، كلها بمعنى واحد، والمراد أنه سلك طريقاً، ولكن الألوسي يقول في تفسيره أن (أتْبع) تختلف عن (اتَّبع)؛ فـ (أتْبع) تتعدى لمفعولين مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: " أتبع السيئة الحسنة تمحُها"، بينما (اتَّبع) تتعدى لمفعول واحد.

ولو قلنا أن (أتبع) تتعدى إلى مفعولين، فيكون أحد المفعولين هو (سببا)، والمفعول الآخر غير مذكور، فما هو تقديره؟ لقد ذكر الألوسي رأيين في تقدير المفعول به الآخر الذي لم يُذكر في الآية، فقال إن التقدير هو "فأتبع سببا سببا آخر"، والتقدير الآخر: "فأتبع أمره سببا".

وأرى أن التقدير في قوله: "فأتبع سببا" هو: كلمة "الشمس"، فكأنه قال "فأتبع سببًا الشمسَ"، وأرى أن كلمة سببا هنا يُقصد بها القارب الذي كان يستقله ذو القرنين في رحلته فمعظم رحلته كانت رحلة بحرية، أي أن ذا القرنين كان يوجه قاربه بحيث يسير في نفس اتجاه مسير الشمس أي إلى جهة الغرب، وأنه كان يتجه بقاربه أثناء الإبحار إلى نقطة غروبها الظاهرية في الأفق، فكأنه بذلك يجعل قاربه أو(سببه) يتبع الشمس.

وكلمة (سبب) تصدق على القارب، فالسبب هو ما يتوصل به الى الشئ، فتصح على القارب، كما تصح على الطريق.

وهكذا تكون للقرآءة: "فأتْبع سببا"، معنيان؛ الأول هو: سلك طريقاً، وهو نفس المعنى الذي تفيده القرآءة: "فاتَّبع سببا"، والمعنى الثاني هو: "أتْبع سببه (أي قاربه) الشمس، حتى وصل

---

[9]- فلقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو "فاتبع سببا" و"ثم اتبع سببا" و"ثم اتبع سببا" مشددات التاء وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى: "فأتبع سببا"، و"ثم أتبع سببا" و"ثم أتبع سببا".

الى مغرب الشمس"، ولم يصرِّح القرآن بكلمة (الشمس) لتفادي تكرار الكلمة، ولدلالة السياق عليها، حيث ل ايصل إلى مغرب الشمس إلا من أتبع قاربه الشمس في حركتها الظاهرية، وسار في اتجاه نقطة غروبها الظاهري في الأفق، يقول تعالى: "فأتبع سببا- حتى إذا بلغ مغرب الشمس"[10].

ويبدو أن هذا المعنى وهو " أتبع سببه الشمس"، هو نفس المعنى الذي فهمه حسَّان بن ثابت الصحابي الجليل، أو من وضع الأبيات على لسانه، فلقد نُسبت إليه أبيات يفتخر بذي القرنين ومنها:

لنا ملك ذي القرنين هل نال ملكه **
من البشر المخلوق خلق مصور
بواتر يتلو الشمس عند غروبها **
لينظرها في عينها حين يدخر[11]

فقوله (بواتر) يعني بتال، أي بشيء يتلو به الشيء، وكأنه يريد: بدابته، أو بقاربه[12]. ويتلو الشمس، أي يتبعها، فكأنه قال:

---

[10] - لا يصح أن يكون المقصود بكلمة (سببا) المذكورة في الآية هو طريق الشمس الظاهري أي لا يصح تأويل الآيه (فأتبع سببا) بالقول (اتبع طريق الشمس الظاهري)، وذلك لأن الآيات تقول ثم أتبع سببا (89)، ثم أتبع سببا (92) فتاتي الكلمة نكرة في موضعين في نفس السياق،ومجيء الكلمة نكرة مرتين بعد المرة الأولى يعني أنها ثلاثة "أسباب" مختلفة، فلو كان أراد طريق الشمس لقال ثم أتبع السبب، لأن طريق الشمس واحد لايتعدد، هذا بينما القارب الذي أرى أن ذا القرنين أتبعه الشمس يصح أن يكون قد تعدد، فاستقل قاربا الى مغرب الشمس، ثم استقل قاربا آخرا الى مشرق الشمس، وهكذا.

[11]- الكتاب : خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة المؤلف : نشوان الحميري مصدر الكتاب : موقع الوراق
http://www.alwarraq.com

[12]- وقال اللحياني: تواترت الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مصطفة، وليست المتواترة كالمتداركة والمتتابعة. وقال مرة: المتواتر الشيء يكون هنيهة ثم يجيء الآخر، فإذا تتابعت فليست متواترة، إنما هي

"بسببه الذي يتلو به الشمس كان ذو القرنين يتبع الشمس"، وهو نفس ما فهمتُه من قوله تعالى: "فأتبع سببا".

الرحلة الى مطلع الشمس:

يقول الله عز وجل: "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا - حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا". والذي فهمه المفسرون -رحمهم الله- أن ذا القرنين لما انتهى من تعذيب كافري مغرب الشمس، والإحسان إلى مؤمنيهم، فإنه عاد أدراجه، ثم بدأ رحلته إلى مشرق الشمس.

غير أني لاحظت أن السياق يشير إلى غير ذلك، إنه يشير إلى أن ذا القرنين قد سافر إلى مطلع الشمس **مباشرة** منطلقا من مغرب الشمس، وهذا يعني أنه عبر المحيط الهادي.



الشكل رقم (15) خريطة توضح كيفية عبور ذي القرنين من مغرب الشمس الى مطلع الشمس مباشرة، عن طريق عبور المحيط الهادي.

متداركة ومتتابعة على ما تقدم. ابن الأعرابي: ترى يتري إذا تراخى في العمل فعمل شيئا بعد شيء. الأصمعي :واترت الخبر أتبعت وبين الخبرين هنيهة. وقال غيره : المواترة المتابعة، وأصل هذا كله من الوتر، وهو الفرد، وهو أني جعلت كل واحد بعد صاحبه فردا فردا، لسان العرب حرف الواو

http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=8897&idto=8897&bk_no=122&ID=8910]

فنحن لا نجد في القرآن ذكرا لرحلة العودة لذي القرنين، ولا لمدة فاصلة بين أحداث مغرب الشمس، وبين الذهاب الى المشرق، بل الظاهر أنه سافر من موضعه - وهو مغرب الشمس- مباشرة إلى مشرق الشمس.

ولقد كانت الرحلة المباشرة من مغرب الشمس إلى مطلع الشمس بعيدة عن تصوُّر علمائنا الأجلاء، فرغم أنهم علموا بأن الأرض كروية إلا أنهم ظنوا أن رحلة ذي القرنين كنت رحلة برية، ولم يخطر ببالهم أن ذا القرنين عبر محيطا ضخما - وهو الأطلنطي- ليصل إلى مغرب الشمس.

ولكننا بعد أن توصلتُ الى أن مغرب الشمس هو منطقة الأنديز الاستوائي، وأن ذا القرنين عبر المحيط الأطلنطي ليصل الى مغرب الشمس، فإنه يسهل علينا تصور أنه عبر محيطا آخر، وهو المحيط الهادي، ليصل إلى مطلع الشمس.

وفي رحلة ذي القرنين الأولى إلى مغرب الشمس قلتُ أن قوله تعالى: "فأتبع سببا" تحتمل المعنى: أن ذا القرنين أتبع قاربَه الشمسَ في مسارها الظاهري، فهو كان يقود قاربه في نفس اتجاه حركة الشمس الظاهرية من الشرق إلى الغرب، ويتجه بقاربه جهة نقطة غروبها الظاهري في الأفق.

وفى رحلته الثانية والتي ذهب فيها ذو القرنين إلى مطلع الشمس، يقول المولى: "ثم أتبع سببا"، والتي يمكن أن تعني أنه قاد قاربه في نفس اتجاه حركة الشمس أيضا كما فعل في المرة الأولى.

ولكي يقود الإنسان قاربا أو سفينة ويسير به في نفس إتجاه حركة الشمس أي من الشرق إلى الغرب، ثم يصل إلى أقصى شرق العالم أي جزيرة غينيا الجديدة، فلابد أن يكون قد انطلق من الأمريكتين، ثم عبر المحيط الهادي، ووصل إلى جزيرة غينيا الجديدة من جهة الشرق، وهذا يؤكد أن ذا القرنين قد سافر مباشرة من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، وأنه عبر المحيط الهادي.

وهكذا يتجمع لدينا ثلاثة أدلة على أن ذا القرنين قد عبر المحيط الهادي ليصل إلى مشرق الشمس، الأول: ظاهر السياق، والثاني: هو عبوره الأطلنطي من قبل ليبلغ مغرب الشمس، والثالث: هو إتباع قاربه للشمسِ انطلاقا من منطقة (الإنديز) مغرب الشمس.

المبحث الخامس: قرنا ذي القرنين

لقد حاول الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم علماؤنا الأجلاء من المفسرين، وغيرهم، أن يصلوا الى المراد من لقب "ذي القرنين"، ولقد استنفذوا في ذلك معاني كلمة (قرن)؛ فقالوا أن ذا القرنين كان له قرنان في رأسه، أو أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، أو أنه ضُرب على قرنيه، أي جانبي رأسه، أو أنه عاصر قرنين، أي جيلين من الناس، ولكن أفضل ما قيل في ذلك - كما ذكر بعض العلماء- هو أنه قد لُقب بذلك، لأنه بلغ قرنيّ الدنيا، أي مغرب الشمس ومطلعها، وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

ولكني أُلاحظ أن العرب لم تُطلق على المشرق والمغرب كلمة القرنين، أو قرني الدنيا، لأنهم لو كانوا فعلوا ذلك لوجدنا استشهادات على ذلك من الشعر أو النثر.

وأرى أنه بقِي من معاني كلمة (قرن)، معنى لم يلتفت إليه أحد، وهو قرن بمعنى **جبل**، فالعرب أطلقت على الجبل كلمة قرن، وهناك جبال في جزيرة العرب سميَّت بذلك منها: قرن المنازل، وقرن الثعالب، وقرن غزال، وقرن الطوى، وكلها جبال[13].

---

[13]- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيدالناشر : عالم الكتب – بيروت الطبعة الثالثة، 1403.
تحقيق مصطفى السقا برنامج لموسوعة الشاملة
[[http://sh.rewayat2.com/lang/Web/4968/002.htm

بل أن العرب أسمت الجبلين المتشابهين المتقاربين (قرنين)، ففي كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: **"**ثم يلي هضبة الورَّاق جبلان أسودان يدعيان **القرنان ....**"[14].

فلماذا لا يكون قرنا ذي القرنين جبلين عظيمين، أحدهما في مغرب الشمس، والآخر في مطلع الشمس، وصل إليها ذو القرنين فلُقِّب بهما، خاصة وأننا قد توصلنا بتحليل الآيات إلى أن كل من منطقة مغرب الشمس، ومطلع الشمس منطقة جبلية؟

إننا لو ذهبنا نبحث عن جبلين مميزين عظيمين في هاتين المنطقتين، لوجدنا في منطقة مغرب الشمس الأنديز الاستوائي جبلا هاما هو جبل (شِمبُرازو) Chimborazo، وهو جبل بركاني مخروطي الشكل كان نشطا من قبل، ولكنه صار خامدا الآن، وهو الأعلى في المنطقة ويصل ارتفاعه إلى 6268 متر، وهو يقع في دولة (إكوادور)، وأُرجِّح أنه هو القرن الغربي.





الشكل رقم (16) على اليمين خريطة لدولة الإكوادور توضح موقع جبل (شمبرازو)، وعلى اليسار صورة للجبل.

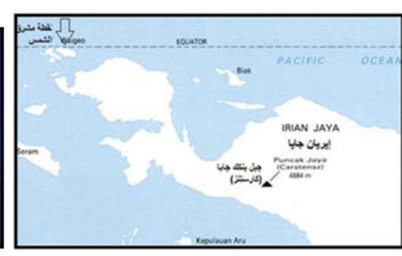
وفي منطقة المرتفعات الوسطى بجزيرة غينيا الجديدة وقريبا من أودية العراة، يوجد جبل مُميَّز، هو جبل (بَنْكَك جايا) Puncak Jaya، ويسمى أيضا جبل (كارستنز) Mount

---

[14]- نفس المصدر السابق.

Carstensz، وهو جبل جيري يبلغ ارتفاعه 4884 متر، يقع في يقع في دولة إندونيسيا الحالية، وهو أعلى جبل في قارة أستراليا، وأعلى جبل في الساحل الشرقي لكل من آسيا وأستراليا، وأغلب ظنى أنه القرن الشرقي.





شكل رقم (17) على اليمين خريطة رقم توضح موقع جبل (بنكك جايا) في جزيرة غينيا الجديدة، وعلى اليسار صورة للجبل.

وهكذا أكون قد توصلت عن طريق التفسير البياني العلمي لآيات مغرب الشمس ومطلعها، إلى أن مغرب الشمس هو منطقة الأنديز الاستوائي، وأن مطلع الشمس هو منطقة المرتفعات المتوسطة بجزيرة غينيا الجديدة، وأن العين الحمئة الحامية هي بحيرة بركانية نشطة، تشبه (بحيرة الحميم) بدولة (دومنيكا) الحالية، وأن القوم الذين لم يجعل لهم الله من دون الشمس سترا هم سكان المرتفعات المتوسطة بجزيرة غينيا الجديدة، وأن الستر المقصود في الآية هو الملابس، فهم عراة.

كما توصلت إلى أن رحلة ذي القرنين كانت رحلة بحرية، وأنه قد عبر المحيط الأطلنطي حتى وصل إلى مغرب الشمس، وأنه قد عبر أيضا المحيط الهادي ليصل إلى مطلع الشمس.

الفصل الثاني

مغرب الشمس ومشرقها
في تراث المصريين القدماء

المبحث الأول: العثور على قصة ذي القرنين

ذو القرنين وقصته في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة:

بعد دراسة الآيات من حيث اللغة والمعاني، فقد كان من المنطقي أن نذهب إلى كتب التاريخ، وكذلك إلى كتب جغرافيا القدماء، لنبحث عن إجابة لأسئلتنا: ما هي بلاد مغرب الشمس؟ وماهي بلاد مطلع الشمس؟ وما هي بلاد بين السدين؟ وما هي بلاد يأجوج ومأجوج؟ وما هي العين الحمئة؟ وأين تقع؟ ومن هم القوم الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا؟ وما هو الستر المقصود؟ ثم من هو ذو القرنين؟ ومتى عاش؟ وما هما قرناه؟ وكيف وصل إلى مغرب الشمس ثم إلى مطلع الشمس، ثم إلى ما بين السدين؟

ولكننا لا نجد في كتب الجغرافيا القديمة بلادا تعرف بمغرب الشمس، ولا أخرى يطلق عليها مطلع الشمس، ولا نجد أيضا منطقة تسمى بين السدين، لانجد إلا إشارات في التوراة إلى أن مأجوج يقيمون في الشمال، كما لا نجد في كتب جغرافيا القدماء ذكر للعين الحمئة، ولا لقوم مطلع الشمس، ولا لسترهم الذي لم يجعله الله لهم من دون الشمس.

وفي كتب التاريخ لا نجد المؤرخين يذكرون لنا ملكا أطلق عليه لقب بذي القرنين[15]، بل ولا نجد لهم حديثا عن ملك ذهب إلى مغرب الشمس، ثم إلى مطلع الشمس، ثم إلى منطقة بين السدين، كما أننا لا نجد ذكرا لملك بنى سدا ليحمي الضعفاء من هجوم يأجوج ومأجوج، بل إننا لا نلمح وجودا ليأجوج ومأجوج في كتب التاريخ إلا ذكرا سريعا غامضا في التوراة[16].

لقد كانت هذه الحقائق السابقة هي الصخرة التي تحطمت عليها جهود الباحثين في تفسير آيات ذي القرنين، وفي تحديد شخصيته، سواء في ذلك علماءنا القدماء، أو الباحثين المحدثين.

العثور على ذي القرنين وقصته:

يخبرنا علماء علم الميثولوجي أن الديانات والأساطير القديمة هي تاريخ ما قبل التاريخ، بمعنى أن بعضها -على الأقل- هي ذكريات لأحداث وقعت، وشخصيات حقيقية عاشت في أزمنة قديمة، قبل اختراع الكتابة واستخدامها في تسجيل الأحداث، وهو ما يعرف بالتأريخ، فلما جاء عصر الكتابة كانت هذه الأحداث الحقيقية قد تحولت مع طول الأمد إلى قصص ديني وأسطوري شفوي، وتحولت الشخصيات الحقيقية إلى أبطال أسطوريين، وإلى آلهة باطلة، أو أنصاف آلهة، فدُوِّنت وحُفظت على هذه الصورة.

وعندما بحثتُ في نصوص ديانات وأساطير المصريين القدماء، والعراقيين القدماء، واليونانيين القدماء، وبحثتُ في كتب أهل الكتاب، وغيرهم، فوجئت بأن ذكر مغرب الشمس، وقومه، ومطلع الشمس وقومه، شائع في هذه النصوص، بل إن هناك ذكر متكرر متواتر لبطل -أو أبطال- يسافر إلى هذين الموضعين، وفي

---

15 - الإسكندر المقدوني لم يطلق عليه ذو القرنين قبل نزول القرآن بقصة ذي القرنين، وإنما أطلق البعض عليه ذلك بعد أن فهم أنه ذو القرنين المقصود في الآيات.

16 - في سفر حزقيال 38، 39.

بعض الروايات يبني سدا في مكان ثالث، الأمر الذي فهمتُ منه أن ذا القرنين عاش وقام برحلاته في مرحلة مبكرة من التاريخ، بل يمكننا القول أنه عاش في زمن ماقبل التاريخ، أي قبل 3500 قبل الميلاد، وأنه عندما بدأ الإنسان في الكتابة فقد كانت قصة ذي القرنين تحولت إلى عقائد دينية وثنية خرافية، وأساطير عجيبة.

نعم وجدتُ كثيرا من التحريف، والتبديل، وسوء الفهم من واضعي هذه النصوص القديمة، غير أنني عندما قمت بدراسة متأنية لهذه النصوص ووجدت أن كثيرا من العقائد والأساطير التي تحملها النصوص هي في حقيقتها منحدرة من قصة ذي القرنين الحقيقية كما روتها آيات القرآن.

والذي أكد لي صحة فهمي لتلك النصوص القديمة هو أن هذه النصوص القديمة دلَّت - بعد إعادة قراءتها- على نفس النتائج التي توصلت إليها بالتحليل البياني العلمي للآيات، فمغرب الشمس عند القدماء - كما فهمته من إعادة قرآءة النصوص القديمة- هو منطقة (الأنديز) الإستوائي، والعين الحمئة هي عين بركانية، كما وجدتُ النصوص القديمة تخبرنا عن بطل -إله باطل أو نصف إله باطل- يذهب إلى مغرب الشمس، ويعاقب مجموعة من الكافرين بالإله الأعظم، كما عثرتُ على أدلة تؤكد أن مطلع الشمس عند القدماء ليس إلا مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، وقوم مطلع الشمس هم سكان هذه المرتفعات من العراة، الذين يزرعون حقولهم هناك، كما فهمت من النصوص الدينية والأساطير أن البطل الذي ذهب إلى مغرب الشمس، ومشرقها، وصل إلى هناك برحلات بحرية، وأنه كان يبحر من الشرق إلى الغرب متتبعا الشمس، وأنه عبر المحيط الهادي من (الأنديز) مغرب الشمس ليصل إلى غينيا الجديدة مطلع الشمس.

كما دلني على صحة استنتاجي أن وجدت أن القدماء كانوا يعلمون **بعض المعلومات العلمية الصحيحة** عن مغرب الشمس، وعن مشرقها، وعن الطريق الموصل إليهما، وكذلك عن جغرافيا

العالم، ولا يمكن تفسير معرفتهم بهذه المعلومات إلا بأن يكون القرآن صادق فيما أخبر به من قصة ذي القرنين، وأنه كان هناك ثمة نبي يوحي إليه في الزمن القديم، وقام بهذه الرحلات العجيبة، وأنه أخبر الناس بما رآه، وبما علّمه الله.

وفوق ذلك فقد وجدت تشابها عجيبا بين الأساطير والمعتقدات الدينية لشعوب بعيدة عن بعضها، وبعض هذه الشعوب تقع على جانبي المحيط الأطلنطي في وقت كان الاتصال بينها منعدم أو هكذا يُظن، مما يصنع نوعا من التواتر الذي يؤكد أن قصة ذي القرنين قصة حقيقية قد حدثت بالفعل في زمن قديم، ويؤكد على صدق القرآن.

بل إنني وجدت في ديانات وأساطير القدماء تفاصيل لبعض ما أجمله القرآن؛ فعلمت كيف عذّب ذو القرنين كافري مغرب الشمس، وكيف أحسن إلى مؤمنيهم، وعلمت ما الذي فعله مع قوم مطلع الشمس.

ورغم التشابه بين بعض عقائد وأساطير القدماء من جهة، وبين قصة ذي القرنين في القرآن من جهة أخرى، فإن أعداء القرآن لا يستطيعون أن يتهموا القرآن بالاقتباس من أساطير الأولين، ففي زمن نزول القرآن وقبله بقرون كانت أهم النصوص القديمة التي لها علاقة بقصة ذي القرنين مطمورة تحت الثرى، وكانت مكتوبة بالخط الهيروغليفي، والخط المسماري، ولم يكن هناك على وجه الأرض حينها من يستطيع قراءتهما.

أما النصوص اليونانية فلقد كانت تطويرا وتحريفا لنصوص المصريين والعراقيين الأقدم، وأكثر بعدا عن قصة ذي القرنين الحقيقية، بحيث لا يمكن لأحد أن يصل من خلال هذه النصوص اليونانية وحدها لإعادة بناء قصة ذي القرنين بالإضافة إلى ذلك فإن العرب –وقت البعثة- لم يكن لهم اطلاع على التراث اليوناني.

أما نصوص أهل الكتاب فمثلها مثل النصوص اليونانية كانت قد تحرفت كثيرا عن القصة الحقيقية لذي القرنين، كما أن كُتب

أهل الكتاب التي اشتملت على بقايا قصة ذي القرنين كانت كتبا غير معترف بصحتها، وكانت كتبا سرية، وممنوع الإطلاع عليها من قِبل أتباع الديانة نفسها، فما بالنا بمن هو على دين آخر.

وحتى لو افترضنا جدلا أن محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع كل هذه النصوص التي سوف نعرض لها، فأنّى له أن يستخلص منها قصة ذي القرنين كما جاءت في القرآن؟ كيف استطاع أن يصحح للقوم أخطاءهم ليس العقائدية فقط، بل الجغرافية والعلمية والتاريخية أيضًا؟ من أدراه بالأخطاء الكثيرة فاجتنبها، ومن أعلمه بالمعلومات الصحيحة القليلة فاقتبسها؟ ثم كيف له أن يأتي بقصة تصلح بأن تكون هي القصة الأصلية التي اشتقت منها كثير من الأساطير والعقائد الدينية المختلفة؟ كيف نجح هو فيما فشل فيه علماء الديانات والميثولوجيا المتخصصين، الذين توفرت لهم المراجع والمكتبات، وآلاف الساعات من الدراسة والبحث، وحصلوا على الدرجات العلمية العالية؟ بل يمكنني القول أن النبي لو كان استخلص قصة ذي القرنين من أساطير الأولين وصحح لهم أخطاءهم لكان هذا وحده معجزة تثبت نبوته، وذلك لأنه لا يمكن تصحيح الأخطاء بغير معرفة الأصل الصحيح للقصة.

مغرب الشمس ومشرقها في النصوص المصرية، والنصوص الأخرى:

يُذكر مغرب الشمس ومشرقها في الديانات القديمة والأساطير في معرض الحديث عن رحلة يقوم بها بطل، أو أبطال إلى مغرب الشمس، أو مشرقها، أو كليهما، وهذا البطل إما أن يكون بشراً، أو نصف إله باطل، أو إله باطل.

ولقد وجدت فروقا جوهرية بين النصوص المصرية من جهة، والنصوص التي جاءت في ثقافات أخرى من جهة أخرى، فالنصوص المصرية في مجملها تتحدث عن رحلة يقوم بها المتوفَى -أو بالأحرى رُوحُه- إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق

الشمس، بينما النصوص الغير مصرية فإنها تتحدث عن حادثة قام فيها البطل برحلة إلى مغرب الشمس، أو إلى مشرقها، أو إلى كليهما.

وهناك فرق هام آخر؛ وهو أن الكتابات المصرية في هذا الموضوع وفيرة جداً، ومتنوعة بشكل كبير؛ فقد بدأ الأمر بأن استحسن الكهنة كتابة بعض التراتيل على جدران حجرة الدفن لآخر ملك من ملوك الأسرة الخامسة في الدولة القديمة ظانين أنها قد تنفع المتوفي، وتبعهم في ذلك كهنة الأسرة السادسة، وهي تلك النصوص التي أطلق عليها علماء المصريات نصوص الأهرام، ثم جاءت الدولة الوسطى، وانتقلت النصوص إلى جدران التوابيت التي تحفظ فيها المومياوات، وهي التي أسميناها نصوص التوابيت، حتى إذا جاءت الدولة الحديثة، فإن الكهنة صاروا يكتبون على لفائف البردي، ويجعلون هذه اللفائف مع الجثمان، وهو ما أُطلق عليه كتاب الموتى.

وهذه النصوص كانت مقتصرة أول ما ظهرت على الملوك وزوجاتهم فقط كما في نصوص الأهرام، ثم إمتدت لتشمل الأمراء، والوزراء، ثم كبار الموظفين، والأغنياء، وهذا جعل كمية النصوص ضخمة، وعدد النسخ هائلا، وتنوع الأفكار الجزئية كبيرا.

هذا بينما نجد في الحضارات الأخرى، أن النص يأتي على هيئة أسطورة تحكي عن حادثة أسطورية واحدة تخص بطلا أو مجموعة من الأبطال، لذلك لا نجد نفس كثافة الكتابة، ولا التنويع في الفكرة الأسطورية التي نجدها عند المصريين.

أما الفرق الثالث والأهم فهو أن النصوص المصرية أقدم كثيراً من نصوص الأمم الأخرى، ليس هذا فقط بل هناك دلائل مستمدة من (تيمات) أسطورية تؤكد أن النصوص الغير المصرية –في مجملها- قد إستفادت واستلهمت كثيراً من الأفكار المصرية عن مغرب الشمس ومشرقها والرحلة إليها.

المبحث الثاني: رحلة الموتى إلى مغرب الشمس ومشرقها عند المصريين القدماء

تميز المصريون القدماء باختراعهم للكتابة في فترة مبكرة جدا من تاريخهم، واستطاعو بذلك - إلى درجة كبيرة- حفظ الكثير من عقائدهم وتراثهم لفترة طويلة من الزمن امتدت حوالى ثلاثة آلاف عام، ورغم ذلك فإن سوء فهم النصوص المكتوبة من قبل الكهنة، وأخطاء الكتبة، وضياع المصادر المكتوبة، مع طول الدهور، كان له الأثر البالغ في تغيُّر الكثير من العقائد القديمة، وكذلك ضياع معاني ومغزى بعض العقائد الأخرى للأبد.

ولقد وصلنا ضمن النصوص الدينية المصرية التي وصلتنا حديثٌ كثير عن مغرب الشمس، وعن مشرق الشمس، وعن الرحلة إليهما، وذلك لأن الكهنة في مرحلة مبكرة من تاريخ الديانة المصرية اعتقدوا في **رحلة تقوم بها روح الميت** عقب الوفاة، فادعوا أن **روح الميت تسافر إلى منطقة مغرب الشمس، ومن هناك تعبر العالم السفلي منتقلة إلى منطقة مشرق الشمس.**

هذه الرحلة المزعومة سيطرت على تفكير الكهنة تماما، وتحولت من فكرة خيالية مخترعة إلى أن أصبحت المحور الرئيس للكتابات الجنائزية، تلك الكتابات التي اهتمت بالموتى وحياتهم الأخرى، ومن أهم هذه الكتابات الجنائزية نصوص الأهرام، ونصوص التوابيت، وكتب العالم السفلي، وكتاب الموتى، وكل هذه الكتابات تتحدث عن رحلة المتوفى إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس.

أصل عقيدة رحلة الموتى إلى المغرب والمشرق:

يرى علماء المصريات أن المصريين القدماء كانوا يعبدون الشمس التي أطلقوا عليها اسم (رع)، واعتبروه إلههم (الباطل) الأعظم، ثم أنهم تخيلوا أن الشمس – أو (رع)- تموت عند

غروبها، ثم تبعث من جديد عند إشراقها في كل صباح، ثم بعد ذلك طوروا الأمر هكذا: فقد ربطوا بين روح المتوفى من جهة، والشمس من جهة أخرى؛ فقالوا أن روح المتوفى تسافر مع الشمس إلى مغرب الشمس، فتموت هناك كما تموت الشمس عند الغروب، ثم تعبر العالم السفلي، حتى تصل إلى مشرق الشمس، وهناك تُبعث روح المتوفى وقت الإشراق، كما تُبعث الشمس أو (رع) من جديد.

ولكنّي لا أوافقهم هذا الرأي، **بل أرى أن الرحلة المزعومة لأرواح الموتى هي نتيجة لتشبيه الموتى (بأوزيرس)؛ فالرحلة المخترعة للموتى إلى المغرب والمشرق هي محاكاة لرحلة قام بها (أُزَيْرِس)- والذي كان إنسانا[17]- أثناء حياته إلى المغرب والمشرق.**

ففي نصوص الأهرام نصان صريحان أن رحلة المتوفى هي تمثيل لرحلة (أُزَيْرِس): **"إن ذهابك كممثل/كتمثيل لأُزَيْرِس."[18]**، و**"إن ذهابك كخليفة لأُزَيْرِس"[19]**،

أما رحلة (أُزَيْرِس) فكانت شبيهة برحلة الشمس أو (رع) فهو سافر إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرق الشمس.

ففي حجر (شباكا) يقول النص أن (أُزَيْرِس) قد مشى - وهو حيّ- على خطى إله الشمس الباطل، يقول السطر 63 وهو السطر قبل الأخير: **"... ودخل [أُزَيْرِس] المسارات السرية في بهاء آلهة الأبدية، على خُطى الذي يُشرق في الأَخِت، على طرق رع**

---

[17]- يرى كثير من الدارسين لعلم المصريات أن أزيرس كان إنسانا، وأنه كان ملكا على مصر، وأنه تم رفعه لمرتبة الألوهية في مرحلة لاحقة.

[18]- نصوص الأهرام الفقرة 558 السطر 1358a http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt33.htm

[19] - نصوص الأهرام الفقرة 436 السطر 790a http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt23.htm

الذي على العرش العظيم."[20]، ويُفهم من ذلك أنه مشى في نفس طريق الشمس، وأنه وصل إلى مغرب الشمس ثم عبر إلى مشرق الشمس.

ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب الموتى من أن (أُزَيْرِس) قد أبحر في معية (رع)، وأنه طاف على كل الكائنات العاقلة أو ذات المعرفة، أي البشر، يقول النص: **"إنك [أُزَيْرِس] قد دُرت حول السماء، وأبحرت في حضرة رع، وبصرت كل الكائنات العاقلة ...."**[21].

ويدعم هذه الفكرة ما ذكره المؤرخان اليونانيان: (بلوتارخ)، (وديودور) الصقلي من **أن (أُزَيْرِس) قد طاف العالم**، ثم عاد إلى مصر.

لقد كان عند المصريين عقيدة راسخة أن (أُزَيْرِس) مات ثم قام من الموت، لذا فقد ربط الكهنة بين الموتى و(أُزَيْرِس)، حتى أطلق على الملك المتوفى: "فلان- أزيرس"، وذلك تمنيًا أن يبعث المتوفى من موته كما بعث (أُزَيْرِس).

وأرى أنه كان عند المصريين القدماء **عقيدة أخرى** هامة، وهي أن (أُزَيْرِس) ذهب إلى مغرب الشمس ثم عبر إلى مشرق الشمس، هذه العقيدة هي التي تحدثت عنها النصوص السابق ذكرها، ثم جاءت الخطوة الثانية -وهي الأهم- **فلقد ساوى الكهنة بين المتوفى و(أُزَيْرِس) في شأن الرحلة أيضاً**، فكما مات (أُزَيْرِس) وبعث حياً فإن المتوفى سوف يقوم من الموت، وكما سافر (أُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس، فإن المتوفى سوف يسافر إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس.

أما ربط رحلة المتوفى بالشمس، هذا الربط القوي، فلقد نشأ بسبب علاقة رحلة (أُزَيْرِس) برحلة الشمس اليومية، وأرى أن

---

[20]- http://www.maat.sofiatopia.org/shabaka.htm

[21]- كتاب الموتى الفرعوني ترجمة عن الهيروغليفية والس بدج ترجمة إلى العربية د فيليب عطية الفصل 147 المنزل الأول صفحة 144.

أصل ذلك أن (أُزَيْرِس) أبحر في نفس إتجاه حركة الشمس، أي من الشرق إلى الغرب، وكان يوجه قاربه إلى نقطة غروب الشمس في الأفق، حتي وصل إلى مغرب الشمس (الأنديز)، ثم فعل الأمر نفسه فوصل إلى مشرق الشمس غينيا الجديدة بعد أن عبر المحيط الهادي، ثم عاد من جهة الشرق عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر إلى مصر، فكان أول إنسان **يدور** حول الأرض كما تفعل الشمس والكواكب ظاهريا.

فتطورت هذه الحقائق إلى القول بأن (أُزَيْرِس) مشى على طريق الشمس، وأنه أبحر في معية الشمس، ثم زاد الكهنة الأمر فقالوا أن (أُزَيْرِس) ركب –أو يركب- في قارب الشمس في السماء، أو أنه مساو لإله الشمس الباطل (رع)، ثم **أضافوا كل ذلك للمتوفَّى تشبيها له (بأُزَيْرِس)**، لذا نجد نصوصا تتحدث عن أن المتوفى يسير على طريق الشمس، أو إله الشمس الباطل، ونصوصا تقول أن الميت يبحر مع إله الشمس الباطل، ونصوصا أخرى تقول أن الميت يسافر في قارب (رع) في السماء.

ولقد ساهمت هذه العقيدة الباطلة - وهي رحلة الموتى إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرق الشمس- ساهمت في حفظ ذكريات المصريين القدماء عن رحلة ذي القرنين إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس، وكذلك ذكرياتهم عن بلاد مغرب الشمس ومشرق الشمس والطريق الموصل بينهما.

تصور المصريين القدماء للكون:

سنحاول الآن أن نفهم كيف كان المصري القديم يتصور الكون، وذلك من خلال النصوص الدينية، وخصوصا النصوص الجنائزية التي اهتمت برحلة الشمس، أو إله الشمس الباطل (رع)، ورحلة الموتى المزعومة في صحبة هذا الإله الباطل.

لقد تصور المصريين القدماء أن الأرض مسطحة، وأنها قرص مستدير، وأن الشمس تخرج من الأرض في أقصى شرق

العالم عند الإشراق، وأنها تغرب بالدخول في الأرض في أقصى غرب العالم، مثلهم في ذلك مثل باقي الشعوب القديمة، حيث أن هذا هو ما يظنه الإنسان عند النظر البسيط؛ فالأرض تبدو للناظر مسطحة والسماء فوقها مثل القبة.

غير أنه مما يميز التصور المصري للكون أن المصريين اعتقدوا أن الشمس تشرق من **جبل** عظيم يقع في أقصى شرق العالم، وتغرب بأن تدخل في **جبل** عظيم آخر يقع في أقصى غرب العالم.

وهناك تصور آخر أقرب للحقيقة العلمية، فنجد بعض النصوص والرسوم توضح بجلاء أن الشمس عندما تغرب فإنها تنتقل من سماء عالمنا، وهي هذه السماء التي نراها فوقنا، إلى سماء العالم السفلي، وهي السماء التي تقع تحتنا، والتي لا نراها، وكذلك نجد الرسوم تشير بوضوح إلى أن الشمس تنتقل من سماء العالم السفلي إلى سماء عالمنا عند الإشراق[22].

أما بخصوص المنطقة التي تقع أسفل عالمنا أو تقع تحت خط الأفق، وهي المنطقة التي تقطعها الشمس أثناء الليل من المغرب إلى المشرق، هذه المنطقة أطلق عليها المصريون القدماء اسم (دوات)، واعتقدوا في مرحلة مبكرة من تاريخهم أن (دوات) هذا عبارة عن بحر لُجي يفصل بين المغرب والمشرق، وأنه ويقع أسفل عالمنا، أو في الجهة المقابلة لنا من الأرض، وهذا ما نفهمه من نصوص الأهرام.

ولكن مع ظهور الدولة الحيثة، ومحاولة كهنة (طيبة) عمل نوع من جمع الديانة، وتوحيد التصورات والعقائد الدينية، فلقد تصوروا أن (دوات) مساحة من الأرض المظلمة تفصل بين المغرب والمشرق، ويقطعها نهر متعرج يصل بين المغرب والمشرق، ولقد قسموا (الدوات) لمقاطعات وبالتحديد إلى اثنتي عشرة مقاطعة، بعدد ساعات الليل كما يظهر في كتابي العالم

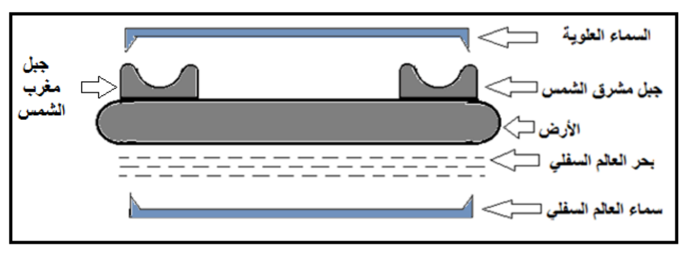
---

22 ـ كما في كتاب السماوات، وهو أحد كتب العالم الآخر عند المصريين القدماء.

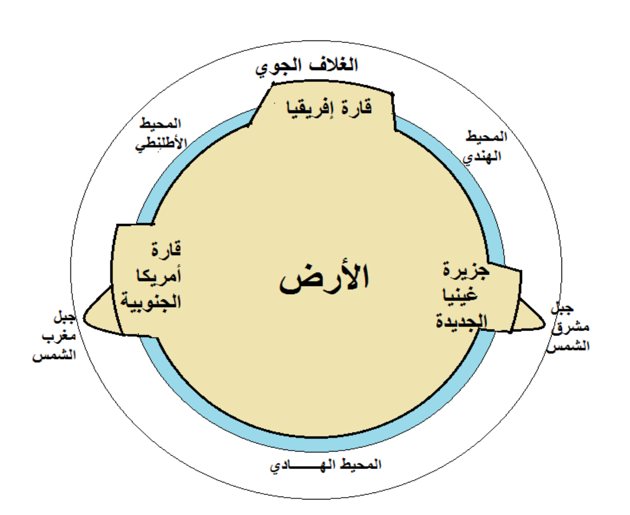
السفلي: كتاب "هذا الذي في العالم السفلي"، وكتاب "البوابات"، ثم إنهم ملؤوا (الدوات) بالبحيرات النارية، وفِخاخ النار، والثعابين التي تنفث النار، والزبانية، والشياطين، والآلهة الباطلة.

ومن العجيب أن التصور الأقدم للعالم السفلي مطابق للواقع الجغرافي؛ فالمحيط الهادي هو بحر عظيم يفصل بين مغرب الشمس، ومشرقها، وهو في نفس الوقت يقع في الجهة المقابلة لمنطقتنا من الكرة الأرضية، أي أسفل منطقتنا.

ويزيد الأمر غرابة أن المصريين القدماء اعتقدوا أن سماء العالم السفلي مقلوبة، كما نجد في بعض النصوص أن ماء العالم السفلي مقلوب أو معكوس، وتبين "لوحات أسفل الرأس" Hypocephalus, والتي كانت توضع أسفل رؤوس الموتى، تبين بوضوح أن المصريين القدماء تصوروا أن العالم السفلي معكوس، وأن سكانه مقلوبون، وهذا أيضا مطابق للحقيقة العلمية الجغرافية.



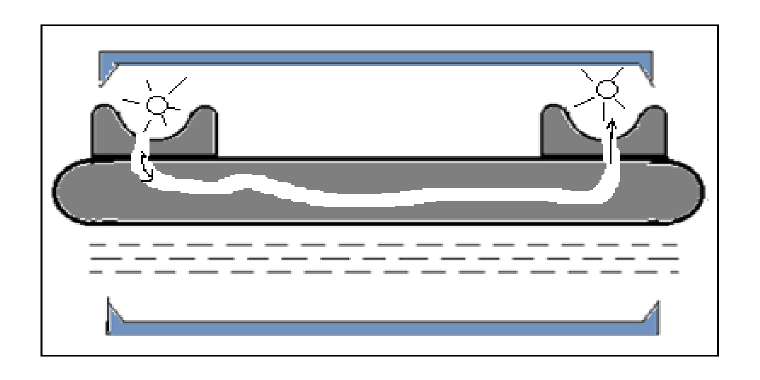
الشكل رقم (18) رسم يوضح تصور المصريين الأقدم للكون.



شكل رقم (19) رسم توضيحي لمقطع في الكرة الأرضية عند خط الاستواء تقريبا، وقد تم المبالغة في بعض التفاصيل لإبرازها، ويبدو الشكل مقارب لحد بعيد لتصور المصريين القدماء للأرض بعد إعادة بناءه، فهناك جبل في أقصى الشرق وآخر في أقصى الغرب، وبينهما بحر (المحيط الهادي)، ويمكن عبور هذا البحر من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، مثلما تفعل الشمس في كل ليلة (من ليالي منطقتنا)، وهذا البحر يقع أسفل منطقتنا، ومياهه مقلوبة، وأسفل منه تقع سماء مقلوبة أيضا.

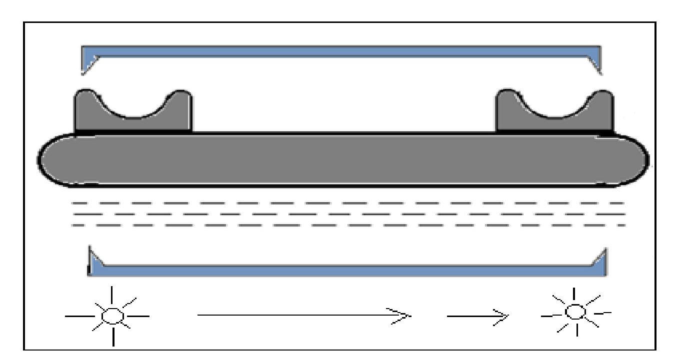
أما عن طريقة انتقال الشمس، أو إله الشمس الباطل رع من المغرب إلى المشرق، فلقد كان هناك عدة تصورات **أمكنني أن أعيد بناءها** من النصوص والرسوم الكثيرة، التي وردت في نصوص الأهرام، ونصوص التوابيت، وكتب العالم السفلي وكتاب الموتى، وغيرها من المصادر.

الفكرة الأولى هي: أن الشمس عندما تغرب في الجبل الغربي فإنها تمر في أنفاق أو كهوف متصلة حتى تصل إلى المشرق، فتشرق بأن تخرج من الجبل الشرقي، وهي الفكرة التي نراها في كتب العالم السفلي، والتي دبَّجها كهنة طيبة خاصة كتاب **"الكهوف"**.



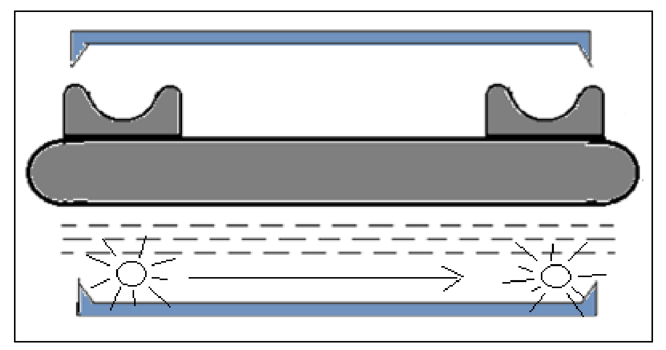
شكل رقم (20) الشمس تمر في نفق يصل بين جبل مغرب الشمس وجبل مطلع الشمس.

أما الفكرة الثانية: هي أن الشمس تبحر في سماء عالمنا بقارب النهار، فإذا وصلت إلى مغرب الشمس فإنها تنتقل من قارب النهار إلى قارب الليل، وتبحر في سماء الليل من مغرب الشمس حتى مشرق الشمس.



الشكل رقم (21) الشمس تمر في سماء العالم السفلي من الغرب إلى الشرق.

أما الفكرة الثالثة: فهي أن الشمس أثناء الليل تبحر في بحر العالم السفلي الذي يفصل بين المغرب والمشرق.



الشكل رقم (22) الشمس تبحر في بحر العالم السفلي

من مغرب الشمس إلى مطلع الشمس.

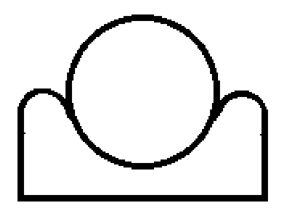
ولقد اعتقد الكهنة المصريون القدماء أن المتوفى يسافر إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق الشمس، مصاحبا للشمس أو لإلهها الباطل (رع)، فهو إما أن يبحر في البحر الفاصل بين مغرب الشمس ومشرق الشمس، أو ينتقل في تلك الأنفاق التي تصل بين المغرب والمشرق، أو أنه ينتقل في سماء العالم السفلي من المغرب إلى المشرق.

المبحث الثالث: جَبَلَا مغرب الشمس ومشرقها

اعتقد المصريون القدماء أن الشمس تشرق كل صباح بأن تخرج من جبل في أقصى شرق العالم، وتغرب بأن تدخل في جبل بأقصى غرب العالم، وفي بعض النصوص أُطلق على جبل مغرب الشمس اسم (مانو)، وعلى جبل مشرق الشمس اسم (باخو).

جبلا (الأَخِت):

غير أن هناك رمز هام قد حيَّر علماء المصريات، وهو رمز (الأَخِت) Akhet.



الشكل رقم (23) رمز (الأَخِت).

فالنصوص تشير إلى أن الشمس -أو إلهها الباطل (رع)- تشرق من (الأَخِت) وتغرب في (الأَخِت)، مما جعل فريقا من علماء المصريات يترجمون كلمة (الأَخِت) بالأفق، وإن كانوا غير راضيين تماما عن هذه الترجمة[23].

ولكننا إذا ضممنا شكل الرمز إلى النصوص التي ورد فيها ذكر (الأَخِت)، لتوصلنا إلى أن المقصود (بالأَخِت) هو جبل مشرق الشمس، أو جبل مغرب الشمس، فالرمز عبارة عن رمز الجبل [24]، وقرص الشمس يشرق من قمته، أو يغرب في قمته، أي أن الرمز وضع أول ما وضع لهذه اللحظة الهامة، وهي لحظة غروب الشمس في جبل مغرب الشمس، أولحظة

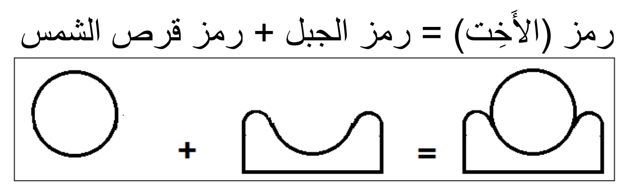
---

[23] - يرى بعض علماء المصريات أن كلمة (الأَخِت) في نصوص الأهرام قصد بها فقط موضع إشراق الشمس، وأن فكرة أن الشمس تغرب في (الأَخِت) جاءت في مرحلة تالية، غير أنني عند مراجعة الأمر في نصوص الأهرام وجدت أن هناك موضع يذكر فيه (الأَخِت) بمعنى المنطقة التي تغرب فيها الشمس بلا شك، وذلك في الفقرة 473.

[24] - رمز الجبل في الكتابة المصرية القديمة.

إشراق الشمس من جبل مشرق الشمس، غير أنه مع مرور الدهور صار الرمز يستخدم بمعنى جبل مغرب الشمس، أو جبل مشرق الشمس، وذلك حسب سياق الحديث.

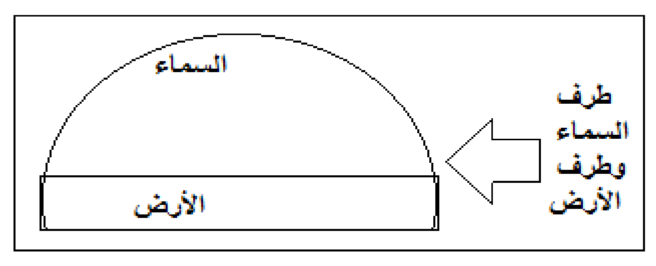
رمز (الأَخِت) = رمز الجبل + رمز قرص الشمس



يؤكد ذلك ما جاء في بعض النصوص[25] عن (الأخت) أنه "أخت مانو"، وهو ما يمكننا أن نسميه التفسير بالإضافة، فكلمة (الأَخِت) تصدق على جبل مشرق الشمس، وعلى جبل مغرب الشمس، فأراد الكاتب أن يحدد أي الجبلين يريد، فذكر (مانو) وهو اسم جبل غروب الشمس.

ولقد ذُكرت الكلمة في بعض المواضع في صورة المثنى للدلالة على الجبلين معًا مثلما حدث في أحد ألقاب (حورس)، وهو لقب: "حور أختي"، أي (حورس) صاحب جَبَلَي (الأَخِت).

ومما أربك دارسي علم المصريات في تحديد ماهية (الأَخِت) هو أن بعض النصــوص تضيــف (الأَخِت) إلى الســماء، فتقول



الشكل رقم (24) أطراف السماء هي نفسها أطراف الأرض في تصور القدماء.

[25] - نقش في أحد المقابر
http://www.reshafim.org.il/ad/egypt/texts/panehsi.htm

(أخت السماء)، أو أن آلهة (الأَخِت) الباطلة تسكن أقاصي السماء، مما جعل بعض الدارسين يقولون بأن (الأَخِت) هو شيء في السماء، غير أننا عند التدقيق نجد أن كل الشعوب القديمة - وليس المصريين القدماء فقط - اعتقدوا أن أقصى الغرب وأقصى الشرق هما منطقتا إلتقاء السماء مع الأرض، فهناك أقصى الأرض وكذلك أقصى السماء، ويكفينا هذا النص من العهد القديم: "يأتون من أرض بعيدة من نهاية السماوات"[26].

وربما مما زاد الأمر تعقيدا أن المصريين القدماء وضعوا مخصصا لغويا Determinative غريبا لكلمة (أخِت)، وهو رمز جزيرة، حتى أن هناك من العلماء من قال أن (الأَخِت) هو بعض تلك الجزر التي تظهر في المجرَّة التي في السماء، والذي أراه أن المصريين أرادوا أن يضعوا معنًى إضافيًا بهذا المخصص اللغوي، وهو أن مغرب الشمس ومشرق الشمس جزيرتان، وليستا أَرْضين متصلتين بأرضنا، وهو المعنى الذي سنعرض له أكثر في الصفحات القادمة.

الجبلان القرنان:

عثرتُ في العنوان الطويل لكتاب "هذا الذي في العالم السفلي" على نص يُطلق على جبل (الأَخِت) الغربي كلمة (قَرن)، يقول عنوان الكتاب: "الكتابات والرسومات للقصر الخفي الذي يتعلق بالأرواح والآلهة والظلال والأنفس التي تكوِّن البدايات **لقرن أَمِنْت، لأخت أَمِنْت** [الذي هو] الحد الفاصل بين الظلام الكثيف لأخت أَمِنْتت..."[27].

فـ (أَمِنْت) أو(أَمِنْتت) هي بلاد الغرب، أو مغرب الشمس، والكاهن هنا عرَّف قرن (أَمِنْت) بأنه (أخت أَمِنْت).

---

[26] - أشعياء 513.

[27]- http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat03.htm.

ويتأكد لدينا أن المقصود بقرن (أَمِنْت) هو (أخت أَمِنْت) أو جبل مغرب الشمس، عندما نقرأ عنوان النسخة المختصرة من نفس الكتاب، والتي تقول: "بداية **قرن أَمِنْت** [الذي هو] النقطة البعيدة للظلام الأشد كثافة"[28].

كما عثرت في نفس الكتاب على نص يطلق جبل (الأَخِت) الشرقي نفس الاسم (قرن)، ففي المرحلة الأخيرة من الليل فإن إله الشمس الباطل (رع) "يولد في شكل خبرا[الجُعْل]، ويأخذ مكانه على وجه الصورة الخفية **لقرن السماء**، عند نهاية الظلام الكثيف..."، ورغم وجود بعض الاضطراب في الجُمل فإننا نفهم أن (الأَخِت) الشرقي، الذي يقع عند حدود الظلام الكثيف يطلق عليه النص "قرن السماء".

وهكذا يتضح لنا أن قدماء المصريين قد أطلقوا على كل من جبلي مغرب الشمس، ومشرق الشمس كلمة **"قرن"، فلا أستبعد أن يكون ذو القرنين قد لُقب بذلك اللقب لأنه وصل إلى الجبل/القرن الغربي، ثم إلى الجبل/القرن الشرقي**، خصوصا أن الكهنة في نصوص الأهرام يتمنون لملكهم أن يسيطر على (الأَخِت) كما سأوضح في الباب الثالث.

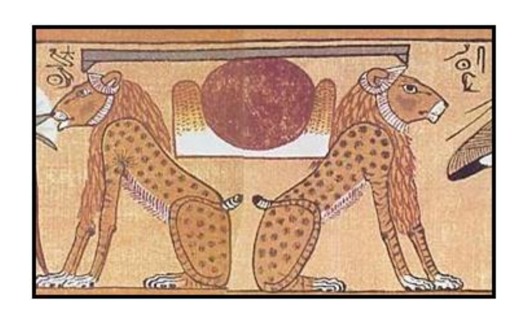
جبلا (الأَخِت) عمودا السماء:

ولقد جاءت الرسوم المصرية بشكل متواتر ترسم السماء وهي تعتمد على جبل (الأَخِت)، وربما كان هذا المفهوم هو السبب في نشأة رمز السماء الذي نرى فيه السماء معتمدة على عمودين، فالعمودان هما - في رأيي- جبلا (الأَخِت) الشرقي والغربي[29]، وأرى أن جبل (الأَخِت) الغربي هو الفكرة الأم التي اقتبس منها اليونانيون القدماء أسطورة الإله الباطل/الجبل أطلس الذي يحمل السماء، كما سأوضح فيما بعد.

---

[28] - http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate03.htm.

[29] - بدج آلهة المصريين



الشكل رقم (25) صورة السماء تعتمد على جبل (الأَخِت).

ويبدو أن كهنة المصريين القدماء قد زادوا القرنين/الجبلين إلى أربعة قرون/جبال في مرحلة قديمة، حتى أننا نقرأ في نصوص الأهرام حديثا عن الثور الخرافي ذي القرون الأربعة، والذي له قرن في كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة الأصلية، ويطلب منه الكاهن أن يميل قرنه الغربي حتى يمرّ الملك المتوفَّى، ويرتبط بهذا المفهوم رمز السماء الذي نرى فيه السماء تعتمد على أربعة أعمدة، فالأعمدة الأربعة هي في الأغلب الجبال الأربعة التي تصور المصري القديم أنها تحمل السماء، وفي مصر في الدولة الحديثة نجد الفرعون يقول أن ملكه وصل حتى "قرون الأرض" أي نهايتها[30].

وفي رسوم كثيرة نرى الكاهن الرسام يصور حدود العالم الغربية للعالم تحدها سلاسل الجبال العالية، ونجد ما يشير إلى سلاسل الجبال في المشرق أيضا، ومعنى ذلك أن الجبلين

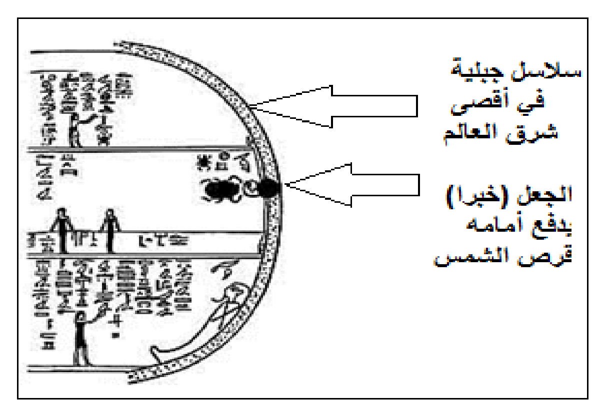
---

[30]- ولقد ظهرت فكرة الجبال الأربعة عند حضارة بلاد الشام القديم، وهناك إشارة للجبال الأربعة في أسطورة زيوس و(كرونوس).

الرئيسين ليسا منفردين، بل إن كل جبل هو جبل مميز في سلسة جبال ممتدة على طول حافة العالم الغربية وحافة العالم الشرقية، وأرى أن هذه هي الفكرة الأم التي ظهرت عند بعض الأمم الأخرى، مثل الهنود، والفرس، وعُرفت عند اليهود بجبل **"قاف"** الذي يحيط بالعالم ويحمل السماء.



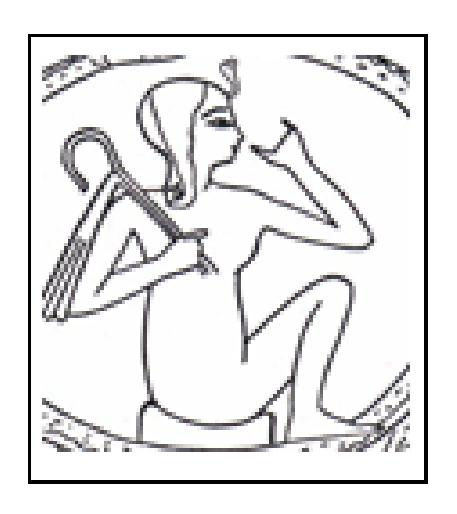
الشكل رقم (26) صورة لسلاسل الجبال التي تحد العالم من جهة الغرب، وتطل منها المعبودة الباطلة البقرة (حتحور).



الشكل رقم (27) المنظر الأخير في كتاب "هذا الذي في العالم السفلي": الشمس وصلت لنهاية العالم السفلي، وهي على وشك الإشراق على هيئة الجعل (الخنفساء)، ويبدو أنها ستعبر بعض السلاسل الجبلية لتشرق على الدنيا.

جبلا (الأَخِت) عرشا إله الشمس الباطل:

في أحد النصوص يذكر الكاهن: "عرش الأَخِتين"، فهل هناك علاقة بين عرش الشمس، وجبل (الأَخِت)؟ هناك عادة أن يرسم الإله الباطل (رع) جالسا على كرسي، أو عرش، وفي أحد الرسوم نرى أن هذا الكرسي تم استبداله برمز (الأَخِت)، فنرى (رع) في صورة الطفل - والمقصود الشمس عند الإشراق- وهو يجلس على (الأَخِت) وكأنه عرش، الأمر الذي يجعلنا نقول أن الكهنة المصريين القدماء تخيلوا أن كل من جبلي مشرق الشمس، ومغرب الشمس هو عرش (لرع) فإذا أشرق ولاح فوق جبله الشرقي فقد جلس على عرشه الشرقي، وإذا غرب ونزل فصار فوق الجبل الغربي فقد جلس على عرشه الغربي.



الشكل رقم (28) رع الطفل يجلس على (الأَخِت).

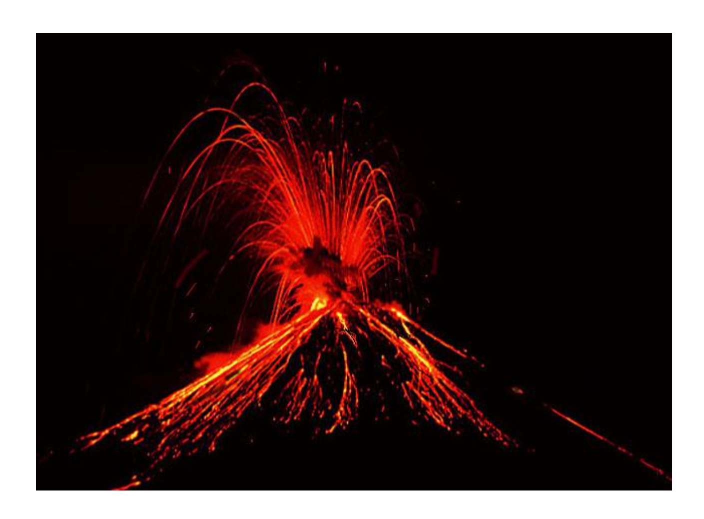
وهذه الفكرة تم استخدامها وتطويرها؛ ففي كتاب الموتى نجد أن الكهنة يخبرونا أن عرش (أُزَيْرِس) هو نفسه عرش (رع)، وتفسير ذلك أن (أُزَيْرِس) وصل إلى الجبلين (الأَخِتين)، فتخيل الكهنة أنه جلس على العرشين مثلما يفعل (رع) كل يوم.

وفي نصوص الأهرام نقرأ أن (رع) يُجلس الملك المتوفى على عرشه، وأحيانا يجلسه بجواره على العرش.

وهذا وقد أثَّرت خيالات المصريين هذه في الأمم التالية أيَّما تأثير، فنجد عند اليونانين فكرة العمالقة التي تتخذ من الجبال مقاعد لهم، وفي سفر (أخنوخ) نجد الجبل العظيم في مغرب الشمس، والذي يزعم كاتب السفر أنه يشبه عرش الله، وأن الله سوف يتخذه عرشا له عندما ينزل إلى الأرض، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا.

جبل (الأَخِت) جبل بركاني:

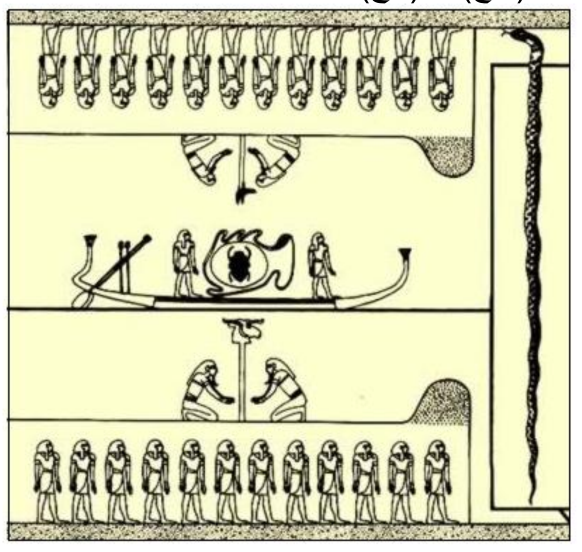
وقد جاءت نصوص يذكر فيها صفات وخصائص لجبل (الأَخِت)، كما رُسمت رسوم له، يفهم منها أن جبل (الأَخِت) هو جبل **بركاني** -على الأقل في أصل الفكرة- رغم أن المصريين القدماء في عصورهم التاريخية لم يعلموا -على ما يبدو- معنى هذه النصوص القديمة، وانما رددوها على أنها نصوص مقدسة دون أن يفهموها فهما تاما، فكلمة (الأَخِت) تعني المشع أو المضيء، وهي صفة يصح أن توصف بها الجبال البركانية التي تخرج الحمم البركانية التي تضيء في الليل وتظهر من مسافات بعيدة.



الشكل رقم (29) صورة لجبل بركاني نشط ليلا، والصهارة البركانية تخرج منه.

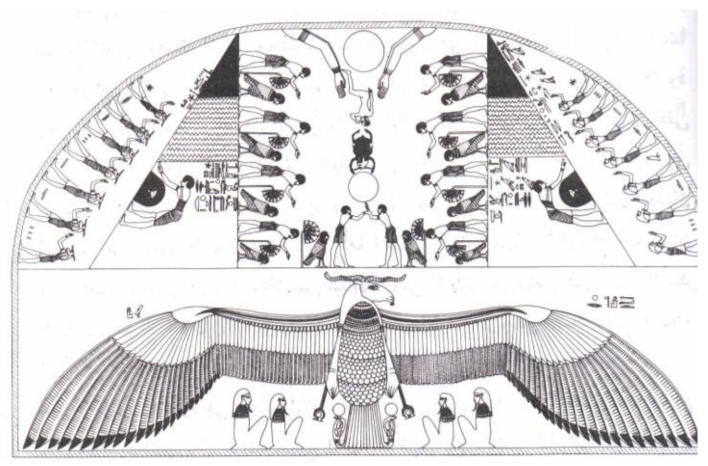
وفي كتاب "البوابات" في بداية رحلة (رع) في العالم السفلي، وعند لحظة دخول الشمس في الجبل الغربي، نجد أن الفنَّان يرسم

الجبل وقد شق طوليا من قمته هكذا كما يقول عالم المصريات (بدج)، و(رع) يدخل فيه.



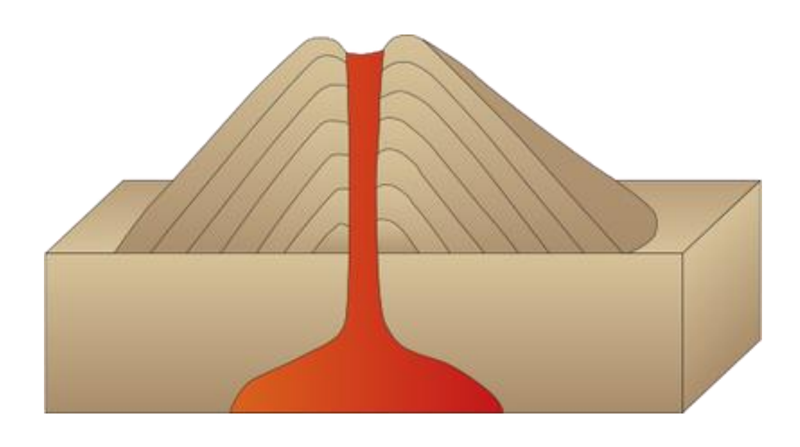
الشكل رقم (30) رع في صورة الجعل خبرا يدخل في (الأَخِت) الغربي على متن قاربه.

وفي كتاب "الكهوف" نجد أن المنظر الأخير يصور (رع/ الشمس) يشرق بأن يخرج من بين مثلثين، وأرى أنهما يمثلان شطري جبل المشرق، أو (الأَخِت) الشرقي، وقد شُق طوليا.

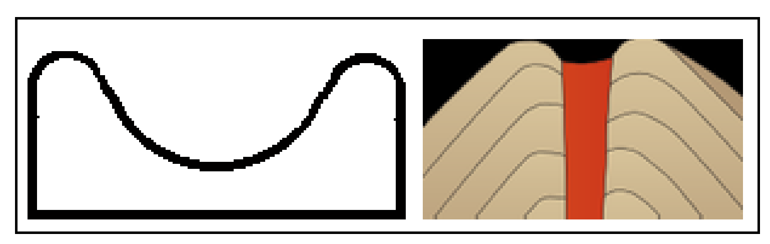


الشكل رقم (31) المنظر النهائي من كتاب الكهوف،
ويسجل لحظة إشراق الشمس.

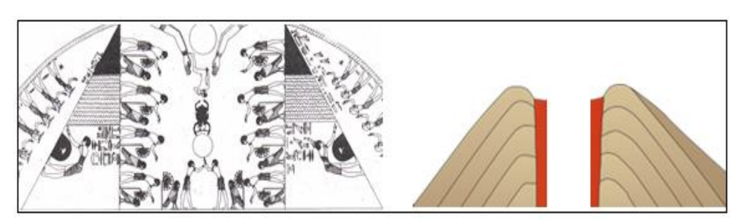
فإذا أضفنا إلى ذلك شكل الجبل في رمز (الأَخِت)، حيث يظهر الجبل وفي قمته حفرة كأنها فوهة بركان، فإنه ينشأ لدينا السؤال: هل قصد المصري القديم أن يرسم جبلًا بركانيا نشطا؟ فالجبل البركاني النشط هو جبل في قمته فوهة، وتحت هذه الفوهة يوجد شق طولي (في المقطع الطولي للجبل) تخرج منه الصهارة والأبخرة.



الشكل رقم (32) نموذج لقطاع طولي في جبل بركاني نشط.



الشكل رقم (33) مقارنة بين قطاع في جبل بركاني نشط، وتصور المصريين لجبل (الأَخِت)



الشكل رقم (34) مقارنة بين قطاع في جبل بركاني نشط، وتصور المصريين للحظة إشراق الشمس بالبزوغ من (الأَخِت) الشرقي.

وفي نصوص الأهرام نجد الكهنة يذكرون أن (الأَخِت) يحرق البخور، وأن نَفَسه حارٌ ملتهب، وأن نَفَسه سام أيضا[31]، وهذه تعبيرات أدبية إذا أضيفت إلى جبل ما، فإنه يُفهم منها أن الجبل جبل بركاني نشط؛ فالأبخرة والغازات المتصاعدة من البركان يُشَبِّهها الكاهن بالبخور، وبالأنفاس الحارة الملتهبة السامة.

وأظهر من هذا ذلك النص الصريح الذي نجده في كتاب الموتى: "تحية لك أيها اللّهب الذي يأتي صاعدا من (الأَخِت)"[32]، فاللهب لا يخرج من الجبال إلا إذا كانت هذه الجبال جبالا بركانية نشطة.

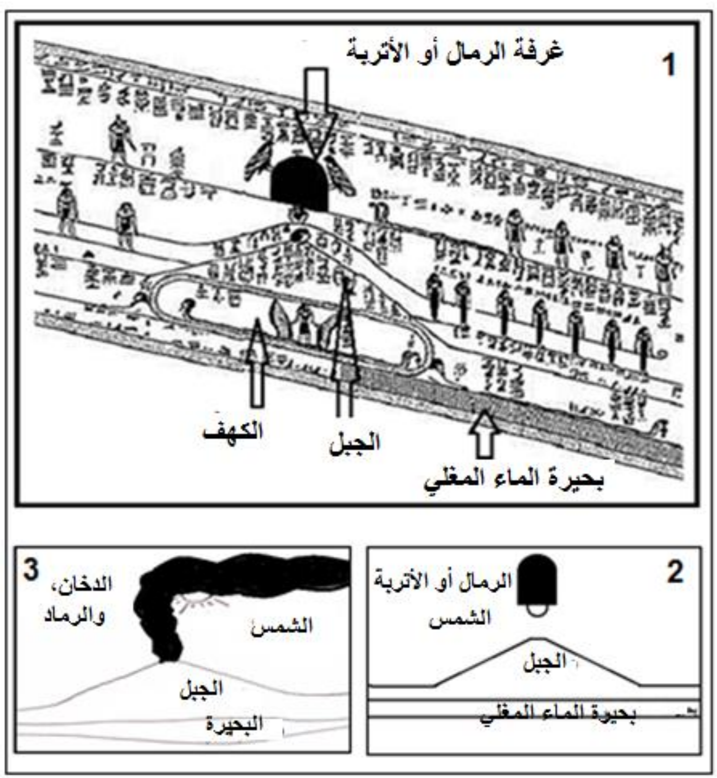
وفي الساعة الخامسة من كتاب هذا الذي في العالم السفلي نجد الكهنة يطلقوا على المنطقة اسم (أَمِنْت) أي مغرب الشمس، ويظهر في منتصف المنظر شكل مخروطي، والنص يعلق قائلا: "إن صوت هذا (الأَخِت) في هذه الساعة ... مثل الهدير الذي يكون في أعالي السماوات عندما تضطرب السماء بعاصفة"[33]، ومن الواضح أن هذا الشكل المخروطي هو جبل (الأَخِت) مغرب الشمس، وأن الجبل الذي يصدر صوتا مثل صوت الرعد هو الجبل البركاني الثائر.

---

[31] -المنطوقة رقم 255 -http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt10.htm.

[32] -http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

[33] http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat08.htm.



الشكل رقم (35) اللوحة رقم (1) منطقة الساعة الخامسة من كتاب "هذا الذي في العالم السفلي" كما تخيلها الفنان المصري، اللوحة رقم (2) تبسيط للرسم، اللوحة رقم (3) تصوري لأصل الفكرة.

وفي هذا الرسم نرى الشمس مصورة على هيئة (الجُعل) أو الخنفساء، وهو رمز (خبرا) إله الشمس الباطل، ونرى الجُعل/الشمس يَهِم بالهبوط في رأس الجبل المخروطي، وهذا يؤكد لنا صحة ما استنتجناه من رمز (الأَخِت)، ودخول (رع) في (الأَخِت) كما صورته كتب العالم السفلي.

وفي المنطقة التي تعلو قمة الجبل المخروطي نجد شيئا يقول عنه (بدج) أنه يشبه الغرفة، وأنه مملوء بالرمال، وأنه تظهر على أعلاه العلامة التي ترمز إلى الليل، أو ترمز إلى الظلام، ويستنتج (بدج) أن هذا الشيء يمثل شكل من أشكال ظلمة العالم السفلي.
وأرى أن الرمال التي لها علاقة بالظلمة فوق قمة جبل بركاني هي ما بقي في ذكريات المصريين عن عمود الدخان والأبخرة المحملة بالرماد البركاني الذي يتصاعد من الجبل البركاني النشط، والتي تسبب الظلام، وتتساقط على هيئة رماد بركاني.
ويؤكد هذه الفكرة ما جاء في كتاب الموتى: "حديث النار: أنا أحميك أنا أطرده [أي العدو] بعيدا عن وادي المقبره، أنا أنثر الرمال حولك"[34], فالنار التي تنثر الرمال هي نار البركان الثائر.
كل هذه الأدلة تتعاضد لتؤكد أن جبل (الأَخِت) في أصله جبل بركاني، ولكن مع مرور الدهور، وبسبب بُعد موقع مصر عن مناطق النشاط البركاني، نسى الكهنة هذه الحقيقة وظنوا أنه جبل غيبي بصفات غريبة، ولم يبق لهم إلا هذه النصوص التي يرددونها وهم لا يفقهون معناها.

جبل (الأَخِت) الغربي (مانو)، والأهرام المصرية:

ويبدو لي أنه نشأ تصور عند قدماء المصريين أن الشمس أو إلهها الباطل (رع) عندما يغيب في جبل مغرب الشمس يكون هذا موتا له، أو أن الجبل ابتلعه أو أكله، وكذلك الشأن مع النجوم/الآلهة التي تغرب أثناء الليل.
ويبدو أن الخيال جمح بهم أكثر فتخيلوا أن هذا الجبل يبتلع البشر وباقي المخلوقات أيضا وربما قصدوا أرواحهم، يقول نص الساعة الأولى من كتاب البوابات المصاحب لمنظر الشمس في صورة (خبرا) وهي تدخل في جبل (الأخت) وذلك عند غروبها: "إن رع يقول للجبل: أرسل نورك أيها الجبل دع الأشعة تخرج

---

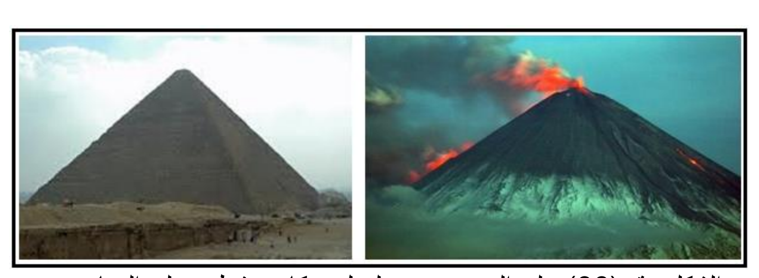
[34]- http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

من الذي التهمني، والذي ذبح الناس، والذي يمتلئ بذبح الآلهة"، ويقول النص أيضا: "...الجبل الخفي الذي يستهلك البشر والآلهة، وكل الماشية، وكل الزواحف".

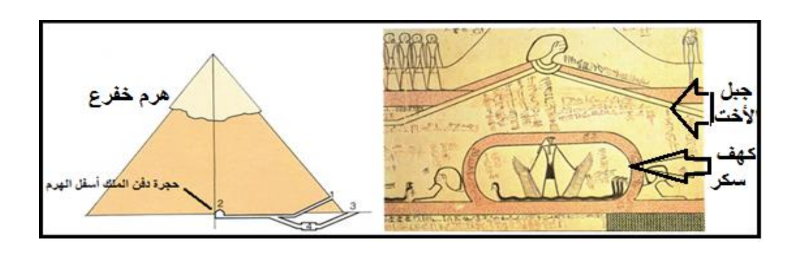
ويبدو أن الفكرة السابقة تطورت للقول بأن الإله الميت (سُكَر) مدفون في كهف تحت جبل مغرب الشمس، لذا نجد هذا التصور في الرسم السابق.

وعلى الأرجح فإن (سُكَر) هو صورة من صور (أُزَيْرِس)، ولقد جاء عن (أُزَيْرِس) في كتاب الموتى: "ليرقد قلبه [أي أُزَيْرِس] في جبل أَمِنْت راضيا لأن ابنه حورس قد تربع على عرشه".

ويبدو لي أن الأمر تطور إلى أن بنى المصريين القدماء "جبالا" صناعية ليضعوا أجساد ملوكهم في كهوف صناعية تحتها أو داخلها، وذلك اقتداء بـالإله الباطل "سُكر- أُزَيْرِس"، هذه الجبال الصناعية هي الأهرام التي بُنيت على مثال جبل (أخت) مغرب الشمس، أو جبل (مانو)، وليس أدل على ذلك من أن هرم خوفو أطلق عليه المصريون القدماء "أخت خوفو".



الشكل رقم (36) على اليمين صورة لجبل بركاني نشط، وعلى اليسار هرم خوفو، والمقارنة توضح من أي شكل استقى المصريون القدماء شكل هرمهم.

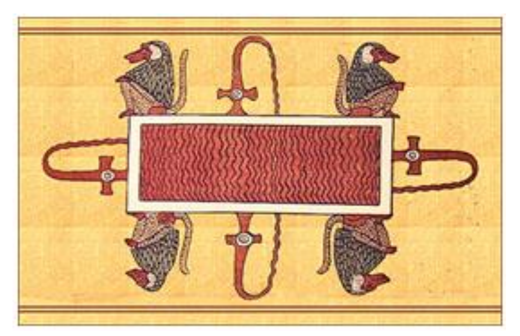


الشكل رقم (37) على اليمين مشهد من الساعة الخامسة لكتاب هذا الذي في العالم السفلي يصور جبل (الأَخِت) ويقع تحته كهف يحوي جثمان الإله الباطل سكر، وعلى اليسار هرم خفرع، وأسفله غرفة الدفن، حيث دفن الملك، والتشابه واضح.

المبحث الرابع: البحيرات النارية عند المصريين القدماء، والعين الحمئة الحامية

في النصوص الجنائزية المصرية والرسوم المصاحبة لها يوجد ذكر ورسم لبحيرات نارية، وهي ترسم على هيئة مربع كما ترسم البحيرات العادية، غير أن الأمواج التي اعتاد الرسامون أن يرسموها باللون الأزرق ترسم في هذه البحيرات باللون الأحمر، أو تُجعل خلفية الخطوط المتكسرة حمراء.

ونحن نجد أن الكهنة يضعون هذه البحيرات النارية في (أَمِنْت) مغرب الشمس، أو في الدوات في العالم السفلي، وذلك في كتب العالم السفلي، وفي كتاب الموتى.



الشكل رقم (38) صورة لبحيرة نارية من إحدى البرديات.

البحيرات النارية، بحيرات ماء يغلي:

أما عن طبيعة البحيرة النارية فربما نظن أنها بحيرات من الصهارة البركانية أو (اللافا)، غير أن النصوص المصرية القديمة في أكثرمن موضع تؤكد أن هذه البحيرات النارية ليست إلا بحيرات ماءٍ يَغْلي؛ فبحيرة (النيتو) في القسم الخامس من كتاب "هذا الذي في العالم السفلي" يقول عنها الكاهن: "والماء الذي هنا مثل النار"، وبحيرة "الحميم"، أو "الماء المغلي" في القسم الثالث في كتاب "البوابات"، يقول عنها النص: "إن ماء هذه البحيرة يغلي من شدة الحرارة"، أما البحيرة المستديرة في القسم السابع من كتاب البوابات فيقال عنها: "وماء البحيرة من نار"[35].

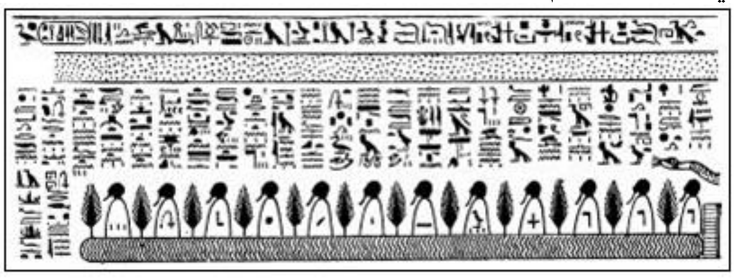
والأعجب من ذلك ماوصف به الكهنة "بحيرة الحميم"، والتي تقع في القسم الثالث من العالم السفلي في كتاب البوابات: "إن ماء هذه البحيرة يغلي من شدة الحرارة، والطيور تَعمد إلى الطيران عندما ترى الماء، وعندما تشم الرائحة **النتنة** التي فيه"[36]، فهاهنا أمر غريب: الماء يغلي ومنتن في نفس الوقت، وهو وصف يقترب

---

[35] - http://www.sacred-texts.com/egy/ehh.htm

[36] - http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate18.htm by E. A. Wallis Budge The Egyptian Heaven and Hell.

كثيرا من العين الحمئة الحامية التي ذُكرت في قصة ذي القرنين في القرآن الكريم.



الشكل رقم (39) بحيرة الحميم ذات الرائحة النتنة.

ويبدو لي أن بحيرات (أَمِنْت) و(الدوات) هي في الأصل بحيرة واحدة، ولكن كل مدينة طوّرتها بشكل خاص، ولما تم جمع الديانة صار لدينا العديد من البحيرات النارية في (أَمِنْت) مغرب الشمس، وفي (الدوات).

بحيرة مشرق الشمس:

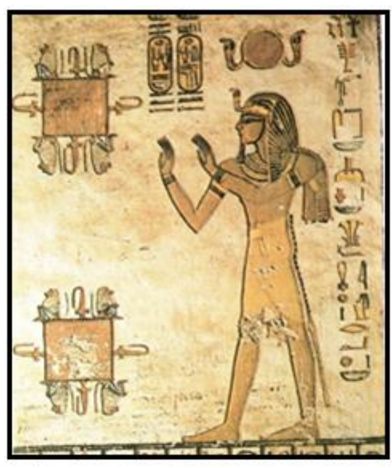
وبجوار بحيرات (أَمِنْت) النارية نجد أن كهنة هليوبليس يكررون في نصوص الأهرام الحديث عن بحيرة مشرق الشمس التي يتطهر بها (رع) قبيل إشراقه، ويتمنون للمتوفى أن يتطهر بها أسوة (برع).

وعلى الرغم من أن الكهنة لم يخبرونا في نصوص الأهرام أن بحيرة المشرق هذه بحيرة نارية، غير أننا يمكننا أن نفهم هذا من أسطورة يهودية تقول أن الشمس قبل أن تشرق كل صباح فإنها تستحم في تيار من اللهب لتكتسب قوة ضوءها وحرارتها[37].

وربما هذا ما أنشأ مفهوم البحيرتين الناريتين، فنحن نجد رسم جداري في مقبرة رمسيس السادس يصور الملك وهو يتعبد

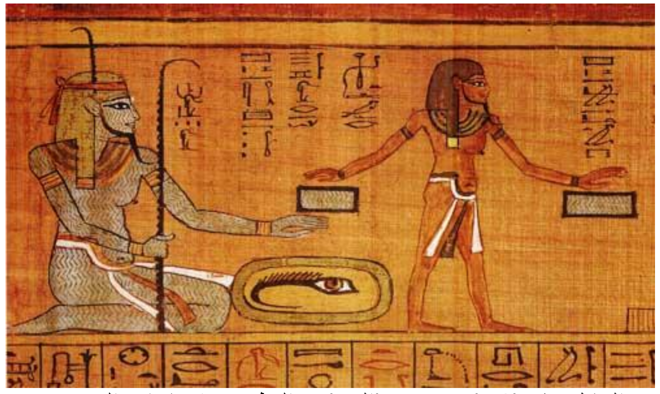
37 - كتاب أساطير اليهود.

لبحيرتين ناريتين. فلعل الكاهن يقصد بحيرة المغرب وبحيرة المشرق.



الشكل رقم (40) صورة من كتاب الموتى لتعبد الملك رمسيس السادس لبحيرتين ناريتين.

وكذلك هذا الرسم الذي في كتاب الموتى والذي يصور بحيرتين أيضا.



الشكل رقم (41) بحيرتي (النتر)، والنطرون في كتاب الموتى.

ويبدو لي أن هذا الرسم أيضا يقصد بحيرة المشرق وبحيرة المغرب.

علاقة البحيرة النارية بجبل (الأَخِت):

يخبرنا القرآن الكريم أن ذا القرنين رأى الشمس وكأنها تغرب في عين حمئة حامية، والنصوص المصرية -وكذلك العراقية- تخبرنا أن الشمس تغرب في جبل مغرب الشمس، فهل هناك علاقة بين البحيرة النارية وجبل مغرب الشمس؟

لقد توصلتُ إلى أن العين الحمئة الحامية هي عينٌ تشبه بحيرة الحميم بدولة (دومينيكا)، وهي لا تكون إلا في مناطق النشاط البركاني، كما توصلت إلى أن جبل (الأَخِت) عند المصريين القدماء هو جبل بركاني، **فهل تقع العين الحمئة الحامية في الجبل البركاني؟** وبالتالي يصح أن يقال أن الشمس تغرب في عين حمئة حامية كما جاء في القرآن الكريم، ويصح في نفس الوقت أن يقال أنها تغرب في الجبل كما جاء في التراث المصري؟

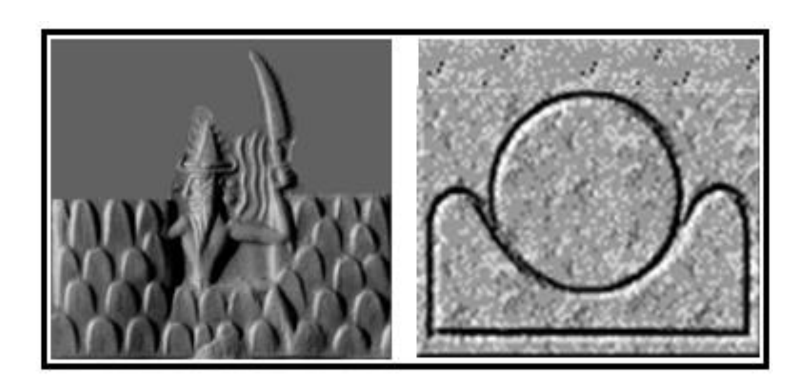
النصوص تقول أن (رع) يستحم في البحيرة ثم يشرق، وتقول أنه يشرق من جبل (الأَخِت) الشرقي، فهل يعني هذا أن البحيرة الشرقية تقع في جبل (الأَخِت)؟ ربما يقوي ذلك هذا النص من نصوص الأهرام: **"**أنت تطهر نفسك في (الأَخِت)، وتترك ما يجب أن تتطهر منه في بحيرات (شو)**"**[38] فهنا التطهير الذي يقع في بحيرة المشرق يقع في (الأَخِت)، والبحيرات تنسب للهواء (شو)، فكأن البحيرة تقع في قمة جبل (الأَخِت) الشرقي.

وفي ترجمته لكتاب (البوابات) يخبرنا (بدج) أن جبل المغرب ينشق طوليا وأن الشمس تهبط في قمة الجبل بين شقيه، وفي كتاب: "هذا الذي في العالم السفلي" في القسم الخامس نرى الشمس، أو إله الشمس الباطل في صورة الجعل (خبرا) يهبط في قمة جبل أخت مغرب الشمس البركاني.

---

[38] - الفقرة 222: السطر 208.

ونلاحظ أن رمز (الأَخِت) يشبه قمة جبل بركاني تهبط الشمس في فوهته، كما نلاحظ في خاتم (أدَّا) Adda[39] أن إله الشمس الباطل (شميش/أوتو) عند العراقيين يهبط في جبل مغرب الشمس، وبالتحديد في شيء يشبه الحوض في قمة هذا الجبل، ولعل الكاهن يقصد بحيرة فوهة القمة.

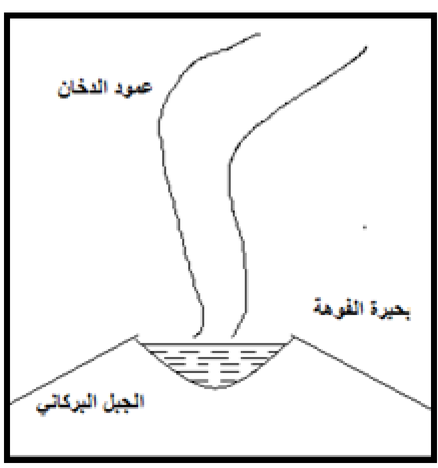


الشكل رقم (42) على اليمين قرص الشمس يهبط أو يشرق من بحيرة الفوهة لجبل (الأَخِت)، وعلى اليسار إله الشمس الباطل شميش/أوتو عند العراقيين القدماء يهبط أو يخرج من قمة جبل مغرب الشمس أو جبل مشرق الشمس، وبالتحديد من حوض أو بحيرة في قمة الجبل مما يجعل الفكرتان متشابهتان.

إن بعض الجبال البركانية النشطة تحتوي قمتها على بحيرة، وفي هذه الحالة تسمى بحيرة الفوهة، فهل هذا ما قصده المصريون القدماء؟

---

39 - خاتم اسطواني يرجع تاريخه إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وينتمي إلى الحضارة الأكادية في العراق.



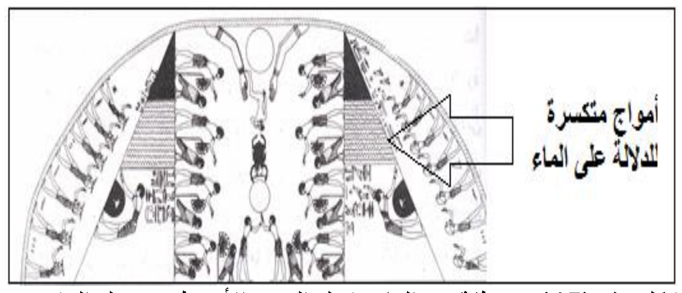
الشكل رقم (43) مقطع في جبل بركاني نشط بقمته بحيرة فوهة.

وفي وصف بحيرة الحميم، قال الكهنة أن البحيرة مملوءة بالأعشاب خضراء، وأرى أنهم كانوا يقصدون أن لون البحيرة أخضر، بدليل أنه في نصوص الأهرام نجد ذكر لبحيرات من (الملاخيت)، وهي خامة خضراء اللون عبارة عن كربونات النحاس، ولاتوجد في الطبيعة في حالة سائلة، والعجيب أن بحيرات الفوهة للجبال البركانية النشطة تكون مياهها خضراء اللون.



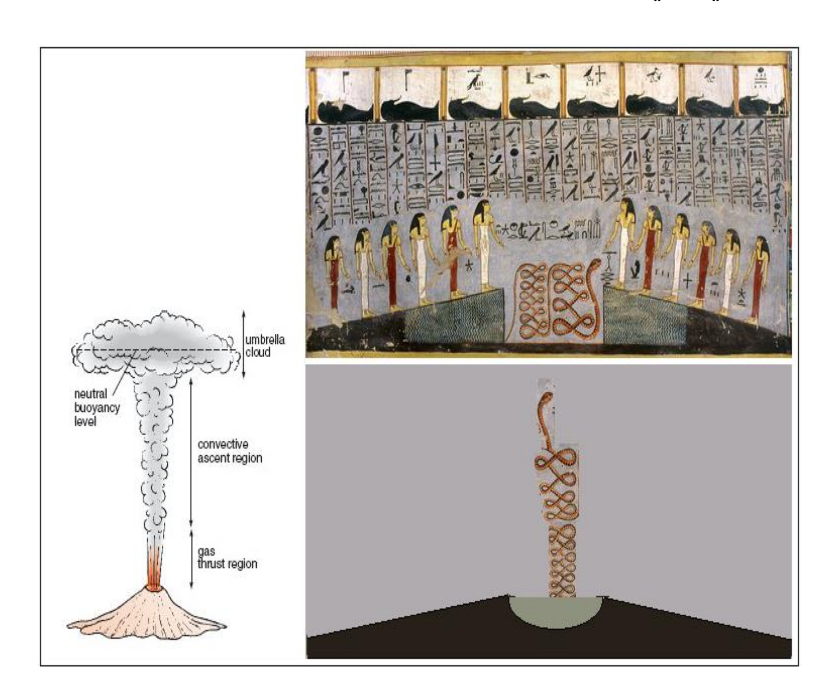
الشكل رقم (44) بحيرة بركانية نشطة في قمة جبل بركاني،
وهي خضراء اللون.

وفي بعض مناظر كتب العالم السفلي وجدت ما يدعم أن البحيرة كانت في قمة الجبل نفسه، ففي كتاب الكهوف في تصوير المنظر النهائي والشمس تستعد لتشرق من جبل المشرق المشطور طوليا نجد أن الكاهن رسم الجبل وفي منتصفه ماء.



الشكل رقم (45) منطقة من الماء تشغل الجزء الأوسط من جبل المشرق.

وفي كتاب البوابات نجد في رسم الساعة الرابعة ما يشبه الجبل البركاني وفي وسطه ماء[40].



الشكل رقم (46) أعلى اليمين :صورة الساعة الرابعة من كتاب البوابات تصور تل ووسطه ماء. أسفل يمين: تبسيط وتفسير لصورة السابقة حيث أن الثعبان هو عمود الدخان، والماء هو ماء بحيرة الفوهة، والخطين المائلين هما جانبي الجبل البركاني، يسار: نموذج لجبل بركاني نشط ذو انفجار من النوع البليني، ونشاهد وجه الشبه الظاهر.

إذا يمكننا القول أن المصريين القدماء اعتقدوا في أول أمرهم أن الشمس تغرب في قمة جبل بركاني نشط وبالتحديد في بحيرة

---

40 - الثعبان المتلوي يرمز به لأبخرة البركان الثائر.

قمته، وتشرق من بحيرة القمة لجبل بركاني نشط يقع أقصى شرق العالم.

لكن أين ذكر في التراث المصري الديني أن الشمس أو (رع) تهبط في بحيرة حمئة حامية؟

الحقيقة أن هذه الفكرة ضاعت من المصريين القدماء وإن بقيت آثار تدل عليها، وهذه الآثار نجد بعضها عند المصريين وبعضها عند الأمم التي أخذت عنهم.

فعند المصريين القدماء يبدو أن المصريين اعتقدوا أن الشمس تهبط في البحيرة التي تقع في مغرب الشمس في كل مساء على الحقيقة، ثم قاسوا فقالوا مادمت الشمس تهبط في بحيرة عند غروبها، فإن النجوم تهبط أيضا في نفس البحيرة عندما تغرب في المغرب، لذا نجد أن كتب العالم السفلي عندما تصور هذه البحيرات المستمدة من بحيرة المغرب فإنهم يرسمون آلهة باطلة في ماء البحيرة، وما هذه الآلهة الباطلة إلا النجوم والبروج التي تخيلوا أنها تهبط في نفس البحيرة التي تهبط فيها الشمس.

ومما بقي أيضا من آثار فكرة غروب الشمس في العين نداء لمجموعة من هذه الآلهة الباطلة/النجوم المغمورة في ماء البحيرة لإله الشمس الباطل رع بأن ينزل إلى البحيرة: **"اغمر نفسك يا رع في بحيرتك المقدسة"**[41].

أما أقرب نص لفكرة هبوط الشمس في العين الحمئة الحامية فنجده خارج التراث المصري، وبالتحديد في كتاب سفر (أخنوخ) الإثيوبي، عندما يقول الكاتب على لسان (أخنوخ) عندما كان في أقصى غرب العالم: "ثم رفعوني إلى جدول يبقبق، وإلى نار في الغرب تتلقى كل غياب للشمس"[42]، وهذه العبارة جاءت وسط نص يحتوي على وصف لمنطقة مغرب الشمس مقتبس تماما من

---

[41]- كتاب البوابات، الساعة الرابعة،

http://ancientegyptonline.co.uk/bookgates4.html

[42] - الإصحاح السابع عشر :4 ص62 كتاب المحذوف من التوراة كاملا.

المصريين القدماء، كما سأوضِّح فيما بعد، مما يدل على أن كاتب سفر (أخنوخ) الإثيوبي ينقل إلينا فكرة مصرية قديمة عن غروب الشمس، رغم أن هذه الفكرة لم تصلنا في المصادر المصرية.

ومن آثار الفكرة القديمة أيضا أن المصريين القدماء اعتقدوا أن جبل (الأَخِت) الغربي هو مدخل العالم الآخر أو العالم السفلي، حتى أنهم صوروا ذلك في بعض المواضع، ونحن نجد عند اليونانيين والرومان القدماء بحيرة تقع في فوهة بركان خامد يسمونها (أفرانس) Averanus وهي كلمة تعني: "بلا طيور"، ويقول العلماء أنه ربما كانت هذه البحيرة تشهد نشاطا بركانيا ويتصاعد منها غاز كبريتيد الهيدروجين، فلا تقترب منها الطيور، ولهذا سميت بهذا الاسم، هذه البحيرة اعتقد اليونانيون والرومان القدماء أنها مدخل إلى العالم السفلي، حيث تدلف أرواح الموتى إلى العالم الآخر.



الشكل رقم (47) المتوفى المصري يدخل إلى العالم الآخر وراء معبوده (رع) عبر البوابة التي تقع في قمة جبل (الأَخِت).

ولا شك أن اليونانيين والرومان قد استلهموا الفكرة من المصريين القدماء، والذي نستفيده هو أن هذا الاعتقاد اليوناني الروماني يدل على أن المصريين القدماء اعتقدوا أن (الأَخِت) جبل بركاني نشط، وأن البحيرة المنتنة تقع في قمته.

غير أن هناك مشكلة، وهي أن بحيرات القمة للبراكين النشطة تكون منتنة، ولكنها خضراء، وليست سوداء كدرة، ويكون ماؤها دافئا فقط، وليس في حالة غليان، والقرآن يتحدث عن بحيرة سوداء موحلة منتنة ماؤها يغلي، والنص المصري يتحدث عن بحيرة ماؤها يغلي ومنتن، ولكنها خضراء.

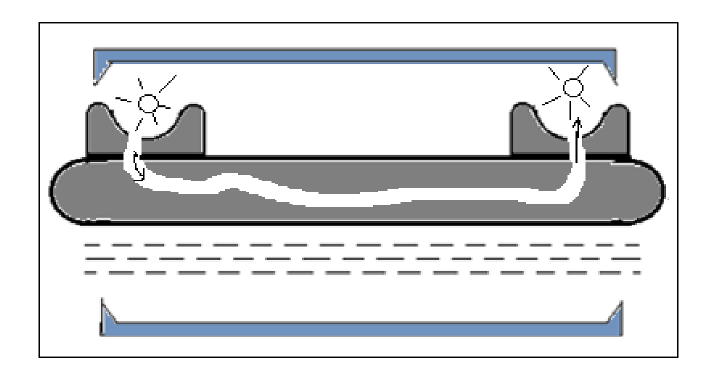
وأرى أن جعل لون البحيرة أخضر لم يكن إلا تحريفا من قبل المصريين القدماء، وربما حدث ذلك تأثرا بالواقع، وهو أن بحيرات البراكين النشطة تكون خضراء اللون.

ويؤكد وجود فكرة العين الحمئة عند المصريين بعض الكتابات اليونانية المتأثرة بالنصوص المصرية القديمة مثل أسطورة (فيثون) التي كتبها (أبولونيوس) الرودسي Apollonius Rhodius الذي عاش في الإسكندرية، وذكر في الأسطورة بحيرة ماؤها يغلي، منتن الرائحة، وهو موحل، والأسطورة مستقاة من التراث المصري القديم كما سنوضح فيما بعد، وكذلك بعض كتابات أفلاطون التي استقاها من المصريين القدماء، وفيها يتحدث عن بحيرة خرافية أسماها (بيريفلجثون) ماؤها يغلي بالوحل.

ويبدو لي أن القصة تطورت كما يلي؛ عندما ذهب ذو القرنين إلى بلاد مغرب الشمس، فإنه وصل إلى موضع هناك وشاهد الشمس وكأنها تغيب في رأس جبل بركاني نشط تشغل قمته بحيرة بركانية حامية تغلي حمئة سوداء منتنة، فلما عاد وأخبر قومه بما رأى ثم مرت مئات السنين على الحدث وقع تحريف للقصة؛ فتحول غروب الشمس الظاهري في العين الحمئة الحامية التي تقع في رأس الجبل إلى غروب حقيقي يحدث كل يوم.

ثم إن المصريين قاسوا الأمر مادام هناك جبلان، فلماذا لا تكون هناك عينان؟ وكما تغرب الشمس في عين فلماذا لا تكون تشرق من عين مثلها؟ فاخترعوا عين المشرق، وهي عين ليس لها وجود لأن جبل المشرق العظيم ليس جبلا بركانيا.

وترتب على ذلك فكرة الأنفاق أو الكهوف التي تسير فيها الشمس أثناء الليل من المغرب إلى المشرق فما دامت الشمس تغرب بأن تدخل في جبل وتشرق بأن تخرج من جبل آخر فلابد أنها كانت تسير في نفق أو أنفاق أو كهوف في باطن الأرض تصل بين الجبلين وذلك أثناء فترة الليل.



الشكل رقم (48) أحد تصورات المصريين القدماء: الشمس تدخل في جبل مغرب الشمس وتسير في أنفاق حتى تشرق بأن تخرج من جبل مشرق الشمس.

أما لون البحيرة الأخضر فيبدو لي أن المصريين تعلموا من ذي القرنين الإبحار والوصول إلى بلاد مغرب الشمس (الأنديز)، وهناك رأوا بحيرات الفوهة للبراكين النشطة خضراء اللون، فخلطوا بين البحيرة التي رآها ذو القرنين، وبين البحيرات التي رأوها بأنفسهم، وهي من النوع الأكثر شيوعا، فظهرت عندهم فكرة بحيرة الحميم ذات الماء الذي يغلي منتن الرائحة أخضر اللون.

وهذا التحريف مخالف للعلم الحديث فالبحيرات المنتنة الخضراء ماؤها لا يغلي، أما البحيرة التي ماؤها منتن يغلي فماؤها أسود كدر كما نص القرآن.

وهكذا فإن القرآن يفسر لنا عقيدة هامة عند المصريين القدماء ومن تبعهم من الشعوب، وهي **عقيدة دخول الشمس في رأس جبل في مغرب الشمس، وكذلك يفسر أسطورة البحيرة ذات الماء المغلي منتنة الرائحة فسبب هذه العقيدة أن أول من ذهب إلى هناك رأى الشمس وكأنها تغرب في عين حمئة حامية في رأس جبل بركاني نشط.**

ولو أن القرآن كان يستلهم من النصوص المصرية القديمة لوقع في أحد هذه الأخطاء الثلاث: لقال أن الشمس تغيب كل يوم في العين الحمئة، كما فعل كاتب سفر أخنوخ، أولذكر عين المشرق الخرافية بدلا من عين مغرب الشمس الحقيقية، فهي الأسطورة الأكثر شيوعا لآلاف السنين، فيقول مثلا أن ذا القرنين عندما بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع من عين حامية، أولقال أن العين الحامية هي عين خضراء منتنة، وليست حمئة.

أما الفائدة التي حصلنا عليها من قرآتنا للنصوص المصرية هي أننا فهمنا أمرا مما أجمله القرآن، وهو أن العين الحمئة الحامية التي رأى ذو القرنين الشمس وكأنها تغرب فيها هذه العين تشغل رأس جبل بركاني نشط مخروطي الشكل، وهذا الجبل نفسه هو القرن الغربي من قرني ذي القرنين.

ذو القرنين يصل إلى جبل مغرب الشمس، ويرى الشمس وكأنها تغرب في قمته حيث البحيرة الحمئة الحامية، ثم بعد ذلك يصل إلى جبل مطلع الشمس، ثم يعود ويخبر الناس بما رأى وما فعل



حوّل المصريين القدماء الغروب الظاهري لغروب حقيقي يحدث كل يوم



عن طريق القياس قالوا كما أن الشمس تغرب في جبل مغرب الشمس كل يوم فإنها تشرق من جبل مشرق الشمس في كل يوم، وكما تغرب في عين حامية كل يوم فإنها تشرق من عين حامية أيضا كل يوم



اهتم كهنة هليوبلس ببحيرة المشرق المخترعة وقالوا أن رع يتطهر بها قبل إشراقه كل صباح ونسوا أن البحيرة تقع في قمة جبل مشرق الشمس

اهتم كهنة كثير من المدن بعين مغرب الشمس الحمئة الحامية، وتنوعت تطويراتهم لها حتى صارت -بعد جمع التراث الديني للمدن- عدة بحيرات، ونسوا -معظمهم- أن الشمس تغرب فيها وأنها تقع في قمة جبل مغرب الشمس

الشكل رقم (49) يوضح تطور فكرة العين الحمئة الحامية، وعلاقتها بجبل مغرب الشمس.

المبحث الخامس: (أَمِنْت)
بلاد مغرب الشمس عند القدماء المصريين

إعادة بناء تصور المصريين عن (أَمِنْت):

اعتقد المصريون القدماء أن آخر الأرض من جهة الغرب هي (أَمِنْت)، وهي كلمة تعني الغرب أو المغرب، بل إنهم اعتقدوا أنها الأرض التي تغيب فيها الشمس، أوإله الشمس الباطل رع، أي أنها كانت بالنسبة إليهم أرض مغرب الشمس، يقول الكاهن مخاطبا رع: "أنت تذهب لترتاح، أنت تذهب لترتاح في (أَمِنْت)، وأنت تأتي للوجود في صورة خبرا في المشرق"[43].

يؤكد ذلك أن جبل مغرب الشمس الذي اعتقد المصريون القدماء أن الشمس تغيب فيه عند غروبها في كل يوم يقع في (أَمِنْت)، وهو الذي أطلق عليه الكهنة (أخِت أَمِنْت) أي جبل (الأَخِت) الذي يقع في (أَمِنْت).

ولقد جاء في نصوص الأهرام عبارات متكررة يُفهم منها أن المتوفى يعبر بحرا ليصل إلى الضفة الأخرى، وأن الضفة الأخرى هي مشرق الشمس، ويمكننا أن نستنتج أن الضفة الأولى التي انطلق منها المتوفى هي مغرب الشمس، يقول النص:

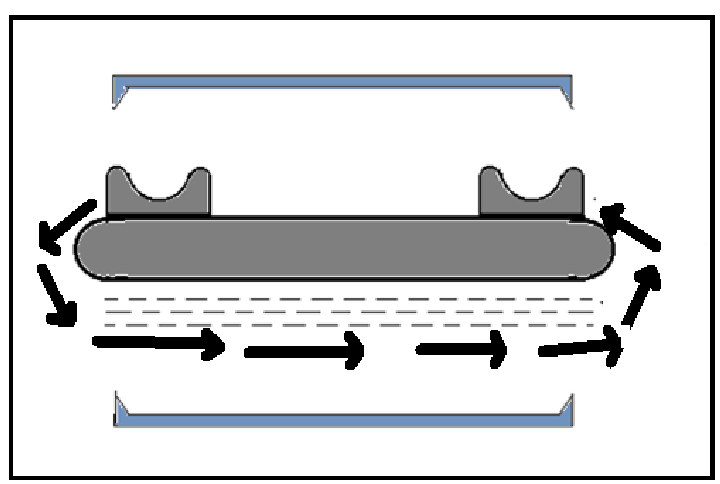
لذلك لعل (الملك) يعبر المجرى المائي الملتف.

بالتأكيد سيعبر (الملك) للجانب الشرقي من (الأَخِت) [(الأَخِت) الشرقي].

بالتأكيد سيعبر (الملك) للجانب الشرقي من السماء.

---

43 - كتاب "هذا الذي في العالم السفلي" الجزء الثاني من الدوات" .htm05http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat



الشكل رقم (50) تصور لرحلة المتوفى إلى (الأَخِت) الشرقي، والجهة الشرقية من السماء (الأسهم)، ويفهم أن المتوفى ينطلق من (الأَخِت) الغربي، ومغرب الشمس، ويقطع بحر العالم السفلي.

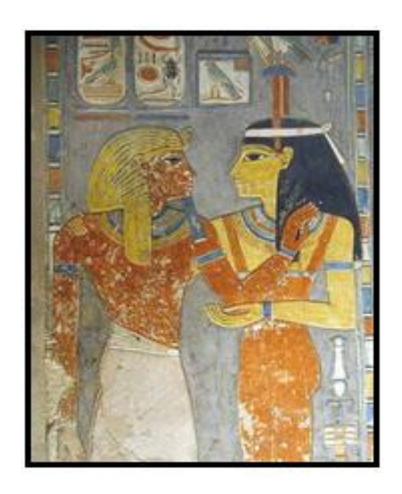
ويؤكد ذلك أن الإلهة الباطلة (أَمِنْت) –وهي تشخيص لبلاد مغرب الشمس- تطلب من المتوفَّى أن يُبحر إلى حقل القرابين الذي يقع في مشرق الشمس، ويفهم من ذلك أن (أَمِنْت) تقع على ساحل البحر الذي يفصلها عن بلاد مشرق الشمس، يقول النص:

- "لقد حميتك" تقول (أَمِنْت) الجميلة لـ(الملك)".
- "اذهب، أبحر إلى حقل القرابين"[44].

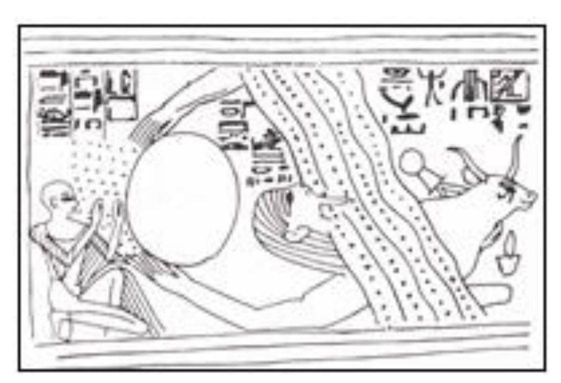
---

[44] - نصوص الأهرام، الفقرة 254. -http://www.sacred texts.com/egy/pyt/pyt10.htm

وقد جعل الكهنة المصريون المخصص اللغوي لكلمة (أخت) هو رمز جزيرة، واستنتجتُ من ذلك أن جبل (الأَخِت) سواء الغربي أو الشرقي يقع في جزيرة، لذا فإنه يمكننا أن نستنتج أن (أَمِنْت) التي يقع بها (الأَخِت) الغربي هي جزيرة وليست أرضا متصلة باليابسة.



الشكل رقم (51) الربة الباطلة (أَمِنْت) تستقبل الملك المتوفى في أقصى غرب العالم.



الشكل رقم (52) الشمس وقد عبرت الجبال التي تحد العالم من جهة الغرب، ودخلت إلى الدوات.

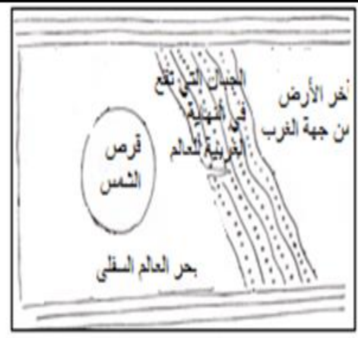
وفي شكل رقم 52 نجد الكهنة يرسمون لحظة عبور الشمس (لأَمِنْت)، ودخولها العالم السفلي أو العالم الآخر، فنجد على طول الحد الفاصل بين عالمنا والعالم الآخر سلاسل جبلية تمتد بطول

هذا الحد، والأغرب أننا نجد أن هناك نقطا حمراء تنتشر في هذه السلاسل الجبلية، وقد أَعْيَت هذه النقط الحمراء علماء المصريات فلم يجدوا لها تفسيرا.

ويمكنني الآن أن أستنتج ماهية هذه النقط الحمراء، إنها ليست إلا فوَّهات البراكين النشطة التي تنتشر في السلاسل الجبلية التي في بلاد مغرب الشمس.

وإذا حاولنا الآن تجميع الأطراف المتناثرة لـ(أَمِنْت) لنعيد بناء تصورها الأقدم لدى قدماء المصريين، لقلنا أن (أَمِنْت) هي جزيرة تقع في أقصى غرب العالم، وبها جبل بركاني عظيم تغرب فيه الشمس، وبلاد (أَمِنْت) تشرف على البحر الذي يفصل المغرب عن المشرق ويقع أسفل عالمنا، كما أن بـ(أَمِنْت) سلاسل جبلية تمتد موازية لساحلها الغربي المطل على البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، وتنتشر بينها البراكين النشطة.

إن هذه الصورة هي صورة منطبقة لحد بعيد على منطقة (الأنديز) الاستوائي، فهو في جزيرة كبيرة (قارة أمريكا الجنوبية)، وهذه المنطقة هي أقصى العالم من جهة الغرب حيث يمر بها خط الاستواء، وبالقرب من خط الاستواء يوجد جبل بركاني ضخم، وهو جبل (شمبرازو)، وهذه البلاد تطل على البحر الذي يفصل المغرب عن المشرق، ويقع أسفل منطقتنا، وهذا البحر هو هو المحيط الهادي، وبـ(الأنديز) سلاسل جبلية عظيمة موازية لساحل المحيط الهادي، تنتشر بها الجبال البركانية النشطة.





الشكل رقم (53) على اليمين نفس الرسم السابق بعد إزالة الإزادات الوثنية، وعلى اليسار خريطة حديثة لشمال قارة أمريكا الشمالية ، وقد رسمت خطوط لتدل على سلاسل الجبال الموازية للسا حل، كما تظهر بعض النقاط الدالة على الجبال العالية.

ويفاجؤنا هذا التشابه، فتصور المصريين القدماء لبلاد مغرب الشمس مطابق لمنطقة (الأنديز) الشمالي، وفي نفس الوقت لاينطبق على منطقة المغرب العربي، التي اعتقد الناس أنها آخر الأرض من جهة الغرب لآلاف السنين.

وفي الأساطير العراقية وبالتحديد في ملحمة جلجامش نجد تأكيدا لهذا الفهم عن منطقة مغرب الشمس، فمغرب الشمس أو أقصى العالم من جهة الغرب، تطل على البحر الذي يفصل مغرب الشمس عن مطلع الشمس، كما سوف نرى.

وفي الأساطير اليونانية نجد الكتاب اليونانيين يحدثوننا عن أرض تقع في أقصى غرب العالم، وصفات هذه الأرض يستقونها من أفكار المصريين حول (أَمِنْت)، مما يؤكد صحة ما فهمته عن (أَمِنْت)؛ فلقد حدثنا الكتاب اليونانيون عن جزيرة (هسبريا) التي تقع أقصى غرب العالم وراء المحيط الأطلنطي، وبها الإله الباطل/الجبل أطلس الذي يحمل السماء، وهي تطل على البحر الذي يفصل المغرب عن المشرق، وهذا مشابه لأفكار المصريين

كما أعدنا بنائها، ويؤكد لنا أن (هسبريا) اليونانية هي (أَمِنْت) المصرية، وأنهما ليسا إلا منطقة (الأنديز) الشمالي.

نقل (أَمِنْت) إلى العالم السفلي:

في بداية الدولة الحديثة عمد كهنة طيبة إلى جمع تراث المدن المصرية المختلفة في محاولة منهم لتوحيد الديانة المصرية، كما تم توحيد الحكم على يد ملوك طيبة بعد تحرير مصر من يد الهكسوس.

وفي هذا الصدد فقد دبَّجَ كهنة طيبة كُتبا تصف تلك المنطقة التي تقطعها الشمس منذ غروبها إلى وقت شروقها في كل ليلة، وهي المنطقة التي اصطُلح على تسميتها بالعالم السفلي، ذلك رغم أن علماء المصريات يخبروننا أن المصريين القدماء لم يكونوا يعتقدون أن هذه المنطقة تقع أسفلنا، ولكن كانوا يعتقدون أنها منطقة غيبية.

أما الهدف من وضع هذه الكتب فهو امداد المتوفَّى بخريطة لرحلته التي يسافر فيها بصحبة إله الشمس الباطل (رع) أثناء الليل، حتى يصل إلى المشرق، وتصف هذه الكتب الأقسام التي ينقسم إليها العالم السفلي، والبوابات التي تفصل بينها، وكذلك الحراس، والمهالك المختلفة، وكذلك الزبانية التي مهمتها تعذيب فريق من الموتى.

غير أن كهنة طيبة أطلقوا على منطقة العالم السفلي هذه اسم (أَمِنْت)، والذي يعني في الأصل مغرب الشمس، وجعلوه بهذا مرادفا لكلمة (دوات) والتي تعني العالم السفلي عند المصريين القدماء.

وأرى أن هذا النقل لم يكن في الاسم فقط بل الذي حدث أن كهنة طيبة قد جمعوا تراث المدن المصرية عن بلاد (أَمِنْت) مغرب الشمس، وحاولوا التوفيق بينه، **فجعلوه مراحل وأقساما في العالم السفلي،** في رحلة الشمس والمتوفى أثناء الليل.

ومما يدل على ذلك أن القسم الخامس (الساعة الخامسة من الليل) في كتاب "هذا الذي في العالم السفلي"، يطلق عليه كهنة طيبة (أَمِنْت)، وذلك رغم أنهم أطلقوا على كل العالم السفلي نفس الاسم: (أَمِنْت)، ولكننا نفهم السبب عندما نجد أن الكهنة يتكلمون عن جثة (سكر) أحد الآلهة الباطلة في هذا القسم، فهذا يجعلنا نستنتج **أن هذا القسم هو تصور كهنة (سكر) عن منطقة (أَمِنْت) مغرب الشمس،** اقتبسه كهنة طيبة، وبدلا من تمحيصه ومقارنته بباقي النصوص عن (أَمِنْت)، تم مراكمته مع تراث المدن الأخرى، وتم جعل تصور كهنة (سكر) عن منطقة (أَمِنْت) مغرب الشمس مجرد منطقة من مناطق العالم السفلي، والتي يمر عليها رع أثناء الليل.

جحيم (أَمِنْت):

ولقد نتج عن جمع تراث المدن المختلفة عن (أَمِنْت) مغرب الشمس -والذي توصلنا إلى أنها بلاد بها براكين نشطة- ووضعه في العالم السفلي إلى أن تحول العالم السفلي لجحيم حقيقي، أو جهنم المصريين القدماء، فنجد العالم السفلي مملوء بأنواع النيران المختلفة التي يُعذَّب بها بعض الناس، فهناك الحيات الضخمة التي تنفث النيران، وهناك البحيرات النارية، وهناك الأفران أو الأفخاخ النارية، وهناك المراجل الضخمة التي تشتعل تحتها النيران.

ولقد فهم علماء المصريات أن هذه المناظر الرهيبة تُصوِّر اعتقاد المصريين حول تعذيب العصاة والكافرين من الموتى في العالم الآخر، وأنا أوافقهم في ذلك غير أني أرى أن هذا كان اعتقاد المصريين في العصور الأحدث نسبيا، وليس أصل الاعتقاد عندهم، بدليل أن منطقة العالم السفلي في نصوص الأهرام هي منطقة يشغلها بحر شاسع يفصل بين المغرب والمشرق،

ونصوص الأهرام تسبق كتب العالم السفلي بـ 800 عام على الأقل.

وأرى أن هذه المهالك النارية هي تطوير لظواهر النشاط البركاني التي تنتشر في (أَمِنْت) مغرب الشمس، ولمَّا تم نقل (أَمِنْت) إلى العالم السفلي تمَّ نقل هذه المهالك النارية المختلفة، وتوزيعها على أقسام العالم السفلي، أما تعذيب بعض البشر بهذه المهالك النارية فأرى أنه في الأصل ذكريات لتعذيب ذي القرنين بعض سكان مغرب الشمس بسبب كفرهم كما سوف نوضح في الصفحات القادمة.

والعجيب أننا نجد تأكيدا لصحة فهمي هذا في المعتقدات والأساطير اليونانية، فلقد آمن اليونانيون القدماء بـ (هادس) Hades, أو مملكة (هادس)، وهي المنطقة التي يذهب إليه الموتى، وكلمة (هادس) تعني الخفي، و(الخفي) هي أحد معاني كلمة (أَمِنْت)، ولقد وضع (هسيود) وهو من أقدم الشعراء اليونانيون (هادس) في أقصى غرب العالم، أي في مغرب الشمس، تماما مثل (أَمِنْت)، وقيل أن فيها نهرا ناريا وبحيرة نارية، ثم حدث تطوير عند اليونانيين فقد تم نقل (هادس) إلى العالم السفلي، فصارت مملكة (هادس) تقع أسفلنا، وهذا يؤكد أن (أَمِنْت) ونيرانها كانت في الأصل في مغرب الشمس، ثم تم نقلها هي ومهالكها إلى العالم السفلي بفعل كهنة طيبة في الدولة الحديثة، وقد أخذ اليونانيون من المصريين القدماء هذين **التصورين** عن (أَمِنْت): القديم والحديث.

(أَمِنْت) هي جزيرة النار:

يتكرر في النصوص المصرية ذكر "جزيرة النار"، ويبدو أن موضع هذه الجزيرة وماهيتها قد فقده المصريون منذ عصور مبكرة، ولم يبق لديهم إلا الاسم وبعض النصوص القليلة.

وأرى أن جزيرة النار ليست إلا (أَمِنْت) مغرب الشمس، وأن كلمة جزيرة إشارة لأنها ليست متصلة بالأرض في أقصى غرب العالم، أما كلمة النار فهي إشارة للنشاط البركاني الكبير في منطقة (الأنديز).

ففي نصوص التوابيت نجد أن (آتوم) يأمر(تحوتي) بزيارة (أُزَيْرِس) في "جزيرة النار"[45]، ومن المعروف أن مقر (أُزَيْرِس) هو (أَمِنْت)، كما جعل الكهنة في كتاب الموتى هناك علاقة بين جزيرة النار من جهة وبين (خرت نتر) Khert - Neter من جهة أخرى، فقالوا أن جزيرة النار في (خرت نتر)، وجعلوا علاقة أيضا بين (خرت نتر) هذه وبين (أَمِنْت)، فـ (خرت نتر) كما في بعض النصوص في (أَمِنْت)، ومن ثَمَّ يمكننا استنتاج أن جزيرة النار في (أَمِنْت)، أو أن جزيرة النار هي نفسها (أَمِنْت).

(أَمِنْت) في عقيدة كهنة (سكر):

في كتاب " هذا الذي في العالم السفلي" وجدنا أن كهنة طيبة قد قسَّموا العالم السفلي إلى اثني عشر قسما على عدد ساعات الليل، وهذه الأقسام يمر بها إله الشمس الباطل (رع) أثناء الليل من المغرب إلى المشرق، ومن المفترض أن المتوفى البار ينتقل مع رع في أثناء هذه الرحلة.

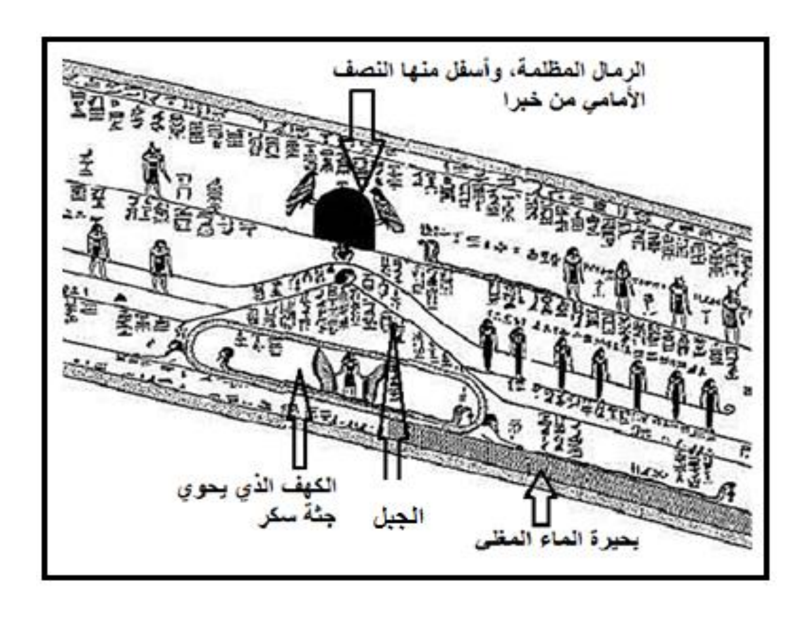
وقد أسمى كهنة طيبة الساعة الخامسة باسم (أَمِنْت)، ويبدو لي أنهم نقلوها بالكامل عن كهنة الإله الباطل (سكر)، بدليل أن أهم ما في هذه الساعة أوالقسم هو وجود جثة (سكر) بها.

وما يهمنا الآن هو أن تصوير (أَمِنْت) في هذا القسم يشبه حقيقة (أَمِنْت) - كما توصلت إليها- إلى حد بعيد.

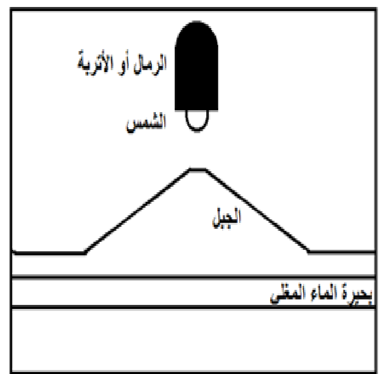
---

45 - النص رقم 313.

ففي الرسم نرى شكل مخروطي، والنص المرافق يتحدث عن جبل (الأَخِت) وصوته الذي يشبه الرعد، وكذلك نرى في الرسم الأتربة المظلمة في أعلى الجبل، ونرى الشمس في صورة (خبرا) تهبط في قمته، وهذا ما جعلني أقول أن هذا الجبل هو جبل مغرب الشمس، وهو جبل بركاني.



الشكل رقم (54) صورة الساعة الخامسة من كتاب هذا الذي في العالم السفلي.





الشكل رقم (55) على اليمين نفس الرسم السابق بعد تخليصه من الزيادات، وعلى اليسار أصل الفكرة للرسم السابق.

ولقد جاء وصف العالم السفلي كثيرا في النصوص المصرية، ومن أهم هذه الصفات المتواترة هو أن العالم السفلي مظلم، حتى عندما تمر الشمس به أثناء الليل، وربما يفسر ظلام الأنفاق والكهوف والسراديب جانبا من هذا الاعتقاد، لكنه لا يفسر ظلام العالم السفلي عندما تمر الشمس فيه أثناء الليل.

وما أراه يفسر ظلام العالم السفلي هو أن البركان النشط يسبب إظلام السماء حتى في أثناء النهار، وذلك بسبب الرماد البركاني الذي يتصاعد منه، ونحن نرى في الرسم أن الخنفساء (خبرا) - وهو رع في حالة الإشراق - وهو يهبط في قمة الجبل البركاني يختفي جزئيا وراء (الرمال) التي ينفثها جبل (الأَخِت).

فلما تم نقل (أَمِنْت) للعالم السفلي نقل معها ظلامها إلى العالم السفلي، وصارالعالم السفلي مظلما، وهو ما سوف يتحول في حكاية رومانسية "الإسكندر وعين الحياة" إلى أرض الظلمات.

وفي أسفل الشكل المخروطي نجد هناك مايشبه القناة المائية، ولكن النص المصاحب يسميها بحيرة (النيتو)، ويخبرنا أن ماء البحيرة مثل النار، كما نجد الفنان قد رسم الخطوط المتكسرة في البحيرة باللون الأسود ربما للدلالة على لون الماء، وهكذا نجد

عندنا بحيرة ماء يغلي، سوداء عند جبل مغرب الشمس في بلاد مغرب الشمس، وهو ما يصدِّق القرآن.

(أَمِنْت) الجميلة:

ورغم الصورة النارية التي صنعها المصريون القدماء لبلاد مغرب الشمس (أَمِنْت)، فإننا نجد نصوصا تصف (أَمِنْت) بأوصاف مغايرة؛ ففي كتاب الموتى يُطلق عليها: (أَمِنْت) الجميلة، وكذلك نجد حديثا عن حقول (أَمِنْت) في كتاب البوابات، وهناك حديث في نفس الكتاب أيضا عن حقول (الدوات) الخضراء، وفي نصوص الأهرام نجد حديثا عن أراض فسيحة صالحة للزراعة في (الدوات)، وأرى أن أراضي (الدوات) -أي العالم السفلي- مستقاة من حقول (أَمِنْت).

وبالفعل فإن منطقة (الأنديز) كما أنها بلاد البراكين الثائرة، فهي في نفس الوقت أرض الحقول الخصبة الخضراء.

هل عرف المصريون القدماء (بيرو) Peru؟

ولعل أغرب ما نجده في نصوص العالم السفلي بل ربما في نصوص المصريين القدماء هو ذكر كلمة (بيرو) PERU, وبالتحديد "حقول بيرو"، حيث تُذكر على أنها منطقة من مناطق العالم السفلي، أو منطقة من مناطق (أَمِنْت) بعد نقلها إلى العالم السفلي، ومن المعروف أن (بيرو) هو اسم دولة تقع في (الأنديز).



الشكل رقم (56) خريطة توضح دولة (بيرو) الحالية وقربها من نقطة مغرب الشمس.

ففي النسخة المختصرة لكتاب "هذا الذي في العالم السفلي"، وفي الساعة/القسم الثالث نقرأ:"هذا الإله [الباطل] العظيم يأخذ موضعه في حقول آلهة بيرو"[46]، وصحيح أن (بدج) يترجم كلمة (بيرو) على أنها تعني المقاتلين، إلا أننا يمكننا أن نستنتج أن (بدج) فهم هذا المعنى من المخصص اللغوي الذي أُلحِق بالكلمة، وهذا لايقدح في أن تكون (بيرو) التي أرادها المصري عند وضع الكلمة هي اسم منطقة في بلاد مغرب الشمس (أَمِنْت).

وربما يعضد ذلك أن أحد ألقاب (أُزَيْرِس) وهو: "خنتي بيرو"، أي رئيس (بيرو)، على غرار "خنتي أَمِنْتيو"، وهو اللقب الأكثر شيوعا لـ (أُزَيْرِس)، ويعني اللقب الأخير: "رئيس الغربيين"، صحيح أن (بيرو) هنا كتبت هنا بطريقة يُفهم منها أن المقصود بها البيوت، أو المعابد، لكني أرى أنه ربما سمع الكاهن الاسم المنطوق فكتبه كما فهم معناه.

---

[46] - http://www.hermetics.org/pdf/sacred/book_gates.pdf

ومن المتصل بالموضوع أننا نجد أن المصريين القدماء يطلقون على جبل مغرب الشمس اسم (مانو) Manu، ونحن نجد في دولة (بيرو) الحالية، منطقة يطلق عليها اسم (مانو) Manu.

المبحث السادس: ماذا فعل (أُزَيْرِس) في (أَمِنْت) مغرب الشمس

يقول المولى عز وجل: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا - قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا - وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا".

ونفهم من الآيات أن ذا القرنين عندما وصل إلى مغرب الشمس، فإنه قد عرض الإيمان على القوم الذين يسكنون بجوار العين الحمئة، فقبله فريق ولم يقبله الفريق الآخر، فخيَّره الله فيهم، فاختار أن يعذِّب الكافرين ويحسن إلى المؤمنين، غير أن القرآن لم يُصرِّح لنا كيف عذب ذو القرنين كافري مغرب الشمس، وكذلك لم يخبرنا ما هو اليُسر الذي قاله لمؤمنيهم.

أولا: العذاب، والمعذبون في مغرب الشمس

وفي أثناء بحثي في النصوص المصرية القديمة وجدتُ آثارا وذكريات عند المصريين القدماء عن هذا الحدث العظيم، وجدتُ هذه البقايا والآثار مبثوثة في النصوص الدينية، وخاصة النصوص الجنائزية المصرية، وهي أظهر ما تكون في كتابي العالم السفلي: كتاب "هذا الذي في العالم السفلي"، وكتاب "البوابات" اللذان وضعهما كهنة طيبة حوالي عام 1500 ق.م.، والتي استمدوا موادهما من تراث المدن المصرية المختلفة.

وفي هذه النصوص وجدت أن هناك تعذيب لبشر من سكان (أَمِنْت) مغرب الشمس الذين تسميهم النصوص (الأَمِنْتيو) أي سكان الغرب، أو سكان مغرب الشمس، ووجدت أن تعذيبهم يجري في (أَمِنْت) مغرب الشمس، وأن سبب التعذيب الكفر بالإله الأعلى[47]، وأن المُعذَبون يعذبون بطرق مختلفة، ولكنها كلها لها علاقة بالبركان الثائر وآثاره، كما وجدت أن الذي يعذبهم هو (أُزَيْرِس).

(أَمِنْت) مغرب الشمس هي موضع العذاب، و(الأَمِنْتيو) قوم مغرب الشمس هم المعذبون:

ذكرتُ أن كهنة طيبة نقلوا (أَمِنْت) من موضعها الأصلي، وهو مغرب الشمس إلى العالم السفلي، لذا فإن التعذيب الذي نراه منتشرا في العالم السفلي في كتب العالم السفلي –هو في الأصل- تعذيب يحدث في (أَمِنْت) مغرب الشمس.

ورغم ذلك بقيت بعض النصوص تدلنا صراحة أن التعذيب يحدث في (أَمِنْت) مغرب الشمس، يقول النص: **"**الأرواح في أَمِنْت والتي حُكم عليها بالإبادة**"**[48]، ويقول في موضع آخر: **"**إن عملهم [بعض زبانية العذاب] في أَمِنْت هو...، وتدميرهؤلاء الكائنات الملعونة في مكان تدميرهم الذي يشتعل بالنار**"**[49] .

كما أن هناك تحديد أكثر من هذا، فالتعذيب يصيب المقيمين حول جبل (الأَخِت) في (أَمِنْت)، ففي نصوص الأهرام جبل (الأَخِت) الذي يحرق البخور يخرج أنفاسه الحارة وسُمَّه على من حوله[50]، يقول النص:

---

[47] - وهو هنا رع إله الشمس الباطل.

[48]- القسم الخامس من كتاب البوابات.

[49] - القسم الثالث كتاب هذا الذيفي العالم السفلي

[50] - المنطوقة 255.

- إن (الأَخِت) يبخِّر أمام حورس- نِخن[51].
- وجبة للأرباب.
- (الأَخِت) يبخِّر أمام حورس- نِخن.
- إن حرارة نَفَسِهِ الناريّ ضدكم يا من تحيطون بالمقام المقدس [لإله الشمس رع][52].
- إن حرارتَه السَّامة ضدكم يا من ترتدون العظيمة[53].

وفي كتاب البوابات يُعاقب بعض المرتدين الذين جدَّفوا باسم رع، ويطلق عليهم النص: "مُرْتَدُّو صالة رع"، والتي أرى أنها هي نفسها مقام رع، والمقصود بهما هو جبل (الأَخِت) الغربي، ويقول الكهنة في نفس الكتاب أيضا: "إنه أنتم الذين ارتكبتم الذنوب، وكتبتم الظلم في الصالة العظيمة".

وأرى أن المقصود بالصالة العظيمة هو صالة رع، وأنهما ليسا إلا جبل مغرب الشمس، بدليل هذا النص الواضح: "هذا الإله يدخل الأرض خلال صالة أخت (أَمِنْت)"[54]، فالشمس تدخل الأرض عند غروبها خلال صالة جبل (الأَخِت) الخاص (بأَمِنْت) بلاد مغرب الشمس.

---

51 - نخن مدينة مصرية قديمة كانت عاصمة للصعيد لمئات السنين قبل توحيد القطرين.

52 -أرى أن المقام المقدس لرع ليس إلا جبل (الأَخِت) نَفْسُه.

53- هكذا حرفيا، والمقصود من العظيمة تاج مصر العليا، وأرى أن هناك خطأ في الفهم، فتاج مصر العليا أخذ شكله من شكل جبل بركاني والشمس تهبط في قمته، واسمه يعني البيضاء، ربما إشارة لأن قمة الجبل مغطاة بالثلوج، وأرى أن المعنى الذي قصده الكهنة بهذه العبارة في الأساس، هو القوم الذين يسكنون عند سفح جبل مغرب الشمس، فيبدو الجبل وكأنه فوقهم أو فوق رؤوسهم..

54 - الساعة الأولى من النسخة المختصرة من كتاب هذا الذي في العالم السفلي
.htm03http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate

وفي نصوص الأهرام نجد الملك -متشبها (بأُزَيْرِس) على ما يبدو- يعاقب المتمردين الذين يقنطون في منطقة (الأَخِت)، ويسيطر على المنطقة؛ يقول النص:

لقد غلب [الملك] الذين يجب أن يعاقبوا، لقد حطم الملك جباههم.

لن يقاوم ذراع [الملك] في (الأَخِت).

وأقرب من ذلك للنص القرآني ما نجده من أن التعذيب قد جرى عند عين الماء الذي ماؤها كالنار، فالبحيرة المستديرة نجد أن "لهبها يحرق ويدمر الأرواح التي تجرؤ على الاقتراب من أُزَيْرِس"[55]، وبحيرة الحيات نجد أن نار تلك الحيات "ضد من أفواههم آثمة ضد رع"، وهم الكافرون في (أَمِنْت) مغرب الشمس.

وهكذا فإن التعذيب قد جرى في **(أَمِنْت) مغرب الشمس، وبالتحديد عند جبل (الأَخِت) الغربي، عند بحيرة الماء المغلي،** والقول بأن التعذيب جرى عند عين الماء التي يغلي ماؤها يصدِّق النص القرآني، ويؤكد على إعجازه.

وقد رافق نقل (أَمِنْت) من مغرب الشمس إلى العالم السفلي نقل دلالتها من مكان موجود في أقصى غرب العالم، إلى مكان غيبي تذهب إليه أرواح الموتى، **فصارت (أَمِنْت) هي العالم الآخر، وصارت (الأَمِنْتيو) -والتي تعني حرفيا قوم مغرب الشمس- تعني الموتى أو أرواح الموتى.**

وهكذا فإن تعذيب الكافرين المتمردين من (الأَمِنْتيو) قوم مغرب الشمس في (أَمِنْت) مغرب الشمس، تحول في عقيدة المصريين القدماء إلى تعذيب الكافرين من الموتى في العالم الآخر، وبدلا من كون هذا العذاب قد حدث لبعض الناس ذات مرة، فلقد صار عذابا يحدث لبعض الموتى في كل ليلة.

- [55] القسم السابع من كتاب البوابات.

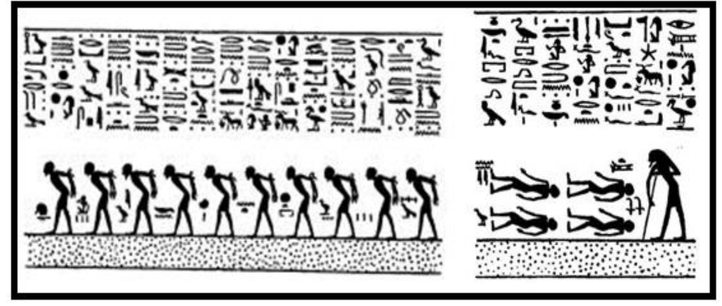
ولو أننا رَدَدْنا هذه التغييرات لأصولها، لظهر لنا ما يشهد بصدق قصة ذي القرنين في مغرب الشمس.

سبب التعذيب هو الكفر بالإله الأعظم، والتمرد على (أُزَيْرِس):

من الأمور التي عَجَبَ لها علماء المصريات أن كتب العالم السفلي عندما تَذكر عَرَضا سبب تعذيب المعذَّبين بالنار، وبالثعابين، وغيرها، فإن النصوص لاتذكر الذنوب والمعاصي المتوقعة، فلا نجد تلك الذنوب التي تحدث عنها الكهنة في كتاب الموتى، وزعموا أن المتوفَّى يبرئ نفسه منها أمام قضاة العالم الآخر مثل السرقة، والكذب، وتلويث مياه النهر، وغيرها.

بل نجد عوضا عن ذلك أن سبب التعذيب المذكور لنا هو "الكفر بالإله الأعظم"، "النطق بكلمة الكفر بحق رع"، "التمرد على (أُزَيْرِس)"، و"جعل دينه وراءهم ظهريا".

يقول النص عن المُعذَّبين، ويطلق عليهم الخامدون: "مرتدوا صالة رع، الذين جدَّفوا بحق [كفروا] رع على الأرض، الذين استمطروا اللعنات على الذي في البيضة [أي رع]، وألقوا الحق جانبا، وتكلموا بكلمات ضد (خوتي) [أي رع]"[56].



الشكل رقم (57) على اليمين أربعة جثث ملقاة للخامدين الذين كفروا برع في صالة رع، وعلى اليسار المرتدون المجدفون ضد رع.

---

[56] - كتاب البوابات، القسم الثاني من العالم السفلي.

إن أكثر ما يدهشنا في هذا النص هو أن يكون سبب تعذيب القوم هو أنهم كفروا بـ(رع)، إن هذا لا يشبه كلام الوثنيين، وأرى أن النص تم تحريفه، وأن أصله أن هؤلاء القوم قد كفروا بالله، ولما بدَّل المصريون دينهم، وعبدوا (رع) بدلا من الله، وأضافوا إليه صفات الله وهم خاطئين، فإنهم حرَّفوا النص، فادعوا أن كفَّار مغرب الشمس كفروا بـ(رع)، بدلا من كفرهم بالله.

وفي موضع آخر يقول الكهنة في النص: "إن ناركم [أي الحيات التي تنفث النار] ضد هؤلاء الذين أفواههم آثمة"[57] ويبدو أن هذا لأنهم نطقوا بكلمات الكفر.

ونلاحظ أن هناك نصا يسمِّي كفر المعذَّبين (ظلما)، يقول النص "إن ظلمكم، وأحكامكم الجائرة على أنفسكم"[58]، وهي نفس الكلمة التي استخدمها ذو القرنين لوصف كافري مغرب الشمس في القرآن الكريم: "فأما من ظلم فسوف نعذبه".

وتخبرنا نصوص كتابي العالم السفلي أن أعداء (رع) هم أنفسهم أعداء (أُزَيْرِس)، بل إن (أُزَيْرِس) يعذب قوم مغرب الشمس من أجل كفرهم بـ(رع)، يقول النص مخاطبا رع: **"إن أبواب الأرض السرية [ربما الترجمة الصحيحة أراضي أَمِنْت] مفتوحة [أمامك]، (أُزَيْرِس) يأتي إليك، (أُزَيْرِس) ينتقم لك، إن كلمتك عادلة ضد أعدائك"[59].**

وتتهم النصوص المعذبين أنهم عملوا أعمالا ضد (أُزَيْرِس)، وتتهمهم أنهم تمردوا عليه، يقول النص: "يقول هذا الإله: يا أيها

[57] الساعة الرابعة من كتاب البوابات -http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate19.htm.

[58] - نفس المصدر السابق.

[59] - القسم الثاني من الدوات كتاب هذا الذي في العالم السفلي.

الأرواح المعادية (لأُزَيْرِس)، التي تمردت على حاكم الدوات [أي أُزَيْرِس]"[60].

ومما يلفت الإنتباه أن النص يؤكد أن أعداء (أُزَيْرِس) هم أنفسهم أعداء (رع)[61].

ولكن ما حقيقة الأعمال المضادة (لأُزَيْرِس) وما هو طبيعة التمرد؟ يقول الكهنة على لسان (حورس) ذاكرا بالتحديد للمعذبين سبب التعذيب: **"بسبب ما فعلتموه لأبي (أُزَيْرِس)، إنكم جعلتم غوامضه وراء ظهوركم، وسحبتم التمثال [الخاص بالإله] من المكان السري"[62].**

وكلمة غوامض هنا تعني الاحتفالات الدينية التي كانت تقام كل عام لتعظيم (أُزَيْرِس)، وأرى أنها تعني هنا دين (أُزَيْرِس)، أما "سحبتم التمثال الخاص بالإله" فالمقصود به هو جر تمثال الإله أو الصنم، وربما يكون الجر هذا من مكان صناعته إلى موضع نصبه. أما قول النص من المكان السري فكلمة (من) from ربما تكون اختيار تخميني لعالم المصريات (بدج) الذي ترجم كتابي العالم السفلي، لأن نفس حرف الجر الذي يُستخدم بمعنى من يستخدم بمعنى (في)[63]، أما المكان السري فهو ترجمة لكلمة (أَمِنْت) أو أرض (أَمِنْت) مغرب الشمس، وهكذا يمكننا قراءة النص مرة أخرى هكذا: " بسبب ما فعلتموه لأبي (أُزَيْرِس)، إنكم جعلتم دينه وراء ظهوركم، وجررتم الصنم في (أَمِنْت)".

---

60 - القسم السابع من العالم السفلي كتاب هذا الذي في العالم السفلي.
http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat10.htm.

61 - الساعة الثامنة من الدوات كتاب البوابات. http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate24.htm.

62 - الساعة الثامنة من الدوات كتاب البوابات http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate24.htm.

63 - Hieroglyphic Vocabulary to the Book of the Dead

أي أن المعذبين قد عُذِّبوا لأنهم جعلوا دين (أُزَيْرِس) وراءهم ظهريا، وعبدوا الأصنام، وهذا يتفق مع ماروواه المؤرخان (بلوتارخ) و(ديودور)عن (أُزَيْرِس) من أنه كان يعلم الناس الدين، كما يتفق مع سبب تعذيب ذي القرنين لكفار مغرب الشمس.

من الذي يقوم بالتعذيب:

هناك نصوص وصور كثيرة في العالم السفلي تفيد أن الذي يعذب هناك هم الزبانية، أو بعض الآلهة الباطلة، أو حتى (حورس)، ولكني أرى أن هذه كلها من الإزادات التي أدخلها الكهنة على عقيدتهم.

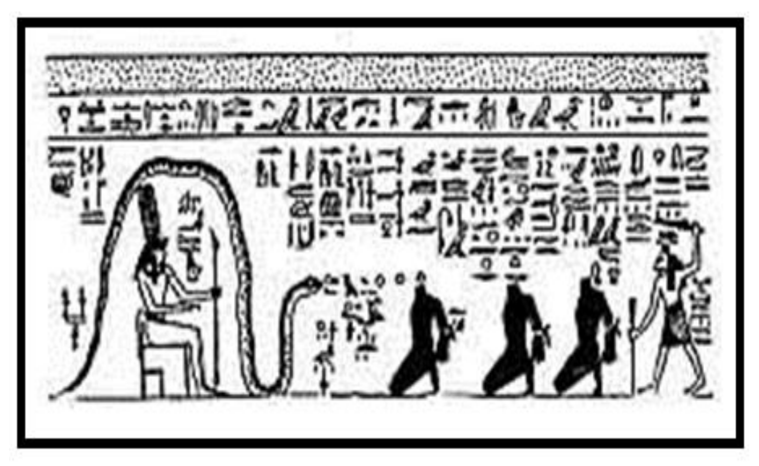
وأرى أن الذي عذَّب هو (أُزَيْرِس)، ولقد بقيت عبارات تدل على ذلك مثل "إن (أُزَيْرِس) ينتقم لك [أي رع]"، وفي كتاب الموتى: "...هي النار التي تصاحب (أُزَيْرِس) لتحرق أرواح أعدائه"[64].

"إن أعدائك [يا أُزَيْرِس] تحت قدميك، لقد حُزتَ السيطرة على الذين عملوا ضدك، إن لهيب [النيران] ضدهم، إنه يحرقهم بسكينه الملتهب التي فوقهم."[65].

---

64 - http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

65 - القسم السابع من العالم السفلي كتاب هذا الذي في العالم السفلي.
.htm10http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat



الشكل رقم (58) أزيرس أقصى اليسار يجلس على الكرسي ويشرف عل تعذيب أعدائه المقيدين.

وأظهر من ذلك ما يسوقه الكهنة على لسان (حورس): **"إن أبي [أُزَيْرِس] كان ذات مرة بلا مساعدة من أحد وضربكم، وقطع أجسادكم، ومزق أرواحكم، وبعثر ظلالكم، وقطع رؤوسكم"[66].**

ففي هذا النص يؤكد الكاهن أن (أُزَيْرِس) –وحده- هو الذي عذب قوم مغرب الشمس من الكافرين، وهذا يصدِّق ظاهر آيات ذي القرنين، وهو أن ذا القرنين وحده، وبدون جيش، قد عذَّب كافري مغرب الشمس.

بل إن النص يفيد أيضا أن التعذيب حدث مرة واحدة وانتهى، وليس حدثا يتكرر كل يوم كما يُفهم من بعض النصوص الأخرى، وهذا يؤكد صحة استنتاجي، وهو أن أصل القصة هو أن (أُزَيْرِس) عذَّب كفار مغرب الشمس ذات مرة، ثم تطورت القصة فصار التعذيب هو تعذيب للكافرين من الموتى يحدث كل ليلة.

---

66 - القسم الحادي عشر من الدوات كتاب هذا الذي في العالم السفلي
.htm14http://www.sacred-texts.com/egy/bat/bat

طرق تعذيب قوم مغرب الشمس:

ولكن كيف تم تعذيب قوم مغرب الشمس كما تنقل لنا المصادر المصرية؟ لقد ذكرت النصوص والرسوم طرقا عديدة للتعذيب، وإن كان يغلب عليها التعذيب بالنار، ففي كتاب الموتى: "...هي النار التي تصاحب (أُزَيْرِس) لتحرق أرواح أعدائه"[67]

وهي النار والسُّم الذي يخرج من جبل (أخت) مغرب الشمس كما تصرح بعض النصوص؛ ففي نصوص الأهرام نجد أن جبل (الأَخِت) يشعل البخور، ويخرج أنفاسه الحارة السامة على من حوله، وهو تعبير أدبي عن ثورة الجبل البركاني، واصطلاء السكان المجاورين للجبل بناره وسُّمه[68].

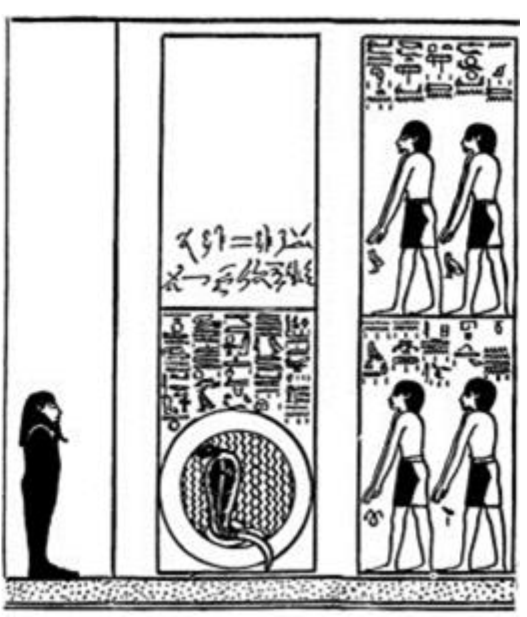
وفي نصوص الأهرام يهدد المتوفى - متشبها بـ(أُزَيْرِس)- سكان (الأَخِت) بإرسال العاصفة والنار عليهم.

ويشبه هذا ما جاء في حديث النار في كتاب الموتى من أنها تطرد أعداء المتوفى وتلقي بالرمال -أي الرماد البركاني- في المكان.

---

[67] http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

[68] - المنطوقة 255.



شكل رقم (59) في الوسط البحيرة المستديرة، والتي مياهها نار، وبها الحية، وعلى اليسار إله باطل في هيئة المومياء، على الأغلب أزيرس، وعلى اليسار أربعة آلهة باطلة على هيئة بشر، وهي أقرب الرسوم لقوله تعالى: "حتى إذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا".

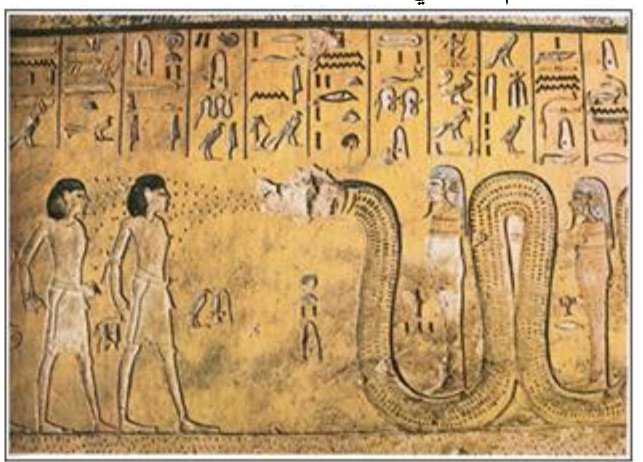
وأكثر ما يلفت انتباهنا هو التعذيب ببحيرة الماء المغلي، فالبحيرة المستديرة والتي مياهها نار، نجد أن لهبها يحرق ويدمر الأرواح التي تجرؤ على الاقتراب من (أُزَيْرِس)[69]، وبحيرة النيتو مياهها كالنار للذين هم فيها.

إن هذا يذكرنا بالنص القرآني، **كما يلفت انتباهنا إلى إشارة خفية في النص القرآني،** فالقوم يقيمون قرب العين الحمئة الحامية، فعندما يعذبهم ذو القرنين، فياترى بم يعذبهم؟ إنه يعذبهم بنفس العين، ولهذا ذكرها القرآن، أي أن ذا القرنين عندما أراد

[69] ـ القسم السابع من كتاب البوابات.

أن يعذب كافري قوم مغرب الشمس فإنه سأل الله أن يفجِّر البركان على القوم، فانفجر البركان فخرجت الأبخرة والرماد من موضع العين الحمئة الحامية في فوهة البركان، فهلك كثير من الناس بالنار، وبالاختناق.

حيَّات العالم السفلي نافثة النار:



الشكل رقم (60) منظر من الساعة التاسعة من كتاب البوابات في مقبرة (تاوسرت) حيث نرى حية تنفث نيرانها في خطاة مقيدين.

في كتب العالم السفلي لفت انتباه علماء المصريات كثرة الحيات وضخامتها، وكيف أنها تنفث النار في وجه أعداء (أُزَيْرِس) المعذبين، وتساءلوا عن أصل الفكرة، وماذا أراد المصريون بهذه الصور.

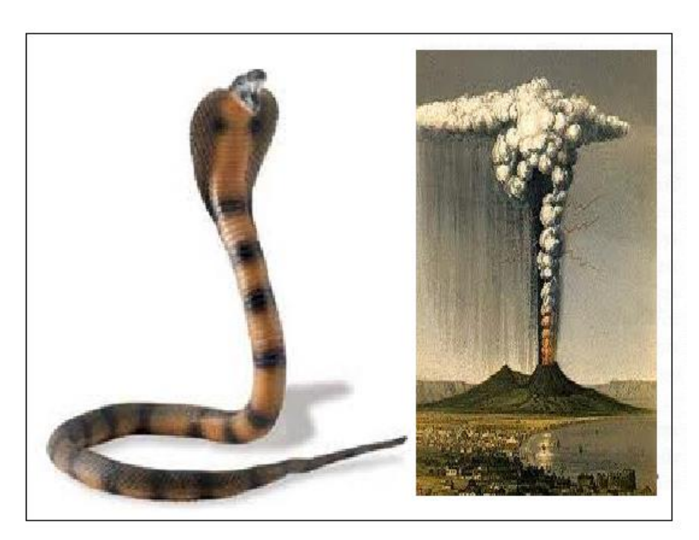
والحقيقة أن هناك نوع من الحيات تنفث السُّم، وهي حية الكوبرا النافثة، وهي تقذف بالسم في اتجاه أعين أعدائها على هيئة الرذاذ، وهذا السم وإن لم يؤثر في الجلد مادام غير مجروحا، إلا أنه إذا أصاب العين فإنه قد يسبب العمى.



الشكل رقم (61) حية نافثة في لحظة نفث السم.

وفي كتاب الموتى نجد حديثا عن حية ضخمة على قمة جبل (باخو)، وهو (الأَخِت) الشرقي الذي تشرق منه الشمس، وهذه الحية تهدد الشمس بالابتلاع، ويذكرنا هذا النص بكتب العالم السفلي التي حرِص فيها الكهنة على رسم الثعابين العملاقة بين مثلثين، أو قل في وسط شقي جبل بركاني.

إن الذي يفسر هذه النصوص والعبارات والرسوم هو أن يكون جبل (الأَخِت) الغربي قد ثار ثورانا من النوع (البليني) plianin, الذي يتميز بصعود عمود من الغازات والأبخرة والرماد إلى مسافات عالية، قد تصل إلى عشرات الكيلومترات، وفي الأعلى تنتشر هذه الأبخرة فتصنع للناظر من بعيد ما يشبه الشجرة، أو شكل أفعى من نوع الكُوبرا، وتحجب هذه الأبخرة المحملة بالرماد البركاني الشمس عن المنطقة، فتبدو كحية كوبرا عملاقة ابتلعت الشمس.



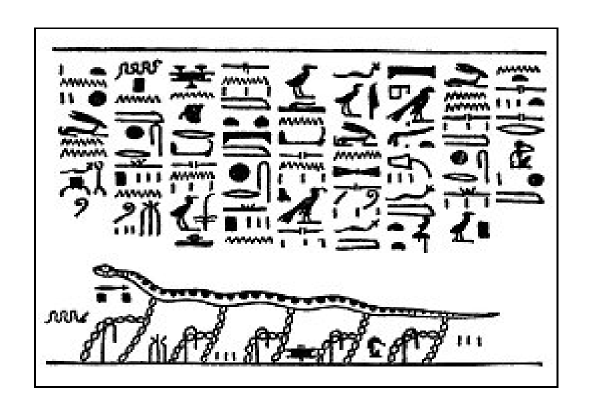
الشكل رقم (62) التشابه الظاهر بين الانفجار البركاني من النوع البلليني، وبين حية الكوبرا المنتصبة.

ويتميز هذا النوع من الإنفجار بهبوط الرماد البركاني، والذي تحدثت عنه النصوص كما وضَّحتُ.

ومما يؤكد صحة استنتاجنا هذا النص الذي يتحدث عن الحية (أبيب)، والذي نجده في القسم الحادي عشر من الدوات:"إن أبناء الساعات يمسكون بقوة هذه الحية التي في هذه الصورة، وفي هذه الصورة **هم يستقرون في السماء** (نوت)، وهم يلقون بقيودهم عليه [أبيب]، وبينما ثنايا جسده في السماء فإن قطرات سمه تتساقط منه على (أَمِنْت) [أرض مغرب الشمس]."[70]

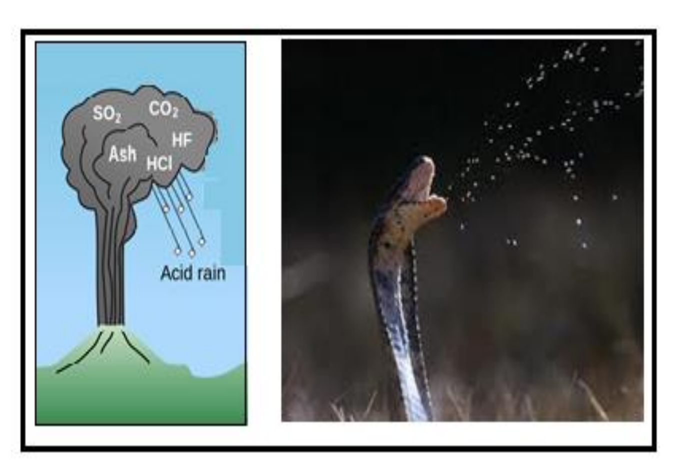
---

[70]- http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate27.htm.



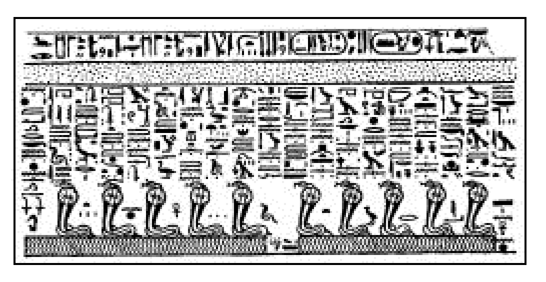
الشكل رقم (63) الصورة المصاحبة للنص، ويظهر بها الثعبان أبيب مقيدا.

فالحية التي تتلوى في السماء، وتسقط سمَّها على الأرض، هي عمود الدخان المتصاعد من جبل بركاني منفجر انفجارا بركانيا، والذي يسقط الأمطار الحمضية التي تكوي العيون، وتلك الأمطار الحمضية هي التي شبَّهها الكهنة بسم الكوبرا النافثة.



الشكل رقم (64) الأمطار الحمضية تتساقط من الأبخرة المتصاعدة من البركان الثائر والتي تشبه رذاذ السم الخارج من ثعبان الكوبرا المنتصب.

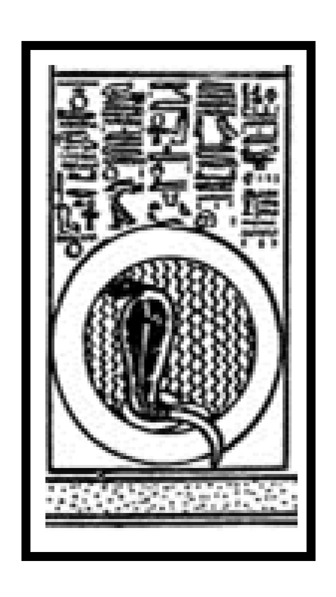
وهناك نص يتحدث عن بحيرة حيات الكوبرا المنتصبة، وأن هذه الحيات تنفث النار وأن نارها ضد "الذين أفواههم آثمة ضد رع"، وهنا ربط مباشر بين البحيرة والذين يكفرون بالإله[71].



الشكل رقم (65) بحيرة حيات الكوبرا المنتصبة.

وفي البحيرة المستديرة نجد النص التالي: " يوجد حية تعيش في هذه البركة، وماء هذه البركة نار، ولاتستطيع آلهة الأرض أو أرواح الأرض النزول هناك بسبب لهيب نارهذه الحية".

[71] القسم الرابع من كتاب البوابات -http://www.sacred
.htm19texts.com/egy/gate/gate



الشكل رقم (66) البحيرة المستديرة.

ملاحظتان حول تعذيب أهل مغرب الشمس:

لاحظتُ أن النصوص المصرية تشير إلى أن (أُزَيْرِس) لم يُصَب بالنار، وأنه لم يحترق بها[72]، ويُفهم من هذا أن (أُزَيْرِس) كان بشرا، وكان متوقعا أن يُصاب بالنار، ولكنه لم يصب، وهذا يقوِّي أن يكون نبيا نجَّاه الله من عذاب القوم، كما يفعل الله مع رسله عند تعذيب المكذبين بهم.

الملاحظة الثانية: أن هناك ذِكر لإطفاء النار، فيبدو أنه كما فجَّر ذو القرنين البركان على الكافرين في مغرب الشمس بإذن الله، فإنه أخمد البركان بعد ذلك بإذن الله، يقول واضعوا كتاب الموتى على لسان المتوفى تشبيها له (بأُزَيْرِس) على مايبدو: "لقد

72 - كتاب الموتى

http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

جئت من جزيرة النار ولقد أطفأتُ اللهب"[73]، والنص الآخر: "لقد أعدتُ إلى الوراء قوة النار المستعرة لجبل الدفن"[74]، وجبل الدفن ليس إلا هو نفسه جبل مغرب الشمس كما فهمتُ من نصوص أخرى.

وهكذا يمكننا أن نلخص أصل أسطورة (أُزَيْرِس) في (أَمِنْت) فنقول: أن (أُزَيْرِس) مشى –أو بالأحرى استقل قاربه- على طريق الشمس فوصل إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس، ووصل إلى جبل (أَمِنْت) العظيم، حيث رأى الشمس كأنها تهبط في قمة ذلك الجبل، والذي تشغل قمته بحيرة حامية حمئة، ووجد عند سفح الجبل قوما فدعاهم إلى دينه، ولكنهم تمردوا عليه، وكفروا بإله (أُزَيْرِس)، وجعلوا دين (أُزَيْرِس) ورآءهم ظهريا، فعذبهم (أُزَيْرِس) بأن فجَّر عليهم البركان المجاور، فصعد عمود دخان ورماد بركاني من موضع البحيرة التي في قمة الجبل، وصار يشبه حية منتصبة عملاقة من نوع الكوبرا، وسقط الرماد على القوم، وكذلك الأمطار الحمضية وكأنها سم حية كوبرا نافثة، فمات بعضهم مختنقا، ومات بعضهم بالنار ثم أخمد (أُزَيْرِس) البركان، وأعاد ناره المستعرة.

غير أن المصريين القدماء نقلوا دلالة (أَمِنْت) من مغرب الشمس إلى العالم السفلي، ودلالة (الأَمِنْتيو) من سكان مغرب الشمس إلى الموتى، وجعلوا حدث التعذيب الذي حدث مرة واحدة في الدنيا، إلى حدث متكرر يحدث للموتى كل ليلة في العالم الآخر، وحوَّلوا (أُزَيْرِس) من رجل كان يمكن أن يُصاب بالنار، إلى إله باطل للموتى يُقيم في العالم السفلي.

---

[73] - كتاب الموتى

http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

[74] - كتاب الموتى

http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html

استلهام الشعوب المختلفة من قصة تعذيب (أُزَيْرِس) لأهل مغرب الشمس المصرية:

لقد أثرت حادثة تعذيب كافري مغرب الشمس في العالم القديم أيَّما تأثير، فلقد وَجَدْتُ أن القصة قد أُدرجت في عقائد الشعوب القديمة المختلفة بشكل أوبآخر، متأثرين في ذلك بالمصريين، وبأفكارهم، ربما بسبب أن المصريين كانوا أصحاب القصة وأنهم حفظوها كتابةً، وكذلك ألهمت القصة واضعي الأساطير؛ فوصلتنا أساطير كثيرة مستلهمة من هذه القصة منها:

1 – (نينورتا) وثورة الجبل:

هي أسطورة عراقية قديمة تحكي كيف تمرد الجبل، وسكانه، والوحش (أساكو) الذي يقيم داخل الجبل على الآلهة الباطلة، فقامت الآلهة الباطلة بإرسال الإله الباطل (نينورتا) ليقضي على المتمردين، ويحكي لنا واضع النص صورة المعركة بين (نينورتا) من جهة والجبل من جهة أخرى، والصورة تنطبق تماما على حادثة انفجار بركاني، وعن هلاك سكان الجبل بسبب نواتج البركان.

غير أننا نلاحظ انحراف محور القصة من تعذيب سكان الجبل بسبب تمردهم إلى صراع بين (نينورتا)، ووحش (أساكو)، الذي يقيم في قلب الجبل، وهو على ما يبدو عمود الدخان المتصاعد من الجبل، وظواهر نشاط البركان، فيكاد (أساكو) الأسطورة العراقية يكون هو نفسه (أبيب) الديانة المصرية.

2- (هِرَكْلِيس) والعمالقة:

في الأساطير اليونانية يخبرنا (هومر) عن العمالقة، وهم بعض البشر الذين كانوا يسكنون الغرب البعيد، والذين أهلكتهم الآلهة بسبب تمردهم عليهم، والأسطورة هكذا قريبة جدا من الحقيقة.

غير أن رواة الأساطير من الكتاب اليونانيين بعد (هومر)، حوَّلوا المتمردين إلى عمالقة غير بشريين، ورغم ذلك نجدهم يذكرون ما يؤكد أن مصدر الأسطورة هو سكان مغرب الشمس المعذَّبين، فلقد ذكروا أن (العمالقة) يقيمون في منطقة بركانية، وانهم اشتبكوا مع الآلهة الباطلة في حرب، وأن الآلهة الباطلة استعانت ببشري، وهو (هِرَكْلِيس)، حتى تستطيع هزيمة هؤلاء العمالقة.

3- البطل والتنين:

التنين هو كائن أسطوري، يصور على شكل ثعبان ضخم، له جناحان في الأغلب، وينفث النار من فمه، ولا أشك الآن أن فكرة التنين -أو الثعبان المجنح الذي ينفث النار من فمه- هي فكرة مصرية في الأصل، فالرسوم التي على جدران مقابر الملوك في وادي الملوك تمتلئ بالثعابين الضخمة التي تنفث النار، والنصوص المصاحبة تؤكد ذلك بشكل متكرر، كما هناك بعض الرسوم في نفس المقابر تصور ثعابين لها أجنحة ولها أرجل.



الشكل رقم (67) ثعبان له جناحان وأربعة أرجل.

وقد توصلتُ لأصل فكرة الثعبان نافث النار أو التنين؛ فالثعبان هو عمود الدخان الذي تصاعد من الجبل مغرب الشمس عندما انفجر - بإذن الله- ليعذب كافري قوم مغرب الشمس. أما الأجنحة فلربما للدلالة على أن هذه الثعابين في السماء، وليست زاحفة على الأرض كثعابين التي نعرفها. ولقد رسمت لنا قصيدة (نينورتا) والوحش (أساكو) صورة مماثلة، وفي هذه القصيدة يقتل (نينورتا) الوحش أساكو، الذي يعيش في قلب الجبل، وربما كان هذا تصويرا أسطوريا لإطفاء (نينورتا) للبركان الثائر.

وفي مصر فإن كهنة إله الشمس الباطل (رع) تحدثوا عن الثعبان (أبيب) الذي يريد أن يبتلع الشمس، ومن المفهوم أن عمود الدخان والرماد البركاني يمكن له أن يحجب الشمس، ورددوا التعاويذ في لعنه، وقد نسُوا أصل الفكرة.

لذا لم يكن غريبا أن تظهر في مرحلة تالية أساطير في أوربا، وإيران، وغيرها، عن البطل الذي يقتل التنين، ومن أقدمها وأهمها (هِرَكْلِيس) عندما يقتل التنين (دراجون)، وهذا التنين يقيم عند جبل (أطلس) الذي يقع في أقصى غرب العالم، وهي كما ترى أسطورة قريبة جدا من الأصل المصري.

4- أطلانطس:

أسطورة (أطلانطس) هي أسطورة ذكرها (أفلاطون) وتحكي غرق جزيرة كانت تقع في المحيط الأطلنطي، بسبب عصيان أهلها للآلهة الباطلة، وهي مستلهمة من القصة المصرية عن تعذيب قوم مغرب الشمس كما سنوضح في موضع آخر من هذا الباب.

5 - جحيم العالم الآخر في الديانات الأخرى:

كان عند المصريين القدماء دين سماوي كما تشهد بذلك أدلة متعددة، وكان عندهم علم بجهنم التي أعدها الله للكافرين والعصاة

من البشر في الدار الآخرة، غير أنهم لما طال عليهم الأمد فإنهم **استبدلوا قصة تعذيب ذي القرنين لقوم مغرب الشمس بعذاب الآخرة، ففهموا أن (الأَمِنْتيو) -أي سكان (أَمِنْت) مغرب الشمس- هم الموتى، وأن تعذيبهم هو عذابهم الأخروي، وبدلا من أن هذا العذاب قد حدث مرة واحدة في الزمن السحيق وانتهى، فإنهم ادعوا أن هذا العذاب هو عذاب أخروي يحدث في كل يوم.**

وصحب ذلك التحريف تحريف لمعنى لقب (أُزَيْرِس): (خنتي أَمِنْتيو)، فبدلا من أن يكون معنى اللقب "رئيس قوم مغرب الشمس"، فلقد أصبح المعنى رئيس الموتى، ولما أنهم قد قاموا بنقل (أَمِنْت) مغرب الشمس إلى العالم السفلي، فلقد صار (أُزَيْرِس) ملكا على مملكة العالم السفلي، والتي هي مملكة الموتى.

وفي التراث اليوناني نجد أن اليونانيين اعتقدا بوجود مملكة (هادس) التي تذهب إليها أرواح الموتى، وجعلوها في الغرب، ثم قالوا أنها تقع في العالم السفلي تحت الأرض، وقالوا أن الذي يرأسها هو (هادس) الإله الباطل الذي يجلس على كرسي، مثل (أُزَيْرِس)، وله كلب ذو رأسيين.

وفي الديانة الهندوسية نجد أن الجحيم يقع تحت الأرض، أو في العالم السفلي، ويترأسه (يَما) Yama, وتُعرض عليه الأرواح وهو جالس على كرسيه أيضا، وله كلبان[75].

حتى في الديانة المسيحية نجد أن بعض المسيحيين الأوائل قد جعلوا (أَمِنْت) هي الجحيم التي يصلاه الكافرون[76]، وهو أظهر ما يكون في رؤيا (بولس) كما سنوضح فيما بعد.

---

[75]- الكلبان أو الكلب ذو الرأسيين هما نجمتا الشعرى اليمانية والشعرى الشامية التي اعتقد قدماء اليونان أنهما كلبين يتبعان برج الجبار، ولقد اعتبر المصريون القدماء أن هذا البرج هو نفسه أزيرس.

[76] - بدج آلهة المصريين.

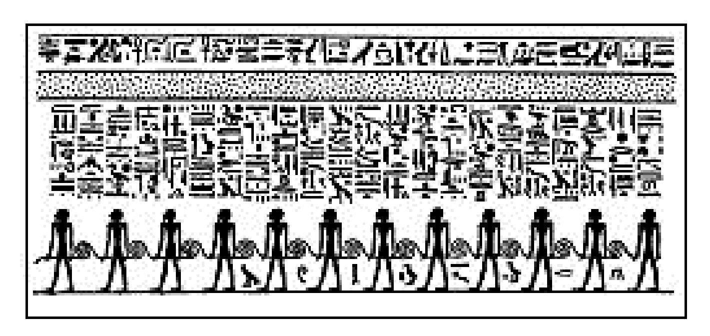
وأرى أن خلط القدماء بين تعذيب ذي القرنين لكافري مغرب الشمس، وتعذيب الله للكافرين يوم القيامة هو الذي العلة في ذكر مقولة ذي القرنين: "ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا"، وذلك ليوضح أن تعذيب ذي القرنين ليس هو تعذيب الله الأخروي، فكأنه يرد على الانحراف العقدي الخطير الذي دام آلاف السنين، وشاع في عدة أمم، قبل نزول القرآن، بل ومازال مستمرا في عقيدة الهندوس حتى الآن.

ثانيا: الصالحون في مغرب الشمس:

تتحدث النصوص المصرية عن الـ(خو) أو الصالحين في (أَمِنْت)، وتتحدث أيضا عن حقولهم التي في (أَمِنْت)، وعن قياس الأرض، وتوزيع هذه الحقول على الصالحين.

يقول النص: "[هؤلاء هم الذين] يمسكون بحبل القياس في أَمِنْت، ويذهبون إلى حقول الـ (خو). [إن رع يقول لهم]: خذوا الحبل، شدوه، وضعوا علامة على حدود حقول أَمِنْتت، و[حقول] الـ (خو) الذين هم في مواطنكم، و[حقول] الأرباب الذين هم على عروشكم. إن خو الـ(نترتي) في حقول السلام،..... إن رع يقول لهم الذي هو حق هو حبل (أَمِنْت)، وإن رع راض عن شد الحبل بالمثل، إن ممتلكاتكم هي لكم أيها الأرباب، وإن مساكنكم هي لكم أيها الـ (خو). لاحظوا أن رع صنع حقولكم, وأمر لصالحكم بأن تتملكوا الرمال (؟) [ربما التربة]"[77].

[77] القسم الخامس من كتاب البوابات http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate20.htm.



الشكل رقم (68) الرسم المصاحب للنص السابق.

ويَفهم بدج وعلماء المصريات أن (أَمِنْت) هي العالم الآخر، وأن بها يحاكم الموتى، ولذا فإنهم يفهمون أن كلمة (الخو) تعني الموتى الأبرار.

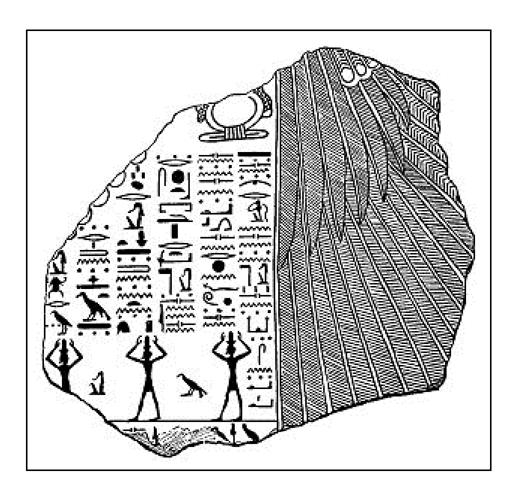
غير أنه تظل هناك إشكالية في النص حتى من وجهة نظر (بدج) وعلماء المصريات أنفسهم، وهي أن عامة النصوص تجعل (أَمِنْت) هو الجحيم الحقيقي للموتى من العصاة والكافرين، فكيف يذكر أن للموتى الأخيار حقول في (أَمِنْت)؟

لا يحل هذا الإشكال إلا ما ذهبتُ إليه، وهو أن (أَمِنْت) ليست إلا أرض مغرب الشمس وهي منطقة (الأنديز) الاستوائي، وأن تعذيب الكافرين بالنار فيها منحدر من تعذيب كافري مغرب الشمس بالبركان على يد ذي القرنين، وبالتالي ليس غريبا أن يذكر صالحي (أَمِنْت)، وأن تذكر حقولهم التي توزع عليهم بالقياس.

وما أفهمه أن (أُزَيْرِس) بعد أن عذَّب كافري مغرب الشمس بالبركان فإنه أحسن إلى مؤمنيهم، وذلك بأن علمهم الزراعة، وقادهم في عدة مشاريع للري، وشرع لهم القوانين، وقسَّم بينهم الأراضي بالسوية، وهذا ما بقي في ذاكرة الكهنة عن صالحي مغرب الشمس.

ربما يؤكد ذلك ما وضعه الكهنة على لسان (أُزَيْرِس): "أنتم على الحق فعلا، كونوا في سلام [بسبب ما فعلتموه]، يا أيها الذين في أشكال الذين هم في أتباعي"[78]، ورغم بعض الصعوبات يمكننا أن نفهم أن الصالحين هم من أتباع (أُزَيْرِس)، في مقابل المعذَّبين المتمردين على (أُزَيْرِس)، بل إن ما قاله (أُزَيْرِس) للصالحين يشابه ما أخبر به القرآن عن مقولة ذي القرنين لصالحي مغرب الشمس: "وسنقول لهم من أمرنا يسرا".

وأرى أن هذه النصوص تحمل ذكرى تعليم (أُزَيْرِس) الزراعة لمؤمني مغرب الشمس، وبدئهم في زراعة حقولهم، فلقد أخبرنا (بلوتارخ) و(ديودور) الصقلي أن (أُزَيْرِس) طاف العالم ليعلم الناس الزراعة والحضارة.



الشكل رقم (69) الصالحون من أتباع أزيرس.

[78] - القسم السادس من العالم السفلي كتاب البوابات -http://www.sacred
.htm22texts.com/egy/gate/gate

والنص السابق الذي يتحدث عن حقول (أَمِنْت) نجده يتحدث أيضا عن حقول الدوات وكأنهما مترادفين، وفي موضع آخر تحدثنا النصوص عن الزرّاع والحصاد الذين يحملون مناجلهم في حقول (الدوات) الخضراء، وهذا يتعارض كليّا عما وصف به (الدوات) من أنه مظلم، حتى عندما تمر به الشمس أثناء الليل، وأنه موضع عذاب الكفار والعصاة، ولكنه يؤكد ماذهبتُ إليه.

في كتاب البوابات نجد الكهنة يخبروننا عن بعض الناس الصالحين، والذين يقيمون في (الدوات)، ويطلق عليهم النص "الصالحون الذين هم في الدوات"، ويسميهم النص "عباد رع الذين هم في سلام"، ويقول عنهم أنهم "يعيشون على الحق"، وأرى أن هذا تحريف للحقيقة، وأن أصل هذه النصوص هو المؤمنون الذين اتبعوا ذا القرنين في مغرب الشمس.

من الملفت للنظر أن النصوص تخبرنا أن هؤلاء الصالحون يسيطرون على المياه الباردة التي هي نفسها المياه النارية للعصاة يقول النص: "إن رع يقول لهم الحق لكم، عيشوا على طعامكم، إنكم أنفسكم صدق، وإنهم لديهم سلطان على مياههم الباردة، والتي هي مياه النيران للذين لهم ذنوب وآثام"[79]، وهذا يفيد أن هؤلاء الصالحون يقيمون في نفس المكان الذي يقيم فيه المعذَّبون في مغرب الشمس، لكنهم نجوا من العذاب، وهذا يؤكد ما صحة ما وصلت إليه.

ونحن نجد في ملحمة (نينورتا) والجبل العراقية تفاصيل تشبه دور (أُزَيْرِس) الزراعي والحضاري في (أمنت)، فبعد أن يقضي (نينورتا) على وحش (الأساج) فإن واضعي الملحمة يخبروننا أن الزراعة كانت مبعثرة والمجاعة سائدة بسبب ضياع المياه، وتشتتها، وعدم وجود أقنية للري، وبسبب اجتياح المياه للأراضي، فقام (نينورتا) بإنشاء السدود لحماية الأراضي من

---

[79]- القسم الثاني من الدوات كتاب البوابات -http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate17.htm.

طغيان المياه، وقام بحفر قنوات لربط البرك بمسار النهر لتصب مياهها فيه، كما أنشأ أنظمة لصرف المياه الزائدة عن حاجة الحقول[80].

وفي أساطير هركلس نجد أن ديودر الصقلي يخبرنا أن هركلس بعد أن هزم العمالقة (الجيغانتز)، والذين هم حسب (هومر) يسكنون في أقصى غرب العالم, فإنه أخضع المنطقة للزراعة، في تواز ملفت للنظر للكتابات عن (أُزَيْرِس), والكتابات حول (نينورتا).

المبحث السابع: مشرق الشمس وحقل (عارو) عند المصريين القدماء

في الصفحات القادمة ندرس كيف تصور المصريين بلاد مشرق الشمس، وكيف تصوروا الطريق الموصل إليها، وكيف تخيلوا الطريقة التي يسافر بها الآلهة الباطلة، والموتى إلى مشرق الشمس.

الرحلة إلى مشرق الشمس:

لقد ترسخت عند المصريين القدماء عقيدة قديمة، وهي أن الموتى -أو بالأحرى أرواحهم- تسافر إلى مغرب الشمس، وهناك تلتحق بموكب الشمس الغاربة، حيث تدخل الأرواح مع الشمس -أو إله الشمس الباطل (رع)- العالم السفلي، ثم تصاحب أرواح الموتى (رع) في رحلته في العالم السفلي أثناء الليل، من أقصى غرب العالم إلى أقصى شرقه، وفي الصباح، في أرض مشرق

---

80 - http://www.gatewaystobabylon.com/myths/texts/ninurta/exploitninurta.htm 334-359

الشمس يشرق (رع)، ومعه أرواح الموتى، وكما تعود للشمس/(رع) الحياة في الصباح، فإن الموتى يُبعثوا من جديد.
وقد ذكرتُ سابقا أن رحلة المتوفى المزعومة في الأساس ليست محاكاة لرحلة الشمس، وإنما هي محاكاة لرحلة (أُزَيْرِس)، الذي مشى على طريق الشمس، ففي نصوص الأهرام النص على أن رحلة المتوفى هي تمثيل (لأُزَيْرِس)، ومن نص حجر (شباكا) نفهم أن (أُزَيْرِس) قد مشى وهو حَيّ على طريق الشمس.
وهذا يجعل (أُزَيْرِس) قريبا من شخصية ذي القرنين الذي فهمنا من قصته أنه أبحر متتبعا طريق الشمس الظاهري، حتى وصل إلى مغرب الشمس، ثم فعل الأمر نفسه، حتى وصل إلى مشرق الشمس.
وهكذا يمكننا القول أن الموتى في رحلتهم المزعومة حول العالم يقلدون (أُزَيْرِس)، الذي هو بدوره مأخوذ من شخصية ذي القرنين.

البحر الذي يشغل العالم السفلي، ويفصل بين المغرب والمشرق:

ويمكننا أن نقسم الرحلة التي يقوم بها المتوفى المصري إلى مشرق الشمس إلى قسمين: الأول: هو الرحلة إلى مغرب الشمس، والثاني: الرحلة من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، حيث يعبر المتوفى العالم السفلي.
وقد ذكرتُ أن التصور الأقدم للعالم السفلي، والذي نجده في نصوص الأهرام هو أن العالم السفلي بحر عظيم يفصل بين المغرب والمشرق، وأنه يجب على (رع)، والآلهة الباطلة، وكذلك على أرواح الموتى أن تعبر هذا البحر لتصل إلى مشرق الشمس.
ومن العجيب أننا نجد أن هذا التصور موجود عند العراقيين القدماء وعند قدامى اليونانيين أيضا: فالبطل الأسطوري (جلجامش) لكي يصل إلى منطقة مشرق الشمس فإنه يسافر حتى

ساحل البحر الذي لاتعبره إلا الشمس، ثم يعبر هذا البحر فيصل إلى المشرق، و(هِرَكْلِيس) لكي يصل إلى أقصى شرق العالم فإنه يسافر إلى أقصى غرب العالم، ثم يعبر (الأقيانوس)، ويبدو هذا عجيبا؛ فالناس في هذه الأزمنة القديمة كانوا يعتقدون أن الأرض قرصٌ مسطح، لا يمكن الوصول الى مشرقها بالإبحار من مغربها.

ولقد جاءت نصوص المصريين القدماء الأقدم تذكر أحد تصورات المصريين لانتقال الشمس من أقصى غرب العالم لأقصى شرقه، فتحدثوا أن (رع) إله الشمس الباطل يقطع البحر الواقع بين المغرب والمشرق في قاربه ذهبي، وأنه ينام في هذا القارب.

وبعد تاريخ كتابة هذه النصوص بحوالي ألفيّ عام نجد بعض الكتاب اليونانيين يرددون نفس الفكرة، فيقول أحد كتابهم أن إله الشمس الباطل عند اليونانيين (هليوس) يعبر البحر من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس في سرير ذهبي وهو نائم.

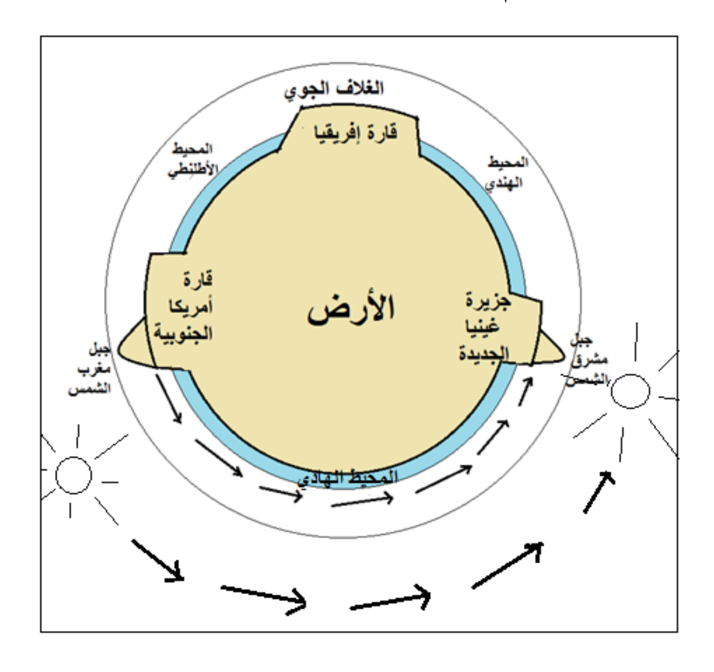
والعجيب أن هذا التصور القديم مشابه للحقيقة الجغرافية؛ فالمحيط الهادي هو بحر عظيم يفصل بين مغرب الشمس ومشرق الشمس كما عرَّفناهما، وفي نفس الوقت فإن المحيط الهادي يقع أسفل منطقتنا أي في الجهة المقابلة لنا، أو في العالم السفلي.

إن هذا التشابه يؤكد حدوث قصة ذي القرنين من جهة، ويشير إلى أن ذا القرنين وصل إلى مطلع الشمس/مرتفعات (غينيا) الجديدة عن طريق عبور المحيط الهادي من جهة أخرى.

وسيلة الانتقال إلى المشرق:

ولكن كيف انتقل (أُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرق الشمس؟ وكيف ظن الكهنة أن الموتى ينتقلون في رحلتهم من المغرب إلى المشرق؟

يخبرنا حجر (شباكا) أن (أُزَيْرِس) **مشى** على طريق الشمس، بينما يخبرنا كتاب الموتى أن (أُزَيْرِس) قد **أبحر** في معية (رع)، وهذا أقرب للواقع الجغرافي، فلكي يصل (أُزَيْرِس) لمغرب الشمس ومشرقها فلابد له أن يعبر البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي، ليصل إلى الأنديز، ثم يعبر المحيط الهادي ليصل إلى جزيرة غينيا الجديدة، والذي أتصوره أنه قد عبر هذه البحار الشاسعة بقاربه، وأنه كان في ذلك يتتبع مسار الشمس الظاهري، فيسافر بقاربه في نفس اتجاه مسير الشمس، أي من المشرق إلى المغرب، وكذلك يُيمم قاربه جهة نقطة غروب الشمس الظاهرية.



شكل رقم (70) يوضح عبور ذي القرنين من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس متتبعا حركة الشمس الظاهرية.

ولما مرت الدهور على الكهنة حرَّفوا هذه الحقيقة فقالوا أن (أُزَيْرِس) يسافر في معيَّة رع إله الشمس، الذي تخيلوه يجلس على عرش في قارب ويبحر في بحر السماء.

وفي نصوص الأهرام نجد الكهنة يتحدثون أن المتوفى ينتقل في قاربه من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، وهي الصوة الأقرب لحقيقة ما حدث مع (أُزَيْرِس).

كما نجد أن الكهنة اخترعوا (معدّاوي) لبحر العالم السفلي، وهذا (المعداوي) ينقل الموتى الأبرار الذين لاقارب لهم.

ويبدو أن كهنة المصريين القدماء قد طوَّروا الأمر أكثر، فقالوا أن (أُزَيْرِس)، ومثله الموتى يركبون قاربا في السماء مثل (رع) إله الشمس الباطل، أو أنهم يركبون قارب (رع) نفسه.

لذا نجد أن الرحلة البحرية إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرق الشمس قد تم **تحريفها إلى رحلة في السماء، أورحلة بحرية، ولكن في بحر السماء**، وذلك مشابَهَةً لرحلة (رع) إله الشمس الباطل.

إن هذا التحريف وهو تحويل الرحلة إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرقها من رحلة في البحار إلى رحلة في بحر السماء، لهو تحريف قديم جدا، حتى أننا نجده في أقدم النصوص التي وصلتنا وهي نصوص الأهرام.

لذا نجد هذا النص المتكرر في نصوص الأهرام حول (رع) و(حورس) والمتوفَّى، و(حورس) هنا يمثل شخصية ذي القرنين:

- ليقال: إن عوامتين من البوص سماويتين قد أُعدتا لرع لعله يبحر بهما إلى (الأَخِت).

- ليقال إن عوامتين من البوص سماويتين قد أعدتا لحور-أختي لعله يبحر بهما إلى رع.

- إن عوامتين من البوص سماويتين قد أعدتا [للملك] لعله يبحر بهما إلى (الأَخِت)، إلى رع.

- إن عوامتين من البوص سماويتين قد أعدتا [للملك]لعله يبحر بهما إلى حور –أختي، إلى رع[81].

ومن الواضح في هذا النص أن رع ينتقل إلى جبل (الأَخِت) لعله (الأَخِت) الشرقي، وأن حورس ينتقل متتبعا (رع)، وأن المتوفى يقلّد (حورس)، وهو تصور مأخوذ من رحلة ذي القرنين، فالمتوفّى هنا لايقلد (رع) مباشرة، وإنما يقلد رحلة (حورس)، أما أهم نقاط التحريف هنا أن الرحلات كلها صارت رحلات سماوية في بحر السماء.

فكما أن الشمس/(رع) ترتحل مبحرة بين جبلي (الأَخِت) فإن (حورس) -المأخوذ من شخصية ذي القرنين أيضا- ارتحل مبحرا بين جبلي (الأَخِت)، ثم إن المتوفى - تقليدا لـ(حورس) وليس الشمس- سوف يرتحل مبحرا بين نفس الجبلين، ولكن الأداة المذكورة هي عوامتين سماويتين، فكأن الرحلة البحرية (لحورس) ومن بعده المتوفى تقع في بحر السماء وليس في المحيط.

لذا فإنني لا أُفاجأ عندما أجد أن أبطال الأساطير في الحضارات المختلفة **يسافرون في السماء**، إما في عربة إله الشمس الباطل السماوية، أو في عربة سماوية خاصة بهم ليصلوا إلى مغرب الشمس أو مشرقها، فكهنة الأمم الأخرى يستلهمون من خيالات كهنة مصر القدماء حول نفس القصة الأولى قصة ذي القرنين ورحلته.

فعلى سبيل المثال نجد (فيثون) يستقل عربة والده إله الشمس الباطل هليوس، و(تربتوليمس) يستقل عربة سماوية عبارة عن عجلة مجنحة يجرها ثعبانان، و(مِثرا) يستقل عربة سماوية ذهبية ينتقل بها إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس، و(مِثراس) يرافق

[81] - الفقرة 263 نصوص الأهرام http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt12.htm.

(هليوس) إله الشمس الباطل في عربته السماوية في رحلته إلى أقصى أطراف الأرض، و(أخنوخ) يسافر في السماء إلى مغرب الشمس، ومشرقها في صحبة ملَك من الملائكة.

بلاد مشرق الشمس:

والآن ننتقل إلى تصور المصريين القدماء لبلاد مشرق الشمس كما صورتها النصوص الدينية الجنائزية، والحقيقة أننا عند إعادة بناء التصور المصري القديم حول بلاد مشرق الشمس سنفاجأ بأنه مطابق لجغرافية جزيرة (غينيا) الجديدة ومرتفعاتها وسكانها، وهذا يؤكد أن قصة ذي القرنين -كما رواها القرآن- قد حدثت بالفعل، وأن ما وصلتُ إليه من فهم علمي للآيات كان صحيحا.

مشرق الشمس جزيرة:

يمكننا أن نستنتج أن كهنة المصريين القدماء اعتقدوا أن مشرق الشمس جزيرة، وأنها ليست أرضا متصلة بأرضنا، وذلك من المخصص الذي وضعوه لكلمة (أخت)، وهو على شكل جزيرة. غير أننا نجد نصوصا صريحة تخبرنا أن مشرق الشمس ليس إلا جزيرة من الجزر، ففي نصوص الأهرام نجد:

لقد ذهب (الملك) إلى الجزيرة العظيمة.
والتي عليها تجعل الآلهةُ طيورَ السنونو تُضيء.
طيورُ السنونو هي النجوم الخالدة[82].

فلقد تخيل الكهنة أن النجوم تنطفئ وتموت عندما تغرب في أقصى غرب العالم، ثم أنها تعود للحياة وتضيء عندما تطلع في أقصى شرق العالم، وبالتالي فإن الجزيرة المقصودة في النص هي جزيرة مشرق الشمس.

---

85 – نصوص الأهرام الفقرة 519 -http://www.sacred
.htm27texts.com/egy/pyt/pyt

وفي موضع آخر من نصوص الأهرام:
- إن الملك بار أمام السماء وأمام الأرض.
- إن الملك بار أمام هذه الجزيرة.
- التي إليها قد سبح، ووصل إلى هناك.
- والتي بين فخذي (نوت)[83].

فـ(نوت) المذكورة هي إلهة السماء الباطلة، أو السماء نفسها، ولقد تخيل الكهنة أن الشمس تشرق بأن تُولد من رحم (نوت)/السماء في أقصى شرق العالم، وبينوا ذلك بالرسم بوضوح في كتاب السماوات، وعلى ذلك فإن الجزيرة التي بين فخذي (نوت) هي جزيرة مشرق الشمس.

وهذا عجيب - كما ترى- لأنه مطابق لحقيقة مشرق الشمس الجغرافية كما فَصَّلتُ في الفصل الأول، فأقصى شرق العالم ليس أرضًا متصلة باليابس، وإنما جزيرة كبيرة هي جزيرة (غينيا) الجديدة.

ونحن نجد نفس هذا الاعتقاد عند العراقيين القدماء، فنجد أن مشرق الشمس هو جزيرة أيضا، وقد أطلقو عليها اسم (دِلْمن) .Dilmun

جبل مشرق الشمس وبحيرته:

اعتقد كهنة المصريين القدماء أن في مشرق الشمس جبل عظيم تشرق الشمس منه، وأسموه (باخو) أو (الأَخِت) الشرقي، وهكذا يمكننا جمع الفكرتين معا فنقول أن المصريين في عصورهم الأقدم اعتقدوا بأن مشرق الشمس جزيرة وبها جبل عظيم، وهذا مطابق للواقع الجغرافي أيضا، ففي جزيرة غينيا الجديدة التي تقع في

86- نصوص الأهرام الفقرة 517 -http://www.sacred
.htm27texts.com/egy/pyt/pyt

أقصى شرق العالم يوجد جبل عظيم الارتفاع هو جبل (بنكك جايا)، وهو أعلى جبال ساحلي آسيا واستراليا الشرقيين.

غير أن المصريين القدماء اعتقدوا اعتقادا راسخا أن في مشرق الشمس هناك بحيرة تستحم فيها الشمس، أو إله الشمس الباطل قبل أن تشرق كل صباح، وقد ظهرت هذه البحيرة أو النبع في الكتابات العراقية، فأُطلق على الجبل الذي تشرق الشمس منه "جبل العين"، كما كرّر الكتاب اليونايين الحديث عن سكان مشرق الشمس الذين يسكنون عند "عين الشمس"، وفي أساطير الإسكندر الأكبر يسافر الإسكندر في رحلة طويلة في أرض الظلمات – المأخوذة من العالم السفلي المظلم- ليصل إلى "عين الحياة" في مشرق الشمس، وهي العين التي تهب مياهها الخلود لمن يتناولها، و"عين الحياة" هو نفس الاسم الذي ذُكرت به "عين المشرق" في نصوص الأهرام، كما ذكر أنها تهب الخلود.

وهذه الفكرة ليست إلا **خُرافة** من خرافات المصريين، وأرى أنهم أخذوها مما أخبرهم به ذو القرنين من رؤيته للشمس وكأنها تغيب في العين الحمئة التي تقع في رأس الجبل البركاني في مغرب الشمس، عندما بلغ مغرب الشمس، **فقاسوا** وقالوا أنه كما أن الشمس تغيب في عين حمئة حامية، فلابد أنها تشرق من عين مشابهة، وتبعهم في هذا الهراء كهنة الأمم المختلفة.

أما الحقيقة الجغرافية فهي أن جبل (بنكاك جايا) هو جبل جيري وليس جبلا بركانيا، فليس هناك أي عيون نارية تشرق منها الشمس، ولوحتى ظاهريا، وهو مصدق لما جاء في القرآن حيث لم تخبرنا الآيات بأن ذا القرنين عندما بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع من عين حمئة حامية .

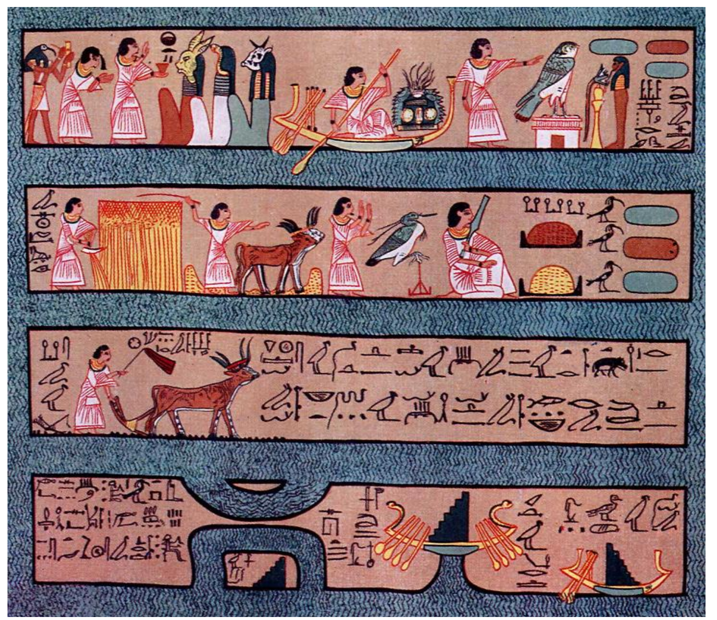
حقل (عارو) أو جنة الأبرار:

تحدثت النصوص الجنائزية كثيرا عن مكانين تذهب إليهما أرواح الموتى الأبرار بعد موتهم، وأطلقوا عليهما (سخت عارو)

بمعنى حقل (عارو)، و(سخت حتب) بمعنى حقل القرابين، وهناك من يرى أنهما اسمين لموضع واحد.

وفي كتاب الموتى نرى أن "سخت عارو" و"سخت حتب" يشغلان مجموعة من الجزر، وأن هذين الحقلين -مثل حقول مصر- بهما القمح والشعير، ونجد الكهنة قد رسموا المتوفى -رغم كونه من النبلاء- يحرث فيهما الأرض بنفسه، ويحصد القمح بنفسه.

ويدهشنا هذا التصور الساذج، فالجنة التي يذهب إليه الأبرار ليس فيها تعب أو نصب، والصالحون فيها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.



الشكل رقم (71) صورة المتوفى وهو يحرث ويحصد في حقل عارو من بردية النبيل (آني).

موضع الجنة عند المصريين القدماء:

النصوص المصرية في مجموعها لا تبوح لنا صراحة عن موضع هاتين الجنتين، ويبدو أن الكهنة أنفسهم قد نسوا موقعهما المفترض، أما علماء المصريات والباحثون فبعضهم يرى أن موضع الجنتين هو في السماء، وبعضهم يرى أنه في العالم السفلي، وهناك من يرى أنهما في مشرق الشمس.

وأرى أن الرأي الأخير هو الرأي الصائب، والأدلة تدعم هذا الرأي، ففي نصوص الأهرام:

- "لقد ذهب الملك إلى الجزيرة العظيمة التي وسط حقل القرابين."

أما كون النص يقول أن الجزيرة تقع وسط حقل القرابين فربما من أخطاء الكهنة أو أخطاء قرآئتنا للنص.

وفي موضع آخر في نصوص الأهرام نجد أن الملك المتوفى يشرق مع سويا (رع) بعد أن يتطهرا في بحيرة (عارو)[84].

ولما كانت نصوص الأهرام تؤكد في أكثر من موضع أن (رع) يتطهر في أقصى شرق العالم قبل إشراقه فمعنى ذلك أن بحيرة (عارو) وسخت (عارو) يقعان في مشرق الشمس.

وتُحدثنا نصوص الأهرام في أكثر من موضع عن (المعداوي) الذي يعبر بالآلهة وبالموتى الأبرار من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، وفي أحد المواضع يطلق على هذا (المعداوي) اسم "معداوي سخت عارو"، وأفهم من ذلك أن أنه يُوصل الموتى الأبرار إلى (سخت عارو)، وبالتالي فإن (سخت عارو) تقع في مشرق الشمس[85].

وفي نصوص الأهرام نقرأ:

إن (الملك) يطهر نفسه في حقل عارو.

إن (الملك) يكسو نفسه في حقل خبري.

إن (الملك) يجد رع هناك.

هنا نجد الكاهن يفسر حقل (عارو) بحقل (خبري)، و(خبري) هو نفسه (رع) وقت الإشراق، كما أن ملاقاة (رع) المتخيلة تكون في أقصى شرق العالم[86]، وهذا يشير إلى أن حقل (عارو) في مشرق الشمس.

وفي كتاب الموتى نجد أن الكهنة يعلقون على بعض مواضع حقل (عارو) بأنه موضع ولادة الإله، ولقد تصور المصريين

---

84 - نصوص الأهرام الفقرة 253.

88- نصوص الأهرام الفقرة 517 -http://www.sacred
.htm27texts.com/egy/pyt/pyt

86 - وذلك للتصور البسيط بأن الشمس تكون ملامسة للأرض عند الإشراق وعند الغروب.

القدماء أن (رع) إله الشمس الباطل وكذلك النجوم/الآلهة الباطلة تولد في مشرق الشمس.

ولو كانت جنة الأبرار تقع في جزيرة مشرق الشمس، فلنا أن نتوقع أن جبل (الأَخِت) الشرقي يقع في وسط الجنة، أو وسط حقل (عارو)، ونحن نجد في نصوص الأهرام:

إن الملك قادم...

إلى أماكن الإشباع ذات الحقول الخضراء التي في (الأَخِت)[87].

فأرى أن المقصود بالحقول الخضراء هنا هو حقل (عارو)، وأن هذا إشارة إلى أن الحقل يقع في سفح جبل (الأَخِت) الشرقي.

وأظهر من هذا ما نجده في كتاب الموتى الفصل السابع عشر: "أصل إلى الأرض الخاصة **بسكان (الأَخِت)**، أنطلق من الباب العظيم، ما هذا؟ إنه حقل (عارو) الذي ينتج الزاد للآلهة."[88]، ففي هذا النص يبدو أن حقل (عارو) يقع عند جبل (الأَخِت) الشرقي.

ونحن نجد أن عنوان كتاب الموتى هو "الخروج إلى النهار"، وأرى أن المعنى المقصود من هذا العنوان هو: الوصول إلى مشرق الشمس، ولما كان هدف الكهنة في كتاب الموتى بالذات هو إيصال المتوفى إلى حقل (عارو)، فيمكننا أن نفهم أن حقل (عارو) تقع في مشرق الشمس.

وأرى أنه كان هناك عقيدة مصرية قديمة بأن جنة الأبرار حقل (عارو) تقع في مشرق الشمس، غير أن مرور الدهور الطويلة أنسى الكهنة موقعهما، ولم يبق إلا بعض النصوص المتناثرة تدل على وجود هذه العقيدة في أزمنة أقدم.

وفي النصوص العراقية القديمة نجد أن الكهنة يخبروننا أن الآلهة نقلت صاحب السفينة الناجي من الطوفان إلى جزيرة مشرق

---

[87] - نصوص الأهرام الفقرة 317 -http://www.sacred texts.com/egy/pyt/pyt17.htm.

[88] - ترجمة كتاب نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم لـ جيمس بريتشارد.

الشمس، ومنحته الخلود، وهذا مشابه إلى حد بعيد لفكرة المصريين القدماء، وفي العهد القديم نجد أن كاتب سفر التكوين يخبرنا أن جنة عدن تقع في الشرق، وبتحليل النصوص وجدتُ أن المقصود هو أقصى شرق العالم، وهو ما فهمه مسيحيو العصور الوسطى فوصلتنا خرائطهم تضع جنة عدن في أقصى شرق اليابس.

أما النصوص اليونانية المبكرة فتشير إلى أن الجنة التي يذهب إليها الأبرار تقع في طرف العالم على ساحل البحر المحيط، ولما كان أقصى غرب العالم مستبعدا لأن هناك تقع (هادس)، فلابد أن يكون المقصود أن حقول (الإليسان) تقع -في أصل الفكرة- عند أقصى شرق العالم.

وأرى أن المصريون القدماء اخترعوا مكان الجنة، وقالوا أنها تقع في مشرق الشمس، وتبعهم في ذلك باقي شعوب الأرض.

سكان حقل (عارو):

لقد اهتم الكهنة المصريون أن يؤكدوا لنا في النصوص والرسوم، التي تركوها، أن حقل (عارو) وحقل القرابين هما حقلان تحرث فيهما الأرض، وتبذر فيهما الحبوب، وتحصد فيهما المحاصيل.

ويعلق علماء المصريات على ذلك بأن المصريين القدماء تخيلوا أن الجنة على شاكلة بلادهم الخصبة، وأن حياة المبرورين في الجنة تشبه حياة الفلاحين في الحياة الدنيا.

ولكني أرى غير ذلك؛ فحقل (عارو) وجنة المصريين القدماء - في أصله- ليس إلا حقول سكان مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة مطلع الشمس، ففي نصوص التوابيت: "أنا أعرف تلك **البوابة الرئيسية التي يخرج منها رع في الشرق**، ...، أعرف **حقل عارو**، ذلك الخاص برع، والسور الذي يحيط به من المعدن، ارتفاع شعيره أربعة أذرع، ...، قمحه سبعة أذرع، [يبلغ] **طول**

سكان جبل الأَخِت تسعة أذرع [هم] الذين يحصدونه بجانب الأرواح الشرقية"[89].

في هذا النص شديد الأهمية نجد أن سكان جبل (الأَخِت) - والذي يسميهم النص حرفيا (الأَخِتيو)- هم الذين يحصدون حقل (عارو)، فكأن حقل عارو يقع في أودية جبل (الأَخِت) الشرقي, وسكان هذه الأودية هم الذين يحصدون في هذا الحقل، إن كلمة (أختيو) تكاد تكون ترجمة حرفية لكلمة "سكان المرتفعات" في جزيرة مشرق الشمس.

والذي يؤكد لنا أن (سخت عارو) ليس إلا حقل سكان مرتفعات مشرق الشمس، هذا النص الذي اقتبسه الكهنة من نفس التعويذة السابقة، ووضعوه في كتاب الموتى: "أصل إلى الأرض الخاصة بسكان جبل الأَخِت [حرفيا الأَخِتيو]، انطلق من الباب العظيم، ما هذا إنه حقل عارو..."، فالذي يبدو من ظاهر النص أن أراضي سكان جبل (الأَخِت) هي نفسها (سخت عارو)، وتقع في سفوح وأودية جبل (الأَخِت) الشرقي الذي يقع بدوره في جزيرة مشرق الشمس.

وهذا مطابق كما ترى للحقائق الجغرافية التي لم يعرفها العالم إلا منذ أقل من مائة عام، وهي وجود سكان من المزارعين في مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، كما أن هذه النصوص مطابقة للحقائق التاريخية المكتشفة منذ سنوات قليلة، والمخالفة لتوقعات العلماء، وهي أن سكان مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة يزرعون حقولهم منذ سبعة آلاف عام، أو يزيد، وهو الأمر العجيب الذي حيَّر وما زال يُحيِّر العلماء.

---

[89] - A.de Buck, The Egyptian Coffin Texts, II OIP XLIX, Chicago, 193 Spell 159, PP.363 ff.

من ترجمة كتاب نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم لـ جيمس بريتشارد

وفي عهود لاحقة حرَّف الكهنة كلمة (الأَخِتيو) التي تعني سكان مرتفعات مشرق الشمس إلى كلمة (الآخو)، والتي تعني الأبرار[90]، ويبدو أن هذا الذي جعل اليونانيون في أساطيرهم يُصرُّون على أن سكان مشرق الشمس هم من الأبرار المخلصين في عبادة الآلهة.

ورغم تحول (الأَخِت) إلى مكان غيبي، وتحريف اسم سكان (الأَخِت) من (الأَخِتيو) إلى (الآخو) أو الأرواح الصالحة في عُرف كهنة المصريين القدماء، فإننا يمكننا أن نستنتج من رسالة أرسلها الملك المصري (ببيي) الثاني Pepi II -وهو أحد ملوك الأسرة السادسة بالدولة القديمة، وكان صغير السن- إلى أحد رجاله يأمره بسرعة إحضار القزم الذي جلبه له من أرض سكان (الأَخِت)، والذي يبدو أنه (الأَخِت) الشرقي. يمكننا أن نستنتج أن المصريين في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد كانوا يعلمون بأن (الأَخِت) هو مكان حقيقي وليس مكانا غيبيا، وأن سكانه هم من البشر وليسوا من الأرواح.

هل حقل (عارو) يعني حقل العراة؟

يترجم علماء المصريات كلمة (عارو) المصرية بكلمة البوص أو اليراع، واستدلوا على ذلك بالمخصص الذي وضعه المصريون القدماء للكلمة، وقالوا أن المصري القديم تخيل أن جنته تشبه برك دلتا النيل المليئة بالبوص، والطيور البرية، والأسماك الشهية، هذا رغم أن الفنان المصري القديم أكد في رسومه أن حقل (عارو) هو حقل تزرع فيه المحاصيل، ولم نر فيه للبوص أي أثر.

---

90 - ترجمة كتاب نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم لـ جيمس بريتشارد. ANCIENT NEAR EASTERN TEXTS RELATING TO THE OLD TESTAMENT , JAMES B. PRITCHARD

فهل فهمنا الكلمة خطأ؟ وهل تكون كلمة (عارو) تعني العراة؟، فيكون "سخت عارو" تعني حقل أو حقول العراة، في إشارة لسكان مرتفعات مشرق الشمس من العراة وحقولهم؟

ربما يكون هذا صوابا، خاصة وأن اللغة المصري القديمة لها علاقة وثيقة باللغات العربية القديمة، التي يطلق عليها اللغات السامية، وكلمة (عارو) المصرية قريبة حقا من كلمة (عاري) العربية، ولكن في هذه الحالة كيف نفسر وجود المخصص اللغوي لنبات البوص في آخر كلمة (عارو)؟

أقول أنه ربما كانت الكلمتان: كلمة العراة، وكلمة البوص، قريبتان من حيث صوتياتهما، ولربما كانت مشتركا لفظيا، ومع طول القرون نسى الكهنة المصريون ماذا تعني كلمة (عارو) فظنوا أنها تعني البوص، وليس العراة، وعند كتابة الكلمة وضعوا المخصص اللغوي لنبات البوص، واستمر الخطأ بعد ذلك.

وربما يدعم هذا الفهم قصة (زوسمس) و(الرخابيين)[91]، فـ(زوسمس) يعبر البحر الذي لايعبره أحد، والمفهوم أن هذا هو عبورٌ لبحر العالم السفلي، وعندما يصل إلى الشاطىء، وهو شاطيء مشرق الشمس - كما يُفهم استنادا لقصص الأبطال الذين يعبرون البحار التي لايمكن عبورها- فإنه يجد هناك قوما من **العراة.**

وهذا يدل على أن فكرة وجود العراة في مشرق الشمس لم تختف تماما، وانما استمرت وظهرت لنا في طيات أسطورة من أساطير أهل الكتاب.

حقل (عارو) وجزيرة (آرو):

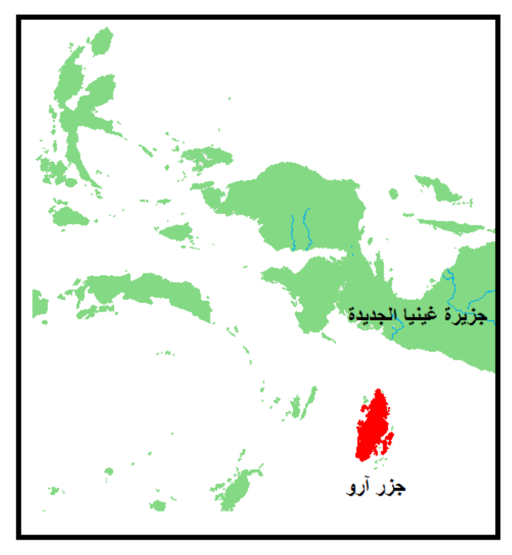
بالقرب من جزيرة غينيا الجديدة وجدتُ مجموعة جزر صغيرة يطلق عليها جزر (آرو) Aru، فهل هناك صلة بين حقل (عارو) الذي يقع في جزيرة مشرق الشمس، وبين جزيرة (آرو) التي تقع

91 - أحد الكتابات الأبوكريفا أي الغير معترف بصحتها من قبل الكنائس.

ملاصقة للجزيرة التي توصلت إلى أنها جزيرة مشرق الشمس، والتي بها حقول العراة؟

ربما يكون هذا الاسم هو مابقي من الاسم التي أطلقه المصريون القدماء الذين كانوا يرسلون سفنهم إلى المنطقة للتجارة منذ آلاف السنين.

وهكذا نصل إلى أن مشرق الشمس عند المصريين القدماء منطبق بشكل كبير على مشرق الشمس الجغرافي كما عرَّفناه، وهذا يدل على أن (أُزَيْرِس) -ومن بعده البحارة المصريين- وصل إلى مشرق الشمس (غينيا) الجديدة، وبالتحديد إلى أودية مرتفعات الجزيرة، حيث التقى بسكان الأودية من العراة، ثم لما طال العهد



الشكل رقم (72) جزر آرو ملاصقة لجزيرة غينيا الجديدة.

على المصريين نسوا طريقة الوصول إلى هذه المناطق القصية، وتحولت جزيرة مشرق الشمس وجبلها العظيم، وكذلك الأودية الجبلية وحقولها إلى مناطق غيبية، بل تحولت حقول العراة إلى "الفردوس" التي يدخله الموتى الأبرار.

وهذا يؤكد على صدق القرآن وصحة الفهم الذي فهمناه لآيات ذي القرنين.

ماذا فعل (أُزَيْرِس) في مشرق الشمس:

لا تخبرنا الآيات عما فعله ذوالقرنين في مشرق الشمس صراحة، ولكن ربما كانت كلمة "كذلك" في قوله: "كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا" تفيد أنه فعل في مشرق الشمس مثلما فعل في مغربها، فدعا قومها للإيمان، وأنهم أجابوه، وأنه علمهم بعض فنون الحضارة، ومن أهمها الزراعة، مثلما فعل مع قوم مغرب الشمس، وهو تفسير قوله تعالى على لسان ذي القرنين: "وسنقول له من أمرنا يسرا".

أما (أُزَيْرِس) فلا نجد المصادر المصرية القديمة تخبرنا ماذا فعل بالتحديد في مشرق الشمس، أو في "الجنة"، كل ما نفهمه أنه متواجد هناك.

غير أن (بلوتارخ) يخبرنا أن (أُزَيْرِس) طاف العالم يعلم الناس الحضارة والزراعة، ويؤكد لنا (ديودر) الصقلي أن (أُزَيْرِس) وصل إلى (إثيوبيا) -التي تعني عند اليونانيين مشرق الشمس- وأنه علّم أهلها الزراعة.

وربما يفسر ذلك هذا النص الذي نجده في نصوص الأهرام:

إن (الملك) قادم.

إلى أماكن الإشباع ذات الحقول الخضراء.

لعل الملك يجعل الأعشاب خضراء في أرض (الأَخِت).

فالملك هنا -على ما يبدو- يحاول أن يفعل ما فعله (أُزَيْرِس) في أودية جبال مشرق الشمس، **ونستنتج أن (أُزَيْرِس) تسبب في نشر الزراعة في تلك الأودية البعيدة.**

ولعل نفس الفكرة وهي التَّشَبُه (بأُزَيْرِس)، وما فعله (أُزَيْرِس) في الزمن السحيق، هو الذي جعل الكهنة يُصرون على أن يصوروا النبلاء والنبيلات وهم يقومون بأعمال الزراعة الشاقّة في (سخت عارو)، فالمقصود أنهم سيقومون بما قام به (أُزَيْرِس) في حقول العراة في أودية مرتفعات جزيرة مشرق الشمس، وهو استمرار لمساواة المتوفَّى (بأُزَيْرِس)؛ فكما مات (أُزَيْرِس) وقام من الموت، فإن المتوفى سيقوم من الموت، وكما سافر (أُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس، ومشرقها، فإن المتوفى سيسافر إلى مغرب الشمس ومشرقها، وكما حرث وحصد (أُزَيْرِس) في مشرق الشمس وهو يعلِّم القوم الزراعة، فإن المتوفى سيقوم بأعمال الزراعة من حرث وحصاد في مشرق الشمس.

الفصل الثالث

مغرب الشمس ومشرقها في تراث الشعوب الأخرى

في هذا الفصل نعرض للحديث عن بعض العقائد دينية والأساطير القديمة عند شعوب المنطقة، والتي تتعرض للحديث عن منطقة مغرب الشمس، أومطلع الشمس، أورحلة بطل ما إليهما، ولقدت وجدتُ أن هذه العقائد والأساطير تمُتُّ بصِلة لذي القرنين ورحلته؛ فهي إما مستمدة من القصة بطريقة مباشرة وأصيلة، أوبطريقة غير مباشرة، وستؤكد لنا هذه الدراسة صحة ما استنتجتُه عن مغرب الشمس ومشرقها، وعن الرحلة إليهما، وكذلك صحة ما فهمته من تراث المصريين، وكل هذا يؤكد صدق القرآن، ويوضح إعجازه.

المبحث الأول: مغرب الشمس ومشرقها عند العراقيين القدماء

تعاقبت في أرض العراق قديما ثلاث حضارات كبرى، نافست في مجدها الحضارة المصرية، وهذه الحضارات هي الحضارة السومرية في جنوب العراق، والحضارة البابلية في وسط العراق، ثم الحضارة الأشورية في شمال العراق، ولقد تركت لنا هذه

الحضارات تراثا هائلا من النصوص، وهي نصوص كتبت بالأحرف المسمارية على ألواح الطين المحروق، ولقد ظلّت قرآءة الحروف المسمارية مجهولة لقرابة ألفي عام حتى استطاع العلماء في نهاية القرن التاسع عشر من أن يفكُّوا شفرة الحروف المسمارية، ومن ثم اطلعت البشرية على تراث قوم عاشوا قبل أربعة آلاف عام، فعلمنا طرفًا من ثقافاتهم وأديانهم وأساطيرهم، وحياتهم الإجتماعية، وآدابهم وتاريخ ملوكهم.

ولقد كان مما تركه لنا العراقيون القدماء كتابات ذكرت مشرق الشمس، ومغربها، ونصوص عن بطل بشري أو إله باطل، أو نصف إله باطل، يقوم برحلة إلى مغرب الشمس ومطلع الشمس، أو يعذّب قوما بإثارة البركان عليهم، مما له علاقة ببحثنا هذا، وهو ما سوف نستعرض جانبا منه في الصفحات الآتية إن شاء الله تعالى.

ونلاحظ بشكل عام أن اهتمام العراقيين ببلاد مغرب الشمس وبلاد مطلع الشمس وما يتعلق بهما، أقل من اهتمام المصريين بكثير، وأن النصوص التي وصلتنا تتحدث عنهما أقل، وربما ذلك لأن ذي القرنين كان مصريا وكان هو ورحلته حول العالم هما محور الديانة المصرية القديمة، وأن الأمر لم يكن كذلك في ديانة العراقيين القدماء.

أولا: جبلي مشرق الشمس ومغرب الشمس والعين:

ذكرت بعض النصوص النادرة عقيدة جغرافية هامة عند العراقيين القدماء، وهي أن الشمس تشرق من جبل في أقصى شرق العالم، وأن هذا الجبل يسمى جبل النبع، أو جبل عين الماء، يقول النص:

- إله الشمس عندما تشرق من الجبل العظيم.
- عندما تُشرق من الجبل العظيم، جبل النبع.
- عندما تُشرق من (دوكو) الموضع الذي تُحدد فيه الأقدار.

- عندما تُشرق عند الموضع الذي تلتقي السماء فيه بالأرض في الأفق[92].

ففي النص يُذكر أن الشمس تشرق من جبل، وأن هذا الجبل هو جبل النبع، أي الجبل الذي به نبع ماء أو عين ماء، وهذا يشبه كثيرا النصوص المصرية خاصة نصوص الأهرام التي اهتمت كثيرا ببحيرة المشرق التي يستحم بها رع قبل أن يشرق، والتي توصلتُ إلى أنها تقع في جبل (الأَخِت) الشرقي.
ولا يتوقف الأمر على هذا بل هناك أيضا جبل في مغرب الشمس تغرب الشمس فيه، يقول نص يمجد الإله الباطل (إنليل):
- الرب حتى أطراف السماوات، الرب حتى أطراف الأرض، من جبل مشرق الشمس، إلى جبل مغرب الشمس.
- في الأرض لا يوجد رب غيرك، أنت تمارس ربوبيتك[93].

وفي نص نادر مكتوب باللغتين السومرية والأكادية، نجد أن النص السومري يذكر (الجبال الداكنة)، ويترجمها النص الأكادي إلى: (جبال مغرب الشمس)[94].

ثانيا: نصوص الطوفان وملحمة (جلجامش):
حفظت لنا الألواح الفخارية ذكرى طوفان نوح عليه السلام، فلقد عثر العلماء على ألواح سومرية وبابلية تحكي ما بقي في ذاكرة البشر عن حادثة الطوفان العظيم، ونجاة رجل ومن معه بسفينة صنعها بنفسه قبل حدوث الطوفان.

---

[92] - Mesopotamian Cosmic Geography Wayne Horowitz ص 331.
[93] - نفس المصدر السابق ص331.
[94]- نفس المصدر السابق ص332.

ويبدو أن قصة الطوفان قد تعرضت للتحريف بفعل طول الأمد، فنجد أن كهنة الديانة الوثنية ينسبون إحداث الطوفان لمجمع آلهتهم الباطلة بقيادة (إنليل)، كما نجدهم يجعلون (إنليل) هذا يُكافيء صاحب السفينة في نهاية الأسطورة بإسكانه في أرض مشرق الشمس، وإعطائه الخلود.

ونعلم من النص السومري، والنص البابلي لقصة الطوفان، أن (دلمن) هي أرض مشرق الشمس، وأنها أطلق عليها أرض العبور، وأن بها فم الأنهار، وأنها بعيدة، وأنها صارت مقرا للبشريّ صاحب السفينة الذي نجا من الطوفان، وذلك مكافأة له على إنقاذه لجنس البشر من الفناء.

وربما نلمح في هذا تأثرا بالمصريين القدماء، فإعطاء الخلود، والإقامة في مشرق الشمس، هو عقيدة مصرية مستقرة قبل كتابة النص السومري الأقدم بمئات أو آلاف السنين.

وفي ملحمة (جلجامش) نجد أن مؤلف أومؤلفي الملحمة، قد أدخلوا رواية الطوفان القديمة في الملحمة، بعد أن جمعوا أساطير مروية حول الملك السومري (جلجامش)، وصاغوها جميعا في سياق قصة واحدة.



الشكل رقم (73) طبعة حديثة لخاتم اسطواني يرجع للقرن السابع قبل الميلاد يصور مشهد من مشاهد ملحمة جلجامش، عندما ذبح جلجامش وأنكيدو سويا ثور السماء.

فلقد جعلوا (جلجامش) بعد أن يموت صديقه يجزع أشد الجزع، ويهيم في الأرض على وجهه مصدوما بحقيقة الموت، ثم يقرر الذهاب إلى الشخص الوحيد الذي مُنح الخلود، وهو صاحب السفينة الناجي من الطوفان، ويشرح لنا الكهنة بالتفصيل كيف وصل (جلجامش) إلى أرض مشرق الشمس، كما يشرحون كيف عاد (جلجامش) إلى العراق.

ويفاجؤنا أن الطريق إلى مشرق الشمس (دلمن) يشبه إلى حد التطابق طريق الموتى المصريين إلى مشرق الشمس (سخت عارو)، مما يدل على أن واضعو الملحمة استلهموا من النصوص المصرية، حيث أن النصوص المصرية أقدم، وأوفر، وأكثر تنوعا، فقد كانت هذه عقيدة المصريين حول كل ملك متوفَّى.

فـ(جلجامش) يبدأ رحلته بالوصول إلى جبل عظيم، وهو جبل (ماشو)، والذي قال عنه النص أنه يحرس إشراق الشمس وغروبها، وهناك وبعد جدال مع الحرّاس يسمحون له بالمرور

فتُفتح بوابة في الجبل، ويدلف (جلجامش) في نفق مظلم أُطلق عليه طريق الشمس، ويسير (جلجامش) اثنتي عشرة ساعة في الظلام حتى يصل إلى نهاية النفق، وهناك يخرج إلى النور، فيجد نفسه في حديقة عجيبة أشجارها من الحجر الكريم، ويجد (شَمِيش) -وهو إله الشمس الباطل- هناك، حيث يحاول (شميش) أن يثنيه عن طلب الخلود.

ولكن (جلجامش) يستمر في رحلته حتى يصل إلى شاطىء بحر عظيم، حيث تقيم (سيدوري) ساقية حان الآلهة الباطلة، وتحاول (سيدوري) أن تثني جلجامش عن اجتياز البحر، وتخبره أنه لايستطيع اجتياز البحر سوى (شَمِيش)، ولكن (جلجامش) يصمم على عبور البحر ليصل إلى صاحب السفينة، فلا تجد (سيدوري) بُدا من أن تدله على ملَّاح الناجي من الطوفان، الذي يأخذ (جلجامش) في قاربه، ويعبران البحر، حتى يصلان إلى جزيرة (دلمن) مشرق الشمس.

ففكرة الجبل الذي "يحرس إشراق الشمس وغروبها" تكاد تكون فهما خطأ لنصوص الأهرام، ففي نصوص الأهرام لم تُذكر كلمة (الأَخِت) إلا مفردة، كما لم يوصف (الأَخِت) بشرقي وغربي، مما قد يُفهم منه - خطأ- أن هناك جبل واحد (أخت واحد) تشرق الشمس منه وتغرب فيه.

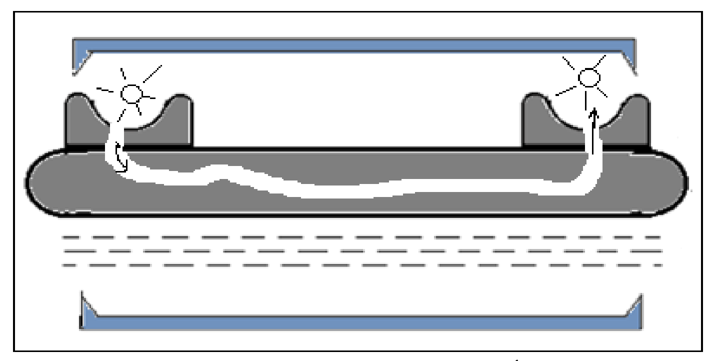
كما أن كلمة (ماشو) —وهي اسم الجبل- تعني التوأمين باللغة الأكادية، وهي إحدى اللغات العربية القديمة، مما يشير إلى نفس الفكرة وهو الاعتقاد بوجود جبلين متشابهين أحدهما في مشرق الشمس، والآخر في مغرب الشمس، وهي فكرة قريبة من تسمية الجبلين بالقرنين.

أما البوابة التي في الجبل، والتي يدخل فيها (جلجامش) ليسير في طريق الشمس، فهي فكرة قديمة واسعة الانتشارعند المصريين القدماء.



الشكل رقم (74) المتوفى المصري يدلف من باب (الأَخِت) الغربي متتبعا إلهه الباطل رع.

أما مرور (جلجامش) في نفق مظلم اثني عشرة ساعة ليصل إلى النور، وتسمية النفق بطريق الشمس، فإن ذلك مطابق لأحد تصورات المصريين القدماء عن رحلة الشمس أو رحلة (رع) ومعه المتوفى في العالم السفلي، ففي هذا التصور عندما يدخل المتوفى في الجبل الغربي متتبعا أو مرافقا لإله الشمس الباطل (رع)، فإنه يمر في مجموعة من الأنفاق، أو الكهوف المتصلة، والتي قسمها كهنة طيبة إلى اثني عشر قسما على عدد ساعات الليل، ومن أهم مميزات هذه الأنفاق الظلام الدامس.



الشكل رقم (75) أحد تصورات المصريين القدماء للطريق من المغرب إلى المشرق، وهو مطابق لفكرة ملحمة جلجامش.

ووجدنا أنه لما خرج (جلجامش) إلى نهاية النفق وخرج إلى النور، فإنه وجد نفسه في حديقة أشجارها من الأحجار الكريمة، ووجد (شَمِيش) إله الشمس الباطل هناك، وهذا أيضا مطابق لبعض ما جاء في النصوص المصرية، فعندما يصل المتوفى إلى نهاية العالم السفلي فإنه يخرج إلى النور أو إلى النهار، حتى أن عنوان كتاب الموتى هو "الخروج إلى النهار".

ومما فهمتُه من النصوص أن المتوفى عندما يصل إلى مشرق الشمس، فإنه يصل إلى جنة الخلد أو (سخت عارو)، وهناك نص في نصوص الأهرام يتحدث عن مقابلة المتوفى (لرع) إله الشمس الباطل في مشرق الشمس، يقول النص:

- إن (الملك) يطهر نفسه في حقل عارو.
- إن (الملك) يكسو نفسه في حقل خبري.
- إن (الملك) يجد رع هناك.

ولكننا نجد أن واضعي الملحمة لا يذكرون أن (جلجامش) وصل إلى مشرق الشمس بوصوله إلى تلك الجنة ومقابلة (شميش)، بل يجعلونه يسير بعد ذلك حتى صل إلى ساحل بحر،

فيقابل هناك ساقية حان الآلهة الباطلة التي يطلق عليها النص اسم (سيدوري)، والتي تخبره بصعوبة عبور البحر لأنه لا يعبره إلا (شميش) إله الشمس الباطل، ولكن (جلجامش) يُصِرّ على عبور البحر، ثم يعبر البحر ليصل إلى (دلمن) مشرق الشمس.

وهذا الجزء الأخير من رحلة (جلجامش) يشبه النصوص المصرية الأقدم، فالمتوفى في نصوص الأهرام عندما يصل إلى أقصى غرب العالم، فإنه يصل إلى ساحل البحر العظيم الذي يفصل بين المغرب والمشرق، والذي يعبره إله الشمس الباطل (رع) أثناء الليل، وهناك يقابل إلهة باطلة تطلق عليها النصوص (أَمِنْت) أي الغرب، وهي تشخيص لأرض مغرب الشمس، حيث تعطيه الطعام والشراب، وذلك قبل أن يبحر في البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، وهكذا فإن (سيدوري) تشبه (أَمِنْت) المصرية إلى حد بعيد.

وبعبور البحر الذي لا يعبره إلا إله الشمس الباطل (شميش) وصل جلجامش إلى مشرق الشمس (دلمن)، وهذا مشابه لعبور المتوفى المصري البحر الذي لا يعبره إلا (رع) إله الشمس الباطل، ووصوله إلى مشرق الشمس (سخت عارو).

أما عن طريقة عبور البحر فنجد أن الذي يُقِل (جلجامش) هو (معداوي) تابع لصاحب السفينة، وهذا يشابه انتقال المتوفى المصري في قارب (المعداوي) الذي تطلق عليه النصوص "معداوي الممر المائي الملتف".

وتفسيري لهذا الخلط أنه كان هناك في الأصل روايتان لوصول (جلجامش) لمشرق الشمس، الأولى يصل فيها (جلجامش) إلى المشرق عن طريق الأنفاق، وهي فكرة مشابهة للفكرة التي نجدها في كتب العالم السفلي عند كهنة طيبة، والرواية الأخرى تحكي وصول (جلجامش) إلى مشرق الشمس عن طريق عبور البحر الذي لا يعبره إلا إله الشمس الباطل، وهذه الفكرة

مطابقة لفكرة كهنة (هليوبلس) التي دونوها في نصوص الأهرام، وهي الفكرة الأقدم والأقرب إلى الحقيقة الجغرافية.

ولقد أراد الكتبة العراقيين في مرحلة من مراحل تطوير نص الملحمة إدماج الروايتين في رواية واحدة، فجعلوا القصتين مرحلتين في رحلة جلجامش إلى مشرق الشمس، فجاءت رواية رحلة (جلجامش) كما وصلتنا.

أما أسباب وجود تصورين لطريق المتوفى الشمس طريق الكهوف أو الأنفاق، وطريق البحر، فيرجع لأن المصريين اعتقدوا أن الشمس تدخل في الجبل الغربي وقت الغروب، وتشرق من الجبل الشرقي، فاستنتجوا أنها بين الجبلين تسير في كهوف أو سراديب.

ويبدو أنهم كان لديهم اعتقاد بأن هناك سماء في العالم السفلي، وأنها مقلوبة، وأن هناك في العالم السفلي بحرا عظيما يفصل بين المغرب والمشرق، وهو الاعتقاد الذي يوافق الحقيقة العلمية.

أما عن أوجه الإختلاف بين الملحمة العراقية، والعقائد المصرية حول الرحلة إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرقها، فمن أهمها أن كتبة الملحمة يجعلون (جلجامش) يقوم بالرحلة في حياته، بينما الرحلة عند المصريين هي رحلة لأرواح الموتى.

غير أننا نجد أن هناك نصا عجيبا في ملحمة (جلجامش)، فعندما يصل (جلجامش) إلى نهاية النفق المظلم، ويخرج إلى النور فيجد نفسه في حديقة (شَمِيش)، ويخبره (شميش) بأن الخلود من نصيب الآلهة، وليس للبشر إلا الفناء، نجد (جلجامش) يرد عليه قائلا:

10 – أبعد جري البراري، وتطوافي.
11 – أسند رأسي في باطن الثرى.
12 – أنام السنين الآتية؟
13- دع عيني تصافحان الشمس، أشبع من نورها.
14 – فالظلمة تتراجع عندما ينتشر الضياء.

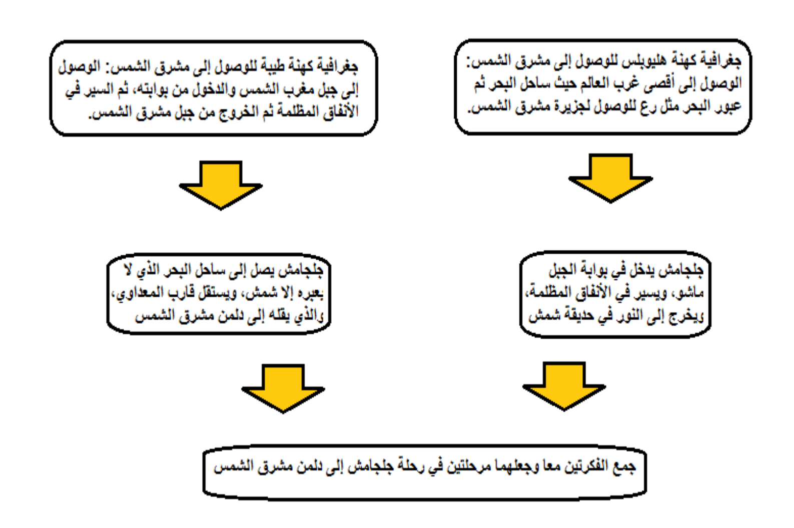
15 – دع من **مات موتا** لينظر إلى أشعة الشمس[95].

وقد لفت السطر الأخير انتباه الدارسين، فهو يدل على أن (جلجامش) يقوم بالرحلة وهو **ميت**، وهو ما يخالف سياق الملحمة.

وأرى أن تفسير ذلك هو أن الملحمة قد مرت بأطوار، وأرى أن في بعض الأطوار الأولى للملحمة كان (جلجامش) يسافر في الأنفاق وهو مَيِّت، مثلُه في ذلك مثل الملك المصري في عقيدة المصريين، حتى يصل إلى حديقة إله الشمس في أقصى شرق العالم، حيث يقابل إله الشمس الباطل هناك، ويبدو أن كتبة الملحمة أثناء تطوير النص اضطروا إلى تغيير حالة (جلجامش) أثناء الرحلة من الموت للحياة لمراعاة الحبكة الدرامية، وبقي هذا السطر يدل على الفكرة القديمة.

---

[95] - فراس السواح جلجامش ص 199- 200 الكسرة مي Me والتي تنتمي إلى إحدى نسخ النص البابلي القديم.



شكل رقم (76) يصور تطور رحلة جلجامش إلى مشرق الشمس من مصادرها المصرية.

ومن الملفت للنظر في الملحمة أن الكتبة يجعلون (جلجامش)، في نهاية الملحمة يعود من مشرق الشمس إلى العراق، ونجد أن طريق العودة هو طريق بحري يقطعه (جلجامش) بالقارب، وهو طريق مختلف عن طريق الذهاب، فلا يمر (جلجامش) بالبحر العظيم الذي عبره من قبل، ولايمر على (سيدوري)، فكأن الكتبة في مرحلة معينة من تاريخ كتابة النص كانوا على وعي بأن (جلجامش) دار حول العالم، وأنه وصل إلى مشرق الشمس ليس عن طريق الإبحار مباشرة إلى المشرق، وإنما عن طريق الذهاب إلى المغرب ثم عبور البحر السفلي إلى المشرق.

وهكذا يمكننا القول أن رحلة (جلجامش) إلى مشرق الشمس هي أسطورة مقتبسة من عقائد المصريين القدماء حول رحلة الموتى إلى مشرق الشمس، كما يمكننا القول بأن رحلة (جلجامش) تؤكد لنا صحة فهمنا لعقائد المصريين القدماء حول هذه الرحلة

الأسطورية، وحول منطقة مغرب الشمس، ومنطقة مشرق الشمس، وكذلك حول البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، وموقع (سخت عارو)، أوجنّة المصريين القدماء.

ثالثا: مغرب الشمس ومشرقها في النصوص المتعلقة بـ (أنْكي):

(أنْكي) Enki هو أحد أهم الآلهة الباطلة التي عبدها العراقيون القدماء، وبينما أطلق عليه السومريون (أنْكي)، فلقد أطلق عليه البابليون والأشوريون اسم (إيا)Ea, ولقد اعتبره العراقيون القدماء ربا باطلا لـ(أبسو)، والذي هو بحر الماء العذب الذي يقع أسفل الأرض، كما اعتبر الكهنة (أنكي) ربا الحكمة، والمهن، والزراعة، وصديقا للبشر، ومن أهم ما نسبوه إليه من أساطير، أنه هو الإله الباطل الذي أنقذ البشرية من الفناء في كارثة الطوفان العظيم.

وأرى أن (أنْكي) هذا هو أحد الشخصيات المستمدة من شخصية ذي القرنين، كما سأوضح بإذن الله في الصفحات القادمة.

(أ) **نص "أنْكي وتنظيم العالم":**

هذا النص هو من أهم النصوص التي وصلتنا عن (أنْكي)، وهو في نفس الوقت من أهم النصوص التي نجد فيها ملامح من شخصية ذي القرنين، وقصته المذكورة في القرآن الكريم، ففي هذا النص يحكي الكهنة لنا كيف أن (أنْكي) يبحر بقاربه إلى بلاد (ملوحا)، وعندما يصل إلى هناك يباركها، ثم يغادرها مبحرا حتى يصل إلى (دلمن) مشرق الشمس، وهناك ينظف التربة ويطهرها ويعين فيها بساتين النخيل، ثم يغادرها مبحرا على متن قاربه، ليصل بحرا إلى بلاد العراق لينشر بها الزراعة.

وفي هذا النص نجد أن واضع النص يعرِّف (ملوحا) بأنها الجبل الداكن، فما هو الجبل الداكن؟ في نص عن الشياطين السبعة مكتوب باللغة السومرية ومترجم باللغة الأكادية، يقول الكاتب السومري:"إنهم سبعة شياطين ولدوا في الجبال الداكنة"، ويترجم الكاتب الأكادي "الجبال الداكنة" إلى: "جبل مغرب الشمس"[96]، وعلى هذا قد تكون (ملوحا) بلاد الجبل الداكن هي بلاد مغرب الشمس.

وبهذا نكون إزاء نص فريد من نوعه؛ إنه نص يحكي لنا قصة شخصية تقوم برحلة بحرية إلى بلاد مغرب الشمس بواسطة القارب، ثم تبحر مرة أخرى بالقارب لتصل إلى (دلمن) بلاد مشرق الشمس، ثم تبحر مرة ثالثة بالقارب لتصل إلى بلاد العراق، وهذا المسار مطابق لمسار رحلة ذي القرنين كما فهمتُه، كما أن طريقة القيام بالرحلة وهي الإبحار بالقارب، تتفق تماما مع ما توصلتُ إليه عند تحليلي الجغرافي لقصة ذي القرنين في القرآن الكريم.



الشكل رقم (77) منظر يصور (أنْكي) في قاربه، ويلاحظ أن له قرنان إثنان.

96- Mesopotamian Cosmic Geography, Wayne Horowitz, page 331.

بجوار النص السابق فلقد وصلنا خاتم إسطواني آخر يطلق عليه العلماء خاتم (أدّا) ADDA, ويصور النقش الذي عليه لحظة وصول (أنْكي) لجبل مغرب الشمس وقت غروب الشمس فيه, أو جبل مشرق الشمس وقت إشراق الشمس، مما يؤكد لنا وجود عقيدة عند العراقيين القدماء بوصول (أنْكي) لبلاد مغرب الشمس أو بلاد مشرق الشمس[97].

وهناك خاتم إسطواني آخر عثر عليه الأثريون في العراق، يصور لنا النقش الذي عليه لحظة وصول (أنْكي) في قاربه إلى بلاد مشرق الشمس، مما يؤكد لنا اعتقاد العراقيين القدماء بأن (أنْكي) أبحر في قاربه حتى وصل بلاد مشرق الشمس.

---

[97] - يرى بعض الدارسين أن (أوتو) في هذا الخاتم يخرج من الجبل، وأن المقصود أنه يشرق، غير أننا نلاحظ بوضوح أن (أوتو) يدير وجهه بعيدا عن (أنْكي) مما يشير إلى أنه في حالة الغروب، كما لأننا لا نراه يخطو خارجا كما صوّر في حالة إشراقه في خاتم آخر.



الشكل رقم (78) جزء من خاتم (أدا) يصوّر (أنْكي) بشكله المميز والنهران ينبعان من كتفيه كما اعتاد العراقيون أن يصوروه في أقصى اليمين، ونراه يضع أحد قدميه فوق ما يشبه الجبل بشكل استعراضي يشبه أبطال تسلق الجبال في لقطاتهم التاريخية، ونرى أن بقمة الجبل ما يشبه الحوض أو العين، ونرى إله الشمس الباطل (أوتو) يهبط في هذه العين التي في قمة الجبل، أما الشخصية الأنثوية التي نراها تقف على الجبل فهي على ما يبدو تمثل (عشتار) ربة كوكب الزهرة الباطلة تهم بالغروب عقب الشمس كما يحدث في بعض شهور السنة.



الشكل رقم (79) خاتم إسطواني يصور (أنْكي) أقصى اليمين يجلس في قاربه تحيطه المياه، وهو يرسو على ساحل (دلمن) مشرق الشمس، تلك البلاد التي

يخرج فيها (أوتو) من الأرض في أقصى يسار الصورة، أما الشخصية الإلهية الباطلة التي تخرج أمام الشمس وتظهر في وسط الخاتم فهي في الغالب تمثل كوكب الصبح (الزهرة) الذي يشرق قبل الشمس في بعض شهور العام.

(ب)ـ نص "أنْكي وإحياء بلاد دلمن":

في هذا النص يعمد الكهنة إلى إسلوب قصصي جنسي لإيصال معتقداتهم وأساطيرهم، ونستطيع أن نفهم من النص أن (أنْكي) ذهب إلى بلاد (دلمن)، وأنه هناك تسبب في توفير المياه اللازمة للري، ونظم الري، وزرعت المحاصيل الوفيرة وتزايد عدد السكان، كما نفهم من النص أيضا أن (أنْكي) أنتج في (دلمن) الخضروات والنباتات ذات الألياف، وغيرها. كما أننا في سياق النص نجد عبارات بالغة الأهمية يقول النص:

153 مرة أخرى عمد (أنْكي) إلى توفير الماء.
154 ملأ بالماء المجاري.
155 ملأ بالماء الحفر.
156 ملأ بالماء الأرض المَوات.
157 امتلأ قلب البستاني فرحا [...].
158 فضمَّ (أنْكي) بين ذراعيه قائلا:
159 "من تكون إذن؟ أنت الذي رويت بُستاني؟"[98].

ففي هذه العبارات يظهر لأول مرة شخصية البستاني، أو الزارع، الذي يزرع حدائق (دلمن)، وهو على مايبدو ما بَقِي في ذاكرة العراقيين القدماء عن سكان مشرق الشمس من الزُرَّاع، وفي النص يفرح البستاني بـ(أنْكي) لأنه وفر له ماء الري ويسأله من يكون، وهذا يعني أنه لايعرف (أنْكي)، وأن (أنْكي) إنسان، وأنه غريب عن بلاد (دلمن)، وأنه قَدِم إلى (دلمن) حيث علم أهلها الزراعة والري.

---

[98]- ديوان الأساطيرالكتاب الأول قاسم الشواف - صفحة 33.

إن هذا التركيز على الزراعة التي تقوم في بلاد مشرق الشمس تذكرنا بنفس التيمة الأسطورية التي نجدها عند المصريين القدماء في كتاباتهم الجنائزية حول حقل (عارو)، الذي توصلت إلى أنه يقع في مشرق الشمس.

وهذا عجيب أن يذكر القدماء في الألف الثالثة قبل الميلاد في كل من مصر والعراق أحاديث عن زراعة، وحقول، وزرّاع في بلاد مشرق الشمس، ثم لا نكتشف وجود القوم وحقولهم وزراعاتهم إلا منذ ثمانين عاما فقط، ثم يأتي العلماء في السنين الأخيرة فيفجرون مفاجأة عظيمة؛ وهي أن سكان مرتفعات غينيا الجديدة البدائيين يزرعون حقولهم منذ سبعة آلاف عام، أو يزيد.

إن هذا يؤكد لنا أن (دلمن) هي نفسها (سخت عارو)، وأنهما ليسا إلا جزيرة (غينيا) الجديدة ومرتفعاتها، وهو تأكيد لما توصلت إليه، والحمد لله رب العالمين.

رابعا: (نينورتا) وتعذيب سكان الجبل

وصلنا نص من العراقيين القدماء أُطلق عليه "(نينورتا) والجبل"، ويحكي النص في بدايته قصة تمرد على الآلهة يعلنه الجبلُ، وشعبٌ يسكن هذا الجبل على ما يبدو، وتطلب الآلهة الباطلة من (نينورتا) - وهو أحد الآلهة الباطلة وابن (إنليل)- أن يذهب إلى الجبل وأن يُخمد الثورة، ويذهب (نينورتا) حاملا سلاحه (شارور) الذي يفكر ويتكلّم, ويستطيع بعد صراع طويل مع الجبل، ووحش (الأساكو)، الذي يسكن داخل الجبل، أن ينتصر، ثم يتجه (نينورتا) بعد ذلك إلى الاهتمام بأعمال الزراعة ومشاريع الري، ثم يقوم (نينورتا) بتصنيف الأحجار إلى فريقين فريق كان معه، وفريق كان ضده أثناء القتال، ويصف مصير كل نوع واستخداماته.

ويرى الباحثون أن النص يحمل ذكرى بعض الانهيارات الجبلية على بعض القرى، وأن الأسطورة حولت هذه الانهيارات إلى تمرد للجبل، وعداوة من شعب الحجارة.

ولكنني أرى أن هذا النص يحمل ذكرى تعذيب (نينورتا) لقوم هم على ما يبدو قوم يسكنون بلاد مغرب الشمس، بجوار جبل مغرب الشمس، وذلك بسبب تمردهم على الآلهة، وأرى أن التعذيب كان بإثارة بركان عليهم، فرغم التحريف والأخطاء والمبالغات، فهناك ملامح لاتخطئها العين لتعذيب قوم باستخدام البركان الثائر، والعجيب أن هذه الملامح تأتينا من العراق، وهو بلد بعيد عن البراكين النشطة.

والآن سأبدأ تحليل النص:

(أ)

طريقة التعذيب هي تعذيب بإثارة البركان:

يقول النص عندما يصف هجوم (نينوورتا) على المنطقة المتمردة:

80- بينما كانت هراوته تجابه أعداءه.
81- وعندما قبض على الإعصار والعاصفة.
82- كلفهما بإحداث الجائحة.
83- وتلك كانت بضخامتها التي لاتقاوم
تستفحل في مقدمة البطل.
84- تحرك غبار الأرض وتعيده إليها.
85- كانت تملأ التجاويف وتسوي كل شيء.
86- كانت تمطر جمرا، وتلهب البرق
لتلتهم البشر بكل نار.
87- كانت تقتلع أعلى الجذوع وتكتسح الغابات.
88- والأرض كانت تُبقر أحشاؤها
وتطلق صراخا حادا،
89- ونهر دجلة كان يدوم هائجا

موحِلا نَتِنًا.

90- ...

91- وكان الناس في ذعرهم يصطدمون بالجدران.

92- ومهما كانت الطيور تحاول الإندفاع،
فإن أجنحتها كانت تنجر إلى الأرض.

93- والأسماك إذ أحرقتها حرارة غمرها
كانت تتلقف الهواء بأفواهها.

94- وتحولت دواب السهوب إلى حطب للحرق،
وتحمصت كأنها الجراد.

95- كان ذلك كفيض مكتسح
يبيد الجبل.

96- في تلك المنطقة الثائرة، كان (نينورتا)
مجليّا في ردِه.

97- قتل رسلها، ودمَّر مدنها.

98- قضى على رُعاة أبقارها مثل فراشات تتطاير،

99- أوثق أيدي الثائرين كما تعصب حزم الأسل

100- إلى حد جعلهم مرعوبين يصدمون
بالجدران رؤوسهم.

101 - لم يعد هناك في الجبل أي بصيص نور.

102- حيث كانت الأعناق تشرئب والناس يلهثون.

103- وكان المريضون يشدون بسواعدهم على صدورهم.

104- وهم يلعنون بلدهم.

105- ويلعنون يوم نحس، اليوم
الذي رأى ولادة الأساكو.

106- سكب الإله السم على المنطقة الثائرة[99].

وفي موضع آخر يقول النص:

---

[99]- ديوان الأساطير كتاب الأساطير قاسم الشواف صفحة 61،62

165- وعندما وضع البطل هراوته في مكانها.
166- غادرت الشمس موضعها وانسحب القمر.
167- عمَّ السواد وصار اليوم مظلما كالقار
فيما كان (نينورتا) يتقدم نحو الجبل.

إن الإعصار والعاصفة إذا جُمعا مع إمطار الجمر والفحم، والنار الملتهبة، فإننا نفكر في إنفجار بركاني، كما نفكر في تلك العاصفة البركانية التي تسمى (البيروكلاستيك)، وهي عبارة عن غازات وصخور تتحرك بسرعة 700 كم في الساعة، وتهبط على سفح الجبل البركاني، وتتجاوز حرارتها الألف درجة مئوية، وهي تحرق كل الأحياء في طريقها فهي تحرق البشر، والغابات وتقتلع الأشجار.

وفي الإنفجارات البركانية وخصوصا قبلها قد يحدث ما يسميه علماء البراكين (لاهار)، وهو فيض من الماء والطين يهبط من قمة البركان، وخصوصا من الأنهار التي تسيل من الجبل البركاني، وأرى أن ذكر واضع النص نهر دجلة بالتحديد هو نوع من التحريف، أما المقصود فهو أن النهر الذي يقع في مكان التعذيب عند سفح الجبل البركاني، قد فاض بالماء الساخن الموحل المنتن.



الشكل رقم (80) لاهار طيني لبركان (سانت هلينز) 1982.

أما اصطدام الناس بالجدران الذي يذكره النص فينبئنا أن انفجار البركان أحدث فزعا عظيما، وأنه تسبب في إظلام المنطقة المعذبة بسبب الدخان والأبخرة، وهو ماتؤكده بعض العبارات الأخرى.

ويُفهم من النص أن غازات وأبخرة الدخان قد سمَّمَت الطيور في السماء، وأن فيضانات الماء الساخن قتلت الأسماك في الأنهار، أما احتراق الدواب فإنه من آثار عاصفة (البيروكلاستيك).

أما قول النص:

- لم يعد هناك بصيص من نور
- حيث كانت الأعناق تشرئب والناس يلهثون
- وكان المريضون يحتضنون أنفسهم

فأرى فيه صورة واضحة لاختناق الناس بالرماد والأبخرة البركانية، فالعلامة المميزة للمختنقين هي أنهم يحيطون أعناقهم بكلتا يديهم.



الشكل رقم (81) وضع من يشعر بالاختناق، وكأنه يحتضن نفسه.

كما أن ذِكر سَكْب السُّم على المنطقة الثائرة يؤكد أن الوصف هو وصف لبركان ثائر.

هجوم (شارور) على المتمردين:

شارور هو سلاح (نينورتا)، ولقد تخيل واضعو النص أنه سلاح حَيّ ذكي، يخاطب صاحبه (نينورتا) ويُشير عليه، وحتى عندما يهاجم (شارور) المنطقة المتمردة، فإننا نلمح نفس الصورة، وهي صورة بركان ثائر.

253- وبعد نفخ شارور الرياح حتى السماء
قام بتشتيت السكان.
254- ومزقهم مثل وحش جائع.
255- واكتسح بسمه المدن جمعاء.
256- ومطرقته – الكسارة أشعلت النيران في الجبل.
257- وسلاحه ذو الأسنان العديمة الشفقة

سحقت الجماجم.
258- ومصدمته باقرة الأحشاء كزت أسنانها.
259- وعندما غرس في الأرض رمحه.
260- امتلأت بالدم شقوق الأرض
فلعقته الكلاب كما يلعق الحليب.
261- وصرخ الأعداء المضطربون.
في النساء والأطفال:
262- "ألم تلتمسوا رحمة الإله نينورتا"
263- ورغم أن السلاح – السحري
حاول تغطية الجبل بالغبار
فلا شيء كان يزعزع قلب الأساكو[100].

فالسم والنيران، وشقوق الأرض التي امتلأت بالدماء، والتي أرى أنها في الأصل الصهارة البركانية الحمراء أو(اللافا)، والتي يشبهها الكاتب بالدم، وكذلك الغبار الذي يغطي الجبل، والذي أرى أنه الرماد البركاني المتساقط، كل هذا يشير إلى بركان نشط ثائر.

وحش (الأساكو):

يزعم واضعو النص أن الجبل الثائر كان بداخله وحش يسمونه (الأساكو)، ويزعمون أن (نينورتا) قد تصارع معه وقضى عليه، وأرى أن (الأساكو) هو في الأصل ما يخرج من داخل الجبل من عمود دخان وأبخرة، ولقد تخيل الكهنة العراقيون القدماء أن هذه الغازات هي وحش يخرج من قمة الجبل، ويتحدى (نينورتا)، وأما قَتْل (نينورتا) للوحش (الأساكو) فربما تعبير عن إخماد (نينورتا) لثورة البركان في نهاية المطاف.

167- عند ذلك وعلى جبهة القتال
اندفع الأساكو ضده.

---

[100] - ديوان الأساطير كتاب الأساطير قاسم الشواف صفحة 71،72

168- جارا إليه السماء ليستخدمها
ككتلة سلاح.
170- كان يزحف على الأرض كأنه **ثعبان.**
171- ثم مثل كلب مسعور، كان ينقض.
172- يتقطر العرق من جانبيه.
173- ومثل جدار ينهار، سقط على (نينورتا).
174- مطلقا صراخا أجش،
كما هو الحال في يوم العقاب.
175- ومثل أصلة كان فحيحة يملأ الأرجاء.
176- جعل مياه الجبل تشح
واقتلع منه نبات الطرفاء.
177- ثم مزق جسد الأرض
وغطاه بجروح وحشية.
178- أشعل النار في المقاصب، وإذا بالسماء
يغطيها الدم.
179- اخترق بسهامه الأجساد وشتت السكان:
180- ولم يعد يملأ الحقول غير الرماد الأسود
واحمر الأفق مثل الأرجوان[101].
265- أنت لاتعلم ماذا ينتظرك أيها البطل.
266- لن تستطيع أبدا مهاجمته.
في أعماق قلب الجبل
267- إنه ثقيل كالإعصار
أيها الإله (نينورتا) يا بن إنليل.
268- إنه كورم متقيح وخبيث.
269- بشاعته تضاهي بشاعة البَرَص على الوجه.
270- كلمته مراوغة ولا يطيع (الأوامر) أبدا
هذا الذي يجابهك يكاد يكون إلها.

---

101 - نفس المصدر صفحة 67.

271- إنه **ضبابة (سوداء)** تسقط على الأرض
يغسلها كما يفعل القلوي.
272- إنه يطرد أمامه الخيول الأخادر نحو الجبال.
273 - وبريقه المرعب والخارق
يجعل **الغبار** يدوم.
274- **وتمطر زخات من الشظايا** .
275- إنه في المنطقة المتمردة، أسد
ذو أنياب ضارية، لايمكن لأحد أسره.
276- حتى[...]، إنه أباد كل شيء
بريح – الشمال.
277- كما محق الماشية بواسطة الشيطان ليلو
ونشر على الأرض الجفاف.
278- ودون إمكانية التعويض، أبادت السكان زوبعته.

(فالأساكو) في قلب الجبل، وهذا حال الدخان والأبخرة البركانية، و(الأساكو) هو "ضبابة سوداء" تنزل على الأرض، وهو وصف واضح للأبخرة والرماد البركاني المتصاعد من فوهة البركان، أما بريق (الأساكو) الذي يجعل الغبار يدوم، فربما هو البرق الذي ينتشر في الغبار البركاني، أما إمطار زخات الشظايا أوالخزف، فهو ليس إلا إمطار حجر (البوماس) أوالخفاف، وهو نوع من الأحجار يتميز بخفة الوزن وينشأ عن سرعة تبريد الصهارة البركانية المندفعة من فوهة البركان فتتصلب وبها كثير من التجاويف، وتهبط من السماء على هيئة حجارة خفيفة.

ولقد وُصف (الأساكو) بأنه مثل **الثعبان**، ومثل **الأصلة**، وهذا بالإضافة إلى ما سبق يجعل (الأساكو) هو النظير العراقي للحَيَّة المصرية الضخمة التي نراها في بعض المناظر تنفث النار على أعداء (أُزَيْرِس)، وفي مناظر أخرى نراها ترقد بين شطري جبل (الأَخِت) البركاني الثائر، وفي موضع يقال عنها أنها ترقد فوق قمة جبل (الأَخِت) تتربص بالشمس لتبتلعها، وفي موضع آخر

يقال عنها أنها تتلوى في السماء، وتنفث السم فوق (أَمِنْت) مغرب الشمس.



الشكل رقم (82) انفجار أحد براكين اليابان ويبدو عمود الدخان كثعبان عظيم أو كوحش هائل خرج من قلب الجبل.

ويقول النص:

293- ثم بعد ذلك، وبعد غمر المنطقة
294- بتألقه الشخصي [أي نينورتا]
295- ومثل صانع فخار يكدس فحمه، جعل منه[أي من الأساكو] مخروطا(...)
296- وضغطه كالتربة المدكوكة، وكالطين المهروس (؟)
297- هكذا حقق البطل هدفه.

إن الجبل الذي على شكل مخروط هو الجبل البركاني النشط، وهو تقريبا شكل الجبل الذي نجده في رسوم (الأَخِت)، في كتب العالم السفلي، وكذلك في لوح (نارام سين).

وفي النص أيضا:

325- [...] الإله (نينورتا) هراوته (قائلا):
326- "مثل[...]
327 - من الآن فصاعدا، لن تسمى أساكو بل تسمى "حجرا"
328- حجر سيكون اسمه الشخصي زلاقو

329- حيث يمتد قلبه حتى عمق مملكة العالم السفلي
330- وسوف يكون ذلك بفضل بسالة الإله(؟)" [102]

ربما تكون لكلمة (زلاقو) علاقة بكلمة (زلق) العربية، والتي تعني الأملس، والحجر الذي يتميز بالسطح الناعم هو الناتج الحمم البركانية المتصلبة، كما أن الجبل الذي يمتد قلبه إلى عمق الأرض هو الجبل البركاني.

ورغم هذه الصورة الواضحة لانفجار البركان، فهناك نوع من تحريف المعنى أصاب النص، فالمعنى الرئيس للنص كما هو بين أيدينا يفيد أن الجبل، ووحش (الأساكو)، ومعهم شعب من الحجارة قد تمردوا على الآلهة الباطلة، فقامت الآلهة بإرسال (نينورتا) إلى الجبل ليؤدبهم.

بينما أرى أن الفكرة الأصلية لهذا النص هي أن (نينورتا) قد عذّب سكان الجبل من البشر بسبب تمردهم وكفرهم بالله - وحرفت لاحقا إلى كفرهم بالآلهة- وذلك بإثارة البركان عليهم، ثم بعد أن انتهى من تعذيبهم واعترفوا بخطأهم، وطلبوا الصفح، فإن (نيورتا) قد أخمد ثورة البركان، وهذه النقطة الأخيرة هي التي ركَّز عليها النص، فصوَّر إخماد (نينورتا) للبركان على أنه معركة بين (نينورتا) ووحش (الأساكو)، انتهت بالقضاء على الوحش.

أما فكرة تعذيب البشر من سكان الجبل فقد بقيت أسطر قليلة تدل عليه:

85 - كانت تمطر جمرا، وتلهب البرق
لتلتهم البشر بكل نار.
97- قتل رسلها ودمر مدنها.
98- قضى على رعاة أبقارها مثل فراشات تتطاير.
99- أوثق أيدي الثائرين كما تعصب حزم الأسل.
100- إلى حد جعلهم مرعوبين يصدمون

[102] - نفس المرجع صفحة 76.

بالجدران رؤوسهم.

101 - لم يعد هناك في الجبل أي بصيص نور.

102- حيث كانت الأعناق تشرئب والناس يلهثون.

103- وكان المريضون يشدون بسواعدهم على صدورهم.

104- وهم يلعنون بلدهم.

105- ويلعنون يوم نحس، اليوم
الذي رأى ولادة الأساكو.

106- سكب الإله السم على المنطقة الثائرة[103].

179- اخترق بسهامه الأجساد، وشتت السكان

253- قام بتشتيت السكان.

261- وصرخ الأعداء المضطربون في النساء والأطفال
ألم تلتمسوا رحمة الإله (نينورتا).

305 - جاء آلهة (؟) البلاد للقائه
ومثل خيول أخدرية مرهقة
سقطوا أمام قدميه.

695- الجبل الذي غلبتَه
والذي أبدتَ مُدنه
والذي فقد أمراؤه المتغطرسون أنفاسهم أمامك.

ومن الأسطر السابقة نرى أن البشر من سكان الجبل هم المقصودون من التعذيب، وأن العذاب قد وقع بالفعل عليهم، بل ونرى أنهم استسلموا (لنينورتا) وجاؤوه مذعنين يطلبون العفو.

موقع تعذيب القوم:

لا يبوح لنا النص صراحة بموقع تعذيب (نينورتا) للقوم، غير أن هناك إشارة خافتة إلى أن هذا الحدث العظيم قد حدث عند جبل مغرب الشمس.

300 - وفي الجبل حيث كان النهار ينتهي

---

103 - ديوان الأساطير كتاب الأساطير قاسم الشواف صفحة 61،62.

وقد حيَّت الشمس مودعة[104].

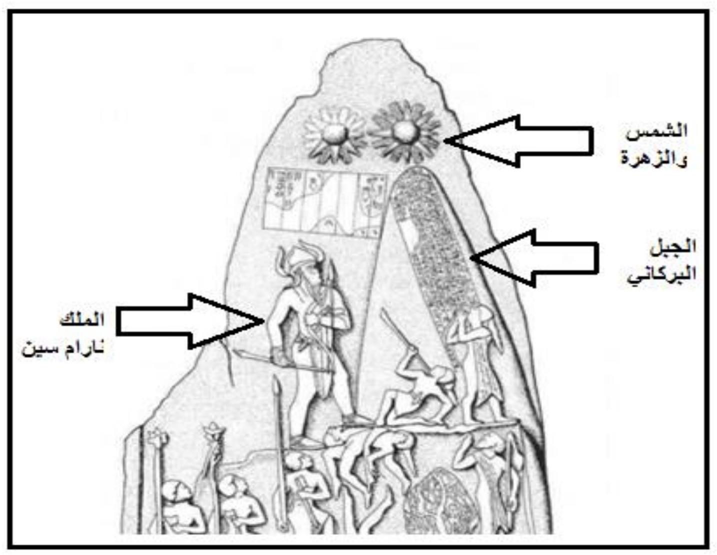
و(أوتو) هو إله الشمس الباطل عند السومريين، وأغلب ظني أن المقصود بأن النهار يتضاءل أو ينتهي في الجبل، أن النهار - ومن ثم الشمس- يدخل في الجبل، وعلى هذا يكون الجبل هو جبل مغرب الشمس.

ربما يدعم هذا الفهم لوحة النصر الخاصة بـ (نارام سين)، وهي لوحة سلمت من التدمير بشكل استثنائي، وتصور الملك (نارام سين) وهو ينتصر على أعدائه ويطأهم بقدمه، كما تصوره وهو يرتدي خوذه يخرج منها قرنان عظيمان، ونرى أن الحدث يحدث عند سفح جبل مخروطي عجيب الشكل، ونرى في اللوحة الشمس ومن ورائها كوكب الزهرة -على الأرجح- يهبطان في قمة الجبل المخروطي.

ورأيي أن الفنان هنا يشبه الملك (نارام سين) بالإله الباطل (نينورتا) في انتصاره على أعدائه، فيصوره بقرنين ربما لأن هذا ما فهمه الكهنة من النص الذي جاء يصف (نينورتا) بأن له قرنان، وهو يصور الجبل المخروطي، الذي جاء في نص (نينورتا)، رغم أنه لا يدري ماهيته، ولايدري أنه جبل بركاني، ويصور الشمس وهي تغرب في قمة الجبل، وهذا يدل أن الجبل هو جبل مغرب الشمس، وأرى أن هذه الجزئية من اللوحة هي معنى العبارة: "وفي الجبل حيث كان النهار ينتهي، وقد حيَّت الشمس مودعة"، وربما اعتمد الفنان على نسخة أخرى لنفس الملحمة بها عبارات أوضح.

---

104 - *Source: Black, J.A., Cunningham, G., Robson, E., and Zólyomi, G., The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature, Oxford 1998-.*



الشكل رقم (83) جزء من لوحة (نارام سين) تُصور الملك يرتدي خوذة بقرنين، وهو يدوس أعدائه عند سفح الجبل المخروطي، والشمس والزهرة يهبطان في قمة الجبل.

سبب تعذيب القوم:

الذي يُفهم من النص أن **التمرد** على الآلهة، وخاصة كبيرهم (إنليل) كان هو السبب في معاقبة القوم من سكان الجبل، وهذا يقترب من سبب تعذيب ذي القرنين لكافري مغرب الشمس، فهو يمثل **"التحريف المتوقع"** لقصة تعذيب ذي القرنين للقوم، فقد جعل الكهنة التعذيب بسبب التمرد على الآلهة الباطلة بدلا من التمرد على الله الواحد القهار، وهو يشبه ما حدث في قصة (أُزَيْرِس) وكفار (أَمِنْت) مغرب الشمس.

ومما يلفت نظرنا في النص العراقي الفكرة التي احتواها هذا السطر:

ـ يا ذا السيادة، يا (نينورتا)، أنت الابن الذي ينشر بعيدا عبادة أبيه.

لقد جعل العراقيون من (نينورتا) ابنا (لإنليل) كبير آلهتهم الباطلة، كما يفهم من نصوص عديدة، أما الجديد في هذا السطر فهو أن (نينورتا) ينشر بعيدا عبادة (إنليل) كبير الآلهة.

فيمكننا أن نفهم أن موضع تعذيب القوم المتمردين كان بعيدا عن العراق، وهذا يقوي قولنا أنه في بلاد مغرب الشمس.

كما أن فكرة نشر عبادة إله معين بعيدا هي فكرة غريبة عن الوثنيين عموما، وغريبة عن النصوص الوثنية، ومنها النصوص العراقية [105].

وأغلب ظني أن هذا السطر هو بقية من الفكرة الأصلية، وهي أن (نينورتا) كان ينشر في بلاد مغرب الشمس عبادة الله الواحد القهار، فلما طال الأمد على العراقيين القدماء، وعبدوا (إنليل) من دون الله، فإنهم حرفوا الفكرة إلى الوجه الذي وصلنا.

تشابه نص (نينورتا) والجبل، مع قصة (أُزَيْرِس) وكفار (أَمِنْت):

بعد قرآئتنا الجديدة لنص (نينورتا) ووحش الأساكو، فإننا نلحظ تشابها كبيرا بين فكرة النص وفكرة تعذيب (أُزَيْرِس) لمتمردي (أَمِنْت).

ففي الحالتين نجد أن البطل يذهب إلى أقصى غرب العالم، عند جبل مغرب الشمس البركاني، وهناك يعذب قوم من المتمردين الكافرين بالآلهة، وذلك بإثارة البركان عليهم، وإصابتهم بالنار، والرماد البركاني، والعاصفة الحارقة، والماء المغلي الموحل، وبعد أن يتوب القوم، يخمد البطل البركان. وهذا التشابه يؤكد صحة تحليلنا للأسطورتين المصرية والعراقية، ويؤكد أن قصة

[105] ـ كان القدماء من الوثنيين يعتقدون أن لكل شعب آلهته الخاصة، وأحيانا لكل مدينة آلهتها الخاصة، وأحيانا لكل شخص إلهه الخاص.

تعذيب قوم مغرب الشمس كانت معروفة ومنتشرة في الزمن القديم.

كما يخبرنا واضعوا ملحمة "نينورتا والجبل"، والمسماة "ملك هو"، مباشرة بعد انتهاء قصة إخضاع وحش (الأساج) ومتمردو الجبل، يخبروننا عن الدور الزراعي (لنينورتا)، ونستطيع أن نفهم أن هذه المشاريع الضخمة التي يقوم بها -أو بالأحرى- يقودها (نينورتا) تقع في نفس المنطقة التي عاقب فيها المتمردين، فالنص ينسب (لنينورتا) القيام بمشاريع ري عملاقة؛ من إقامة لسدود لصد المياه التي كانت تفسد الأرض، وقنوات تربط البحيرات وتجمع مياهها لتصب في النهر، كما أنشأ قنوات لتصريف مياه الفيضان الزائدة.

وهذا يشبه ما قيل عن (أُزَيْرِس) في (أمنت)، من تقسيم الأراضي على المؤمنين من أتباع (أُزَيْرِس).

المبحث الثاني: مغرب الشمس ومشرقها في نصوص اليونانيين القدماء:

تحدثت النصوص اليونانية القديمة عن مغرب الشمس ومشرقها، وكذلك عن رحلات لأبطال أسطوريين، وآلهة باطلة إلى أحد هذين الموضعين، أو إلى كليهما، وإن المرء ليجد تشابها واضحا بين هذه الأفكار اليونانية من جهة، وبين الأفكار المصرية الأقدم من جهة أخرى، وهذا التشابه يؤكد لنا أن اليونانين القدماء استفادوا من تراث المصريين، واستلهموا من ديانتهم وأساطيرهم.

وسوف يفيدنا دراسة هذه النصوص اليونانية، في توضيح وفهم ما غمُض علينا من تراث المصريين القدماء، ذلك الغموض الذي ربما نشأ بسبب قصور الكتابة المصرية القديمة، أوأخطاء الكتبة،

أوسوء فهم بعض الكهنة للنصوص القديمة، أوأخطاء الترجمة التي قمنا بها في العصر الحديث.

أولا: جبل مغرب الشمس عند اليونانيين القدماء:

لانجد عند اليونانيين نصوصا واضحة تشير إلى جبلين عظيمين للدنيا مثلما وجدنا عند المصريين القدماء، وعند العراقيين القدماء[106]، ولكننا نجد ذكرا متكررا لإله باطل على هيئة رجل هائل الحجم يقف منتصبا في أقصى غرب العالم يحمل السماء على كتفيه، يطلق عليه اليونانيون القدماء (أطلس).

ويقول الدارسون أن هذا الإله الباطل (أطلس)، هو تشخيص[107] لجبل عظيم يسمى (أطلس) اعتقد اليونانيون في وجوده في أقصى غرب العالم في مرحلة مبكرة من حضارتهم، فالشاعر اليوناني (هومر)- وهو أقدم الشعراء اليونانيين الذين وصلتنا أشعارهم- عندما يتحدث عن (أطلس) فإنه يخلط بين كونه إلها باطلا على هيئة رجل، وبين كونه جبلا من الجبال[108].

أما الشاعر (هسويد) فيخبرنا أن (أطلس) يقف في نهاية العالم الغربية حيث يقيم الليل، مغلفا بالسحب الداكنة[109]، وهذا يشبه إلى حد بعيد عنوان كتاب "هذا الذي في العالم السفلي" الذي وضعه كهنة طيبة، ففي العنوان الطويل لهذا الكتاب هناك حديث عن جبل مغرب الشمس الذي يوجد عنده الظلام الكثيف.

---

[106] - هناك إشارة ضعيفة إلى أن جبل القوقاز هو الجبل الشرقي وجبل أطلس هو الجبل الغربي.

[107] - أي تحويله لشخص، أو رجل.

[108] - Theio Greek Mytholog
http://www.theoi.com/Titan/TitanAtlas.html y

[109] - نفس المصدر السابق



الشكل رقم (84) أطلس يقف في أقصى غرب العالم وهو يحمل السماء على عاتقه، ويظهر خلفه الثعبان (دراجون).

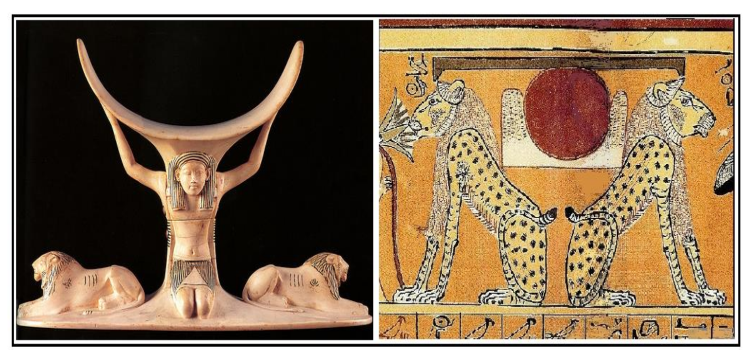
ونجد أن (فاليريس فلاكس) Valerius Flaccus يقول أن الشمس تدخل في جسد (أطلس) عند الغروب[110]، وهذا مطابق لعقيدة المصريين القدماء من أن الشمس عند غروبها تدخل في جبل (الأَخِت) الغربي في بلاد (أَمِنْت) مغرب الشمس.

أما فكرة الإله الباطل/الجبل الذي يحمل السماء، فهي امتداد لاعتقاد المصريين القدماء من أن جبلي (الأَخِت) الغربي والشرقي يحملان السماء، وكل ماحدث أن اليونانيين شخَّصُوا الجبل، فصار الجبل رجلا عملاقا يحمل السماء.

---

110 - نفس المصدر السابق Argonatica 5-408

بل إنني أزعم أن فكرة تشخيص جبل (الأَخِت) على هيئة رجل قد سبق إليها المصريون القدماء، وهو ما نفهمه من القطعة الأثرية الرائعة التي وجدت ضمن كنوز الفرعون توت عنخ آمون، وهي على ما يبدو مسند لرأس الفرعون.



الشكل رقم (85) على اليمين جبل (الأَخِت) يحمل السماء بين الأسدين، على اليسار تشخيص لجبل (الأَخِت).

ومن أهم ما قيل عن (أطلس) - ويهمنا في هذا الموضع من بحثنا هذا- هو ذلك اللقب الذي أطلقه عليه اليونانيين القدماء عليه، وهو (تلمون) Telamon[111]، ويمكننا أن نستنتج أن أصل هذه الكلمة هو (تل أمون)، بمعنى جبل المغرب، فكلمة (تل) في اللغة المصرية القديمة مثلها مثل العربية تعني الجبل، أما (أمون) فهي تعني الغرب أومغرب الشمس، ويبدو أن اليونانيون اقتبسوا هذا اللقب لجبل (أطلس) من المصريين القدماء، إما مباشرة من المصريين أو عن طريق الفينيقيين[112]، وهو الاحتمال الأقرب.

---

111 - نفس المصدر السابق.

112 - عرف العرب القدماء في بلاد الشام إله باطلا أطلقوا عليه بعل حمون، التي ربما تعني بعل مغرب الشمس، والمقصود أن كلمة أمون كانت معروفة عند العرب القدماء.

ونحن إذا دققنا في كلمة (أطلس) نفسها، للفت إنتباهنا جَرْسُها العربي، خصوصا إذا حذفنا حرف السين من نهاية الكلمة، والذي يدل على حالة الرفع في اللغة اليونانية، وعند حذف السين تصير عندها الكلمة (أَطْل)، وهي في هذه الحالة تشبه إلى حد بعيد كلمة (التَّل) العربية كما ننطقها (أتَّل)، فهل كلمة (أطلس) في أصلها هي كلمة (التل) العربية التي تعني الجبل؟ وهل يعني هذا أن اليونانيون القدماء في عصورهم الأقدم أخذوا هذه الكلمة من بعض العرب القدماء مثل الفينيقيين؟ هذا أغلب ظني.

إن إطلاق كلمة (التل) على جبل مغرب الشمس بالذات رغم أن الكلمة تصدق على أي جبل، يشبه ما صنعه المصريين القدماء عندما جعلوا المخصص اللغوي للجبل هو رمز الجبل البركاني ذي الفوهة ، وهو في الأساس جبل مغرب الشمس، الأمر الذي يؤكد لنا أن قصة ذي القرنين وجبل مغرب الشمس كانت شائعة في العالم القديم في العصور التي سبقت عصر الكتابة، لدرجة أن أذهان القدماء كانت تنصرف إلى جبل مغرب الشمس إذا ذُكرت كلمة جبل.

ثانيا: العين الحمئة الحامئة عند اليونانيين القدماء:

من التصورات التي اقتبسها اليونانيون القدماء من المصريين القدماء هو فكرة وجود عين ماء بها مياه حارة موحلة، وفي بعض النسخ تكون هذه العين بالإضافة لما سبق منتنة الرائحة.

بحيرة (فيثون):

روى لنا الكتاب اليونانيون القدماء أسطورة (فيثون)، والخطوط العريضة للأسطورة تقول أن (فيثون) كان ملكا شابا على بلاد قريبة من مصر، وأنه كان ابنا لإله الشمس الباطل (هليوس)، بينما كانت أمه إمرأة من البشر، وأنه سافر إلى مشرق الشمس لمقابلة أبيه لأول مرة في قصره الذي يقع في أقصى شرق

العالم، وهناك اعترف (هليوس) بأبوته له، ووعده بتلبية أي طلب يسأله إياه، ولكن (فيثون) طلب شيئا غريبا، فلقد طلب ركوب عربة الشمس الخاصة بـ(هليوس)، والتي يرتحل فيها طوال النهار في كل يوم من أقصى شرق االعالم إلى أقصى غربه، وحاول الأب أن يرفض، ولكنه في النهاية استجاب لإصرار الإبن، وأعطاه العربة، وانطلق الابن في السماوات بالعربة النارية التي تجرها خيول من نار، ولكن ضعف خبرة (فيثون) في قيادة المركبة فإنه تسبب في إحراق الأرض، وكاد أن يُفسد العالم كله، فاضطر (زيوس) إلى قتله، فضربه بصاعقة من البرق، فسقط (فيثون) من السماء، وغاص في بحيرة عند منبع نهر (إريدون).

ويصف لنا (أبولينيوس) الرودسي[113] Apollonius Rhodius هذه البحيرة التي سقط بها (فيثون) بأنها بحيرة ملتهبة، لا يحاول طائر أن يقطعها إلا ويسقط فيها ميتا، وأنه يخرج من تلك البحيرة رائحة النتن بسبب تعفن جثة (فيثون)، كما يخرج منها بخار حار نتيجة احتراق الجثة، وفوق ذلك فإن (أبولينيوس) قد وصف ماء البحيرة بأنه داكن اللون[114].

والأسطورة بها ملامح مصرية واضحة لا تخطؤها العين، فالملك البشري ابن إله الشمس الباطل من أم بشرية، والرحلة إلى مشرق الشمس، ومقابلة إله الشمس الباطل في مشرق الشمس، والطيران في عربة الشمس كتطوير للإبحار في قارب رع، كل هذه تيمات مصرية واضحة.

أما بالنسبة للبحيرة فهي مأخوذة بصفاتها من بحيرات العالم السفلي عند المصريين القدماء، حتى فكرة وجود جثة (فيثون) في البحيرة هو امتداد لفكرة وجود جثة (أُزَيْرِس) في بحيرة في العالم السفلي، وتفسير النتن الذي يصدر من البحيرة بأنه بسبب جثة

---

113 - وهو كاتب يوناني عاش في الأسكندرية.

114 - http://www.theoi.com/Titan/Phaethon.html

(فيثون)، هو مشابه لفكرة النتن الذي يخرج من جثة (أُزَيْرِس)، والمذكور في كتاب الكهوف.

وفي النهاية فإن بحيرة (فيثون) هي بحيرة حامية حمئة، وهي لاشك منحدرة من أصل مصري، ولكن الدهور الطويلة أنست الكهنة ومن أخذ منهم لماذا كانت العين حمئة وحامية، فذهبوا يعللوا ذلك بعلل خرافية، وهي نتن جثة (أُزَيْرِس) أو (فيثون).

بحيرة (أفرانس):

في جنوب إيطاليا توجد بحيرة تقع في فوهة بركان خامد، هذه البحيرة تسمى (أفرانس)Averanus, واسمها الحديث (أفرنو)Averno, ومعنى اسمها: "بلا طيور"، ويرجع بعض الباحثين سبب هذه التسمية الفريدة إلى أن هذه البحيرة ربما كانت تشهد نشاطا بركانيا في الأزمنة القديمة، وينبعث منها غاز كبريتيد الهيدروجين، ولذلك فلم تكن الطيور تقترب من البحيرة، فأطلق عليها هذا الاسم.

ولقد اعتقد الكتاب اليونانيون والرومانيون القدماء أن هذه البحيرة هي المدخل إلى عالم (هادس)، أو العالم السفلي، وهو عالم الموتى عند اليونانيين القدماء، ويقع تحت الأرض.

لقد كان المصريون يعتقدون بهبوط الشمس عند الغروب في قمة جبل (الأَخِت) البركاني النشط، واعتقدوا أن الشمس أو إله الشمس الباطل (رع) يدلف إلى العالم الآخر عن طريق الدخول في قمة جبل (الأَخِت) الغربي، واعتقد المصريين القدماء في أن الموتى يسافرون مع الشمس أو على نفس طريقها، وأنهم يدخلون إلى العالم الآخر/العالم السفلي عن طريق الدخول في قمة جبل مغرب الشمس، وبالفعل فلقد رسموا رسما يصور هذا المعنى.



الشكل رقم (86) المتوفى يدخل إلى العالم الآخر خلال بوابة بحيرة الفوهة في جبل (الأَخِت) الغربي.

إن اعتقاد اليونانيين والرومان القدماء أن بحيرة بركانية نشطة ينبعث منها رائحة كبريتيد الهيدروجين هي مدخل العالم السفلي يشير إلى أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون -في مرحلة مبكرة من تاريخهم- أن البحيرة الحامية المنتنة تقع في قمة جبل مغرب الشمس، وليس عند سفحه، أو بعيدا عنه.

غير أنه مع طول الدهور وبسبب بُعد مصر عن مناطق النشاط البركاني، استمر المصريون في القول بأن الشمس تهبط في قمة جبل مخروطي الشكل، وتناقلوا صفات للجبل فهمنا منها أن الجبل ذا نشاط بركاني، كما ورثوا عن آبائهم القول بأن هناك بحيرة ذات ماء يغلي منتنة الرائحة تفر منها الطيور، **غير أنهم نسوا أن هذه البحيرة تقع في قمة جبل مغرب الشمس**، ولم يبق من هذا الاعتقاد القديم في المصادر المصرية إلا رسوم متناثرة، مثل شكل رمز جبل (الأَخِت)، ومثل رسم جبل (الأَخِت) على هيئة جبل مشطور إلى نصفين بينهما ماء كما أوضحتُ من قبل.

بحيرة أفلاطون:

ذكر أفلاطون في حواريته الخامسة (فيدو)Phaedo وصفا لعالم ما بعد الموت، وأثناء وصفه للعالم السفلي ذكر أن هناك بحيرة عظيمة ماؤها يغلي بالطين، يقول النص: "والنهر الثالث [بيريفلجثون Pyriphlegethon] يجري خارجا بينهما [نهر أقيانوس ونهر أخرن]، وقريبا من المكان الذي ينبع فيه فإنه يسقط في منطقة شاسعة، تحترق بنيران عظيمة، ويصنع بحيرة أكبر من بحرنا المتوسط، تغلي بالماء والطين، ثم يدور النهر بمائه العكر الموحل، ويأتي إلى بحيرة (أخرن)، ولكنه لايختلط بمائها، ثم بعد أن يدور مرات عديدة تحت الأرض، فإنه يجري إلى (تارتاروس)، عند مستوى منخفض، إن هذا النهر هو الذي يقال له (بيريفلجثن)، وإن تيارات الحمم البركانية التي تنبثق من مناطق عديدة من الأرض، ما هي إلافروع منه"[115].

من الواضح أن أفلاطون في هذا الوصف الخيالي كان متأثرا بالمصريين القدماء، فهو يقتبس من بحيرات الماء المغلي عند المصريين، والجديد أنه ذكر أن **الماء يغلي بالوحل**، وأن لها علاقة بالنشاط البركاني، غير أن بحيرة أفلاطون مصب نهر، وليست نبعًا كما ذكر القرآن، كما أنها بحيرة خرافية المساحة فهي أكبر من البحر المتوسط، كما أنه لم يذكر أن ماء البحيرة منتن.

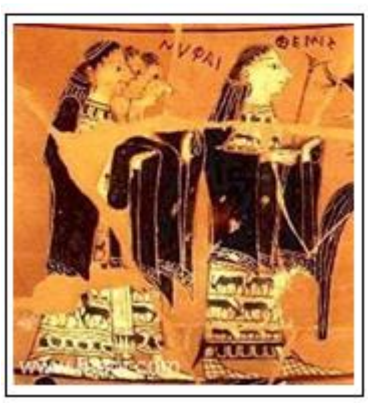
ثالثا: مغرب الشمس عند اليونانيين القدماء

كان عند اليونانين القدماء عدة تصورات لمغرب الشمس، أو أقصى العالم من جهة الغرب، وسوف أبحث في الصفحات القادمة في أهم هذه التصورات ونحاول تحليلها، وتوضيح علاقتها بتصورات المصريين القدماء.

115- PHaedo paras 600-624 Plato

(أ) (هسبريا) مغرب الشمس:

(هسبريا) في الأساطير اليونانية أرض أسطورية، تقع في أقصى غرب العالم، وبها (أطلس) ذلك الإله الباطل الذي يحمل السماء، وبجوار (أطلس) توجد حديقة (الهسبريدات)، وهن ثلاثة حوريات يُقِمن في (هسبريا)، وحديقتهن العجيبة تثمر تفاحات ذهبية، ويحرس الحديقة التنين (دراكون)، كما أن (هسبريا) هي موطن الليل[116].



الشكل رقم (87) (الهسبريدات) حوريات (هسبريا) الثلاث.

يقول (هسيود): "(الهسبريدات) اللاتي يحرسن التفاحات الذهبية وأشجار الفاكهة، وراء الأقيانوس المجيد"[117]، ويقول (هسيود) أيضا: "إن (الجورجونات) اللتي يقمن وراء الأقيانوس

---

[116] - الشاعر (هسيود)
http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html

[117] - *Hesiod, Theogony 215 ff (trans. Evelyn-White)* http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html

المجيد في جبهة الأرض جهة الليل، حيث يوجد (الهسبريدات) ذوات الصوت العذب"[118].

ويقول في موضع آخر:" ...التنين (دراكون) المروع الذي يحرس التفاحات التي من الذهب في الأماكن السرية للأرض المظلمة عند حدودها العظيمة"[119]، ويقول أيضا: "إن (أطلس) مُكرَهًا يحمل السماء العريضة برأسه العارية وذراعيه، واقفا عند حدود الأرض أمام الهسبريدات ذوات الصوت النقي"[120].

كما يقول أيضا: "هناك [عند نهايات الأرض] يقف البيت المظلم المريع لـ (نيكس) [الليل]، محاطا بالسحب الداكنة، أمام هذا البيت يقف ابن (أيابتوس) [أطلس] بلا حراك حاملا السماء فوق رأسه وبيديه العاريتين"[121].

لم تصرح النصوص اليونانية أن (هسبريا) هي مغرب الشمس، ولكننا نستطيع أن نفهم هذا بسهولة من العديد من النصوص، ومن أهمها نصوص (هسيود).

كما يمكننا أن نلاحظ التشابه الكبير بين (هسبريا) اليونانية من جهة، و(أَمِنْت) المصرية من جهة أخرى، فـ(هسبريا) تقع في أقصى غرب العالم مثل (أَمِنْت)، وكلمة (هسبريا) نفسها تعني الغرب أو الليل، وهي في هذا تشبه كلمة (أَمِنْت) التي تعني الغرب، وفي (هسبريا) يقف (أطلس) الإله/الجبل وهذا يشبه وجود

---

118 - http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html *Hesiod, Theogony 270 ff*

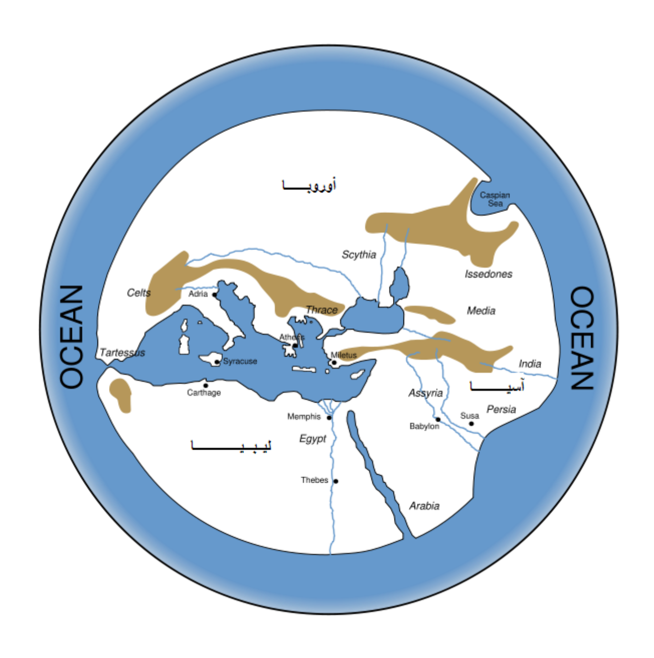
119 - http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html *Hesiod, Theogony 333 ff :*

120 - *Hesiod,* http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html *Theogony 517 ff :*

121 - *Hesiod,* http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html *Theogony 744 ff :*

جبل (الأَخِت) الغربي في (أَمِنْت)[122]، كما أن (هسبريا) تقع عند حدود الظلام, مثلها في ذلك مثل (أَمِنْت).

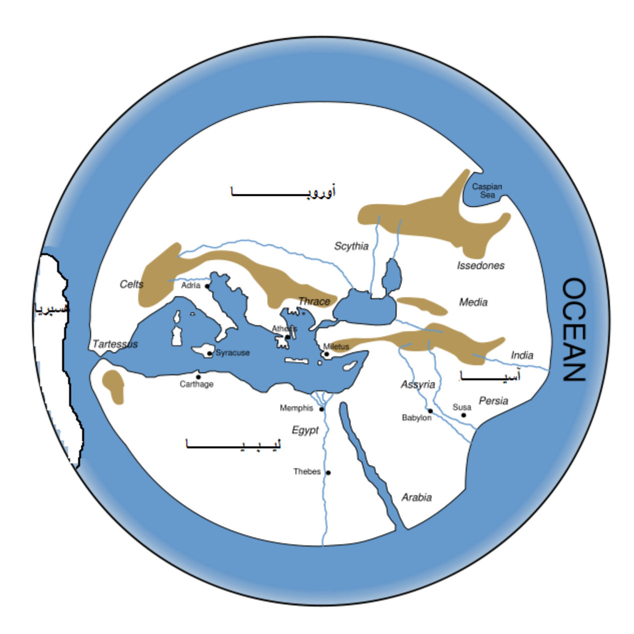
وإذا حاولنا أن نرسم خريطة توضح موقع (هسبريا) في تصور (هسيود) لها، فإننا يمكننا الاستعانة بخريطة هيكاتيس Hecataeus of Miletus المتوفى عام 476 قبل الميلاد وسنضع (هسبريا) غربا وراء الأقيانوس، عند حافة العالم.



الشكل رقم (88) خريطة العالم المرسومة حسب وصف هيكاتيس Hecataeus of Miletus المتوفى عام 476 قبل الميلاد، ويظهر فيها البحر المحيط أوقيانوس، وهو يحيط بدائرة الأرض.

---

122 - وقد تحدثت عن أن أطلس هو النسخة اليونانية لجبل (الأَخِت) الغربي.

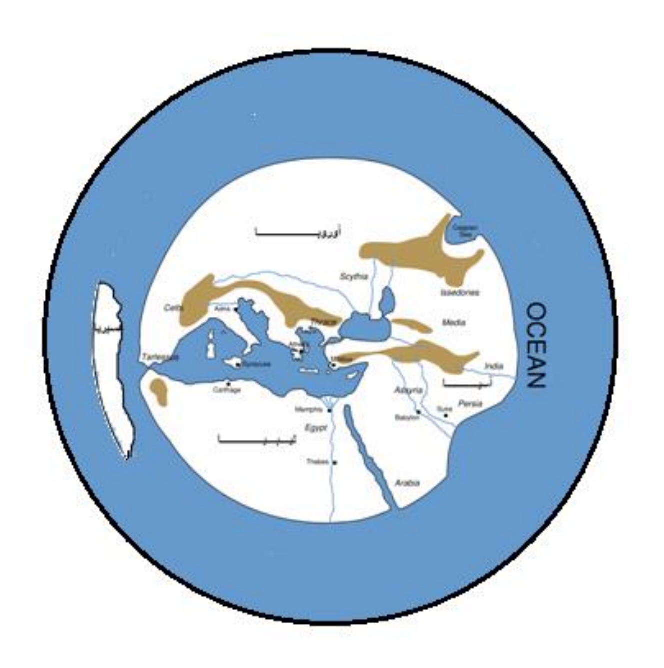


الشكل رقم (89) نفس الخريطة السابقة مضافة إليها (هسبريا) حسب وصف (هسيود)، وموضعها عند حافة الأرض الغربية وراء البحر المحيط أوقيانوس.

ولكن يبدو أن فكرة وجود (هسبريا) عند حافة العالم الغربية لم يتبناها باقي اليونانيين القدماء، فنحن نجد ستيسيكورس Stesichorus الذي عاش على مايبدو في القرن السادس أو السابع قبل الميلاد يقول: "جزيرة الآلهة الجميلة، حيث الهسبريدات لديهن بيوت من الذهب الخالص"[123]. ومعنى أن تكون (هسبريا) جزيرة، أن يكون وراءها بحر، والسؤال إذا كان البحر الذي قبلها هو أقيانوس، فأي البحار يقع بعدها؟

---

[123] - *Stesichorus, Geryoneis Frag S8 (from Oxyrhynchus Papyrus 2617) (trans. Campbell, Vol. Greek Lyric III)* http://www.theoi.com/Titan/Hesperides.html



الشكل رقم (90) نفس الخريطة السابقة بعد إضافة (هسبريا) كجزيرة إلى خريطة العالم حسب نص (ستيسيكورس).

البحر الذي بين (هسبريا) والمشرق:

يقول (ممنرمس)[124] Mimnermus: "إن سريرا جميلا مجوفا مصنوعا بأيدي (هفاستيوس) من الذهب النفيس وله جناحان، إن هذا السرير يحمله [أي يحمل هليوس إله الشمس الباطل] بينما ينام، ويعلو غطيطه، فوق أمواج سطح الماء، من موضع (الهسبريدات) إلى أرض الإثيوبيين، حيث تقف عربته

[124] شاعر يوناني قديم عاش في القرن السابع قبل الميلاد.

وخيله السريعة حتى تأتي (أَيْرِس) [إلهة الفجر] التي تولد مبكرا، هناك ابن هيبريون [هليوس] يستقل مركبته الأخرى"[125].

في هذا النص الهام يخبرنا (ممنرمس) أن (هليوس) ينتقل أثناء الليل من (هسبريا) إلى إثيوبيا، حيث يشرق في الصباح[126]، ومن المستقر عند اليونانيين أن إثيوبيا هي أرض مشرق الشمس، وبالتالي يمكننا أن نستنتج من هذا النص أن (هسبريا) هي أرض مغرب الشمس.

كما أن الجديد الذي يضيفه هذا النص أنه بين البلدين (هسبريا) وإثيوبيا بحر، فحَسَب (ممنرمس) فإن (هليوس) ينام على سرير ذهبي له أجنحة عائم على سطح الماء وينتقل به السرير فوق الماء من مغرب الشمس (هسبريا) إلى مشرق الشمس إثيوبيا.

إن العبارة السابقة لـ(ممنرمس) تؤكد لنا أن (هسبريا) هي مغرب الشمس، كما تؤكد لنا أنها جزء من الأمريكتين، لأن الأمريكتين هي الأرض اليابسة التي تقع في الغرب، وبينها وبين مشرق الشمس بحر عظيم.

ولكن كيف علم (ممنرمس) بهذه الحقيقة رغم أنه من قوم يؤمنون بأن الأرض مسطحة محاطة ببحر على هيئة الحلقة يطلقون عليه (أقيانوس)؟

يزول بعض العجب إذا علمنا أن (ممنرمس) ينقل هذا المفهوم عن المصريين، فوجود بحر بين مغرب الشمس ومشرق الشمس يعبره إله الشمس في كل ليله لهو عقيدة راسخة عند المصريين

---

[125] -

http://www.theoi.com/Olympios/HephaistosWorks.html
Mimnermus, Fragment 12 (trans. Gerber, Vol. Greek Elegiac) (Greek elegy C7th B.C.) :

[126] - كان اليونانيون القدماء يعتقدون أن إله الشمس الباطل يشرق في الصباح بأن يستقل عربته النارية التي تجرها الخيول النارية ويصعد به في السماء

القدماء نراها واضحة جلية في نصوص الأهرام التي نقشت على الحجر في نصوص الأهرام قبل (ممنرمس) بألفي عام.

كما أن نص ممنرمس يحمل دلائل كثيرة تدل على أن فكرته منقولة من الأفكار المصرية، فكهنة (هليوبلس) يذكرون في نصوص الأهرم أن قارب (رع) من ذهب، وأن (رع) ينام في قاربه أثناء الليل عند انتقاله من المغرب إلى المشرق، والذي فعله (ممنرمس)، أو من أخذ عنه (ممنرمس) هو أَغْرَقَة[127] للفكرة الأسطورية المصرية، فقارب (رع) الذهبي تحول عند اليونانيين إلى سرير ذهبي عائم، وقارب (رع) الذي يتحرك به في سماء النهار عند المصريين صار عربة تجرها الخيول النارية.

ولكن أهم ما يؤكده لنا هذا النص هو صحة ما فهمناه من النصوص المصرية وهو أن هناك وراء المحيط الأطلنطي أرضا يابسة أو جزيرة كبيرة، وأن هذه الجزيرة هي مغرب الشمس، وأن بين بلاد مغرب الشمس ومشرق الشمس بحر لُجِّي، وهو يقع أسفل منطقتنا، وتقطعه الشمس عندما يكون الليل يغطي منطقتنا، وهو ما يطابق ما اكتشفه البشر منذ خمسمائة عام فقط.

الشمس تعبر (أقيانوس) أثناء الليل:

ولكن (ممنرمس) في الفقرة السابقة لم يخبرنا ماهو البحر الذي يعبره (هليوس) الشمس أثناء الليل. ويأتينا الرد في بعض الفقرات المنسوبة لكل من (ستيسيكورس) Stesichorus, و(أسكيلاس) Aeschylus، يقول أحد الدارسين عن (ستسيكورس): "يقول ستيسكورس أن هليوس أبحر عبر الأقيانوس في كأس"[128]، بينما يقول (أسكيلاس): "هناك في الغرب يوجد وعاء صنعه

127- أي جعلها إغريقية أي يونانية.

128 - *Stesichorus, Fragment S17 (from Athenaeus, Scholars at Dinner)*
http://www.theoi.com/Kosmos/Okeanos.html

هفاستوس، إنه وعاء مولاك [هليوس]، والذي يعبر به التيار المائي العظيم الذي يحيط بالأرض [أقيانوس]"[129].

ويفهم من النصين السابقين ومن بعض النصوص الأحدث أن (هليوس) - أوالشمس- يعبر الأقيانوس أثناء الليل، بغض النظر عن وسيلة العبور، وكلمة العبور تعني قطع أقيانوس من إحدى الضفتين إلى الضفة المقابلة، وليس الابحار معه حول دائرة الأرض.

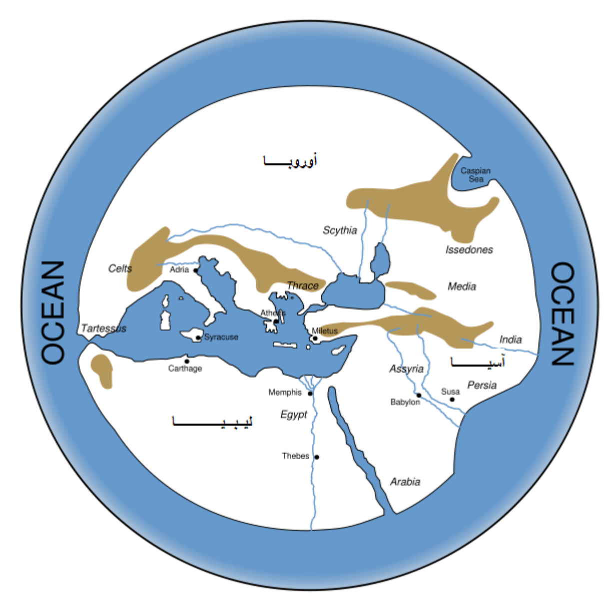
عودة إلى نصوص (هسيود) حول (هسبريا):

أخبرنا (هسيود) أن (هسبريا) تقع وراء أقيانوس، ولكن قرأنا لآخرين ما يؤكد أن أقيانوس هو البحر الذي يفصل بين (هسبريا) وبين مشرق الشمس، وهو بذلك يكون البحر الذي يقع وراء (هسبريا)، فما سبب هذا الإخِتلاف، وما حل هذه المعضلة؟

أرى أن (هسيود) قد أخطأ عندما قال أن (هسبريا) تقع وراء الأقيانوس، ويبدو أنه كان يقصد أن (هسبريا) تقع وراء الأطلنطي، والذي يبدو أنه اعتبر الأطلنطي هو الجزء الغربي من الأقيانوس تماما مثل الجغرافيين اليونانيين الأوائل، والذين عدوا المحيط الأطلنطي هو القسم الغربي من الأقيانوس.

---

129 - *Aeschylus, Fragment 33 Heliades (from Athenaeus, Deipnosophists 11. 39. 469F) (trans. Weir Smyth) http://www.theoi.com/Kosmos/Okeanos.html*



الشكل رقم (91) خريطة العالم المرسومة حسب وصف (هيكاتيس) Hecataeus of Miletus المتوفى عام 476 قبل الميلاد،ويبدو فيها الأطلنطي يمثل القسم الغربي من الأقيانوس.

مقارنة بين (هسبريا) والأمريكتين:

إذا حاولنا الآن إجراء مقارنة بين (هسبريا) والأمريكتين للاحظنا وجود أوجه كثيرة للشبه، (فهسبريا) جزيرة تقع وراء الأطلنطي، وكذلك الأمريكتين فهما جزيرة كبيرة تقع وراء الأطلنطي، و(هسبريا) تقع في نهاية العالم وتعتبر مغرب الشمس، وكذلك الحال بالنسبة للأمركتين، ويفصل (هسبريا) عن مشرق الشمس بحر عظيم، وهو بحر العالم السفلي بمعنى أنه يقع أسفل منطقتنا، وكذلك الأمريكيتين يفصلهما عن جزيرة غينيا الجديدة مشرق الشمس بحر عظيم وهو المحيط الهادي، وهذا المحيط يقع أسفل منطقتنا.

وهكذا تكون (هسبريا) هي الأمريكتان، أو جزء منهما، ولقد توصلتُ إلى أن (هسبريا) هي النسخة اليونانية، من (أَمِنْت)، وتوصلتُ في الفصل الثاني إلى أن (أَمِنْت) تشبه إلى حد بعيد منطقة الأنديز في أمريكا الجنوبية، وهذا يدعم بعضه بعضا.

أصل فكرة دائرة الأرض والبحر المحيط (أقيانوس):

ظهرت فكرة البحر المحيط أوقيانوس أول ما ظهرت عند (هومر) أقدم الشعراء اليونانيين المعروفين الذين وصلتنا أعمالهم، واعتبره اليونانيين بحر أو نهر على هيئة حلقة تحيط بقرص الأرض الذي يعتبرونها مسطحة، وقالوا أن مائه عذب، وأنه مصدر المياه العذبة في جميع الأنهار والينابيع، والآبار.

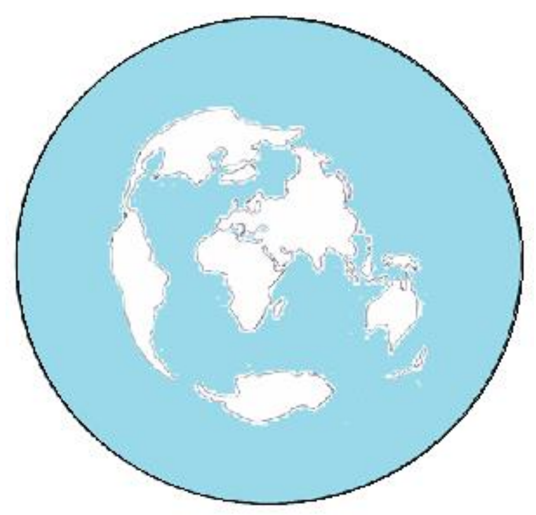
والباحثون المعاصرون يقولون أن هذا النهر أو البحر خرافي تماما، حتى أن (هيرودوت) كان متشككا في وجوده.

ولقد توصلت في هذا البحث إلى أن البحر يفصل بين مغرب الشمس ومشرق الشمس هو المحيط الهادي، وقلت أن هناك من الكتاب اليونانيين القدماء من قال أن هذا البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق هو الأقيانوس، فهل يكون الأقيانوس هو المحيط الهادي؟

في خريطة العالم التي تتخذ من مكة المكرمة مركزا للإسقاط [130] نلاحظ أن القارات تشكل معا شكل القرص، والمحيط الهادي يشكل ما يشبه الحلقة من الماء الذي يحيط بهذا القرص.

---

[130] - سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم، مكتبة المنار الإسلامي، الطبعة الثانية سنة 2000.

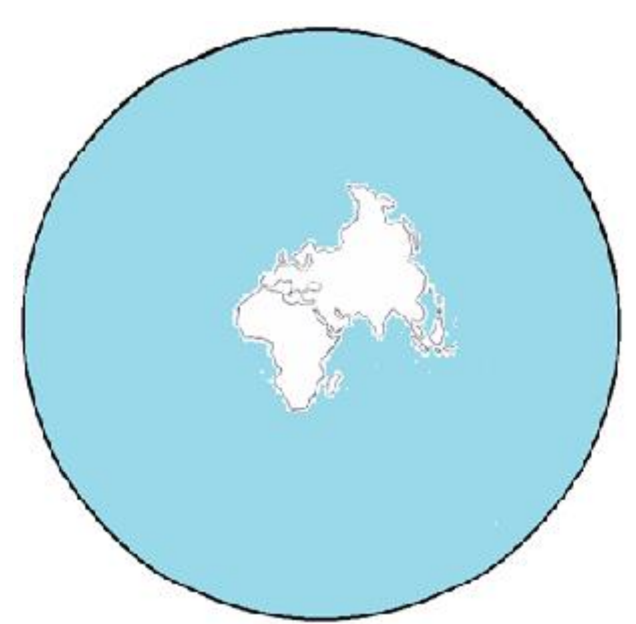


الشكل رقم (92) خريطة العالم عندما نجعل مكة مركز الإسقاط.



الشكل رقم (93) القارات تنتظم على هيئة القرص تقريبا، يحيط بها المحيط الهادي الذي يبدو على هيئة الحلقة تقريبا، ويحيط بقرص اليابسة، مما يجعله هو أصل فكرة البحر المحيط.

والعجيب أننا لودققنا في الخريطة فسنجد العالم القديم أو القارات الثلاث أوروبا وإفريقيا وآسيا لا تأخذ معا شكل القرص، والمياه التي حول هذه القارات الثلاث لا تأخذ شكل الحلقة، كما أن الذي يبحر في المحيط الأطلنطي متجها إلى الغرب فإنه لن يصل إلى جزيرة غينيا الجيدة وذلك لأن الأمريكتين تعترض طريقه، بينما إذا أضفنا القارات المكتشفة الأمريكتين وأستراليا والمتجمدة الجنوبية فإن القارات ستأخذ شكل القرص كما أن الذي يسافر منطلقا من ساحل الأمريكتين الغربي متجها إلى الغرب فيعبر المحيط الهادي سيصل إلى مشرق الشمس.



الشكل رقم (94) لعالم القديم: آسيا، وأوروبا، وإفريقيا معا لا تصنع شكل القرص، عند جعل مركز الإسقاط هو مكة المكرمة.

والسؤال هل هذه مصادفة؟ وإذا لم تكن مصادفة كيف علم اليونانيون القدماء هذه الحقائق الجغرافية قبل اكتشاف القارات والمحيط الهادي بآلاف السنين؟ إن خريطة العالم التي تجعل مكة المكرمة، أو منطقتنا عموما مركز الإسقاط، والتي تبدو فيها الأرض على هيئة القرص، ويبدو فيها المحيط الهادي والذي يفصل بين المغرب والمشرق يبدو مثل الحلقة حول قرص اليابسة هو ما حاول الجغرافيون اليونانيون ومن قبلهم من جغرافيين مصريين وعراقيين أن يرسموه، وأرى أنهم خلطوا بين حقيقة كرية الأرض، وبين شكل خريطة الأرض التي تبدو فيه الأرض على هيئة القرص المسطح، والمحيط الهادي محيط بها كالحلقة.

وأرى أن ذا القرنين كان نبيا وبجوار رحلته إلى المشرق والمغرب فإنه أخبر قومه المصريين بهذه الحقائق الجغرافية التي علمها له الله، وهي أن الأرض في حقيقتها على هيئة الكرة، وأن الذي يعبر البحر الذي يقع بعد أقصى الأرض يصل إلى مشرق الشمس، وفي نفس الوقت فإن هذا البحر يحيط باليابس من كل اتجاه على هيئة الحلقة التي تحيط بالقرص، وذلك إذا رسمنا اليابس والماء على سطح مسطح مستو جاعلين منطقتنا هي مركز الاسقاط.

ولكن تطاولت الدهور على المصريين وفقدوا خبرائهم وربانيهم المهرة، وضاع منهم العلم، فظنوا أن شكل خريطة العالم وهي قرص يابسة محاط ببحر محيط، ظنوا أن هذا الشكل هو شكل العالم الحقيقي، ولم يبق معهم من الحقائق الجغرافية إلا نصوص يتناقلونها لايفقهون معناها، وأخذ عنهم اليونانيين هذه المقولات المتناثرة، ورددوها في كتاباتهم وأشعارهم، وهم أيضا لا يفقهون معناها.

(ب) مملكة (هادس) أو مملكة الموتى:

اعتقد اليونانيون القدماء أن أرواح الموتى تذهب إلى مملكة (هادس) - وهي كلمة تعني الخفي- التي هي مملكة الموتى، حيث تعيش هناك، ولقد ذكر (هسيود) أن هذه المملكة تقع في أقصى غرب العالم، عند التقاء السماء بالأرض قريبا من (أطلس)، بينما جعلها الكتاب اليونانيون اللاحقون تقع تحت الأرض أو في العالم السفلي.

ونلاحظ توازيا لافتا للنظر بين (هادس) وبين (أَمِنْت)، فالكلمتان تعنيان الخفي، وهما مملكتان يذهب إليهما الموتى، وفي أول الأمر كانت (أَمِنْت) تقع في أقصى غرب العالم ويدل على ذلك المعنى الحرفي لاسمها (أَمِنْت = الغرب)، غير أن كهنة طيبة في الدولة الحديثة نقلوا (أَمِنْت) إلى العالم السفلي، وكذلك نجد أن (هسيود) وضع مملكة (هادس) في أقصى غرب العالم عند جبل (أطلس)، ثم جاء الكتاب اليونانيون بعده فنقلوها إلى العالم السفلي.

ومما يؤكد أن مملكة (هادس) مستوحاة من (أَمِنْت) هو أن اليونانيون جعلوا في (هادس) نهر من نار يجري، وهو مأخوذ من بحيرات (أَمِنْت) النارية.

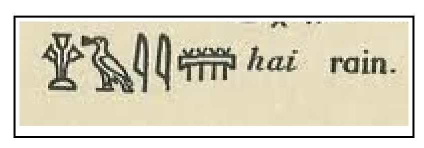
إن تشابه (هادس) مع (أَمِنْت) يؤكد لنا صحة ما فهمناه عن (أَمِنْت)، من أنها تعني مغرب الشمس، كما يؤكد أن اليونانيون كانوا يستلهمون كثيرا من المصريين.

(جـ) (الأنديز) في الأساطير اليونانية:

من أشهر أساطير اليونانيين القدماء أساطيرهم حول (التيتان)، و(التيتان) هي آلهة باطلة تميزت بالقدم، وأنها كانت أبناء وبنات لـ(أورانوس) إله السماء الباطل، (وجيا) إلهة الأرض الباطلة، كما تميزت بضخامة الحجم.

ورغم تعدد التصورات عن (التيتان) فهناك تصور يقول أن آلهة (التيتان) الأربعة (هيبريون) Hyperion، و(أيابتوس) Iapetos، و(كويوس) Koios، و(كريوس) Krios تمثل أعمدة العالم الأربعة التي تحمل السماء، فـ(هيبريون) في الغرب، و(أيابتوس) في الشرق، و(كويوس) في الشمال، و(كريوس) في الشرق[131].

ولا نكون مخطئين إذا قلنا أن فكرة الأعمدة الأربعة للسماء هي فكرة مصرية قديمة، تظهر في أحد الرموز الهيروغليفية، وهو المخصص اللغوي لكلمة مطر، وتمثل سماء ساقطة يحملها أربعة أعمدة، وهي نفسها الفكرة التي تحدثت عنها أحد التراتيل المنقوشة في نصوص الأهرام عن القرون الأربعة، حيث أن هناك قرن في كل جهة من جهات العالم، والقرون الأربعة هي جبال أربعة تخيل المصري أنها تحمل السماء[132].



الشكل رقم (95) كلمة مطر الفرعونية وآخرها الرمز المخصص على هيئة سماء على أربعة أعمدة، وهي هابطة قليلا.

وعلى هذا تكون آلهة (التيتان) الأربعة هي في أصلها أربعة جبال، يقع كل واحد منها في أحد أطراف العالم الأربعة، و تخيل اليونانيون القدماء أنها تحمل السماء، وأنها أعمدة السماء.

أما الغريب فهو أننا نجد (ستيفانوس) البيزنطي Stephanus of Byzantium، وهو الجغرافي البيزنطي

---

131 - الموسوعة Theoi.

132 - أطلق كتاب هذا الذي في العالم السفلي اسم قرن (أَمِنْت) على أخت (أَمِنْت) جبل مغرب الشمس

الذي عاش في أوائل القرن السادس بعد الميلاد، يسمِّي أحد (التيتان): (أنديز)Andes, وهو في هذا ينقل عن بعض المصادر اليونانية التي لم تصلنا كما يبدو[133]، ونجد الموسوعة (ثيوي) Theoi تقول أن (أنديز) هو اسم بديل لأحد (التيتان)، وأنه في الأغلب (هيبرون)[134].

وهذا يعني أننا الآن أمام فكرة يونانية قديمة, وهي أن الجبل العظيم الذي يقع في أقصى غرب العالم، أو جبل مغرب الشمس يسمى (أنديز)، وهذا عجيب للغاية؛ لأننا أثبتنا أن مغرب الشمس هي منطقة الأنديز الاستوائي، فكيف توصل اليونانيون إلى هذا الاسم الصحيح قبل حوالي ألف سنة من اكتشاف أمريكا الجنوبية و(الأنديز)؟

لا يُفسر ذلك إلا أنهم سافروا إلى هناك، أونقلوا عن أناس كانوا يسافرون إلى هناك، مثل المصريين، أو الفينيقيين تلامذة المصريين.

(ء) أطلانطس: المعضلة والحل:

أطلانطس هي جزيرة أسطورية ذُكرت أول ما ذُكرت في كتابات الفيلسوف اليوناني المعروف أفلاطون Plato، وبالتحديد في حواريتيه (تيمايس) Timaeus، و(كريتياس) Critias، ولقد وصفها أفلاطون بأنها جزيرة كانت أكبر من آسيا وليبيا، وأنها كانت تقع في المحيط الأطلنطي قبالة مضيق جبل طارق، وأن الجزيرة قد غرقت واختفت تحت سطح الماء.

ولقد اختلف الكتاب اليونانيون القدماء في حقيقة هذه الجزيرة فذهب بعضهم إلى أنها كانت موجودة فعلا، وأن أفلاطون كان يحكي قصة حقيقية، وذهب آخرون إلى أن القصة كلها قصة خيالية، وليس لها نصيب من الصحة.

133- http://www.theoi.com/Titan/Titanes.html

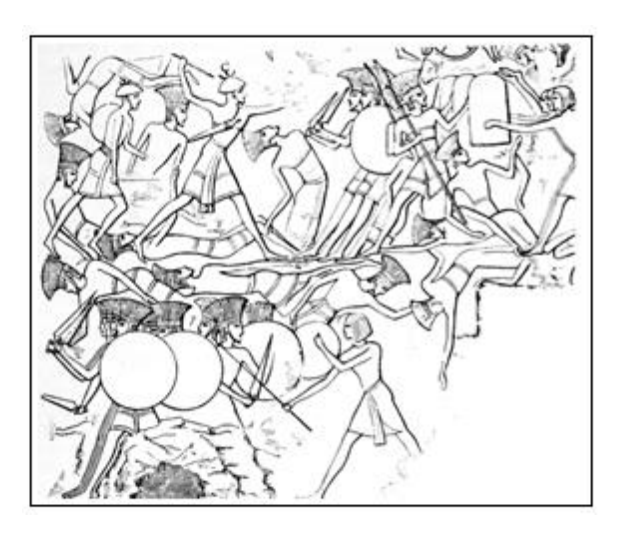
134- http://www.theoi.com/Titan/Titanes.html

وفي العصر الحديث تنامى الاهتمام بأسطورة أطلانطس، خصوصا بعد ظهور كتاب "أطلانطس عالم ماقبل الطوفان" لعضو الكونجرس الأمريكي (دونلي) Donnelly، في القرن التاسع عشر، والذي أدى لإحياء الاهتمام بهذه الأسطورة، وظهور آراء كثيرة في تفسير نص أفلاطون، ونظريات كثيرة في تحديد موقع الجزيرة.

والباحثون المعاصرون منقسمون حيال أطلانطس فهناك فريق كبير منهم يرى أن أطلانطس لم تكن إلا خيالا محضا، وأن أفلاطون أراد أن يبث أفكاره السياسية فاختار لها هذا الإطار، وهناك فريق آخر يرى أن أطلانطس كانت حقيقة يوما ما وإن اختلفوا في تحديد موقع الجزيرة.

بينما ترى مجموعة من الباحثين المعاصرين أن أطلانطس كانت جزيرة صغيرة من جزر البحر المتوسط، أو قريبة من البحر المتوسط، وربما يدلل بعضهم على ذلك بدليل من النص، حيث أن أفلاطون يدعي أن سكان أطلانطس هاجموا سواحل البحر المتوسط الشرقية وخاصة مصر.

ويرى هؤلاء الباحثون أن أفلاطون كان يشير إلى "أناس البحر" الذين هاجموا سواحل شرق المتوسط وخاصة مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومادام ناس البحر ينتمون إلى بعض شعوب البحر المتوسط، إذا فإن أطلانطس كانت تقع في البحر المتوسط.



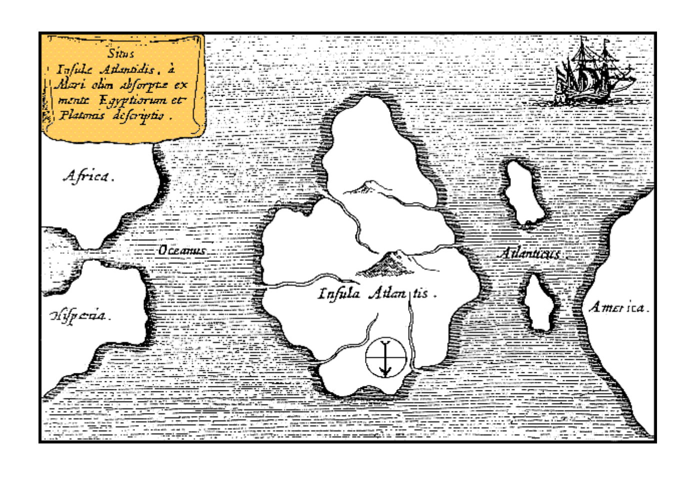
الشكل رقم (96) المصريون بقيادة رمسيس الثالث يقاتلون أناس البحر في موضع بالشام.

كما استدل هذا الفريق أيضا على رأيه باكتشاف بعض المدن الغارقة على سواحل البحر المتوسط، وكذلك بوجود البراكين النشطة في بعض جزر البحر المتوسط، والتي يعتقدون أن بعضها كان السبب في الدمار الذي حل بجزيرة أطلانطس.

ويصطدم هذا الرأي بظاهر نص أفلاطون الذي يؤكد أن أطلانطس كانت أكبر من آسيا وليبيا، وأنها كانت تقع في المحيط الأطلنطي قبالة مضيق جبل طارق.

وهناك فريق من الباحثين يرى التمسك بنص أفلاطون السابق ويقول أن أطلانطس كانت جزيرة كبيرة في وسط المحيط الأطلنطي، وأنها اختفت أواختفى معظمها تحت سطح الماء في حادثة كونية هائلة، ويستدلون بدقة وصف أفلاطون – حسب رأيهم- الذي يقول: أن أطلانطس كانت تقع في المحيط الأطلنطي، وكانت "على الطريق للجزر الأخرى، ومن هذه الجزر تستطيع

المرور إلى القارة المقابلة". فالقارة المقابلة هي الأمريكتين، وبالتالي فإن أطلانطس تقع في وسط المحيط الأطلنطي.



الشكل رقم (97) خريطة من القرن السادس عشر ، وتصور أطلانطس بين مضيق جبل طارق على اليسار، والأمريكتين على اليمين، وأعلى الخريطة هو جهة الجنوب، والأسفل جهة الشَمال.

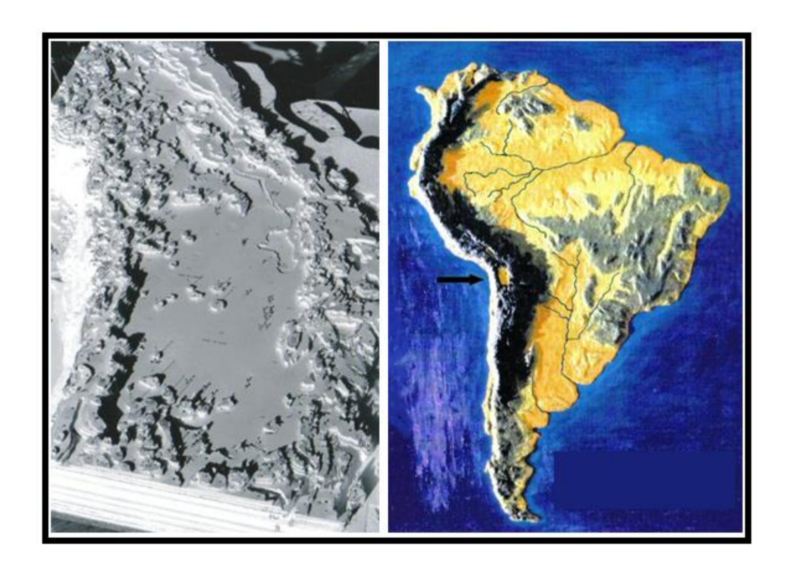
غير أن نظرية الصفائح القارية التي ظهرت في القرن العشرين، وحازت موافقة واقتناع كثير من العلماء، هذه النظرية تنفي إمكانية غرق جزيرة ضخمة مثل أطلانطس في يوم وليلة كما ذكر أفلاطون.

والنظرية الثالثة تقول: أن أطلانطس تقع في الأمريكتين، والقائلين بذلك من الباحثين يختلفون في تحديد موضع أطلانطس في الأمريكتين، ولكن من أقوى النظريات هي النظرية التي تقول أن جزيرة أطلانطس هي أمريكا الجنوبية كلها، وأن عاصمة الجزيرة كانت تقع في (ألتيبلانو) بمنطقة (الأنديز).

ويقول صاحب النظرية (جيم ألن) Jim Allen أن الجزيرة التي تقع في المحيط الأطلنطي قبالة مضيق جبل طارق،

ومساحتها أكبر من آسيا وليبيا -حسب تصور القدماء في عصر أفلاطون- هي ببساطة أمريكا الجنوبية.

ويقول (ألن) أن هناك فقرة بنص أفلاطون تصف بشكل دقيق منطقة جغرافية معينة في الأنديز، وهي هضبة (ألتيبلانو)، وهي منطقة مستوية تقع وسط جبال الأنديز في دولة بوليفيا الحالية، يقول النص حسب ترجمة (ديموند لي) Desmond Lee: "في وسط الجزيرة قريبا من البحر توجد منطقة مسطحة محاطة بالجبال والمنطقة ككل مرتفعة عن سطح البحر. والأرض هناك مستوية تماما، ومستطيلة الشكل، وتقع في منتصف الجانب الأطول للجزيرة".



الشكل رقم (98) على اليمين: في وسط الجانب الأطول للجزيرة يوجد هضبة مستوية السطح مستطيلة الشكل محاطة بالجبال وهي (ألتيبلانو)، وعلى اليسار: مجسم للهضبة.

بالإضافة للدليلين السابقين يستدل (ألن) على نظريته أيضا بما ذكره أفلاطون عن غنى جزيرة أطلانطس بالمعادن، وعن غناها خاصة بالذهب، ونوع من النحاس اللامع الذي يسميه (أوريكالكون) Orikhalkon, وكذلك الفضة والقصدير. والحقيقة أن (الأنديز) غني بشكل استثنائي بالمعادن، ومن أهمها معدن الذهب، لدرجة أن الغزاة الأسبان وجدوا شعوب (الأنديز) تبطن بعض معابدها بصفائح، وتصنع تماثيل كاملة من الذهب، هذا مطابق لوصف أفلاطون لفعل سكان أطلانطس، وذلك قبل اكتشاف أمريكا الجنوبية بأكثر من 1800 عام.

وبالإضافة إلى الذهب فإن (الأنديز) هو أغنى منطقة في العالم بالنحاس، كما يوجد فيها معدن النحاس المختلط بالذهب، ولقد استخرجه سكان الأنديز منذ العصور القديمة، وصنعوا منه التماثيل والحلي، ويقول الباحث (ألن) أن هذا المعدن هو الذي قصده أفلاطون (بأوريكالكون)، وأنه أهم معدن في الجزيرة بعد الذهب.

كما أشار (ألن) في نظريته لما ذكره أفلاطون عن كثرة الينابيع الحارة في جزيرة أطلانطس، وهذا يتفق مع الوضع في الأنديز حيث تنتشر الينابيع الحارة بسبب أن المنطقة بركانية نشطة.

ولي عدة ملاحظات على نصوص أطلانطس، ربما تضيف جديدا لفهم أطلانطس، وفي نفس الوقت تقوي رأيي الذي ذهبت إليه عن مغرب الشمس، ولقد لاحظت أن هناك عدة خطوط في نصي أفلاطون.

أولا: الخط الهندي

يقول أفلاطون: "وكانت توجد جزيرة موجودة قبالة المضيق الذي تسمونه أعمدة هرقل، كانت الجزيرة أكبر من آسيا وليبيا، وكانت على الطريق للجزر الأخرى، ومن هذه الجزر تستطيع المرور إلى القارة المقابلة، والتي أحاطت بالمحيط الحقيقي، حيث

أن هذا البحر الذي قبل المضيق ليس إلا ميناء له مدخل ضيق، ولكن الآخر فهو بحر حقيقي، والأرض المحيطة يمكن أن يطلق عليها بحق قارة بلا حدود"[135].

ويحتج أنصار وجهة النظر التي تقول أن أطلانطس في وسط المحيط الأطلنطي بالنص السابق على رأيهم، فالقارة المقابلة لابد أن تكون هي الأمريكتين، وظاهر النص -في نفس الوقت- يضعف رأي القائلين بأن أطلانطس هي أمريكا الجنوبية.

ولكننا إذا دققنا سنجد أن أفلاطون يقول أن القارة المقابلة هي قارة كبيرة جدا تحيط بالبحر المحيط، والذي يحيط بدوره بالأرض، وهذه الصورة لاتشبه خريطة العالم؛ لاخريطة العالم الحقيقية، ولاخريطة العالم في تصور اليونانيين السابقين أو المعاصرين لأفلاطون نفسه، فالأطلنطي ليس بحرا محيطا يحيط بالعالم القديم، ولو سلمت بأن بعض اليونانيين اعتقدوا أن المحيط الأطلنطي هو الجزء الغربي من البحر المحيط (أوقيانوس)، فلم يصلنا أن أحدا من اليونانيين ظن أن هناك أرضا بلاحدود تحيط بالبحر المحيط.

إن الصورة التي يرسمها لنا أفلاطون تشبه أكثر ما تشبه التصور الهندي لشكل الأرض، فلقد تخيل الهنود أن الأرض عبارة عن كتلة من اليابس رئيسية على هيئة القرص في مركزها جبل عظيم ويعيش عليها الإنسان ومحاطة بالبحر المحيط، ويحيط بالبحر المحيط أرض أخرى أو قارة على هيئة الحلقة، يحيط بها بحر محيط، ويحيط بالبحر المحيط هذا أرض ثالثة على هيئة الحلقة، وهكذا حتى سبع أرضين، وسبعة محيطات.

---

[135] - http://www.theoi.com/Phylos/Atlantes.html *Plato, Timaeus 24e - 25d (trans. Bury) (Greek philosopher C4th B.C.)*



الشكل رقم (99) رسم من القرن التاسع عشر يصور أرضين ونصف أرض من الأرضين السبع حسب تصور أتباع الديانة (الجاينية) القريبة من الديانة الهندوسية، ونلاحظ أن الأرض المركزية على هيئة القرص، يحيط بها محيط، ثم أرض ثانية على هيئة الحلقة، ثم بحر محيط آخر، ثم أرض ثالثة يحيط بها سور.

إن ما سبق يجعلنا نعرف مصدر هذه الفكرة في نصي أطلانطس، فهي فكرة خرافية مستلهمة من التراث الهندوسي.

وربما يدعم فكرة الاستلهام من التراث الهندوسي تلك الصورة الخرافية التي رسمها أفلاطون عن المدينة التي كانت عاصمة لجزيرة أطلانطس، فلقد حكى لنا أفلاطون أن الإله الباطل (بوزيدون) استقر مع زوجته فوق جبل، وأنه حفر ثلاثة بحار على هيئة حلقات حول الجبل، فصارت هناك ثلاثة أرضين وثلاثة بحار بعضها مطبق ببعض، ثم أن ملوك أطلانطس بعد ذلك قد بنو الجدر الدائرية يحمون بها هذه الأرضين.



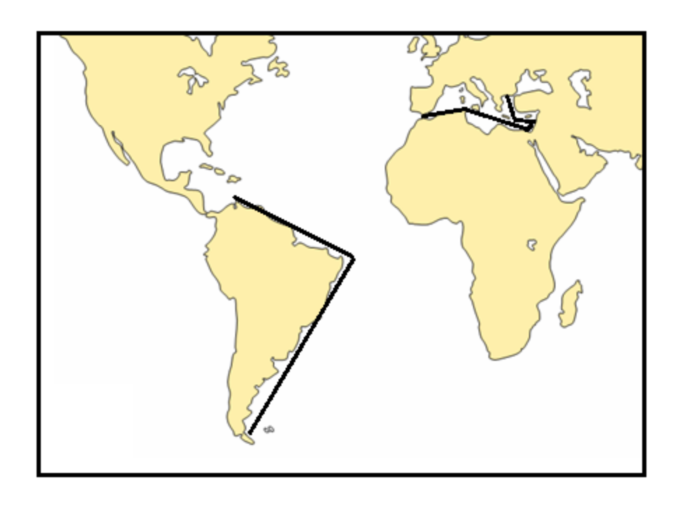
الشكل رقم (100) مدينة أطلانطس حاضرة الجزيرة كما وصف أفلاطون، وتشبه إلى حد بعيد تصور شكل الأرض عند الهندوس.

وقد أتعب الباحثين أنفسهم في البحث عن هذا الشكل من التكوين الجغرافي الفريد في صور الأقمار الصناعية، ولكني أرى أنه استمرار للإستلهام من التصور الهندي والذي تحدثتُ عنه، وبالإضافة لما قلت فإن الهنود القدماء تصوروا أن هناك جبل مركزي أطلقوا عليه اسم (ميرو) تتحلق حوله الأرض الأولى وباقي الأرضين السبع، وكذلك المحيطات السبع، وأعلى هذا الجبل يقيم الإله براهما.

ثانيا:خط (الأنديز):

يقول أفلاطون: "كانت الجزيرة أكبر من آسيا وليبيا"، ويقول الدارسون أن ليبيا يقصد بها ساحل شمال إفريقيا من نهر النيل إلى مضيق جبل طارق، وهم يختلفون في آسيا المذكورة ما المقصود بها. بعضهم يرى أن آسيا المقصودة هي آسيا الصغرى، وهي شبه جزيرة الأناضول التي هي أراضي دولة تركيا الحالية.

وأرى أن المقصود من آسيا هو نفسه المقصود من ليبيا، المقصود هو سواحل آسيا على البحر المتوسط، وكذلك في حالة أطلانطس فالمقصود هو طول سواحلها، ويكون المعنى المقصود من العبارة أن سواحل جزيرة أطلانطس من جهة واحدة أطول من طول سواحل آسيا وليبيا على البحر المتوسط.



الشكل رقم (101) سواحل أمريكا الجنوبية على المحيط الأطلنطي. أطول من سواحل آسيا وإفريقيا على البحر المتوسط.

والنقطة الثانية هي ما وصف به أفلاطون الجزيرة بأنها تنتج أنواع كثيرة متنوعة من الخضر والفاكهة والحبوب، ويتحدث عن الوفرة الأسطورية لهذه الجزيرة، ويعلل ذلك بأنها تقع تحت الشمس، يقول النص: "لأنها تقع تحت الشمس فلقد أنتجت بجمال فائق، ووفرة لانهاية لها"[136].

---

[136] - *Plato,* http://www.theoi.com/Phylos/Atlantes.html *Critias 108e - 109c & 113c - 121c (trans. Bury) :*

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: أليست اليونان أيضا تحت الشمس؟ فلماذا يقول أفلاطون عن أطلانطس أنها تحت الشمس؟ أغلب ظني أنه قصد بأنها تحت الشمس مباشرة، أي أن الشمس عمودية على أطلانطس، بدليل أنه جعل ذلك سببا في وفرة وتنوع إنتاجها الزراعي. وأستنتج من ذلك أن أطلانطس كانت تقع تحت خط الإستواء، وهو الحال في قارة أمريكا الجنوبية و(الأنديز). وهذا يقوِّي الرأي القائل بأن أمريكا الجنوبية هي جزيرة أطلانطس.

ثالثا: خط مصر القديمة

يهمل الباحثون في مسألة أطلانطس كثيرا الأصل المصري للقصة، هذا الأصل الذي أكد عليه أفلاطون حين قال أن قصة أطلانطس قد رواها كهنة مدينة (سايس) المصرية للفيلسوف (سولون)[137], وأن جَد أفلاطون قد روى القصة لحفيده نقلا عن (سولون) هذا.

وإذا ذهبنا نقارن بين نصي أفلاطون عن أطلانطس من جهة والتراث المصري من جهة أخرى سنجد تشابهات كثيرة أكبر من أن تكون مصادفة.

فأطلانطس جزيرة تقع في غرب المحيط الأطلنطي، وأرض (أَمِنْت) مغرب الشمس عند المصريين القدماء عبارة عن جزيرة تقع في أقصى غرب العالم.

وأطلانطس كانت من نصيب إله معين وهو بوزيدون، وكذلك (أَمِنْت) كانت من نصيب (أُزَيْرِس)، والذي أطلق عليه (خنتي أَمِنْتيو)، أي رئيس سكان أرض (أَمِنْت).

وأطلانطس تتميز بوجود جبل هام بها وهو جبل أطلس، والذي كان مقر لبوزيدون إله الجزيرة، وكذلك (أَمِنْت) المصرية فبها جبل مغرب الشمس أو(الأَخِت) الغربي وهو جبل (مانو)، ولقد

[137] ـ أحد واضعي القوانين في اليونان والذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد

اعتبر بعض الكهنة أن الجبل هو عرش (رع)، وأنه أعطاه (لأُزَيْرِس)، كما اعتبره فريق آخر من الكهنة أنه مقر جثة الإله الباطل (أُزَيْرِس- سكر).

وأطلانطس بها أناس يعيشون فيها، وبها أراض زراعية، وعيون مائية حارة، وكذلك (أَمِنْت) فبها (الأَمِنْتيو)، وهم سكان مغرب الشمس من البشر، وهي الكلمة التي فهمت خطأ على أنها تعني الموتى، كما ذُكرت حقول (أَمِنْت)، وذكرت العيون النارية في التراث المصري القديم.

وأطلانطس تم عقاب أهلها لفساد أخلاقهم، بينما (أَمِنْت) تم عقاب أهلها (الأَمِنْتيو) بسبب تمردهم وكفرهم بالآلهة.

وأطلانطس غرقت ولم يعد لها وجود، و(أَمِنْت) تحولت إلى غيب لا يصل إليها إلا أرواح الموتى والآلهة، بل النص اليوناني يذكر أن الجزيرة "اختفت" تحت الأمواج، وهي الكلمة التي تتطابق مع أحد معان كلمة (أمنت) والتي تعني الخفية أو المختفية.

وهكذا فنحن أمام تشابه لايمكن أن يكون مصادفة، فأطلانطس التي تحدث عنها كهنة سايس ليست إلا (أَمِنْت) الجميلة، والعجيب أنني وجدت ألقابا قديمة (لأُزَيْرِس) يجعلانه قريبا من (بوزيدون)، ففي نصوص الأهرام نجد أن (أُزَيْرِس) هو الأخضر العظيم[138]، وهي كلمة تعني البحر، وفي السطر التالي يلقب بالحلقة العظيمة[139]، والبحر الذي على هيئة الحلقة هو البحر المحيط، ويفهم منها (أُزَيْرِس) هو البحر المحيط أورَبُّ البحر المحيط، وهناك لقب آخر وهو القوي على البحر[140]، وهو ما قد يفهم أنه كان ربا للبحر مثل (بوزيدون).

---

138 - Utterance 366.

139 - Utterance 366

140 - Utterances 372.

رابعا: الخط اليوناني:

في أسطورة أطلانطس - كما رواها أفلاطون- خط يوناني لاتُخطئه العين، فالاسم (أطلس) عندما ذكره أفلاطون في محوارتيه لم يكن جديدا على مسامع اليونانيين، (فأطلس) هو الإله الباطل/الجبل الذي يقف في جزيرة (هسبريا) في نهاية العالم الغربية ويحمل السماء على كتفيه، وهو يقف بالقرب من حديقة (الهسبريدات)، ومن موطن الليل، ومن التنين (دراكون).

ولكننا نجد أن (أطلس) الذي يذكره أفلاطون في محاورتيه هو ابن (بوزيدون) البكر، وهو الذي صار ملكًا على المنطقة التي كانت تسكنها أمه، وأعطاه السيطرة فوق إخوته الملوك ومناطقهم التسعة، ومن اسمه أخذت الجزيرة اسمها: أطلانطس، وليس في ذلك علاقة بالجبل أوالإله الباطل الذي يحمل السماء.

والحقيقة أن هناك إشارة - وإن كانت خفية- لتسمية جبل أطلانطس باسم الملك (أطلس)، فأفلاطون يخبرنا أنه كان هناك جبل قريب من السهل الرئيسي في أطلانطس، وعلى هذا الجبل عاش عليه رجل وزوجته وابنتيهما، وأن الرجل والمرأة ماتا، وأن (بوزيدون) تزوج من الفتاة وأقاما فوق هذا الجبل، وأن (بوزيدون) حفر حوله ثلاثة أبحر على هيئة الحلقات لحمايته، كما أن ملوك أطلانطس بنوا القصر الملكي والمعبد الرئيسي فوق نفس الجبل، وأن الملك (أطلس) كان من نصيبه "مقر إقامة والدته" وهو الجبل، والمنطقة المحيطة، وهي أهم مناطق أطلانطس العشرة، كما جُعل ملكا على إخوته التسعة، ومناطقهم أيضا، وأن من اسم أطلس أُخُذ اسم الجزيرة أطلانطس.

والمتلقي اليوناني الذي استهدفه أفلاطون بكتاباته سيفهم مباشرة أن الجبل الذي كان مقر (بوزيدون) وزوجه، ثم بُني فوقه القصر الملكي لمملكة أطلانطس قد أُطلق عليه اسم الملك أطلس.

إن تحويل الآلهة الباطلة لملوك وملكات كانت طريقة معروفة لمتأخري الكتاب اليونانيين في محاولة منهم لجعل الأساطير القديمة أكثر منطقية، فجعل أطلس ملكا ليس إلا محاولة "لمَنْطَقَة" أطلس الإله الباطل، ويتبع هذا أن جزيرة أطلانطس التي كان بها الملك أطلس ليست إلا امتداد لجزيرة (هسبريا) والتي بها الإله الباطل/الجبل أطلس، وهي الجزيرة التي ذكرها (هسيود) قبل أفلاطون بمئات السنين، وتوصلت أنها - مثل أطلانطس- تقع وراء المحيط الأطلنطي.

كيف اجتمعت هذه الخطوط:

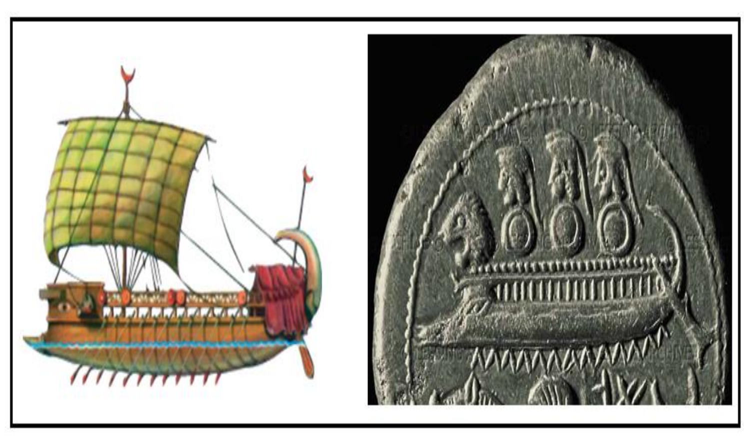
الذي يلاحظه الباحثون أن أفلاطون عندما ذكر جزيرة أطلانطس كان أول من ذكرها من الكتاب والشعراء والفلاسفة اليونانيين القدماء، والسؤال من أين جاء بالقصة؟

أغلب ظني أن القصة كانت تدور على ألسنة البحارة الذين يعملون على السفن التي تبحر في البحر المتوسط من مصريين وفينيقيين ويونانيين، إنها قصة مثل قصص السندباد ليس لها مؤلف واحد، وكانت عرضة للتغيير والتطوير طوال الوقت.

أما ما يميزها ويهمنا في بحثنا هذا أنها **وحَّدت بين بعض تراث الهنود عن مغرب الشمس، و(أَمِنْت) المصرية، و(هسبريا) اليونانية، والأنديز، فجعلت هذه المناطق شيئا واحدا، وأطلقت عليه أطلانطس، وهو ما يؤكد ما توصلت إليه عندما تكلمت عن (أَمِنْت) و(هسبريا)، وأن المقصود بهما ليس شيئا آخر غير منطقة (الأنديز).**

وتبقى بضعة أسئلة: السؤال الأول: من أين أتى واضعوا الحكاية بمعلوماتهم عن (الأنديز) تلك المعلومات الدقيقة، والتي تختلف عن ما ذكره المصريين عن (أَمِنْت)، واليونانيين عن (هسبريا)؟

ربما يكون الجواب فيما ذكره (ديودور) الصقلي من أن الفينيقين قد عثروا على أرض شاسعة وراء الأطلنطي، وأنهم يتكتمون الأمر، فيبدو لي أن حدث نوع من تسريب المعلومات عن منطقة (الأنديز) من بعض البحارة الفينيقيين الذين زاروا الأنديز، وخصوصا مارأوه من ذهب، وأراض شاسعة، واختلطت هذه المعلومات بذكريات المصريين واليونانيين عن جزيرة مغرب الشمس، **وذلك لأن واضعوا الحكاية علموا أن هذه الأساطير تدور عن نفس المنطقة من الأرض.**



الشكل رقم (102) على اليمين جزء من عملة فينيقية تصور سفينة فينيقية كبيرة توضح تقدم الفينيقيين في بناء السفن والإبحار، وعلى اليسار رسم يوضح شكل السفينة.

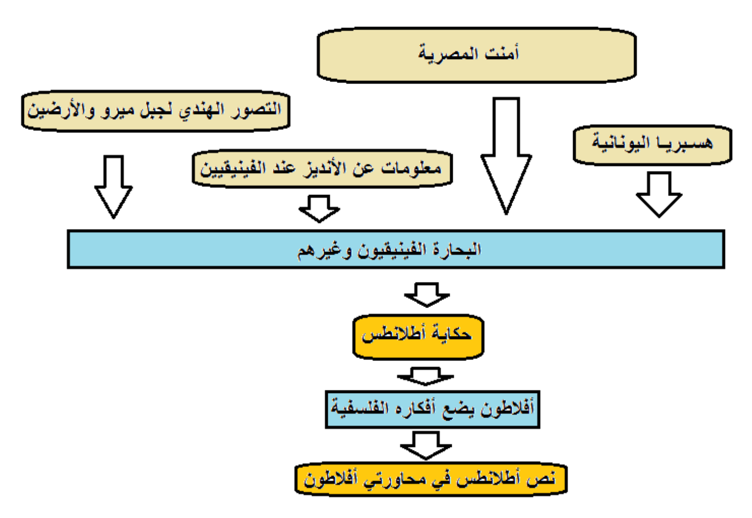
وهناك سؤال آخر، وهو كيف تسربت المؤثرات الهندية إلى حكاية أطلانطس؟ أرى أن نفس البحارة كانوا يمخرون بسفنهم عباب البحر الأحمر، والمحيط الهندي ويصلون إلى الهند، ومن الهند استقوا هذه الأساطير المخالفة للواقع الجغرافي، ومخالفة لأساطير المصريين واليونانيين.

والبحارة الذين كانوا يبحرون في البحر الهندي في هذا الوقت لم يكونوا من اليونانيين، بل كانوا من الفينيقيين؛ فلقد ذكر هيرودت أن الفرعون المصري قد أرسل سفينة بحرية للدوران حول أفريقيا انطلاقا من البحر الأحمر فعادت إلى مصر من البحر المتوسط، وذلك قبل زمن أفلاطون بقرن ونصف قرن تقريبا.

والسؤال الأخير هو عن الاسم (أطلانطس)، من أين أتى؟ يقول الباحثون أنه تبعا لنص أفلاطون فإن أطلانطس جاءت من كلمة (أطلس) اليونانية، ولكن الظهور المفاجئ لكلمة أطلانطس، والأصل العربي المحتمل لكلمة (أطلس)، يجعلني أخمن أن أطلانطس مثل (أطلس) كلمة ذات أصل عربي فينيقي.

ربما تكون أطلانطس النطق اليوناني لكلمة (التَّلانة) على وزن الفعلانة، أي الأرض ذات التلال، فإذا نطقنا الكلمة بالتاء المفتوحة كعادة بعض سكان لبنان إلى اليوم لصارت الكلمة (التَّلانَت)، فإذا أضفنا علامة الرفع اليونانية، وهي حرف السين في آخر الكلمة لصارت (التَّلانَتْس)، والتي تنطق (أتَّلانَتْس) لأن اللام فيها شمسية لاتنطق، وهذه الكلمة الأخيرة قريبة بشكل عجيب من كلامة (أتْلانْتِس)، أو أطلانطس.

وبتجميع هذه الخيوط يمكننا القول أن أفلاطون جاء بالقصة من البحارة اليونانيين الذين ربما سمعوا بها من البحارة الفينيقيين، وذلك لأن الفينيقيين هم الذين قيل عنهم أنهم اكتشفوا وجود الأمريكتين، وهم الذين كانوا يبحرون في البحر الأحمر فلعلهم كانوا يبحرون إلى الهند، ومن الهند استلهموا الأساطير الهندية، وأخيرا فإن كلمة أطلانطس ربما تكون النطق اليوناني لكلمة التَّلانة العربية.



الشكل رقم (103) رسم يوضح كيفية تكون نص أفلاطون عن أطلانطس.

رابعا: الطريق إلى مشرق الشمس في الأساطير اليونانية القديمة:

يُلاحظ في الأساطير اليونانية أن الأبطال عندما يسافرون إلى أقصى شرق العالم أو مشرق الشمس فإنهم يذهبون إلى أقصى غرب العالم أولا، ومن هناك يعبرون إلى أقصى شرق العالم، وأفسِّر هذا بأنه تأثرا برحلة الموتى المصريين، والتي بدورها تقليد لرحلة (أُزَيْرِس)، وربما هي تأثر برحلة (أُزَيْرِس) والمستمدة من رحلة ذي القرنين.

(فبيرسيوس)Perseus البطل البشري، يسافر إلى (هسبريا) ليقتل (ميدوسًّا)، ثم في طريق عودته إلى اليونان يمر على إثيوبيا، وهي بلاد مشرق الشمس عند اليونانيين القدماء[141].

[141] - http://www.theoi.com/Heros/Perseus.html -

وهذا يعني أن بيرسيوس بلغ (هسبريا) أرض (الجرجونات) مغرب الشمس، ولما انتهى من قتل (ميدوسَّا) فإنه لم يَعُد إلى اليونان بأن يرتد عائدا على نفس طريقه، وإنما عاد إلى اليونان بأن عبر البحر الذي يفصل بين مغرب الشمس (هسبريا)، ومشرق الشمس إثيوبيا، فوصل إلى إثيوبيا ومنها إلى اليونان.

والطريق إلى مشرق الشمس الذي وصفه (بروميثيوس) للحورية (إيو) Io، نجده يمر بمغرب الشمس، والعالم السفلي، حتى تصل إلى أرض الإثيوبيين مشرق الشمس[142].

وفي ملحمة (الأُوديسا) يلاحظ الدارسون أن الملك (أوديسي) عبر من أقصى شرق العالم إلى أقصى غرب العالم عن طريق الأقيانوس كما يبدو، ويتسائلون كيف يكون هذا مع أن اليونانيون يعتقدون أن الأرض مسطحة، وأرى أن الفكرة بقية مفهوم شائع، وهو أنه هناك بحر يفصل بين أقصى غرب العالم وأقصى شرقه، ويمكن بعبوره الوصول من أرض مغرب الشمس إلى أرض مشرق الشمس.

وبحارو (الأرغو) هم مجموعة من الأبطال الأسطوريين التي تروي الأسطورة اليونانية القديمة كيف أنهم سافروا بالبحر إلى (كولخيس) للبحث عن الصوف الذهبي وذلك قبل حرب طروادة.

ويقول (هِسيود) عنهم أنهم أبحروا في نهر (فيزس)، وجاءوا عبر البحر المحيط أقيانوس إلى ليبيا، ثم دخلوا إلى البحر المتوسط، يقول النص: "ولكن (هسيود) يقول أنهم [بحارو الأرغو] أبحروا في نهر فيزس...[و] وجاءوا خلال أقيانوس إلى ليبيا، وهكذا حاملين (الأرغو) وصلوا إلى بحرنا"[143] .

ونلاحظ في خريطة (أنكسيماندر) Anaximander أن النهر (فيزس) Phasis ينبع من الأقيانوس ويصب في البحر

---

142 - http://www.theoi.com/Heroine/Io.html

143 - *Hesiod, Catalogues of Women Fragment 45 (from Scholiast on Apollonius Rhodius, Arg. 4. 284 & 259)*

الأسود، ويبدو أن (هسيود) يقصد أن بحارة (الأرغو) أبحروا في النهر ثم وصلوا إلى الأقيانوس ثم عبروه من الشرق إلى الغرب حتى وصلوا إلى ليبيا، والتي يقصد بها شمال أفريقيا.



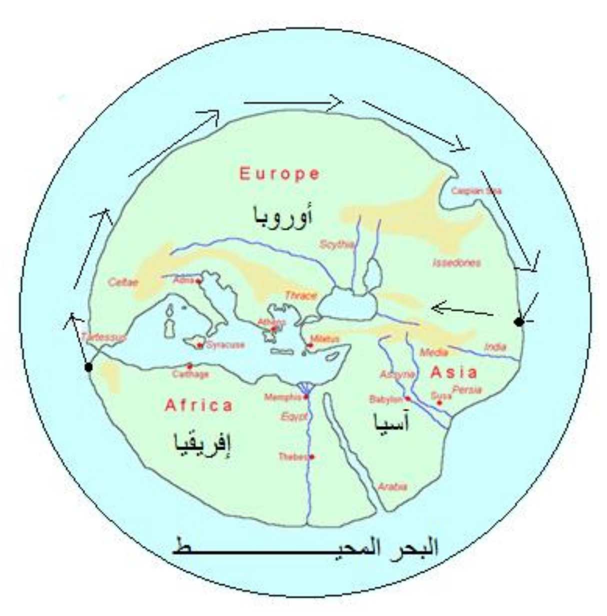
الشكل رقم (104) خريطة مبنية على وصف شكل الأرض (لأنكسيماندر) Anaximander المتوفى عام 546.

و(هِرَكْلِيس)Heracles لكي يصل إلى جبال القوقاز التي اعتبرها اليونانيون القدماء في شرق العالم نجده يسافر إلى أقصى غرب العالم، فلقد جاء في كتاب (البيبليوثيكا) Bibliotheca: "وسافر [هِرَكْلِيس] خلال ليبيا إلى البحر الخارجي, وأخذ الوعاء من الشمس، وبعد أن **عبر** إلى البر الرئيسي **المقابل**، فإنه أطلق سهمه على نسر القوقاز".

وهذا النص يقول **بوضوح** أنه لما أراد (هِرَكْلِيس) أن يصل إلى جبل أو جبال القوقاز - الذي لاخلاف عند اليونانيين القدماء أنها تقع في الشرق البعيد أو أقصى شرق العالم-، فإنه عمد إلى

الذهاب إلى ليبيا والتي تعني منطقة شمال إفريقيا، ووصل إلى البحر الخارجي، وهو يقصد البحر المحيط أقيانوس، ثم يخبرنا واضع النص أن (هِرَكْلِيس) عبر إلى الأرض الرئيسية المقابلة، وأن (هِرَكْلِيس) بهذا وصل إلى جبال القوقاز فقتل النسر الذي يأكل كبد (بروميثيوس) في كل يوم في عذابه الأبدي.

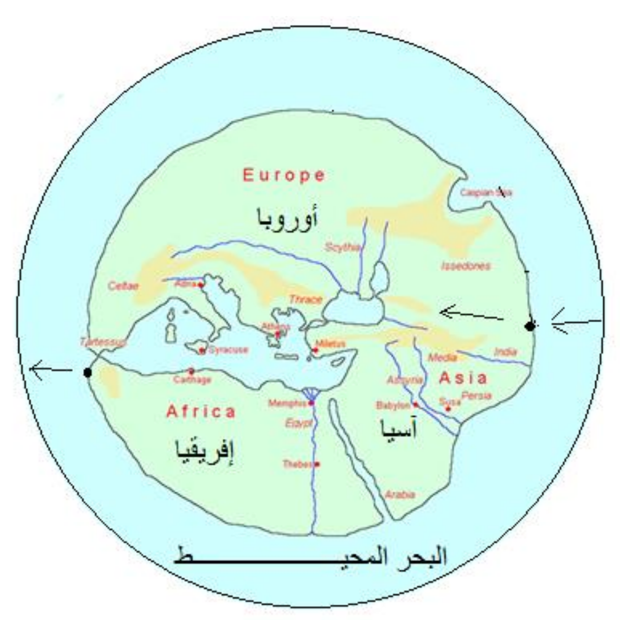
ويرى بعض الدارسين أن المقصود بما قيل في هذا النص أن (هِرَكْلِيس) دار مع حلقة البحر المحيط الشمالية حتى وصل إلى شرق العالم، كما في الخريطة التالية.



الشكل رقم (105) خريطة توضح وجهة نظر بعض الدارسين، والأسهم تشير إلى خط ابحار (هركلس) من المغرب للمشرق الذي افترضه بعض الدارسين

وأرى أن هذا تعسف، فالنص واضح تماما فهو يذكر كلمة العبور، ويذكر كلمة البر الرئيسي المقابل، وهذا لا يحتمل إلا أن (هِرَكْلِيس) قد اجتاز البحر المحيط من مغرب الشمس إلى مشرق

الشمس مباشرة، كما في الخريطة التالية، وهذا يؤكد على أن اليونانيين القدماء كانوا يعلمون أنه يمكن عبور البحر المحيط من أقصى غرب العالم إلى أقصى شرقه أي الإنتقال مباشرة من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس.



الشكل رقم (106) خريطة توضح طريقة انتقال (هركليس) بعبور البحر المحيط من أقصى غرب العالم إلى أقصى شرقه، والأسهم تشير إلى خط ابحار (هركليس) الذي يدل عليه النص.

خامسا: بلاد مشرق الشمس عند اليونانيين القدماء:

في السطور الماضية رأينا كيف أن مشرق الشمس عند اليونانيين يقع وراء البحر الذي يقع بدوره وراء مغرب الشمس، وهم في ذلك يتبعون المصريين القدماء والعراقيين القدماء، وهذا يجعل مشرق الشمس عند اليونانيين ينطبق على جزيرة (غينيا) الجديدة التي تقع وراء المحيط الهادي.

ولقد جاءتنا نصوص يونانية تخبرنا أن (إثيوبيا) والتي تعني باليونانية بلاد أصحاب الوجوه السوداء، هي مشرق الشمس، فـ(هومر) أقدم الشعراء اليونانيين يقول أن الإثيوبيين ينقسمون إلى شعبين شعب يعيش في مشرق الشمس، والشعب الآخر يعيش في مغرب الشمس[144].

ونفس الفكرة نجدها عند (ممنرمس) Mimnermus, فلقد ذكر أن إله الشمس الباطل (هليوس) يعبر البحر من (هسبريا) إلى (إثيوبيا) ليستقل عربته التي يركبها أثناء النهار.

وعند (أسكلاس) نجد نفس الفكرة تقريبا، وهي أن (إثيوبيا) تقع في أقصى شرق العالم على ساحل البحر المحيط بالعالم (أقيانوس)، ففي أحد الإستشهادات التي ينقلها لنا (إسترابو) Straboفي كتابه (الجغرافيا) عن (أسكلاس)، يقول: "والبحيرة التي بجوار أقيانوس، بحيرة الإثيوبيين التي تعطي التغذية للجميع، والتي فيها ينعش جسده الذي يرى كل شيء [أي هليوس إله الشمس الباطل عند اليونانيين]، وينعش خيله المرهقة في مائها الدافئ الرقيق"[145].

وهكذا فإنه عند كل من (هومر)، و(أسكلاس)، و(ممنرمس)، فإن (إثيوبيا) هي مشرق الشمس، وهذا عجيب، حيث أن سكان (غينيا) الجديدة، والتي توصلنا إلى أنها مشرق الشمس، هم من سود البشرة كالأفارقة، فهل الأمر مجرد مصادفة؟

الحقيقة أنه في تلك العصور القديمة لم يكن اليونانيون يعلمون شيئا عن البحر الأحمر أو المحيط الهندي، كما أنهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن السود الأفارقة إلا عن طريق المصريين القدماء، فلابد أنهم استقوا هذه المعلومة من المصريين القدماء.

Homer The Odyssey Book I - [144]

Strabo, *Geography* i. 2. 27. p. 33. -[145]

http://www.theoi.com/Text/AeschylusFragments2.html

ويبدو أن هذا ما حدث، فالفكرة التي جاء بها (ممنرمس) فكرة مصرية تماما كما وضحنا من قبل، حتى ما ذكره (أسكلاس) مُسْتَلْهم من المصريين، فالبحيرة التي تقع في مشرق الشمس ويستحم بها إله الشمس الباطل قبل أن يشرق كل صباح هي فكرة مصرية تكررت مرارا في نصوص الأهرام قبل (أسكلاس) بألفي عام.

كما أننا توصلنا في بحثنا هذا أن المصريين كانوا يعلمون أمر جزيرة مشرق الشمس، التي تقع وراء البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، بل أثبتنا أنهم كانوا يعلمون أمر مرتفعات مشرق الشمس، وحقولها الزراعية، وسكان المرتفعات أو(الأَخِتيو) الذين يزرعون هذه الحقول، وهي المعلومات المطابقة للواقع الجغرافي، وهذا يجعلنا نستنتج أن المصريين القدماء كانوا يعلمون أيضا أن سكان هذه الجزيرة من السود، ونستنتج أن اليونانيين استمدوا هذه المعلومة منهم.

إن هذا التحليل يفسر ما قاله (أسكلاس) على لسان (برومثيوس) في مسرحيته "برومثيوس مقيدا"، وهو يصف الطريق لـ(أيو) حيث أخبرها أنها بعد أن تنطلق من (هسبريا)، وتعبرالعالم السفلي، فإنها ستصل إلى بلاد (الإثيوبيين) حيث البحيرة التي ينبع منها نهر النيل.

فأسكلاس هنا يخلط بين (إثيوبيا) مشرق الشمس، والتي يصل إليها من يعبر العالم السفلي، وبين (إثيوبيا) الحالية، التي بها بحيرة (تيرانا)، التي هي منبع النيل الأزرق، أحد روافد نهر النيل، وأهمها على الإطلاق بالنسبة لمصر[146].

---

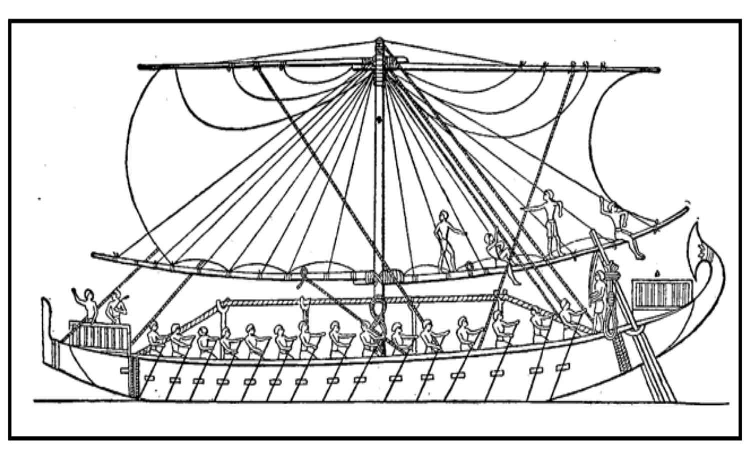
[146] - حيث تأتي معظم مياه الفيضان من خلال النيل الأزرق، وهذا يعني ضمنا أن المصريين القدماء كانوا يعلمون من أين تأتي مياه الفيضان، وأن اليونانيين علموا ذلك منهم.

ومما يؤكد صحة استنتاجي السابق هو ما خلص إليه الجغرافي اليوناني (إسترابو) من أن هناك (إثيوبيتان) أحدهما في أفريقيا، والأخرى في أقصى شرق آسيا.

والسؤال الذي يثور الآن هو هل هناك في النصوص المصرية القديمة أي ذكر لأن سكان مشرق الشمس من السود؟ الحقيقة أنه لم تصلنا نصوص صريحة تفيد هذا المعنى غير أننا نجد حديثا عن (بونت)، تلك البلاد التي ذكرها كهنة (هليوبلس) في نصوص الأهرام، وسجل ملوك المصريين رحلاتهم إليها ابتداء من الدولة القديمة مرورا بالدولة الوسطى وانتهاء بملوك الدولة الحديثة وعلى رأسهم (حتشبسوت).

فقد ذكرت النصوص أن (بونت) هي "أرض الإله"، وهذا يعني عند المصريين أرض مشرق الشمس، حيث أن الإله المقصود - على ما يبدو- هو (رع) إله المصريين الأكبر الباطل، ومن العقائد المعروفة عند المصريين القدماء، والعراقيين القدماء، واليونانيين القدماء، أن منطقة مشرق الشمس هي منطقة خاصة بإله الشمس الباطل، وبها قصره ومقر إقامته.

وفي عهد الملكة (حتشبسوت) أرسلت الملكة سفنها إلى بلاد (بونت)، وعادت السفن تحمل البضائع العجيبة ومن أهمها أشجار المُر، وسجلت الملكة رحلتها على جدران معبدها الذي بنته، ولما قام الباحثون المعاصرون بتحليل النصوص، وكذلك الرسوم والأشجار والحيوانات البرية والبحرية المنقوشة على الجدران، خلصوا إلى أن المنطقة التي زارها الأسطول المصري هي منطقة شرق دولة السودان الحالية، أو دولتي (إريتريا) و(إثيوبيا) الحاليتين.



الشكل رقم (107) إحدى سفن أسطول الملكة (حتشبسوت)، والتي أرسلته إلى (بونت).

وأرى أنه عندما عاد ذو القرنين إلى مصر، فإنه علم المصريين الإبحار ومهاراته، وكذلك الطريق إلى مشرق الشمس، وأنه بالفعل قام المصريون بالإبحار لمئات السنين إلى مشرق الشمس، وربما أطلقوا على بلاد مشرق الشمس (بونت)، ولكن لما ضعفت البحرية المصرية، وانقرض البحارة والربابنة المهرة، فإن المصريين اكتفوا بزيارة المناطق القريبة مثل (إريتريا)، و(إثيوبيا) الحالية، وأطلقوا على هذه المناطق نفس الاسم الذي أطلقه أجدادهم على مشرق الشمس (بونت).

ومما يقوي رأيي هذا هو الرسالة التي وصلتنا من الدولة القديمة، وهي رسالة أرسلها الملك المصري (بيبي) الثاني . Pepi II أحد ملوك الأسرة السادسة بالدولة القديمة إلى أحد النبلاء، ويدعى حرخوف Harkhuf، يأمره فيها بسرعة إحضار القزم الذي أخبره أنه سيحضره له، وفي الرسالة يقول له: "لقد أخبرتني أنك قد أحضرت قزما لرقصات الآلهة من أرض سكان الأَخِت، مثل القزم الذي أحضره حامل خاتم الآله من بلاد بونت في زمن الملك إسيسي".

والشاهد هنا أن (حرخوف) قد أحضر قزما من بلاد سكان (الأَخِت) الشرقي، مثل القزم الذي أُحْضِر من قبل من بلاد (بونت)، وهذا يعني أن السكان في المنطقتين متشابهين، وربما أن المنطقتين قريبتين من بعضيهما، ولما كان سكان (بونت) هم من السود، فلا نستبعد أن يكون المصريون القدماء في هذا العهد يعلمون أن سكان (الأَخِت) الشرقي من السود.

أما ما يقوله العلم الحديث فهو أن قبائل الأقزام كما أنها منتشرة في وسط أفريقيا، فهي موجودة أيضا في جزر أرخبيل الملايو، وجزيرة غينيا الجديدة، بل إن هؤلاء الأقزام الذين يعيشون في هذه الجزر أقرب للساحل من أقزام أفريقيا، مما يقوي كونهم المقصودين في هذا النص القديم.

سادسا، أسطورة العمالقة Gigantes:

روى الشعراء والكتاب اليونانيين أساطير حول العمالقة، وهذه الأساطير عند دراستها سنفهم منها أن قصتهم منحدرة من قصة قوم مغرب الشمس، وتعذيبهم على يد ذي القرنين.

في البداية يجب علينا أن نفرق بين الروايات اليونانية الأقدم حول العمالقة، وبين الروايات الأحدث، (فهومر) - وهو من أوائل الشعراء اليونانيين التي وصلتنا أعمالهم- كان يرى أن العمالقة هم قوم من البشر، وإن كانوا ضخام الحجم، وأنهم كانوا يعيشون في **الغرب البعيد**، في منطقة نشاط بركاني في جزيرة يطلق عليها (هومر) اسم (ثريناكيا)، وأن الآلهة قد أهلكتهم بسبب وقاحتهم مع الآلهة.

وهذا - كما ترى- قريب لحد ما من من قصة تعذيب أهل مغرب الشمس كما جاءت في القرآن، ففي رواية (هومر) العمالقة المعذَبون هم من البشر، ومكان سكنهم في الغرب البعيد وهذا يشبه مغرب الشمس، كما أنهم يقيمون في جزيرة، وهذا يطابق ما توصلنا إليه من أن مغرب الشمس يقع في قارة أمريكا الجنوبية،

التي اعتبرها القدماء جزيرة من الجزر، كما أن (هومر) أشار إلى أن الجزيرة نشطة بركانيا، وهذه الصفة من ملامح منطقة (الأنديز) المعروفة، كما أن سبب إبادة العمالقة هو الوقاحة مع الآلهة، وهو سبب يشبه سبب تعذيب ذي القرنين لقوم مغرب الشمس.

ويبدو لي أن (هومر) يستقي أسطورته من المصريين القدماء، أو ممن أخذ عن المصريين القدماء، وربما الفينيقيين.

غير أن أسطورة العمالقة أصابها التحريف والتطوير على يد من جاء بعد (هومر) من الكتاب والشعراء، ومن أهم هذه التغييرات أن تحول العمالقة من بشر إلى أنصاف آلهة، وتم اختلاق أسطورة حرب ضروس بينهم من جهة وبين آلهة الأولمب من جهة أخرى.

ومن الروايات المختلفة نستطيع أن نفهم أن الشعراء والكتاب اليونانيين قد حوَّلوا العمالقة من كونهم بشر يسكنون منطقة الجبال البركانية النشطة، إلى أن صار العمالقة هم أنفسهم الجبال البركانية، أو مظاهر ثورتها، فقالوا مثلا أن العمالقة هاجموا السماء، فراحوا يقذفون الأحجار وجذوع الأشجار على السماء، وقذف السماء بالأحجار والأشجار هو من خصائص البراكين النشطة، كما زعم اليونانيون أن بعض هؤلاء العمالقة قد تم دفنهم تحت الجبال البركانية، وأن الزلازل والأصوات التي تحدثها الثورات البركانية هي بسبب حركة هؤلاء العمالقة، كما قالوا أن البحيرات البركانية كريهة الرائحة هي من نتاج جروح العمالقة المتقيحة[147].

وهذا إلى حد ما يشبه نص (نينورتا) والجبل، وفيه تحول الأصل وهو تعذيب ذي القرنين لبعض سكان مغرب الشمس الذين يقيمون بجوار جبل مغرب الشمس، تحول إلى معركة بين

---

[147]- Gigantes
http://www.theoi.com/Gigante/Gigantes.html

(نينورتا) ووحش (الأساكو) الذي يقيم في قلب الجبل، ويبدو أن الذي فعله اليونانيون أنهم حولوا وحش (الأساكو) الواحد إلى العديد من الوحوش، وأطلقوا عليهم العمالقة.

وتقول الأساطير اليونانية أن الآلهة بقيادة (زيوس) علمت عن طريق نبوءة أنها لن تنجح في هزيمة العمالقة المتمردين عليهم إلا بعد الإستعانة ببشري، فاستعانت (بهِرَكْلِيس)، وبهذا استطاعوا هزيمتهم.

وهذا يشبه أسطورة المصريين حول عقاب (أُزَيْرِس) لأهل مغرب الشمس، (فأُزَيْرِس) كان ينتقم (لرع) الإله الباطل الأعظم، بسبب كفر أهل مغرب الشمس به، وفي الأسطورة العراقية ترسل الآلهة الباطلة بقيادة (إنليل) (نينورتا) لإخماد تمرد الجبل وسكانه، بعد أن ثاروا ضد الآلهة الباطلة.

ويرى بعض الدارسين أن الحرب التي دارت بين آلهة (الأولمب) من جهة وبين (العمالقة) من جهة أخرى، هي مستعارة من تلك الحرب الأسطورية التي ذكرت في المصادر الأقدم، وتحكي قصة الصراع بين آلهة (الأولمب) الباطلة من جهة، وبين (التيتان) من جهة أخرى.

ولقد وجدتُ نصا في كتاب الموتى يتحدث عن معركة بين الآلهة، وأن (أُزَيْرِس)، كان قائدا فيها، يقول النص: **"في اليوم حينما نحيي ذكرى الاحتفال...عندما نشب الصراع بين الآلهة، الذي كان فيه أُزَيْرِس سيد أَمِنْتت هو القائد."[148]**

ومن المعروف أن القدماء في كل أنحاء العالم اعتبروا - وهم خاطئين- أن النجوم والبروج آلهة، وعبدوها من دون الله، ومن المعروف أيضا أن آلهة (الأولمب) -أوبعضها على الأقل- هي تشخيص للكواكب السيارة، ولقد تصور القدماء أن النجوم تهبط في مغرب الشمس بأن تنزل من السماء حتى تغيب بأن تدخل في الأرض.

---

148 - كتاب الموتى ص42.

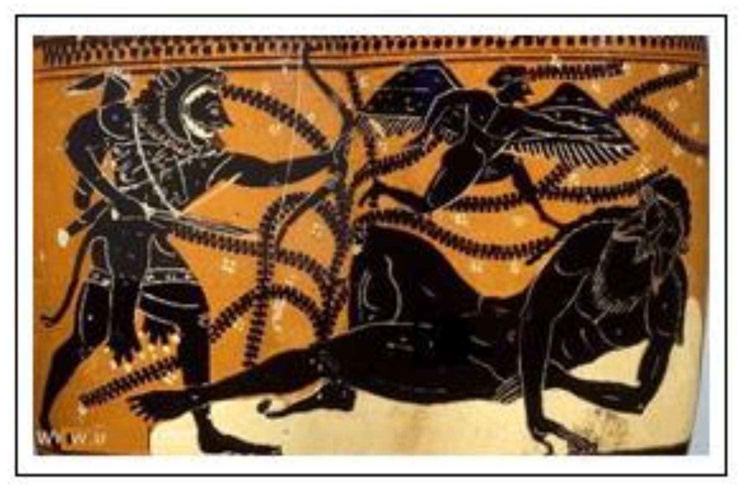
ولقد أطلق القدماء خيالهم فتخيل المصريون أن الأجرام السماوية تموت عند غروبها في مغرب الشمس، ثم زادوا فقالوا أن جبل مغرب الشمس يأكل أويقتل الآلهة، أو يبتلع الأجرام السماوية، وذلك لتصورهم أنها تغرب بالدخول فيه[149]، فلا نستبعد أن يخترع قدماء اليونان حرب بين الكواكب/آلهة الأولمب من جهة، وبين الجبال البركانية/ العمالقة تلك التي تقع في مغرب الشمس من جهة أخرى.

وتحكي لنا الروايات اليونانية أن ملك العمالقة كان يسمى (ألكيونيس) Alcyoneus, وهذه الكلمة قريبة جدا من الكلمة العربية (القيون) والتي تعني الحداد، ولقد ربط اليونانيون والرومانيون بين الإله الحدَّاد الباطل (هفاستيوس)، والإله الحدَّاد الباطل (فولكان) من جهة، وبين البراكين من جهة أخرى، فتخيلوا أن في داخل الجبل البركاني يقيم الإله الحدَّاد، وأن صوت البركان هو صوت مطرقته، والدخان المتصاعد من البركان هو دخان كيره، والنار المتطايرة من فوهة البركان هي من شرره.

ولا أستبعد أن الفينيقين قبل اليونانيين والرومان اعتقدوا نفس الاعتقاد، وهو أن هناك (قيونا) أي حدادا يسكن في قلب البركان، وأنهم أطلقوا هذا الاسم (القيون) على جبل مغرب الشمس البركاني، وأنه كانت عندهم أسطورة لم تصلنا من أن البطل الذي ذهب إلى مغرب الشمس قد قتل (القيون) العملاق، في توازٍ مع أسطورة (نينورتا) والجبل، ثم حدث أن اقتبس اليونانيون الأسطورة، وقالوا أن (هِرَكْلِيس) قتل (ألكيونيس) ملك (العمالقة) في الغرب[150].

149 - القسم الأول من العالم السفلي كتاب البوابات http://www.sacred-texts.com/egy/gate/gate16.htm.

150 - ربما يكون تسمية جبل مغرب الشمس (القيون) ثم (ألكيونس) هو أصل تسمية البحر المحيط باسم أوقيانوس/(أكيونس) Oceanus، فالبحر المحيط على ما يبدو أطلق عليه أهم الجبال التي تطل عليه وهو جبل مغرب الشمس البركاني.



الشكل رقم (108) (هركلس) على اليسار يهاجم (ألكيونس) العملاق.

ويخبرنا (ديودور) الصقلي بشيء غريب، وهو أن (هِرَكْلِيس) بعد أن قتل معظم (العمالقة) فإنه قد **أخضع المنطقة للزراعة،** والسؤال ما علاقة (هِرَكْلِيس) وأساطيره بالزراعة؟، إن هذه الإضافة تذكرنا بما قيل عن (أُزَيْرِس) في مغرب الشمس، من توزيعه حقول (أَمِنْت) على أتباعه الصالحين، وما قيل عن (نينورتا)، وكيف أنه بعد أن هزم (الأساكو) قد قام بمشاريع الري والزراعة، وهذا التواتر يشير للحدث الحقيقي القديم، وهو أن ذا القرنين بعد أن عذَّب كافري أهل مغرب الشمس، فإنه أحسن إلى مؤمنيهم بأن قال لهم من أمره يسرا، فعلمهم الزراعة والري وأسس الحضارة.

المبحث الثالث: مغرب الشمس عند الفينيقيين والقرطاجيين

أولا: رحلة الملك البحار (حنو) إلى غرب إفريقيا:

قصَّ علينا الكتاب اليونانيون القدماء قصة كانت مسجلة على لوحٍ عن الملك (حنو) Hanno البحار، ولقد كان هذا الملك ملكا علىً مدينة قرطاج Carthage في القرن السادس قبل الميلاد، ومدينة قرطاج هي مدينة كانت تقع على الساحل التونسي قريبا من مدينة تونس الحالية، وقد أنشأها الفينيقيون وجعلوها مستعمرة لهم، رغم أنها تبعد عن الساحل الشامي بعدا عظيما، ولقد قال الكتاب اليونانيون أن اللوح -الذي قيل أنه كان في أحد معابد قرطاج- كان يحكي كيف أن الملك (حنو) قام برحلة بحرية عظيمة، مصطحبا معه أسطولا ضخما مكونا من 60 سفينة، وثلاثين ألف رجل وامرأة، وكان هدف الرحلة هو إنشاء مستعمرات على طول الساحل الغربي لقارة أفريقيا.

ويقول النص أن (حنو) قد عبر مضيق جبل طارق، وأنه أبحر في المحيط الأطلنطي في خط مواز للساحل، حتى وصل إلى منطقة بركانية بها جبل بركاني نشط، والدارسون منقسمون إلى رأيين حول الجبل البركاني الذي وصل إليه (حنو): الرأي الأول يقول أن (حنو) قد وصل إلى جبل (كَكوليما) Mount Kakulima بدولة (غينيا) الحالية، والرأي الآخر يقول أنه وصل إلى جبل (الكاميرون) Mount Cameroon الموجود بدولة الكاميرون الحالية[151].

---

[151]- Hannohttp://www.livius.org/ha-hd/hanno/hanno02.html



الشكل رقم (109) خريطة توضح موضع (قرطاج)، والمواضع الإفتراضية لـ (قِرن)، و(قرن الغرب)، وجبل الكاميرون ، وأقصى نقطة وصلت إليها الرحلة.

والذي يهمنا في هذا البحث أن النص اليوناني يقول أن (حنو) قد وصل إلى خليج في الساحل الغربي لأفريقيا، يُطلق عليه "قرن الغرب"، كما أن النص يقول بأن (حنو) وصل أيضا إلى جبل بركاني نشط، يطلق عليه "عربة الآلهة"، ويعلق الدارسون المعاصرون أن كلمة "قرن الغرب" ذكرها الكتاب اليونانيون غير أنهم كانو يقصدون بها لسانا من اليابس يبرز من الساحل الغربي لأفريقيا في المحيط وليس خليجا، كما يرى بعض الدارسين أنه ربما كان اسم الجبل البركاني "عرش الآلهة" وليس "عربة الآلهة"، وأنه ربما حدث خطأ في النقل، حيث أن الكلمتين متقاربتين في اللغة اليونانية، كما أن المنطقي للجبل أن يكون مقعدا للآلهة، وليس عربة متحركة لها[152].

152 ـ نفس المصدر السابق.

وعلى كل حال فإن الاسم "القرن الغربي" يذكرنا بالنصوص المصرية القديمة، وأرى أن هذه الفكرة؛ وهي وجود شيء يسمى "القرن الغربي"، و"القرن الجنوبي" [153]، هو استمرار لفكرة مصرية قديمة وهي الفكرة التي ذكرتها نصوص الأهرام قبل لوح (حنو) بألفي عام، حيث ذكرت النصوص أن هناك قرن في الغرب، وقرن في الشرق، وقرن في الجنوب، وقرن في الشمال، ويطلب الكاهن إمالة القرن الغربي حتى تمر روح الملك المتوفى في رحلتها إلى مشرق الشمس، وقد أطلق الكهنة على جبل (أَمِنْت) مغرب الشمس، اسم "قرن أَمِنْت".

كما أننا نجد في نفس نص (حنو) نجد أن هناك جزيرة تقع في الساحل الغربي لأفريقيا يحكي النص أن (حنو) أطلق عليها كلمة (كِرْن) kerne[154]، وهي كلمة تشبه كثيرا كلمة "قَرن" العربية، وبمراجعة التراث الأسطوري اليوناني نجد أن "كِرْن" هذه هي جزيرة صغيرة تقع في أقصى شرق العالم، وهي أول ما تمر عليه الشمس عند الإشراق، فكأن الفكرة اليونانية وكذلك الفكرة القرطاجية مأخوذتان من فكرة فينيقية أقدم، وهذه الفكرة تقول أن هناك جزيرة تسمى (قرن) في أقصى شرق العالم، وجزيرة أخرى تسمى (قرن) أيضا في أقصى غرب العالم.

وهذا يشبه - بشكل لايمكن أن يكون مصادفة- كلام المصريين كما فهمته في بحثي هذا؛ فعندما كتب المصريون القدماء كلمة (أخِت) فإنهم جعلوا المخصص اللغوي هو رمز الجزيرة، ففهم بعض علماء المصريات أن (الأَخِت) ليس إلا جزيرة تشرق منها الشمس، وجزيرة أخرى تغرب فيها الشمس، غير أنني أرى أن رمز الجزيرة وضع ليدل على أن كل من الجبلين يقع في جزيرة، وهو ما يطابق الواقع الجغرافي.

---

153 - في نفس النص الذي يذكر قصة حنو يُذكر القرن الجنوبي على أنه خليج يقع جهة الجنوب.

154 - نفس المصدر السابق.

ننتقل الآن إلى الجبل البركاني الذي يطلق عليه نص (حنو) عربة الآلهة، أو كما يرجح بعض الباحثين عرش الآلهة، إننا نلاحظ أن الأجرام السماوية ولا سيما الشمس تعبد في معظم الشعوب والقبائل القديمة وتعد على أنها آلهة، فلعل المقصود هو أن ذلك الجبل البركاني عرش الشمس والأجرام السماوية، وهذا - كما ترى- قريب بشكل ملحوظ من وصلت إليه من أن جبل (الأَخِت) هو في أصله جبل بركاني نشط، وأن جبل (الأَخِت) في تصور المصريين القدماء كان هو عرش (رع) إله الشمس الباطل، وهو ما يؤكد صحة فهمي للنصوص المصرية، ويدل على عميق تأثير المصريين في الشعوب القريبة والبعيدة.

والسؤال الذي قد يثور الآن هو: **أنه مادام الساحل الغربي الأفريقي هو أقصى العالم القديم من جهة الغرب، وفي نفس الوقت يذكر القرطاجيون أن به قرن الغرب، وجزيرة (قِرن)، ويطلقون على جبل بركاني نشط بهذه المنطقة عربة/عرش الآلهة، ألا يكفي هذا لكي نقول أن الساحل الغربي الأفريقي هو مغرب الشمس الذي وصل إليه ذو القرنين، وليس بلاد (الأنديز) البعيدة؟**

ثم ألا يدعم هذا الرأي أن (هومر) قبل (حنو) بأربعة قرون عندما يقول أن الإثيوبيين -أي سود البشرة- يعيشون منقسمين في بلدين: واحدة في مشرق الشمس، والأخرى في مغرب الشمس، ألا تكون أفريقيا الغربية هي نفسها (إثيوبيا) مغرب الشمس التي تحدث عنها (هومر)؟

لا أوافق على هذا الرأي لأن النصوص المصرية تخبرنا أن مغرب الشمس هو بلاد (أَمِنْت)، وأن بها جبل مغرب الشمس البركاني النشط، ويشير رمزه الكتابي إلى أنه جبل يقع في جزيرة، أي أن بلاد (أَمِنْت) نفسها هي جزيرة وربما تكون هي نفسها جزيرة النار كما يفهم من بعض النصوص.

وتزيد النصوص اليونانية الأمر وضوحا؛ (فهسبريا) - وهي المقابل اليوناني (لأَمِنْت) المصرية - ليست أرضا متصلة باليابس، وليست جزيرة صغيرة تابعة للساحل الغربي لأفريقيا، ولكنها جزيرة كبيرة تقع عبر بحر عظيم، وصف مرة بأنه (الأقيانوس)، ومرة بأنه (البحر الجياش)، وهو في الحقيقة المحيط الأطلنطي كما أوضحت سابقا، وهذا يجعل مغرب الشمس هو الأنديز وليس غرب أفريقيا.

كما أن المصريين القدماء صوروا منطقة مغرب الشمس ببلاد تمتد بها السلاسل الجبلية الموازية لحدها الغربي، ورسموا نقاطا حمراء بهذه السلاسل الجبلية في إشارة إلى الجبال البركانية النشطة، وهذ الوصف ينطبق على منطقة الأنديز ولا ينطبق على ساحل غرب أفريقيا.

ويدعم هذا أن منطقة جبل الكاميرون الاستوائية لم تكن في هذه العصور السحيقة تصلح لمعيشة مجموعات كبيرة من البشر، بسبب كثافة الغابات الاستوائية، بينما منطقة الأنديز الاستوائي بسبب ارتفاعها عن سطح البحر فإنها تصلح لسكنى جماعات كبيرة من السكان.

كما أن النصوص المصرية تؤكد أن على الشمس والآلهة وأرواح الموتى عبور بحر لجي **واحد** لكي تعبر من مغرب الشمس (أَمِنْت) لمشرق الشمس (سخت عارو)، وتؤكد هذه الفكرة نصوص عراقية ويونانية، وظاهر القرآن يشير لذلك أيضا حيث ينتقل ذو القرنين من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، متتبعا مسار الشمس الظاهري، ولو أنه فعل ذلك ابتداء من غرب أفريقيا فلن يصل إلى جزيرة مشرق الشمس بل سيصل إلى أمريكا الجنوبية، أما لكي يصل إلى مشرق الشمس بعبور بحر واحد فلابد أن ينطلق من (الأنديز).

والسؤال الآن هو من أين أتى القرطاجيون بهذه المصطلحات "قرن الغرب"، و"عربة/عرش الآلهة"؟ ربما سمعوها من الفينيقيين أقربائهم، والذين أخذوها بدورهم من المصريين القدماء، فمن الحقائق التاريخية أن المصريين والفينيقيين اشتركوا في رحلة طويلة بالسفن، داروا فيها حول أفريقيا، والمفترض أنهم مرُّوا بمنطقة الساحل الأفريقي الغربي، وقد حدث هذا في عهد الملك المصري (نخاو)، وربما عندما وصل الأسطول المصري لمنطقة غرب أفريقيا فإن الكهنة المصريين المصاحبون للحملة أطلقوا هذه الأسماء على تلك المواقع مقتبسينها من التراث المصري[155].

ثانيا: هل اكتشف الفينيقيون الأمريكتين:

يبدو أن الفينيقيين كانوا على علم بوجود الأمريكيتين، فلقد كتب (ديودور) الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد أن الفينيقيين قد اكتشفوا أرضا شاسعة وراء المحيط الأطلنطي بالصدفة، ويبدو أن ما يقصده ليس إلا العالم الجديد أو الأمريكيتين، وقال (ديودور) أن الفينيقيين احتفظوا بمعلوماتهم عن هذه الأرض لأنفسهم كأسرار، ولم يخبروا أحدا عنها[156].

إذا كان الفينيقيون يعلمون بأمر الأمريكتين، وكانوا يخفون هذه المعلومات عن الأمم، فيمكننا أن نستنتج أن الأساطير اليونانية عن (هسبريا) التي تقع عبر المحيط الأطلنطي، وكذلك عن رحلة الأبطال إلى (هسبريا) هي أساطير مأخوذة عن الفينيقيين، ونستطيع أن نفهم أنها أساطير مستمدة من أصل حقيقي، وهذا

---

155 - روى قصة هذه الرحلة هيرودت في كتابه التاريخ.
.htm01http://www.livius.org/he-hg/herodotus/hist

http://mailstar.net/before-columbus.html -156

يؤكد ما وصلنا إليه من أن القدماء قصدوا بـ (أَمِنْت)/(هسبريا) الأمريكتين.

كما نستفيد من رواية (ديودور) أيضا أن نعلم كيف كانت تضيع العلوم، فمن تحليلنا السابق فإن المصريين كانوا يعلمون بوجود (الأنديز)، وكذلك جزيرة (غينيا) الجديدة، غير أن مع سياسة إخفاء العلوم وحصرها في عدد قليل من الناس، ومع مرور الدهور، وتقلب الأوضاع السياسية، والصراعات الدينية والسياسية بين طوائف الكهنة، فلا يستبعد أبدا أن تضيع المعلومات اللازمة للإبحار إلى تلك البلاد البعيدة، وأن ينقرض جيل الربابنة، والبحارة المهرة، وليس مستبعدا أن تتحول هذه البلاد البعيدة من أراضي حقيقية يمكن الوصول إليها إلى مناطق غيبية، لاتصل إليها إلا الآلهة الباطلة، وأرواح الموتى.

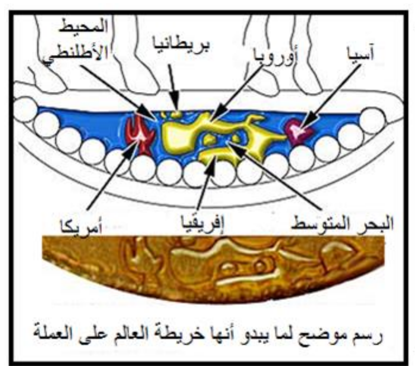
ثالثا: خريطة قرطاجية لجزيرتي مغرب الشمس ومشرق الشمس:

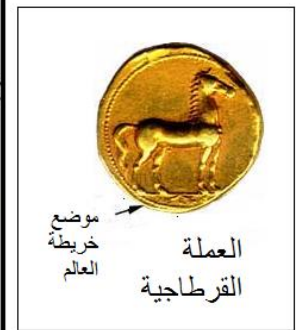
يرى الباحث (ماك مِنامين) أن الشكل الذي يقبع أسفل صورة الحصان في إحدى عملات مدينة قرطاج ليس إلا خريطة للعالم، وهذه العملة يرجع تاريخها للقرن الرابع قبل الميلاد، ولو صحت نظريته فإن هذه تكون أقدم خريطة للعالم تصلنا[157].

والعجيب أن الخريطة يظهر بها مايمكن أن يكون الأمريكتين، فهل اكتشف القرطاجيون الأمريكتين في هذا الزمن السحيق؟

---

157 - http://phoenicia.org/america.html





الشكل رقم (110) على اليمين العملة القرطاجية ، وعلى اليسار صورة مقربة من الرسم الذي تحت أقدام الحصان، والذي يبدو وكأنه خارطة للعالم حسب تصور القرطاجيين، وتبدو بالخريطة جزيرة كبيرة في المحيط الأطلنطي.

لو صح هذا الاستنتاج لكان هذا دليلا على أن القرطاجيين هم أول من وصل للأمريكتين.

وأرى أن هذه النظرية مقبولة في ضوء ما توصلت إليه في بحثي هذا، ولي تعليقان أولهما أن المصريين القدماء هم أول من وصف وتحدث عن الأمريكتين، وأن القرطاجيين عندما وصلوا إلى غرب أفريقيا فإنهم أطلقوا مصطلحات مصرية على مواضع جغرافية، وهذه المصطلحات قد ذكرت في مصر القديمة قبلهم بألفي عام.

ثانيا: أني أرى أن ما يفترض الباحث أنه آسيا في الخريطة أرى أنه جزيرة مشرق الشمس، لأنها أرض منفصلة عن كتلة الأرض الرئيسية وتقع في أقصى شرق العالم، وكأن الخريطة تصور العالم وكأنه بلاد تحيط بالبحر المتوسط، وهي بلاد أوروبا وآسيا وأفريقيا، وجزيرتين عظيمتين إحداها في المغرب، والأخرى في المشرق.

المبحث الرابع: مغرب الشمس ومشرقها في مصادر أهل الكتاب

مصادر أهل الكتاب التي نقصدها هي تلك النصوص الدينية التي ظهرت عند اليهود والنصارى سواء منها تلك التي اعترفت السلطات الدينية بأنه مقدسة ونسبوها لله عز وجل مثل (التناخ) عند اليهود[158]، والكتاب المقدس بشقيه العهد القديم، والعهد الجديد عند النصارى، كذلك تشمل مصادر اليهود والنصارى تلك الكتب والكتابات التي لم تعتمدها المجامع اليهودية أوالنصرانية، واعتبرتها منحولة أو مكذوبة، مثل سفر (اخنوخ)، ورؤيا (بولس)، وقصة (زوسِمَس).

وفي هذه المصادر - بعد إعادة قراءتها- سنجد أن اليهود والنصارى قد تبنّوا معتقدات خرافية حول مغرب الشمس ومشرقها، والطريق الموصل إليهما، وسيتبين كيف أن هذه المعتقدات مباينة بل مصادمة للحقائق العلمية، وأنها مستمدة من نصوص الأمم الوثنية التي سبقتهم من المصريين والعراقيين، اليونانيين.

وسنجد أن هذه المعتقدات **منحدرة** من قصة ذي القرنين، ومن الأساطير المأخوذة منها مما يؤكد حدوث قصة ذي القرنين كما روتها آيات القرآن.

وتحتل مصادر أهل الكتاب، ودراسة معتقدات القوم في هذه المصادر حول مغرب الشمس ومشرقها مكانة هامة في بحثنا هذا، حيث أنه من أهم التُهم التي يوجهها أعداء القرآن إليه هي أنه من

158- التناخ هو الكتاب المقدس عند اليهود، ويجمع أسفار موسى الخمسة، وهي التوراة، وكتب منسوبة لبعض الأنبياء، وبعض الكتب الأخرى، والتناخ هو نفسه ما اعترف به المسيحيون وأسموه العهد القديم.

كلام البشر، وأن كاتبه المزعوم يستقي معلوماته من اليهود والنصارى، وهي التهمة التي سجَّلها القرآن، ورد عليها.

وتُبرز الصفحات القادمة صعوبة كتابة نص في القرن السابع الميلادي -أو قبله- يتناول منطقة مغرب الشمس ومشرقها دون الوقوع في أخطاء علمية فادحة، فكاتب سفر التكوين، وكاتب سفر اخنوخ، وكاتب رؤيا (بولس)، وكاتب قصة (زوسِمَس)، كل منهم كان حريصا وقت أن كتب ما كتب أن يأتي بجغرافية المغرب والمشرق على الوجه الصحيح، مدعيا أن كلامه من عند الله، ولكن خاب سعيهم، وفضحهم الله في عصرنا الحديث، بعد أن اكتشفنا مغرب الشمس، ومشرقها، وظهر كذبهم وتزويرهم، وقولهم على الله بغير علم.

أولا: جنَّة عدن:

يحكي لنا كاتب سفر التكوين قصة إسكان الله آدم وزوجه في الجنة، وأكلهما من الشجرة المحرمة، ثم إخراجهما منها، وكاتب السفر يطلق على هذه الجنة: جنة عَدَن[159]، ويجعل هذه الجنة في موضع ما من الأرض[160]، وادعى كاتب/كتبة السفر أن هناك نهر يخرج من الجنة، وأن هذا النهر يسقي الجنة، ثم يتفرع إلى أربعة أنهار، منها نهر الفرات، يقول النص: " 2: 7 وجَبَل الرب الإله آدم ترابا من الأرض و نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية 2: 8 وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله 2: 9 وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة و شجرة

---

[159] - تنطق جنة عَدَن وهي غير جنات عَدْن التي جاءت في القرآن وتعني جنات إقامة.

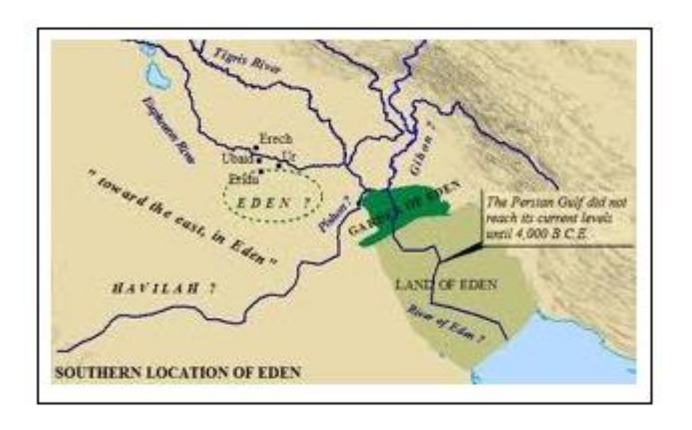
[160]- ثار نقاش بين علماء المسلمين عن تحديد ماهية الجنة التي أدخل الله آدم وزوجه فيها هل هي جنة المتقين التي يدخلها الصالحون يوم القيامة وموضعها في السماء، أم هي جنة من جنان الأرض.

معرفة الخير والشر 2: 10 وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس 2: 11 اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب 2: 12 و ذهب تلك الأرض جيد هناك المقل و حجر الجزع 2: 13 واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش 2: 14 واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات 2: 15 وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها".

من الواضح أن كاتب/كتبة سفر التكوين يجعل جنة آدم وزوجه في مكان ما في الأرض، ولكن أي موضع من الأرض كان يقصد؟، لقد احتار الباحثون المُحدثون والمُعاصرون في تحديد الموقع الذي وصفه كاتب السفر، وذهبوا في ذلك كل مذهب.

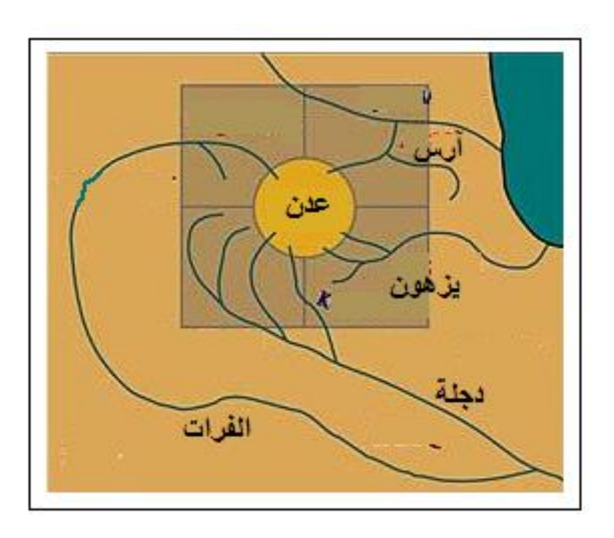
ومن الآراء الحديثة في تحديد موقع جنة عَدَن التوراتية والتي لاقت نوعا من القبول، هو رأي يقول أن هذه الجنة تقع في الجزء الشمالي من الخليج العربي، ففي هذا الموضع تلتقي أنهار دجلة، والفرات، ونهر قارون الذي يجري في إيران الحالية وهو نهر صغير، والنهر الرابع هو نهر جاف الآن، وكان يجري من جبال الحجاز ليصب في الخليج العربي، في منطقة دولة الكويت الحالية.

والرأي السابق رأي جدير بالتأمل، غير أن النص صريح في أن النهر الذي ينبع من الجنة ينقسم إلى أربعة أنهار، وهذا بعيد عن كون أربعة أنهار تصب أو حتى تلتقي في نهر واحد، وبالإضافة إلى ذلك فإن النهران (فيشون) و(جيحون) في النص لاعلاقة لهما بالمنطقة.



الشكل رقم (111) النظرية الأولى لتحديد موضع جنة عدن: موضع التقاء أربعة أنهار عند رأس الخليج العربي إثنان منها هما الفرات ودجلة.

وهناك رأي آخر يقترح تحديد منطقة (تبريز) في (إيران) الحالية، وهو رأي يحمل بعض الوجاهة؛ فالنص يتحدث عن نهر يتفرع منه نهر الفرات، والاستنتاج المباشر هو أن منطقة جنة عدن تقع في منطقة روافد نهر الفرات، وتقول هذه النظرية أن هناك **نهر واحد يغذي نهري دجلة والفرات ونهرين آخرين صغيرين**، ويعيب هذه النظرية هو أن المنطقة باردة شديدة البرودة، ويتساقط فيها الثلج شتاء، وهي بهذا لاتصلح بأي حال أنت تكون جنة آدم وزوجه، هذا غير عدم انطباق أسماء الأنهار والبلاد على الأنهار والبلاد التي تقترحها النظرية.



الشكل رقم (112) النظرية الثانية: جنة عدن هي الموضع الذي ينبع فيه نهري دجلة والفرات ونهرين آخرين ، وتقع شمال إيران.

موقع جنة عَدَن:

يعترف الدارسون للكتاب المقدس أن كتبته قد لجأوا إلى تراث الأمم الوثنية التي تحيط بهم وراحوا يقتبسون منه بحرية، لذا يجب علينا قراءة نص جنة عدن في ضوء نصوص الأمم الوثنية التي سبقت، والتي عاصرت اليهود.

لقد لفت نظر الباحثين أن العراقيين القدماء وبالتحديد في نص (جلجامش) الذي يرجع تاريخه إلى 1800 عام تقريبا قبل الميلاد قد أطلقوا على منطقة مشرق الشمس (دِلمن) اسم "فمِّ الأنهار"، وقارنوا بين هذا وبين سفر التكوين الذي يقول كاتبه أن جنة عدن في الشرق، وأن نهرا يخرج منها، وينقسم إلى أربعة أنهار عظمى أحدهم نهر الفرات، وتسائل الباحثون هل استلهم كاتب سفر التكوين من النص العراقي القديم، أو من نفس الثقافة على الأقل؟

لقد كان عند اليونانيين القدماء رأيا مشابها لنص سفر التكوين، فلقد كانوا يعتقدون في وجود نهر من الماء العذب يدور حول

دائرة اليابسة مثل الحلقة، وأطلقوا عليه اسم (أقيانوس)، واعتقدوا أن هذا النهر هو الذي يغذي كل الأنهار في العالم بالمياه، إما مباشرة مثل نهر النيل، وإما عن طريق قنوات تحت الأرض تنقل المياه من نهر (أقيانوس) إلى منابع الأنهار المختلفة، كما أنه مصدر مياه الآبار والعيون.

وفي نص هام نجد أن (هيرودت) يعترض على الاعتقاد، بوجود نهر (أقيانوس)، وأثناء اعتراضه يوضح لنا اعتقادا ثانويا عند اليونانيين القدماء، وهو أن نهر (أقيانوس) ينبع من منطقة مشرق الشمس، يقول (هيرودت): **"**مثل أقيانوس يقول الإغريق أنه يجري حول العالم **من حيث تشرق الشمس**، ولكنهم لا يستطيعون إثبات ذلك**"**[161].

إن هذه العبارة المقتضبة لـ(هيرودت) تشرح لنا ماذا كان يقصد كتبة ملحمة (جلجامش) من تسميتهم مشرق الشمس (دلمن) فم الأنهار، لقد كانوا يقصدون أن الماء العذب لكل الأنهار يأتي من هذه المنطقة.

لقد كان من أهم مشاكل دراسة نص جنة عدن في سفر التكوين هو أنه كيف يغذِّي نهر واحد نهرين بعيدين عن بعضهما كل البعد فنهر الفرات في العراق، بينما بلاد (كوش) التي يجري فيها نهر (جيحون) -أيا كان هذا النهر- هي بلاد السود التي تقع جنوب مصر.

والحل بسيط، وهو أن هذا النهر الذي يغذي النهرين هو نهر (أقيانوس)، الذي ينبع في مشرق الشمس ويجري حول كل الأرض مثل الحلقة، ويغذي كل أنهار العالم بالماء العذب.

إن كاتب سفر التكوين لا يكتب كلام الله، ولكنه يكتب تصوره الشخصي للكون، هذا التصور الذي استمده من أساطير العراقيين، واليونانيين القدماء، وتصوراتهم الخيالية للكون، ثم هو ينسبه لله

---

[161] - Herodotus Histories 4.8.1

رب العالمين، فلا عجب أن تأتي تصوراته مناقضة للواقع الجغرافي، ومشابهة أو مطابقة لخيلات القدماء من الوثنيين.

والذي يؤكد صحة ما استنتجته هو أن (جوزيفس) ذا الثقافة اليونانية الرومانية قد فهم مافهمتُه أنا في هذا الموضع من سفر التكوين، (فجوزيفس) يقول في تعليقه على سفر التكوين: "الآن الحديقة تروى بنهر واحد، وهو **الذي يدور حول كل الأرض،** وينقسم إلى أربعة أجزاء"[162]، فالنهر الذي يدور حول الأرض هو نهر (الأقيانوس) بلاشك.

وهناك دليل آخر، فقد قال أحد أحبار اليهود الجغرافيين أنه من الثابت من كلمات (المتعلمين) أن هناك فردوسا يقع في موضع ما من سطح الأرض، وأن أربعة أنهار تنبع منه، وأنه قد صرح هؤلاء المتعلمون أن هذا الفردوس يقع تحت خط المنتصف لهذا العالم، حيث يكون النهار دائما له نفس الطول[163].

وهذا يقوي ما وصلت إليه من أن جنة اليهود ليست إلا (سخت عارو) المصرية و(دلمن) العراقية، واللتان هما مشرق الشمس جزيرة (غينيا) الجديدة، التي تقع تحت خط الإستواء، وأرى أن اليهود استقوا هذه المعلومة السابقة من قدماء المصريين.

ولكن ما الذي نستفيده في بحثنا هذا مما سبق؟ الذي نستفيده هو أننا الآن نعلم ماذا قصده كاتب سفر التكوين عندما حدد موضع جنة عدن بأنها تقع **شرقا**، إنه لم يقصد أنها تقع جهة الشرق من فلسطين أو حتى العراق، وإنما قصد أنها تقع في منطقة مشرق الشمس، أو أقصى البلاد من جهة الشرق، وهو بهذا لا يأتي بجديد، فهو يضع جنة عدن في نفس منطقة جنة المصريين القدماء (سخت عارو)، وأيضا حيث وضع العراقيون جنتهم (دلمن)، وفي نفس الموضع -على الأغلب- الذي جعل اليونانيون جنتهم (جزر المباركين)، وبهذا يتضح لدينا مدى صعوبة أن يأتي القدماء بنص

162- Josephus Antiquitie of the Jews Book I chapter 1:3

163- Gerald Massey Sepher Hamunoth, f. 65, c. i

يصف بلاد مشرق الشمس من عند أنفسهم دون أن يقعوا في أخطاء جغرافية فادحة، حتى لو نسبوا النص لله العليم الخبير.

موضع جنة عدن في المصادر اليهودية والمسيحية الأخرى:

في المصادر الأخرى غير التوراة، مثل التلمود والكتب غير المعترف بصحتها مثل كتاب (أخنوخ)، وكتاب "آدم وحواء"، وغيرهما، نجد علامات صريحة على أن اليهود اعتقدوا أن جنة عَدَن تقع في منطقة مشرق الشمس.

ففي كتاب "أساطير اليهود": "خلف العالم المعمور ناحية الشرق توجد الفردوس"، والنص هنا يخلط بين جنة آدم، وجنة الخلد، أو الفردوس، وكذلك نجد: "عندما تشرق الشمس في مسارها في الصباح، فإن أجنحتها تلمس أوراق أشجار الفردوس"، ويرجع هذا للاعتقاد البدائي وهو أن الأرض مسطح، والسماء عليها كالقبة، وأن الشمس تشرق بأن تخرج من الأرض ثم تصعد في السماء، أما وجود أجنحة للشمس، فهو يدل على الأصل المصري للفكرة؛ فلقد رُسمت الشمس المجنحة على كل معابد مصر القديمة.

وفي كتاب "أساطير اليهود" نجد نصا يهوديا يفيد أن أرواح الموتى لابد لها أن تمر في جنة آدم وزوجه قبل أن تبلغ مقرها الأخير، وهذه الفكرة مشابهة لفكرة رحلة الموتى ووصولهم إلى مشرق الشمس، وهو يفيد ضمنا أن جنة آدم وزوجه تقع في مشرق الشمس.

وفي كتاب "آدم وحواء" وهو كتاب غير معترف بصحته نجد الكاتب يضع آدم وحواء في أقصى شرق الأرض على شاطئ (الأقيانوس)، يقول النص: "في اليوم الثالث غرس الإله الجنة في شرق الأرض، عند حافة العالم الشرقية التي وراءها لايجد الإنسان شيئا سوى الماء، الذي يحيط بالعالم كله، ويصل إلى حافة السماء".

وفي سفر (أخنوخ) الإثيوبي نجد كاتب السفر يجعل جنة آدم وزوجه هي نفسها جنة الأبرار: " ووصلتُ إلى جنة الأبرار"، ثم يقول عنها أن بها "شجرة المعرفة التي منها أكل أبوك القديم، وأمك المسنَّة".

والأهم من هذا أنه يضع جنة الأبرار هذه في أقصى شرق العالم، وراء المحيط الهندي، والذي يسميه البحر الأحمر على عادة اليونانيين القدماء في عصره، يقول النص: "...، عبرت فوق قمم الجبال هذه إلى بعض المسافة باتجاه المشرق، وتابعت ذهابي إلى **البحر الأحمر**، وعندما سرت بعيدا **خلفه** مررت بالملاك (راتيئيل)، ووصلت إلى جنة الأبرار"[164].

ويفهم من النص أنه يجعل الجنة قرب الحافة الشرقية للعالم:" من هناك أنا مضيت نحو أطراف الأرض، حيث شاهدت وحوشا،...، إلى الشرق من هذه الوحوش أنا شاهدت أطراف الأرض، التي عليها ترتاح السماء"[165].

وتقترب هذه الجغرافيا لكاتب سفر (أخنوخ) من جغرافية مشرق الشمس كما حددتُها بجزيرة غينيا الجديدة، فالجزيرة تقع شرقا وراء المحيط الهندي.

موقع جنة عدن في خرائط العصور الوسطى:

في العصور الوسطى نجد أن الجغرافيين الأوربيين يُجمعون على تحديد موقع جنة عدن على خريطة العالم، وذلك رغم أنهم لم يكونوا قد اكتشفوا كل مناطق آسيا، وذلك قبل اكتشاف الأمريكتين وغينيا الجديدة وأستراليا، ولقد شاعت في هذه العصور خريطة مبسطة للعالم يطلق عليها خريطة الـ (تي. أو) T.O. وذلك لأنها كانت على شكل دائرة أو حرف الـ (O)، وهي تمثل البحر المحيط أقيانوس، الذي يحيط بقرص اليابس، أما

164 - سفر أخنوخ الإصحاح 31: 2.

165 - سفر أخنوخ الإصحاح 32: 2،1

حرف الـ (T) فيمثل شكل الممرات المائية المهمة، فخط الرأسي في حرف الـ (T) يمثل البحر المتوسط، والخط الأفقي الجزء الأيمن منه يمثل نهر النيل، والجزء الأيسر منه يمثل نهر (دون) الذي يجري في روسيا ويصب في البحر الأسود، وهي خريطة مبسَّطة للعالم.

ومن أشهر خرائط العصور الوسطى من هذا النوع والتي أثبتت جنة عدن في أقصى شرق العالم هي خريطة (هرفورد) Hereford المعروضة في كاتدرائية (هرفورد) بانجلترا والتي رسمت عام 1300 ميلادية.



الشكل رقم (113) جزء من خريطة (هرفورد)، وجنة عدن تقع في أقصى الشرق، والذي جُعل في أعلى الخريطة.



الشكل رقم (114) جنة عدن في الخريطة السابقة مكبرة.

وهكذا فإن النصوص التي جاءت خارج التوراة، وخرائط الجغرافيين في العصور الوسطى تؤكد أن اليهود والنصارى اعتقدوا أن (جنة عدن) تقع في أقصى شرق العالم، أو في مشرق الشمس، وهذا يقوِّي رأيي بأن كاتب سفر التكوين قصد أن يقول أن جنة عدن تقع في أقصى شرق العالم، أو في مشرق الشمس.

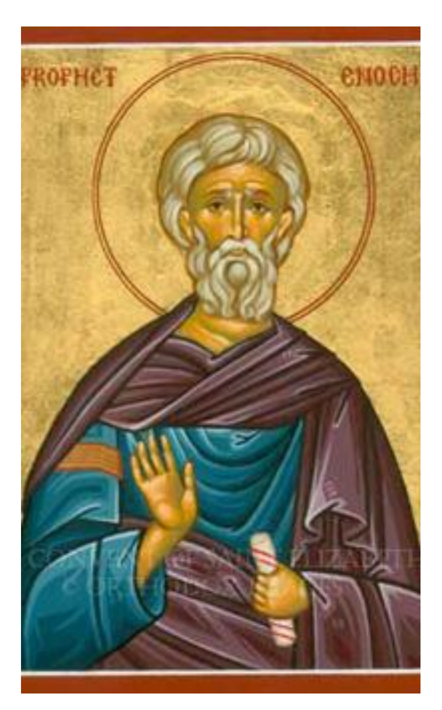
ثانيا: مغرب الشمس ومشرق الشمس في سفر أخنوخ:

سفر (أخنوخ) هو أحد الأسفار (الأبوكريفا) الذي لم يعترف علماء اليهود أوعلماء النصارى بصحتها، ولم يقبلوها كجزء من كتابهم المقدس، لذا فنحن لانجدها في (التناخ) وهو كتاب اليهود المقدس، ولا في العهد القديم.

ورغم ذلك فإننا نجد أن لهذا السفر مكانة هامة؛ فنحن نقرأ في رسالة (يهوذا) المعتمدة في الإنجيل اقتباسا من سفر (أخنوخ)[166]،

---

[166] - رسالة يهوذا 1:14، 1: 15.



الشكل رقم (115) صورة مفترضة للنبي أخنوخ.

وهذا يعني أن يهوذا كان يعتبر سفر (أخنوخ) سفرا مقدسا موحى به من عند الله، كما اعتبره كثير من آباء الكنيسة الأوائل وحيا مقدسا، مثل (أثيناجورس) Athenagoras، و(كلمنت) الإسكندري Clement of Alexandria، و(أرنيس) Irenaeus، و(ترتوليان) Tertullian[167].

ولقد فُقِد هذا السفر لفترة طويلة تصل إلى ألف عام، فالكتَّاب القدماء يشيرون إليه دون أن نجد نسخة واحدة منه في الكنائس، حتى عُثر عليه أخيرا في كنيسة الحبشة، فلقد عثر عليه (بروس) Bruce، وترجمه إلى الإنجليزية (لورانس) Laurance،

[167]- http://en.wikipedia.org/wiki/Book_of_Enoch

رئيس أساقفة (كاشيل) Cashel، وأُصدرت الطبعة الأولى منه عام 1821 ميلادية[168].

ويهمنا في بحثنا هذا الجزء الذي يتحدث فيه كاتب سفر (أخنوخ) عن رحلة (أخنوخ) الأرضية، والتي يصل فيها إلى أقصى غرب العالم وأقصى شرقه.

مغرب الشمس في سفر (أخنوخ) منطقة بركانية نشطة:

يفاجؤنا كاتب السفر في إصحاحه السابع عشر على لسان (أخنوخ) بقوله: **"وأخذوني [أي الملائكة] إلى المياه الحية، ولنار الغرب التي تستقبل كل غروب للشمس"** هكذا في ترجمة (تشارلز)، وفي ترجمة (لورانس): **"ورفعوني لجدول ماء يبقبق، ولنار في الغرب تلك التي تستقبل كل غروب للشمس"**، وهي عبارة تشبه إلى حد بعيد قوله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة".

ورغم الشبه الواضح فإن الكاتب جعل الماء حيا، أويبقبق ولم يجعله مغليا، ولقد جعله في جدول، ولم يجعله في عين ماء، كما أنه فصل بينه وبين النار التي تستقبل غروب الشمس، فالشمس تغرب في النار، وليس في الماء، وأخيرا فإنه جعل غروب الشمس في النار حقيقيا يحدث كل يوم.

ومن الواضح أن كاتب النص يستلهم من التراث المصري في هذه النقطة، وصحيح أننا لانجد في النصوص المصرية التي وصلتنا نصا صريحا يصرح بأن الشمس تغرب في عين حمئة حامية، غير أننا قد أعدنا بناء هذه الفكرة المصرية من عدة نصوص مصرية وغير مصرية.

ولا يمكن لأحد أن يتهم القرآن الكريم بالأخذ من سفر (أخنوخ) في هذه النقطة، وذلك لأن النص القرآني متفق مع العلم الحديث بشكل تام على العكس من نص سفر (أخنوخ)، فالغروب في النص

---

[168] - http://en.wikipedia.org/wiki/Book_of_Enoch

القرآني غروب في رأي العين وليس غروبا حقيقيا، وليس الأمر كذلك في سفر (أخنوخ)، كما أن البحيرة الحمئة الحامية هي وصف علمي لنوع من البحيرات البركانية النشطة النادرة الموجودة بالفعل، وليس الأمر كذلك بالنسبة لنص (أخنوخ).

بالإضافة إلى ذلك فإن النص القرآني أكثر شبها بنصوص المصريين القدماء ورسومهم، فلقد ذكر بعض الكهنة قبل كاتب سفر أخنوخ بأكثر من ألف عام بحيرة ماء مغلي نتنة الرائحة تقع في مغرب الشمس، ورسموها وهي تقع في وسط جبل مغرب الشمس البركاني النشط، الذي اعتقدوا أن الشمس تغيب فيه كل مساء، وهذا يشهد للنص القرآني، وأنه لم يأخذ من نص سفر (أخنوخ)، بل نزل من عند الله العليم الخبير.

ونحن نجد أن كاتب سفر (أخنوخ) يسهب في وصف منطقة مغرب الشمس، ويتضح لنا من وصفه أنها منطقة جبال بركانية نشطة؛ ففي نفس الفقرة[169]: "ووصلت إلى نهر نار، يتدفق مثل الماء ويفرغ نفسه في بحر باتجاه الغرب"، ويقول أيضا: "ووجدت نيرانا تلتهب فوق جميع الجبال"[170]، ويقول: "ومن هناك ذهبت إلى مكان آخر، نحو **الغرب حتى أقصى الأرض**، حيث رأيت نارا تستعر وتركض متقدمة من دون توقف، لم ينقطع مسارها بالنهار ولا باليل، بل استمرت دوما كما هي".[171]

وفي سفر نبي الله (نوح) الذي يكوِّن جزءً من سفر (أخنوخ)، نجد أنه في منطقة الغرب يقول: "انبعثت من كتلة النار المتدفقة، والارتجاف الذي استبد بذلك المكان، رائحة قوية، هي رائحة الكبريت، الذي أصبح ممتزجا مع المياه،..."[172].

---

[169] - سفر أخنوخ 17 :4

[170]- سفر أخنوخ 21: 6

[171] - سفر أخنوخ 23: 1، 2

[172] - سفر أخنوخ 66 : 6

ورغم ضبابية بعض العبارات وركاكة الأسلوب، فإنه يمكننا أن نفهم أن مغرب الشمس منطقة مليئة بالجبال البركانية النشطة، التي تشتعل النار في قممها، وكذلك تمتلئ بأنهار (اللافا)، أو الصهارة البركانية المتدفقة، ورائحة ثاني كبريتيد الهيدروجين النتنة، وغيرها من مظاهر المناطق البركانية النشطة.
والعجيب أن هذه الصورة مشابهة بالفعل لمنطقة (الأنديز) ذات الجبال البركانية النشطة، والتي توصلنا إلى أنها هي منطقة مغرب الشمس.
ويقول كتبة سفر (أخنوخ): "...في الغرب حيث هناك جبال من ذهب وفضة وحديد ومعادن متدفقة وقصدير"[173]، وهذه هي نفسها المعادن التي تشتهر بها منطقة (الأنديز).

(تيمات) مصرية في سفر (أخنوخ):

يخبرنا كتبة سفر (أخنوخ) على لسانه أن أجساد الموتى تذهب إلى أقصى غرب العالم أو مغرب الشمس، فبعد أن يذكروا النار التي تستقبل مغيب الشمس يقولوا: "حتى وصلتُ إلى **ظلام كثيف**، وذهبت إلى حيث تهاجر جميع الأجساد"[174]، ويقول كتبة السفر أيضا عن جهة الغرب: "هنا سوف يجري جمع كل أرواح أبناء الإنسان"[175].
وفكرة رحلة الأرواح -أو الأجساد خطأً- إلى مغرب الشمس، أو إلى الغرب هي فكرة مصرية تماما، فالنص المصري يقول عن جبل مغرب الشمس: "...الجبل الخفي الذي يستهلك البشر والآلهة، وكل الماشية، وكل الزواحف"[176].

---

[173] - سفر أخنوخ: 66:4

[174]- سفر أخنوخ 17: 4

[175] - سفر أخنوخ 22: 3،1

[176] - كتاب البوابات الساعة الأولى.

كما أن فكرة الظلام الكثيف الذي يغطي مغرب الشمس هي فكرة مصرية مذكورة في عنوان كتاب هذا الذي في العالم السفلي: "...البدايات **لقرن أَمِنْت، لأخت أَمِنْت** [الذي هو] الحد الفاصل بين الظلام الكثيف لأخت أَمِنْتت...".

ويقول كتبة السفر على لسان (أخنوخ): " أجابني [أي الملاك] ذلك الجبل الذي رأيته، والذي امتداد رأسه يشبه كرسي الرب، سوف يكون الكرسي الذي سيجلس عليه رب المجد المقدس والعظيم، الملك السرمدي، عندما سيأتي وينزل ليزور الأرض مع الخير والصلاح"[177].

إن فكرة نزول الإله وجلوسه على عرشه، وأن هذا العرش ليس إلا جبلا هي فكرة مصرية أيضا، فلقد تخيل المصريون القدماء أن جبلي (الأَخِت) الغربي والشرقي هما عرشان يجلس عليهما (رع) إله الشمس الباطل وكبير الآلهة مرة عند الغروب ومرة عند الإشراق.

فالنص المصري القديم يتحدث "عرش الأَخِتين"، كما أن هناك رسم (لرع) عند الأشراق، وهو على هيئة الطفل، وهو يجلس على جبل (الأَخِت) كما لو كان عرشا.

[177] - سفر أخنوخ 24: 8



الشكل رقم (116) رع في صورة طفل يجلس فوق عرش (الأَخِت)

ومما يؤكد لنا أن المقصود بجبل (أخنوخ) جبل (الأَخِت) هو قول كاتب (أخنوخ) عن الجبل: "ورأيت جبلا من نار يشع في كل من الليل والنهار"[178]، فالذي يشع أو المشع هي الترجمة الحرفية لكلمة (أخت).

ونحن هنا أمام تحريف عجيب قام به معدِّلي نص (أخنوخ) من المسيحيين الأوائل[179]، فهم يستفيدون من نص مصري وثني حتى النخاع فيجعلون المسيح في موضع (رع) إله المصريين الباطل، فهو ينزل إلى الأرض ويجلس على عرشٍ هو في حقيقته جبل.

إن هذه التيمات المصرية مثل الظلام الكثيف، وهجرة الموتى إلى أقصى الغرب، ووجود الجبل المشع الذي يجلس عليه الإله عندما ينزل إلى الأرض، إن وجود هذه التيمات يؤكد أن النص مستفاد من الكتابات والعقائد المصرية، وهذا يؤكد بدوره أن

---

[178] - 24: 1

[179]- يرى الباحثون أن نص أخنوخ هو نص وضعه اليهود وتم الاستيلاء عليه من جانب النصارى الأوائل وإضافة صبغة مسيحية عليه.

وصف منطقة مغرب الشمس بأنها منطقة جبال بركانية نشطة، وأن ذكر الماء الذي يبقلل، والنار التي تستقبل مغيب الشمس كل مساء هي أيضا مأخوذة من المصريين.

وهكذا تكون الصورة التي رسمها سفر (أخنوخ) لمغرب الشمس وإن أصابت في شيء فلقد أخطأت في أشياء كثيرة، وجاءت بخرافات منكرة دحضها العلم الحديث.

مشرق الشمس في سفر (أخنوخ):

يقول كاتب سفر (أخنوخ): "ومن هناك عبرت فوق قمم الجبال إلى بعض المسافة باتجاه الشرق، وتابعت ذهابي إلى البحر الأحمر Erythraean, وعندما سرت بعيدا خلفه مررت بالملاك زاتيئيل Zateel، ووصلت إلى جنة الأبرار. وفي هذه الجنة شاهدت بين الأشجار، بعض الأشجار كانت كثيرة العدد وكبيرة، وكانت مزدهرة هناك. وكانت رائحتهم مقبولة وقوية، ومظهرهم متنوع، وممشوق. شجرة المعرفة كانت هناك أيضا، وهي التي إذا أكل أي إنسان منها، يصبح متمتعا بحكمة كبيرة. وكانت مثل شجرة التمر الهندي، تحمل ثمارا تشبه العنب، ممتازا جدا، وتمتد رائحتها إلى مسافة جيدة. أنا صرخت: كم هي جميلة هذه الشجرة، وكم هو بهيج مظهرها!. ثم إن رافائيل المقدس – الذي كان ملاكا كان معي- أجاب، وقال: هذه شجرة المعرفة، التي منها أكل أبوك القديم وأمك المسنة، اللذان كانا قبلك، واللذان حصلا على المعرفة، وبما أن أعينهما فتحت، وعرفا نفسيهما أنهما باتا عاريين، طُردا من الجنة. من هناك أنا مضيت نحو أطراف الأرض؛ حيث شاهدت وحوشا كبيرة اختلف أحدها عن الآخر، وطيورا متنوعة في مظاهرها وأشكالها، وكذلك بالنسبة إلى اللحن ذوات أصوات مختلفة. إلى الشرق من هذه الوحوش أنا شاهدت أطراف الأرض، وحيث انتهت السماء. كانت أبواب السماء مفتوحة، ورأيت النجوم الإلهية يتقدمون نحو الأمام. وقد

توليت تعدادهم وهم ذاهبون خارج الباب، وسجلتهم جميعا بالتسلسل عندما خرجوا نجما نجما، تبعا لأرقامهم."[180]

نلاحظ أن كاتب أو - كتبة السفر- يجعل جنة الأبرار التي يدخلونها يوم القيامة هي نفسها جنة آدم وزوجه، أو جنة عدَن.

كما نلاحظ أنه يجعل جنة عدن في الشرق وراء البحر الأحمر، ولقد كان هذا الاسم يطلق على المحيط الهندي، وما يتفرع منه مثل بحر (القلزم)، وهو البحر الأحمر الحالي، والخليج العربي.

وهذه هي تقريبا المرة الأولى التي يذكر فيها أن مشرق الشمس يقع وراء المحيط الهندي جهة الشرق، والمرة الأولى التي يصل البطل إلى أقصى شرق العالم بالسير شرقا، بينما كل الطرق السابقة كانت بالعبور من أقصى غرب العالم، بعبور البحر الذي لا تعبره إلا الشمس وهو البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق.

ويشبه هذا النص تلك النصوص القليلة التي جاءتنا من أربعة آلاف عام من أن (دلمن) - وهي جزيرة مشرق الشمس عند العراقيين القدماء- تقع وراء البحر السفلي، والمقصود بالبحر السفلي هو الخليج العربي والمحيط الهندي **معا** على ما يبدو لي، وربما استلهم من هذه النصوص كاتب سفر (أخنوخ).

أما الملاحظة الثالثة على هذا النص أن (أخنوخ) وصل إلى نهاية الأرض من جهة الشرق حيث انتهت السماء، ووجد النجوم تتقدم من خلال أبواب السماء، ومن الواضح أن وجود نهاية للسماء، وأطراف للأرض، وأبواب للنجوم هي من الخرافات التي كانت عند القدماء، والتي تؤكد لنا أن كاتب النص يأتي بهذه المعلومات من عند نفسه مستلهما أساطير الأولين، وليس من عند الله العليم الخبير.

---

[180]- المحذوف من التوراة كاملا، سهيل زكار، سفر أخنوخ صفحة 70، 71 الإصحاح 31، 32

كيف وصل أخنوخ إلى
مغرب الشمس ومشرق الشمس:

في سفر (أخنوخ) الإثيوبي نجد أن كاتب السفر يجعل (أخنوخ) ينتقل إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق الشمس طائرا في الهواء على ما يبدو، ويجعله يسافر في صحبة الملائكة عموما، غير أنه يذكر أن يسافر في صحبة الملك (أوريل) أو(يوريل)، فهذا الملك معه في مغرب الشمس[181]، وذكر الكاتب أيضا أن (أوريل) كان مع (أخنوخ) في وسط الأرض[182]، ومعه في مشرق الشمس[183]، كما أنه الملك الوحيد الذي قال عنه الكاتب على لسان (أخنوخ) أنه يُوَجِهه: "وهو الذي تولى توجيهي" [184].

وكلمة (أوريل) تعني ضوء الله أو نار الله، ولقد ربط المسيحيون الأوائل بين (أوريل) وبين الشمس، فجعلوه أميرا للشمس، وملَك يوم الأحد الذي هو يوم الشمس[185].

والذي أراه أن كاتب أوكتبة سفر (أخنوخ) يستلهمون من المصريين مباشرة أو عن طريق واسطة [186]، فلقد تحولت رحلة ذي القرنين التي كان يبحر فيها ذو القرنين بقاربه في البحار متتبعا طريق الشمس الظاهري لرحلة بطل بقاربه في السماء، أو رحلة بطل في قارب إله الشمس الباطل، أو في معيته، وفي كتاب الموتى قال الكهنة المصريون عن (أُزَيْرِس) أنه أبحر في معية (رع).

---

[181] - 19: 1 وفي 21: 3

[182] - 26: 2

[183] - 32: 2

[184] - 21: 3

[185] - http://en.wikipedia.org/wiki/Uriel

[186] - ربما من الزرادشتيين.

ويبدو أن اليهود حاولوا التخفيف من وثنية الفكرة، فجعلوها رحلة مع ملَك الشمس بدلا من إله الشمس، وهذه هي عادتهم في تحويل آلهة جيرانهم الوثنيين إلى ملائكة.

كما نلاحظ أن (أخنوخ) عندما وصل إلى أقصى غرب العالم فإنه لم ينتقل مباشرة إلى مشرق الشمس، ولم يعبر العالم السفلي، أو البحر الفاصل بين المغرب والمشرق كعادة الأبطال في الأساطير المختلفة، وأرى أن سبب ذلك أن كتبة السفر اعتبروا أن العالم السفلي هو **اعتقاد وثني**، واعتبروه **فكرة خرافية** فالأرض في رأيهم مسطحة، فأجروا هذا التعديل، ولم يعلموا أن بين مغرب الشمس ومشرق الشمس بحر لجي يفصل بينهما كما أكدت نصوص الأهرام، وملحمة (جلجامش) اللتان تسبقان كتابة السفر بنحو ألفي عام.

أحداث مغرب الشمس في سفر (أخنوخ) الإثيوبي:

من الأكاذيب التي اختلقها اليهود واتبعهم فيها النصارى، أسطورة "الملائكة العاصية"، أو"الملائكة الساقطة"، ولقد بدأت هذه الأسطورة عند اليهود بنص في سفر التكوين، ويبدو أن كاتب السفر كان يريد أن يبرر وجود عمالقة (أي أناس ذوي أحجام ضخمة غير اعتيادية) في أزمنة ما قبل طوفان نوح، فادعى أن سبب وجود أولئك العمالقة هو أن بعض الملائكة قد هبطت من السماء، بعد أن لَفت انتباهَها جمالُ نساء البشر، وزعم أن هذه الملائكة تزوجت البشريات وأنجبوا جيلا من العمالقة.

ثم جاء واضعو النصوص المتناثرة -التي جُمعت فيما بعد وأطلق عليها سفر (أخنوخ)- وراحوا يضعون قصصهم المتخيلة معتمدين على نص التوراة حول العمالقة، ذلك النص الذي اعتبروه وحيًّا من عند الله، فقالوا أن بعض الملائكة قد هبطت من السماء، وتزوجت من نساء الأرض في مخالفة لأوامر الله الواضحة، وزعموا أنه نتج عن هذه الزيجات العمالقة، كما زعموا

أن الملائكة الهابطة قد علَّموا الناس علوما كثيرة، ورغم أن بعض هذه العلوم كان علوما نافعة مثل الكتابة، إلا أن كتَّاب السفر زعموا أن الملائكة الهابطة لم يكن لها أن تعلم البشر هذه العلوم، كما زعم كتَّاب السفر أن العمالقة من أبناء الملائكة الهابطة قد أفسدوا في الأرض وقتلوا البشر.

تعذيب الملائكة العاصية في منطقة مغرب الشمس:

في سفر (أخنوخ) يصور الكَتبة منطقة مغرب الشمس منطقة جبال بركانية نشطة تفور بالحمم المتدفقة، وهم يجعلون منها جهنما حقيقيا، ولكنها ليست جهنما لبني الانسان، وإنما جحيما تصلاه الملائكة الساقطة ويحبسون فيها؛ يقول النص: "...حيث رأيت عملية نار عظيمة، تلتهب، وتلمع، في وسطها كان انقسام؛ أعمدة من النيران تتصارع مع بعضها حتى نهاية الهاوية، وعميقا كان نزولها، لكن لامقياسها، ولاعظمتها كنت قادرا أن أكتشف، كما أنني لم أستطع أن إدراك أصلها، ثم إنني صرخت: كم هو رهيب هذا المكان، وكم هو صعب الاكتشاف، أوريل الذي كان واحدا من الملائكة القديسين، وكان معي، أجاب وقال: أخنوخ لماذا أنت مرعوب ومندهش تجاه هذا المكان الهائل، تجاه مشهد الآلام هذا؟ ثم قال: هذا هو سجن الملائكة، وهنا هم باقون للأبد"[187].

ويقول كتبة النص أيضا في موضع آخر على لسان نوح: " ...، وسوف يحبسون أولئك الملائكة الذين كشفوا الفسوق، في ذلك الوادي المحترق، هناك سوف يحبسون، وهو الذي أراني إياه جدي العظيم أخنوخ، في الغرب، حيث هناك جبال من ذهب وفضة وحديد، ومعادن متدفقة، وقصدير، ورأيت ذلك الوادي الذي فيه ارتجاف كبير، وحيث المياه كانت مضطربة، وعندما تم تنفيذ هذا كله، انبعثت من كتلة النار المتدفقة، والارتجاف الذي

---

[187] - 21: 5،6

استبد بذلك المكان، رائحة قوية هي رائحة الكبريت الذي أصبح ممتزجا مع المياه، ووادي الملائكة الذين كانوا مذنبين بالإغواء، احترقوا تحت ترابه، خلال ذلك الوادي أيضا أنهار من نار تدفق إليها أولئك الملائكة سوف يدانون، وهم الذين أغووا سكان الأرض"[188].

من هذين النصين يتضح لنا أن موضع تعذيب الملائكة العاصية هو مغرب الشمس، وأنهم عُذِّبوا عقابا لهم على أنهم علَّموا الناس الفساد، وأما طريقة التعذيب فهي بالنيران، وخصوصا النيران السائلة.

تعذيب النجوم في مغرب الشمس:

وبجوار الفكرة السابقة نجد فكرة أخرى في ثنايا نص سفر (أخنوخ) الإثيوبي، وهذه الفكرة هي أن هناك مجموعة من النجوم تعذب في منطقة مغرب الشمس، ففي السفر نقرأ: "...، ثم قال الملاك سوف يكون هذا المكان، حتى فناء السماء والأرض **سجن النجوم**، وحشد السماء...، **والنجوم** التي تدور فوق النار هي النجوم التي خرقت أوامر الرب قبل حلول وقتها، لأنهم لم يصلوا في موسمهم الموائم، لذلك كان غاضبا عليهم، وغلَّهم حتى حلول وقت فناء جرائمهم في سنة سرية"[189].

ويقول الكتبة في موضع آخر من السفر: "هناك أيضا شاهدت سبعة **نجوم** سماوية مغلولين مع بعضهم، مثل جبال عظيمة، ومثل نار ملتهبة، وصرخت: لأي صنف من الجرائم رُبطوا؟ ولماذا نُقلوا إلى هذا المكان؟ ثم أوريل الذي كان واحدا من الملائكة المقدسين، والذي كان معي، وهو الذي تولى توجيهي أجاب: أخنوخ لماذا أنت تسأل، ولأي سبب في نفسك وقلقا تتقصى؟،

---

[188] - 66: 4،5، 6، 7.

[189] - 18: 15،16

هؤلاء هم **النجوم** الذين خرقوا أوامر الرب الأكثر علوا، وهم هنا مغلولون حتى يكتمل العدد اللانهائي لجرائمهم".

وهكذا يتضح لنا أن تعذيب هذه النجوم يجري في منطقة مغرب الشمس، والسبب المذكور هو خرق أوامر الرب، وعدم الظهور في الموسم الموائم، وطريقة التعذيب المذكورة هي التعذيب بالنار.

الخلط بين الملائكة والنجوم:

يعترف الدارسون الغربيون أن اليهود كانوا يخلطون بين النجوم والملائكة، ولقد كانت النجوم - سواء النجوم الثوابت أو الكواكب السيارة أو حتى مجموعات النجوم التي تسمى بروجا- كانت تُعبَد عند جميع شعوب الأرض، وكانت الشعوب والقبائل القديمة تعدها آلهة، وعندما جاءت اليهودية، وتطاولت الدهور على اليهود، فإنهم بدأوا يقتبسون من ديانات جيرانهم الكنعانيين، والمصريين، والعراقيين، ومن ضمن ما اقتبسوه هو تقديس النجوم، غير أن اليهود أنزلوا النجوم والبروج والكواكب عن درجة الآلهة إلى درجة الملائكة.

وأرى أن بعض اليهود حوَّل النجوم/الآلهة عند الوثنيين - مثل اليونانيين- والتي هبطت إلى الأرض لتتزوج البشريات إلى الملائكة الساقطة، بينما حافظ بعض اليهود على الأصل فظلت النجوم/الآلهة عند الوثنيين هي النجوم العاصية، ثم جمعت هذه النصوص المختلفة في سفر (أخنوخ) الإثيوبي.

أصل مصري وراء فكرة تعذيب النجوم في مغرب الشمس:

في كتاب "هذا الذي في العالم السفلي" نجد في بحيرة (الماء المغلي) أن هناك آلهة باطلة غارقة حتى منتصفها في بحيرة الماء المغلي، رؤوسها سوداء، وكذلك في بحيرة (النيتو) نجد أن هناك آلهة باطلة مغمورة أيضا في البحيرة التي قيل عنها أن ماؤها نار، وربما يكون اليهود قد أخذوا الفكرة من المصريين القدماء.

ويبدو لي أن أصل الفكرة عند المصريين القدماء هكذا: مادامت الشمس تغرب في عين نارية في مغرب الشمس، فإن النجوم التي تغرب في المغرب أثناء الليل تغرب أيضا في نفس العين النارية، وبهذا فهي تعذب بماء البحيرة المغلي.

وفي كتاب الموتى وجدت نصا يصلح أن يكون أصلا لما كتبه واضعوا نصوص (أخنوخ)، يقول النص: "هلا...تحوت ما هذا الذي حدث لأبناء (نوت) المقدسين، لقد أشعلوا المعارك، ...لقد أيَّدوا النزاعات، ...لقد فعلوا الشرور، ...لقد خلقوا الشياطين، ...لقد أقاموا المذابح، لقد سببوا المتاعب بالحقيقة في كل أعمالهم، وقف القوي ضد الضعيف، عضدي ياقوة (تحوت) ما أراد الإله (تِم) أن يَتِم. إنك [لاتلام]على احتسابك الشر، ولاثورة غضبك عندما جعلت من سنينهم فوضى، واندفعت تعكر شهورهم، لأن كل مافعلوه ضدك هو الخطيئة في الخفاء، ..."[190]

إن أبناء (نوت) المذكورين في النص ليسوا سوى النجوم، حيث (نوت) هي السماء، أو ربة السماء الباطلة.

وخلاصة الأمر أن كتبة سفر (أخنوخ) ينقلون كثيرا عن المصريين، ويقولون بأن الملائكة والنجوم يعذبون في منطقة مغرب الشمس، وهو مخالف لحقائق العلم، ومبني على تصورات بدائية للكون، وعلى خرافات اختلقها الكهنة اختلاقا في الأزمنة القديمة.

ثالثا: مغرب الشمس ومشرقها في رؤيا (بولس):

"رؤيا بولس" Apocalypse of Paul هو أحد الكتب المسيحية الغير معترف بصحتها من قِبل السطات الدينية المسيحية، ويظن الباحثون أنها كتبت في القرن الرابع الميلادي، وفي النص يتحدث الكاتب على لسان (بولس) الرسول أحد أهم

---

[190] - كتاب الموتى الفصل 175 صفحة 16.

الشخصيات في الديانة المسيحية، ويزعم أنه صعد إلى السماء، وأنه زار الجنة والنار.

ولكن أكثر ما يهمنا في هذا النص أنه يجعل الجنة في المشرق، وجهنم في المغرب؛ يقول النص: "ونظرت جهة **مشرق الشمس** فرأيت أشجارا عظيمة الحجم مليئة بالثمار، وهذه الأرض كانت أكثر لمعانا من الذهب والفضة، وتوجد أعناب تنمو على النخيل، وآلاف آلاف الأغصان محملة بآلاف آلاف العناقيد، وسألت ملك العرش ما هذا ياسيدي؟ فقال لي هذه بحيرة (أخيروسيان) Acherusian, وفي وسطها مدينة الإله، ولايسمح لكل الناس بدخولها، إلا الذين يتوبون من ذنوبهم، وبمجرد أن يتوب الإنسان، ويغير حياته فإنه يسلَّم لـ(ميكائيل)، ويلقونه في بحير (أخيروسيان)، ثم يحضره إلى مدينة الإله بالقرب من الأبرار"[191]. فهنا نجد ذكر مشرق الشمس ومقر الأبرار، وبحيرة (أخيروسيان) ومدينة الإله، وهذه الصورة تشبه لحد كبير المعتقدات المصرية القديمة، وكذلك المعتقدات اليونانية المقتبسة من المعتقدات المصرية، حيث اعتقد كهنة المصريين الأوائل بأن جنة الأبرار تقع في مشرق الشمس، كما اعتقدوا بوجود مقر لأهم معبوداتهم الباطلة، وهو (رع) إله الشمس في مشرق الشمس، واعتقدوا أن هناك في مشرق الشمس توجد بحيرة يستحم بها (رع) كل صباح قبل أن يشرق، وردد الكهنة أمنياتهم أن يغتسل المتوفى مع (رع) في بحيرة المشرق. وفي موضع آخر يقول الكاتب على لسان (بولس): "قادني خارج المدينة، وخارج بحيرة (أخيروسيان)، ووضعني على نهر المحيط الذي يحمل قبة السماء، وسألني أتدري إلى أين أنا ذاهب؟ وأنا أجبته لا ياسيدي، قال لي إتبعني لعلي أريك أين تكون أرواح غير المتقين والمذنبين، وأخذني إلى **مغرب الشمس**، وحيث بداية السماوات تعتمد على

---

[191]- http://fam-faerch.dk/pseudigrapher/apocl/apcpaul.htm

نهر المحيط، ورأيت ماوراء النهر، لم يكن ثمة ضوء بل ظلمة،...، ورأيت نهرا يفور وجمع كبير من رجال ونساء ملقون فيه،..."[192]

وفي هذا النص نجد تصريحا من كاتب سفر الرؤيا بأن موضع جهنم التي يصلاها المذنبين هو مغرب الشمس، أما الظلمة والنهر الذي يفور أي يغلي، بالإضافة لتعذيب أرواح الموتى في مغرب الشمس فإنها كلها تيمات أسطورية مصرية قديمة.

ويشبه هذا ما فعله الكتاب المسيحيون الأوائل في مصر عندما أقتبسوا (أَمِنْت) مغرب الشمس في المصرية القديمة، وحولوها لجهنم تذهب إليها أرواح الكافرين بالمسيحية، والوثنيين، وأطلقوا عليها اسم (أمند) amend [193].

رابعا: مشرق الشمس في قصة (زُوسِمَس والرخابيين):

قصة (زوسمس) هي من الكتابات الأبوكريفية، أي الكتابات التي لاتعترف السلطات الكنسية بأنها وَحي من عند الله، وهي نص يحكي قصة راهب يطلب من الله أن يريه أرض المباركين، فيأخذه ملك من الملائكة إلى شاطئ نهر عظيم، وعندما يعبره (زوسمس) يجد القوم المبرورين الذين طلب رؤيتهم، ويكتشف أنهم من نسل (الرخابيين)، الذين كانوا يقيمون مع بني إسرائيل من قبل وذُكروا في الكتاب المقدس في سفر (إرميا)، ويخبره القوم أن الله نقلهم إلى هذا المكان الذي لايستطيع أحد الوصول إليه، وأنهم يرزقون الطعام والشراب بلاعمل، وأنهم يقضون أوقاتهم في الصلاة والعبادة.

---

[192] - - http://fam-faerch.dk/pseudigrapher/apocl/apcpaul.htm

[193] - بدج: آلهة المصريين.

وهناك اتفاق بين الدارسين على أن القصة في الأصل هي قصة يهودية، تم الاستيلاء عليها من قبل بعض النصارى، وأنهم أضافوا إليها بعض التفاصيل المسيحية.

أما ما يلفت انتباهنا في هذه الأسطورة، فهو قوة التشابه بينها وبين رحلة الملك المتوفى المصري إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس، كما وصفتها نصوص الأهرام.

فـ(زُوسمس) كي يصل إلى أرض المباركين كان لابد له أن يعبر النهر الذي لايعبره أحد، وهذا النهر مظلم مغطى بالضباب الكثيف، وهذا مشابه للبحر الذي ذكر في نصوص الأهرام، وهو نفسه البحر الذي يفصل بين مغرب الشمس ومشرق الشمس، ويجب على المتوفى عبوره ليصل إلى مشرق الشمس.

كما أن طريقة عبور هذا النهر في قصة (زوسمس) كانت طريقة فريدة؛ فلقد تمت بمساعدة شجرتين، وهذه الطريقة مشابهة ولاشك لإحدى طرق عبور البحر للوصول إلى مشرق الشمس والمذكورة في نصوص الأهرام، يقول النص:

- أيها الملك أنت لن تسقط أرضا.

- أنت تمسك بشجرتي الجميز اللتين في وسط الجانب الآخر من السماء.

- اللتين تجعلانه يعبر البحر، وتضعانه على الجانب الشرقي من السماء[194].

إن هذا التشابه يؤكد أمرين: أن واضع قصة (زوسمس) كان يستلهم من التراث المصري، ثانيا أن موضع (الرخابيين) الأبرار هو مشرق الشمس. ولقد وصف النص القوم الذين يعيشون في أرض المباركين بأوصاف خرافية، فهم من نسل (الرخابيين) الذين عاشوا في فلسطين، وقد نقلهم الله إلى هذا المكان البعيد وراء النهر الذي لايمكن عبوره، وهم يرزقون بلا عمل، وهم منهمكون في العبادة ليل نهار، وهم لايمرضون، وأعمارهم تصل إلى مئات

---

[194] - نصوص الأهرام.

السنين. وغني عن القول أن العلم الحديث أثبت بطلان هذه الإدعاءات الخرافية، فليس هناك على وجه الأرض من يُرزق بغير عمل، أويصل عمره إلى مئات السنين، أو لايمرض، ولم يُعثر على أية أقوام في مشرق الشمس يدعون أنهم من أبناء (الرخابيين).

غير أن ما يلفت انتباهنا هو أن النص يزعم أن الأبرار في هذا المكان كانوا يعيشون **عراة؛** يقول كاتب النص على لسان (زُوسمس) بعد أن عبر النهر مباشرة: "ورأيت هناك رجلا عاريا جالسا،...، وقلت له لماذا أنت عارٍ؟ قال كيف عرفت أنني عارٍ؟"[195]. ويقول أيضا واضع النص على لسان (الرخابيين) أنفسهم: "ولكننا لسنا **عراة** كما تتخيلون خطأ، لأننا لدينا كساء الخلود، ونحن لا نخجل من بعضنا البعض"[196].

وعُري القوم غريب تماما، لأن (الرخابيين) كانوا من الفرق المتنسكة المتشددة في موضوع العُري، وكذلك كان الحال في الفرق اليهودية المتنسكة التي ظهرت بعد (الرخابيين)، فهم كانوا كذلك متشددون في موضوع العري، حتى بين الأزواج، فكيف نسب لهم واضع النص هذه الصفة؟

أرى أن هذه الصفة بقيت من القصة المصرية الأصلية، وربما كانت القصة هكذا: ذهب رجل ربما –(أُزَيْرِس)- إلى مغرب الشمس وهناك عبر النهر/البحر إلى مشرق الشمس، حيث وجد

---

[195] - قصة زوسمس والرخابيين
http://maxwellinstitute.byu.edu/publications/books/?bookid=41&chapid=193

[196]- قصة زوسمس والرخابيين
http://maxwellinstitute.byu.edu/publications/books/?bookid=41&chapid=193

مجموعة من العبَّاد العراة[197]. وربما جاءت فكرة العبَّاد في مشرق الشمس من التحريف الذي حدث لكلمة (أختيو) التي تعني سكان جبل (الأَخِت) الشرقي، وقلنا أنهم سكان مرتفعات مطلع الشمس في جزيرة غينيا الجديدة, فلقد تحرفت الكلمة إلى (أخو) بمعنى الأرواح الطيبة الصالحة، وربما بسبب نفس التحريف جاءت النصوص اليونانية تصف سكان مشرق بأنهم من العبَّاد النسَّاك الذين تحبهم الآلهة الباطلة.

وربما يقول البعض أن القرآن استلهم عُري سكان مشرق الشمس من قصة (زوسمس)، وهذه دعوى باطلة لأن النص كما وصلنا لايدري كاتبه أن (الرخابيين) العراة هم في مشرق الشمس، ونحن لم نتوصل إلى موقعهم إلا بالمقارنة بالنصوص المصرية الأقدم، ثانيا أن النص مليء بالأخطاء العلمية مثل أن الماء الذي عبره (زوسمس) هو عبارة عن نهر، وهذا مستمد من فكرة نهر (أقيانوس)، وأن هذا النهر مظلم ولايمكن عبوره، وكذلك الطريقة الخرافية لعبور النهر والمستمدة من الأفكار المصرية، ثم إدعاء كاتب النص المنطقة بعد النهر، والتي يقطن بها (الرخابيون) هي أرض منبسطة ليس بها جبال، وكذلك أن القوم الذي يسكنون هناك من العراة هم نسل (الرخابيين)، وأن أعمارهم تمتد مئات السنين، وأنهم، لا يمرضون، ولا يعملون، بل يأتيهم رزقهم بكرة وعشيا.

فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم، أو أي إنسان اطلع على نص قصة (زوسمس والرخابيون)، فكيف له وهو في القرن السابع الميلادي أن يعلم أن كل هذه "المعلومات" عن سكان مشرق الشمس هي خطأ، ومحض أوهام فلم يذكرها في القرآن؟ وكيف له أن يعلم أن هناك معلومة وحيدة هي الصواب، وهي "عُري سكان مطلع الشمس"فذكرها؟ إنه لا يستطيع هذا إلا الله العليم الخبير.

[197] - زوسمس ربما تكون كلمة عبرية منطوقة باللغة اليونانية، ويكون معناها في الأصل " ذو الاسم" بمعنى المشهور.

الفصل الرابع

أساطير من بلاد مغرب الشمس، وبلاد مشرق الشمس

المبحث الأول: أساطير من منطقة (الأنديز) مغرب الشمس

في الفصل الأول ذكرتُ أن مغرب الشمس التي وصل إليها ذو القرنين هي منطقة (الأنديز) الاستوائي بناء على تحليلي البياني العلمي للآيات، وفي الفصلين الثاني والثالث توصلت إلى أن مغرب الشمس عند المصريين القدماء وكذلك عند العراقيين القدماء، وعند اليونانيين القدماء، كانت هي بلاد (الأنديز) الاستوائي، مما يؤكد صحة فهمي للآيات.

والسؤال: إذا كنا وجدنا في تراث المصريين والعراقيين واليونانيين بقايا ذكرياتهم عن الأنديز، ورحلة ذي القرنين إليه، فهل نجد في تراث سكان (الأنديز) أنفسهم ذكريات حول وصول ذي القرنين إلى بلادهم؟ لو كان استنتاجي صحيحا فلربما نجد في ديانات وأساطير سكان (الأنديز) ذكرا لهذا الرجل العظيم، وذكريات تدور حول أعماله في بلادهم.

لقد اكتشف (كريستوفر كلومبس) الأمريكتين في الجهة المقابلة من المحيط الأطلنطي بعد أن عاش الناس آلاف السنين لايدرون

عنها شيئا، ولقد تلا الاكتشاف غزوات شرسة قام بها الأوربيون، وانتهت هذه الغزوات بسيطرة الأوربيين التامة على القارتين وسكانهما، وقُتل في هذه الأثناء الملايين من الأمريكيين الأصليين.

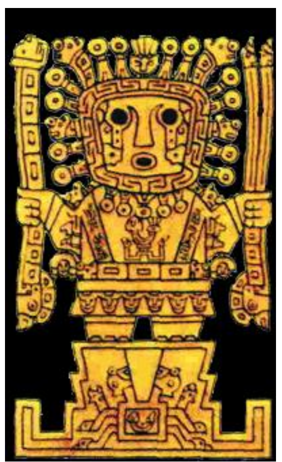
ولقد كان لبعض شعوب القارتين حضارات متقدمة نسبيا قبل وصول الأوربيين، فهم لم يكونوا مجموعة من المتوحشين البرابرة كما تصورهم أفلام (هليوود)، بل كانوا –مثلهم في ذلك مثل سكان العالم القديم- منهم من يعيش حياة الصيد والترحال، ومنهم شعوب كانت تعيش حياة الزراعة والاستقرار، ومن هؤلاء كان سكان (الأنديز).

ومن تلك الحضارات التي ازدهرت قبل الاحتلال الأوربي حضارة (الإنكا) التي استطاعت أن تكوِّن امبراطورية تمتد عبر جبال منطقة (الأنديز) قبل وصول الإسبان بعشرات السنين.

ولقد تعرض تراث هذه الأمم للتدمير على يد الغزاة الأوربيين، فضاع تاريخهم، ودياناتهم، وأساطيرهم، ولم يبق من ذلك إلا القليل، لم يبق إلا روايات شفوية دوَّنها بعض الجنود، وبعض رجال الدين من الإسبان، بعد أن سمعوها من أفراد من الشعوب الأمريكية المغلوبة.

ونحن إذا راجعنا مابقي من تراث شعوب (الأنديز)، فإننا سنجد في دياناتهم ذكريات عن **رجل بشري مؤلَّه جاءهم، وعلمهم أسس الحضارة والزراعة، كما علمهم الأخلاق، وسن لهم القوانين، وبعد ذلك غادر بلادهم.**

فعند (الإنكا) نجد شخصية (فيراكوتشا) Viracocha الذي اعتبره شعب (الإنكا) إلهاً لهم، وحكوا عنه أنه كان على هيئة رجل، وأنه بعد أن فرغ من خلق البشر فإنه طاف بهم ليعلمهم الحضارة، وبعد أن حضَّر سكان (الأنديز) فإنه غادر المنطقة مبحرا في المحيط الهادي، منطلقا من منطقة الساحل التي يمر بها خط الاستواء.



الشكل رقم (117) (فيراكوتشا) كما تخيله كهنة الإنكا.

أما شعب (موِسكا) Muisca في دولة (كلومبيا) الحالية، فلقد أتت الروايات تحكي عن إله باطل يسمونه (بوتشيكا) Butchica على هيئة رجل أيضا، وتقول الروايات أنه جاء من الشرق، وأنه علم الناس الزراعة والحضارة، والأخلاق ثم غادر في اتجاه الغرب.

ويرى كثيرٌ من الدارسين أن (فيراكوتشا) شعب (الإنكا) هو نفسه (بوتشكا) شعب (موسكا)، ويرى بعض الباحثين أنه ربما كان رجلا جاء من العالم القديم، وعلم الأمريكيين الحضارة.

وربما نرى - نحن المسلمون- في الروايات التي جاءتنا عن كل من (فيراكوتشا)، و(بوتشيكا) مالايراه الدارسون الغربيون، فـ(فيراكوتشا) مثلا وُصف في أحد الروايات أنه كان يبكي حزنا على الأعمال السيئة التي يصنعها البشر، حتى أن الكهنة القدماء رسموه وهو يبكي، وأطلق عليه البعض "الإله الباكي"، أما (بوتشيكا) فلقد لُقِّب بأنه "رسول الخالق" Messenger of The Cereator.

فالرجل الذي يبكي عندما يرى خطايا البشر هو رجل صالح، أو أحد الأنبياء، والرجل الذي يُلقَّب بـ"رسول الخالق" هو رسولٌ نبيٌ من عند الله[198]، وعلى هذا ربما يكون (فيراكوتشا/بوتشيكا) نبي أرسل إلى القوم، ثم رفعه سكان (الأنديز) من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية.

إن القول بأن الرجل الذي حضر شعوب (الأنديز)، وعلَّم أهله الزراعة قد جاء من الشرق، ثم غادر (الأنديز) مبحرا في المحيط الهادي، هذا القول يتكامل مع أساطير العالم القديم عن (أُزَيْرِس) في مصر، وعن (أنْكي) في العراق؛ فـ(أُزَيْرِس) قيل عنه أنه طاف العالم محضرا، وأنه ذهب إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس، والتي توصلتُ إلى أنها منطقة (الأنديز)، وفهمنا من بعض النصوص أنه استمر على طريق الشمس، فغادر مغرب الشمس (الأنديز) مبحرا في المحيط الهادي، ليصل إلى منطقة مشرق الشمس وهي مرتفعات غينيا الجديدة، و(أنْكي) أيضا ذهب بقاربه إلى (ملوحا) بلد الجبل الداكن، والتي توصلنا أنها مغرب الشمس، ثم إنه انتقل من هذه البلاد بحرا بقاربه إلى منطقة (دلمون) مشرق الشمس.

وتتشابه هذه القصص الثلاث كما أعدنا بنائها مع قصة ذي القرنين القرآنية كما ذَكرتُ في تفسيرها، وهذا يقوِّي رأيي الذي ذهبت إليه.

ومما يؤكد لنا أن أساطير (فيراكوتشا) ليست إلا بقايا ذكريات القوم حول قدوم ذي القرنين إلى بلادهم، هو تلك الرواية التي يرويها لنا (دي جامبوا) De Gamboa في كتابه تاريخ (الإنكا) عن نقلا عن بعض مواطني (الإنكا): "وبجوار ذلك فإنهم [أي الإنكا] يقصُّون حدثا عجيبا، وهو أن (فيراكوتشا) بعد أن خلق البشر ذهب في طريقه حتى بلغ مكانا يتجمع فيه الناس، هذا المكان

---

198 - لايفهم الغربيون معنى المصطلح "رسول الله"، فهم يطلقون على الأنبياء لفظة الأنبياء، ولايقولون أنهم أوبعضهم رسل الله، وهذا المعنى لا نجده في الكتاب المقدس أو كتب أهل الكتاب، بينما هذا المعنى من أصول الدين الإسلامي.

يسمى الآن (كاتشا) Cacha[199]، وعندما وصل (فيراكوتشا) هناك فإن السكان قد **استغربوا زيَّه، وسلوكه،** فراحوا يدمدمون غضبا، ونووا أن يقتلوه منطلقين من تل كان قريبا من المكان، لقد أخذوا أسلحتهم هناك، وتجمعوا بنواياهم السيئة تجاه (فيراكوتشا)، أما (فيراكوتشا) فقد جثا على ركبتيه، وقد شبك يديه، وسقطت **نار** من أعلى على أولئك الذين على **الجبل،** وغطت النيران كل الأماكن، وأحرقت الأرض، والأحجار مثل القش، وأصاب الرجال الأشرار الرعب لمنظر النيران المروع، فهبطوا من فوق الجبل، وطلبوا **الصفح** من (فيراكوتشا) عن خطيئتهم، وأخذت الرحمة فيراكوتشا فذهب إلى النيران، وأطفأها بعصاه. ولكن الجبل ظل محترقا تماما، وصارت الأحجار **خفيفة** جدا بسبب النيران، حتى أن الحجر الضخم الذي لايمكن حمله على عربه، كان يمكن لرجل أن يحمله بسهولة، وهذا يمكن رؤيته في أيامنا هذه، ومن المدهش رؤية منظر هذا الجبل، والذي يمتد إلى ربع فرسخ كله محترق، وهو في كولاو Collao"[200].

---

[199] - يبدو أن واضع القصة كان يقصد منطقة كاتشا في دولة البيرو فبها معبد لفيركوتشا، غير أنني بعد البحث وجدت منطقة تسمى بنفس الإسم كاتشا تقع قريبا جدا من جبل شيبرازو البركاني، بدولة الإكوادور، وربما يكون الحدث الأصلي حدث في منطقة كاتشا القريبة من جبل شيمبرازو أو قريبا منها ثم حدث خلط بين المدينتين.

[200] - - History of Inca http://www.sacred-texts.com/nam/inca/inca01.htm Pedro Sarminento de Gamboa,



الشكل رقم (118) حجر الخفاف.

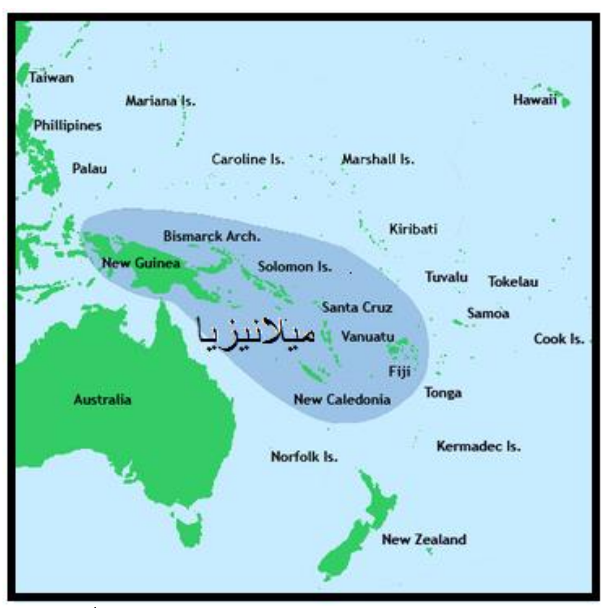
ورغم التحريف الكثير في الرواية، إلا أننا مازلنا نلمح تعذيب (فيراكوتشا) للقوم بواسطة إثارة البركان عليهم، وهذا مشابه إلى حد بعيد لتلك الصورة التي وضَّحناها لتعذيب (أُزَيْرِس) لسكان مغرب الشمس (أَمِنْت)، والتي عثرت على ذكرياتها في كتابي العالم السفلي عند قدماء المصريين، كما أن تعذيب (فيراكوتشا) هذا للقوم مشابه لتعذيب (نينورتا) لسكان الجبل، والتي قرأناها في ملحمة (نينورتا) ووحش (الأساكو) في النصوص العراقية.

إن هذا التشابه يصنع نوع من التواتر، وهو أكبر من أن يكون مصادفة، فبين مصر و(الأنديز) حوالي عشرة آلاف كيلومتر، ويفصل بينهما البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي، ولقد تم اكتشاف الأمريكتين منذ خمسمائة عام فقط.

إن اتفاق الروايتين: المصرية - بعد دعم الرواية العراقية لها- ورواية (الأنديز)، يؤكد صدق القرآن فيما أخبر به من قصة ذي القرنين، كما يؤكد هذ التواتر صحة فهمي لآيات مغرب الشمس في القصة، وكذلك صحة قرآئتي للنصوص المصرية والعراقية القديمة، وكذلك أساطير (الأنديز).

المبحث الثاني: أساطير
من غينيا الجديدة مشرق الشمس

عندما قرأت حول أساطير شعوب (ميلانيزيا) المختلفة[201]، وجدت أن لديهم شخصية إله باطل على هيئة رجل بشري، وأن هذا الرجل/الإله قد علمهم الحضارة، وأعطاهم المحاصيل، والنباتات النافعة، كما علمهم تربية الحيوانات، وحولهم بذلك من حياة الصيد إلى حياة الزراعة وتربية الحيوان.



الشكل رقم (119) الجزر التي تسكنها شعوب (ميلانيزيا)، وأكبرها جزيرة غينيا الجديدة.

---

[201] - ميلانيزيا هم سكان جزيرة غينيا الجديدة وبعض مجموعات الجزر القريبة، وهم من السود.

وتتعدد أسماء هذا البطل المحضِّر، فهو (سيدو) Sido عند بعض القبائل، وهو (سيدا) أو (سُويد) عند آخرين، وهو أيضا (هيدو)، و(سويدو)، و(سورو)، و(سوو) عند قبائل أخرى[202].

ومن أهم ما ذكر عن هذا الإله الباطل أنه كان يطوف بقاربه بين الجُزر، وهذا يشبه إلى حد بعيد ما جاء عن (أُزَيْرِس) من أنه طاف العالم، ووصل إلى (إثيوبيا) في مشرق الشمس، وعلم أهلها الزراعة، والحضارة، كما يشبه ما ذكره العراقيون القدماء عن (أنْكي) وكيف أنه ذهب إلى (دلمن) مشرق الشمس، ووفر الماء للري وللزراعة، كما أدخل المحاصيل الهامة إليها.

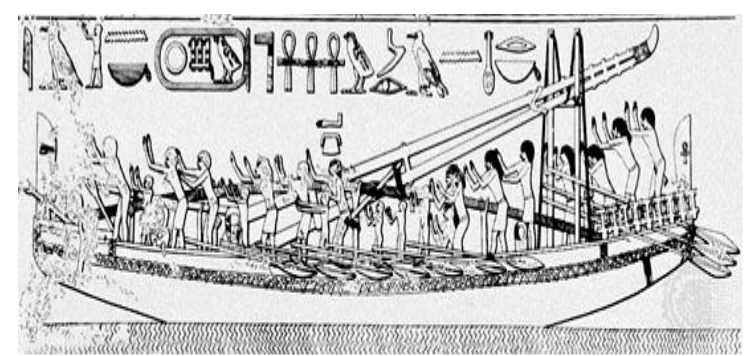
ومما يلفت النظر أن هناك أساطير عن (سيدو) تقول أنه أول بشري مات، وتقول أنه قد قُتل، وأنه صار رئيسا لعالم الموتى، وأن أرواح الموتى تسافر على نفس الطريق الذي مر به أثناء تطوافه[203].

وهذه الأفكار تتطابق مع عقيدة المصريين حول (أُزَيْرِس)، وأرى أنه ربما وصل المصريون القدماء إلى هذه الجزر في العصور التاريخية، وأنهم علِمُوا أن (سيدو) هو نفسه (أُزَيْرِس)، فنقلوا للقوم عقيدتهم حول (أُزَيْرِس)، فأخذ سكان الجزر عقيدتهم حول (سيدو) عن عقيدة المصريين حول (أُزَيْرِس).

---

[202] - Encyclopedia of Religion and Ethics page 634

[203] - Encyclopedia of Religion and Ethics page 634



الشكل رقم (200) رسم يصور سفينة مصرية أثناء إبحارها يرجع إلى 2600 عام قبل الميلاد، والرسم يؤكد عظمة البحرية المصرية في تلك الفترة المبكرة من التاريخ.

وهذا يقوِّي أن يكون الرجل الذي طاف بجزر (ميلانيزيا)، والذي يطلق عليه (سيدو) هو نفسه (أُزَيْرِس)، وهو نفسه (أنْكي)، وهذا بدوره يقوِّي ما ذهبتُ إليه حول هذه الشخصيات، كما يصدِّق القرآن فيما حكاه من وصول ذي القرنين إلى مشرق الشمس، ويؤكد صحة تفسيرنا لمشرق الشمس بمرتفعات غينيا الجديدة.

الفصل الخامس

تفسير آيات مغرب الشمس ومطلعها، وبيان مواضع الإعجاز

في الفصل الأول قمت بتحليل نص القرآن الخاص بمغرب الشمس ومطلعها تحليلا لغويا جغرافيا علميا، وتوصلت إلى عِدَّة نتائج هامة منها أن مغرب الشمس هو منطقة (الأنديز) الاستوائي، ومطلع الشمس هو منطقة مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، وأن العين الحمئة الحامية هي عين بركانية نشطة مثل بحيرة الحميم بدولة (دومينيكا) الحالية، وأن سكان مطلع الشمس هم سكان أودية مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، وأن السِتر الذي لم يجعله الله لهم من دون الشمس هو الملابس، فلقد كانوا عراة.

كما توصلت إلى أن ذا القرنين قد عبر البحر المتوسط، والمحيط الأطلنطي بقاربه ليصل إلى (الأنديز) مغرب الشمس، ثم عبر المحيط الهادي ليصل إلى مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، وهي مطلع الشمس.

وفي الفصل الثاني قمت بدراسة النصوص التي وصلت إلينا عن المصريين القدماء، تلك النصوص التي تكلمت حول مغرب الشمس، ومشرق الشمس، والطريق الموصل إليهما، وما حدث في مغرب الشمس، وما حدث في مشرق الشمس، واستطعت عن طريق إعادة قراءة النصوص -خاصة النصوص الأقدم- أن أصل إلى أن مغرب الشمس عند قدماء المصريين لم يكن غرب مصر، ولاغرب إفريقيا، وإنما كان منطقة (الأنديز) الاستوائي، ومطلع الشمس لم يكن شبه جزيرة سيناء، ولا الجزيرة العربية، وإنما

كان مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، أما الطريق الموصل إلى المنطقتين فكان البحار والمحيطات الشاسعة.

كما توصلت إلى أن (أُزَيْرِس) عندما ذهب إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس فإنه عذَّب الكافرين بالإله، الذين جعلوا دين (أُزَيْرِس) وراءهم ظِهْرِيا، أولئك الذين يقيمون قريبا من (أخت مانو) وهو جبل مغرب الشمس، وكذلك قريبا من عين الماء الذي يغلي ماؤها، ولقد عذبهم بإثارة البركان عليهم، وأنه علَّم أهل المنطقة من المؤمنين الزراعة، كما توصلتُ إلى أن (أُزَيْرِس) عندما وصل إلى مطلع الشمس فإنه علّم أهلها الزراعة أيضا.

وما توصلت إليه في الفصل الثاني يؤكد صحة فهمي لآيات مغرب الشمس ومطلع الشمس، وصحة النتائج التي توصلت إليها في الفصل الأول، كما يؤكد اعجاز القرآن، فكيف لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم شيئا عن بلاد (الأنديز) الاستوائي؟، أو العين الحمئة الحامية البركانية؟، أو البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق؟، أو مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة وسكانها العراة؟، هذا من جهة الجغرافيا، أما من جهة التاريخ فكيف عَلِم النبي أن هناك رجلا في الزمن السحيق قد أبحر إلى مغرب الشمس ثم إلى مطلع الشمس، وعذَّب الكافرين وحده في مغرب الشمس؟

كما أن دراستنا للنصوص المصرية ينشئ تساؤلا هاما؛ وهو كيف عَلِم المصريون القدماء بهذه الحقائق العلمية؟ لابد أن القصة التي حكاها القرآن قد حدثت، وأن ذا القرنين كان شخصية حقيقية، وأنه أخبر أسلاف المصريين القدماء عن رحلته.

وفي الفصل الثالث استطعت عن طريق إعادة قراءة **النصوص العراقية، واليونانية، ونصوص أهل الكتاب،** استنتاج أنهم أخذوا من المصريين في اعتقاداتهم حول مغرب الشمس، ومشرقها، والطريق الموصل إليها، وأكدت النصوص المختلفة صحة استنتاجي، وصحة قرآئتي للنصوص المصرية؛ فمغرب

الشمس هو (الأنديز) الاستوائي، ومطلع الشمس هو مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة.

وتوقعت أن أجد في بلاد (الأنديز) -التي توصلت إلى أنها مغرب الشمس- أساطير بقيت عن رجل جاء من المشرق، وعذّب قوم من الكافرين المتمردين عليه، ثم علَّم الناس هناك أسس الحضارة، وخاصة الزراعة، وبالفعل وجدتُ ذكريات حول إنسان جاء من الشرق وعذّب قوم من المتمردين عليه بإثارة البركان عليهم، وعندما طلبوا منه الرحمة أوقف ثورة البركان، ثم علمهم الزراعة وأُسُس الحضارة، ثم غادر بلادهم بالإبحار في المحيط الهادي، وهو ما يتطابق بشكل كبير مع أساطير (أَزَيْرِس)، وأسطورة (نينورتا) كما أعدت فهمها، وكذلك يصدِّق قصة ذي القرنين.

وكل ما سبق يصنع نوعا من **التواتر**، فالقصة نفسها نسمعها على جانبي المحيط الأطلنطي، ومن أمم تفصل بينها حوالي عشرة آلاف كيلومتر من الأمواج المتلاطمة، وهذا يؤكد أن قصة ذي القرنين هي قصة حقيقية، قد حدثت بالفعل كما حكاها القرآن، كما يؤكد صحة ما توصلت إليه من أن مغرب الشمس هو (الأنديز) الاستوائي، وأن تعذيب ذي القرنين لكافري مغرب الشمس كان بإثارة البركان عليهم.

ولا يستطيع أحد أن يتهم القرآن بالأخذ من الأديان أو الأساطير القديمة، أو يقول: نعم ربما يكون حدث شيء عظيم في الزمن القديم غير أن كاتب القرآن لايعلم القصة الأصلية القديمة، وإنما استلهم قصة ذي القرنين من مصدر حديث نسبيا.

فالقرآن لم يأخذ مما سبقه، فلقد استعرضتُ كلام المصريين القدماء، ووضحتُ كيف حدث تحريف لقصة ذي القرنين عندهم، ثم كيف زاد التحريف عند من بعدهم من العراقيين، واليونانيين، وأهل الكتاب، حتى أن بعض أهل الكتاب قالوا أن مغرب الشمس هو المكان الذي يذهب إليه الموتى، وأنها أرض الجحيم، وقالوا

عن مشرق الشمس أن به جنة آدم وحواء، أو جنة الخلد، أو جنة أرضية للصالحين من اليهود، وقال بعضهم أن بها عين الحياة، أما عن الرحلة إلى هذه الأماكن فصارت رحلة غيبية، تعتمد على الطيران في السماء، أو الانتقال المعجز الخارق للسنن.

وعندما اكتشف الناس الأمريكتين و(الأنديز) فإنهم لم يعثروا على جبل تدخل الشمس في قمته، ولم يجدوا أرواح الموتى التي قال المصريون أنها تنتقل إلى هناك، ولم يعثروا على مملكة (هادس) التي ذكر (هسيود) أنها هناك، ولم يعثروا على (أطلس) الذي يحمل السماء، وكذلك لم يعثروا على حديقة (الهسبريدات)، إنهم لم يعثروا في الأمريكتين إلا على عين حمئة حامية في دولة (دومينيكا) الحالية هي شبيهة العين الحمئة الحامية المذكورة في القرآن.

وفي جزيرة (غينيا) الجديدة ومرتفعاتها، لم يجد المستكشفون عين الحياة التي تستحم الشمس بها كل صباح قبل أن تشرق، ولا الجبل الذي تخرج منه الشمس عند الإشراق في كل يوم، ولم يجدوا جنَّة المصريين الذي تذهب إليها أرواح الصالحين، ولم يجدوا أيضا الرجل الناجي من الطوفان صاحب السفينة، الذي قال العراقيون القدماء أنه مُنح الخلود، وأُسكِن هو وزوجه في هذه الجزيرة، ولم يجد أحد جنة عَدَن التي ذكرها كاتب سفر التكوين، والتي أدخلها (آدم) وزوجه، وزارها (أخنوخ) في رحلته، و(بولس) في رؤياه، ولم يجد أحد المستكشفين الرخابيين الذين ذكر كاتب قصة (زوسمس) أنهم وراء النهر الذي لايستطيع عبوره أحد، لم يجد الناس في مشرق الشمس إلا ما ذكره القرآن، وهم سكان المرتفعات من العراة الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا.

أما العالم السفلي، أو المسافة الواقعة بين المغرب والمشرق، فإن المستكشفين من عهد (ماجلان) - صاحب أول عبور معروف للمحيط الهادي- وحتى الآن لم يجدوا العالم السفلي الذي تفنن كهنة

(طيبة) في وصفه، وقالوا أنه ينقسم إلى اثنتي عشرة مقاطعة، تفصلها الأبواب وتحرسها الحيات، وملؤوها بالتفاصيل المرعبة من حيات تنفث النار، إلى أفخاخ نارية، إلى زبانية تعذب البشر في مراجل عملاقة فوق النيران، كما لم يجد المستكشفون مملكة (هادس) التي وصفها اليونانيون القدماء وصفا دقيقا.

ولم يجد أحد البحر الذي يؤدي إلى مشرق الشمس -وهو المحيط الهادي- بحرا لا يمكن عبوره، كما ادعى كتبة ملحمة (جلجامش)، وكذلك كاتب قصة (زوسمس)، لم يجد الناس إلا بحرا عاديا كبحار الدنيا، والقرآن عندما ذكر عبور ذي القرنين للمحيط الهادي من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس قال: "ثم أتبع سببا"، وهي طريقة مماثلة تماما لتعبيره عن عبور ذي القرنين للمحيط الأطلنطي بقوله: "فأتبع سببا"، وفي هذا إشارة إلى أن البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق (المحيط الهادي)، والذي يمثل العالم السفلي، هو بحر عادي مثل البحر الذي يفصلنا عن مغرب الشمس (المحيط الأطلنطي).

وهذا "إعجاز تَرْكِي"، حيث ترك القرآن الفكرة السائدة عن العالم السفلي، وجاء بإشارة تتطابق مع حقائق العلم، والتي عُرفت فقط بعد نزول القرآن بما يقرب من ألف عام.

لو كان النبي يتكلم من عند نفسه عن مغرب الشمس، ومشرقها والمسافة بينهما، لجاء بمحاولات مليئة بالأخطاء العلمية والتاريخية تشبه محاولات كاتب سفر التكوين، أو كاتب سفر (أخنوخ) الإثيوبي، أو كاتب سفر رؤيا (بولس)، أو كاتب قصة (زوسمس).

نتائج الباب الأول

-منطقة مغرب الشمس هي منطقة (الأنديز) الاستوائي، ومنطقة مطلع الشمس هي منطقة مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، والعين الحمئة الحامية هي بحيرة بركانية نشطة، ماؤها يغلي بالطين الأسود، منتنة الرائحة، تشبه بحيرة الحميم بدولة (دومينيكا) الحالية، وكانت تقع في فوهة جبل بركاني في منطقة مغرب الشمس، والقوم الذين لم يجعل الله لهم سترا هم سكان مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة من العراة.

-سافر ذو القرنين بقاربه من منطقتنا إلى مغرب الشمس، وهي (الأنديز) عابرا البحر المتوسط، والمحيط الأطلنطي، ثم سافر إلى مباشرة إلى مطلع الشمس فعبر المحيط الهادي، وهو بذلك أول مكتشف للأمريكتين ولجزيرة (غينيا) الجديدة، وللمحيط الهادي، وهو أول من عبر المحيطين الأطلنطي والهادي.

-بإعادة قراءة النصوص المصرية توصلت إلى أن ذكريات القوم عن ذي القرنين ورحلاته مبثوثة في نصوص القوم، وأنه تم إساءة فهم بعضها، وتحريف بعضها الآخر حتى من قِبَل كهنة المصريين القدماء أنفسهم، فأرض (أَمِنْت) ليست هي العالم السفلي، أو العالم الآخر بل هي بلاد مغرب الشمس، و(الأَمِنْتيو) ليسوا هم الأموات أو أرواحهم، بل هم سكَّان مغرب الشمس، و(سخت عارو) ليست جنة المتقين، وإنما هي حقول الزرَّاع في مرتفعات جزيرة مشرق الشمس، والعالم السفلي ليس غيبا أو جحيما يعذب فيه الكافرين والعصاة، وإنما هو بحر لجي يفصل بين المغرب (أَمِنْت) والمشرق سخت عارو، و(الأَخِتان) ليسا هما الأفقان، بل هما جبلا مغرب الشمس، ومشرق الشمس، وهما قرنا العالم.

-وفي النصوص العراقية واليونانية ونصوص أهل الكتاب تأكيد لما سبق، فمغرب الشمس جزيرة كبيرة تقع وراء المحيط الأطلنطي، وبين مغرب الشمس ومشرق الشمس بحر يمكن عبوره للوصول من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس مباشرة، ومشرق الشمس مثل مغرب الشمس جزيرة كبيرة، وليست أرضا متصلة باليابسة الرئيسية.

-فهمت من النصوص المصرية أن (أُزَيْرِس) كان رجلا وأنه ذهب إلى مغرب الشمس، وهناك عذّب طائفة من الناس بسبب كفرهم بالإله، وتمردهم عليه وجعل دينه ورائهم ظهريا، كما أنه أحسن إلى مؤمنيهم، ثم عبر هذا الرجل البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، ليصل إلى حقول الزرّاع عند سفح جبل جزيرة مشرق الشمس. ووجدت في النصوص العراقية حديثا عن شخصية ذهبت قامت بنفس الرحلة وتكرر الأمر في النصوص اليونانية ونصوص أهل الكتاب .

-طريقة تعذيب الرجل لكافري مغرب الشمس كانت بإثارة البركان عليهم، أما إحسانه للمؤمنين فكان بتعليمهم من العلوم التي آتاه الله إياها ما يُيسر حياتهم ومن أهمها الزراعة وتربية الأنعام، وكذلك الإبحار والصيد، وغيرها، وفي مطلع الشمس علَّم هذا الرجل القومَ أُسس الحضارة، وخاصة الزراعة والري.

-وجدت تأكيدا لما سبق وتواترا في أساطير سكان الأنديز وسكان جزيرة (غينيا) الجديدة، فسكان (الأنديز) يتحدثون عن الرجل الذي جاء من الشرق وعذَّب فريقا من الناس بإثارة البركان عليهم قبل أن يعلمهم أسس الحضارة، ثم يرحل عنهم مبحرا في اتجاه الغرب في المحيط الهادي، وسكان (ميلانيزيا) يحدثوننا عن أساطير تتحدث عن رجل مؤله وفد على الجزر، وعلم سكانها الحضارة، والزراعة وتربية الحيوان.

-توصلت في هذا الباب من البحث –بفضل الله- إلى بعض النتائج الجانبية، والتي هي على درجة كبيرة من الأهمية، أولها:

سر الأهرام المصرية، ولماذا بناها المصريون القدماء على هذا الشكل، فهو بناء حجري على هيئة الجبل البركاني المخروطي الشكل، وبالتحديد جبل مغرب الشمس البركاني أو (أخِت مانو)، وثانيها: أطلانطس، فلقد توصلت إلى حل معضلتها، فهي خليط من أساطير البحارة التي تناقلوها عن منطقة (الأنديز) الاستوائي مغرب الشمس وما حولها، وثالثها: هو أصل البحر المحيط أقيانوس، فأصله هو المحيط الهادي الذي يظهر على شكل الحلقة التي تحيط بقرص الأرض، وذلك عند جعل مكة مركز الإسقاط لخريطة العالم، وهو في نفس الوقت المحيط الذي يفصل بين مغرب العالم ومشرقه كما جاء في الأساطير، ويمكن عبوره للوصول من أقصى غرب العالم إلى أقصى شرقه.

الباب الثاني

بين السدين، ويأجوج ومأجوج، والردم



في هذا الباب سوف أتحدث إن شاء الله تعالى عن المرحلة الثالثة من رحلة ذي القرنين، وهي الجزء الذي يصل فيه ذو القرنين إلى منطقة يسميها القرآن "بين السدين"، حيث يعيش القوم الذين وصفهم القرآن بأنهم: "لا يكادون يفقهون قولا"، وهناك يشكو هؤلاء القوم لذي القرنين من إفساد يأجوج ومأجوج، ويطلبون منه أن يبني لهم سدا يحجز يأجوج ومأجوج عنهم، فيستجيب لهم ذو القرنين، ويبني لهم الردم.

لقد جاء ذكر يأجوج ومأجوج في قصة ذي القرنين، ولهذا استلزمت أية محاولة لفهم وتفسير آيات ذي القرنين التعرض لموضوع "يأجوج ومأجوج"، والإجابة عن هذه الإسئلة الصعبة: من هم؟ وأين كانوا؟ وأين هم الآن؟ وهي بحق واحدة من المعضلات.

أما لماذا صار موضوع "يأجوج ومأجوج" معضلة في حد ذاته، فهو لأن علماؤنا الأجلاء فهموا من الآيات والأحاديث أن يأجوج ومأجوج أمَّتان يبلغ عدد أفرادهما أضعاف البشر أضعافا كثيرة، وأنهم مسجونون وراء ردم ذي القرنين حتى الآن، حتى إذا اقترب يوم القيامة فإن الردم سَيَنْدَك، وسيخرجون من ورائه، ويغزون العالم، ولكن في عصرنا الحديث جاء العلم بحقائق علمية تنقض هذا الفهم، وتدحضه.

لقد تَقَدَّم علم الجغرافيا تقدما مذهلا في القرون الأخيرة، فلقد اكتُشفت القارات والجزر المجهولة، ورُسمت الخرائط بدقة عالية، بل وصُورت الأرَضين بالأقمار الصناعية، ولم يعد هناك شبر واحد مجهول من الأرض، كما دَرس العلماءُ الشعوب الدانية والقاصية، وكذلك القبائل المعزولة النائية في الصحاري والغابات البعيدة، ورغم كل هذا فلم يُعثر على أمتين عظيمتين مسجونتين، ولا على الردم الذي يحبسهم.

وفي هذا الباب سوف أحاول دراسة جغرافية المنطقة المذكورة في الآيات، ثم دراسة قوم يأجوج ومأجوج ومن يكونون، ومناقشة بعض المفاهيم الشائعة عنهم، ثم أحاول دراسة ذكريات الشعوب عن يأجوج ومأجوج، وإفسادهم في الأرض، ووكذلك ذكرياتهم عن ردم ذي القرنين، تلك الذكريات التي حفظوها في نصوصهم القديمة والتي وصلنا بعضها.

الفصل الأول

التحليل الجغرافي لآيات "بين السدين"

يقول المولى عز وجل: "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)"[204].

المبحث الأول: معلومات حول المنطقة، وحول السدين

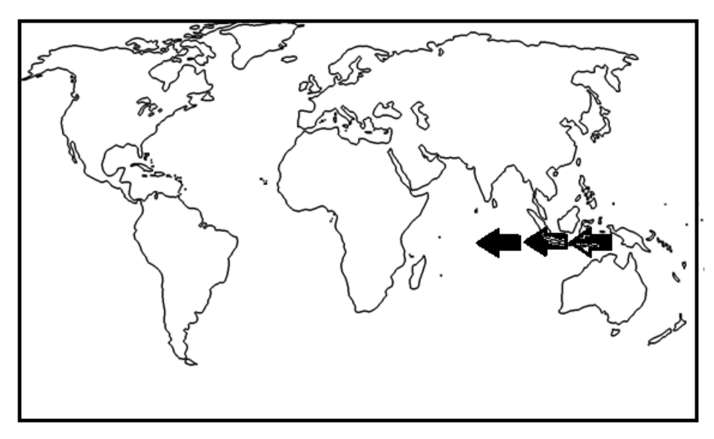
أولا: "ثم أتبع سببا"، والوصول إلى المحيط الهندي:

وصل ذو القرنين إلى منطقة مطلع الشمس، والتي توصلتُ إلى أنها مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، وهناك التقى العراة الذين يسكنون هذه المرتفعات، وبعد ذلك يخبرنا القرآن أنه غادر

204 - سورة الكهف.

الجزيرة متَّبعا سببا أو طريقا جديدا، والظاهر أنه اتبع طريقا بحريا جديدا، حيث أنه انطلق من جزيرة، كما أن هذه الجملة "ثم أتبع سببا" مشابهة للجملتين السابقتين "فأتبع سببا"، و"ثم أتبع سببا"، واللتان توصلتُ إلى أنهما تعنيان عبور ذي القرنين للمحيط الأطلنطي، والمحيط الهادي على الترتيب، فلا نستبعد أن تكون الجملة الثالثة، وهي "ثم أتبع سببا" تدل على إبحار ذي القرنين في المحيط الهندي.

كما أنني قلتُ سابقا أن "أتبع سببا" تحتمل وجها آخر في التفسير، وهو أنه: "أتبع قارَبَه الشمسَ"، وهي جملة تدل على أنه يسافر من الشرق إلى الغرب في نفس اتجاه سير الشمس الظاهري، ولما كان ذي القرنين ينطلق من جزيرة غينيا الجديدة كما توصلنا، فمعنى ذلك أنه قد أبحر بقاربه في المحيط الهندي مُيمِمًا وجهه جهة الغرب.



الشكل رقم (201) عند الإبحار في اتجاه الغرب من جزيرة غينيا الجديدة، يكون الإبحار في المحيط الهندي.

ثانيا: ملامح جغرافية للمنطقة:

يقول الله عز وجل: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا"[205]، ويقول أيضا:"عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا"[206]، ويقول أيضا: "أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا"[207]، ويقول: "حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ..."[208].

والذي أفهمه من العبارات القرآنية المذكورة أن:

1- وصل ذو القرنين أثناء رحلته إلى موضع يمكن وصفه بأنه بين السدين، أي بين سلسلتي جبال، لأنه لو كان وصل إلى موضع بين جبلين عاديين لما وصفا بالسدين، لأن قوم يأجوج ومأجوج يمكنهما الدوران من وراء أحدهما والوصول إلى القوم.

2- وأنه لما وصل إلى هذا الموضع وجد من دون السدين قوما، وهم القوم الذين لا يكادون يفقهوم قولا.

3- وأن السدين هما حاجزان يمنعان يأجوج ومأجوج عن الاعتداء على بعض الأقوام، بدليل أن القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا طلبوا من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا مماثلا.

4- وأفهم من تسمية ذي القرنين لسده الصناعي بالردم بدلا من السد، أفهم من ذلك أن سده لا يقارن بالسدين، وإنما هو يسد فتحة صغيرة بينهما، فهو كالرقعة في الثوب، فثوب مردّم أي مرقع.

5- وأستنتج من قوله حتى إذا ساوى بين الصدفين أن سلسلتي الجبال اقتربتا حتى صادف جبل من السلسلة الأولى جبلا من السلسلة الأخرى، وأن ذا القرنين اختار هذا الموضع الضيق ليبني سده/ردمه.

---

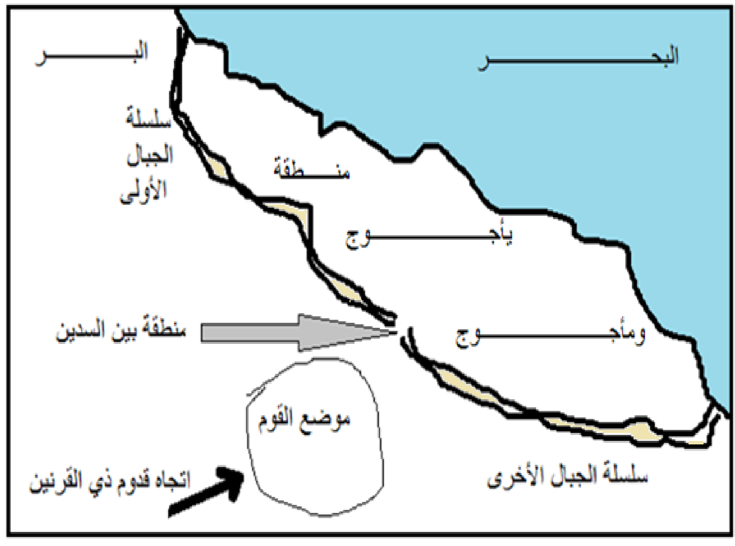
[205] - سورة الكهف الآية 93

[206] - سورة الكهف الآية 94

[207] - سورة الكهف الآية 95

[208] - سورة الكهف الآية 96

وإذا أردنا أن ندرس جغرافية المنطقة التي وصل إليها ذو القرنين فسنبدأ بالتصور الذي وضعه العالم الجغرافي المسلم الإدريسي، والذي يظهر في الخريطة التالية.



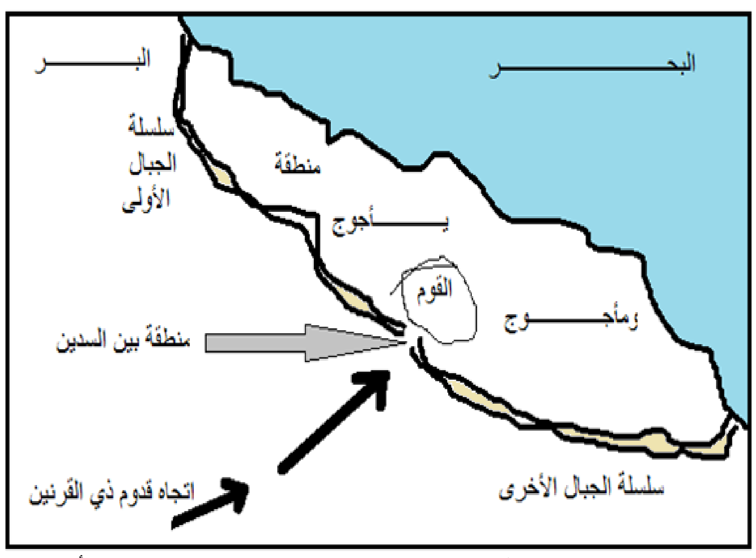
الشكل رقم (202) خريطة مأخوذة من خريطة العالم للإدريسي، تصور السدين، والمنطقة بين السدين، وموقع القوم، وموقع يأجوج ومأجوج، واتجاه قدوم ذي القرنين.

ولكن المعنى الذي فهمتُه من الآيات لا يستقيم مع الخريطة السابقة؛ فالمشكلة الأولى: هي أن وجود ممر في سلسلة جبال لا يجعل السلسلة الواحدة سلسلتين أو سدين، بل تظل سلسلة واحدة واحدة بها ممر، أو قل سدا واحدا به ثغرة.

أما المشكلة الثانية فهي: أن المعنى الأشهر لكلمة "من دونهما" هو أن ذا القرنين وجد القوم أقرب إليه من السدين، وفي هذه الحالة فإن ذا القرنين سوف يمر على القوم و"يجدهم" قبل بلوغه منطقة "بين السدين"، وهذا مخالف لظاهر الآية؛ فالآية تقول أنه لما بلغ

بين السدين وجد من دون السدين قوما، أي أنه لم يجد القوم إلا عندما بلغ منطقة بين السدين.

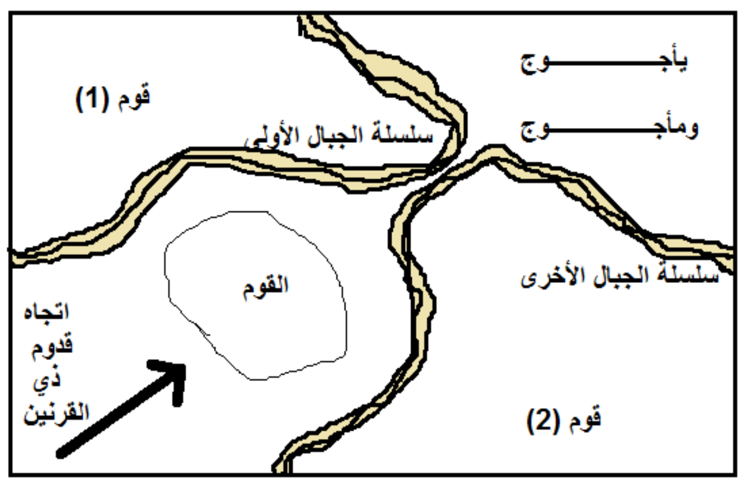
والمشكلة الثالثة: أننا لو قلنا بأن المراد بقوله "من دونهما" هنا "من ورائهما"، أي أن ذا القرنين وجد من وراء السدين قوما لا يكادون يفقهون قولا، فإن المعنى أيضا لا يستقيم لأن الوضع سيكون مثل الخريطة التالية، وفي هذه الحالة لا معنى لبناء السد/الردم، لأنه لن يحول بين يأجوج ومأجوج والقوم.



الشكل رقم (203) خريطة توضح تصور للسدين ولموقع القوم وموقع يأجوج ومأجوج، واتجاه قدوم ذي القرنين.

أما الشكل الجغرافي الذي أقترحه وأرى أن الآيات تنطبق عليه في رأيي فهو ما نراه في الخريطة التالية، حيث أن هناك سلسلتي جبال مختلفتين كل منهما يسد على قوم، ويمنع وصول يأجوج ومأجوج إليهم، ثم أن السلسلتين تلتقيان أو تتصادفان، بما يسمح لذي القرنين أن يبني ردما بينهما، ثم تنحرف السلسلتين كل في

إتجاه لتتسع لمنطقة من الأرض تكفي لسكنى القوم الذين لايكادون يفقهون قولا، وتكون هذه المنطقة صالحة لأن ينطبق عليها وصف القرآن "بين السدين" و"وجد من دونهما".



الشكل رقم (204) خريطة توضح الشكل الجغرافي الذي أرى أن العبارات القرآنية تنطبق عليه.

ثالثا: السدان اللذان لا ثالث لهما:

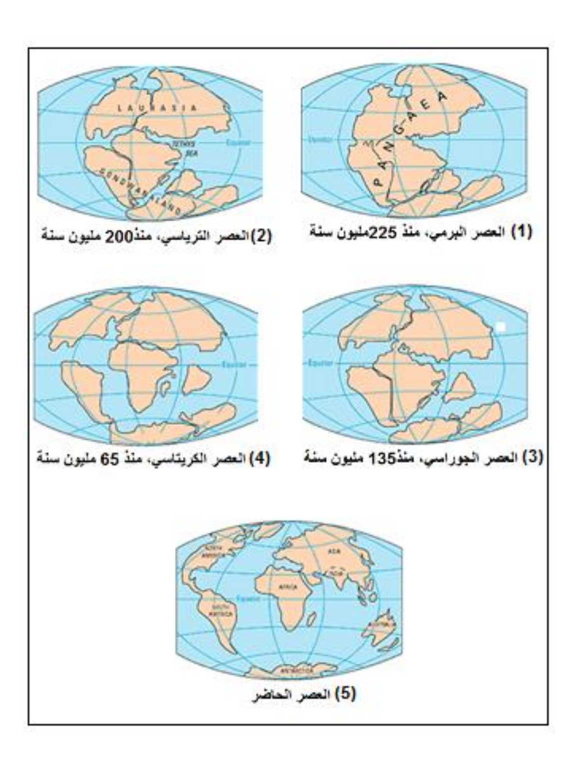
يلفت تعبير القرآن بـ"بين السدين" انتباهي كثيرا، إن هذه المنطقة يقارنها السياق القرآني بالمنطقتين اللتين ذكرهما سابقا، وهما منطقة مغرب الشمس، ومنطقة مطلع الشمس، ولما كنتُ قد أثبتُ أن هاتين المنطقتين هما منطقتان حقيقيتان يمكن تمييزهما والعثور عليهما على خريطة العالم، لذا فإنني أتوقع أن تكون منطقة "بين السدين" **منطقة مهمة وواضحة، ويمكن العثور عليها على خريطة العالم،** ويمكن التوصل لتحديدها بدراسة الآيات وعلم الجغرافيا الحديث.

لقد أجمع علماء التفسير، وكذلك الجغرافيون المسلمون القدماء على أن السدين المذكورين في الآية هما جبلين أو سلستي جبال،

والسؤال الذي يثور الآن: إنَّ هناك بالفعل العديد من السلاسل الجبلية، فأي سلسلتي جبال أرادها الله بقوله "السدين"؟

إنه من الملاحظ أن كلمة السدين جاءت معرفة بالألف واللام، فهل هناك سلسلتا جبال مميَّزتان في العالم بحيث يطلق عليهما القرآن كلمة (السدين) معرفة بالألف واللام؟ وما سبب هذا التميُّز؟

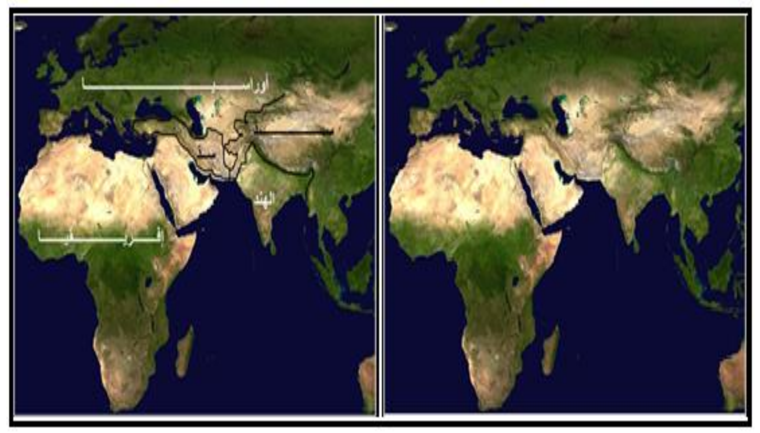
لقد كانت الأراضي اليابسة قبل 250 مليون عام تُكوِّن كتلة أرض يابسة واحدة متصلة أي قارة واحدة، وهذه القارة أطلق عليها العلماء قارة بنجيا Pangea، أو القارة الأم، ثم بدأت هذه القارة الضخمة في التشقق، وانقسمت إلى سبع كتل كبيرة من اليابسة، هذه الكتل السبع الرئيسية هي: أوراسيا (وهي كتلة واحدة تشمل آسيا وأوروبا معا)، وأستراليا، والقارة المتجمدة الجنوبية، وشبه القارة الهندية، وأفريقيا ومعها شبه الجزيرة العربية، وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، ثم حدث أن تحركت هذه الكتل متباعدة، وأثناء التباعد اصطدم بعض هذه الكتل ببعض والتحمت، فالتحمت الأمريكتان، والتحمت أفريقيا ومعها الجزيرة العربية بكتلة أوراسيا، والتحمت شبه القارة الهندية مع أوراسيا أيضا، هذا بينما ظلت كل من أستراليا والمتجمدة الجنوبية قارة منفصلة تماما.



الشكل رقم (205) قارة (بنجيا) وانفتاقها إلى سبع مفتوقات، ثم تكون القارات السبع.

وعند مواضع التحام كتلة أفريقيا مع كتلة أوراسيا، حدثت ضغوط أدت إلى ظهور سلاسل جبلية عظيمة تمتد في دولتي تركيا وإيران الحاليتين، وفصلت هذه السلاسل الجبلية بين الكتلتين، وقد حدث نفس الأمر عند اتصال كتلة الهند بكتلة أوراسيا، فلقد ظهرت سلاسل جبال عظيمة تحيط بشبه القارة الهندية، وتفصل الهند عن أوراسيا.

وأرى أن هاتين المجموعتين من السلاسل الجبلية هما سلسلتي الجبال اللتين لا ثالث لهما؛ لأنه لا توجد سلاسل جبلية غيرهما تفصل بين كتلتين من الكتل السبع التي انفتقت عن القارة الأم.



الشكل رقم (206) على اليمين الكتل الرئيسية (المفتوقات) الثلاث: أوراسيا، أفريقيا ومعها شبه الجزيرة العربية، وشبه القارة الهندية، ووعلى اليسار السدين موضحين، وكيف يفصلان بين الأرضين الثلاث.

وفي بحث منفصل ذكرتُ أن هذه المفتوقات السبع هي الأرَضين السبع التي أشير إليها في القرآن الكريم، وذُكِرَتْ صراحة في الحديث النبوي، وهذا يفسر أهمية السدين، فهما سلسلتي الجبال اللتان لاثالث لهما، لأنهما الوحيدتان اللتان تفصلان بين ثلاث من الأرضين السبع.

المبحث الثاني: العثور على منطقة ما بين السدين، والموقع المفترض للردم

ويمكننا الآن أن نبحث عن منطقة على خريطة العالم ينطبق عليها ما توصلتُ إليه؛ فتكون من المناطق التي **تطل على المحيط الهندي**، وتحمل **الشكل الطبوغرافي** للخريطة التي توصلت إلى أنها مطابقة لآيات القرآن، وتكون لها علاقة بسلاسل الجبال الإيرانية، والهندية.

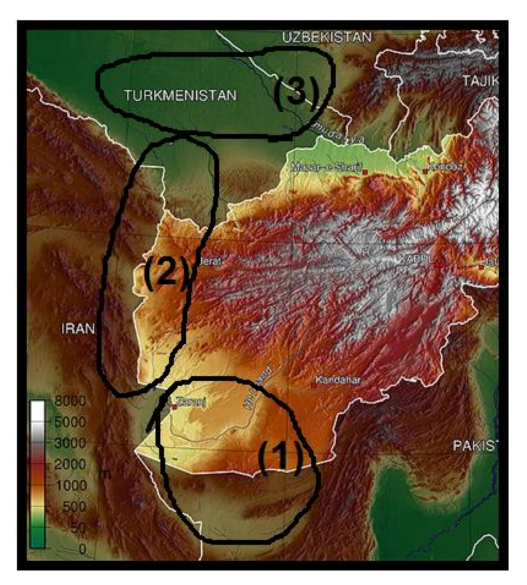
ولن يطول بنا البحث فسنعثر سريعا على منطقة حوض (سيستان)، فهذا الحوض يقع بين مجموعتين من السلاسل الجبلية العظيمة، المجموعة الإيرانية في الغرب، والمجموعة الهندية في الشرق، لذا فإنه يصدق عليها وصف القرآن أنها "بين السدين"، وكذلك يصدق على القوم الذي يعيشون في هذا الحوض وصف القرآن: "وجد من دونهما قوما"، ويمكن لذي القرنين الوصول إلى حوض (سيستان) من الجنوب من ساحل المحيط الهندي.

والسدان أو سلسلتي الجبال هما بالفعل يسدان الطريق على يأجوج ومأجوج؛ فالسلاسل الهندية تحمي شبه القارة الهندية من يأجوج ومأجوج، والسلاسل الإيرانية التركية تحمي شبه الجزيرة العربية والشام والعراق من يأجوج ومأجوج.

كما أن هاتين المجموعتين تلتقيان أو تتصادفان في جهة الشمال من حوض (سيستان)، وتصنع ممرا جبليا ضيقا يتصل بمنطقة وسط آسيا المنبسطة، والتي يغلب على ظننا أنها المنطقة التي كان يعيش فيها يأجوج ومأجوج، ويصلح هذا الممر أن يكون الممر الجبلي الذي كان يدخل منه يأجوج ومأجوج على القوم، ويصلح أن يكون نفس الممر الذي بنى ذي القرنين سده بين جبلين متصادفين فيه.



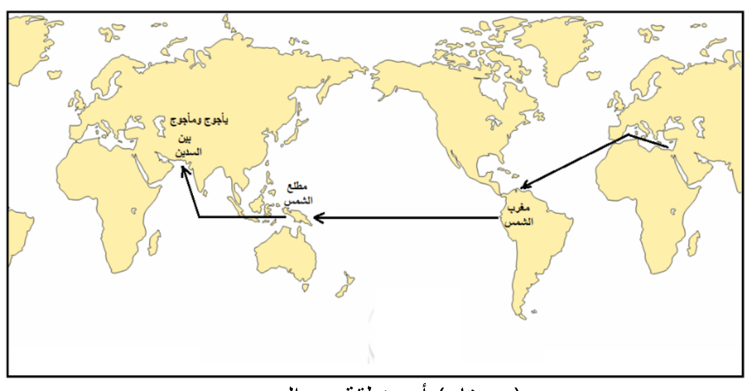
الشكل رقم (207) خريطة توضح منطقة بين السدين التي هي نفسها منطقة دون السدين التي عاش فيها القوم، وكذلك الممر الجبلي الذي يفصل المنطقة عن أرض يأجوج ومأجوج، وهو الممر الذي أتوقع أن يكون ذو القرنين قد بنى ردمه في أحد نقاطه.



الشكل رقم (208) صورة مقربة بالقمر الصناعي للمنطقة وقد تم تمييز دولة أفغانستان فيها باللون الفاتح، ويظهر فيها (1) حوض (سيستان) وهو منطقة بين السدين، و(2) منطقة تلاقي أوتصادف الجبال الأفغانية في الشرق مع الجبال الإيرانية في الغرب، والذي يصنع ممرا جبليا يربط بين سهوب وسط آسيا في الشمال، وحوض (سيستان) في الجنوب، وهو الموضع المرشح لوجود سد ذي القرنين، و(3) المنطقة الجنوبية من سهوب وسط آسيا والتي أرى أن يأجوج ومأجوج عاشوا فيها.

وهكذا يمكننا أن نقول أن ذا القرنين أبحر في المحيط الهندي منطلقا من جزيرة غينيا الجديدة، حتى رسا على الشاطئ في مكان ما قريب من منطقة حوض سيستان، ثم انتقل إلى حوض سيستان الذي يقع بين السدين، وهناك قابل القوم الذين لايكادون يفقهون قولا، وربما يكون سبب عدم فقههم أنهم يعيشون معزولين لآلاف السنين، وحدث أن دعاهم للإيمان وعلمهم أسس الحضارة، فاشتكوا له من تعديات يأجوج ومأجوج عليهم، ودخولهم عليهم من الممر، فطلب ذو القرنين معونتهم، وبنى سده بين جبلين متصادفين في أضيق نقاط الممر.

الشكل رقم (209) رحلات ذي القرنين الثلاث، وآخرها رحلته إلى حوض



(سيستان) أو منطقة بين السدين.

وأرى أن السد قد دُك من زمن طويل، وأنه قد صار دكاء بالفعل، وأتوقع أن تُكتشف بقاياه وآثاره في السنوات القادمة إن شاء الله، وسوف يكون اكتشافه والتأكد من طريقة بنائه وزمنه القديم، دليلا أثريا هاما على صدق القرآن وإعجازه، وأن القرآن من عند الله العليم الخبير.

هل السدان هما سلستا جبال القوقاز؟

رُوي عن ابن عباس: في قوله: "حتى إذا بلغ بين السدين" قال: "الجبلين أرمينية وأذربيجان"، وهذا الرأي مستمد على ما يبدو من الأسطورة المسيحية عن الإسكندر الأكبر، والمقصود بجبلي أرمينية وأذربيجان سلسلتي جبال القوقاز، وهما السلسلة الكبيرة والسلسلة الصغيرة.



الشكل رقم (210) صورة بالقمر الصناعي توضح سلسلتي جبال القوقاز الكبيرة (أذربيجان) والصغيرة (أرمينية).

ولكني أرى أن هذه المنطقة ليست المقصودة بالنص القرآني للأسباب الآتية:

1- جاءت كلمة السدان معرفة بالألف واللام, وجاءت منطقة بين السدين في مناظرة للمنطقتين مغرب الشمس ومطلع الشمس، لذا وجب أن يكون السدان مميزان لاثالث لهما، ويمكن الوصول إليهما بدراسة علم الجغرافيا، وهو ليس الحال مع سلسلتي جبال القوقاز.

2- طلب القوم بناء (سدا) يفصل بينهما وبين يأجوج ومأجوج حيث استخدم القرآن نفس الكلمة التي وصف بها الحاجزين (السَّدين)، يُفهم منه أن السَّدين يحجزان بالفعل يأجوج ومأجوج عن آخرين، وهو ليس الحال هنا، حيث أن هناك سلسلة جبال واحدة هي التي تفصل بين منطقة بين السدين وبين منطقة يأجوج ومأجوج المفترضة في الشمال، وهي سلسة جبال القوقاز الكبرى، ولو أن يأجوج ومأجوج يمرون بممر في هذه السلسلة لما صار دقيقا أن تسمى سدا، وأن يطلب القوم سدا.

3- لو أن يأجوج ومأجوج يدخلون على القوم من ممر جبلي بالسلسلة الكبرى لما صار انطباق كلمة "الصدفين" دقيقا، بل الأقرب- في رأيي- أن الصدفين جبلان ينتمي كل منهما لسد من السدين أي سلسلتي جبال مختلفتين.

4- هناك ممران إلى هذه المنطقة، أولهما ممر (دربند) الشهير، وهو ممر ساحلي يمر بجوار بحر قزوين، والممر يقع بين البحر من جهة، وبين سلسلة جبال القوقاز الكبرى من جهة أخرى، فلا تنطبق عليه الآيات القرآنية التي تؤكد أن سد ذي القرنين أو الردم هو بين صدفين.

5- الممر الآخر هو ممر (داريال)، وهو ممر في سلسلة جبال القوقاز الكبيرة، والسد في هذا الممر لن يكون بين صدفين كما ذكر القرآن.

الفصل الثاني

من هم يأجوج ومأجوج؟

من هم يأجوج ومأجوج؟ يثور هذا السؤال في أذهاننا بمجرد قرآءة قصة ذي القرنين؟ ياتُرى هل هم بشر مثلنا؟ أم هم مخلوقات غير بشرية؟ ثم ياتُرى أين هم الآن؟ هل هم محبوسون في مكان ما من الأرض؟ وإن كان هذا صحيحا فلماذا لم نعثر عليهم ولم تعثر عليهم الأقمار الصناعية؟ أم هم مسجونون تحت الأرض؟ أم يكونون على أحد الكواكب البعيدة في السماء؟ في هذا الفصل نناقش قضية تحديد من هم يأجوج ومأجوج وتحديد مكانهم.

المبحث الأول: الترك والمغول في التاريخ

يتفق دارسو التاريخ على أن أكثر الأجناس حبا للقتال والحروب والغزو هم الترك والمغول، وهم سكان سهوب وسط آسيا، ويتفق الدارسون على أن جيران الترك والمغول كانوا دائما يعانون الأمرَّين من غزواتهم وعنفهم الذي يفوق التصور، ورغم أن اعتدائهم على جيرانهم كان مستمرا معظم الوقت، إلا أن التاريخ سجل لنا عدة غزوات ضخمة، تحالفت فيها القبائل المغولية والقبائل التركية المختلفة، وهاجمت الشعوب المجاورة، البعيدة بجحافل جرارة.

فالمصادر الصينية تحدثنا عن قبائل الـ (هسيونجنو) (Xiongnu) التي هاجمت شمال الصين في القرن الثاني قبل

الميلاد، واضطرت الأسرة الحاكمة في هذا الوقت -وهي أسرة (كين)- أن تبدأ بناء سور الصين العظيم لحماية البلاد من هجماتهم المدمرة، والدارسون يرجحون أن (الهسيونجنو) كانوا من التُرك[209].

أما (الهُن) (Hun) فلقد كانوا مجموعات من القبائل التي كانت تسكن وسط آسيا من الترك والمغول وغيرهم، ولقد تحالفت هذه القبائل المحبة للقتال وكونت جيوشا عظيمة، وهاجموا أوروبا بشراسة في القرون الأولى للميلاد، وصاحب هذه الهجمات نزوح لقبائل من منطقة وسط آسيا، وتوطنها في شرق أوروبا، ولقد انهارت امبراطورية (الهن) عقب موت قائدهم (أتيلا) عام 453 ميلادية[210].

أما أعظم وأشهر غزوات الترك والمغول فهو غزوهم للعالم بعد توحد قبائلهم تحت قيادة جنكيز خان وخلفائه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حين كونوا أكبر إمبراطورية متصلة الأراضي في التاريخ، حيث سيطرت هذه الإمبراطورية على 22% من مساحة اليابس في العالم، وقد كان هجومهم على الشعوب وحشيا همجيا، وكانوا مسرفين في القتل لايرحمون شيخا ولا امرأة ولا طفلا، وقد اجتاحوا بغداد عام 1258 ميلادية، وقتلوا فيها ما يقرب من مليونين من سكانها، وأسقطوا الخلافة العباسية، وجعلوا كل من رآهم أوسمع عنهم يظنهم يأجوج ومأجوج.

---

[209] - http://en.wikipedia.org/wiki/Xiongnu

[210] - http://en.wikipedia.org/wiki/Huns



الشكل رقم (211) رسم لفارس مغولي على حصانه.

وبالإضافة إلى ذلك فإننا إذا استعرضنا تاريخ السدود التي أقامتها الملوك لحماية حدودها ولصد أعدائهم عبر التاريخ، فإننا سنفاجأ أن معظمها تم بناؤها لصد هجمات الترك أو المغول، فالصينييون بَنوا سور الصين العظيم لصد هجماتهم، والإيرانيون أقاموا في (دربند) جدارا يمتد من الجبال إلى ساحل البحر لمنع القبائل التركية من الدخول، والإيرانيون أيضا بنوا في (جورجان Gorgan) سدا آخرا بين الساحل والجبال، لمنع نفس القبائل من الدخول إلى المناطق الإيرانية، حتى ممر (دربال) الذي يوجد في وسط سلسلة جبال القوقاز الكبرى فلقد وجد به آثار تحصينات، وكل هذه الجدران والتحصينات قد بنيت لرد المهاجمين من منطقة سهوب وسط آسيا، والتي كان يسيطر عليها القبائل التركية والمغولية.



الشكل رقم (212) خريطة توضح موضع سور الصين العظيم، وسد (جورجان)، وجدار (دربند)، وكلها أقيمت لحماية الأراضي من الترك والمغول.

المبحث الثاني: يأجوج ومأجوج في الروايات، وفي آراء العلماء

هناك حديث رواه أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خطب رسول الله وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لاعدو، وإنكم لاتزالون تقاتلون حتى يأتي **يأجوج ومأجوج** عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف، ومن كل حدب ينسلون، كأن وجوههم **المجان المُطرَّقة"**[211].

---

[211]- برنامج المحدث مجمع الزوائد 12570.



الشكل رقم (213) صورة لبعض أفراد جيش دولة منغوليا الحالية توضح الملامح المغولية.

وهذه الصفات التي في الحديث تصف يأجوج ومأجوج هي ملامح الجنس المغولي، كما أنها جاءت في أحاديث أخرى تصف الترك، فلقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون **الترك**، قوما وجوههم **كالمجان المطرقة**، يلبسون الشعر، ويمشون فيه"[212].

بل إنه جاءت رواية مرفوعة إلى النبي تخبر أن يأجوج ومأجوج والترك من أبناء يافث بن نوح؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "وُلد لنوح سام وحام ويافث، فوُلد لسام العرب وفارس والروم، ووُلد لحام القبط والبربر والسودان، **ووُلد**

[212] - صحيح مسلم.

ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالية**"**[213]، وفي سنده ضعف كما أخبر العسقلاني في كتابه فتح الباري.



الشكل رقم (214) صورة تظهر بعض أفراد من جيش دولة (كازاخستان) ، توضح ملامح الترك.

كما جاءت آراء السلف تؤكد وجود علاقة ما بين يأجوج ومأجوج من جهة والترك من جهة أخرى؛ فلقد أخرج أبن مردويه من طريق السديّ قال: "التُرك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت تُغير فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً". كما أخرج الحاكم من رواية سعيد بن بشير عن قتادة قال: "يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت منهم قبيلة غائبه في الغزو وهم الأتراك فبقوا دون السد"،

---

[213]- فتح الباري ابن حجر العسقلاني.

وعن الضحاك قال: "الترك شرذمه من يأجوج ومأجوج خرجت تُغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب"[214].

ويبدو أن هذه الآراء التي تربط بين يأجوج ومأجوج من جهة والترك من جهة أخرى تأثرت بما جاء في التوراة، فلقد ذكر كاتب سفر التكوين أن ماجوج هو ابن ليافث ابن نوح: "وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَالطُّوفَانِ. بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ."[215].

ولقد تعجّب العلماء من وحشية هجوم التتار عل العالم الإسلامي حتى أننا نجد القرطبي يربط بين المغول والترك (التتار) من جهة، وبين يأجوج ومأجوج من جهة أخرى، فيقول: "وقد خرج منهم [أي الترك] في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالى، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج، أو مقدمتهم."[216].

وفي العصر الحديث وجدنا بعض العلماء يذهبون إلى أن يأجوج ومأجوج هم الترك والمغول، يقول الشيخ المراغي في تفسيره: "يأجوج هم التتر، ومأجوج هم المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى ترك."، ويقول أبو الأعلى المودودي: "الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة باسم التتار والمغول والهن والسيث، وغير ذلك فقد كانت هذه القبائل تغير على الدول المتحضرة في قديم الزمان"، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامية في مصر: "إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول".

ويبدو أن هذا الفريق من العلماء نظروا إلى ما نظرنا إليه من تطابق صفات الترك والمغول مع يأجوج ومأجوج، وكذلك صعوبة العثور على أمتين كبيرتين محبوستين وراء سد من

---

[214] - تفسير القرطبي الجزء 11 ص 58.

[215] - سفر التكوين 2،1.

[216] - تفسير القرطبي الجزء 11 ص 58.

السدود، ورغم ذلك فإننا لانجدهم يناقشون أدلة جمهور العلماء القائلين أن يأجوج ومأجوج محبوسين الآن وراء السد.

المبحث الثالث: يأجوج ومأجوج في خرائط علماء الجغرافيا المسلمين القدماء

ونحن إذا راجعنا خرائط علماء حضارتنا الإسلامية الباهرة مثل خريطة العالم لابن حوقل، وخريطة العالم للإدريسي، وخريطة العالم للقزويني، وللمستوفي، فسوف نجد أنهم قد أثبتوا في خرائطهم منطقة من الأرض جعلوها بلاد يأجوج ومأجوج، ونحن نجد أنهم جعلوا هذه البلاد تقع في أقصى شمال شرق آسيا وشمال الصين، ويبدو أنهم كانوا يقصدون المنطقة التي يعيش فيها المغول، والتي تشغلها اليوم دولة منغوليا.



الشكل رقم (215) على اليمين خريطة العالم للإدريسي تضع منطقة يأجوج ومأجوج في أقصى شمال شرق العالم، في شمال بلاد الصين (داخل المربع)، وعلى اليسار: صورة مكبرة توضح منطقة يأجوج ومأجوج في خريطة الإدريسي وتظهر سلسلة جبال متصلة تبدأ من الساحل وتنتهي عند الساحل، وتعزل يأجوج ومأجوج عن بقية بلاد العالم.

المبحث الرابع: كلمة (جوج)، ودولة (جوك- ترك)

يطلق سفر أشعياء على يأجوج ومأجوج اسم "جوج وماجوج" باستخدام الجيم القاهرية، وأرى أن العلاقة بين الكلمات هي المقطع (جوج) بالجيم القاهرية، وأرى أننا لو استطعنا أن نعلم لأي لغة ينتمي هذا المقطع، لاستطعنا استنتاج من هم يأجوج ومأجوج.

لقد تكونت في القرن السادس بعد الميلاد دولة عظيمة الشأن في منطقة وسط آسيا من تحالف القبائل التركية، واستمرت هذه الامبراطورية من 552 إلى 747 ميلادية، وكانت تسمى (جوك ترك Gok-Turk)، أو(كوك –ترك Kok-Turk)، والمقطع (جوك) يشبه المقطع (جوج) الذي نجده في اسم يأجوج ومأجوج، كما أننا نجد أن كلمة (جوك) تنطق أيضا (كوك)، وهذا يعني أن حرف الجيم القاهرية في أول كلمة (جوك) تحوّل إلى حرف الكاف لتقاربهما في المخرج.

والسؤال الآن: هل كان هذا نفس الحال مع الكاف التي في آخر الكلمة؟ بمعنى أن يكون أصلها جيما قاهرية، وبالتالي يكون أصل كلمة جوك هو جوج؟ ربما، وفي هذه الحالة يكون هذا المقطع مطابق للمقطع جوج مِحور اسم يأجوج ومأجوج.

وكلمة (جوك) تعني في اللغة التركية: الأزرق، أو السماوي، أو الشرق، حيث اعتبر قدماء الترك اللون الأزرق هو رمز المشرق.

وقد تسمى أحد ملوك (الهن) القدماء باسم (كوك خان) Kok Khan وحكم في الفترة 174-161 قبل الميلاد، ومعنى اسمه ملك كوك، أوملك جوج، وهذا يدل على أن اسم جوج قديم وأن هذا الاسم كان يطلق على القبائل التركية أو بعضها.

ولقد استمرت التسمية بهذا الاسم بعد ذلك فنجد أحد ملوك مملكة (جوك ترك) تسمى بهذا الاسم، كما أن قائد قلعة مدينة بُخارى وقت هجوم المغول عليها في القرن الثالث عشر الميلادي، كان هذا اسمه: (كوك خان)، ويقال أنه كان مغوليا.

كما أننا نجد أن كلمة (جوك) مازالت شائعة في الأسماء التركية، وفي أسماء المدن التركية، في عصرنا.

إن المقطع (ما) في اللغة التركية الحالية يعني: العظيم، فهل (ماجوج) تعني في أصلها الأزرق العظيم، وهي تسمية أطلقها القدماء على البحر، فهل كلمة ماجوج تعني البحر؟

وهل في تعريب القرآن للكلمة على (مأجوج) التي قيل عنها أنها من ماج يموج، إشارة لهذا الأصل؟

وهل في قوله تعالى: "وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض" إشارة إلى معنى كلمة (ماجوج) في لغتها الأصلية، وذلك حسب المنهج الذي اكتشفه أبو سعدة؟ ربما.

على كل حال، فإن كلمتي يأجوج ومأجوج ربما تكونان كلمتين تركيتين، أو تنتميان لتلك اللغة التي كان يتكلم بها أسلاف الترك والمغول منذ آلاف السنين.

وهكذا يمكننا القول أن يأجوج ومأجوج الذين بنى ذو القرنين السد ليحمي القوم منهم، هم على الأرجح أسلاف الترك والمغول، فالتاريخ يؤكد أن الترك والمغول هم أكثر الشعوب التي أفسدت في الأرض فأهلكت الحرث والنسل، كما أن الرواية عن النبي الكريم تصفهم بما وُصِف به الترك من ملامح الوجه، والعلماء كادوا يقولون أن الترك والمغول - وخصوصا أثناء الغزو المغولي- هم يأجوج ومأجوج، ولم يمنعهم من ذلك إلا أنهم كانوا يعتقدون أن يأجوج ومأجوج محبوسون وراء سدهم في مكان ما من الأرضين التي كانت مجهولة في هذا الوقت، وهو الأمر الذي اتضح بطلانه.

ولقد عثرتُ على أدلة لغوية على أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، فكلمة جوج كلمة تركية، مازالت تستخدم حتى يومنا هذا، كما أن الإمبراطورية التركية التي كانت قائمة في عصر الرسالة ونزول القرآن كانت تطلق على نفسها جوج ترك.

الفصل الثالث

مفاهيم حول يأجوج ومأجوج ومناقشتها

لقد شاعت مفاهيم حول يأجوج ومأجوج، بعضها قديم وبعضها حديث، وبعض هذه المفاهيم قبله العلماء وبعضها رفضوه.

ويمكننا تلخيص هذه المفاهيم في الآتي: أن يأجوج ومأجوج لهم أشكال وأحجام خرافية، وأن أعدادهم عظيمة جدا تبلغ ألف ضعف لسكان العالم من البشر، وأنهم محبوسون الآن وراء السد، كما ظهرت في عصرنا بعض المفاهيم منها أن يأجوج ومأجوج هم الروس أو اليهود أو الصينيون، وسوف نناقش هذه المفاهيم في الصفحات القادمة إن شاء الله.

المبحث الأول: مفهوم أن ليأجوج ومأجوج أحجاما وأشكالا عجيبة

يقول وهب بن منبه في رواية ذي القرنين الطويلة في وصف يأجوج ومأجوج: "فإذا هم على مقدار واحد... أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا، ولهم أنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل قوة، يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن أو الفرس

القوي، وهم هُلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها تسعانه إذا لبسهما، يلبس إحداهما ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له، وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل، فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه، فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا، ورؤي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا، وأحدثوا، وجفلت منهم الذكور، وأحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحَمام، ويعوُون عوي الذئاب، ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم"[217].

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن كعب قال: "خلق يأجوج ومأجوج ثلاث أصناف، صنف أجسامهم كالأَرْز، وصنف أربعة أذرع طول وأربعة أذرع عرض، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى يأكلون مشائم نسائهم."[218].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار، عن حذيفة قال: "سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة

---

[217] - المكتبة الإسلامية تفسير الطبري سورة الكهف
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=3140&idto=3140&bk_no=50&ID=3159

[218] - السيوطي تفسير الدر المنثور
http://sh.rewayat2.com/tafasir/Web/12884/008.htm

بأربعمائة أمة... لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز. قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية"[219].



الشكل رقم (216) فرد من قبيلة ذات آذان طويلة كما حكى اليونانيون القدماء والصورة من حوليات (نورمبرج) (1493).

---

[219] - السيوطي تفسير الدر المنثور
http://sh.rewayat2.com/tafasir/Web/12884/008.htm

ولكن علماء المسلمين **رفضوا** هذا المفهوم تماما، فقال عنه ابن كثير: "وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلا، عجيبا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له وفيه طول، وغرابة، ونكارة، في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها، والله أعلم."[220].

فلقد اعتمد علماؤنا على حديث "بعث النار" الصحيح، والذي يُفهم منه **بوضوح** أن يأجوج ومأجوج من بني آدم عليه السلام، وكذلك اعتمدوا على ظاهر القرآن في رفض هذا المفهوم.

وأرى أن منشأ هذه الصور الخرافية حول أشكال وأحجام يأجوج ومأجوج، هو ترويع يأجوج ومأجوج لجيرانهم في الزمن القديم، فلقد جعلت وحشيتهم القُصَّاص وواضعي الأساطير في الأمم المختلفة يبالغون في أشكالهم وأحجامهم، وحدث أن وصلت البيئة الإسلامية بعضا من هذه الخرافات.

إن خُلُو القرآن من أي وصف خرافي ليأجوج ومأجوج لهو من أكبر الأدلة على إلهية مصدر القرآن، لأنه لو كان ابن بيئته كما يزعم بعض المستشرقين، لوجدناه مملوء بالخرافات حول يأجوج ومأجوج مثل التي جاءت في رواية وهب بن منبه.

وفي العصر الحديث وبعد اكتشاف كل مناطق الأرض، وعدم العثور على يأجوج ومأجوج مسجونين وراء السد، فقد حلا للبعض أن يقترح أن يأجوج ومأجوج موجودين في أنفاق تحت الأرض، أو يعيشون في السماء على أحد الكواكب، ولعل الخرافات القديمة حول أشكال يأجوج مأجوج مما أوحى لهم بهذه الأفكار العجيبة.

[220] - تفسير ابن كثير سورة الكهف.



الشكل رقم (217) صورة لم تثبت صحتها لكائن فضائي.

إن يأجوج ومأجوج من نسل آدم، فهم من البشر، ويستحيل تواجدهم بأعداد ضخمة في أنفاق تحت الأرض، لأن العلم الحديث ينفي إمكانية ذلك، كما أن القول بأنهم في السماء يعارضه ظاهر الآيات.

المبحث الثاني: مفهوم أن عدد يأجوج ومأجوج يبلغ أضعاف عدد البشر أضعافا كثيرة

لقد نشأ هذا المفهوم بناء على ثلاث مجموعات من الأحاديث: المجموعة الأولى: حديث بعث النار الصحيح ورواياته والتي فُهم منها أن عدد يأجوج ومأجوج يبلغ ألف ضعف لعدد البشر، والمجموعة الثانية: تشمل تلك الروايات التي رُوي بعضها عن الصحابة، ورُفع بعضها للنبي ومفادها أن الرجل من يأجوج ومأجوج لايموت إلا بعد أن يرى من ذريته ألفا أو أكثر، والمجموعة الثالث: تشمل أحاديث خروج يأجوج ومأجوج في

آخر الزمان وكيف أنهم سيمرون مرورا على بحيرة طبرية فيشربون ماءها كله، فلايبقى من مائها شيء.

وسنبدأ في مناقشة هذه المجموعات الثلاثة من الروايات بعون الله.

فأما المجموعة الأولى فتشمل هذه الرواية الهامة التي رواها البخاري في صحيحة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ.".

وتبدو الرواية صريحة في أن عدد يأجوج ومأجوج ألف ضعف لعدد المسلمين، ومادام المسلمون اليوم يبلغون حوالي مليار ونصف المليار، فمعنى ذلك أن عدد يأجوج وماجوج يبلغ 1500 مليار، وهو عدد من البشر لايمكن تصوره.

وأرى أن الذي يحل هذه المشكلة هو أن يكون يأجوج ومأجوج المذكورون في الحديث لايُقصد بهم يأجوج ومأجوج الذين اشتكى القوم إلى ذي القرنين منهم، ولاحتى المقصود هو نسل يأجوج ومأجوج المعاصرين للنبي، وإنما يقصد بهم جميع الأمم الكافرة المعاصرة للنبي، فالأمر كان مجازا وتشبيها، وربما أطلق النبي ذلك عليهم لوثنيتهم ووحشيتهم بالمقارنة بالمسلمين.

ومن أظهر الأدلة على رأيي هذا أن النبي لم يذكر إلا أمتين فقط هما: المسلمين، ويأجوج ومأجوج، فلم يذكر الفرس ولا الروم، ولا الزنج ولا الصين، فهل هم في بعث الجنة أم في بعث النار؟ لاشك أنهم في بعث النار، وهذا يدل على أنه أراد بيأجوج ومأجوج كل الأمم غير المسلمين.

ومن الأدلة أيضا أن النبي فسر قوله يأجوج ومأجوج في صدر الحديث بقوله في نهاية الحديث: "ما أنتم في الأمم..."، فالمقصود بالنسبة هو نسبة أمة المسلمين إلى جميع الأمم، وليس نسبتهم إلى يأجوج ومأجوج فقط.

وقد يرى البعض أن نسبة الشعرة البيضاء الواحدة إلى عدد الشعر الأسود في جلد الثور الأسود وهي النسبة المذكورة في الحديث هي نسبة ضئيلة للغاية، غير أن المقصود بكلمة الشعرة هنا ليس الشعرة الواحدة، وإنما مجموعة من الشعر الأبيض، وهو ما يُطلق عليه شعرة أيضا[221], ويؤكد هذا تفسير نفس النسبة في الحديث بالرقمة في ذراع الحمار، وهي دائرة تكون خالية من الشعر في الجهة الداخلية من ذراع الحمار، وتكون ذات مساحة معقولة، كما جاءت روايات تضرب لهذه النسبة أيضا مثلا آخر، وهو الشامة في جنب البعير، ولابد للشامة أن تكون ذات حجم معقول حتى ترى.

وقد قدرتُ نسبة الرقمة في ذراع الحمار، فوجدتها تقريبا واحد إلى ألف من مساحة جلده، وهي نفس النسبة التي ذكرت في صدر الحديث، وهذا يؤكد أن النبي قصد بقوله "يأجوج ومأجوج" في صدر الحديث كل الأمم من غير المسلمين.

ويشهد لهذا الفهم رواية ابن عباس للحديث ففيها: "وإنما أمتي جزء من ألف جزء"[222]، فأمة النبي واحد من ألف بالنسبة لكل الأمم، وليس ليأجوج ومأجوج فقط.

---

221 - لسان بالعرب

222 - تفسير ابن أبي حاتم سورة الحج.

ويبدو أن القرطبي في تفسيره قد وصل إلى نفس النتيجة فلقد قال: "قوله من يأجوج ومأجوج ألف أي منهم وممن كان على الشرك مثلهم".

ونهاية القول أن يأجوج ومأجوج المذكورون في الحديث لا يقصد بهم يأجوج ومأجوج فقط، وإنما يقصد كل الأمم الكافرة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم[223].

---

[223] - بقيت مشكلة أخرى وهي قلة عدد المسلمين إلى الكفار عموما، ولاتُحل مشكلة تلك النسبة (الواحد إلى الألف) بالقول بأن أهل المعاصي ينضمون إلى بعث النار، وذلك لأن الحديث واضح في أن بعث النار من يأجوج ومأجوج، أو من الكافرين، كما لا يحل المشكلة القول بأننا إذا أضفنا الكافرين الذين ماتوا قبل البعثة النبوية لصارت النسبة واحد إلى ألف، فلقد تقدَّم العلم -بفضل الله- كثيرا وصرنا نعلم أن أعداد البشر في الأزمنة القديم لم تكن كبيرة، وذلك لأن البشر كانوا يعيشون على الصيد وجمع الثمار قبل عشرة آلاف عام، وهذا يستلزم مساحات شاسعة من الأرض، ويجعل أعداد البشر منخفضة لآلاف السنين، حتى بعد اكتشاف الزراعة والاستقرار، فإن أعداد البشر لم ترتفع كثيرا بسبب الأوئة والمجاعات والحروب، ويقدر الباحثون أعداد البشر الذين عاشوا على الأرض حتى يومنا هذا برقم يتراوح بين 45 مليار إلى 125 مليار إنسان. فلو علمنا أن المسلمون الأحياء اليوم يقدر عددهم بمليار ونصف المليار إنسان، فمعنى ذلك أن نسبتهم للبشر كلهم حوالي واحد إلى مائة، فما بالنا إذا أضفنا إليهم ملايين المسلمين الذين عاشوا منذ البعثة النبوية حتى يومنا هذا. والذي يحل هذه المشكلة في رأيي هو أن نقول أن النبي كان يعني بقوله "منكم رجل" المسلمين المعاصرين له فقط، وليس كل المسلمين في كل العصور، وكذلك يقصد الكفار في زمانه أيضا، وليس في كل العصور، أي أن المقصودين في الحديث هم الأحياء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلقد توصل ابن حجر العسقلاني إلى أن النبي قال هذا الحديث في منى في حجة الوداع، ويمكننا تقدير المسلمون في هذه السنة بمائتي ألف على وجه التقريب، ويقدر العلماء عدد سكان الأرض في بداية القرن السابع الميلادي بحوالي مائتي مليون إنسان، فتكون نسبةالمسلمون العرب في عهد النبي إلى الكافرين وهم كل أمم الدنيا هي واحد إلى ألف، وهو متطابق مع قول النبي في حديث بن عباس "إنما أمتي جزء من ألف جزء"، وهو اعجاز علمي واضح للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما المجموعة الثانية من الروايات، والتي تفيد بأن الرجل منهم لايموت إلا بعد أن يرى من ذريته مائة ألفا، فمن هذه الروايات التي رفعت للنبي ماروواه النسائي عن النبي قال:"إن يأجوج ومأجوج يجامعون ماشاؤوا، ولايموت رجل منهم إلا ترك من الذرية ألفا فصاعدا"[224].

ولقد قال ابن حجر العسقلاني في ذلك: "لم يثبت في أعمارهم شيء"، ولقد تقدَّم العلم كثيرا في العصر الحديث، وتأكدنا أنه ليس هناك من البشر شعب يعمر أفراده حتى يرى أحدهم من ذريته ألفا، وإن كان المقصود كثافة الإنجاب فهذا أغرب وأبعد، ولو كان هناك شعب يتكاثر بهذه الأعداد منذ عهد النبوة حتى الآن لبلغ عدد أفراده عددا لا يمكن تصوره.

المجموعة الثالثة من الروايات هي التي تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، ومرورهم ببحيرة طبرية، وشربهم لكل ماء البحيرة، وأرى أن المقصود هو عظم أعداد جيوشهم، حيث أن أعداد الجيوش كانت تقدر باستهلاك الجيش من الطعام، والماء، ولقد اشتهر الترك والمغول - رغم قلة أعدادهم نسبيا كأمة- بتكوين جيوش عظيمة العدد، حيث أن كل فرد في الشعب هو محارب بالفطرة، ماهر بفنون القتال.

ومن الأدلة على ذلك ماذكره القرطبي عن الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وقد كان يعتبرهم من الترك: "وقد خرج منهم [أي الترك] في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى".

وهكذا يتضح لنا أن المفهوم الذي يقول أن أعداد يأجوج ومأجوج عظيمة للغاية هو مفهوم غير دقيق، وهذا يقوي ماذهبت إليه من أنهم الترك والمغول.

---

[224] - تحفة الأحوذي برنامج المحدث.

المبحث الثالث: مفهوم أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء السد

من أهم المفاهيم السائدة حول يأجوج ومأجوج وتتسبب في تحويل موضوع يأجوج ومأجوج إلى معضلة علمية حقيقية، هو المفهوم الذي يقول أن يأجوج ومأجوج يعيشون الآن وراء السد محبوسين خلفه، وأنهم يحاولون الخروج لينقضوا على العالم، وأنه إذا قرب يوم القيامة فإن السد يندك ويخرجون على البشر ويغزون العالم.

والآيات التي يُفهم منها هذا المعنى هي مجموعتان من الآيات:

المجموعة الأولى هي آيات سورة الكهف: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)".

والمجموعة الثانية هي آيات سورة الأنبياء: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)".

ومن الأحاديث التي يُفهم منها هذا المعنى هذا الحديث: "استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه، يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[225].

---

[225] - صحيح البخاري.

والحديث: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا ولا يستثني. فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه إن شاء الله - ويستثني - فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من السماء قسوة وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا في أعناقهم فيهلكون"[226].

إن هذه الآيات والأحاديث يُفهم منها أن يأجوج ومأجوج محبوسون وراء سد ذي القرنين حتى الآن، وأنهم سيخرجون من سجنهم قبل يوم القيامة عندما يندك السد، فيفسدون في الأرض كما كانوا يفسدون من قبل.

وهذا الفهم يصطدم بمعارفنا الجغرافية، والتي صارت من العلوم اليقينية، فلقد اكتُشفت كل الأرَضين، ودُرست وصُورت كل مناطق العالم بالأقمار الصناعية، ولم يعد هناك شبر واحد من اليابس مجهول، فأين هي هذه المليارات أو حتى الملايين من يأجوج ومأجوج؟

ومن العجيب أننا نجد بعد ظهور هذه الحقائق العلمية الواضحة من يصر على أن يأجوج ومأجوج محبوسين وراء سدهم يحاولون الخروج، أومن يقول أن يأجوج ومأجوج هم غيب من الغيوب، أخفاه الله وسيخفيه حتى يخرجون في آخرالزمان، أو من حاول أن يهرب فقال أن يأجوج ومأجوج في سراديب تحت الأرض، أو في أحد كواكب السماء.

---

226 - مسند الإمام أحمد الموسوعة الشاملة تفسير الدر المنثور السيوطي
http://islamport.com/w/tfs/Web/2399/3279.htm

إن علمائنا القدماء لم يشكُّوا أن يأجوج ومأجوج من البشرمن نسل آدم عليه السلام، ولكن بسبب أن الأرض لم تكن قد اكتُشفت كلها بعد، فقد اعتقدوا أن يأجوج ومأجوج في مكان ما وراء السد في بعض البلاد النائية، وهم معذورون في فهمهم هذا، أما من يعيش في عصرنا هذا ويقول بأن يأجوج ومأجوج أمة مليارية مسجونة في مكان ما، فما هو عذره؟

أرى أن القائلين بهذا الرأي من المعاصرين لم ينتبهوا إلى أمرين: الأول أن الآيات القرآنية التي ذكرناها ليست قطعية الدلالة على أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء سدهم, بل الآيات تحتمل وجها أو وجوها أخرى من التفسير، والثاني أن لبعض الأحاديث النبوية في هذه المسألة تأويلا آخر، كما أن بعضها ضعيف السند، أومخالف للواقع الجغرافي اليقيني، وقد اعتبر علماء الحديث مخالفة الحديث للواقع المشاهد من العلل القادحة في صحة الحديث.

والآن فلنبدأ بمناقشة آيات الكهف:

أولا: السد لم يسجن يأجوج ومأجوج:

إذا أعدنا قراءة آيات سورة الكهف، فسنجد أن القوم طلبوا من ذي القرنين أن يبني **بينهم وبين** يأجوج ومأجوج سدا يقول المولى عز وجل حكاية عنهم: "...على أن تجعل بيننا وبينهم سدا"، إن القرآءة المحايدة المتحررة من المفاهيم السابقة تحكم بأن قول القوم: "بيننا وبينهم"، يُفهم منها أن السد لايَحبس يأجوج ومأجوج، وإنما هو فقط يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى لقوم.

ثم نقرأ قول ذي القرنين:"... أجعل بينكم وبينهم ردما"، وهنا يكرر القرآن على لسان ذي القرنين هذه المرة أن السد/الردم بين القوم وبين يأجوج ومأجوج، أي أن السد ليس بين البشر كلهم من جهة ويأجوج ومأجوج من جهة أخرى، وهو ليس جدارا يسجن يأجوج ومأجوج ويمنعهم من غزو البلاد الأخرى.

وهذا يتفق مع ماتوصلتُ إليه من أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، وأنهم كانوا يعيشون في سهوب وسط آسيا، وكانت بلادهم مفتوحة، وأنهم كانوا يسلكون ممرا جبليا ليصلوا إلى القوم الذين يعيشون بين السدين، فبنى ذو القرنين ردمه في هذا الممر ليمنعهم من الوصول للقوم.

ثانيا: "وعد ربي" لايقصد به هنا يوم القيامة:

فَهِم كثير من علمائنا أن وعد ربي في قول ذي القرنين يعني يوم القيامة، فإذا جاء اندك السد، وصار دكاء، وخرج يأجوج ومأجوج، والحقيقة أن هذا ليس التفسير الوحيد للجملة، فلقد جاء "وعد الله" في قوله تعالى: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[227]، بمعنى موعود الله برد موسى إلى أمه، فلقد وعدها الله من قبل برد موسى إليها وذلك في قوله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ** وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[228].

ونحن إذا قلنا أن "وعد ربي" تعني يوم القيامة فإن المعنى لا يستقيم، لأن المعنى سيكون فإذا جاء يوم القيامة جعل الله السد دكاء، وخرج يأجوج ومأجوج، ومن المعلوم أن خروج يأجوج ومأجوج سيحدث قبل يوم القيامة، وليس عندما يبدأ يوم القيامة، كما أن فهم "وعد ربي" بأنه يوم القيامة معارض لصريح الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ".**

وفي النهاية فإن الذي أراه أنه المراد بـ "وعد ربي" هنا هو أمر الله بدك السد ليس إلا.

---

[227] - سورة القصص آية 13.

[228] - سورة القصص آية 7.

ونظرا لقدم زمن ذي القرنين وعدم عثورنا على القوم الذين يفقهون قولا محتمين وراء سدهم، فلا أشك أن وعد الله قد جاء، وأن السد صار دكّاء، وأنه حدث بالفعل أن ماج يأجوج ومأجوج في القوم الذين يسكنون دون السدين.

وقد روى القرطبي الرأي الذي يقول بأن "وعد ربي" يعني وقت خروجهم، كما روى الرأي الذي يقول بأن قوله:"وتركنا بعضهم" تعني أن هذا حدث وقت اندكاك السد[229].

ثالثا: الموجان ليس في آخر الزمان:

يقول تعالى "وتركنا بعضهم يموج في بعض" لقد تم تفسير المَوَجان بأنه اجتياح يأجوج ومأجوج للعالم الذي يحدث في نهاية الزمان، واستندوا في ذلك إلى أن الجملة التالية مباشرة هي: "ونُفخ في الصور فجمعناهم جمعا"، كما قيل أن هذا الموجان يحدث عقب انهيار السد في آخر الزمان.

ولكن العبارات تحتمل تفسيرا آخر، وهو أن الموجان حدث وانتهى، فقد ذكر القرطبي في تفسيره ثلاثة آراء حول الموجان ووقته، وقال أن أظهر الآراء هي أن المَوجان قد حدث وانتهى يوم بناء السد، وهو كان موجان يأجوج ومأجوج بعضهم في بعض حيرة وترددا.

والشاهد من هذا الرأي هو أنه من ناحية اللغة يصح أن يكون المَوجان حدث وانتهى منذ فترة طويلة، وأرى أن الموجان حدث يوم دك السد، وكان ذلك في الزمن القديم أيضا، وعندها ماج يأجوج ومأجوج في القوم الذين يعيشون بين السدين وانتهى الأمر، والدليل على ذلك أننا لانجد الآن قوما محتمين وراء سد ويخبروننا أن الذي بناه هو ذي القرنين، وأنه في الجهة الأخرى يأجوج ومأجوج.

---

229 - وإن كان القرطبي يقصد أن وقت دك السد وخروج يأجوج ومأجوج وموجانهم لم يحدث بعد.

والآن فلنناقش آيات سورة الأنبياء:

يقول تعالى:: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)"[230].

هذه الآيات الثلاث هي أقوى أدلة القائلين بأن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء السد في مكان ما من الأرض، وذلك لأن الآية تقول: "حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج"، وقال القرطبي وغيره من المفسرين فُتحت يأجوج ومأجوج أي فُتح سدهم.

أما الآية الأولى: "وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون"، فللمفسرين في تفسيرها ثلاثة آراء: الرأي الأول هو أن معنى الآية هو أن الله منع القرية التي أهلكها أن تعود للحياة مرة أخرى، والرأي الثاني هو أن الله منع القرية التي قدَر إهلاكها من أن ترجع أي تتوب، والمعنى الثالث هو أن الله منع القرية التي قدر إهلاكها أن تُقبل أعمالها وذلك لأنهم لايتوبون.

أما الآية الثانية: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون"، فأما قوله حتى فتحت يأجوج ومأجوج فلقد فسرها المفسرون بفتح سد يأجوج ومأجوج الذي بناه عليهم ذو القرنين، وأما قوله: "وهم من كل حدب ينسلون" فلقد قالوا أنه هذا حال يأجوج ومأجوج عندما يخرجون فإنهم يجرون من كل صوب، أو من كل مكان مرتفع؛ فالنسل نوع من الجري.

وذكر بعض أهل التفسير رأيا مخالفا وهو أن "وهم من كل حدب ينسلون" هو حال الموتى عند بعثهم يوم القيامة، وكأنهم يقصدون أن معنى الآيتين معا: ومنع الله أن تعود القرى المهلكة إلى الحياة حتى إذا فُتح سد يأجوج ومأجوج، بُعث الموتى من

---

[230] - سورة الأنبياء.

قبورهم ينسلون، ويبدوا أن أصحاب هذا الرأي اعتمدوا على الآية: "فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون"[231] .

أما قوله: " وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ "، فلقد اتفق المفسرون أن الوعد الحق هو يوم القيامة، وقالوا أن "واقترب الوعد الحق" هو جواب الشرط لقوله "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، وأن الواو زائدة، وشبَّهوا ذلك بقوله تعالى**"فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ - وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم."**[232]، أي عندما أسلما وتله للجبين ناديناه، وقال بعض المفسرين أنه ربما يكون قوله: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" هي جواب الشرط.

ولقد ذكر القرطبي رأيا ينتقد تفسير قوله تعالى: "وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون"، بأنه منع القرى الهالكة من الرجوع للحياة، يقول هذا الرأي أن هذا **مما لافائدة منه**، وأرى أن هذا الانتقاد **منطقي**، فالقرآن يجادل أهل الكفر في طول القرآن وعرضه ليقنعهم بحقيقة البعث، وهم يستبعدون الرجوع إلى الحياة، فلماذا يؤكد القرآن لهم هنا ما يشاهدونه ويعلمونه، وخصوصا أنهم يحتجون به على عدم حدوث البعث.

كما أن قوله: "حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج" لايمكن تفسيره الآن بأنه خروج يأجوج مأجوج من محبسهم لأنه ثبت –بما لا يدع مجالا للشك- أنه ليس هناك حبس ولاسجن، وأنه لاوجود لأمة مسجونة خلف سد تتلمظ لتنقض على البشر.

وأرى أن تفسير المفسرين للجملة السابقة بفتح سد يأجوج ومأجوج فيه **بُعد**، فإنه يلزم القول بأن هناك مجاز حيث أن نسبة الفتح إلى يأجوج ومأجوج، وهي حقيقة إلى السد، أو القول بأن الكلام على حذف المضاف -وهو السد- وإقامة المضاف إليه –يأجوج ومأجوج- مقامه، وفيه بُعد كما ترى، كما أن هذا مخالف

---

[231] - سورة يس الآية 51

[232] - سورة الصافات: الآيتان 103 - 104

لظاهر آيات سورة الكهف، وهو أن الله يجعل السد دكاً ودكاء[233]، وهذا بعيد - فيما لأرى- أن يُعبر عنه بالفتح.

كما أنه هناك **بُعد** في تحديد طرفي أسلوب الشرط، فلو قلنا أن معنى الآيتين الأوليين هو أن الله منع القرى المهلكة أن تعود للحياة حتى إذا فُتح سد يأجوج ومأجوج عادوا وخرجوا من قبورهم، فإن المعنى ليس دقيقا، فرغم أنه من المعروف أن خروج يأجوج مأجوج علامة من علامات الساعة، إلا أن القول بأن البعث يحدث عند انهيار سد يأجوج ومأجوج غير دقيق.

أما فهم أسلوب الشرط في الآيات هكذا: أنه إذا خرج يأجوج ومأجوج بعد فتح سدهم اقترب الوعد الحق فإنك تشعر بأن المعنى ليس قويا بما يكفي.

أولا: فهم جديد لآيات سورة الأنبياء:

لقد قدَّم فهد سالم في كتابه: "كشف السر التاريخي يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج"، فهمًا جديدا لآيات سورة الأنبياء، فقال أن المقصود بالقرية التي أهلكها الله هو **أهل قرية بعينها**، وهي مملكة بني إسرائيل الشمالية، أو"مملكة إسرائيل"، فلقد انقسم بنو إسرائيل بعد وفاة نبي الله سليمان إلى مملكتين: الشمالية أو "مملكة إسرائيل"، وضمت عشرة قبائل، والجنوبية أو "مملكة يهوذا" وضمت ثلاثة قبائل، وكلمة قرية تُطلق أيضا على المِصْر الجامع، وقال فهد سالم أن سكان المملكة الشمالية، هم أنفسهم الألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم، وذكرهم القرآن في سورة البقرة، وقال فهد سالم أيضا أنهم لم يعودوا إلى أرض فلسطين، وإنما حرَّم الله عليهم الرجوع مثل تحريمه بيت المقدس على بني إسرائيل أربعين سنة، وقال أن

---

[233] - كما في قرآئتين صحيحتين.

هؤلاء اليهود هم أنفسهم الذين عاذُوا وهم من كل حدب ينسلون إلى فلسطين[234].

ثانيا: مناقشة الرأي السابق:

الحقيقة أنني أؤيد رأي فهد سالم في تفسير القرية المهلكة بالمملكة الشمالية، وكذلك أؤيد رأيه بأن اليهود من نسل هؤلاء المهلكين هم الذين رجعوا إلى فلسطين وهم من كل حدب ينسلون، وسأدلل على هذا الرأي.

لقد ذكر القرآن أن هناك قوما خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم، يقول تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"[235].

وفي تفسير الآية رأيان رئيسان، الرأي الأول وهو الأشهر أن هؤلاء القوم كانوا من بني إسرائيل، وأنهم خرجوا من بيوتهم هربا من الطاعون، فأماتهم الله، ثم أحياهم، وبهذا جاءتنا روايات عن مسلمة أهل الكتاب، أو عن مَن أَخذ منهم.

---

[234] - وبجوار هذه النظرية قدم فهد سالم نظرية أخرى واعتبرها محور الكتاب، وهي أن هؤلاء القوم من بني إسرائيل هم أنفسهم قوم يأجوج ويأجوج الذين ذُكر غزوهم لفلسطين في آخر الزمان، وقال أن هؤلاء القوم المهلكين بعد أن أحياهم الله على يد النبي حزقيال فإنهم هاجروا إلى شمال جبال القوقاز، وهناك اختلطوا بالشعب التركي المسمى بالشعب الخزري، والدليل على ذلك أن هذا الشعب التركي الأصل أعلن اعتناقه اليهودية كله في القرن الثامن الميلادي، وبعد ذلك فإن هذا الشعب قد هاجر واستوطن شرق أوربا، وعرف بعد ذلك باسم اليهود الأشكيناز، وهؤلاء الأشكيناز هم الذين صاروا يمثلون الأغلبية الساحقة لليهود في العصر الحديث، وهم أغلبية من هاجروا إلى فلسطين في الهجمة الصهيونية عليها.

[235] - سورة البقرة الآية: 243

والرأي الآخر هو أن هؤلاء القوم خرجوا فرارا من عدوهم فأماتهم الله ثم أحياهم، وبهذا جاءت رواية رواها الطبري في تفسيره عن ابن عباس يقول: "عدد كثير خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله، فأماتهم الله، ثم أحياهم، وأمرهم أن يجاهدوا عدوهم؛ فذلك قوله: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم."

والرأي الأخير -في نظري- هو الذي يشهد له السياق، فالآية تقول "وهم ألوف" وكلمة ألوف قال المفسرون أنها تعني أكثر من عشرة آلاف، وذكر ضخامة عدد الذين خرجوا - بمقاييس ذلك الزمان- لايضيف للمعنى شيئا إن كان الخروج فرارا من الطاعون، لأن كثرة العدد لاتمنع من الإصابة، وليست مظنة المنع من الإصابة بالطاعون، بينما لو كان الخروج فرارا من عدو يزحف عليهم، لكان لذكر كثرتهم فائدة، فهو سبب كان يجب أن يدفعهم للبقاء ومقاومة عدوهم بدلا من الفرار.

كما أن الآية التالية مباشرة لهذه الآية تقول: "وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[236]، وهذا يشير إلى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كانوا فارِّين من الزحف، وهو ما أشار إليه ابن عباس.

والملاحظ أن هذه الآية تشبه الفقرات الأربع عشرة الأولى من الإصحاح رقم 37 من سفر النبي حزقيال، والتي تقول: "كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَني بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا،2 وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا.3 فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ».4 فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ:5 هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ.6 وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ».7 فَتَنَبَّأْتُ

---

[236] - سورة البقرة الآية 244.

كمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ.8 ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ علَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ.9 فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا».10 فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظيمٌ جِدًّا جِدًّا. 11 ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ.13 فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.14 وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ".

ومن الطريف أن مسلمة أهل الكتاب لاحظوا الشبه بين تلك الآية الشريفة، وبين سفر حزقيال، فنجد أن وهب بن منبه يقول: "أصاب ناسًا من بني إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم، وقالوا: يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقيل: إن قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا، وأي راحة لهم في الموت ! أيظنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت؟ فانطلق إلى جبانة كذا وكذا، فإن فيها أربعة آلاف - قال وهب: وهم الذين قال الله: {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت } - فقم فيهم فنادهم ! وكانت عظامهم قد تفرقت، فرقتها الطير والسباع. فناداهم حزقيل، فقال: يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي ! فاجتمع عظام كل إنسان منهم معا. ثم نادى ثانية حزقيل، فقال: أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي اللحم ! فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلدا، فكانت

أجسادا. ثم نادى حزقيل الثالثة فقال: أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك، فقاموا بإذن الله، وكبروا تكبيرة واحدة.".

وكذلك روى الطبري عن كل من (أبي مالك)، وأشعث بن أسلم البصري رواية تربط بين الآية الشريفة، وبين نص سفرحزقيال[237].

والآن تعالوا ندقق في الآيات الأربعة عشر الأولى من الإصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال؛ الظاهر من كلام كاتب السفر أن حزقيال يرى رؤيا، فهو يرى عظاما لأناس ماتوا منذ زمن، ثم يحيهم الله أمامه، ثم يخبره أن هؤلاء القوم هم **كل بني إسرائيل**، وأن الله سيعيدهم إلى الحياة بمعنى أنه سوف يعيدهم إلى أرض فلسطين، وهذا واضح من قول كاتب النص: **"**يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ الْعِظَامُ هِيَ **كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ**. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ".

وهذا يعني أن كاتب النص يقصد بالموت والإحياء المذكورين الموت المجازي والإحياء المجازي، فالموت هو تفرق بني إسرائيل بين الأمم، وانتهاء دولتهم، أي موتهم كأمة، أما إحيائهم أو إخراجهم من قبورهم فهو إحيائهم كأمة، وهو رجوعهم إلى أرض فلسطين، وقيام دولة لهم من جديد، ويؤكد هذا المعنى الآيات التالية في نفس الإصحاح[238].

ولكن هذا المعنى الذي صاغه كاتب أو كتبة السفر مخالف لنص الآية، فالآية تتحدث عن قوم أماتهم الله ثم أحياهم على الحقيقة، بعد أن فرُّوا من بيوتهم، رغم كونهم ألوف كثيرة حذر الموت، فهل كان القرآن يصحح لكاتب/ كتبة السفر التحريف الذي صنعوه في النص؟

---

237 - الطبري، تفسير الطبري.

238 - حزقيال 37.

إننا نلاحظ قول كاتب النص: " فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا"، فالقوم لم يكونوا رجالا ونساء وأطفالا وإنما كانوا جنودا فرُّوا من الزحف، فإنه لايقال عن أي شعب أنه جيش.

كما نلاحظ أن كاتب النص يقول عنهم أنهم كانوا مقتولين:"هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا"، وهذا يتفق مع ظَنِّ الناس في عصر إحياء هذه الألوف، خرجوا من بيوتهم هربا من الزحف فأماتهم الله، ثم عثر بعض أهلهم عليهم بعد أسابيع أوشهور فظنوا أن الجيش الغازي لحق بهم وقتلهم.

أما المفاجأة الغير متوقعة هي أن كلمة "بيت إسرائيل"، والتي ذكرت في النص لتعريف الموتى الذين أحياهم الله، هذه الكلمة لا تعني فقط بني إسرائيل، بل أُطلقت من قِبَل الأنبياء قَبْل حزقيال على "مملكة إسرائيل" أو"المملكة الشمالية"، وذلك في مقابل مملكة يهوذا الجنوبية.

أي أننا يمكننا أن نفهم النص في قوله: "يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ"، على أن المقصود هم جيش مملكة إسرائيل، أو المملكة الشمالية، الذين فروا من الزحف فأماتهم الله، وهذا الفهم يفسر اختفاء المملكة الشمالية بعد غزو الآشوريين لهم حوالي 720 قبل الميلاد، حيث لم يُسمع عن القبائل العشرة التي كانت تعيش في هذه المملكة بعد غزو الآشوريين، ولقبت هذه القبائل في التاريخ بـ "القبائل العشرة الضائعة".

كما أن في باقي آيات الإصحاح يتحدث حزقيال عن عودة شعب مملكة إسرائيل -والمقصود نسلهم-، وكذلك شعب مملكة يهوذا -والمقصود نسلهم- آخر الزمان، وتكوينهم دولة واحدة على أرض فلسطين، بعد أن يجمعهم الله من بين الأمم، وهذا يشير لوعي كاتب النص بوجود القبائل العشرة وامتداد نسلهم الى زمن العودة في آخر الزمان.

أما تصوري لكيفية تطور نص حزقيال فهو كالآتي: أولا: هاجم الآشوريين المملكة الشمالية، وبدلا من أن يخرج رجال بني إسرائيل من سكان المملكة الشمالية للدفاع عنها مقاتلين في سبيل الله يبغون النصر أو الشهادة، بدلا من ذلك فإنهم فرُّوا من بيوتهم رغم أنهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل، فرُّوا حذر الموت خوفا من أن يقتلوا على يد الغزاة الآشوريين، فأماتهم الله.

ولم يعلم سكان المملكة الجنوبية بما حدث، وربما رأى البعض من سكان المملكة الشمالية القوم الموتى بعد أن أنتنوا، وظن أنهم قد قتلوا على يد الآشوريين أثناء الغزو.

ثانيا: وبعد مرور أكثر من مائة عام أرسل الله النبي حزقيال إلى حيث العظام التي يبست وصارت نخرة، ثم أحيا الله على يدي هذا النبي القوم، فرأى حزقيال جيشا عظيم العدد، وعندما سأل الله حزقيال عن القوم من يظنهم يكونون، وأجاب النبي أن الله أعلم، أخبره المولى عز وجل أن هؤلاء هم كل بيت إسرائيل، والمقصود أنهم معظم رجال شعب المملكة الشمالية، كما أخبر الله حزقيال أن الله حرَّم عليهم العودة، وأنهم سيبعثرون في الأمم حتى إذا جاء موعد العودة سيخرجهم الله من بين الأمم وسيعودون إلى أرض فلسطين.

ثالثا: عندما وضع كتبة السفر الصياغة النهائية للسفر كما وصلنا فيبدوا أنهم فهموا أن كل بيت إسرائيل هنا تعني كل بني إسرائيل، ولما لم يكن كل شعب مملكة يهوذا قد قُتلوا، أو حتى نسبة كبيرة منهم، فقد فهموا أن الكلام رمزي، وأن القصة هي رؤيا رمزية تحكي موت دولة بني إسرائيل ثم بعثها في آخر الزمان، فأتوا بهذه العبارات:"هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا **أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ".**

رابعا: ورغم تغيير المعنى العام للآيات على يد واضعي الصياغة النهائية للسفر، فإننا نجد اليهود في كتبهم غير التوراة، يحتفظون بالمعنى الصحيح لسفر حزقيال، وهو أن الإماته والأحياء كان حقيقيا وليس مجازا[239]، وخلاصة القول هو أنه رغم تحريف الكتبة لمحور الحدث، إلا أن الحقيقة الأصلية بقيت في وعي اليهود، وهي أنه تم إحياء ألوف من بني إسرائيل بعد أن بليت عظامهم.

أما عن تحديد هؤلاء القوم فيبدوا أن اليهود نسوا أوتناسوا من هؤلاء، ولا حاجة لنا في الذهاب بعيدا عن نص حزقيال، فالنص يقول صراحة أنهم كل بيت إسرائيل، ومادام النص لايريد كل بني إسرائيل بمعنى كل الإسرائيليين، لأن هذا مخالف للواقع، فيكون المعنى كل أبناء المملكة الشمالية أي مملكة إسرائيل.

يؤكد هذا أن النص القرآني يتحدث عن ألوف، وأنهم خرجوا من ديارهم حذر الموت، وفي نص حزقيال أنه بعد إحياء الموتى رأى جيشا عظيم العدد، فالموتى كانوا جيشا عظيما فار من زحف أعدائه، وهذا يناسب أن يكون جيش مملكة إسرائيل.

ويدعم هذا الحقيقة التاريخية وهي إختفاء الأسباط العشرة المكونة لشعب المملكة الشمالية، فقال بعض اليهود أنه تم سبيهم إلى بلاد آشور، وقال بعض المعاصرين أنهم ذابوا في الشعوب

---

239 - كتب اليهود في كتبهم غير التوراة أن إحياء حزقيال للموتى لم يكن رؤيا بل كان حقيقة وكان أكبرمعجزات النبي، وجاءت في تحديد القوم ثلاث روايات الأولى أنهم قوم أنكروا البعث، والرواية الثانية أنهم من قبيلة إفراين ابن يوسف وأنهم هربوا من مصر قبل زمن موسى، وأنهم هلكوا في محاولتهم هذه، والرواية الثالثة أنهم مجموعة من شباب اليهود سباهم نبوخذ نصر من مملكة يهوذا، ونظرا لحسنهم فقد خشى نبوخذنصر أن تفتتن بهم نساء بابل، فقتلهم، الرواية الرابعة هي أنهم قوم قتلهم نبوخذ نصر وقد كانوا تركوا عبادة الله وعبدوا الأصنام، ولكن نبوخذ نصر خشى أن يهلك الله بابل بسبب هؤلاء كما أهلك مدينة بيت المقدس فقتلهم.

المجاورة، بينما تطرف البعض وشكك في وجود مملكة إسرائيل من الأساس.

خامسا: نزل القرآن الكريم يخبر عن القوم، وعن سبب إهلاكهم، وعن إحيائهم، وذلك في آية البقرة.

سادسا: كما نزل القرآن يعطي معلومات إضافية عنهم أيضا في سورة الأنبياء، في قوله: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ - حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ"، والمعلومات هي أن الله حرَّم على القرية، أي سكانها ونسلهم، التي أهلكها الله، أي أماتهم ثم أحياهم، أن يرجعوا، أي يعودوا إلى أرضهم ودولتهم، حتى موعد فتح يأجوج ومأجوج، فإذا فُتحت يأجوج ومأجوج رجعوا، وهم من كل حدب، أي من كل صوب، ينسلون أي يخرجون من بين الأمم.

وهذه الآيات تصدِّق ما جاء في سفر حزقيال من عودة المُهلَكين إلى أرضهم، وهي المملكة الشمالية في آخر الزمان، وتصدِّق التأكيد الذي ذكره حزقيال على عودة سكان المملكة الشمالية مع إخوانهم من سكان المملكة الجنوبية وتكوينهم دولة واحدة في آخر الزمان، بعد جَمعهم من بين الأمم.

ثالثا: عودة إلى آيات الأنبياء

وقد يثور السؤال لماذا خصصتَ آيات الأنبياء بسكان مملكة الشمال، ألم يعد اليهود إلى فلسطين من كل حدب ينسلون، سواء منهم من كان من نسل سكان مملكة إسرائيل أومن نسل سكان مملكة يهوذا؟ والجواب أن النص القرآني يقول: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"، والظاهر أن القرية المهلكة هي التي أمات الله سكانها أو جُلَّهم، وهذا ينطبق على قرية المملكة الشمالية، بينما لاينطبق على قرية مملكة يهوذا إلا من باب المجاز، ولاحاجة لنا هنا إلى الأخذ بالمجاز.

والذي يدعم هذا ويؤكد دقة القرآن أن سكان مملكة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل قد عادوا بعد نيف وأربعين عاما من السبيّ، وكوَّنوا دولة لهم على نفس أرض مملكة يهوذا وعاصمتها بيت المقدس، داخل أراضي فلسطين، بل واستطاعوا بناء هيكلهم في بيت المقدس مرة أخرى.

ولقد جاءت نبوءة على لسان النبي إرميا بعودة سكان يهوذا إلى أرضهم مرة أخرى، وسواء كانت هذه النبوءة حقيقية أو كتبت بعد الحدث، فإنها تعكس واقعا حدث بالفعل، وهو أن سكان مملكة يهوذا قد عادوا إلى أرضهم وأعادوا بناء مملكة يهوذا مرة أخرى، بينما لم يعد سكان المملكة الشمالية إلى أرضهم، ولم يعيدوا تكوين مملكتهم ولا بناء مدينتهم السامرة مرة أخرى، وبهذا فلا يمكن القول بأن الرجوع كان محرَّما أي ممنوعا على كل بني إسرائيل، وإنما هو كان ممنوعا ومحرما على سكان المملكة الشمالية ونسلهم حتى عادوا في العصر الحديث وهم من كل حدب ينسلون[240].

وهكذا تتضح دقة القرآن في تصديقه للتوراة، وللتاريخ أيضا، فالقرية المهلكة - وليس كل بني إسرائيل- لن ترجع إلى مملكتها بمعنى لن تقوم مملكة إسرائيل الشمالية أومملكة إسرائيلية على أرض مملكة إسرائيل الشمالية، إلا في آخر الزمان عندما تُفتح

---

[240] - تختلف نبوءة القرآن في آيات الأنبياء عن نبوءة القرآن في آيات الإسراء، فنبوءة القرآن في آيات الإسراء تتحدث عن علوين إفساديين لليهود، أولهما كان قبل نزول القرآن وهو في الفترة من وفاة نبي الله سليمان، إلى غزو الآشوريين لمملكة إسرائيل، وغزو البابليين لمملكة يهوذا وبيت المقدس، أما العلو الإفسادي الأخير فهو ما نراه الآن من دولة إسرائيل، ونحن نجد في نفس سورة الإسراء قوله تعالى: "فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً "، والذي يعني أن العلو الإفسادي الأخير سيحدث بعد عودة اليهود من بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، وهذه النبوءة القرآنية لاتتعرض لعودة سكان مملكة يهوذا إلى أرضهم والذي حدث قبل الميلاد، حيث أنها تتحدث عن العلو الإفسادي، وهو مالم يحدث في دويلة اليهود بعد عودتهم من السبي حيث كونوا دولة ذليلة تابعة، هذا بينما تتحدث آيات الأنبياء عن مطلق الرجوع وتكوين دولة، والله أعلم.

يأجوج ومأجوج، وهذا ما يُفهم من نص حزقيال، وهو ما حدث بالفعل.

رابعا: "وهم من كل حدب ينسلون"

هذه الجملة اعتبرها جمهور علماء التفسير القدماء تصف حال يأجوج ومأجوج بعد أن يهدم السد ويخرجون من ورائه، بينما رأى البعض من أهل التفسير أنها تصف حال الموتى إذا بُعثوا وقاموا من قبورهم، معتمدين في ذلك على قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ".

وأهم اعتراض على رأي جمهور المفسرين هو أن يأجوج ومأجوج ليسوا محبوسين وراء أي سد من السدود، وأن هذا صار من المسلمات، كما أن هناك اعتراضات أخرى منها أنه بفرض خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد بعد فتحه فإنهم سيهجمون من جهة السد، وليس من كل حدب بمعنى من كل جهة، أو حتى من كل مكان مرتفع.

والاعتراض الأخير أن جواب الشرط لقوله: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج" ليس واضحا، بينما لو جعلنا "وهم من كل حدب ينسلون" وصفا لحال القرية المهلكة عند عودتها لفلسطين، لكان جواب الشرط مقدرا، وهو: (رجعوا) وهم من كل حدب ينسلون، ورغم أن كلمة رجعوا مقدرة إلا أن هذا التوجيه أقوى وأظهر.

وقوله من كل حدب ينسلون يصدق تماما على عودة بني إسرائيل إلى أرض فلسطين في العصر الحديث، فـ"من كل حدب" تعني من كل صوب، وهذا ما حدث فلقد هاجر اليهود إلى فلسطين من عشرات الدول، مستقلين السفن والطائرات من العديد الموانئ، والمطارات الدولية المختلفة.

أما كلمة ينسلون فهي كلمة عجيبة استخدمها القرآن في خروج الموتى عند بعثهم من قبورهم، وخروجهم للقاء الله، ويقول علماء اللغة أن كلمة "النسل: الانفصال عن الشيء. يقال: نسل الوبر عن

البعير، والقميص عن الإنسان، قال الشاعر: فسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي، والنسالة: ما سقط من الشعر، وما يتحات من الريش، وقد أنسلت الإبل: حان أن ينسل وبرها،..."[241]، أي أن النسل هو انفصال الشيء عن أمثاله، في سهولة، وعدم استخدام قوة، أو عنف في ذلك.

ولقد خرج اليهود من بين أمم الأرض المختلفة التي عاشوا بينها لمئات عديدة من السنين، فلقد جاء اليهود الألمان من ألمانيا يتكلمون الألمانية، واليهود الروس خرجوا من بين الروس، وهم يتكلمون الروسية، واليهود المغاربة من بين المغاربة، وهم يتكلمون اللهجة المغربية، وهكذا، مصداقا لقوله عز وجل: "وقطعناهم في الأرض أمما"، أي أنهم تحولوا لأمم مختلفة، كل أمة تنتسب إلى الأمة التي تعيش فيها، لذا أرى أن كلمة ينسلون **هي أدق كلمة في المعجم** لوصف خروج بني إسرائيل من بين الأمم، أثناء هجرتهم إلى أرض فلسطين في العصر الحديث.

وبالإضافة لما سبق فإن قوله: "وهم من كل حدب ينسلون" هو من باب تصديق القرآن لما بين يديه من الكتاب، ففي التناخ/العهد القديم: "وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ الَّتِي ذَهَبُوا إِلَيْهَا، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَآتِي بِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ" سفر حزقيال 38: 21، فكلمة "ينسلون" هي تصديق: لـ "آخذ بني إسرائيل من بين الأمم"، وقوله: "من كل حدب"، هو تصديق: لـ "من كل ناحية".

بقيت مشكلة لابد أن نتعرض لها، وهي أن هناك أحاديث بعضها **صحيح** السند، وقد ذُكرت هذه العبارة القرآنية: "وهم من كل حدب ينسلون" في متن الحديث، ولم يقصد بها إلا وصف خروج يأجوج ومأجوج، مثل حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم، الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وفيه:"...،

[241] - راغب الأصفهاني، مفردات القرآن.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج، **وهم من كل حدب ينسلون،** فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ..." الحديث .

وربما لهذا السبب قال جمهور المفسرين أن الذين سيخرجون وهم من كل حدب ينسلون هم يأجوج ومأجوج، وبالتالي قالوا أن معنى قوله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج تعنى دك السد، وخروجهم، ويترتب على ذلك أن يأجوج ومأجوج محبوسين الآن وراء السد.

وما أراه هو أن هذه الروايات حتى الصحيحة السند منها قد **رُويت بالمعنى،** وأن قول الرواية "وهم من كل حدب ينسلون" في وصف خروج يأجوج ومأجوج، ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، بل من كلام الراوي نتيجة فهمه هو، وأنه ربما قد حدث **إدراج** لهذه العبارة في متن الحديث، والله أعلم.

خامسا: تفسير جديد لقوله تعالى: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج":

أما رأيي في تفسير قوله تعالى: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، هو أننا يجب أن نفسر الجملة على غرار جملة مشابهة لها جاءت في القرآن الكريم، فإن لم نجد فعلى غرار جملة مشابهة لها من الحديث الشريف.

ونحن إذا فعلنا فسنجد قول النبي عندما كان يضرب الصخرة في الخندق: "فُتحت الروم"، فالروم ليس مكانا وإنما شعبا مثل يأجوج ومأجوج، ومعنى قوله "فُتحت الروم" لايعني سوى فُتحت بلاد الروم، وعلى هذا يمكننا القول أن "فُتحت يأجوج ومأجوج" تعني مباشرة "فُتحت بلاد يأجوج ومأجوج"، بمعنى أن هناك من سيفتح بلاد يأجوج ومأجوج.

ويكون المعنى العام للآيتين أن سكان مملكة الشمال ونسلهم ممنوعون من العودة إلى أرضهم وإقامة دولتهم، إلا عندما يَفتح

بعضُ الغزاة بلاد يأجوج ومأجوج، وعندها سيعود هؤلاء النفر من بني إسرائيل وهم من كل حدب ينسلون.

لقد ذَكرتُ أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، ولقد كانوا يشغلون مناطق وسط آسيا ومنغوليا الحالية، وكذلك سيبريا، ومنطقة شمال القوقاز، وكان لايقر لهم قرار بل دائموا الترحال والتجول في هذه السهوب الواسعة.

ولقد كانت هذه القبائل بدوية محبة للقتال واشتهرت بغزو جيرانها من الأوربيين، والفرس، والصينيين وغيرهم، حتى أن هذه الأمم بنت الجدران والحصون، لترد بأس هذه القبائل المحاربة، وربما اتحدت هذه القبائل وكونت جيوشا جرارة، وكونت جحافل لاترحم مثلما حدث عندما اتحدت القبائل تحت اسم الهُن، أوعندما اتحدت تحت قيادة جنكيز خان.

ويقول بعض الدارسين أن الأمور تغيرت في بداية عصر النهضة الحديثة، فلقد تغيرت طبيعة الأسلحة المستخدمة، وكذلك طبيعة المعارك الحربية، فاخترعت الأسلحة النارية، وتطورت، وصارت صناعة هذه الأسلحة تعتمد على بنية تحتية لاتتوفر إلا في المجتمعات المستقرة، **لذلك حدث لأول مرة في التاريخ أن يتسلط جيران الترك والمغول عليهم، وأن يحتلوا أرضهم،** وهؤلاء الجيران كانوا هم الروس والصينيون، الذين طالما ذاقوا -هم أنفسهم- الويلات من الترك والمغول.

فلقد فتحت روسيا منطقة سيبريا الشاسعة كلها، ثم فتحت القوقاز، ثم انتهت بفتح وسط آسيا أو التركستان الغربي، بينما سيطر الصينيون على التركستان الشرقي، وعلى مناطق منغوليا الداخلية، حتى دولة منغوليا التي تزعم أنها دولة مستقلة، وتشغل الصحاري مساحتها، نجدها خضعت تماما للهيمنة الروسية.

ولم يكتف الغزاة من الروس والصينيين بالاحتلال العسكري بل عمدوا إلى تهجير الملايين من الروس والصينيين إلى البلاد المفتوحة، وهو احتلال إستيطاني، فنجد في هذه البقاع الآن ملايين الروس، والصينيين، يعيشون على بعد آلاف عديدة من الكيلومترات عن بلادهم الأم، والسؤال ألا يستحق هذا الاحتلال الإستيطاني لبلاد يأجوج ومأجوج بأن يسميه القرآن فتحا لهذه البلاد؟ بلى أرى أنه يستحق بكل تأكيد.

وهكذا يمكننا القول أن قوله تعالى: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ- حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ", يعني أن الله حرَّم على المُهلَكين من المملكة الشمالية –والمقصود هم ونسلهم- الرجوع إلى أرضهم ودولتهم إلى أن تَفتح بعض الشعوب بلاد يأجوج ومأجوج، وعند ذلك فإن هؤلاء الإسرائيليين سوف يعودون إلى أرض أجدادهم وهم من كل حدب ينسلون.

يقسِّم الدارسون هجرة اليهود إلى فلسطين إلى مرحلتين الأولى: هي فترة ما قبل الصهيونية، وتتميز هذه المرحلة بمميزات من أهمها قلة عدد المهاجرين، وطول المُدة بين كل هجرة والتي تليها، وأنها هجرات لم تكن منظمة من قبل دولة أو هيئة، والأهم أنها لم تكن هجرات بِنِيَّة إقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين.

بينما تتميز هجرات اليهود في المرحلة الصهيونية، بأن اليهود كانوا يهاجرون إلى فلسطين بأعداد ضخمة على فترات متقاربة، وكانت هناك منظمات ودول لها أيدلوجيات واضحة ترعى هذه الهجرات، وكانت النية الواضحة المعلنة لهذه الهيئات والدول وحتى المهاجرين هي إقامة دولة لليهود في أرض فلسطين.

ويقول الدارسون أن أول مجموعة صهيونية وطِئت أقدامها أرض فلسطين كانت مجموعة صغيرة، وأن هذا حدث في شهر يونيو عام 1882 ميلادية[242].

أما احتلال الروس والصينيين أراضي الترك والمغول، أو يأجوج ومأجوج، فلقد امتد لقرون طويلة، فلقد بدأ باحتلال سيبريا في القرن السادس عشر، وانتهى باحتلال الروس لتركستان الغربية، بعد معركة (جوك- تبي) في تركمانستان الحالية عام 1881 ميلادية[243].

وهكذا يتضح لنا أن أول مجموعة صهيونية وصلت إلى أرض فلسطين بعد **عام واحد من إتمام فتح بلاد يأجوج ومأجوج**، وهذا يؤكد صحة فهمي لآيتي الأنبياء، كما أنه تصديق للقرآن الكريم، يثبت أن القرآن من عند الله العليم الخبير.

وربما يثور سؤال لماذا يؤقت المولى عز وجل عودة اليهود إلى فلسطين بفتح أراضي يأجوج ومأجوج، صحيح أن فتح بلاد يأجوج ومأجوج كان أمرا عجيبا، غير أنه لاتوجد علاقة ظاهرة بين الأمرين ليُجعل أحدهما ميقاتا للآخر؟

والجواب أن الأمرين ليسا بعيدين كما يظن المرء لأول وهلة، بل هما مظهران يرجعان إلى نفس الأسباب، فلقد حدثت ثورة علمية تكنولوجية في أوربا بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي واستمرت حتى الآن، ولقد أدى التقدم العلمي والصناعي إلى تحسن التغذية، وتحسن الرعاية الصحية، مما أدى إلى **زيادة كبيرة في عدد سكان أوربا**، ومن ضمنهم اليهود الأشكيناز الذين

---

[242] - First Aliyah Wikipedia
http://en.wikipedia.org/wiki/First_Aliya

[243] - إن تحديدنا لأرض القوم الذين لايكادون يفقهون قولا بحوض سيستان يجعل أرض دولة تركمانستان هي أقرب أرض إليهم من أراضي الترك، وعلى هذا يكون احتلال الروس لتركمانستان، في المعنى الضيق، هو فتح أرض يأجوج ومأجوج الذين كانوا يغزون القوم المستضعفين.

كانوا يسكنون في أوربا الشرقية، فلقد حدث لديهم انفجار سكاني، حتى أن هؤلاء اليهود صاروا يمثلون 90% من يهود العالم.

ومع الثورة العلمية الصناعية فإن الدول الأوربية استطاعت تصنيع الأسلحة النارية، وصناعة السفن الكبيرة، وامتلاك جيوش لايمكن مقاومتها، واستطاعت الدول الأوربية فتح البلاد القريبة والبعيدة والهيمنة على أمم الأرض، وفي الوقت التي كانت إسبانيا والبرتغال، وانجلترا وفرنسا تتسابق في السيطرة على الأمريكتين، توسعت روسيا في المناطق المتاخمة لها مثل سيبريا الشاسعة والقوقاز، وفي الوقت الذي التفتت فيه انجلترا لاحتلال مصر ومنطقة الشرق الأوسط، فإن روسيا كانت قد ضمت إليها منطقة التركستان الغربي.

ونتيجة للانفجار السكاني في أوربا وفتحها لمناطق العالم المعروفة والمجهولة، فقد نشطت حركة هجرة استيطانية من أوربا إلى البلاد المفتوحة، فكان الأوربيون يهاجرون إلى الأمريكتين واستراليا وأفريقيا، وكان الروس يهاجرون إلى المناطق الفتوحة في آسيا، وأخذ اليهود يخرجون من بلادهم في أروبا الشرقية مهاجرين، فذهب قسم كبير منهم إلى أمريكا، وجاء قسم كبير منهم إلى فلسطين.

فكأن اليهود لم يعودوا إلى فلسطين إلا بعد أن كثرت أعدادهم، وقويت شوكتهم بالأمم الأوربية التي كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، حتى استطاعت بعض هذه الأمم وهي أمة الروس، أن تفتح بلاد يأجوج ومأجوج المتوحشين، وربما يدعم هذا الرأي قوله تعالى عن قوة اليهود في آخر الزمان: "وأممدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا".

والآن فلنناقش الأحاديث النبوية التي فُهم منها أن يأجوج ومأجوج وراء السد حتى الآن:

لقد جاءت أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم فُهم منها أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن، وأنهم يخرجون من وراء السد قبل يوم القيامة فيعيثون في الأرض فسادا، ولقد ثبت باليقيني من العلم الحديث **خطأ** هذا الفهم فلا توجد أمة عظيمة يمنعها عن البشر سد عظيم، لذا وجب علينا إعادة دراسة تلك الروايات في ضوء هذه الحقيقة المعروفة.

أولا: حديث "ويل للعرب من شر قد اقترب":

روى البخاري في صحيحه: " استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه، يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث".

هذا الحديث أشكل على ابن كثير، ووجه الإشكال عنده أن القرآن يقول عن السد/الردم: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"، ويقول المولى: "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء"، وفي قرآءة أخرى صحيحة "دكًا"، وظاهر الآيات أن الله سوف يجعل السد دكا ودكاء، وأن السد لن ينهدم على أيدي يأجوج ومأجوج أنفسهم.

وهذا ما جعل ابن كثير يعدل عن ظاهر الحديث ويقول: "من المحتمل أن يكون الحديث إشارة إلى فتح أبواب الفتن، **وأنه استعارة وضرب مثل".**

هذا ما قاله ابن كثير وهو من المفسرين الذين اعتمدوا على الرواية في التفسير، ولقد قال هذا الكلام منذ مئات السنين، فما بالنا لو اطلع ابن كثير نفسه على علم الجغرافيا الحديث، وتأكد أنه لاوجود لأمة ضخمة مسجونة خلف سد، لو فعل لجزم بأن حديث "ويل للعرب" ليس إلا "إستعارة وضرب مثل".

كما أننا نجد الإمام المناوي في كتابه فيض القدير يقول: "الشر الذي اقترب هو الفتن التي حدثت بينهم من قتل عثمان وخروج معاوية"، أي أن المناوي فهم أن فتح الكوة في سد يأجوج ومأجوج ليست إلا رمزا، وأن الفتح ليس على الحقيقة.

وقد ذهب بعض الباحثون المعاصرون للجمع بين ظاهر هذا الحديث وبين الحقائق العلمية، فقالوا إن السد كان قائما في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنه هُدم في القرن السابع الهجري، وخرج المغول من ورائه واجتاحوا العالم الإسلامي، وهذا الرأي **غير مقبول** فلقد كان المغول وأحلافهم من الترك يتحركون بحرية تامة ولم يكونوا محبوسين وراء سد، ولم يكن بينهم وبين العالم فاصل ينتظرون هدمه، وهو ما يؤكده ظاهر القرآن.

ثانيا: حديث "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد":

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا ولا يستثني. فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه إن شاء الله - ويستثني - فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من السماء قسوة وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا في أعناقهم فيهلكون" وهذا الحديث كما نرى صريح في أن يأجوج ومأجوج محبوسين وراء السد وأنهم يحفرون كل يوم، حتى إذا جاء الوقت الذي قدره الله نقبوا السد وخرجوا على الناس.

والحديث رغم تصحيحه من قبل بعض العلماء، فقد قال بعض الباحثين المعاصرين أنه ضعيف لانقطاعه، فقتاده لم يأخذ عن أبي رافع ولم يلقه[244].

وهذا الحديث رُوي أيضا موقوفا عن أبي هريرة، كما أنه روي موقوفا عن كعب الأحبار، ويبدو أن الحديث من كلام كعب الأحبار، ثم أخذه عنه أبو هريرة، فرُوى عنه، ثم رُفع خطأ للنبي صلى الله عليه وسلم.

والمفاجأة أن ابن كثير شكَّ في صحة رفع الحديث للنبي فقال: "فإن لم يكن رفع الحديث محفوظا، وإنما هو مأخوذ من كلام كعب الأحبار كما قال بعضهم، فقد استرحنا من المؤونة"، كما أنه قال: "ولكن هذا قد رُوى عن كعب الأحبار، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيرا ما يجالسه، ويحدثه، فحدَّث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع, فرفعه، والله أعلم"[245].

ولقد اعتبر علماء الحديث مخالفة الحديث للواقع المشاهد علة قادحة في صحة الحديث، ليس هذا فقط بل إن نص الرواية مشابه لنصوص مسيحية خرافية وصلتنا، لذا فهذه الرواية أليق بأن تكون من كلام كعب الأحبار، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أحاديث: "خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان"

وهي الأحاديث التي تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان وهي نقطة خارج نطاق بحثنا هذا، غير أن البعض قد فهم من كلمة (خروج) يأجوج ومأجوج أنهم محبوسون الآن، وهذا خطأ فادح، فهذه الكلمة تستعمل للدلالة على عدة معان منها خروج

---

[244] - حاكم المطيري، أثر فيه نظر دراسة نقدية حديثية تفسيرية لحديث) إن يأجوج يحفرون السد(http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TlRRMUpsTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp

[245] - نفس المصدر السابق.

الأعداء من بلادهم وهجومهم على بلاد الإسلام، ومثال هذا ما يرويه نعيم ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه الفتن: "لِلتُّرْكِ خَرْجَتَانِ، إِحْدَاهُمَا يُخَرِّبُونَ أَذَرْبِيجَانَ، وَالثَّانِيَةُ يَشْرَعُونَ مِنْهَا عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ"، وكما هو معروف لم يقل أحد أن الترك محبوسون.

ورغم هذا فإن هناك بعض الأحاديث النبوية تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان من وراء سدهم، وأرى أن هذه الأحاديث مروية بالمعنى على أقل تقدير، وأن متنها ليس نص ماقاله النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو يعكس فهم صاحبه للآيات القرآنية.

المبحث الرابع: مفهوم أن يأجوج ومأجوج هم الروس، أو الصينيون، أو اليهود الأشكيناز

في العصر الحديث حاول باحثون -غربيون وإسلاميون- تحديد من يكون يأجوج ومأجوج، فقال البعض بأنهم الاتحاد السوفيتي أو الروس، وقال بعضهم أنهم اليهود الأشكيناز، وذهب فريق إلى أنهم الصينيون، ورغم أن هذه الآراء بها بعض الوجاهة، إلا أننا سنبين في السطور التالية كيف أنها لاتصمد أمام النقد.

هل الروس هم يأجوج ومأجوج؟

هذه النظرية ظهرت في أثناء الحرب الباردة، وقت أن كان الاتحاد السوفيتي خصم عنيد للولايات المتحدة وأوربا الغربية، وتعتمد هذه النظرية على سفر حزقيال الإصحاح 38,39، وفيه نبوءة على لسان النبي حزقيال يفهم منها أن (جوج) -الذي هو شخص على الأرجح- يقود ماجوج -الذي هو شعبه على ما يبدو- ليهاجم الاسرائيليين على أرض فلسطين في آخرالزمان.

وصاحب هذه النظرية هو هال ليندسي Hal Lindsey, ولقد فهم نبوءة الكتاب المقدس المذكورة في سفر حزقيال الإصحاح 38,39 على أن المقصود بـ (جوج) هو رئيس الاتحاد السوفيتي، والمقصود بـ ماجوج هو دول الاتحاد السوفيتي، وعقب إنهيار الاتحاد السوفيتي تم تعديل النظرية ليصير (جوج) هو رئيس روسيا وماجوج هو شعب روسيا.

ولقد بنى ليندسي رأيه على أساس أن كلمة (روش)Rosh المذكورة في النص تعني روسيا، وأن كلمة (ميشيش) Mechech قُصِد بها (موسكو9 Moscow، وأن كلمة (تُبال) Tubal قصد منها (تبلاسك) Toblask .

ولكن ظهر حديثا دراسات لبعض الدارسين تدحض هذه النظرية فـ(روش) المذكورة في النص لاتعني سوى كلمة (الرئيس)، والمعنى هو أن جوج هو القائد الرئيس، وليس قائد روسيا، كما أن (ميشيش) Mechech هي أقرب لكلمة (مشكي) Moshi/Mushki, وهي تقع وسط غرب آسيا الصغرى، أما كلمة (تبال) Tubal فهي قريبة جدا من كلمة (تبالو) Tubalu/Tibareni في شرق آسيا الصغرى أيضا[246].

ويقول بعض الدارسين أن جغرافية العالم عند كتبة سفر حزقيال كانت أضعف من أن تعرف (موسكو)، و(تبلاسك)، ولقد كانت آسيا الصغرى بالنسبة إليهم هي أقصى شمال العالم.

لهذه الأسباب فإن نظرية روسيا قد انفض من حولها الناس، فإذا أضفنا إلى ذلك ماتوصلتُ إليه من أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، وهم شعب مختلف بشكل تام عن الروس، الذين هم شعب أوربي زراعي بالأساس، لتأكدنا أن الروس ليسوا هم يأجوج ومأجوج.

---

246 - http://www.contenderministries.org/prophecy/gogmagog.php

هل اليهود (الأشكيناز) هم يأجوج ومأجوج؟

ظهرت نظرية في تحديد يأجوج ومأجوج على يد فهد سالم في كتابه "يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج"[247]، وتخلص هذه النظرية إلى أن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين في العصر الحديث، ومعظمهم من اليهود (الأشكيناز)، الذين جاؤوا من أوربا الشرقية هم أنفسهم يأجوج ومأجوج.

وقال فهد سالم في كتابه أن مملكة إسرائيل أوالمملكة الشمالية والتي نجمت عن انقسام بني اسرائيل إلى مملكتين بعد وفاة النبي سليمان عليه السلام، هذه المملكة دمرها الآشيوريون حوالي 720 قبل الميلاد، وقال فهد سالم أن مقاتلي هذه المملكة هم الألوف التي ذكرهم القرآن أنهم خرجوا من بيوتهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم.

وأضاف فهد سالم أنهم بعد أن أحياهم الله توجهوا إلى شمال بلاد القوقاز حيث التحقوا بقبائل الخزر التركية الأصل، ولم يعلنوا عن أنفسهم، ولذا لاتذكر عنهم التوراة أوباقي كتب اليهود شيئا، وأُطلق عليهم القبائل العشرة المفقودة، وقال أن هؤلاء النفر من بني إسرائيل عاشوا مع هذه القبائل الخزرية أكثر من ألف عام، واختلطوا بهم، حتى أعلن الخزر تهودهم في القرن الثامن الميلادي.

وذهب فهد سالم أن قورش الأكبرهو ذو القرنين، وأنه أغلق ردمه على الأسباط العشرة المفقودة في القوقاز، غير أن الردم قد اندك، وانطلق اليهود من ورائه.

ويفرق فهد سالم في كتابه بين الردم والسد فهو يرى أن الردم هو الحاجز المادي الذي بناه ذو القرنين، وأنه قد اندك منذ زمن بعيد، أما **السد فهو الحاجز النفسي** الذي كان يمنع القبائل العشرة

---

[247] - فهد سالم كشف تاريخي يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق الطبعة الأولى 1418 هـ شركة دار الإشعاع للطباعة والنشر- القاهرة

المفقودة، أو نسل سكان المملكة الشمالية من العودة إلى أرض فلسطين.

وذكر فهد سالم، أنه في العصر الحديث تبدد خوف اليهود وإحجامهم عن العودة، وبهذا **فتح السد المعنوي**، وهو يرى أن قوله: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، يعني فتح السد المعنوي وبدء هجرة اليهود إلى فلسطين، حيث أن اليهود الأشكيناز هم نسل الأسباط العشرة الضائعة، أو سكان المملكة الشمالية، مختلط مع أغلبية الترك الخزر، لذا فهم بني إسرائيل وفي نفس الوقت يأجوج ومأجوج.

وكما يتضح لنا أن هذه النظرية بها العديد من نقاط الضعف، من أهمها أن الذي يقرأ سفر حزقيال يقتنع تماما أن بني إسرائيل ليسوا يأجوج ومأجوج بل هم أعدائهم، وكذلك كل من يقرأ القرآن الكريم والأحاديث التي تحدثت عن يأجوج ومأجوج لايشك أنهما شعبين مختلفين.

بالإضافة إلى ذلك فالكاتب يعتمد على نظرية الأصل الخزري لليهود (الأشكيناز)، وهي نظرية قديمة، تم نقضها في السنين الأخيرة بعد أبحاث وراثية متطورة حول الحمض النووي.

وقد أثبتنا في بحثنا هذا أن ذا القرنين قد عاش منذ آلاف السنين، وقبل بني إسرائيل بمدد سحيقة، ولما كان ذو القرنين قد بنى السد بين يأجوج ومأجوج والقوم الذين طلبوا مساعدته، فمعنى ذلك أن يأجوج ومأجوج كانوا موجودين منذ آلاف السنين، وأنهم ليسوا هم اليهود أو بني إسرائيل.

هل الصينيون هم يأجوج ومأجوج؟

يرى البعض أن الصينيون هم يأجوج ومأجوج، فهم شعب كثيف العدد، يبلغ حوالي ربع سكان الأرض، ملامحهم غريبة، تشبه الملامح التي ذكرها الحديث في وصف يأجوج ومأجوج، كفَّار في غالبيتهم، ويشهدون صحوة اقتصادية هائلة.

ويقول أصحاب هذا الرأي أن الصينيون قد يغزون العالم بجيوشهم الجرارة، وبالتالي فربما يكونون هم يأجوج ومأجوج.

والحقيقة أن الصين، والصينيين كانوا معروفين زمن تنزيل القرآن، ولم تذكرهم الآيات أو الأحاديث، ولم تشر إلى أن الصينيين هم يأجوج ومأجوج، بالإضافة إلى ذلك فالصينيون شعب زراعي لم يشتهر بالغزو، أو الإغارة على جيرانه، بل إن الصينين أنفسهم كانوا ضحايا الغزو المستمر من جهة الترك والمغول، حتى أنهم **استخدموا نفس الحل الذي اخترعه ذو القرنين** لصد هجمات الترك والمغول المتوحشة، وهو بناء سد يردهم، فبنوا سور الصين العظيم، وبذلك يبعُد أن يكونوا هم أنفسهم يأجوج ومأجوج.

وهكذا فإنني في هذا الفصل استطعت –بفضل الله وحده- مناقشة عدة مفاهيم شائعة حول يأجوج ومأجوج في البيئة الإسلامية، من أهمها أن أعداد يأجوج ومأجوج تبلغ أضعاف البشر أضعافا كثيرة، وأوضحت أن الحديث الذي فُهم منه ذلك استخدم فيه النبي "يأجوج ومأجوج" كمجاز للدلالة على الأمم المشركة وهي كل أمم الأرض عدا العرب المسلمين.

ومن أهم المفاهيم التي ناقشتُها هو مفهوم ساد البيئة الإسلامية، وهو أن يأجوج ومأجوج مسجونون الآن في مكان ما من الأرض وراء سدهم، وأنهم يخرجون قبل يوم القيامة عندما يندك السد، وقلت أن آيات الكهف وآيات الأنبياء كما أنها تحتمل هذا المعنى الذي ذهب إليه جمهور العلماء، فإنها تحتمل معان أخرى، وحمل الآيات على بعض هذه المعاني أولى الآن بعد أن تأكدنا أنه لاوجود لأمتين ضخمتين محبوستين، أما حديث ويل للعرب فهو ضرب مثل، وأما حديث إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد فإنه على الأرجح من كلام كعب الأحبار، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ونتيجة أن يأجوج ومأجوج من البشر، وأنهم ليسوا محبوسين الآن، وأن أعدادهم ليست أعدادا خرافية، **فإنه قد زالت أهم العوائق التي اعترضت طريق علمائنا في القول بأن يأجوج ومأجوج هم الترك والمغول.**

الفصل الرابع

يأجوج ومأجوج والردم في تراث الشعوب القديمة

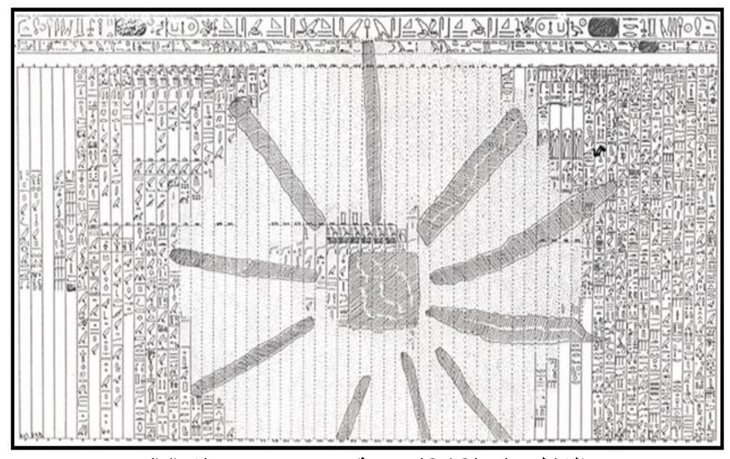
رغم مرور الآف السنين على حدوث قصة ذي القرنين فإنه قد بقيت في ذاكرة الشعوب القديمة بعضا من هذه القصة، ولقد دوَّنت الشعوب القديمة ما علق بذاكرتها من قصة ذي القرنين في عقائدها الدينية وأساطيرها الرئيسة، ووصلتنا بعض هذه النصوص.

وفي هذا الفصل سأحاول قرآءة بعض النصوص القديمة عند المصريين وغيرهم، وأحاول العثور على بقايا قصة المرحلة الثالثة من رحلة ذي القرنين، والتي وصل فيها إلى منطقة بين السدين والتقى القوم الذين لايكادون يفقهون قولا، ثم بنى السد الذي يفصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج بناء على طلبهم.

وسنلاحظ في هذه العقائد الدينية والأساطير القديمة أن نفس الأبطال الذين وصفوا بأنهم وصلوا إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس، أو الذين قيل عنهم أنهم عذَّبوا قوما بإثارة البركان عليهم، هم الذين ذُكر أنهم يملكون جدارا أو بنوا سدا، أو وصلوا لمنطقة سهوب شمال القوقاز.

المبحث الأول: ذكريات القصة في ديانة المصريين القدماء وأساطيرهم:

في الباب الأول ذكرت أن حجر (شباكا) هو حجر صلب نقش عليه الفرعون (شباكا) نصا مقدسا لكهنة منف، وفي هذا النص المقدس وجدتُ ذكرا لرحلة قام بها (أُزَيْرِس) على خطا إله الشمس الباطل (رع)، واستنتجتُ أن (أُزَيْرِس) قد قام برحلة حول العالم، في نفس اتجاه رحلة الشمس، وأنه وصل إلى مغرب الشمس (أَمِنْت)، ومشرق الشمس (سخت عارو).



الشكل رقم (218) نسخة من نص حجر (شباكا).

وعودة إلى نص حجر شباكا فإننا نجد النص يخبرنا عن "حصن ملكي"، وهو ما يمكننا أن نفهم أنه جدار محصن، أو أنه سد ذي القرنين.

تقول الترجمة الحرفية للنص كما ترجمه علماء المصريات للسطر 64 وهو السطر الأخير: "...ودخل (أُزَيْرِس) المسارات

السرية...على خطا الذي يشرق في (الأَخِت)، على طرق رع، ...، **ووصل (أُزَيْرِس) إلى الأرض عند الحصن الملكي، إلى شمال هذه الأرض التي جاء إليها."**[248].

ولقد استفاد علماء المصريات من ظاهرة التكرار التي نجدها في النصوص القديمة واستطاعوا إعادة بناء الجزء الأوسط من نص حجر شباكا، والذي تعرض لتدمير شديد، ويرى علماء المصريات أنه إعادة لنفس المقطع السابق عن (أُزَيْرِس)، غير أنه بعد هذا المقطع نجد النص يقول في السطر23:**"هناك بُني الحصن الملكي"**[249].

ويمكننا إعادة قرآءة بعض العبارات كالآتي:

- الحصن الملكي = الجدارالحربي
- وصل (أُزَيْرِس) إلى الأرض عند الحصن الملكي إلى شمال الأرض التي وصل إليها = وصل إلى منطقة الجدار (أي المنطقة التي سيبنى بها الجدار، والتي تقع) في شمال الأرض التي وصل إليها.
- هناك بُني الحصن الملكي= هناك بَنى (أُزَيْرِس) الحصن الملكي.

أرى أن الأفعال في النصوص المصرية القديمة تُفهم بكثير من التخمين، وأرى أن السياق يوجب بناء الجملة الأخيرة للمعلوم، فالذي قام ببناء الحصن الملكي هو الذي وصل إلى منطقته، وهو (أُزَيْرِس).

وهكذا يمكننا القول أن حجر شباكا يخبرنا بعقيدة هامة للمصريين القدماء حول (أُزَيْرِس)، وهو **أن (أُزَيْرِس) قد سافر**

---

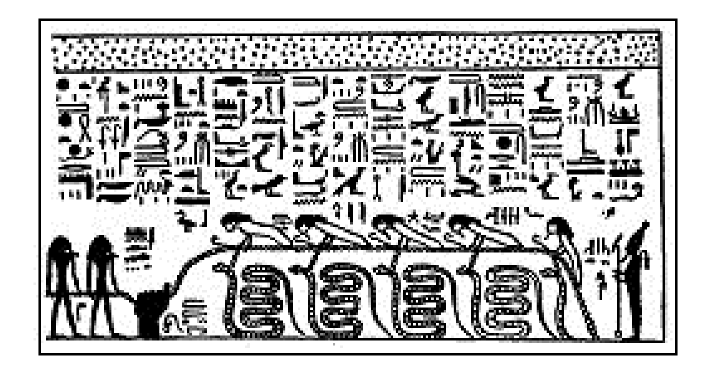
248 - http://www.reshafim.org.il/ad/egypt/texts/shabaka_stone.

249 - http://www.reshafim.org.il/ad/egypt/texts/shabaka_stone.htm

حول العالم على خطى الشمس، حتى وصل إلى أرض معينة، وهناك ذهب إلى منطقة تقع في شمال هذه الأرض، وبنى هناك جدارا حربيا. وفي هذا مما يشبه قصة ذي القرنين مع السد الكثير، فذو القرنين وصل إلى أرض ما بين السدين أثناء رحلته حول العالم على طريق الشمس كما استنتجنا، كما أن ذا القرنين بنى سده في شمال هذه المنطقة، فالممر الذي كان يأجوج ومأدجوج يدخلون منه إلى قوم حوض (سيستان) يقع في شمال أرضهم.

وفكرة "جدار (أُزَيْرِس) الحربي"، نجدها في موضع آخر من النصوص المصرية؛ ففي كتاب البوابات، وبالتحديد في القسم العاشر من أقسام العالم السفلي أو الدوات، نجد ذكرا لـ "سور محصَّن" Battlements خاص بـ (خنتي أَمِنْتي)، وهو أحد ألقاب (أُزَيْرِس)، وهذا مما يؤكد أن (أُزَيْرِس) هو الذي بنى الجدار المحصن، أو الحصن الملكي المذكور في حجر شباكا.

ومن الجدير بالذكر أن النص رغم عدم وضوح معناه، والذي كان نتيجة لسوء نقل أو فهم الكهنة، أو سوء فهمنا نحن، فإنه لازال يذكر **أبناء الضعف**، في علاقة مع السور المحصَّن، وهذا يشبه العلاقة بين القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، وسد ذي القرنين.



الشكل رقم (219) النص والرسوم المرافقة له ويتحدث عن سور أزيرس المحصن وأبناء الضعف.

وعلى حد علمي فلا يوجد في أساطير المصريين ولا العراقيين ولا اليونانيين ذكر لأي جدار مبني من حديد، لا يوجد هذا إلا في موضع وحيد في النصوص المصرية، ففي كتاب الموتى يقول الكاهن على لسان المتوفى: "إنني أعرف حقل عارو، الذي **جدارنه من الحديد،..."**

وربما يكون هذا الجدار الحديدي هو نفسه جدار (أُزَيْرِس) المحصن، وربما حدث خطأ أثناء انتقال الفكرة بين أجيال الكهنة المصريين، على مدار آلاف السنين.

ورغم أن موضع الجدران الحديدية لايتفق مع ما توصلتُ إليه، إلا أن وجود مثل هذه الفكرة وهي **"جدار من حديد"** عند المصريين يقوي ما ذهبت إليه حول ذي القرنين.

المبحث الثاني: السد عند قدماء العراقيين

ذكرت في الباب الأول كيف أن (نينورتا) المحارب، الذي وُصِف بأنه له قرنان، قد عاقب المتمردين على الآلهة الباطلة بطريقة فسرتُها على أنها كانت تفجيرا لبركان، وقلت أن هذا يشبه طريقة عقاب (أُزَيْرِس) للمتمردين على (رع) في مغرب الشمس في النصوص المصرية.

وفي نفس الملحمة الشهيرة الخاصة ببطولات (نينورتا) وهزيمته لوحش (الأساكو)، نجد حديثا عن بناء (نينورتا) لسد ضخم في شمال البلاد، يقول النص:

350 - ومادًا ذراعيه مثل سحابة سميكة تجتاح البلاد.

351 - أقفل **جبهة** البلاد بمثل جدار شامخ.

352 - وأقام **سدًا في آخر الأفق.**

وبرغم أن هذه الأسطر الثلاث جاءت في معرض الحديث عن بناء السدود لتنظم عملية الري، إلا أنني أرى أن هذه العبارات هي ما بقي في ذاكرة العراقيين عن بناء ذي القرنين لسده، فالسد

يقع في الشمال، بل في أقصى الشمال، وهو على هيئة جدار عال، والأهم من هذا أن مهمة السد هو إغلاق الجبهة الشمالية للبلاد.

المبحث الثالث: يأجوج ومأجوج والسد عند اليونانيين القدماء

أولا: (الترتروس):

اخترع واضعوا الأساطير اليونانية مكانا موحشا مُظلما أطلقوا عليه اسم (الترتروس) Tartarus، وقالوا أنه يقع بعيدا أسفل الأرض، وجعلوه موضعا تُبعد إليه الآلهة الباطلة العاصية التي تخالف أمر زعيم الآلهة الباطلة (زيوس).

ونلاحظ أن كلمة (ترتروس) قريبة من كلمة تتار، وهو الاسم الذي عرفت به القبائل المغولية والتركية المتحالفة أثناء غزوها للعالم الإسلامي، بل إن الأوربيين أطلقوا على حملات المغول والتتار أثناء هذا الاجتياح، اسم (الترتر) Tartar, وذلك بدلا من التتار، وأطلقوا على بلاد التتار في أواسط آسيا (الترتري) Tartary .

ويرى البعض أن كلمة (ترتر) الأحدث نسبيا مأخوذة، أو على الأقل متأثرة بكلمة (ترتروس) اليونانية القديمة، أي أن الأوربيين حرفوا اسم التتار إلى (الترتر) تشبيها للتتار بذلك المكان الأسطوري الرهيب، وسكانه.

ولكني أرى أن اليونانيين القدماء أنفسهم وفي مرحلة مبكرة في تاريخهم قد أسموا الترك والمغول (الترتر)، ومن هذا الاسم استمدوا الاسم (الترتروس)، وكانوا يقصدون به أرض التتار، ثم استخدموا الاسم بعد ذلك في معناه الاسطوري الشائع، ولما جاء غزو التتار المغولي للعالم في القرن الثالث عشر **عاد** الأوربيون لاستخدام الاسم القديم للتتار عندهم، وهو الترتر.

إنه من العجيب أن نجد أن (هومر) يخبرنا في ملحمته (الإلياذة)، أن لهذا **(الترتروس) بوابة من الحديد**، وعتبة من البرونز، وبعد (هومر) يأتي (هسيود) ويخبرنا أن (كرونوس) قد ألقى (بالسيكلوبيين) في (الترتروس)، كما يخبرنا أن (زيوس) حبس آلهة (التيتان) الباطلة في (الترتروس)، وأن هذه الآلهة الباطلة لن تستطيع الخروج، وذلك لأن (بوزيدون) قد بنى **"بوابة من البرونز، وجدارا يحيط بالترتروس من كل جانب"**، وهذا تحريف للفكرة عند (هومر) فالبوابة التي من حديد صارت من برونز كما ترى[250].

وهذا يبدو وكأنه تحريف لقصة ذي القرنين، فلقد ذهب ذو القرنين إلى منطقة ما بين السدين، فوجد قوما يعانون من غارات يأجوج ومأجوج عليهم، فبنى سدا من حديد ونحاس يحول بينهم وبين المفسدين، فتطورت القصة، وصارت أن البطل بنى بوابة من حديد أو بوابة من برونز وجدارا محيطا بأرض (الترتروس)، ليحبس أعداءه هناك.

ثانيا: (التيتان) Titans:

يقص علينا الشعراء والكتاب اليونانيون القدماء أساطير مختلفة عن (التيتان)، من أشهرها أنها كانت مجموعة من الآلهة الباطلة العملاقة، وأنها كانت نتيجة زواج (أورانوس) إله السماء الباطل بـ (جيا) إلهة الأرض الباطلة، ويضيفون أنهم اشتبكوا مع آلهة (الأولب) في حرب مريرة، انتهت بهزيمتهم، وإقصائهم إلى حفرة (الترتروس)، وذلك على يد زعيم آلهة (الأولمب) الباطلة (زيوس).

---

250 - *Homer, Iliad 8. 13 ff (trans. Lattimore), Hesiod, Theogony 715 ff*

ورغم هذه الفكرة الشائعة عن (التيتان)، فهناك من الكتاب القدماء من يرى أن (التيتان) ليست إلا **قبائل بربرية متوحشة من العمالقة**، وهذه الفكرة تأتينا من المناطق الشمالية من بلاد اليونان.

وأرى أن هذه الفكرة الأخيرة مأخوذة من ذكريات اليونانيين القدماء عن هجوم أسلاف الترك، والمغول على بلادهم، وذلك في العصور السحيقة.

إن كلمة (تتار) Tatarنشأت على مايبدو في منطقة منغوليا الحالية، وقد أسمى الصينيون هذه القبائل في القرن الخامس (دادان) Dadan, أو(تاتان) Tatan، وكلمة (تاتان) هذه قريبة جدا من كلمة (تيتان) Titans، وهي الكلمة التي ظهرت في النصوص اليونانية القديمة.

ومما يقوي هذا الرأي أنه في شمال اليونان يوجد نهر يطلق عليه (تيتاريسوس)Titaressos, وهو نهر يقال أنه يستمد ماؤه الموحل من نهر (ستيكس) Styx، الذي يجري في العالم السفلي، كما أن هناك جبل يسمى (تيتانوس) Titanos، أو(تيتاريوس) Titarios، وهو جبل به الطباشير الأبيض الذي كانت قبائل (التيتان) المتوحشة تضعه على وجوهها عند القتال[251].

فكلمة (تيتانوس) المرتبطة بكلمة (التيتان) تستخد بالبدل مع كلمة (تيتاريوس) الشديدة الشبه بكلمة (التتار)، وذلك للدلالة على أحد الجبال، كما أن نهر (تيتاريسوس) يقع في نفس المنطقة، واسمه شديد الشبه بكلمة (التتار)، كما أن هذا النهر له علاقة بالعالم السفلي، الذي أحد معالمه منطقة (الترتروس).

وهكذا يمكننا استنتاج (السيناريو) التالي، هاجمت قبائل التتار/الترتر/ التاتان/التيتان شمال اليونان في الألف الثانية قبل الميلاد، كان هناك عند اليونانيين أخذا من المصريين على الأرجح -بطريقة مباشرة أو غير مباشرة- قصة البطل الذي بنى جدارا أو سدا من الحديد والنحاس ليحمي بعض الأقوام من هجوم

---

[251] - http://www.theoi.com/Titan/Titanes.html

التتار/(الترتر)، تم دمج الأفكار السابقة في أسطورة واحدة، وهي أن (زيوس) حبس (التيتان) في (الترتروس) ذي البوابة الحديدية، وأن بوزيدون بنى على (الترتروس) بوابة من البرونز.

أما الإله الباطل (بوزيدون) فهناك عدد من الأدلة تجعلنا نقول أنه مأخوذ من (أُزَيْرِس)، ولكن بطريقة غير مباشرة، وسوف نتحدث في هذه النقطة بالتفصيل في الباب الثالث إن شاء الله.

ومن الأساطير اليونانية التي لها علاقة بموضوعنا أسطورة تقول أن بأن (بوزيدون) و (أبولو) ذهبا إلى مدينة (طروادة) في هيئة بشرية، وبنيا لملكها جدرانا هائلة حول المدينة، وذلك مقابل أجرا معينا، ولما لم يدفع اليهما ملك المدينة أجرهما، فإن (بوزيدون) أرسل على جدران المدينة وحشا بحريا فهدمها.

ومما هو على علاقة بالأمر مايخبرنا به (إيزيباس) قيصارية Eusebius of Caesarea في كتابه عن الأساطير الفينيقية، أن (كرونوس) بنى حول مقره جدارا، وأنشأ أول مدينة وهي (بيبلوس) في فينيقيا، ونرى هنا كيف ظلت تيمة بناء الجدار موجودة في أساطير (كرونوس) رغم تغير كثير من التفاصيل حوله، و(كرونوس) أحد الشخصيات المنحدرة من شخصية ذي القرنين كما سأوضح في الباب الثالث إن شاء الله.

وهكذا يمكننا القول أن:

- بوابة من الحديد، أو من البرونز وجدار محيط (بالترتروس) مأخوذ من سد ذي القرنين المبني من الحديد والنحاس.
- (الترتر) مأخوذة من التتار.
- (الترتروس) مأخوذ من أرض (الترتر) أو التتار.
- (التيتان) مأخوذة من (التاتان).
- (بوزيدون) مأخوذ من (أُزَيْرِس).

المبحث الرابع: يأجوج ومأجوج والسد عند أهل الكتاب

لا نجد في الكتاب المقدس بشطريه، ولا في الكتب الأخرى قصة ذهاب ذي القرنين لمنطقة بين السدين وبنائه لسد من الحديد والنحاس، ليحمي القوم الضعفاء من إفساد يأجوج ومأجوج، ولكننا نجد في سفر التكوين ذكر أن ماجوج هو رجل من أبناء يافث ابن نوح[252]، وفي سفر حزقيال في الإصحاحين 38، 39 نجد نبوءة تقول بهجوم من قبل الشمال يقوده جوج -الذي يبدو أنه رجل- زعيم (ماجوج)، حيث ماجوج يبدو أنها منطقة أو شعب[253].

---

[252] - "1 وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ.2 بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ.3 وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ.4 وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ.5 مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ." http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=1&chapter=10

[253] - "وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً:2 «يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ، أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ، وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ3 وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ.4 وَأُرْجِعُكَ، وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْكَ، وَأُخْرِجُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ خَيْلاً وَفُرْسَانًا كُلَّهُمْ لاَبِسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، جَمَاعَةً عَظِيمَةً مَعَ أَتْرَاسٍ وَمَجَانَّ، كُلُّهُمْ مُمْسِكِينَ السُّيُوفَ.5 فَارِسَ وَكُوشَ وَفُوطَ مَعَهُمْ، كُلُّهُمْ بِمِجَنٍّ وَخُوذَةٍ،6 وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِ، وَبَيْتَ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ، شُعُوبًا كَثِيرِينَ مَعَكَ.7 اِسْتَعِدَّ وَهَيِّئْ لِنَفْسِكَ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَاتِكَ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَيْكَ، فَصِرْتَ لَهُمْ مُوَقَّرًا.

8 بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تُفْتَقَدُ. فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ تَأْتِي إِلَى الأَرْضِ الْمُسْتَرَدَّةِ مِنَ السَّيْفِ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي كَانَتْ دَائِمَةً خَرِبَةً، لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الشُّعُوبِ وَسَكَنُوا آمِنِينَ كُلُّهُمْ.9 وَتَصْعَدُ وَتَأْتِي كَزَوْبَعَةٍ، وَتَكُونُ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ جُيُوشِكَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ.

10 هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أُمُورًا تَخْطُرُ بِبَالِكَ فَتُفَكِّرُ فِكْرًا رَدِيئًا،11 وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ. آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ وَلاَ مَصَارِيعُ،12 لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنِ فِي أَعَالِي الأَرْضِ.13 شَبَا وَدَدَانُ وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ وَكُلُّ أَشْبَالِهَا يَقُولُونَ لَكَ: هَلْ لِسَلْبِ سَلْبٍ أَنْتَ جَاءٍ؟ هَلْ لِغُنْمِ غَنِيمَةٍ جَمَعْتَ جَمَاعَتَكَ، لِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، لأَخْذِ الْمَاشِيَةِ وَالْقُنْيَةِ، لِنَهْبِ نَهْبٍ عَظِيمٍ؟ 14 «لِذلِكَ تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِجُوجٍ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ سُكْنَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ، أَفَلاَ تَعْلَمُ؟15 وَتَأْتِي مِنْ مَوْضِعِكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ أَنْتَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ، كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ خَيْلاً، جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ.16 وَتَصْعَدُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ. فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ يَكُونُ. وَآتِي بِكَ عَلَى أَرْضِي لِكَيْ تَعْرِفَنِي الأُمَمُ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ.17 « هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ أَنْتَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ سِنِينًا أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟18 وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي أَنْفِي.19 وَفِي غَيْرَتِي، فِي نَارِ سَخَطِي تَكَلَّمْتُ، أَنَّهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ رَعْشٌ عَظِيمٌ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ.20 فَتَرْعَشُ أَمَامِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْحَقْلِ وَالدَّابَّاتُ الَّتِي تَدُبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ وَتَسْقُطُ كُلُّ الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ.21 وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ.22 وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَإِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَرًا جَارِفًا وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَارًا وَكِبْرِيتًا.23 فَأَتَعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأُعْرَفُ فِي عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ."-http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=33&chapter=38

«وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ.2 وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ وَأُصْعِدُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ.3 وَأَضْرِبُ قَوْسَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُسْرَى، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى.4 فَتَسْقُطُ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذُلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ.5 عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ

تَسْقُطُ، لأَنِّي تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.6 وَأُرْسِلُ نَارًا عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.7 وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يُنَجَّسُ بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ.8 «هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ.9 وَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ وَيُشْعِلُونَ وَيُحْرِقُونَ السِّلاَحَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوقِدُونَ بِهَا النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ.10 فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنَ الْحَقْلِ عُودًا، وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْوُعُورِ، لأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ السِّلاَحَ بِالنَّارِ، وَيَنْهَبُونَ الَّذِينَ نَهَبُوهُمْ، وَيَسْلُبُونَ الَّذِينَ سَلَبُوهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.11 وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، أَنِّي أُعْطِي جُوجًا مَوْضِعًا هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ، وَوَادِيَ عَبَارِيمَ بِشَرْقِيِّ الْبَحْرِ، فَيَسُدُّ نَفَسَ الْعَابِرِينَ. وَهُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجًا وَجُمْهُورَهُ كُلَّهُ، وَيُسَمُّونَهُ: وَادِيَ جُمْهُورِ جُوجٍ.12 وَيَقْبِرُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ لِيُطَهِّرُوا الأَرْضَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ.13 كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَقْبِرُونَ، وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمُ تَمْجِيدِي مَشْهُورًا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.14 وَيُفْرِزُونَ أُنَاسًا مُسْتَدِيمِينَ عَابِرِينَ فِي الأَرْضِ، قَابِرِينَ مَعَ الْعَابِرِينَ أُولئِكَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. تَطْهِيرًا لَهَا. بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَفْحَصُونَ.15 فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا رَأَى أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبِرَهُ الْقَابِرُونَ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ،16 وَأَيْضًا اسْمُ الْمَدِينَةِ «هَمُونَةُ»، فَيُطَهِّرُونَ الأَرْضَ.17 «وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَهكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالَوْا، احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، لِتَأْكُلُوا لَحْمًا وَتَشْرَبُوا دَمًا.18 تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ. كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ.19 وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشَّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ.20 فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.21 وَأَجْعَلُ مَجْدِي فِي الأُمَمِ، وَجَمِيعُ الأُمَمِ يَرَوْنَ حُكْمِي الَّذِي أَجْرَيْتُهُ، وَيَدِي الَّتِي جَعَلْتُهَا عَلَيْهِمْ،22 فَيَعْلَمُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا. 3 وَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أُجْلُوا بِإِثْمِهِمْ لأَنَّهُمْ خَانُونِي، فَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَسَلَّمْتُهُمْ لِيَدِ مُضَايِقِيهِمْ، فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ بِالسَّيْفِ.24 كَنَجَاسَتِهِمْ وَكَمَعَاصِيهِمْ فَعَلْتُ مَعَهُمْ وَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ.25 « لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ، وَأَرْحَمُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ.26 فَيَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَكُلَّ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي إِيَّاهَا عِنْدَ سَكَنِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ وَلاَ مُخِيفٌ.27 عِنْدَ إِرْجَاعِي إِيَّاهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ، وَجَمْعِي إِيَّاهُمْ مِنْ أَرَاضِي أَعْدَائِهِمْ، وَتَقْدِيسِي

وفي العهد الجديد في سفر الرؤيا نجد أن يأجوج ومأجوج أمتين، وأن الشيطان بعد أن يسجن لألف عام فإنه سيطلق سراحه وسيضل الأمم التي في أركان الأرض الأربعة والذين هم يأجوج ومأجوج، وأنه سيجمعهم لحرب المسيح والقديسين[254].

والباحثون المُحْدثون في الكتاب المقدس يخبروننا أن معظم الأسماء التي ذكرت تدل على أقوام كانت تعيش في منطقة آسيا الصغرى، أو ما يسمى بهضبة الأناضول، وهي المساحة التي تشغلها دولة تركيا الحالية، والعجيب أن وقت هذه النبوءة لم يكن هناك أتراك في الأناضول، ولم يهاجر الترك وبالتحديد الأتراك (الغُز) إلى الأناضول إلا بعد النبوءة بثمانية عشر قرنا.

هذا عن الكتب المقدسة، أما عن الكتب الأخرى، والتي تشمل الشروح القديمة للكتب المقدسة فنحن نجد أن (جوزيفس) في كتابه "العصور القديمة" يقول أن يأجوج ومأجوج هم (السيكثيون) Scythians.

و(السيكثيون) هم مجموعات من القبائل المتوحشة التي كانت تشتهر بركوب الخيل، وكانت هذه القبائل تجوب مناطق السهوب الفسيحة التي تقع شمال جبال القوقاز، وتتصل هذه السهوب بسهوب وسط آسيا، ويعتقد الدارسون المعاصرون أن السيكثيين كانوا من أصول عرقية إيرانية.

فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرِينَ،28 يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ بِإِجْلاَئِي إِيَّاهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَدًا مِنْهُمْ،29 وَلاَ أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ بَعْدُ، لأَنِّي سَكَبْتُ رُوحِي عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ».
http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=33&chapter=39

[254] - سفر الرؤيا الإصحاح رقم 20 :7، 9،8.



الشكل رقم (220) مقاتلين من السكيث كما رسمهما الفنان الإغريقي القديم.

ولقد رأى البعض أن (الهُن) Hun هم يأجوج ومأجوج، كما اعتبر آخرون أن (الخزر) - وهم شعب تركي- هم يأجوج ومأجوج، وعندما وصل الغزو المغولي أوربا سادت نظرية أن المغول هم أحفاد يأجوج ومأجوج.

وفي العصور الحديثة ظهرت نظرية الاتحاد السوفيتي أو روسيا، والتي تقول أن الروس هم يأجوج ومأجوج، وذلك اعتمادا على تفسير كلمة (روش) خطأً بأنها روسيا، وكذلك بالربط بين الشعوب المذكورة ومدن روسية.

ولكن حدث أن انفض الناس عن نظرية روسيا السابقة لصالح **نظرية تركيا،** فلقد احتج الباحثون أن معظم الأسماء التي ذكرت في سفر حزقيال هي لشعوب وممالك كانت تعيش في آسيا الصغرى، كما أن في تركيا الآن شعب مسلم، ولقد صارت سياسة تركيا في السنوات الأخيرة معادية لإسرائيل، كما أن كل من فارس (إيران)، و(فوط) شمال أفريقيا غير مصر، وكوش (السودان) وهي جميع أفريقيا السوداء جنوب الصحراء هي الآن بلاد مسلمة

معادية لإسرائيل، فما المانع أن تلتقي هذه الجيوش الإسلامية لتحرير فلسطين من اليهود وتكون هذه هي النبوءة المقصودة؟

والعجيب أن الترك الآن هم الشعب المسيطر على هضبة الأناضول، ولم يكن هذا هو الوضع وقت النبي حزقيال.

ذكر السد في كتب اليهود والنصارى:

لقد ذكر (جوزيفس) في كتابه "حروب اليهود" أن الإسكندر الأكبر قد بنى بوابة من الحديد في ممر في القوقاز، يقول النص: "إن شعب الـ (ألان) Alans الذي ذكرنا من قبل أنه من السكيث سافر عبر الممر الذي أغلقه الملك الإسكندر ببوابة من الحديد"[255].

ويعد النص السابق هو أقدم نص يذكر فيه أن الإسكندر الأكبر قد بنى بوابة من الحديد في أحد الممرات الجبلية ليمنع بعض القبائل المتوحشة من المرور، ورغم هذا فإن الدارسون يؤكدون أن الإسكندر لم يذهب إلى منطقة القوقاز أبدا، ولكنه ذهب إلى منطقة جبال إيران الشمالية وأفغانستان، وهذا يجعل ماقاله (جوزيفس) خالٍ من الصدق التاريخي.

وبعد (جوزيفس) نجد أن القديس (جيروم) St.Jerom والذي لقب بالقديس في كل من الكنيستين الكاثوليكية والشرقية، قد كتب في رسالته رقم 77 والمعنونة بـ (إلى الأقيانوس) (To Oceanus) يقول: "لأن الأخبار جاءت بأن حشود الهن تدفقت عبر كل الطريق من ميوتس...حيث تحجز بوابة الإسكندر الناس المتوحشين خلف القوقاز"[256].

ففي هذا النص الهام نجد أن (جيروم) يذكر أن هناك بوابة في القوقاز بناها الإسكندر الأكبر لحجز الشعوب المتوحشة خلفها.

---

[255] - Wars of The Jews VII vii Flavius Josephus

[256] - Wwwnewadvent.org/fathers/3001077.htm

وهذا استمرار لنفس الفكرة السابقة عند (جوزيفس)، وفي رأيي أنها ليست إلا نوع من رومانسيات الإسكندر، وهي الروايات الخرافية أو الحكايات التي وُضعت عن الإسكندر وبطولاته، وهي ضرب من الأدب بدأ في حياة الإسكندر ونما وكثر بعد وفاته، حتى تم جمعه لأول مرة في كتاب واحد في القرن الثالث الميلادي في الإسكندرية على الأغلب، وسوف نزيد الأمر تفصيلا في الباب الرابع إن شاء الله.

المبحث الخامس: سد ذي القرنين في الأساطير التركية

مرت أدلة كثيرة تشير إلى أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، فهل نجد في الأساطير التركية أو المغولية ذكريات عن سد ذي القرنين؟

لقد وجدتُ أسطورة عند الشعوب التركية تسمى (إرْجِنِكُن) Ergenekon وهي أسطورة تحكي قصة تدمير مملكة الـ "جوك ترك"، وإعادة بناء إمبراطوريتهم من جديد.

تقول الأسطورة في أحد نسخها أنه قامت معركة كبيرة بين الترك وأعدائهم، واستطاع الأعداء هزيمة الترك وقتل كل البالغين، وأخذ الأطفال، ولم ينج من هذه المذبحة سوى ابنان لأحد الملوك الترك.

فلجأ هذان الشابان وزوجتاهما إلى واد فسيح معزول بين الجبال، وصلا إليه عن طريق ممر جبلي ضيق، وهناك في هذا الوادي الذي يسمى (إرجنكن) عاش الترك بأمان لمئات السنين، وتكاثرت أعدادهم، وصاروا شعبا عظيم العدد، فأرادوا الخروج من الوادي بعد أن ضاق بهم، غير أنهم اكتشفوا أنهم لايعرفون طريق الخروج، فاقترح عليهم رجل يعمل بمهنة الحدادة أن يذيبوا الجبل الحديدي، ويمروا عبر الفجوة إلى خارج الوادي.

وبالفعل جمع الترك كميات كبيرة من الحطب والفحم، وأشعلوا النار في 70 نقطة، واستطاعوا إذابة الجبل وعمل نفق يمرون منه، وأثناء خروجهم ظهرت لهم الذئبة الأم وقادتهم عبر الممرات الجبلية حتى وصلوا إلى المناطق المفتوحة.

وترتبط هذه الأسطورة بأسطورة تركية أخرى، وهي أن الترك هم أولاد الذئبة (أسينا) Asena, ولقد كانت الذئبة الرمادية هي الرمز المحبب للعشائر التركية القديمة.

كما ترتبط قصة (أرجنكن) بطقسة أو شعيرة كان يقوم بها زعيم الترك وهو أنه يذيب قطعة من الحديد في نار الكير ويدق عليها، وهذا في كل عام في ذكرى خروج الترك من خلال النفق الذي صنعوه.



الشكل رقم (221) زعيم الترك يدق على قطعة من الحديد.

ويرى بعض الدارسين أن الأسطورة لتخليد الحدادين الأتراك الأوائل من صانعي الأسلحة الحديدية[257].

وعلى كل حال فإن هذه الأسطورة (إرجنكن) تشابه أسطورة حبس يأجوج ومأجوج أو الترك بواسطة سد من الحديد، ويقول المولى عز وجل على لسان ذي القرنين: "آتوني زبر الحديد- حتى إذا ساوى بين الصدفين"، فعندما نساوي بين الجبلين بسد من قطع الحديد، فإنه سيبدوا خصوصا بعد مئات السنين وتراكم الغبار عليه وكأنه جبل أوقطعة من الجبل.

ويبدو أن هذه الأسطورة هي مابقي في ذهن الترك من قصة ذي القرنين وبنائه السد الحديدي بينهم وبين جيرانهم.

لذا أرى أن هذه الأسطورة وإن كانت حديثة نسبيا فلقد ظهرت في القرن الرابع عشر إلا أنها تعتمد على أسطورة أقدم موغلة في القدم، تقول بحبس مجموعة من أسلاف الترك وراء سد حديدي.

المبحث السادس: أسطورة (السيكلوبيين) اليونانية

في التراث اليوناني هناك أسطورة تقول بأن هناك عمالقة ذوي عين واحدة في وسط رؤوسهم يطلق عليهم (السيكلوبيين)، وقد نسج الشعراء والكتاب اليونانيون حولهم روايات متعددة.

الرواية الأولى يحكيها لنا هومر في ملحمته الأوديسا، وفيها (السيكلوبيون) هم قبيلة همجية، تعيش حياة متوحشة وتسكن الكهوف، وزعيمها يقتات على البشر، ولقد جعل هومر من جزيرة صقلية موطنا لهذه القبيلة.

---

[257] - http://telltalethrills.iremebru.com/Turkey/Ergenekon-Epic.pdf



الشكل رقم (222) (أوديسا) يُصيب (السيكلوب) في عينه الوحيدة.

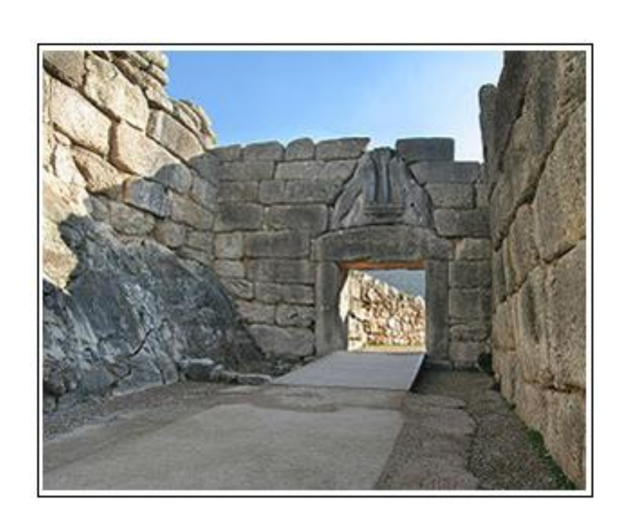
أما (هسيود) فيحكي أن (السيكلوبيين) هم ثلاثة من العمالقة الذين يصنعون الأسلحة والأدوات الحديدية فلقد زوَّدُوا (زيوس) بالصاعقة، وزوَّدوا (بلوتو) بخوذته، أما (بوزيدون) فلقد أعطوه حربته الثلاثية، ولقد حبسهم (كرونوس) في (الترتروس)، ولكن (زيوس) أطلق سراحهم.

وهناك رواية أخرى تقول أنهم مجموعة من الحدَّادين الذين يساعدون (هفاستوس) في عمله ويسكنون الجبال البركانية في صقلية، وما أصوات الإنفجارات البركانية إلا طرقات مطارقهم.

والرواية الأخيرة تقول أن (السيكلوبيين) هم قبيلة كانت تعيش شمال اليونان Thracian, والتي استمدت اسمها من ملكها (سيكلوبس) Cyclops, وأن هذه القبيلة هاجرت إلى جزيرة (كريت)، وأنها اتبعت الملك المصري (بروتيس)، وأن هؤلاء (السيكلوبيين) بنوا جدارنا عملاقة لحماية هذا الملك، وفي مرحلة لاحقة فإن بقايا الجدران العظيمة والتي بُنيت في اليونان في الألف الثانية قبل الميلاد، وهي مرحلة ما قبل التاريخ في اليونان، قد نسبت لهؤلاء (السيكلوبيين)[258].

---

[258] - http://www.theoi.com/Titan/Kyklopes.html



الشكل رقم (223) موقع أثري في مدينة (ميسيني) يُنسب (للسيكلوبيين).

أما في تحليل كلمة (السيكلوبيين)، فقد فسرها الباحثون بأنها مكونة من مقطعين الأول: cyclo، والثاني: ops، والمقطع الأول يعني (مستدير)، والمقطع الثاني يعني (عين)، فيكون المعنى الحرفي هو "مستدير العين" أو "مستديري الأعين"، ومن المعروف أن هناك مرض خلقي يولد فيه الطفل وقد التحمت عيناه وكونتا عينا واحدة في وسط رأسه, وتكون هذه العين مستديرة.

وأرى أن هناك تفسير آخر لهذا الاسم، فلقد ذكر الاسم في الأساطير اليونانية (كيكلوبز) Kyklopes، وكذلك (كُكلوبز) Kuklôpes والاسم في شكله الأخير يمكننا تقسيمه إلى مقطعين الأول Kuk والآخر Lopes, والمقطع الأول يشبه كلمة Kok، والتي توصلنا إلى أنها طريق نطق مختلفة لكلمة Gog والتي توصلنا إلى أنها الكلمة الأساسية في الاسمين يأجوج ومأجوج.

أما المقطع (لوبس) lopes فربما يكون مشتقا من الكلمة (لوبس) lupus اللاتينية التي تعني الذئب، وهكذا فهل يكون

معنى (الككلوبز/ السيكلوبز) هو "الجوج - الذئاب"، والتسمية بهذا الشكل ربما تشير إلى الأسطورة التي تقول أن الترك هم أولاد الذئبة الأم.

ربما يدعم هذا ما رواه (هيرودتس) عن قوم يعيشون في شمال العالم أطلق عليهم اسم (أريماسبي) Arimaspi والتي تعني (وحيدي العين)، فكلمة (أريما)arima تعني واحد، وكلمة (سبو)spou وتعني عين، وقال الكتاب اليونانيين القدماء أن هؤلاء القوم لهم عين واحدة في وسط جباههم.



الشكل رقم (224) صورة متخيلة لفرد من وحيدي العين.

وهناك رأي قوي قال به بعض الباحثين المعاصرين، وهو أن الاسم في الأصل هو اسم إيراني، وأنه مكون من مقطعين وهما Ariama وتعني حب أومحب، والمقطع Aspa ويعني الخيل، وبهذا يكون المعنى "محبي الخيل"، وأنه كان يقصد به بعض القبائل التي تتنقل في السهوب الواسعة على ظهور الخيل، وهم من (السكيث)، ويقول الباحثون أن الاسم انتقل إلى اليونانيين،

الذين قاموا بتفسير الاسم تفسيرا خطأ، ثم وضعوا الشكل الأسطوري لذوي العين الواحدة لتفسير الاسم[259].

والشاهد من هذا أمران الأول: أن اليونانيين القدماء ربما أساءوا تفسير بعض الأسماء القديمة، وأتوا بمعان مختلفة لها عن أصولها، والأمر الثاني أنه ربما كانت أسطورة ذوي العين الواحدة لها دخل في فهم كلمة (الككلوبز) على أنها تعني أقوام بعين واحدة مستديرة بدلا من معناها الأصلي: **الجوج الذئاب.**

ويمكننا القول في شأن (السيكلوبيين) الآن أنهم كانوا قبيلة أو قبائل كانت تعيش في شمال اليونان، وأن هذه القبائل لها علاقة بصناعة الحديد، وأنهم أخوة للتيتان، وأن (كرونوس) قد حبسهم في (الترتروس) بعد أن أغلق عليهم بوابة من الحديد، وأنهم قد خرجوا لاحقا، وأنهم قد بنوا أسوارا عملاقة لحماية الملك المصري القديم (بوتيس).

والآن فلنبدأ بالمقارنة بين أسطورة (السيكلوبيين) اليونانية من جهة وأسطورة (إرجنكن) التركية من جهة أخرى، وبين الإثنين من جهة وقصة ذي القرنين القرآنية من جهة أخرى.

(السيكلوبيون) حُبسوا في (الترتروس) خلف بوابته الحديدية مثلما حبس "الكوك ترك" خلف الجبل الحديدي، ولقد قلنا أنه ربما يكون (الترتروس) هو الاسم القديم لأراضي (الترتر) أو التتار.

و(السيكلوبيون) خرجوا من محبسهم كما خرج (الكوك ترك)، ولقد صار (السيكلوبيون) صنَّاعا للأسلحة والأدوات الحديدية مثل (الجوج ترك).

و(السيكلوبيون) يعني اسمهم الجوج الذئاب، و(الكوك ترك) اعتقدوا أنهم أبناء الذئبة الأم.

وفوق ذلك فإن (السيكلوبيين) قد حبسوا في (الترتروس) بواسطة (كرونوس) الذي يوجد أدلة على أنه أحد الشخصيات

---

[259] - http://en.wikipedia.org/wiki/Arimaspi

المستمدة من شخصية ذي القرنين، بينما حبس (الجوج ترك) بجبل من الحديد.

كما أن (السيكلوبيين) لهم علاقة بجدار عملاق، وبملك مصري قديم، ويبدوا هذا تشويه للقصة القديمة، فالأصل أن الملك المصري بنى جدارا ليحمي بعض الأقوام من (السيكلوبيين)، فتحورت القصة وصارت أن (السيكلوبيون) أنفسهم هم من بنى الجدران الضخام لحماية الملك المصري.

ولو صحت هذه المقارنة فإن هذا يعود بأسطورة (إرجنكن) التي جاءتنا من القرن الرابع عشر الميلادي يعود بها إلى الألف الثانية قبل الميلاد على الأقل.

....

وهكذا فإننا في هذا الفصل قد توصلنا إلى أنه في الأساطير والديانات القديمة هناك ذكر لبطل أوشخصية بنت جدارا حربيا وهي (أُزَيْرِس)، و(نينورتا)، و(كرونوس)، و(بوزيدون)، كما أن هناك ذكر لأقوام حبسوا خلف بوابة من الحديد أو البرونز أو جبل من الحديد، فالتيتان -الذين أظن أنهم (التاتان) أي الترك- و(السيكلوبيون) - الذين أظن أنهم (الجوج لوبز) أي الجوج الذئاب - حبسوا في (الترتروس) - التي أرى أنها أرض الترتر أي التتار- خلف بوابة من الحديد وعتبة من النحاس (عند هومر)، أو سور وبوابة من البرونز (كما عند هسيود).، وفي أسطورة (أرجنكن) حبس التُرك خلف جبل من الحديد، وهي الأسطورة الوحيدة من جانب الترك، والتي تؤكد وقوع الحدث، وتؤكد أن أسلاف الترك هم من كانوا وراء السد، أي أنهم هم يأجوج ومأجوج.

وفي الكتاب المقدس نجد أن ماجوج هو ابن يافث ابن نوح، وفي سفر حزقيال هناك نبوءة عن غزو جوج ماجوج من الشمال لأرض فلسطين، التي يعيش عليها الشعب الإسرائيلي، والعجيب أن أسماء الشعوب التي تحت إمرة جوج وتلك التي تأتي معه من الشمال هي شعوب وممالك عاشت في آسيا الصغرى، والتي تقع

عليها دولة تركيا الحالية، وكما هو معلوم فالعرق المسيطر الآن والثقافة المسيطرة هي العرق والثقافة التركية.

نتائج الباب الثاني

- بالتحليل الجغرافي للآيات توصلتُ إلى أن السدين هما سلاسل الجبال الإيرانية، من جهة وسلاسل الجبال الهندية من جهة، وهما مجموعتا الجبال الوحيدتان اللتان تفصل كل منهما بين أرضين من الأرَضين السبع، وأن منطقة بين السدين هي نفسها منطقة دون السدين، وهي منطقة حوض (سيستان)، وأن الممر الذي يربط بين حوض (سيستان) وسهوب وسط آسيا هو الممر الذي كان يدخل منه يأجوج ومأجوج إلى حوض (سيستان)، حيث القوم الذين لايكادون يفقهون قولا، وهو نفسه الممر الذي بنى ذو القرنين السد به ليغلقه، وتنتمي الجبال على جانبي الممر لمجموعة مختلفة من الجبال.
- يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، لأنهم الشعب الذي كان يُغير على جيرانه من فجر التاريخ، ولأن الحديث والروايات تجعل يأجوج ومأجوج من الترك، ولأن موقع يأجوج ومأجوج في خرائط علماء الجغرافيا المسلمين هو نفسه موضع الترك والمغول، وأخيرا لأن كلمتي يأجوج ومأجوج تبدوان ككلمتين تركيتين، وبدلالة دولة الـ "جوج ترك".
- ارتبط بيأجوج ومأجوج في البيئة العلمية الإسلامية عدة مفاهيم مختلفة، منها أن أعداد يأجوج ومأجوج عظيمة جدا، وتوصلت إلى أن هذا مخالف للحقيقة، وكذلك مفهوم أن يأجوج ومأجوج موجودون الآن محبوسين خلف السد، وأنهم سوف يخرجون من خلف السد بعد هدمه ليغزوا العالم في آخر الزمان، ولقد بيَّنت أن هذا الفهم ليس صوابا، وأن السد لم يكن يحبس يأجوج ومأجوج يوما ما، وأنه على الأغلب قد هُدم منذ الآف السنين، كما بينت الإعجاز في قوله: "حتى إذافتحت يأجوج

ومأجوج"، فموعد عودة اليهود من نسل يهود المملكة الشمالية إلى أرض فلسطين هو عندما تَفتح بعض الأمم أرض يأجوج ومأجوج.

- وعند دراستي لأساطير الشعوب القديمة وجدت إشارات لقصة ذي القرنين وبنائه السد، وإشارت ليأجوج ومأجوج، وذلك عند المصريين، والعراقيين، واليونانيين، فهناك ذكر لحصن ملكي أو سور محصن أو جدار، أو بوابة من الحديد، أو البرونز، ويرتبط هذا بالبطل الذي ذهب إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس، أو البطل الذي عذب سكان مغرب الشمس بإثارة البركان عليهم.

الباب الثالث

من يكون ذو القرنين؟

يتفق الجميع أن أهم أهداف قصة ذي القرنين في القرآن الكريم هو إعطاء الموعظة للمؤمنين، وضرب القدوة والمثل بهذا الرجل الصالح ذي القرنين، ورغم ذلك فلا تزال نفس المؤمن تتشوف لمعرفة من يكون هذا الرجل العظيم؟، وفي أي زمن عاش؟ وأي البلاد كانت موطنه؟ وهذه التساؤلات ليست إلا تجسيدا لطبيعة الانسان المفطور على حب المعرفة.

ولقد حاول المفسرون القدماء رحمهم الله الإجابة عن هذا السؤال: من يكون ذو القرنين؟ حاولوا ذلك مستعينين بما توفر لديهم من روايات عن السلف، ومصادر تاريخية، ومعلومات استقوها من مسلمة أهل الكتاب، ولقد توصلوا إلى احتمالين رئيسيين: الأول أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر، والثاني هو أن ذا القرنين هو أحد ملوك العرب القدماء.

والنقطة الفارقة بين بحثي هذا من جهة، والمحاولات السابقة سواء لعلمائنا الأجلاء، أو للباحثين المُحدثين من جهة أخرى، هو أنني بحثت عن ذي القرنين في **أساطير الشعوب ودياناتها القديمة،** لأن بعض هذا التراث القديم ليس إلا تاريخا لفترة ما قبل التاريخ، وبالفعل فلقد عثرت على آثار متعددة تؤكد أن قصة ذي القرنين قد حدثت بالفعل في الزمن السحيق، حتى أن القصة صارت قديمة، وحُرِّفت بشكل كبير في الألف الثالثة قبل الميلاد.

وفي هذا الباب سوف أقوم بدراسة خصائص شخصية ذي القرنين عن طريق دراسة الآيات دراسة تحليلية، ثم أقوم بدراسة الشخصيات الأسطورية ذات العلاقة بذي القرنين دراسة تحليلية، لعلي أستطيع أن أجيب بعدها عن هذا السؤال القديم: من هو ذو القرنين؟

الفصل الأول

ملامح شخصية ذي القرنين
كما رسمتها الآيات

درسنا في البابين السابقين رحلة ذي القرنين إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس، ومنطقية بين السدين، وكذلك درسنا أعماله في هذه المواضع الثلاثة، فهل يعطينا النص القرآني ملامح أكثر عن شخصية ذي القرنين تمكننا من التعرف عليه وتحديد شخصيته؟

المبحث الأول:"ذو القرنين" اللقب

يطلق القرآن على الرجل الذي قام بهذه الرحلات الثلاث اسم "ذي القرنين"، ولقد حاول رجال التفسير القدماء أن يعللوا تسميته بهذا الاسم؛ فقال بعضهم أنه كان لديه قرنان في رأسه، وهو رأي متأثر -كما يبدو- بصورة الإسكندر الأكبر على بعض العملات وقد وضع له الفنان قرنين في رأسه، وقال بعضهم أنه سُمِّي بذلك الاسم لأنه كان له ضفيرتان في رأسه، ويبدو أن هذا الرأي يقدم تفسيرا لغويا محضا، فالضفائر يُطلق عليها قرون، وهناك رأي ثالث يقول بأن سبب التسمية هو أنه عاش طويلا وعاصر جيلين من الناس، وهو رأي يرتكز على تفسير لغوي أيضا؛ فالقرن هو الجيل من الناس، كما يرتكز على بعض أبيات من الشعر العربي، والتي تذكر قبر ذي القرنين.

أما الرأي الذي استحسنه أصحاب التفسير هو أن علة اللقب هي أن الرجل وصل إلى **قرني** الدنيا: المغرب والمشرق، فتفسير اللقب هو ماذكره القرآن من وصول ذي القرنين للمغرب والمشرق، وهو من باب تفسير القرآن بالقرآن، وهو رأي جيد، ولكن يعيبه أننا لانجد شاهدا من الشعر، أوالنثر العربي يُطلق المغرب والمشرق قرنيَّ الدنيا، أومايشبه ذلك من المجاز.

وذكرت في الباب الأول أن هناك معنى لكلمة قرن لم يلتفت إليها أحد من رجالات التفسير، وهو القرن بمعنى **الجبل**، وعلى هذا الوجه تكون ذو القرنين تعني **ذو الجبلين**، وأتيت بدليل لغوي على ذلك فهناك في جزيرة العرب جبلان يطلق عليهما القرنان.

ولكن أي جبلين عَنى من أطلق على ذي القرنين هذا الاسم؟ لم أجد جوابا على ذلك إلا في النصوص الدينية المصرية؛ فلقد اعتقد المصريون القدماء في وجود جبل عظيم في بلاد مغرب الشمس (أَمِنْت)، وأطلقوا عليه اسم (القرن)، كما اعتقدوا بوجود جبل آخر في بلاد مطلع الشمس (سخت عارو)، وأطلقوا عليه أيضا اسم (القرن).

ولو كان استنتاجي صحيحا فإن ذا القرنين قد أُطلق عليه هذا اللقب لأنه وصل إلى جبل مغرب الشمس، وجبل مطلع الشمس، فهما قرني العالم.

فعلينا إذا أردنا أن نحدد شخصية ذي القرنين أن نبحث عن من تلقَّب بهذا اللقب، وفي نفس الوقت يُحكى عنه أنه وصل إلى بلاد مغرب الشمس ومشرقها، ووصل إلى جبلي مغرب الشمس ومشرقها العظيمين.

المبحث الثاني: القرآن لا يقص قصة ذي القرنين كاملة، بل يتلو منها "ذكرا"

يقول الطبري في تفسيره: "يقول تعالى ذِكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين؛ ما كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا. يقول: سأقص عليكم منه خبرا."، وهذا يعني بوضوح أن قصة ذي القرنين في القرآن ليست شاملة لكل الأعمال التي قام بها ذو القرنين، ولا كل صفاته وألقابه، وإنما هي خبر من أخباره ليس إلا.

وهذا يجعلنا نتوقع أن الشخصية، أو الشخصيات التي نجدها في الديانات القديمة والأساطير، والتي يُنسب إليها الذهاب إلى المغرب والمشرق، نتوقع أن يُنسب إليها أعمال أخرى بالإضافة إلى وصولها إلى المغرب والمشرق وبناء السد، مما لم يذكره القرآن عن ذي القرنين.

المبحث الثالث: الأرض الذي مُكِّن لذي القرنين فيها

يقول المولى عز وجل عن ذي القرنين: "إنا مَكَّنَّا له في الأرض..."، ولقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن تمكين ذي القرنين يعني أنه كان ملِكا، وقال بعضهم أنه كان ملِكا على كل العالم، واستُنتج ذلك من وصوله للمغرب الشمس ومشرقها، وتعذيبه للكافرين من قوم مغرب الشمس، ولبنائه السد بعد شكوى القوم من يأجوج ومأجوج، وما يستلزمه ذلك - من وجهة نظرهم- من وجود جيش عظيم جرار بصحبته.

وربما الذي أوحى للقائلين بهذا هو تحديد البعض لشخصية ذي القرنين بالإسكندر الأكبر في مرحلة مبكرة من تاريخ تفسير الآيات، فحتى لو لم يكن ذو القرنين هو الإسكندر الأكبر، فلابد أن يكون فاتِحا عظيما مثله.

وربما كان قول مجاهد: "مَلَكَ الأرضَ مشرقها ومغربها أربعةُ نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داوود، وذو القرنين، والكافران: بختنصر، ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم." ربما كان هذا القول سببا في تقوية هذه الفكرة.

ولكن بالعودة إلى النص القرآني، و محاولة تفسير القرآن بالقرآن، فإننا سنجد أن كلمة الأرض كما أنها تطلق على عموم الأرض، فإنها تطلق أيضا على أرض مخصوصة، فعلى سبيل المثال قد أُطلقت كلمة الأرض وأريد بها أرض مصر فقط، وذلك في قوله تعالى: "قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين"[260].

أما التمكين فجاء بمعنى إعطاء المكانة والقدرة، وربما السلطان، يقول تعالى: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ - وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ"[261] .

أما العبارة القرآنية الشديدة الشبه بالعبارة القرآنية: "إنا مكّنّا له في الأرض"، فهي ما قاله القرآن عن يوسف عليه السلام: "وَكَذَٰلِكَ **مَكَّنَّا** لِيُوسُفَ **فِي الْأَرْضِ** يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"[262], فهل في هذا التشابه إشارة إلى أن المراد بالأرض في آيات ذي القرنين هو أرض مصر وليس العالم كله؟ ويكون معنى العبارة أن الله أعطى ذي القرنين المكانة العظيمة في مصر، وربما المُلك؟

[260] - سورة يونس آية 78.

[261] - سورة القصص، آية 5-6.

[262] - سورة يوسف آية 56.

ربما يدعم هذا بعض إشارات، أولها: أن السياق يذكر أن الله مكّن لذي القرنين في الأرض قبل أن يذهب إلى مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وبين السدين، مما يشير إلى أن الأرض التي مُكن لذي القرنين فيها لاتشمل مغرب الشمس، ومطلع الشمس, وبين السدين، وليست هي كل العالم.

ثاني هذه الإشارات أن القوم حين عرضوا على ذي القرنين خراجا مقابل بناء السد، قال: "مامكني فيه ربي خير"، وهذه العبارة تُفَسَّر بقوله تعالى في بداية القصة: "إنا مكنا له في الأرض"، ولو كان هؤلاء القوم من رعاياه، ومنطقة "بين السدين" من جملة ما مكَّنه الله فيه، لما قارن بين مايعرضونه عليه وبين الأرض التي مكنه الله فيها، لأنه في هذه الحالة سيكون الخراج الذي يعرضونه عليه جزءا مما مكنه الله فيه، فلا يكون هناك وجها للمقارنة .

إن ذا القرنين يوازن بين خراج أرض منطقة بين السدين من جهة، وبين خراج الأرض التي مكَن الله له فيها من جهة أخرى، وهذا يستلزم أن تكون الأرض التي مكَن الله لذي القرنين فيها منطقة محددة من العالم، وليست العالم كله.

المبحث الرابع: إيتاء ذي القرنين من كل شيء سببا

قالت جماعة من أهل التفسير أن المراد بقوله تعالى: "...وآتيناه من كل شيء سببا"، هو أن الله أعطاه عِلْما يُتوصل به إلى كل شيء، وممن روى عنهم الطبري ذلك: ابن عباس، وقتادة, والضحاك، وابن جريج، وقال القرطبي: "وأصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء".

ونحن إذا حاولنا الربط بين الجملة وسياق الآيات، فـ(السبب) هو العلم الذي استطاع به ذو القرنين بداية الوصول إلى مغرب

الشمس، ثم إلى مطلع الشمس، ثم إلى بين السدين، واستطاع بهذا العلم تصميم وبناء السد،ويمكننا من ذلك أن نستنتج أن ذا القرنين كان صاحب علوم كونية تقنية.

المبحث الخامس: هل كان ذو القرنين نبيا؟

هذا السؤال ناقشه المفسرون رحمهم الله، وغيرهم من أهل العلم، وانقسموا إلى فريقين: فريق يقول بأن ذا القرنين كان نبيا، فهذا هو ظاهر القرآن، فالله يخاطبه "قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب..."، وذو القرنين يجيب: "قال أما من ظلم...".

وهذا الرأي -وهو أن ذا القرنين نبيا- مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولقد قال ابن حجر العسقلاني أن كون ذو القرنين نبيا "عليه ظاهر القرآن"، وقال الألوسي: **"والحق أن الآية ظاهرة الدلالة في نبوته".**

وذهب فريق من العلماء إلى أن ذا القرنين لم يكن نبيا متمسكين برواية أخرجها الحاكم لأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها: "لا أدري ذو القرنين كان نبيا أو لا"، وكذلك قول الإمام عليّ في أحد الروايات: "ولم يكن نبيا ولا ملكا".

غير أن هذه الجملة "لم يكن نبيا ولا ملكا"، هي زيادة ذكرت في بعض الروايات، وأول نفس الرواية تقول: "كان رجلا أحب الله فأحبه، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ..."، والسؤال كيف يبعث الله من ليس نبيا إلى قومه؟ الأمر الذي يجعل هذه الزيادة محل شك.

وقال بعض أصحاب هذا الرأي أنه ربما كان يصحبه نبيا، وأن الخطاب "قلنا ياذا القرنين" كان عن طريق واسطة، وهو النبي المرافق لذي القرنين، وهو رأي –كما ترى- يُعوزه الدليل.

ورأى بعضهم أنه ربما كان تخيير الله له كان عن طريق الإلهام، وهذا الرأي رد عليه الألوسي في تفسيره بأنه: "لامجال للإلهام في ما يترتب عليه إزهاق الأنفس"، وهو مخالف للظاهر.
وهكذا يمكننا القول أن ذا القرنين –على الأغلب- كان نبيا، وإن لم يكن مُصرحا بنبوته في القرآن أو السنة.

المبحث السادس: هل كان يسافر وحده، أم بصحبة جيشه؟

ذهب المفسرون الى القول بأن ذا القرنين كان يسافر مصطحبا جيشه إلى مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وبين السدين، ولعل الذي أوحى لهم بذلك قوله تعالى: "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب..."، فكيف يعذبهم بدون جيش عظيم؟
لكن الآيات والسياق يشيران لغير ذلك؛ فلا ذكر للجيش، ولا للقواد، ولا للحروب، حتى عند بناء السد فإنه يطلب معونة القوم له، ولا ذكر لأعوانه أو جنده[263].
وكأن ذا القرنين وصل مغرب الشمس وحده، وعذب الكافرين وحده، ثم ذهب إلى مطلع الشمس وحده، ثم ذهب إلى بين السدين وحده، وكأن دوره في بناء السد كان التصميم، وقيادة التنفيذ الذي تم بسواعد القوم أنفسهم.

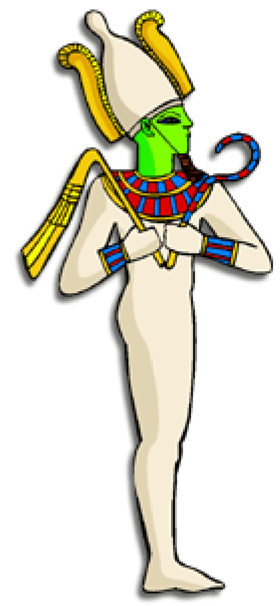
---

[263] - بالمقارنة مع رومانسيات الإسكندر فإن واضع الأسطورة المسيحية -وهي الحكاية التي ذكر فيها أن الإسكندر بنى بوابة من الحديد- يحكي لنا كيف أن الإسكندر استعان بمئات الحدادين لبناء البوابة الحديدية.

الفصل الثاني

(أُزَيْرِس) ذو القرنين

المبحث الأول: (أُزَيْرِس) كما يراه علماء المصريات:



ربما يكون (أُزَيْرِس) هو الإله الباطل الذي يعرفه علماء المصريات أكثر من غيره من آلهة المصريين القدماء، وربما أهم ما يميزه هو الطابع البشري الذي يتسم به، فهو من الآلهة القليلة التي تصور على هيئة رجل، وليس على هيئة حيوان أو خليط بين إنسان وحيوان، كما أن أسطورة قتله، تعطينا إحساسا قويا ببشريته.

ويعتقد دارسو علم المصريات أن (أُزَيْرِس) كان إلها باطلا له شأن متواضع بين آلهة المصريين القدماء الباطلة في بداية العصور التاريخية، غير أن كهنته استطاعوا أن يرفعوا مكانته، وأن يجعلوا عبادته تنتشر في طول مصر وعرضها، بل واستطاعوا أن ينتزعوا له خصائص وأهمية بعض المعبودات الباطلة الأخرى؛ فالدارسون

يرون أن (أُزَيْرِس) حل محل المعبود الباطل (خنتي أَمِنْتي)، الذي كان يصور على هيئة ابن آوى في مدينة (أبيدوس)، بل استطاع أن يستولي على لقبه أيضا.

ويظن الدراسون أن الموطن الرئيسي لعبادة أزيريس كانت مدينة (ددو) التي أطلق عليها اليونانيون (بوزيريس)، أي بيت (أُزَيْرِس)، ويظنون أن عبادته انتشرت من هذه المدينة إلى كل أنحاء البلاد.

ولقد كان (أُزَيْرِس) عند المصريون القدماء إلها للموتى، وسيد العالم الآخر، وملكا على العالم الذي يذهب إليه المتوفون، وهم يمثلون أمامه ليقضي في مصيرهم.

وقد كان ينسب (لأُزَيْرِس) جميع التطورات الطبيعية، التي تحدث في مصر طوال العام، فإذا ما أتى الفيضان فإن (أُزَيْرِس) هو الماء الجديد الذي يكسب الحقول الخضرة، وإذا ما جف النبات فمعنى ذلك أن (أُزَيْرِس) قد مات، لكن موته ليس أبديا لأنه إذا ما نبتت البذور في العام الجديد فإنما نبتت من جسده الذي لايزال على قيد الحياة[264].

أما أسطورة (أُزَيْرِس) و(إيزيس)، فهي تعتبر أهم الأساطير المصرية وأكثرها شهرة، ويعتقد الدارسون أن هذه الأسطورة قد تغلغلت في ديانة المصريين القدماء، منذ أقدم العصور، لذا فإنها احتفظت بنوع من الثبات، ورغم أهمية هذه الأسطورة فإنها لم تصلنا كاملة من المصادر المصرية، وإنما وصلتنا كاملة فقط من نص كتبه (بلوتارخ) المؤرخ اليوناني الشهير في القرن الأول الميلادي، ورغم ذلك فإن في النصوص المصرية –حتى القديمة منها- إشارات واضحة تدعم رواية (بلوتارخ) للأسطورة.

وتقول الأسطورة أن الإله الباطل (جب) رب الأرض تزوج الإلهة الباطلة (نوت) ربة السماء، وأنهما أنجبا (أُزَيْرِس)، و(ست)، و(إيزيس)، و(نفتيس)، و(حورس) الكبير، وورث

---

264 - أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ص49،47.

(أُزَيْرِس) عرش مصر، وكان **مَلكا** صالحا عادلا، حوَّل حياة المصريين من الحياة المتوحشة إلى الحياة المتحضرة، ثم **انطلق في رحلة طاف فيها العالم، ليحضر شعوب الأرض،** ثم عاد إلى مصر.

ولكن (ست) أخوه شعر بالغيرة، فدبر له مكيدة واستطاع أن يحبسه في تابوت خشبي، وأن يلقيه في النيل، حيث أخذه النيل إلى البحر المتوسط، وفُجعت (إيزيس) في زوجها، وراحت تبحث عنه في كل مكان، حتى عثرت عليه عند الساحل (الفينيقي)، واستطاعت بعد سلسلة من المغامرات أن تعود بالتابوت والجثة إلى مصر.

وفي مصر استطاعت (إيزيس) إعادة الحياة جزئيا (لأُزَيْرِس)، وأن تنجب منه (حورس)، ولكن (ست) وأثناء رحلة صيد عثر على التابوت، وعلى جثة أخيه، فاشتاط غضبا، ومزق الجثة إلى أربعة عشر جزءً، وبعثر القطع في مقاطعات مصر الأربعة عشر.

ولكن (إيزيس) بحثت عن القطع وجمعتها إلا قطعة واحدة، وبينما ذهب (أُزَيْرِس) إلى عالم الموتى ليحكم هناك، تفرغت (إيزيس) لتربية إبنها، وبالفعل كبر (حورس)، واستطاع أن يهزم عمه (ست) في قتال مرير، واستطاع أن ينتقم لأبيه، وأن يسترد عرش مصر.

المبحث الثاني: رحلة (أُزَيْرِس) حول العالم

وصلتنا بعض النصوص التي تفيد أن (أُزَيْرِس) قام برحلة حول العالم، فلقد ذكر كل من (بلوتارخ)، و(ديودور) الصقلي صراحة أن (أُزَيْرِس) قد طاف العالم لينشر الحضارة بين الشعوب المختلفة، كما وصلتنا نصوص من مصر القديمة تتحدث عن رحلة (أُزَيْرِس) حول العالم، وإن كانت تحتاج إلى إعادة قرآءة

وتفسير، وهذه النصوص تدعم ماروواه المؤرخان اليونانيين (بلوتارخ)، و(ديودور) الصقلي.

أولا: الرحلة كما رواها (بلوتارخ):

نلاحظ في أسطورة (أُزَيْرِس) أن (بلوتارخ) يخبرنا أن (أُزَيْرِس) قد حضَّر المصريين، ثم قام برحلة حول العالم ليحضِّر شعوب العالم، وأن هذا حدث قبل أن يقتله أخوه ست، ويلقيه في نهر النيل وتبحث عنه (إيزيس)، ولقد مر دارسو المصريات على هذا الجزء من الأسطورة مرور الكرام، واعتبروه من أكاذيب ومبالغات التي اخترعها كهنة المصريين القدماء حول آلهتهم.

والآن فلندقق فيما قاله (بلوتارخ) حول هذا الجزء من قصة (أُزَيْرِس)، يقول (بلوتارخ): "إن من أول ما قام به (أُزَيْرِس) في عهده، هو إخراج المصريين من حالتي الفقر والتوحش، ولقد فعل هذا (أُزَيْرِس) عن طريق أن أراهم فوائد الزراعة، وأن سن لهم القوانين، وأن علمهم تقديس الآلهة، وبعد ذلك فإنه طاف بجميع أنحاء العالم ليُحضِّره، وذلك بدون أدنى حاجة لجيوش، ولكنه اجتذب معظم الناس إلى طريقه بسحر إقناع خطابه، بالإضافة إلى الأهازيج، وكل أنواع الموسيقى، ولهذا فإن اليونانيين عرفوه بـ ديونيسس."[265].

ثانيا: (ديودور) الصقلي يحكي عن رحلة (أُزَيْرِس)

وهناك مؤرخ يوناني آخر تحدث عن (أُزَيْرِس)، وأعماله، وهو (ديودور) الصقلي، يقول في كتابه: "يقولون عن أُزَيْرِس أنه لما كان ذا نفس خيِّرة، وكان حريصا على المجد، فإنه جمع جيشا عظيما، عازما على أن يزور كل أرجاء المعمورة، وأن يعلم

---

[265] - Roman/Texts/Plutarch/Moralia/Isis_and_Osiris*/A.html#note69

البشر كيف يغرسون أشجار العنب، وكيف يزرعون القمح والشعير"[266].

ويقول أيضا: "لقد افترض أنه لو جعل البشر يكفّون عن توحشهم، ويتبنون طريقة حياة متمدينة، فإنه سيتلقى التكريم الخالد لعظم صنيعه، وهذا حقا ما حدث، لأنه ليس المعاصرين له فقط هم من تلقى عطيته، بل وكذلك كل الأجيال التالية، فمن أجل أنهم تمتعوا بالأطعمة الجديدة، فإنهم قدسوا من أدخلوا هذه الأطعمة كآلهة لامعة"[267].

ويقول أيضا عن (أُزَيْرِس): "...ثم قام هو [أُزَيْرِس] بنفسه بمغادرة مصر مع جيشه ليقوم بحملاته العسكرية..."[268]، ويقول في موضع آخر: "...وذلك لأن أُزَيْرِس لم يكن محبا للقتال، لم يكن يتوجب عليه تنظيم المعارك الطاحنة، لذا فإن الناس استقبلوه كإله، وذلك لأعماله الخيرة"[269].

ويقول (ديودور) الصقلي أيضا: "وزار [أزيريس] كل الأمم الأخرى في آسيا، وعبر إلى أوروبا..."، ويقول في موضع آخر: "وفي النهاية فإن (أُزَيْرِس) بهذه الطريقة زار كل العالم المعمور، وحضَّر حياة المجتمعات بإدخال زراعة الفواكه التي يسهل زراعتها"[270].

ويقول (ديودور) عن (أُزَيْرِس) أيضا: "وأثناء عودته إلى مصر فلقد أحضر معه أعظم الهدايا من كل رقعة، وبسبب عظمة أعماله الخيرة فلقد تلقى عطية الخلود بموافقة كل البشر، وبتمجيد مساوٍ

---

266 - http://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Diodorus_Siculus/1A*.html#17

267 - نفس المصدر السابق

268 - نفس المصدر السابق

269 - نفس المصدر السابق

270 - نفس المصدر السابق.

للتمجيد الذي يُقدم للآلهة في السماء. وبعد ذلك فإنه انصرف من وسط الناس وذهب إلى صحبة الآلهة..."[271].

ثالثا: الأصول المصرية لرحلة (أُزَيْرِس):

لقد اهتم الدارسون بأن يجدوا نصوصا مصرية تدعم تفاصيل أسطورة (أُزَيْرِس وإيزيس) كما رواها (بلوتارخ)، مثل قتل (ست) (لأُزَيْرِس)، ونُوَاح (إيزيس) على زوجها، وصراع (ست) مع (حورس)، وانتصار (حورس) في النهاية، وغيرها من التفاصيل، ولكنهم لم يهتموا كثيرا بالجزء الذي يحكي تحضير (أُزَيْرِس) لشعب مصر، وجولته حول العالم لتحضير باقي شعوب العالم. وربما يرجع ذلك لتأكدهم أنها ليست إلا مبالغات نسجها الكهنة المصريين حول آلهتهم، فكيف لرجل في العصر السحيق أن ينشر الحضارة بين شعبه، ثم يسافر إلى كل أنحاء العالم لينشر الحضارة؟

ولقد أرجع بعض الدارسين هذه الصورة التي رسمها (بلوتارخ)، و(ديودور) الصقلي عن (أُزَيْرِس) إلى محاولة الكهنة أن يُضفوا على (أُزَيْرِس) صفات وألقاب الملك المصري، وذلك لاستخدام هذه الصورة عن (أُزَيْرِس) في الدعاية السياسية للملك[272].

ولكنني أرى أن هناك ملامح رحلة قام بها (أُزَيْرِس) حول العالم، هذه الرحلة ذكرتها المصادر المصرية القديمة، وإن كانت تاهت وسط تلافيف العقائد والنصوص، وتتميز رحلة (أُزَيْرِس) في المصادر المصرية أنها رحلة وصل فيها (أُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس، ثم عبر البحر العظيم الذي يقع في العالم السفلي والذي

---

[271] - نفس المصدر السابق.

[272] - When Osiris Ruled on Earth
http://www.osirisnet.net/dieux/osiris/e_osiris_mathieu.htm

يفصل بين المغرب والمشرق، فوصل إلى جزيرة مشرق الشمس، وبالتحديد إلى منطقة الجبال هناك حيث حقول السكان، كما وصل فيها إلى مكان ما حيث أقام في جهته الشمالية جدارا محصَّنا.

والسبب الذي حفظ هذه العقيدة من الضياع هو أنها تم ربطها بعقيدة المصريين حول الموتى، وبرحلة وهمية يقوم بها الموتى تشبُّها (بأُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق الشمس.

فإننا إذا راجعنا المصادر المصرية الدينية خصوصا الجنائزية لوجدنا أن هناك حديثا متواترا عن رحلة تقوم به روح المتوفّى إلى منطقة مغرب الشمس، ثم إلى منطقة مشرق الشمس في صحبة (رع) إله الشمس الباطل، ويرى الدارسون أن هذه الرحلة المخترعة هي تشبيه قام به الكهنة المصريون الأوائل، حيث شبهوا الموتى بالشمس، فكما تموت الشمس بغروبها في أقصى الغرب، فإن روح المتوفى تذهب إلى أقصى غرب العالم، وكما تبعث الشمس بإشراقها في أقصى شرق العالم، فإن المتوفى يبعث من جديد في أقصى غرب العالم.

ولكني أرى أن التشبيه في الرحلة هو تشبيه لرحلة المتوفى برحلة قام بها (أُزَيْرِس)، يقول كهنة (هليوبلس) مخاطبين الملك المتوفى في نصوص الأهرام:

- إنك تذهب **كخليفة لأُزَيْرِس.**
- ....
- إنك تعبر مبحرا مثل الثور العظيم، ...
- إلى حقول رع التي يحبها[273].

ويقولون أيضا في نصوص الأهرام:

- إنك تذهب **كممثل لأُزَيْرِس.**
- ....
- إنك تعبر مبحرا مثل الثور العظيم إلى الحقول الخضراء.

---

[273] - نصوص الأهرام الفقرة 436 -http://www.sacred texts.com/egy/pyt/pyt23.htm

- إلى أماكن رع النقية[274].

ونجدهم يقولون أيضا:

- أنت تفعل **مثل مايفعل أُزَيْرِس**، لأنك هو الذي على عرشه.

- .....

- إنك لن تقاوم في أي مكان تذهب إليه[275].

إن حقول رع الخضراء هي سخت عارو التي تقع في مشرق الشمس، والعبور إليها هو اجتياز بحر العالم السفلي من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، أما هاتين العبارتين: "إن ذهابك كخليفة (لأُزَيْرِس)"، و"إن ذهابك تمثيل/كممثل (لأُزَيْرِس)"، وكذلك العبارة أنت تفعل مثل ما يفعل (أو فعل) (أُزَيْرِس)، **نفهم منها** أن رحلة المتوفى إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق الشمس، هي في حقيقتها **اقتداءٌ برحلة قام بها (أُزَيْرِس) من قبل**، فكما أن المتوفى يُشَّبه (بأُزَيْرِس) في القيام من الموت، فإنه يُشَّبه أيضا به في الذهاب إلى مغرب الشمس، ثم إلى مشرق الشمس.

ويؤكد نفس الفكرة ماجاء في نص حجر (شباكا)، يقول النص: "بسبب حقيقة أن أُزَيْرِس أُغرق في مائه، فإن إيزيس ونفتيس لاحظاه، وحضرا إليه. لقد أمر حورس بسرعة إيزيس ونفتيس بالإمساك بأُزَيْرِس، ومنع غرقه. ولقد انتبهتا في الوقت المناسب، وأحضرتاه لليابسة. **لقد دخل أُزَيْرِس المسارات السرية في بهاء أرباب الأبدية، على خُطى الذي يشرق في الأَخِت، على طرق رع الذي على عرشه"**[276].

---

[274] - نصوص الأهرام الفقرة 553، http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt33.htm

[275] - الفقرة 365 http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/pyt19.htm

[276] - حجر شباكا الأسطر 62، 63، 64.

وأفهم من هذا النص أن (أُزَيْرِس) قام برحلة على طريق الشمس، وكان ذلك وهو **حيّ** يُرزق، وليس وهو ميّت، ويُستنتج من قول النص "أنه مشى على طريق رع/الشمس" أنه وصل إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس، وذلك في ضوء نصوص أخرى كثيرة تؤكد وجود (أُزَيْرِس) في (أَمِنْت) مغرب الشمس، وفي (سخت عارو) مشرق الشمس.

أما عن طريقة قيامه بالرحلة فنجدها ذُكرت في كتاب الموتى: "إنك [أُزَيْرِس] قد دُرت حول السماء، وأبحرت في حضرة رع، وبصُرتَ كل الكائنات العاقلة ...."[277].

فالرحلة التي طاف فيها (أُزَيْرِس) على كل البشر كانت رحلة بحرية، وكانت في معية الشمس/(رع)، أي على طريق الشمس، وفي نفس اتجاه حركتها الظاهرية في السماء.

وتفسر رحلة (أُزَيْرِس) ماذكرته بعض النصوص المصرية من أنّ (أُزَيْرِس) كان ملكا على كل سكان العالم، حيث يقول أحد نصوص التوابيت: "لقد تُوِّجت ملكًا على الغرب، بعد أن حكمت العالم وجميع بلاد المعمورة"[278].

كما تفسر هذه الرحلة اللقب الذي أطلقه الكهنة في كتاب الموتى على (أُزَيْرِس): **"مُقِر الحق والصدق في كل العالم"** [279].

ذهاب (أُزَيْرِس) لمغرب الشمس:

بالإضافة على الأدلة الإجمالية التي ذكرتها على قيام (أُزَيْرِس) برحلة على طريق الشمس وهو حي وعبوره بحر العالم السفلي،

---

277 - كتاب الموتى الفرعوني ترجمة عن الهيروغليفية الير والس بدج ترجمة إلى العربية د فيليب عطية الفصل 147 المنزل الأول صفحة 144.

278 - Sarcophagus Texts, Formula 44 (*CT* I, 189f-g) (Middle Kingdom).

279 - كتاب الموتى http://www.africa.upenn.edu/Books/Papyrus_Ani.html.

فإن هناك أدلة خاصة بذهاب (أُزَيْرِس) إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس.

في كتاب الموتى، يقول الكهنة على لسان المتوفى: "...(تعالى إلى هنا) التي قالها رع لأُزَيْرِس، حبذا لو قيلت لي في أَمِنْتت"، وأفهم من هذه العبارة أن (أُزَيْرِس) ذهب إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس.

ويدعم هذا اللقبَ الأشهر (لأُزَيْرِس)، وهو (خنتي أَمِنْتيو) أي "أول أهل الغرب"، والذي يعني: "رئيس سكان بلاد مغرب الشمس"، ورغم هذا فقد فهمها كهنة المصريين - وتبعهم في ذلك دارسو علم المصريات- على أنها تعني "أول الموتى"، أو "ملك الموتى".

ولقد توصلت في الباب الأول أن إعادة قرآءة نصوص كتابي العالم السفلي تؤكد أن (أُزَيْرِس) عذَّب أهل مغرب الشمس بإثارة البركان عليهم، لأنهم كفروا بالإله الأعظم، وتمردوا على (أُزَيْرِس)، وجعلوا دينه وراءهم ظهريا، كما تؤكد أن (أُزَيْرِس) أحسنَ إلى (الخُو) أو الصالحين من أهل مغرب الشمس، الذين هم أتباع (أُزَيْرِس)، وذلك بأن أعطاهم الأراضي ليزرعوها.

رحلة (أُزَيْرِس) إلى مشرق الشمس:

نقرأ في نصوص الأهرام[280]:

- ليقال أيها الملك.
- إنك ذلك النجم العظيم رفيق برج الجبار.
- الذي يعبر السماء مع برج الجبار، الذي يبحر عبر الدوات مع أُزيرس.
- أنت تصعد على الجانب الشرقي من السماء.
- مجددا في موسمك المناسب، عائدا إلى الشباب في وقتك المناسب.

---

[280] - الفقرة 466.

نفهم من هذه الأسطر أن (أُزَيْرِس) يعبر الدوات وهو العالم السفلي، وهو بالطبع يعبر من المغرب إلى المشرق، ويبدو أنه كانت هناك أسطورة أقدم تقول أن (أُزَيْرِس) **أبحر عبر العالم السفلي من المغرب إلى المشرق.**

كما استنتجت في الباب الأول أن (أُزَيْرِس) وصل إلى مشرق الشمس حيث (سخت عارو) أو حقل (عارو)، وهناك زرع وحصد في حقل (عارو)، أوحقول العراة، ولو ضممنا إلى ذلك ما ذكره (ديودور) من أن (أُزَيْرِس) علم سكان (إثيوبيا) الزراعة [281]، لتأكدنا لماذا زرع (أُزَيْرِس) وحصد في مشرق الشمس، لقد كان يُعلِّم (الأَخِتيو)، أو سكان جبل (الأَخِت) الشرقي حرفة الزراعة.

رحلة (أُزَيْرِس) إلى منطقة بين السدين:

وإذا عدنا إلى حجر (شباكا) فإننا سنجد النص يخبرنا أن (أُزَيْرِس) أثناء رحلته على خطى الشمس فإنه وصل إلى منطقة الحصن الملكي، وهي المنطقة التي تقع شمال الأرض التي وصل إليها، وأنه هناك بنى (أُزَيْرِس) الحصن الملكي، ويدعم هذا ماذكرته في الباب الثاني أن هناك في كتاب البوابات، وبالتحديد في القسم العاشر من أقسام العالم السفلي أو (الدوات) يوجد ذكر لجدار (أُزَيْرِس) الحربي، الذي له علاقة بأبناء الضعف، وكل هذا قريب من قصة بناء ذي القرنين لسده، كما يَذكر كتاب الموتى جدارا من حديد يُحيط (بسخت عارو).

وهكذا أمكننا إعادة بناء قصة رحلة (أُزَيْرِس) حول العالم من مصدرين المصدر الأول: هو مارواه المؤرخان اليونانيان (بلوتارخ) و(ديودور) الصقلي، والمصدر الثاني: ما جاء في المصادر المصرية.

---

[281] - إثيوبيا هي مشرق الشمس عند اليونانيين القدماء.

رابعا: مقارنة بين رحلة (أُزَيْرِس) ورحلة ذي القرنين:

والآن يمكننا مقارنة بين رحلة (أُزَيْرِس) ورحلة ذي القرنين، (فأُزَيْرِس) طاف حول العالم فذهب إلى مغرب الشمس، وهي بلاد (الأنديز) الاستوائي، وهناك عند "عين الحميم" ذات الماء المغلي ذو الرائحة المنتنة وبجوار جبل مغرب الشمس العظيم المسمى (بالأَخِت) الغربي، فإن (أُزَيْرِس) عاقب بعض المتمردين على الإله الأعظم الذين جعلوا عقيدة (أُزَيْرِس) وراء ظهورهم، فعاقبهم بإثارة البركان عليهم، وفي نفس الوقت فإن (أُزَيْرِس) أحسن إلى أتباعه من الصالحين، وعلمهم الزراعة، وأعطاهم الأراضي الخصبة وهذا يتفق مع قصة ذي القرنين المذكورة في القرآن الكريم.

ثم عبر (أُزَيْرِس) البحر أو الممر المائي المُلتف، وهو الذي يفصل بين المغرب والمشرق، وهو نفسه المحيط الهادي ليصل إلى جزيرة مشرق الشمس وهي جزيرة غينيا الجديدة، أو بالتحديد إلى (سخت عارو)، أوحقول العراة، التي تقع على سفح جبل مشرق الشمس العظيم الذي يقع في الجزيرة، وهناك علَّم سكان المرتفعات الزراعة، وهم الذي أطلقت عليهم النصوص القديمة (الأَخِتيو)، وهذا أيضا يتفق مع قصة ذي القرنين، وإن كان يتضمن بعض التفاصيل الذي لم تُذكر في القرآن الكريم.

وبعد ذلك ذهب (أُزَيْرِس) إلى أرض أخرى لم تحدد، وهناك التقى (أبناء الضعف)، وبنى في شمال هذه الأرض جدارا محصنا، وهو نفسه سور (أُزَيْرِس) المذكور في كتاب البوابات، وهذا يتفق مع قصة ذي القرنين في القرآن، وإن كان به نقص وقصور واضح بعد أن ضاعت معظم تفاصيل القصة فلا ذكر يأجوج ومأجوج، ولا تعديهم وإفسادهم، ولا طريقة بناء السد، واختلطت باقي التفاصيل فنجد أنه رغم ذكر أبناء الضعف عند ذكر السور الحربي، إلا أن النص لا يوضح ما علاقة كل منهما

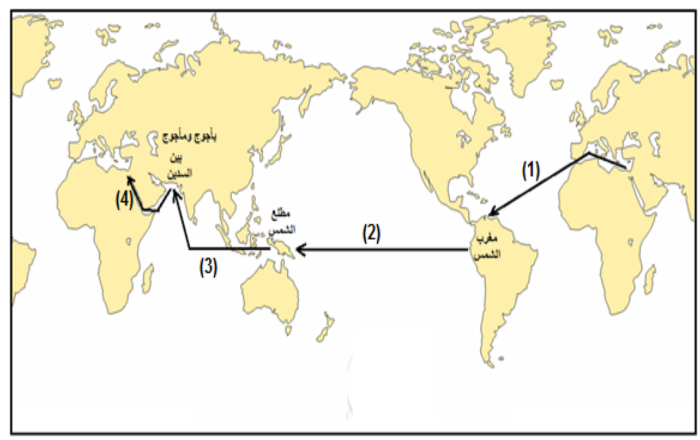
بالآخر. ورغم أن النصوص المصرية تذكر جدارا من الحديد غير أنها تضعه في (سخت عارو) مشرق الشمس.

وفي كل هذه الأحداث نلاحظ أن (أُزَيْرِس) يسافر منفردا، وفي هذا مشابهة لظاهر القرآن الكريم.

وهكذا فإن رحلة (أُزَيْرِس) - بعد إعادة بنائها- توازي كثيرا رحلة ذي القرنين المذكورة في القرآن، وهي رغم القصور في بعض التفاصيل، وخصوصا المرحلة الثالثة من الرحلة حيث بناء السد، إلا أننا نجد بها بعض التفاصيل التي تفسر لنا أمورا أجملها القرآن، مثل طريقة السفر، وطريقة تعذيب كفار مغرب الشمس، وسبب قول ذي القرنين: "ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا"، وكذلك ماهية التيسير الذي قاله لهم ذو القرنين، وطريقة العبور من مغرب الشمس إلى مشرق الشمس، وماذا فعل ذو القرنين في مشرق الشمس.

خامسا: (أُزَيْرِس)/ذو القرنين أول من دار حول العالم:

جاء في ذكر رحلة (أُزَيْرِس) حول العالم عند (بلوتارخ) و(ديودور) الصقلي أن (أُزَيْرِس) عاد إلى مصر في نهاية رحلته بعد تطوافه العالم، مما يجعلنا نستنتج أن ذا القرنين بعد أن بنى الردم فإنه عاد إلى مصر وبذلك يكون أول إنسان يدور مبحرا circumnavigate حول الكرة الأرضية في التاريخ.



الشكل رقم (225) المرحلة الرابعة من الرحلة والتي عاد بها ذو القرنين إلى وطنه مصر.

وربما يدعم ذلك ما جاء في نصوص الأهرام عن الملك المتوفى تشبيها له (بأُزَيْرِس) على الأرجح، يقول النص:

- لقد طاف بالسماوين، ودار حول الأرضين[282].

وربما تكون الأسطر الآتية لها علاقة بالأمر، تقول نصوص الأهرام:

- إن الأختين إيزيس ونفتيس تأتيان إليك، إنهما تشفيانك.
- كاملا وعظيما في لقبك "الأسود العظيم".
- جديدا وعظيما في اسمك "الأخضر العظيم".
- انظر إنك عظيم ومستدير مثل "الدائرة العظيمة".
- انظر إنك انثنيت مستديرا إنك مستديرمثل الحلقة التي تحيط بالـ (نب. وت).
- انظر إنك مستدير وعظيم مثل الحلقة العظيمة[283].

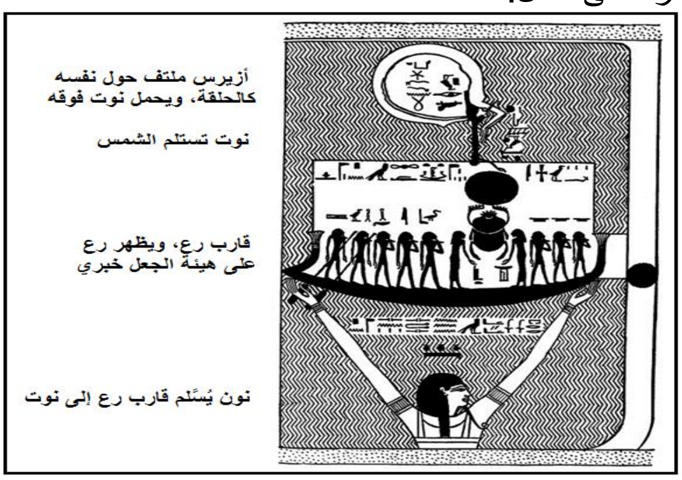
---

[282] - الفقرة *273-274*. السطر 406c

[283] - الفقرة 366.

إن المتوفى هنا تتم مساواته (بأُزَيْرِس)، و(أُزَيْرِس) يوصف بأنه مستدير مثل الدائرة العظيمة ويلقب بالأخضر العظيم، وأرى أن أصل هذا الكلام أن **(أزيريس) دار حول الأرض دورة كاملة فشبهه الكهنة بالبحر المحيط**، وهو الحلقة الخضراء العظيمة التي تحيط بالأرض، ثم اختلطت عليهم المعاني والكلمات بعد ذلك.

وربما حاول الكاهن الفنان في المشهد الختامي من كتاب البوابات أن يصور هذه الفكرة فنحن نجد أن (نوت) وهي سماء النهار وهي تستلم الشمس في لحظة الإشراق من (نون)، والذي هو سماء العالم السفلي على ما يبدو، ونجد أن (نوت) بدلا من أن تقف فوق الأرض فإنها تعتمد على (أُزَيْرِس) الذي يلتف بجسده مكونا **حلقة**، والنص المرافق يقول أن (أُزَيْرِس) هو الذي يكوِّن بجسده الحدود الخارجية (للدوات)، ويبدو لي أن المقصود أن جسد (أُزَيْرِس) هو البحر المحيط الذي يطوق الأرض، أو هذا هو أصل الفكرة على الأقل.



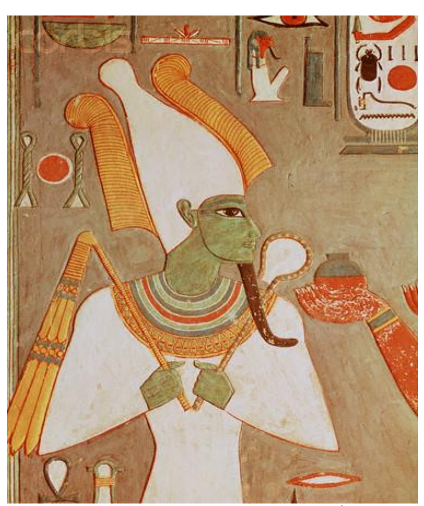
الشكل رقم (226) المشهد الختامي من كتاب البوابات، ويصور لحظة إشراق الشمس، عندما يسلِّم (نون) وهو سماء العالم السفلي الشمس/رع في قاربه إلى (نوت) سماء العالم الأرضي.

المبحث الثالث: (أُزَيْرِس)
وباقي خصائص ذي القرنين

في المبحث السابق أعدنا بناء رحلة (أُزَيْرِس) من المصادر المختلفة، وتوصلنا لوجود تشابه كبير بين رحلة (أُزَيْرِس)، ورحلة ذي القرنين المذكورة في القرآن، والآن يثور السؤال الآتي هل هناك تشابه بين شخصية (أُزَيْرِس) من جهة، وشخصية ذي القرنين من جهة أخرى؟ وفي هذا المبحث سوف أدرس أوجه التشابه بين شخصية (أُزَيْرِس) وشخصية ذي القرنين.

أولا: (أُزَيْرِس) كان إنسانا يمشي على الأرض، وكان ملكا على مصر:

يرى كثير من دارسي علم المصريات أن (أُزَيْرِس) كان إنسانا حقيقيا عاش في فترة سحيقة من التاريخ، وأنه كان مِلِكا على مصر، وأنه تم تأليهه في مرحلة لاحقة.



الشكل رقم (227) أزيرس كان غالبا ما يصور في هيئة بشرية.

وربما يكون سبب هذا الاعتقاد أن (أُزَيْرِس) كان يُصوَّر غالبا في هيئة بشرية، كما جاءت أسطورته تحكي كيف أنه وُلد، وحكم مصر، ثم قُتل علي يد أخيه (ست).

وهذا يشبه ذا القرنين الذي كان بشرا، وربما كان حاكما لمصر كما قلتُ من قبل.

ثانيا: (أُزَيْرِس) والعلم:

ذكر المؤرخان (بلوتارخ) و(ديدور) الصقلي كيف أن (أُزَيْرِس) علَّم المصريين الزراعة، وأُسس المدنية، كما قام بمشروعات عظيمة للري في وادي النيل، وبعد ذلك فإنه طاف بالعالم كله يعلم الشعوب المختلفة الزراعة، والمصادر المصرية تؤكد وصوله إلى مغرب الشمس (أَمِنْت) التي توصلتُ إلى أنها (الأنديز)، وإلى مشرق الشمس التي توصلتُ إلى أنها (غينيا الجديدة).

وحَرِيٌ برجل كهذا أن يقال عنه أنه أوتي العلوم المختلفة، تلك العلوم التي يستطيع بها الإبحار تلك المسافات الشاسعة، والعلوم الزراعية، وعلوم الري التي يستطيع استخدامها، وتعليمها للشعوب المختلفة.

وهكذا يمكننا القول أن (أُزَيْرِس) - مثل ذي القرنين- يمكننا أن نقول عنه أنه أوتي من كل شيء سببا.

ثالثا: (أُزَيْرِس) والنبوة:

والسؤال الذي يثور الآن: هل كان (أُزَيْرِس) نبيا؟، الحقيقة أننا لدينا بعض الأدلة على أن (أُزَيْرِس) كان نبيا، أو على الأقل داعيًا لدينٍ جديد، من هذه الأدلة ما ذكره (بلوتارخ) من أن (أُزَيْرِس) علَّم المصريين تقديس الآلهة.

ومن المتوقع أن تكون هذه الجزئية من قصة (أُزَيْرِس) هي من أول الأجزاء التي حُرِّفت، فالذي ينقل لنا هذا الكلام هم أنفسهم

الكهنة الوثنيون، الذين يعبدون (رع)، أو (بتاح) كإله أعلى، وكذلك يعبدون باقي الآلهة الباطلة الأخرى، فلن نتوقع أن يخبرونا مثلا أن (أُزَيْرِس) كان موحدا يدعو إلى إله واحد هو خالق السموات والأرض وما فيهما رب العالمين.

ولقد وجدت أن المصادر المصرية القديمة أكثر اقترابا من الحقيقة، فنجد في كتابي العالم السفلي أن (أُزَيْرِس) يعاقب كفّار مغرب الشمس الذين نطقوا كلمات الكفر، والذين تمردوا على الإله، وهم الذين جعلوا دين (أُزَيْرِس) وراء ظهورهم، وهذه المفردات كما ترى تشبه مفردات القرآن في قصص الأنبياء، وهي في نفس الوقت لاتشبه مفردات ولامعاني النصوص الوثنية.

كما أنها تشير إلى أن (أُزَيْرِس) ذهب إلى أهل مغرب الشمس بدين جديد، وأنهم رفضوا هذا الدين وجعلوه وراء ظهورهم، وهو يشير إلى أن (أُزَيْرِس) كان نبيا، أو صاحب دعوة دينية جديدة على الأقل.

بالإضافة إلى ذلك فإن النصوص المصرية تخبرنا بأن (أُزَيْرِس) وحده عذّب الكفَّار في (أَمِنْت) مغرب الشمس، واستطعنا - بعد إعادة بناء القصة- أن نستنتج أن طريقة التعذيب كانت بإثارة البركان على هؤلاء

الكفار، والسؤال كيف لرجل عادي أن يفجر البركان على أعدائه، أوالرافضين دينه؟ إن هذا يَشِي بأن (أُزَيْرِس) كان نبياً له معجزات منها تفجير بركان.

ومن الطريف أن النصوص المصرية تثبت تعجب الكهنة من أن (أُزَيْرِس) لم يحترق بالنار في أثناء ثورة البركان، وهذا نراه نحن المسلمون أمرا عاديا لأن القرآن مليء بقصص الأنبياء

المشابهة، والتي ينَجِّي فيها الله النبيّ والذين آمنوا معه من العذاب الذي يحيق بأقوامهم[284].

وربما يدعم هذا ما ذكره المؤرخان اليونانيان (بلوتارخ) عن أن (أُزَيْرِس) قد سنَّ للمصريين القدماء قوانين وشرائع، وهي إن كانت صفة المصلحين بشكل عام، فهي صفة للأنبياء المرسلين أيضا.

كما تحدث المؤرخان اليونانيان أيضا عن خُلُق (أُزَيْرِس)، فَهُم يصفانه بأنه كان ذا نفس خيرة، وأنه لم يكن محبا للقتال، وأنه كان ذا أعمال خيره في كل العالم، وأنه كان يعتمد على سحر الإقناع (=الدعوة؟)، وتؤكد هذا المصادر المصرية عندما تقول عنه أنه: "هو الذي أقر الحق والصدق في كل الدنيا"، وتقول عنه أيضا: "هو الذي أوقف المذابح في الأرْضين"[285]، وهذه كلها من صفات المصلحين والأنبياء.

رابعا: للقصة جوانب أخرى:

ذكرتُ أن القرآن يقص علينا بعضًا من قصة ذي القرنين، وأن هذا هو دلالة قوله تعالى (ذِكرا)، وبالفعل نجد أن هناك جوانب كثيرة لشخصية (أُزَيْرِس) لم يذكرها القرآن منها: **أنه كان مُحضِّرا**، وأنه كان مصريا، وأنه حضَّر المصريين، ثم حضر العالم أثناء رحلته، (فأُزَيْرِس) لم يكن نبيًا فقط، ولكن كان أيضا ناشرا للحضارة، وهو ما أشار القرآن له في قوله: "وآتيناه من كل شيء سببا"، وقوله: "وسنقول له من أمرنا يُسرا"، فالمعنى هو أن

---

284 - بل إن بعض النصوص المصرية القديمة في كتابي العالم السفلي تذكر أن الماء المغلي ماؤها بارد بالنسبة للصالحين، وهذا يوازي بشكل كبير ما جاء في القرآن الكريم عن عذاب القرى الظالمة وتنجية المؤمنين.

285 - http://www.osirisnet.net/dieux/osiris/e_osiris_mathieu.htm Osiris reigned on Earth When

ذا القرنين سوف يعلِّم القوم من أمره - وهي العلوم التي آتاها الله إياه- ما يُيَسِر حياتهم، والمقصود الزراعة والري وتربية الحيوان، والحرف، وغيرها من أسس المدنية والحضارة.

خامسا: (أُزَيْرِس) ولقب ذو القرنين:

رأينا في الأسطر السابقة الشبه الكبير بين (أُزَيْرِس) ورحلته من جهة، وذي القرنين ورحلته كما رواها القرآن من جهة أخرى، وهو أمر جد عجيب، **أما الأعجب منه فهو أن (أُزَيْرِس) كان يلقب بذي القرنين.**

ففي كتاب الموتى يقول الكاهن: **"**تحية لك يا أُزَيْرِس، يابن نوت، يا ذا القرنين**"**[286].

وفي نقش على جدران معبد (إسنا) كتب الكهنة ترانيم للإله الباطل (خنوم)، وفي السياق يشبِّه الكهنة (خنوم) بالمعبودات المصرية الباطلة الأخرى، وعندما يشبهونه (بأُزَيْرِس)، فإن الكهنة يطلقون على (أُزَيْرِس) لقب "ذو القرنين"، يقول النص: **"**إله العجلة [أي خنوم]، أُزَيْرِس ذو القرنين**"**[287].

وفي كتاب الموتى، وتحديدا في نص الاعتراف السلبي، في بردية (آني) يقول المتوفى: **"**هلا، **سيد القرنين** يا من أتيت من (ساوي)، إني لم أضخم الكلمات**"**[288], وفي بردية (نبسني) يقول الكاهن على لسان المتوفى: **"**هلا الإله **ذو القرنين**، يا من أتيت من ساتيو إني لم أكثر الحديث**"**[289], ويعلق دكتور فليب عطية: "(ساتيو) وفي بردية (آني) ساوي، والأرجح أنها (شاو)، التي كانت مخصصة لعبادة (أُزَيْرِس)، وهي الآن (شاوة) بالمنصورة

---

[286] - Budge, Book Of The Dead III,PP 105-108

[287] - صفحة 198.

[288] - كتاب الموتى صفحة 120.

[289] - كتاب الموتى صفحة 127.

على الأرجح"، ويفهم من ذلك أن الإله الباطل المقصود باللقب "ذي القرنين" كان هو (أُزَيْرِس).

ولقد جاءت الرسوم والتماثيل تصور (أُزَيْرِس) وله قرنان، وهو على مايبدو الفهم الخطأ لبعض الكهنة للقب (أُزَيْرِس) "ذو القرنين"، فقد ظنوا – بعد أن تطاولت عليهم الدهور- بأنه كان له قرنان على الحقيقة.

ويرى دارسو علم المصريات وديانة المصريين أن قرني (أُزَيْرِس) وغيرها من القرون هي من بقايا عبادة الحيوان؛ فهم يرون أن المصريين بدأوا بعبادة الحيوانات، ثم تحولوا لعبادة البشر، واصطحبوا معهم في هذه المرحلة بعضا من مظاهر عبادة الحيوان.

وأخالف الدارسين في رأيهم هذا، فمن الثابت أن عبادة الحيوانات انتشرت في العصور المتأخرة من تاريخ مصر القديمة، ولقد جاءت النصوص المبكرة تحمل وجهات نظر دينية أرقى مما وصلنا من نصوص ومشاهدات لليونانيين للفترة الأخيرة من الحضارة المصرية.

بالإضافة إلى ذلك فإننا وجدنا النصوص المصرية تطلق على كل من (الأَخِت) الغربي، و(الأَخِت) الشرقي كلمة قرن، وفي نصوص الأهرام بعض النصوص التي يفهم منها أن المتوفى سيحوز جبل (الأَخِت).



الشكل رقم (227) (أُزَيْرِس) ذو القرنين.

وفي بعض المواضع سيسطر على جبلي (الأَخِت)، وأرى هذا في الأصل تشبيه للمتوفى (بأُزَيْرِس) الذي امتلك جبلي (الأَخِت) أو القرنين، وذلك عندما وصل إلى مغرب الشمس، ومشرقها، وأرى أن هذا هو أصل تسميته بذي القرنين، يقول الكهنة على لسان نوت ربة السماء: "إن [الملك] إبني هو محبوبي، لقد منحته جبلي (الأَخِت)، لعله يمتلك القوة فيهما..."[290].

وهكذا فإن (أُزَيْرِس) كان إنسانا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولقد كان ملكا على مصر، وكان نبيا أو صاحب دعوة دينية جديدة، وأخيرا فلقد لقب بذي القرنين، الأمر الذي إذا ضممناه لقيامه برحلة إلى مغرب الشمس ومشرقها، وإلى أرض الجدار المحصن صارالتشابه بينه وبين ذي القرنين كبيرا لدرجة تكفي أن نقول أن (أُزَيْرِس) هو ذو القرنين الذي جاءت قصته في القرآن الكريم.

---

290 - From Faulkner's "Ancient Egyptian Pyramid Texts" Utterance 6

المبحث الرابع: (أُزَيْرِس) و(عزير) وكيف حلَّ القرآن لغز معنى كلمة (أُزَيْرِس)

في هذا المبحث ننتقل إلى فكرة جديدة؛ وهي العلاقة بين (أُزَيْرِس) الإله الباطل للمصريين القدماء، وبين (عُزير) الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"[291]، وكيف أمكنني أن أستنتج معنى كلمة عزير من القرآن الكريم.

أولا: العلاقة اللغوية بين الكلمتين: (أُزَيْرِس) و(عزير):

ينطق الدارسون الاسم (أُزَيْرِس) Osiris هكذا (أُزَيْرِس)، ورغم ذلك فإنه عند ترجمة الكلمة ترجمها المترجمون المصريون من الإنجليزية إلى العربية هكذا: (أوزوريس)، ونلاحظ قرب كلمة (أُزَيْرِس) من (عزير) القرآنية، فهي تكاد تكون النطق اليوناني لنفس الكلمة، مضافا إليها حرف السين في نهاية الكلمة، وهذا الحرف هو علامة إعرابية تدل على حالة الرفع في علم النحو الخاص باللغة اليونانية، بينما كلمة (أوزوريس) المألوفة لدينا بعيدة عن عزير، وهذا ما جعل كثير منا - كعرب مسلمين- لانفكر في علاقة ما بين (أُزَيْرِس)، وعزير.

ويقول دارسو علم المصريات أن كلمة (أُزَيْرِس) هي كلمة يونانية، وهي التسمية اليونانية لهذا الإله الباطل، بينما كان المصرين القدماء يطلقون على (أُزَيْرِس): (أَسَر Asar)، أو (أسِر Aser)، أو (أُسار Ausar)، أو (أُسير Ausir)، أو (وسير wsir)، وغيرها، وكانوا يكتبون الكلمة - في أقدم الصور-

[291] - سورة التوبة الآية 30.

بعلامتين هيروغليفيتين فقط، وهما الكرسي أوالعرش ، وينطق (أس As)، وعلامة العين وتنطق (إر Ir).

ولاحظ الدارسون أن (إيزيس)، وهي أخت (أُزَيْرِس) وزوجته -كما تقول الأسطورة- كان اسمها يكتب بعلامة واحدة وهي الكرسي، أو العرش، بالإضافة إلى علامة حرف التاء للتأنيث، وكان المصريين القدماء ينطقونها (أَسِت Aset)، وعلى هذا يكون اسمها تقريبا نصف اسم (أُزَيْرِس)، بالإضافة إلى حرف التاء للتأنيث.

ونلاحظ أن (أسار Ausar)، و(أسيرAusir) قريبتين من كلمة عُزير القرآنية، ولكن يظل هناك فرق، فكلمة (أسار) بالهمزة وليست بالعين، كما أنها بالسين وليست بالزاي.

الأدلة على أن كلمة (أُزَيْرِس) كانت تنطق بالعين والزاي عند المصريين القدماء:

إن الاسم العبري (عازِر)، يشبه إلى حد بعيد اسم (أُزَيْرِس) عند قدماء المصريين، ويحتمل أن يكون اليهود أخذوه من المصريين فترة إقامتهم بين ظهرانيهم.

والاسم العبري (عزرا) يصلح أن يكون مأخوذا من اسم (أُزَيْرِس): (أُس- رع) الذي ورد في كتاب الموتى، حيث الألف كانت تنطق عينا، والسين زينا هكذا: (عز- رع)، ومع مرور الوقت تتحول العين الساكنة في آخر الكلمة إلى ألف المد هكذا: "عز- را"، وربما يكون عزرائيل ملك الموت الذي يظهر اسمه في رواية إسرائيلية هو الاسم الذي صاغه بعض اليهود استلهاما من (أُزَيْرِس)/"عز- رع"، فكلمة (عزرائيل) مكونة من مقطعين (عزرا)، و(إيل)، وكلمة (إيل) تعني الله، ولقد جاء في نصوص الأهرام نصوص توضح وجهة نظر بعض الكهنة عن (أُزَيْرِس) حيث يظهر (أُزَيْرِس) مثل ملك الموت في الديانات الإبراهيمية،

ولقد اعتاد اليهود أن يحولوا آلهة جيرانهم لملائكة، بأن يضيفوا للكلمة كلمة (إيل) في نهايتها.

إن الاسم عُزَّاUzza Ouza، وعَزَّا Azza هو اسم مَلَك في الكتابات الدينية اليهودية، ويجعله اليهود الملك الحامي لمصر، وهو نفسه الملك الذي عوقب بأن يُعلَّق بين الأرض والسماء، ويقولون أنه نفسه برج الجبار/أريون[292]، وكما هو معروف فإن برج الجبار هو (أُزَيْرِس) عند قدماء المصريين، وكلمة (عزا) تتشابه مع المقطع الأول من اسم (أُزَيْرِس) كما نطقه المصريين القدماء (أس)، الأمر الذي يشير إلى أن المصريين القدماء كانوا ينطقون اسم (أُزَيْرِس) بالعين والزاي وليس بالألف والسين.

كما قد لاحظت أن اسما (أُزَيْرِس) و(إيزيس) يشبهان إلى حد بعيد اسم الإلهة البابلية الآشورية الباطلة (عِشتار) Ishtar، وكانت ربة كوكب الزهرة.

فكلمة (عشتار) تتكون من ثلاث مقاطع هي (عشـ)، و(تـ)،و(ـار)، والمقطع الأول (عشـ) يتشابه مع المقطع الأول من اسم كل من (إيزيس) و(أُزَيْرِس)، بنطقهما المصري (أسـ - ت) و (أسـ - ـار)، وهو المقطع (أس). فالعين والألف قريبا المخرج، والسين والشين أيضا قريبا المخرج، ويتم التبديل بينهما في اللغات السامية.

والمقطع الثاني من إسم عشتار وهو (تـ) يتطابق مع المقطع الثاني من اسم (إيزيس)، وهي تاء التأنيث (ت).

أما المقطع الثالث من إسم عشتار وهو (ـار) يتشابه مع المقطع الثاني من اسم (أُزَيْرِس)/(أسـ - ـار)، وهو (ـار).

(إيزيس) = أست = (أس) + (ت)

(عشتار) = عشتار= (عش) + (ت) + (ـار)

(أُزَيْرِس) = أسار = (أس) + (...) + (ـار)

---

[292] - http://en.wikipedia.org/wiki/Ouza

يعضد هذا التشابه تشابه في الأساطير؛ (فإيزيس) تفقد زوجها الذي يموت، وينتقل إلى العالم السفلي، فتبكيه، وتنوح عليه، وكذلك (عشتار) تفقد حبيبها (ديموزي)، الذي يموت وينتقل إلى العالم السفلي فتبكيه، وتنوح عليه، وكلا الإلهين الباطلين ارتبطا بالدورة الزراعية.

وصحيح أن (عشتار) كانت ربة كوكب الزهرة، بينما كانت (إيزيس) ربة نجمة الشعرى اليمانية، ولكن كوكب الزهرة هو ألمع جرم سماوي بعد القمر، بينما نجمة الشعرى اليمانية هي ألمع النجوم الحقيقية (أي الثوابت) في السماء، فربما حدث نوع من الخلط .

وهناك بعض النصوص في نصوص الأهرام تربط بين (إيزيس)، والمشرق، وربما يدل هذا على أنها كانت ترتبط بكوكب الصبح، وهو كوكب الزهرة عندما تشرق قبل الشمس[293].

إن هذا يقوي أن يكون النطق الصحيح **لأسماء (أُزَيْرِس) هي بحروف العين والزاي.**

كيف عرَّب القرآن (أُزَيْرِس) لعزير

ولو طبقنا نفس القاعدة على أحد أسماء (أُزَيْرِس) عند المصريين القدماء، وهو (أُسِيرAusir)، فنطقنا الأف عيناً والسين زاياً، لصار الاسم (عُزِير) بالألف الممالة، أو بالياء.

وأرى أن المصريين القدماء كما أطلقوا على (أُزَيْرِس) أسماء (عازر) و(عزرا)، وأخذها عنهم اليهود، فإنهم أطلقوا عليه أيضا اسم (عُزِير) بالألف الممالة، **وجاء اليونانيون فنطقوا هذا الاسم بلكنتهم هكذا (أُزير)، ثم أضافوا حرف السين الذي يدل على حالة الرفع في اللغة اليونانية فصارت الكلمة (أُزَيْرِس).**

---

293 - وهذا في مقابل (نفتيس) التي ارتبطت بالغرب وفي الغالب كانت تربط بكوكب المساء أو الزهرة عندما تغرب بعد الشمس.

وعندما نزل القرآن يذكر الاسم، فلقد اختار المولى عز وجل النطق اليوناني **لشيوعه**، ولكنه عرَّب الكلمة؛ فرد همزتها إلى أصلها وهو العين، ورد السين إلى أصلها وهو الزاي، وحذف حرف السين من آخر الكلمة، وهكذا عادت (أُزَيْرِس) إلى (عزير) بالألف الممالة أو بالياء، ثم قام بوضع الكلمة في أقرب وزن من الأوزان العربية، فكان وزن التصغير (فُعَيْل)، فصارت (عُزِير) - سواء بالياء أو بالألف الممالة- (عُزَيْر) بفتح الزاي، وسكون الياء.

ولقد جاءت روايات تقول أن (عزير) المذكور في القرآن هو (عزرا) الكاتب، وهو ما أراه بعيدا من الناحية اللغوية، فأين (عزرا) من (عزير)، ولماذا يحول القرآن (عزرا) (لعزير) حتى لا يكاد يعرفه أحد؟



الشكل رقم (228) صورة متخيلة لعزرا الكاتب الحبر اليهودي الشهير.

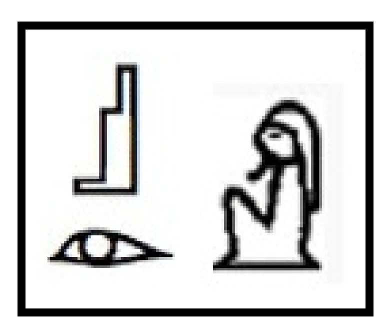
ثانيا: القرآن وتفسير معنى اسم (أُزَيْرِس):

أما معنى كلمة (أُزَيْرِس) فلقد احتار فيها علماء المصريات، وذهبوا فيها كل مذهب، ووصلوا إلى عدة نتائج لكن لم تلق أي منها قبول الجمهور، حتى قال بعضهم أن الوصول إلى المعنى

الذي أراده واضعوا الاسم في العصور السحيقة، هو ضرب من المستحيل.

وقد صعّب من هذه المهمة عدة أمور من أهمها هو قِدَم عهد (أُزَيْرِس)، ونسيان المصريين أنفسهم معنى الاسم الأصلي كغيره من الأسماء القديمة لآلهتهم، والعامل الأهم عشق المصريين القدماء للعب بالألفاظ، مثل التحوير الطفيف لإعطاء معانٍ جديدة.

لقد قال (بلوتارخ) أن اسم (أُزَيْرِس) يعني "عديد الأعين"، ولكن الدارسون في العصور الحديثة حاولوا الوصول إلى معنى الاسم عن طريق تحليل الاسم إلى شقيه، فالاسم في أبسط صوره مكوَّن من رمزين اثنين: الأول هو صورة الكرسي أوالعرش، ثم الثاني وهو شكل العين، ثم المحدد اللفظي على شكل رجل ملتحي جالس، والتي تعني إله.



الشكل رقم (229) اسم أزيرس بالكتابة المصرية القديمة. الهيروغليفية.

لذا ذهب بعض علماء المصريات إلى أن (أُزَيْرِس) تعني ببساطة "عرش العين"، بمعنى "عرش رع"، أو "عرش الشمس"، وذهب أحد الدارسون إلى أن معنى اسم (أُزَيْرِس) هو " قوة العين" بمعنى "قوة رع"، فهو هنا يقول أن (أس) والتي يدل عليه رمز الكرسي تعني القوة.

ورأى البعض أن العلامة الكرسي الهيلوغرافية تعني كلمة (مكان)، وعلى ذلك يكون معنى كلمة (أُزَيْرِس) "مكان العين" أو "موضع العين" ”Place of the Eye“, وربما يكون المعنى المقصود "الذي في مكان رع، أو الذي في مكان الشمس".

ولكن ما المقصود بأن تكون مكان أوموضع (رع) أوالشمس؟ هل يكون معنى ذلك أن تكون في مكانه في السماء، بمعنى أن أن هذا الشخص ركب عربة الشمس بدلا من إله الشمس الباطل كما في أسطورة (فيثون) اليونانية؟

أم يكون المعنى المراد بأن تكون مكان رع هو أن تكون "نائبا" عنه؟ ربما يعضد ذلك أسطورة (أُزَيْرِس) في نسختها التي رواها (بلوتارخ)، فهي تجعل (إيزيس) تنوب عن زوجها في إدارة شؤون مصر في أثناء تطوافه بالعالم، فكأن الأسطورة تحاول أن تفسر إسمها (أست) - وهو الشق الأول من اسم (أُزَيْرِس) - "بالنائبة".

أم يكون معنى "مكان رع/الشمس" هو شيء آخر لم نصل إليه؟

في كتابه الهام "تفسير العلم الأعجمي في القرآن بالقرآن"، توصل أبو سعدة إلى كشف علمي هائل، وهو أن القرآن يفسر العَلَم الأعجمي في القرآن عن طريق الإشارة في السياق القرآني، وعندما جاء لتفسير معنى كلمة (عزير) القرآنية، فإنه قال أن (عزير) هو (عزرا) الكاتب، وأن القرآن أشار إلى ذلك في الآية التالية مباشرة في قوله:" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم..."، فقال أي أنهم اتخذوا (عزرا) وهو من أحبارهم ربًا، وقالوا عنه أنه ابن الله.

وفي رأيي أن أبو سعدة هنا قد **خالف** المنهج القرآني الذي اكتشفه هو نفسه، فالمنهج الذي توصل إليه يقول بأن القرآن يفسر معنى العَلَم (الاسم) الأعجمي، ولكن (أبو سعدة) هنا يقول أن القرآن يشير إلى أن (عزير) كان حَبرا من أحبار اليهود، وكلمة

"حَبر" ليست معنى لكلمة (عزير)، وإنما تدل لى علمه ومكانته، وفرق كبير بين الأمرين.

إننا لو استخدمنا المنهج القرآني لمعرفة معنى الاسم (عزير) في لغة القوم الذي أطلقوا هذا الاسم، وحاولنا أن نبحث في سياق الآيات فإنه لن يطول بنا البحث كثيرا، فسنعثر على كلمة (يضاهئون) في نفس السياق، وأرى أن القرآن بهذه الكلمة يشير إلى أن معنى كلمة (عزير)، فهو "مضاهئ العين"، بمعنى "مضاهئ الشمس".

وأرى أن تحليل دارسو علم المصريات الذين توصلوا إلى أن المعنى العام لاسم (أُزَيْرِس) هو "مكان العين"، بمعنى "مكان الشمس" هو تحليل صائب، غير أن المعنى الدقيق الذي أراده واضعو هذا الاسم منذ آلاف الأعوام فإنه مما لايعلمه إلا الله، وهو ما أشارت له الآيات، فـ "مكان الشمس" هنا أريد بها "مضاهئ الشمس".

أما (إيزيس) أو(أست)، فهي كلمة تعني ببساطة "المضاهئة"، وذلك في إشارة لأنها ألمع نجوم السماء، فكأنها تضاهئ الشمس، ولقد جاءت النصوص المصرية تذكر أن نجمة الشُعرى اليمانية هي "الشمس الثانية في السماء"[294].

وهذا يفسر لنا أيضا معنى كلمة عشتار فهي "مضاهئة العين"، بمعنى مضاهئة الشمس، لأنها ألمع جرم سماوي بعد الشمس والقمر.

أما لماذا أطلق الأوائل على (أُزَيْرِس) هذا الاسم، "مضاهئ الشمس"، فذلك لأن (أُزَيْرِس) مشى على طريق الشمس، فسافر على طول خط الاستواء، في اتجاه سير الشمس الظاهري، فوصل إلى مغرب الشمس، ثم عبر العالم السفلي، وهي الجهة الأخرى من العالم، حتى وصل إلى مشرق العالم، ثم عاد إلى مصر من جهة الشرق، ففعل مثلما تفعل الشمس فهو قد بلغ مغرب الشمس،

---

294 - موسوعة الحضارة المصرية.

ومطلع الشمس، ودار حول العالم من الغرب للشرق، فقالوا عنه أنه مساوٍ ومضاهئ للشمس.

وبجوار ذلك فإن (أُزَيْرِس) قد علّم البشر في أنحاء العالم الدين القويم والحضارة فكأنه شمس أشرقت على ليل الشرك والهمجية.

وفي كتاب الموتى نجد هذا النص: "تحية لك يامن تقف على رأس أهل الغرب، يا (ون نفر)، يارب الأرض المقدسة، إنك تتجلى أسوة برع...إن قرص الشمس هو قرصك، وأشعته هي أشعتك، وتاجه العظيم هو تاجه العظيم، وعظمته هي عظمتك، وإشراقاته الوضاءه هي إشراقاتك الوضاءه، وجماله هو جمالك، وهيبته هي هيبتك، وعبيره هو عبيرك، وامتداده هو امتداده، **ومقر إقامته هو مقر إقامتك، وعرشه هو عرشك**، وميزته هي ميزتك، وحليه هي حليك، وسيطرته هي سيطرتك، ومنطقته الخفية، هي منطقتك الخفية، وممتلكاته هي ممتلكاك، وحكمته هي حكمتك، وقدرته على التمييز هي قدرتك، من يحميه يحميك وبالعكس، ولن يموت كما أنك لن تموت، لا حاجة به لكي ينتصر على أعدائه، كما لاحاجة بك لكي تنتصر على أعدائك، لايمكن أن يحدث له مكروه، ولايمكن أن يحدث لك مكروه"[295].

[295] - كتاب الموتى صفحة 150.



الشكل رقم (230) الرسم المصاحب للنص السابق ويظهر المساواة بين روح (أُزَيْرِس) على اليمين وروح (رع) على اليسار.

إن هذه التسوية التامة بين (أُزَيْرِس) و(رع)، والتي وصلت إلى إطلاق لقب "التوأمين الإلهي" عليهما، أرى أنه ربما كان نتيجة لفهم لبعض الكهنة لمعنى اسم (أُزَيْرِس) على نفس الوجه التي توصلتُ إليه، "مضاهِئ رع"، أو"مضاهئ الشمس"، أو نتيجة لاطلاع واضعو كتاب الموتى على نصوص دينية أقدم لم تصل إلينا.

وربما يدعم هذا التفسير لكلمة (أُزَيْرِس) ما نسبه أحد الكتاب الرومان إلى هِرَكْلِيس من أنه وحده - **مثل إله الشمس الباطل-** رأى أرْضَيّ مغرب الشمس، ومشرقها، ومقريّ إقامة إله الشمس، فهنا ذكريات عن رجل وصل إلى مغرب الشمس ومشرقها، والنص يقرر **أنه لهذا السبب يشبه إله الشمس**، والجملة الأخيرة

تشير إلى الأصل المصري للفكرة، فلا يوجد لإله الشمس مقرَّين إلا في التراث المصري القديم[296].

ويدعم رأيي أيضا ما ذُكر عن (يِما) الملك البطل الأسطوري في التراث الفارسي، والذي يربطه تشابهات كثيرة مع (أُزَيْرِس) المصري، حتى أنه قيل عنه أنه **مشى على طريق الشمس**، هذا البطل لقَّبه الفُرس باللقب (هفارِ- دارِسا) وتعني "الذي يشبه الشمس" أو "شبيه/مضاهئ الشمس"[297].

وأرى أن هذا وجه من الإعجاز القرآني يتحدى علماء المصريات في تخصصهم، فالقرآن يشير إلى معنى اسم موغل في القدم، وذلك قبل فك شفرة اللغة المصرية القديمة بأكثر من ألف عام.

المبحث الخامس: (أُزَيْرِس) والرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه

إن أهم ما يميز عقائد المصريين وكذلك أهم ما يميز أسطورة (أُزَيْرِس) هو عقيدة قيام (أُزَيْرِس) من الموت، لقد أثَّرت هذه العقيدة القديمة في المصريين القدماء تأثيرا هائلا، حتى أنهم اعتقدوا منذ أقدم العصور في البعث بعد الموت اعتقادا جازما، لا نجد له مثيلا في العالم القديم.

بل يمكننا أن نقول أن هذه العقيدة أثّرت في الشعوب المجاورة؛ فنجد أن (دموزوي) في العراق القديم، و(بعل) في الشام القديم، و(أدونيس) في بلاد اليونان القديمة، كل منهم يموت ثم يبعث من جديد، مثل (أُزَيْرِس).

---

296 - http://www.theoi.com/Titan/HeliosGod.html

297 - Iranian Mythology Albert J.Carnoy

وهناك في القرآن قصة رجل يميته الله، ثم يبعثه مرة أخرى، تقول الآية: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[298].

ونقرأ في كتب التفسير روايات تقول أن هذا الرجل الذي أماته الله ثم بعثه هو (عُزير)، فهل يكون هذا الرجل هو (أُزَيْرِس)/(عزير)؟ ومن أدرى سلفنا الصالح (بأُزَيْرِس) وأسطورته؟

الرجل كان نبيا من أنبياء الله:

فلنبدأ بمحاولة دراسة الآية: إن البعض يقارن بين موقف هذا الرجل وبين موقف الملِك الذي حاجّ إبراهيم في ربه، حيث أن موقف الملِك ذُكر في الآية السابقة، كما أن الآية محل الدراسة تبدأ بحرف العطف (أو)، فكأنها معطوفة على ما قبلها.

ولكن الأصح - في وجهة نظري- أن نقارن بين هذه الآية والآية التي تليها، لا الآية التي تسبقها، تلك الآية التي تذكر طلب نبي الله إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[299].

---

[298] - سورة البقرة -260

[299] - سورة البقرة، الآية: 260.

فقول الرجل "أنَّى يُحي الله هذه بعد موتها" يعني بأي سبب وبأي طريقة، وهو يشبه تماما ما قاله ابراهيم عليه السلام: "رب أرني كيف تحيي الموتى".

كما أن السياق يؤكد إيمان الرجل، فهو يقول: "...يحي الله..."، "أعلم أن الله على كل شيء قدير"، وهذا يشبه إجابة ابراهيم عليه السلام على سؤال الله له: "أولم تؤمن"، حيث قال: "بلى...".

بل إن التشابه يمتد إلى الطريقة التي أرى الله بها لكل من الرجلين إحياء الموتى؛ ففي حالة الرجل فإن الله أراه نشز عظام حماره، ثم كسوتها لحما، ثم عودة الحياة للحمار، وفي حالة نبي الله إبراهيم عليه السلام، فإن الله أراه كيف أن الطيور التي ذبحها إبراهيم بنفسه، وفرقها فوق رؤوس الجبال، قد جمعها الله، وبعثها، وجاءته تسعى.

بل إن ظاهر الآيات يدل على أن هذا الرجل نبي من أنبياء الله، فالله يخاطبه، والرجل يجيب أسئلته، تماما مثل نبي الله إبراهيم في الآية التالية؛ ففي حالة الرجل:

- كم لبثت؟
- لبثت يوما أو بعض يوم.
- بل لبثت مائة عام، فانظر...
- أعلم أن الله على كل شيء قدير.

وفي حالة إبراهيم عليه السلام:

- رب أرني كيف تحيي الموت.
- أولم تؤمن؟
- بلى ولكن ليطمئن قلبي.
- فخذ أربعة من الطير، فصرهن...

كيف جعل الله الرجل آية للناس؟

يقول المولى عز وجل للرجل الذي أماته ثم بعثه: "...ولنجعلك آية للناس..."، والسؤال: **ما لنا لا ندري من يكون الرجل؟، ولماذا لا نجد ذكره في كتب أهل الكتاب؟**

لقد جاء التعبيران: "آية للناس"، و"آية للعالمين" في القرآن الكريم في معرض الحديث عن حدثين آخرين عظيمين: الأول هو سفينة نوح، ونجاة نوح ومن معه من الطوفان العظيم، والحدث الثاني: هو ولادة المسيح ابن مريم الإعجازية بدون أب.

ففي سورة العنكبوت: **"فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين"**[300]، وفي سورة مريم: **"قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس"**[301]، وفي سورة الأنبياء: **"وجعلناها وابنها آية للعالمين"**[302].

وهذان الحدثان منذ وقوعهما منذ آلاف السنين لقيا من الذيوع والانتشار مالم يلقه غيرهما من الأحداث، حتى أنك لو سألت رجلا في عصرنا حتى لو كان هندوسيا، أو بوذيا، أو ملحدا عن السفينة التي نُجّيَ ركابُها من الطوفان العظيم لقال لك إنها سفينة نوح، ولو سألته عن الطفل الذي ولد من أم بغير أب، لقال لك إنه المسيح ابن مريم.

لذا فإنه يجب علينا عندما نحاول تحديد شخصية الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، أن نبحث عن رجل ذاعت شهرته، وتناقلت الشعوب قصته بأنه مات ثم بعث من موته، وتكون قصته في شهرة سفينة نوح، وولادة المسيح ابن مريم.

ونحن إذا ذهبنا فسألنا عن أشهر من ذاعت قصة موته وبعثه بين العالمين، لكان الجواب هو **(أُزَيْرِس)** بلا ريب.

---

[300] - الآية رقم 15.

[301] - الآية رقم 21.

[302] - الآية رقم 91.

ويتفق هذا مع ما أخبر به أهل التفسير من أن الرجل التي تحدثت الآية هو (عُزير)، خصوصا بعد أن أثبتنا أن (عزير) هو (أُزَيْرِس).، والسؤال الذي يثور الآن: هل تتفق تفاصيل موت الرجل وبعثه في الآية مع تفاصيل موت (أُزَيْرِس) وبعثه؟

الحقيقة أن الإجابة على هذا السؤال هي بالنفي؛ فأسطورة (أُزَيْرِس) كما رواها (بلوتارخ) تقول أن (أُزَيْرِس) قد قتله أخوه (سِت) بأن وضعه في صندوق، وأغلقه عليه، ثم ألقى الصندوق في النيل، واستطاعت (إيزيس) أن تعيد الجثة إلى مصر وأن تُعيد إليها الحياة، لكن (ست) وجدها، ومزقها إلى أربعة عشر جزءا، وبعثرها في ربوع مصر، ولكن استطاعت (إيزيس) تجميع الأجزاء، واستطاعت عن طريق السحر إعادة الروح لجسد (أُزَيْرِس)، وتقول بعض المصادر المصرية القديمة أن (أُزَيْرِس) غرق، أو أُغرق في النيل، وتقول أن الموتى يبعثون من جديد عندما يصلون أو تصل أرواحهم إلى مشرق الشمس، بعد عبورهم للعالم السفلي.

وهذه التفاصيل كما هو واضح تختلف كليا عن تفاصيل موت الرجل "الذي أماته الله مائة عام" وتفاصيل بعثه في الآية الكريمة.

العثور على نص يصف موت (أُزَيْرِس) وبعثه:

غير أنني وجدت في نصوص الأهرام - وهي أقدم النصوص الجنائزية المصرية- ملامح لموت وبعث قريبة من قصة الرجل في القرآن.

ففي المنطوقة رقم 373 من نصوص الأهرام يقول الكاهن:

- **ليقال أقم نفسك (أيها الملك).**
- **استلم رأسك، ضم إليك عظامك.**
- **اجمع أطرافك.**
- **انفض التراب عن لحمك.**
- **خذ رغيفك الذي لا يتعفن، وجعتك التي لا تُنتن.**

وصحيح أن المخاطب هنا هو الملك المتوفى، غير أن هذا ينبئنا عن طريقة موت (أُزَيْرِس) وبعثه، حيث أن الكهنة في طول النصوص وعرضها يحاولون تشبيه الملك المتوفى (بأُزَيْرِس).

ولقد لفتت هذه الأسطر نظر علماء المصريات، وقالوا أن نصوص الأهرام جمعت الحديث عن مصير أناس قدماء أقل شأنا من الملوك، فالملوك كانوا يُحَنَّطون فلا تتفرق عظامهم ولايبلى لحمهم، كما أنهم كانوا يُدفنون في توابيت فخمة تحفظ جثثهم بعيدا عن التراب.

وأرى أن هذا "المصير المتواضع" كما سمَّاه علماء المصريات هو حقيقة ما حدث (لأُزَيْرِس)، وليس الموت في صندوق أو الغرق في النيل، حيث أن هاتين الفكرتي الأخيرتين قد تكونان متأثرتان بشكل برج الجبار، وعلاقته بشكل المجرة في السماء، كما سأوضح فيما بعد.

ومما يقوي رأيي هذا ما نجده في نصوص الأهرام المنطوقة رقم 553 في السطر 1368: **"اجعل هناك من يعمل له [أي للملك] مافُعل لأبيه أُزَيْرِس في يوم جمع العظام."**

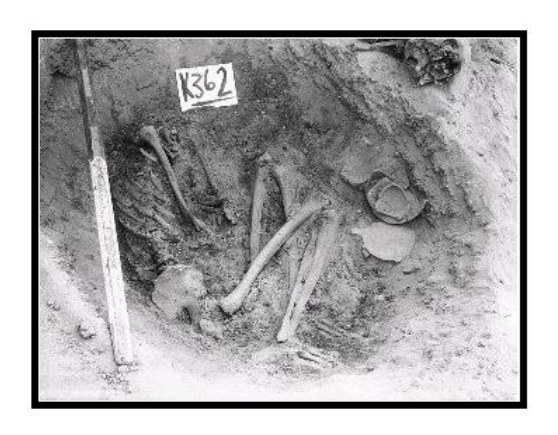
وهذا صريح في أن (أُزَيْرِس) قد تفرقت عظامه، ويؤكد أنه هو من تم جمع عظامه، وكسوتها باللحم، ولم يتسنّ طعامُه ولاشرابه.

أما الرغيف الذي لايتعفن والجعة التي لاتنتن، فالتشابه بينها وبين نص القرآن لافت للنظر، حيث يقول القرآن: "فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ".

ورغم أن مترجم النص قد وضع الفعل في قوله "لايتعفن – لاتنتن" في صيغة المضارع، فأرى أن ربما يكون هذا من ترجيحه، حيث أنه من الصعوبة بمكان تحديد زمن الفعل في اللغة المصرية القديمة، وأرى أنها يجب أن تترجم في صيغة الماضي هكذا:

- خذ رغيفك الذي لم يتعفن، وجعتك التي لم تنتن.

كما يفسر هذا الاعتقاد –وهو الاعتقاد بأن طعام (أُزَيْرِس) وشرابه لم يتسنَّه- حرص المصريين منذ أقدم عصورهم على وضع الطعام والشراب مع الموتى، وهي الشعيرة التي حيَّرت الدارسين.



الشكل رقم (231) عظام متفرقة في التراب، وآنية للطعام والشراب، في قبر من عصر ماقبل الأسرات.

(تيمة) الحمار:

من أهم الملاحظات على آية الرجل الذي أماته الله مائة عام أن الرجل كان معه حماره، وأن الحمار مات وتفرقت عظامه، وأن الله بعد أن أحيا الرجل، فإنه أراه كيف يُحي الموتى بأن أحيا الحمار أمامه.

وفي العصور التاريخية لمصر القديمة لانجد علاقة بين الحمار أو رمز الحمار من جهة، والمتوفى أو بعثه من جهة أخرى، بل إن الحمار صار رمزا للإله الباطل (ست) رمز الشر، وهذا يمثل إشكالية، وهي أنه مادام المتوفى المصري يشبَّه (بأُزَيْرِس)، ومادام (أُزَيْرِس) هو نفسه الرجل الذي أماته الله مائة عام، فكان

لابد أن يكون للميت علاقة بحمار، أو رمز للحمار كما هو الرجل المائت مائة عام .

غير أني عثرت على صلة بين الحمار والمتوفى، فعندما اكتشف العلماء قبور الأسرة الأولى والثانية عثروا على جثث لحمير قد دفنت في رفقة الملك المتوفى، وهكذا تكون اكتملت الصورة، فالملك في الأسرة الأولى والثانية يدفن وبجواره طعامه وشرابه، وكذلك يدفن بجواره حميرا، وذلك تشبها بالرجل الذي أماته الله مائة عام، والذي ذكره القرآن، وهذا يؤكد أن هذا الرجل لم يكن سوى (أُزَيْرِس) أو عزير.



الشكل رقم (232) حمير أبيدوس المدفونة في قبر من الطوب اللبن.

وهكذا يتضح لنا إعجاز تاريخي للقرآن الكريم في هذه الآية، ففيها يصحِّح القرآن لكهنة المصريين القدماء الذين عاشوا قبل نزول القرآن بثلاثة آلاف عام، يصحح لهم قصة موت وبعث (أُزَيْرِس)/عزير، ويصحح أيضا ذلك لعلماء المصريات، ويفسر لهم عقيدة المصريين الراسخة في البعث بعد الموت.

ومما نستفيده في هذه النقطة من البحث أن المائت مائة عام خاطبه الله وخاطب الله، وعلى ذلك فالظاهر أنه نبي من الأنبياء، وهذا يعزز أن يكون هو نفسه ذا القرنين.

بل يمكنني القول أن المائت مائة عام وذا القرنين هما الشخصيتان اللتان لا ثالث لهما في القرآن اللذان يخاطبهما الله ويجيباه ولم يُصرّح بنبوتهما، وهذا يقوي ما ذهبت إليه.

المبحث السادس: عودة لأسطورة (أُزَيْرِس)

أولا: موت (أُزَيْرِس):

في موت (أُزَيْرِس) وبعثه توجد فروق بين الرواية اليونانية، وبين الرواية المصرية، وبين الروايتين من جهة والرواية الأقدم الموافقة لرواية القرآن من جهة أخرى، والسؤال لماذا هذا التباين، وما أصل هذه الروايات المختلفة؟

أما فكرة قتل الإله الباطل (سِت) (لأُزَيْرِس) فمصدرها أمران الأول عداوة (سِت)/الشيطان (لأُزَيْرِس)/النبي، كذلك لتجاور البرجين برج الجبار الذي يمثل (أُزَيْرِس)، وبرج ابن آوى/برج الثور[303] الذي يمثل الإله الباطل(سِت)، وهذا ما جعل فكرة القتل تظهر.

أما طريقة الموت التي ظهرت في الرواية اليونانية، وهو الحبس في صندوق، وإلقائه في نهر النيل، فأراها مأخوذة من شكل برج الجبار، وعلاقته بالمجرة، فالبرج يبدو وكأنه صندوق به رجل، ويبدو وكأنه صندوق عائم على وجه النهر/المجرة، ومن

---

[303] - أرى أن قدماء المصريين في عصور ما قبل التاريخ كانوا يرون في نجوم برج الثور شكل حيوان ابن آوى بدلا من شكل الثور والذي شاع بعد ذلك، وحيوان ابن آوى هو الحيوان الذي اعتبرو أنه الإله الباطل ست، وأنه في حرب مع برج الجبار الذي تصوروه على هيئة رجل وأنه هو أزيرس، أو حورس.

المعروف أن المصريون القدماء اعتبروا المجرة هي نهر النيل في السماء.

أما طريقة موت (أُزَيْرِس) الأقدم، وهي الموت غرقا مباشرة في النيل، والتي نجدها في نصوص الأهرام وحجر (شباكا)، فترجع إلى تصور برج الجبار وكأنه جثة غريق تطفو فوق سطح النهر/المجرة وسأزيد الأمر توضيحا في نهاية هذا الباب.

ثانيا: بقية أسطورة (أُزَيْرِس):

يخبرنا (بلوتارخ) أن النيل أخذ صندوق (أُزَيْرِس) إلى البحر المتوسط، وأرى أن هذه الفكرة منحدرة من إبحار (أُزَيْرِس) الذي سافر فيه حول العالم بواسطة قاربه؛ فمن المنطقي أن يبني (أُزَيْرِس) قاربه في النيل، ثم يبحر به مع تيار النهر إلى البحر المتوسط، ومنه ينطلق إلى مغرب الشمس، وربما استمدت الفكرة من شكل برج الجبار الذي يمكن تصوره على هيئة صندوق عائم على سطح نهر المجرة.

أما بحث (إيزيس) عن (أُزَيْرِس)، فهو محض اختلاق لبناء الحبكة الدرامية، أما عثور (إيزيس) على التابوت في ميناء (جبيل)، فأراه منحدرا من أسطورة لقاء (أُزَيْرِس) بكوكب الزهرة في أقصى شرق العالم، أو مشرق الشمس، فلقد تصوَّر القدماء أن من يذهب إلى مشرق الشمس يستطيع أن يقابل الشمس أو إله الشمس الباطل، وكذلك كوكب الصبح (الزهرة)، أو ربته الباطلة[304].

أما عثور (إيزيس) على الصندوق الذي به الجثة، وأن الصندوق صار داخل شجرة وأن حاكم المدينة قد أخذ الشجرة وجعلها عمودا في قصره، فربما تكون محاولة من الكهنة المتأخرين لتفسير تعظيم المصريين القدماء للصنم (جد)، وهو على هيئة عمود، واعتقادهم أنه نفسه (أُزَيْرِس).

---

304 - جاء ذلك المعنى في نصوص الأهرام عن حورس.

أما عودة (إيزيس) بالجثة، فهو تحريف لعودة (أُزَيْرِس) وهو حي من مشرق الشمس بعد إتمام رحلته، أما عثور (ست) على الجثة وتمزيقها إلى أربعة عشر قطعة، وتوزيعها على مقاطعات مصر، فمن الواضح أنها مفتعلة لتفسير وجود أضرحة في كل مقاطعات مصر (لأُزَيْرِس) أولأجزاء من جثته، وربما استفاد واضع تلك الجزئية من النصوص الأقدم التي يفهم منها أن عظام (أُزَيْرِس) قد تفرقت.

كذلك فإن فكرة جمع أعضاء (أُزَيْرِس) وإعادته للحياة، تستلهم من جمع عظام (أُزَيْرِس)، وكسوة العظام لحما، ثم إعادة الروح إليه، والذي حدث حقيقة منذ آلاف السنين.

ثالثا: هل صعد (أُزَيْرِس) إلى السماء؟

تقول الأسطورة كما ذكرها (بلوتارخ) أنه بعد أن عادت الروح (لأُزَيْرِس)، وبعث من موته فإنه بدلا من أن يحكم مصر مرة أخرى، ويسترد عرشه المغتصب من (سِت)، فإنه ذهب إلى مملكة الموتى، ليحكم هناك كملك، والسؤال كيف تطورت الأسطورة حتى وصلت إلى هذا الشكل؟

الذي يُفهم من النصوص المصرية أن (أُزَيْرِس) هو (خنتي أَمِنْتيو)، أي أول أهل مغرب الشمس، وبتفسير المصريين القدماء الخطأ - ومن بعدهم علماء المصريات- يعني ذلك (رئيس الموتى)، ورغم أن كهنة طيبة قد جعلوا (الدوات) هي المسافة الفاصلة بين المغرب والمشرق، وهي المنطقة التي تمر بها الشمس بين غروبها وإشراقها في كل ليلة، وهي بذلك تكون العالم السفلي، رغم ذلك فإن نصوص الأهرام جاءت تؤكد أن (الدوات) يقع في السماء[305].

وسبب ذلك في رأيي هو أنه كان عند المصريين القدماء نصوص تؤكد **أن (أُزَيْرِس) قد صعد إلى السماء**، ففي نصوص

[305] - الفقرات 610، 437، 271، 568.

الأهرام: " لتقال هذه الكلمات: آلهة الغرب، آلهة الشرق، آلهة الجنوب، آلهة الشمال، هذه الأطراف السماوية -أو النقية- التي وضعتوها لأُزَيْرِس عندما **صعد إلى السماء"**[306]، وهناك أيضا: "ليقال السموات تتحدث، الأرض تتزلزل خوفا منك ياأُزَيْرِس عند **صعودك"**[307]، وكذلك **"عندما يصعد [أُزَيْرِس] فإنه يذهب إلى السماء بين إخوته الآلهة"**[308].

وهناك دليل آخر على عقيدة صعود (أُزَيْرِس) إلى السماء، هذا الدليل هو تلك النصوص التي تتحدث عن صعود الملك المتوفَّى إلى سماء النجوم، والتي نجدها في نصوص الأهرام، ويبدو أنه نوع من تمني الكهنة للملك المتوفى مصيرا مشابها لمصير (أُزَيْرِس).

كما يدعم ذلك ما قاله (ديودور) الصقلي عن (أُزَيْرِس): "وبسبب عظمة أعماله الخيرة فلقد تلقى عطية الخلود، بموافقة كل البشر، وبتمجيد مساو للتمجيد الذي يقدم **للآلهة في السماء**. وبعد ذلك فإنه انصرف من وسط الناس وذهب إلى **صحبة الآلهة**..."، ومعنى أن (أُزَيْرِس) ذهب إلى صحبة الآلهة التي في السماء أي أنه صعد إلى السماء، والنص مشابه لنص ذكرناه من نصوص الأهرام.

أما علاقة (أُزَيْرِس) بعالم الموتى أوالعالم السفلي، فلاتعدو أن تكون تحريفا لرحلة (أُزَيْرِس) إلى مغرب الشمس، ومروره بالجهة المقابلة لنا من الكرة الأرضية. ولقد خلط الكهنة بين موته وبعثه من جهة، ورحلته وتعذيبه لكافري مغرب الشمس من جهة أخرى، فلقد اعتبرو مغرب الشمس هي أرض الموتى، وأن الغربيون هم الموتى، وأن قضاء (أُزَيْرِس) بين أهل مغرب الشمس هو قضاء بين الموتى، وأن تعذيبه لبعضهم بالنار هو

---

[306] - الفقرة 303 السطر 464.

[307] - الفقرة 353.

[308] - الفقرة 337.

تعذيب الموتى الأخروي بذنوبهم، وإحسانه للمؤمنين من أهل مغرب الشمس هو تنعيمه للموتى الأبرار أو إدخالهم جنة الخلد.

وفي النهاية يمكننا أن نقول أن (أُزَيْرِس) كان نبيا ملكا على مصر، وأن الله أماته مائة عام ثم بعثه، فكان ذلك إحدى معجزاته، وأنه آمن به شعب مصر واتبعوه فعلمهم الدين الصحيح، وعلمهم الشريعة، كما علمهم أصول الحضارة، ومن أهمها هندسة الري والزراعة، ثم استقل قاربه وطاف العالم يعلِّم الناس في كل مكان الإسلام والحضارة، فوصل إلى (الأنديز) ثم عبر المحيط الهادي فوصل جزيرة (غينيا) الجديدة، ثم وصل إلى حوض (سيستان)، حيث بنى السد، وأخيرا عاد إلى مصر من البحر الأحمر، ثم رفعه الله إلى السماء في مصر، ولما مرت آلاف السنين، تحرف الدين وتحرفت معه قصة (أُزَيْرِس) إلى الشكل الذي وصل إلينا.

الفصل الثالث

أصداء (أُزَيْرِس)

أصداء (أُزَيْرِس) هي شخصيات من الآلهة الباطلة أوالأبطال الأسطوريين، اشتهرت عند الأمم المختلفة سواء القريبة منها من مصر أوالبعيدة، وهي شخصيات إما مشتقة مباشرة من شخصية (أُزَيْرِس) المصرية، أو أنها شخصيات أصيلة عند أقوامها غير أنها اكتسبت صفات (أزيرية) مع مرور السنين حتى غلبت عليها. أما فائدة ذكر طرف من هذه الشخصيات فهو التأكيد على أن (أُزَيْرِس) لم يكن إلا ذو القرنين، ذلك النبي العظيم، وأن الرحلة التي قام بها (أُزَيْرِس) هي نفس رحلة ذي القرنين، كما تدل هذه الدراسة على عظم تأثير المصريين في شعوب العالم، وانتشار قصة ذي القرنين وتحولها إلى أساطير عديدة.

المبحث الأول: المجموعة المصرية:

أولا: (حورس):

يقول دارسو علم المصريات أن المصريين القدماء قد عبدوا الإله الباطل (حورس) على هيئة الصقر منذ أقدم عصورهم، كما يخبروننا أن (حورس) لم يكن إلها واحدا بل كان آلهة (حورس) عديدة، وأنه كان من أشهرها: (حيرو- خوتي)، و(حيرو- بي

خارت)، (حيرو- ميرتي)، و(حيرو- أن- موتع- إف)، و(حيرو- نوب)، و(حيرو- ختتي- خا)، و(حيرو- سما- تاوي)، وغيرها[309].



وفي نصوص الأهرام نجد نصا هاما يتكرر عدة مرات، وهو يفيد أن هناك عوامتين من البوص يُعدَّان (لرع)/الشمس لينتقل إلى جبل (الأَخِت)، وهناك عوامتين من البوص مماثلتين تُعدَّان (لحورس)، لكي يصل إلى جبل (الأَخِت) مثل (رع)/الشمس، وهناك عوامتين من البوص أخرتين تُعدَّان للملك ليصل بهما إلى جبل (الأَخِت)، مثل (حورس)[310].

الشكل رقم (233) حورس عند المصريين القدماء.

وأرى أن النص السابق هو بقية ذكريات عن رحلة ذي القرنين، (فحورس) يسافر إلى جبل (الأَخِت)، الغربي ثم الشرقي مثل (رع)/الشمس، والمتوفَّى **لا يقلد (رع)**، وإنما يقلد (حورس) فيذهب إلى جبلي (الأَخِت).

وربما يثور السؤال التالي ألم تقل قبلا أن (أُزَيْرِس) هو ذو القرنين، فكيف يكون حورس - وهو ابن (أُزَيْرِس)- هو أيضا ذو القرنين؟

الحقيقة أن هناك رأي بين الدارسين يقول بأن بنوة (حورس) (لأُزَيْرِس) هي **بنوة مفتعلة**، وأنهما في حقيقتهما شخصية واحدة، وأن هذا الشكل الذي وصلنا للعلاقة بينهما هو محاولة للتوفيق بين معتقدات كهنة (حورس)، ومعتقدات كهنة (أُزَيْرِس).

---

[309] - والاس بدج، آلهة المصريين.

[310] - الفقرات 263، 264، 265، 266.

وأنا أؤيد على هذا الرأي، وأرى أن الشخصيتين (حورس) و(أُزَيْرِس) منحدرتين من شخصية ذي القرنين، وربما كان كل من (حورس) و(أُزَيْرِس) **لقبين** لنفس الشخص، ومع مرور الدهور الطويلة تمت عبادتها على أنهما إلهين مختلفين في مدينتين مختلفتين، ونسى الكهنة أنهما لقبان لنفس الشخص، وعندما بدأت محاولة توحيد الديانة بعد توحيد البلاد، فإنه كان لزاما التوفيق بين الإلهين الباطلين، فتم اعتبار (حورس) ابناً (لأُزَيْرِس)، وربما مما أوحى للكهنة بتلك الطريقة في التوفيق هو أن (إيزيس) - وهي على ما يبدو ربة باطلة شديدة القدم- اعتبرها كهنة (أُزَيْرِس) أنها أخت (أُزَيْرِس) وزوجته، بينما اعتبرها كهنة (حورس) أنها أم (حورس).

ورغم ذلك بقيت بعض النصوص والمعتقدات تدل على الأصل، وهو أن (حورس) هو نفسه (أُزَيْرِس)، فمثلا كان هناك إله (حورس) باطل يُعتقد أنه ابن لـ (حتحور) و(رع)، وفي أسطورة (أُزَيْرِس) نفسها نجد شخصية (حورس) الكبير، وهو ابن (جب) و(نوت)، وهو أخ (لأُزَيْرِس) و(إيزيس)، وليس ابنا لهما.

كما يقوي ذلك أن (حيرو بهوت) - وهو أحد آلهة الحورس الباطلة- تم تعريفه في أحد أشكاله (بأُزَيْرِس)[311]، كما جاء في أحد النصوص أن (أُزَيْرِس) يُعبد خارج مصر باسم (حورس)، ولقد كان هناك مجموعات من اليونانيين في العصور المتأخرة تعتبر (حورس) و(أُزَيْرِس) معبودا واحدا.

ويلفت انتباهنا لقب أحد آلهة (الحورس) الباطلة، وهو المسمى بـ"حور أختي"، وتعني حرفيا "حورس ذو جبلي الأَخِت"، ولما كنا قد توصلنا إلى أن المصري القديم قد أطلق على كل من جبلي (الأَخِت) اسم القرن، فعلى ذلك يكون اللقب "حور أختي" مساو في المعنى لـ "حورس ذي القرنين".

---

311 - والاس بدج آلهة المصريين ص 572.

وهناك أحد آلهة (الحورس) الباطلة يسمى "حور- سما تاوي"، وتعني "حورس موحد الأرْضَيْن"، ويقول علماء المصريات أن الأرضين المقصودين هما الصعيد والدلتا، أو مصر العليا، ومصر السفلى كما كان يطلق عليهما، غير أنني وجدت من الأدلة ما يؤكد أن المقصود بالأرْضَيْن هو مغرب الشمس ومشرق الشمس[312]، والوحيد الذي وحَّد بين هاتين الأرْضَيْن هو ذو القرنين، فهو الذي ذهب إلى هاتين البلدين البعيدتين، وعلَّم الناس كيف يبحرون إليها.

ولقد ربط المصريون القدماء بين (حورس) وبين القوة الحربية والقتال، فنسبوا إليه هزيمة أعداء أبيه (رع)، باسم الإله الباطل (حيرو- أور)، كما نسب إليه أيضا هزيمة (سِت) وأتباعه من أعداء (رع)، تحت اسم (حيرو- بهوت)، وفي أسطورة (إيزيس) و(أُزَيْرِس)، هزم (حورس) ابن (إيزيس) عمه سِت انتقاما لأبيه، ولكي يسترد عرش مصر.

وأرى أن هذا كله منحدر من قصة تعذيب ذي القرنين لكفار مغرب الشمس المتمردين على الإله، وأن هذا هو الجزء الذي اهتم به كهنة (حورس)، وطوروه، فأعطى (لحورس) شخصيته المستقلة عن شخصية (أُزَيْرِس).

الملك المصري الأسطوري (سيزوستريس):

يحدثنا (هيرودت) عن ملك مصري قديم يطلق عليه (سيزوستريس)، ويقول أنه أبحر في البحر الأحمر - الذي يشمل البحر الأحمر الحالي والمحيط الهندي- حتى وصل إلى حيث لا يمكن الإبحار، وأنه قاد جيشه حتى غزا أوربا وبلاد شمال

---

[312] - من هذه الأدلة أن اليونانيين القدماء فهموا أن كلمة الأرضين تعني العالم كله، فهي في ذلك تشبه تعبير المشرق والمغرب في اللغة العربية، كما أنه من الأدلة علاقة وثيقة بين الدلتا ومشرق الشمس،وعلاقة وثيقة بين الصعيد ومغرب الشمس، وهاتين العلاقتان قديمتان ترجعان إلى فترة ما قبل التاريخ.

القوقاز، وهناك أخضع قبائل (السكيث) الهمجية، وأنه هو الذي أمر بشق الترع الكثيرة التي رآها (هيرودت) في مصر.

وعلماء التاريخ المصري يرون أن (هيرودت) يخلط بين عدة ملوك مصريين، ربما بين (سنوسرت)، و(رمسيس) الثاني.

وأرى أن هناك بعض التفاصيل مأخوذة من قصة (أزيرس)/ذي القرنين الحقيقية، مثل الأمر بشق الترع الكثيرة لري الأراضي البعيدة عن نهر النيل، ومثل الإبحار بالسفن حتى الوصول لنهاية العالم، والذهاب لمنطقة وسط آسيا.

المبحث الثاني: المجموعة العراقية

(نينورتا):

(نينورتا) هو أحد أهم الآلهة الباطلة التي عبدها العراقيون القدماء -وهم خاطئون-، وهو إله باطل له أوجه عديدة، وقد تطرقت في الباب الأول لأسطورة معاركه مع وحش الجبل المسمى (بالأساج)، ومع سكان الجبل، وتوصلتُ إلى أن النص ينقل لنا صورة تعذيب سكان الجبل بإثارة الجبل البركاني عليهم، وأن السبب المُعلن هو تمردهم على الآلهة.



الشكل رقم (234) (نينورتا) كما تخيله العراقييون القدماء.

وقلت أن هذه الطريقة في التعذيب، وهذا السبب المعلن للتعذيب يشابهان إلى حد بعيد طريقة وسبب تعذيب (أُزَيْرِس) لكفار مغرب الشمس، وقلت أن الأسطورتين تتشابهان مع قصة تعذيب ذي القرنين لكفار مغرب الشمس، وذلك لدرجة أنه يمكننا أن نقول أن كل من الأسطورتين المصرية والعراقية منحدرتين من قصة ذي القرنين.

وفي الباب الثاني تحدثت عن ما جاء في نفس النص عن بناء (نينورتا) لجدار أو سد في أقصى شمال البلاد، ليحمي جبهة البلاد، وقلت أن هذا يشبه ما فعله (أُزَيْرِس) حسب ماجاء في نص حجر (شباكا)، وهو يشبه أيضا ما قام به ذو القرنين في قصته القرآنية.

والآن سوف أتحدث عن باقي خصائص (نينورتا)، والأعمال التي نسبت إليه، والتي تؤكد علاقته (بأُزَيْرِس)، وكذلك انحداره من شخصية ذي القرنين.

(نينورتا) ذو القرنين:

في النصوص التي وصلتنا عن (نينورتا) نجد أن الشاعر يقول أن (لنينورتا) قرنين، وصحيح أن هذا يأتي في سياق النص، ويوحي بأنه كان نوعا من تمجيد (نينورتا) ومدحه، إلا إننا إذا ضممنا إليه ما توصلنا إليه حول (نينورتا)، وشبهه بذي القرنين وأعماله، لفهمنا أن هذا الوصف لم يكن مصادفة، بل هو مستمد - على ما يبدو لي- من لقب قديم (لنينورتا).

يقول نص ملحمة "(نينورتا) والجبل" عن (نينورتا): **"البطل ذو القرنين المبسوطين كقرني هلال"**[313], وفي نشيد آخر وهو "عودة (نينورتا) لمدينة نفر" يقول النص عن (نينورتا): "أيها الثور ذو القرنين الرهيبين يابن إنليل إنك أطحت بالجبل"[314] .

[313]- ديوان الأساطير قاسم الشواف الكتاب الثالث ص 65 السطر رقم 143.

[314] - ديوان الأساطير قاسم الشواف الكتاب الثالث ص 114 السطر رقم 110.



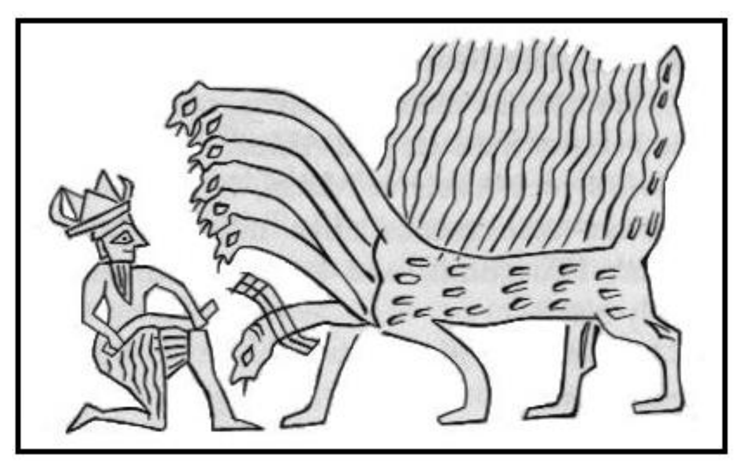
وفي لوحة (نارام سين) نجد أن الفنان يشبه الملك القديم (نارام سين) (بنينورتا) في انتصاره على أعدائه، ونجده يصور (نارام سين) وعلى رأسه خوذه يخرج منها قرنان عظيمان، ويقول الدارسون أنها أول مرة يُشبَّه فيها الملك بالآلهة، ولكني أراه تشبيها (لنارام سين) (بنينورتا) تحديدا، وأن هذا هو فهم الفنان للقب "ذي القرنين" الذي أُطلق على (نينورتا).

الشكل رقم (235) (نارام سين) يضع القرنين تشبها (بنينورتا) الأرجح.

وربما يدعم ذلك الرسم الذي عُثر عليه في العراق ويرجع تاريخه لما يقرب من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، ويصور (نينورتا) وهو يقاتل التنين ذو الرؤوس السبعة[315]، ويلفت انتباهنا أنه يرتدي قبعة أو تاج يخرج منه قرنان، وربما يرجع هذا للقب قديم (لنينورتا) بأنه ذا القرنين.

---

315 - http://www.redmoonrising.com/Giza/raiders3.htm



الشكل رقم (236) (نينورتا) يرتدي القرنين ويقاتل التنين ذا الرؤوس السبعة.

اسم (نينورتا):

أما معنى اسم (نيورتا) فهو "سيد الأرض"، وهذا يذكرنا بنص (بلوتارخ) عن (أُزَيْرِس)، فلقد ذكر أنه عند ولادة (أُزَيْرِس)، "أُعلن أن سيد الجميع قد جاء إلى الدنيا"[316].

و(نينورتا) هو الاسم السومري لهذا الإله الباطل، أما الاسم العربي الأكادي فهو (أدار)، والذي يعني **العالي المرتفع**، وهو يذكرنا باسم حورس الذي يعني"الذي هو فوق".

الدور الحضاري الزراعي (لنينورتا):

نسب العراقيين القدماء إلى (نينورتا) دور حضاري هام، وخصوصا في مجال الري والزراعة، فالنصوص تخبرنا أن (نينورتا) هو الذي علم الناس صناعة الفأس، والمنجل، والقفة،

---

316 -
http://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Plutarch/Moralia/Isis_and_Osiris*/A.html

والمحراث، وتخبرنا أيضا أن المياه كانت موزعة في حوض العراق، فهناك أراضي غارقة في الماء، وأراض أخرى لاتصلها المياه، فقام (نينورتا) ببناء السدود، وتصريف الماء الزائد، ومشاريع ري لجمع المياه وتوصيلها إلى الأنهار.

تقول النصوص عن المراحل المبكرة من التاريخ قبل (نينورتا):

- ومِن قِبَل (نينجرسو) [وهو اسم آخر لنينورتا] فلا الفأس، ولا المعزق.
- ولاالقفة ولاالمحراث التي من شأنها إحياء الأرض.
- لم تكن كذلك وضعت بيد الجمهور الذين خلفوا البشرية البائدة[317].

فالذي يفهم من النص السابق أن (نينورتا) هو من اخترع الفأس، والمعزق، والقفة، والمحراث وأعطاها للبشر.

وفي نفس النص "الزراعة بعد الطوفان" نقرأ:

- ولما كانت لغش [مدينة في العراق القديم] ينقصها الماء آنذاك.
- فإن المجاعة انتشرت في جيرسو[مدينة].
- لأنه لم تكن الأقنية قد حُفرت بعد.
- ومجاري الري لم يكن يتم تنظيفها.
- ولاالشادوف كان يروي الأرياف الفسيحة.
- وحتى لو كان الماء متوافرا بكثرة، فلم يكن يستخدم في ري الحقول.
- لأن البشر كانو يعتمدون فقط على مياه الأمطار[318]

وهذا النص واضح وصريح في أن البشر كانوا يعتمدون في ريّ زراعاتهم على مياه الأمطار، فبالرغم من وجود الأنهار، إلا

---

[317] - ديوان الأساطير قاسم الشواف الكتاب الثالث صفحة 44.

[318] - نفس المصدر السابق.

أنه لم هناك تقنية استغلال مياه النهر، وكذلك تقنية الأدوات الزراعية.

وفي نص (نينورتا) والجبل يحكي لنا واضعوا النص عن الزراعة قبل (نينورتا) وكيف طوَّرها (نينورتا)، يقول النص[319]:

- وإذا كانت المياه المُحيية في ذلك الزمان لم تخرج بعد من الأرض.
- ولكن بتحولها إلى ثلوج متراكمة كانت تخدد الجبل في ذوابانها.
- وكذلك كان آلهة البلاد مضطرين للعمل الجبري.
- وكان عليهم - تلك كانت سخرتهم-
- حمل الفأس والقفة.
- لأنه من أجل ضمان الإنتاج لم يكن هناك عمال آخرون لتشغيلهم.
- وفي أعلى منسوب له لم يكن بعد نهر دجلة يضخم للفيض أمواجه.
- ولأنه لم يكن بعد يصب في البحر، ولم يكن يسكب فيه ماؤه العذب.
- لم تكن هناك محاصيل تحمل على أرصفته.
- وقاسية كانت المجاعة، لأن لاشيء كان بعد ينتج.
- لاأحد كان ينظف الأقنية، ولاأحد كان يستخرج منها الحمأة.
- وبسبب **فقدان التقنية** كانت الأرض المزروعة مشبعة بالماء.
- ولم يكن هناك شعير (ينبت) إلا مبعثرا، ولم تكن تشق الأثلام.
- وهذا الذي من أجله أعمل الإله [أي نينورتا] ذكاءه:

---

319 - قاسم الشواف، ديوان الأساطير، الكتاب الثالث السطر334 إلى السطر 359.

- فباشر بتحقيق الأعاجيب.
- ثم كدّس الأحجار في الجبل.
- ومادا ذراعيه مثل سحابة سميكة تجتاز السماء.
- أقفل جبهة البلد بمثل جدار شامخ.
- وأقام سدا في أقصى الأفق.
- وبالمهارة القصوى زود بالسدود الحامية المدن كلها.
- حابسا المياه المتدفقة بجوانب من الصخور.
- فلم تعد بعد ذلك ترتفع من البلاد المسطحة نحو المرتفعات.
- ثم جمع ما كان مشتتا من
- المياه الموزعة على بحيرات في الجبل.
- مزجها جميعا وجعلها تنصب في دجلة.
- بغية إرواء الأرض الزراعية التي تغمرها الفيضانات الربيعية.

وأفهم من النص السابق أن (نينورتا) علّم العراقيون القدماء كيفية استغلال مياه الأنهار، فجفف البحيرات التي كانت تضيع مياه النهر، وتبعثرها، وبذلك رفع مستوى ماء النهر، وكذلك فإنه أقام السدود والقنوات للتحكم في مياه النهر.

وهكذا يمكننا أن نفهم أن دور (نينورتا) الحضاري في الزراعة؛ فلقد تركز هذا الدور في هندسة الري الخاصة بالأنهار والمجاري المائية، ويبدو أن هذا كان في الفترة التي قلت فيها الأمطار في المنطقة، وبدأ الناس يتحولون من الزراعة عل الأمطار إلى الزراعة الكثيفة المعتمدة على مياه الأنهار.

ونستنتج أن (نينورتا) قد قاد العراقيين القدماء في حفر المجاري المائية والقنوات، وبناء السدود، وهذه الأعمال العظيمة تتناسب مع ماقصّه القرآن علينا عن ذي القرنين من قيادته لفريق عمل ضخم من القوم الذين لايكادون يفقهون قولا لبناء السد بينهم وبين يأجوج ومأجوج.

كذلك تتناسب هذه الأعمال مع ماحكاه (ديودور) الصقلي عن (أُزَيْرِس) من أنه قام بأعمال ري عظيمة وضخمة عند منابع نهر النيل.

ونلاحظ أن بعض النصوص القديمة تطلق على (نينورتا) فلاح الآلهة، وهذا اللقب يشبه ما نسب إلى (أُزَيْرِس) من أنه وفر الحبوب للآلهة والبشر في بعض النصوص المصرية.

الدور الحضاري الصناعي والحرفي والتجاري (لنينورتا):

في ملحمة "نينورتا والأساج" نجد أن (نينورتا) يُصَنِّف الأحجار تصنيفا دقيقا، ويحدد استخداماتها، وهذا يعطينا إشارة لما قدّمه (نينورتا) للبشر في مجال الحِرَف، واستغلال الأنواع المختلفة من الأحجار.

ويقول نفس النص السابق أن (نينورتا) أقام مراكز تجارية في خارج البلاد، وهو ما يجعلنا نستنتج أن (نينورتا) علم الناس بناء القوارب الكبيرة، وعلمهم الإبحار، وعلمهم جغرافية البلاد البعيدة، وغيرها من المهارات الرئيسية.

وربما تكون هذه الأسباب التي جعلتهم يطلقون عليه اسم (نينورتا) الذي يعني سيد الأرض فهو لقب مناسب لمن نشر الحضارة في الأرض.

(نينورتا) والشمس، وكوكب زحل، وبرج الجبار:

رغم أننا لانجد في النصوص التي وصلتنا حديثا عن رحلة قام بها (نينورتا) في صحبة الشمس أو على طريق الشمس، إلا أننا هناك علاقة بين (نينورتا) والشمس، فلقد أطلق عليه الكهنة عدة مرات لقب "الشمس"، كنوع من المديح Utu ulu، وفي نص آخر يطلق عليه واضع النص "شمس الأرض"، وذلك في مقارنة واضحة بين (نينورتا) وبين الشمس، فكما أن الشمس تكون في السماء، (فنينورتا) كان شمس الأرض، وهذا يشبه كثيرا معنى

كلمة (أُزَيْرِس) كما توصلتُ إليه، وهو "مضاهئ الشمس"، أو "مماثل الشمس"، ويشابه ما وَصفت به بعض النصوص المصرية المتأخرة واليونانية (أُزَيْرِس) بأنه الشمس.

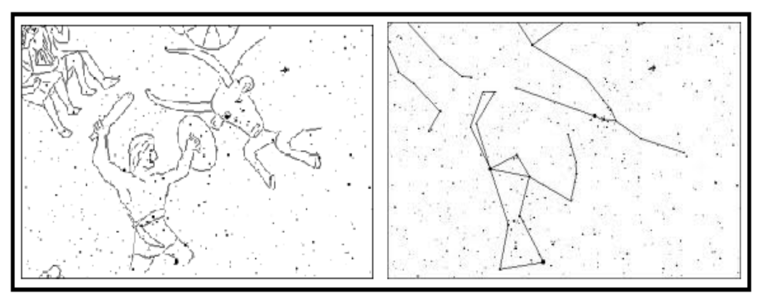
لقد ربط العراقيون القدماء بين (نينورتا) وكوكب زحل أبعد الكواكب المعروفة لدى القدماء، ومن العجيب أن كثيرا من النصوص العراقية تُطلق على كوكب زحل اسم "الشمس"، وهذا يقوي نفس الفكرة السابقة وهي تشبيه (نينورتا) بالشمس.

وهناك آراء تقول بأن (نينورتا) كان يُعتبر هو برج الجبار، ربما أوحت إليهم بعض الرسوم بذلك، خصوصا تلك التي تصوره يحمل القوس، فمن المعلوم أن هناك مجموعة من النجوم تشبه القوس على يمين برج الجبار.

وربما يقوي هذا الرأي أن النصوص جاءت تؤكد أن (نينورتا) قد قتل ثور السماء، وربما يشير هذا إلى أن (نينورتا) هو برج الجبار حيث يظهر الرجل الذي في البرج، وكأنه في صراع مع برج الثور أو الثور السماوي.



الشكل رقم (237) رسم من العراق القديم يصور (نينورتا) وصراعه مع الطائر أنزو، ويقارنه البعض بالشكل المتخبل لبرج الجبار.



الشكل رقم (238) على اليمين برج الجبار وبرج الثور في رسم بسيط، وعلى اليسار برج الجبار وبرج الثور، وقد تخيل القدماء أن برج الجبار هو رجل يقاتل الثور.

(نينورتا) و(نِرْجَال) والعالم السفلي:

لقد عبد العراقيون القدماء إلها باطلا اعتبروه إلها للموتى، وللعالم السفلي، وأطلقوا عليه اسم (نرجال)، ولقد تم تعريفه بالشمس، والأهم من ذلك أنه اعتبر أنه هو و(نينورتا) إله واحد.

ولو كان هذا صحيحا فإن ذلك يُكْمل تشابه (نينورتا) مع (أُزَيْرِس)، فإله الموتى والعالم السفلي في الحضارة اليونانية والحضارة الهندية ليس إلا صورة من (أُزَيْرِس)، فلا نستبعد أن يكون (نرجال) كذلك.

هل صعد (نينورتا) إلى السماء؟

هناك نص يُفهم منه أن (نينورتا) قد صعد إلى السماء، وهو ما يشبه ما قيل عن (أُزَيْرِس) في نصوص الأهرام، يقول النص متحدثا على لسان (إنليل):" تعالى، **دعوه يأتي إلينا**، دعوه يبتهج، يلعب، يشعر بالسعادة، **دعوه يقيم مع الآلهة، إخوته**، دعوه يسمع

أسرار الآلهة، ودعوه...مع **الآلهة إخوته، ...."**[320]، إن الذهاب إلى الآلهة هو صعود إلى السماء.

بالإضافة إلى ذلك ربما يشير اسم (نينورتا) الأكادي، وهو (أدار) والذي يعني العالي المرتفع، ربما يشير إلى أن (نينورتا) قد صعد إلى السماء.

(نينورتا) و(هِرَكْلِيس):

كلنا نعرف (هِرْكِليس) (هِرَكْلِيس باليونانية) البطل اليوناني الروماني الشهير، فلقد أولع به اليونانيون والرومان القدماء واعتبروه نصف إله، ونسبوا إليه كثيرا من الأساطير، ولقد لاحظ الباحثون أن كثيرا من هذه الأساطير تتشابه مع أساطير (نينورتا) لذا تحدثوا عن أن (هِرَكْلِيس) ربما يكون النسخة اليونانية من (نينورتا).

إن صح ذلك وأظنه يصح فهو يفيدنا كثيرا، فوصول (هِرَكْلِيس) لمغرب الشمس ومشرقها ثابت بالنصوص، وكذلك عبوره البحر المحيط من أقصى غرب العالم لأقصى شرقه منصوص عليه عدة مرات، وهذه النقطة الهامة والتي تربط بين (هِرَكْلِيس) وذي القرنين القرآني لا نجد في النصوص العراقية حول (نينورتا) ما يشير إليها.

هل كان (نينورتا) بشرا:

هناك أدلة تشير إلى أن (نينورتا) كان إنسانا من البشر، وأنه كان مَلِكا، وأنه تم رفعه إلى مصاف الآلهة، من هذه الأدلة الإلحاح على كونه مَلِك من الملوك، فلقد بدأت قصيدة (نينورتا) والجبل بالقول: "ملكٌ هو"، كما أننا نجد أن الشاعر يدعو له بطول العمر،

---

[320] - .pd2001http://www.aakkl.helsinki.fi/melammu/pdf/parpola f

وكانت الملوك تتمثل به بشكل كامل، وهذا يوحي أن (نينورتا) كان أحد أسلاف الملوك الأقدمين.

وأخيرا هذا الاسم الذي نجده في التوراة لصنم من الأصنام، وهو (إدرامليك)، والذي يقول عن الدارسون: أنه تحريف لكلمتي (أدار) المَلِك، و(أدار) هو الاسم العربي القديم (الأكادي) (لنينورتا).

وهكذا يمكنني القول أن (نينورتا) كان ملكا بشريا، وهو من عذَّب المتمردين على الآلهة عند جبل مغرب الشمس، وذلك بأن أثار البركان عليهم، وهو من بنى سدا في أقصى الشمال ليسد جبهة البلاد الشمالية، وهو الذي علم الناس الزراعة، وأقام مشاريع الري الضخمة، وفي النهاية هو الموصوف بأنه ذو القرنين.

وهذا يجعل (نينورتا) أحد الشخصيات الهامة المشابهة (لأُزَيْرِس)، والمشتقة من شخصية ذي القرنين.

المبحث الثالث: المجموعة اليونانية

أولا: (كرونوس):

(كرونوس) هو أحد الآلهة الباطلة التي قدسها اليونانيون القدماء، وهو ابن الإله الباطل (أورانوس) إله السماء، والإلهة الباطلة (جيا) إلهة الأرض، وكان يطلق عليه وعلى أخوته آلهة (التيتان)، وهي مجموعة من الآلهة الباطلة التي اعتقد اليونانيون القدماء أنهم ضخام الحجم، وأنهم حكموا العالم قبل مجئ (زيوس) وأخوته - وهم آلهة الأولمب الباطلة- إلى الوجود.

وتقول الأسطورة أن (كرونوس) كان أصغر أخوته، وأنه استطاع بمساعدة أخوته أن يُخْصِي والده (أورانوس) السماء، وبذلك استطاع أن يُنحيه عن حكم العالم، وأن يحكم بدلا منه.



وتُكمل الأسطورة فتخبرنا أن (كرونوس) خشى أن يصنع أحد أبناؤه معه ما صنعه هو مع أبيه، فكان يأخذ أولاده ويبتلعهم فور ولادتهم، غير أن زوجته استطاعت خداعه في إحدى المرات، واحتفظت بالرضيع (زيوس)، والذي عندما كبر وبمساعدة أخوته من آلهة

الشكل رقم (239) (كرونوس) يتلقى ابنه المولود حديثا.

(الأولمب)، استطاع إقصاء أبيه (كرونوس) عن حكم العالم، والزجّ به وبمجموعته من (التيتان) في سجن (الترتروس) أسفل العالم.

ويخبرنا رواة الأساطير اليونانيين أنه بعد مرور بضعة دهور فإن (زيوس) عفا عن أبيه (كرونوس)، وأخرجه من (الترتروس) وأرسله ليحكم كملك على جزر المباركين، أو حقول (الإليسان)، وهي جنة الخلد عن اليونانيين القدماء.

ويقول (هسيود) - ومن بعده بعض الكتاب اليونانيون- أن الفترة التي تولى فيها (كرونوس) حكم العالم كانت العصر الذهبي للبشر، فكانت البشرية تعيش في إزدهار وسلام ورفاهية، فلم يكن هناك قتال أو حروب، ولم يشعر البشر بأسف أو تعب أوحزن، وكانت الأرض تعطي ثمارها مضاعفة بدون كلّ أومجهود، وكان البشر لايعانون المرض، وعندما يموتون فإنهم يموتون كما ينامون، ثم تلا هذا العصر عصور متفاوتة، فتبع العصر الذهبي العصر الفضي، فالعصر البرونزي، ثم العصر الحديدي.

ويخبرنا (ديودور) الصقلي في كتابه "مكتبة التاريخ" يخبرنا أن (كرونوس) حوَّل الناس من الحياة الوحشية الهمجية إلى الحياة المتحضرة، وأنه **طاف العالم** يعلم البشر العدل والإخلاص، وأن هذا ما جعل الروايات تأتي حول البشر في عهد (كرونوس) أنهم كانوا طيبي القلب، على الفطرة، ومباركين وسعداء[321].

وقد ربط اليونانيون القدماء بين (كرونوس)، وبين الزمن وجعلوه ربا للزمن، وأطلقوا عليه الاسم (خرونوس) Chronos.

(كرونوس) و(ساتَرْن):

وقد ساوى الرومان بين (كرونوس) اليوناني وإلههم الباطل (ساتَرْن) Saturn، واعتبروهما إلها واحدا، وقالوا أنه بعد إقصاء (زيوس) (لكرونوس) فإنه ذهب إلى إيطاليا، وهناك علم الناس زراعة القمح، ومن المعروف أن (ساتَرْن) هو اسم كوكب زحل عند الرومان، وهو كذلك اسم الكوكب في اللغة الإنجليزية في زمننا هذا.

(كرونوس) عند الفينيقيين:

يحكي لنا الأسقف (يوسبس) القيساري - نسبة إلى مدينة قيسارية- (260-341) ميلادية Eusebius Of Caesarea وكان أسقف المدينة، يحكي لنا نقلا عن الكاهن (سَنتشنياثون) Sanchuniathon البيروتي، وهو كاهن فينيقي قديم: أن (كرونوس) كان من آلهة الفينيقيين، وأنه كان في الأصل رجلا عاش في الزمن القديم، وأنه طاف حول العالم، وأنه بنى جدارا حول مقر إقامته، وأنه ختن نفسه، وجعل أتباعه وحلفائه يختتنون[322].

---

[321] - http://www.theoi.com/Titan/TitanKronos.html

[322] - Sanchoniatho's Phoenician History: Translated from the First Book

كما قال أن زوجة (كرونوس) والتي يسميها (عشتروت) Astrat أنها حكمت البلاد بإذن زوجها، وأنها وضعت فوق رأسها رأس الثور علامة الملكية.

(كرونوس) و(بعل قرنيم):

لقد ساوى اليونانيون والرومانيون القدماء بين الإله الباطل (بعل حَمُون) من جهة، وبين (كرونوس) و(ساتَرْن) من جهة أخرى، ورأوا أنهم نفس الإله الباطل.

و(بعل حَمُون) هو أحد آلهة سكان بلاد الشام القدماء من الساميين، ولقد أخذه الفينيقيين معهم عندما كوَّنوا مستعمرتهم قرطاج على الساحل التونسي، ورفعوه وجعلوه معبودهم الرئيسي، ورغم أننا لانعرف كثيرا عن (بعل حمون)، إلا أننا نعلم أن القرطاجيين عبدوه تحت اسم **"بعل قرنيم"**، أي "سيد القرنين"، أو **"ذي القرنين"، وهذا مما يُثير اهتمامنا في بحثنا هذا**، فهل هناك علاقة بين ذي القرنين القرآني، و(بعل قرنيم) هذا؟ سنرى.

يرتبط (بعل حمون) هذا بطقس ديني وثني رهيب، فقد حكى الكتاب اليونانيون والرومان أن القرطاجيين كانوا يقدمون أطفالهم الرضّع كأضاحي (لبعل حمون)، فيضعونهم أحياء على كفي صنم له من المعدن، ثم يشعلون تحته النار، فتنزلق الضحية في أتون اللهب.

كما حكى كتبة العهد القديم (التناخ) عن مثل هذه الشعيرة الفظيعة، ولكنهم نسبوها لمعبود باطل أطلقوا عليه (ملوخ) أو (ملوك) Moloch أي الملك.



الشكل رقم (240) لوحة تخيّل فيها الفنان الكنعانيين القدماء وهم يقدمون أطفالهم كقرابين للصنم (ملوخ).

مناقشة حول (كرونوس):

(كرونوس) والزراعة والري:

يلفت انتباهنا أن (كرونوس) عند اليونانيين هو نفسه كوكب زحل، أو إله كوكب زحل الباطل، وكما علمنا فإن العراقيين ربطوا بين (نينورتا) وبين كوكب زحل، فهل هناك علاقة بين (نينورتا) و(كرونوس)؟

إن فكرة عداء مجموعة الآلهة الجديدة لمجموعة الآلهة الأقدم، وهي فكرة نجدها في ديانة العراقيين القدماء، كما أن فكرة تزاوج السماء بالأرض نجدها أيضا عند العراقيين القدماء، وفي هذه الفكرة تصورَ الإنسانُ القديم أن السماء ذكر، وأن الأرض أنثى، وأن وقت نزول الأمطار هو وقت تلقيح السماء الذكر للأرض الأنثى، وهذا التلقيح ينتج عنه أن تحمل الأرض الأنثى/الأم بالنباتات والزروع.

وعلى هذا يمكننا أن نفهم أن قطع (كرونوس) لأعضاء السماء/(أورانوس) الذكر التناسلية، وإقصاء السماء الذكر الأب

عن حكم العالم، يمكننا أن نفهم هذا على أنه تشبيه تمثيلي لإنهاء دور السماء في الري وذلك بالاعتماد على الأنهار والمياه السطحية بدلا من مياه الأمطار، وأن ما فعله (كرونوس) هو أن علم الناس فنون هندسة الري في بداية عصر الجفاف وعلمهم الاعتماد على مياه الأنهار كمصدر رئيسي للري بدلا من ماء الأمطار، وهو في ذلك فكأنه قطع العضو التناسلي للسماء، وأبعد السماء عن حكم العالم.

وهذا الفهم يتفق مع الفهم الذي وصلتُ إليه عن دور (نينورتا) الحضاري في الزراعة, وهندسة الري.

يقوي هذه الصلة الربط الذي نجده بين (كرونوس) والمنجل، والمنجل هو أحد الأدوات التي أعطاها (نينورتا) للبشر كما يذكر النص العراقي، وهو يؤكد الدور الزراعي الهام (لكرونوس) وعلاقته (بنينورتا).

كما أن اعتبار اليونانيون والرومان أن (كرونوس) هو نفسه (ساتَرْن) الذي علم الرومان زراعة القمح يؤكد نفس الفكرة.

(كرونوس) والأصل العربي:

لكلمة (كرونوس) جرس عربي لاتخطئه الأذن، بل إن الكلمة عند تجريدها من حرف السين الذي يدل على حالة الرفع الإعرابية عند اليونانيين، فإنها تصير (كرون)، وهي تطابق النطق اليوناني لكلمة (قُرون)العربية، وهذا يتسق مع أن (كرونوس) كان ربا للزمن عند اليونانيين، فهل (كرونوس) في أصله أحد الآلهة الباطلة للعرب القدماء؟

الحقيقة أنه بجوار القرينة السابقة هناك ما ذكره الكاهن (يوسبس) القيساري التي تفيد أن (كرونوس) هو أحد آلهة الفينيقيين القدماء، كما أن هناك تأكيد من قبل اليونانيين والرومان أن (بعل حمون) هو نفسه (كرونوس)/(ساتَرْن).

وبالإضافة إلى ذلك فإن طقسة تقديم أضاحي حية من الأطفال الرضع للصنم (بعل حمون)، **يعطي الأصل الذي نسجت منه الأسطورة اليونانية التي تقول أن (كرونس) كان يأكل أطفاله الرضّع بعد ولادتهم، وهذا يؤكد الأصل العربي (لكرونوس).**

أما (بعل حمون) فكلمة (بعل) فإنها تعني سيّد أو رب، أما كلمة (حَمُون) فأرى أنها مأخوذة من الأصل المصري (حمن) وهو إله يظهر في نصوص الأهرام، وعلى ما يبدو فإن الكلمة مركبة من جزئين الأول (حا) وتعني إله الغرب أوالغرب، وكلمة (أمن) أو (أمون) وتعني أيضا الغرب، وعلى هذا تكون (بعل حمون) تعني سيد الغرب، أو سيد مغرب الشمس، وهي تكاد تكون ترجمة حرفية لأحد أشهر ألقاب (أُزَيْرِس)، وهو اللقب "خنتي أَمِنْتي".

ربما يقوِّي الاستنتاج السابق أن الفينيقيين اختاروا هذا الإله من بين آلهتم، وجعلوه إلههم الأعلى عندما ذهبوا إلى الغرب وكونوا مستعمرتهم الغربية (قرطاج).

ولقد أطلق القرطاجيون على (بعل حمون) اللقب (بعل قرنيم) والتي تعني **"سيد القرنين"، أو "ذو القرنين"**، والعجيب أن الكشوف الأثرية كشفت عن موقع أثري قرب (قرطاج) به معبد مفتوح (لبعل قرنيم) يقع على سفح جبل له قمتين يطلق عليه في أيامنا هذه جبل (بوقرنين).

إن هذا الربط القديم للقرطاجيين بين **(بعل قرنيم) وبين جبل ذي قمتين،** وتسمية الجبل والتي استمرت حتى الآن بـ"بو قرنين"، **تؤكد ما توصلتُ إليه، وهو أن القرنين المقصودين في لقب "ذي القرنين"، هما جبلين، أوعلى الأقل جبل بقمتين، وليسا قرنين حقيقيين لحيوان.**

ويبدو التشابه الواضح بين قمة جبل (بو قرنين) وبين رمز (الأَخِت) المصري ⌓، بل إن هناك تشابها واضحا بين قمة جبل (بو قرنين)، وقمة جبل (شمبرازو)، وهو جبل بركاني عظيم يقع في (الأنديز) الاستوائي مغرب الشمس. وعلى الأغلب فإن

الفينيقيين اعتبروا أن جبل (بوقرنين) هو جبل (أَخِت) مغرب الشمس، وهذا يؤكد أن (بعل حمون) مأخوذ من المصريين القدماء وبالتحديد من (أُزَيْرِس)، وكذلك فإن لقب (بعل قرنيم) ليس إلا ترجمة للقب (أُزَيْرِس) "رب القرنين"، أو "سيد القرنين" أو "ذي القرنين".



الشكل رقم (241) على اليمين جبل (بو قرنين) في تونس، وعلى اليسار جبل (شمبرازو) في (الإكوادور) والذي أظن أنه جبل مغرب الشمس، وورغم الاختلاف الكبير فمازال بين قمتيهما تشابه واضح.

(كرونوس) و(أُزَيْرِس):

والآن فلنحاول أن نجمع أوجه الاتفاق بين (كرونوس) و(أُزَيْرِس)، (فكرونوس) هو ابن الأرض والسماء مثله في ذلك مثل (أُزَيْرِس)، وهو كان ملكا على العالم، مثل (أُزَيْرِس)، وزوجته كانت كوكب الزهرة مثل (أُزَيْرِس)[323]، وفي عصره ساد السلام، ولقد طاف العالم لينشر الخير والسلام مثل (أُزَيْرِس)، وأنه بنى جدارا للحماية، مثل (أُزَيْرِس)، ولكنه نُحي عن عرشه وذهب إلى العالم السفلي، مثل (أُزَيْرِس) رب العالم السفلي، ثم إن

[323] - هناك بعض الدارسين يرون أن إيزيس كانت ربة الزهرة عندما تشرق في المشرق قبل الشمس في بعض النصوص.

(كرونوس) ذهب إلى الجنة التي تقع في طرف العالم ليكون هناك ملكا، وذلك مثل ماحدث مع (أُزَيْرِس).

و(كرونوس) يُساوَى (بساتَرْن)، الذي قال عنه الرومان أنه وفد إلى إيطاليا، وأن علم الناس هناك زراعة القمح، وهذه واحدة من أهم خصائص (أُزَيْرِس)، فهو "ربُّ القمح" كما تزعم النصوص، وهو من طاف العالم يعلم الناس زراعة القمح، كما ساوى الكتاب اليونانيون بين (كرونوس) و(بعل حمون/بعل قرنيم)، ولقد بينت في السطور السابقة أن (بعل حمون/بعل قرنيم) ليس إلا أحد أصداء شخصية (أُزَيْرِس).

وهكذا فإن الأساطير حول (كرونوس) تؤكد لنا أنه أحد أصداء (أُزَيْرِس)، وتؤكد أنه كان في الزمن القديم رجل طوّاف علم الناس الحضارة، وأنه بنى جدارا.

ثانيا: (هِرَكْلِيس) Herakles:

كان (هِرَكْلِيس) عند اليونانيين القدماء نصف إله باطل، فهو ابن (زيوس) زعيم الآلهة اليونانية الباطلة، وفي نفس الوقت هو ابن إمرأة من البشر، ولقد نسج اليونانيون القدماء حول (هِرَكْلِيس) العديد من الأساطير ولكن أشهر



الشكل رقم (242) (هركلس) كما تخيله الفنان اليوناني وهو يرتدي رأس الأسد على رأسه.

أساطير (هِرَكْلِيس) هي التي تدور حول أعماله البطولية الإثنى عشر، ولقد عُرف باسمه الروماني (هِرْكِلِيس) Hercules.

ولكننا نجد في غضون أساطير (هِرَكْلِيس) ملامح من رحلة ذي القرنين إلى مغرب الشمس ومشرقها، فياترى ما العلاقة بين الرجلين؟

يقول دارسو علم الميثولوجي أن (هِرَكْلِيس) منحدر من شخصية أسطورية لإله/بطل في بلاد الشام في الأزمنة القديمة يطلق عليها (ملكارت)، ولكن للأسف قليل هو ما نعرفه عن هذا المعبود، ورغم ذلك فلقد تم العثور في جنوب إسبانيا وبالتحديد عند معبد (ملكارت) على تمثال للإله الباطل وهو يرتدي تاج (الآتف) الخاص (بأُزَيْرِس)، مما يؤكد علاقة بين هذا (ملكارت) وبين (أُزَيْرِس).



الشكل رقم (243) ملكارت في هيئة أزيرس ويلبس تاجه تاج الآتف من متحف قادس جنوب إسبانيا.

هِرَكْلِيس وزيارته لمغرب الشمس ومشرقها:

نُفاجأ في إحدى المسرحيات القديمة، والتي كتبت في القرن الأول الميلادي، والمعنونة بعنوان "جنون هركليس" Hercules Furens، نفاجأ بهذا النص الذي يخبرنا أن (هركليس) قد ذهب إلى أرض مغرب الشمس وأرض مشرق الشمس، وفوق ذلك فإن النص يجعل (هِرَكْلِيس) بزيارته للمنطقتين مساويا لإله الشمس (هليوس)، يقول النص: "أيها التيتان العظيم [يقصد هليوس إله الشمس الباطل]، بالمساواة معك

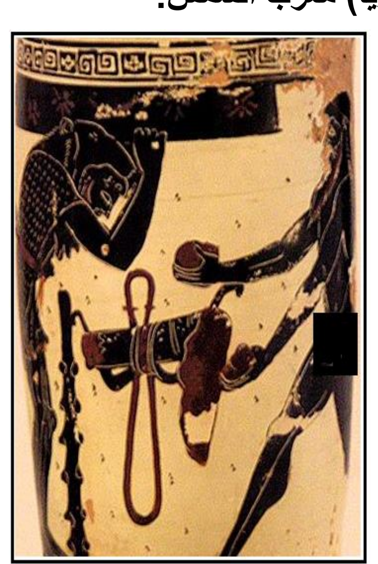
فإن (أَلْكَيِد) [أحد أسماء هِرَكْلِيس] قد رأى أرْضَي مغربك ومشرقك، ولقد علم مَقَري إقامتك"[324].

وهناك أدلة على أن هذه العبارة السابقة مصرية الأصل، فالنصوص التي تتحدث عن (هليوس) عامة بها الروح المصرية، حيث أن الشمس وإلهها الباطل كانت المعبود الرئيسي للمصريين القدماء، وقد أسرفوا في كتابة الصلوات له وفي تمجيده، وقد امتد تأثير ذلك إلى الشعوب المجاورة.

كما أن ذكر مَقَرَين لإله الشمس هو أمر غريب عن الأساطير اليونانية، بينما هو شائع في النصوص المصرية، مما يشير إلى النص مستفاد من أحد النصوص المصرية.

ذهاب (هِرَكْلِيس) إلى (هسبريا) مغرب الشمس:

في الأساطير اليونانية يحكي لنا الكتاب اليونانيون عن وصول (هِرَكْلِيس) إلى (هسبريا)، وهي أقصى الأرض من جهة الغرب، وأنه هناك التقى (أطلس) الإله الباطل الذي يحمل السماء على ظهره، واستطاع الحصول على التفاحات الذهبية من حديقة (الهسبريدات)، واعتبر الكتاب اليونانيون أن هذه الرحلة كانت المهمة الحادية عشر من مهام (هِرَكْلِيس) الإثنى عشر.



الشكل رقم (244) أطلس يحضر التفاحات الذهبية لهركليس الذي حمل السماء بشكل مؤقت بدلا منه كما تحكي الأسطورة.

---

[324] - http://www.theoi.com/Titan/HeliosGod.html

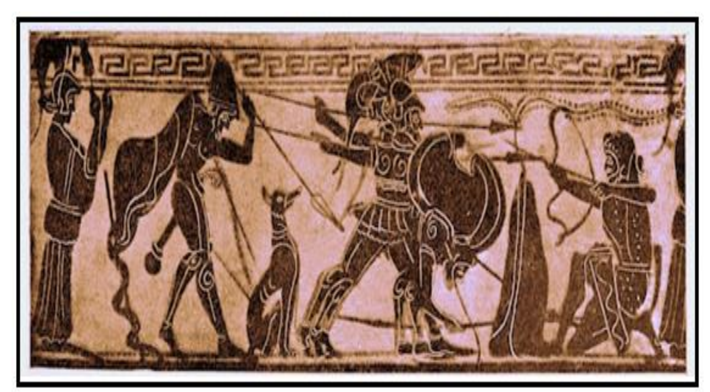
وفي الباب الأول توصلت - بفضل الله - أن (هسبريا) هي نفسها (أَمِنْت) مغرب الشمس عند المصريين القدماء، وأن (أطلس) هو تشخيص لجبل مغرب الشمس (الأَخِت) الغربي، أو (مانو)، ولاحظت أن (هسبريا) حسب النصوص اليونانية تقع في أقصى غرب العالم وراء بحر لجي عظيم، واستنتجت من هذه النصوص أن (هسبريا) هي أرض (الأنديز)، بينما حديقة (الهسبريدات)، والتفاحات الذهبية ليست إلا محض خيال[325].

عبور (هِرَكْلِيس) البحر المحيط (أوقيانوس):

وفي أسطورة أخرى يحكي لنا الكتاب اليونانين أن (هِرَكْلِيس) ذهب إلى أقصى غرب العالم، وعند ساحل البحر المحيط (أقيانوس) استعار الإناء الذهبي الذي يعبر فيه (هليوس) إله الشمس الباطل (الأوقيانوس) أثناء الليل، ثم قام (هِرَكْلِيس) بعبور (الأوقيانوس) مستقلا إناء (هليوس) حتى وصل إلى جزيرة (إريثيا)، أو "الجزيرة الحمراء"، وهناك استطاع هزيمة (جريون)، والاستيلاء على ثيرانه والعودة بها، ويعتبر الكتاب اليونانيين أن هذه الرحلة هي المهمة العاشرة (لهِرَكْلِيس).

الشكل رقم (245) هركلس يستقل إناء هليوس الذهبي في أثناء عبوره الأقيانوس.

[325] - ربما تكون التفاحات الذهبية ترتبط بالأشجار الذهبية التي كان سكان الأنديز يصنعونها ويضعونها في معابدهم، والتي حكى عنها الإسبان بعد هذه الأسطورة بألفي عام عندما غزوا الأنديز.



الشكل رقم (246) هركلس في أقصى اليمين يصوب سهامه نحو (جريون) المحارب ذو الثلاثة رؤوس وستة أذرع وستة أرجل في منتصف اللوحة.

ولو درسنا هذه الأسطورة لوجدنا ملامح مصرية عديدة، منها فكرة عبور الشمس/إله الشمس أثناء الليل البحر المحيط (أوقيانوس)، فهو يكاد يكون مأخوذ من عبور الشمس/(رع) أثناء الليل البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق أو ما تسميه النصوص:"الممر المائي الملتف"، وهي الفكرة التي ترددت في نصوص الأهرام، قبل أساطير (هِرَكْلِيس) بألف سنة على الأقل.

وكذلك فإن عبور (هليوس) في وعاء ذهبي البحر المحيط، يشبه عبور (رع) في قاربه الذهبي البحر الذي يفصل بين المغرب والمشرق، كما أن ركوب (هِرَكْلِيس) في نفس إناء (هليوس)، يشبه ترجِّي الكهنة (رع) أن يأخذ المتوفى في قاربه إلى مشرق الشمس، مما يدل على أن الفكرة الكلية والأفكار الجزئية مأخوذة من التراث المصري.

معركة (هِرَكْلِيس) ضد العمالقة (الجيجانتيين):

وفي الباب الأول ناقشنا دور (هِرَكْلِيس) الأسطوري في القضاء على العمالقة، وقلتُ أن العمالقة تحوير للبراكين التي

تتميز بها منطقة (الأنديز)، وأن هزيمة (هِرَكْلِيس) لهم تطوير للقصة الأصلية، وهي تعذيب ذي القرنين لقوم مغرب الشمس.

وأقرب سلف لأسطورة قتل (هِرَكْلِيس) لزعيم العمالقة المسمى بـ (ألكيونيس) Alkyoneus هو أسطورة (نينورتا) والجبل، فالبطل في الحالتين يصارع الجبل البركاني ويقتله.

وربما أكثر النصوص المصرية شبها بفكرة أسطورة (هِرَكْلِيس) والعمالقة هذا النص من كتاب الموتى: **"**في اليوم حينما نحيي ذكرى الاحتفال...عندما نشب الصراع بين الآلهة الذي كان فيه (أُزَيْرِس) سيد (أَمِنْتت) هو القائد**"**، فهناك صراع بين الآلهة بعضها وبعض، و(أُزَيْرِس) هو القائد، والمكان أقصى غرب العالم.

العلاقة بين (هِرَكْلِيس)، و(نينورتا):

لاحظ الدارسون وجود تشابه بين (هِرَكْلِيس) وبين (نينورتا)، فكلاهما ابن زعيم الآلهة الباطلة، وكلاهما بطل مصارع هزم أعدائه، وهناك نصوص تعدد انتصارات (نينورتا) على أعدائه وتجعل هذه المعارك والانتصارات إحدى عشرة معركة، وهذا قريب من بطولات هِرَكْلِيس الإثنى عشر.

وعند مقارنة الأعداء الذين قاتلهم كل من البطلين، نجد أن بعض الأعداء تتشابه بشكل لايمكن أن يكون مصادفة، مثل الثعبان ذو الرؤوس السبعة، ومثل معركة مع الثور، وأخرى مع الأسد، وهو الأمر الذي يقوّي أن يكون (هِرَكْلِيس) استمد بعض أساطيره من (نينورتا)، إن لم يكن هو نفسه النسخة اليونانية (لنينورتا).

ومن أهم نقاط التشابه أسطورة صراع (نينورتا) مع الجبل البركاني من جهة، وصراع (هِرَكْلِيس) مع (ألكيونيس) الذي هو الجبل البركاني من جهة أخرى، والسبب المعلن في الحالتين هو التمرد على الآلهة.

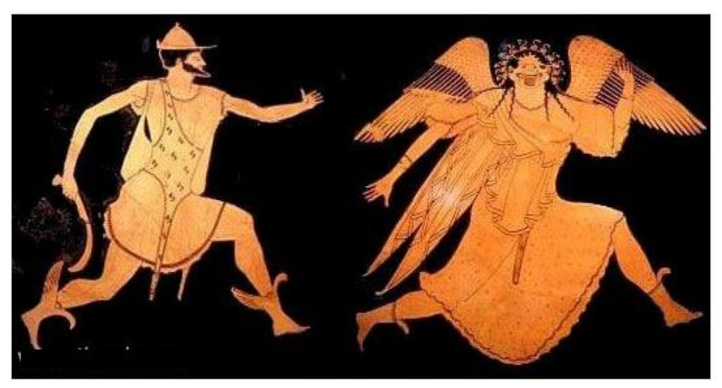
ولا شك أن مصير (هِرَكْلِيس) كان نفس مصير (نينورتا)؛ فبينما صعد (هِرَكْلِيس) إلى قمة جبل (الأولمب) ليكون في صحبة الآلهة، فإن (نينورتا) أُصعد إلى السماء ليكون أيضا بصحبة الآلهة.

(هِرَكْلِيس) و(أُزَيْرِس)، وشخصية ذي القرنين:

هل كان (هِرَكْلِيس) شخصية حقيقية يمشي على الأرض، ثم بعد وفاته حاك حوله اليونانيون القدماء الأساطير، وأضافوا إليه من الأساطير التي ورثوها عن ذي القرنين، مثل وصوله إلى مغرب الشمس ومشرقها، وإلى الجهة الأخرى من العالم؟، هذا احتمال ضعيف، وفي هذه الحالة يكون (هِرَكْلِيس) قد عومل نفس المعاملة التي لقيها (جلجامش) من قبل، ونفس المعاملة التي سيعاملها الاسكندر الأكبر من بعد.

لكن ما أرجحه هو أن شخصية (هِرَكْلِيس) كانت شخصية أسطورية من البداية، فأساطير (هِرَكْلِيس) تحمل لنا ذكريات وأصداء عن وصول رجل إلى مغرب الشمس الذي يقع وراء المحيط الأطلنطي، وكذلك عبور هذا الرجل البحر الذي يحيط بالعالم وهو نفسه المحيط الهادي، ووصوله إلى الجزيرة التي تقع في أقصى شرق العالم، وأيضا ذكريات تعذيبه لسكان الغرب لتمردهم على (الآلهة) في أرض الجبال البركانية النشطة، وأرى أنها مستمدة في معظمها من أساطير (أُزَيْرِس)، وأساطير (نينورتا).

ثالثا: (بيرسيوس) Perseus:



الشكل رقم (247) (بيرسيوس) يطارد (ميدوسا) ليذبحها.

(بيرسيوس) هو أحد الأبطال الأسطوريين لليونانيين القدماء، وهو مثله مثل (هِرَكْلِيس) كان ابنا (لزيوس) زعيم الآلهة الباطلة، وأمه إحدى نساء البشر، ولقد جاءت الأساطير اليونانية تحكي ذهابه إلى (هسبريا) وقتله (لميدوسا)، و(هسبريا) كما قلت سابقا هي أرض مغرب الشمس، وتقول الأسطورة أنه أثناء عودته إلى اليونان قد مَرَّ على (إثيوبيا)[326]، وهي مشرق الشمس عند اليونانيين القدماء، مما يشير إلى أن هناك أسطورة قديمة ضائعة تقول أن (بيرسيوس) زار مغرب الشمس، ثم عبر إلى مشرق الشمس، ثم عاد إلى موطنه، وهكذا تكون أسطورة (بيرسيوس) أحد أصداء رحلة (أَزَيْرِس).

[326] - http://www.theoi.com/Heros/Perseus.html

رابعا: (ديونيسوس) Dionysos:



(ديونيسوس) هو أحد أهم الآلهة الباطلة التي عبدها اليونانيون القدماء - وهم خاطئون -، وما يهمنا في بحثنا هذا أن (ديونيسوس) قد لُقب من قِبل قدامى اليونانيين بلقب "الأقرن" أو "ذو القرنين" “The Two Horned One”

الشكل رقم (248) (ديونيسوس) في قاربه.

والسؤال هل هناك ثمة علاقة بين (ديونيسوس) وبين ذي القرنين الذي ذُكر في القرآن الكريم؟

لقد اعتبر اليونانيون أن (ديونيسوس) هو إله الأعناب والخمر والمُجون، واعتقدوا أنه هو من علَّم الناس زراعة الأعناب وصناعة الخمر، وكانت تقام طقوس ديانته الباطلة بحفلات تشرب فيها الخمر، وتضرب الموسيقى، مع الرقص الهستيري الذي يشبه إلى حد بعيد حفلات الزار.

والدارسون متفقون أن هذه الديانة وافدة على اليونان وليست أصيلة، ويقولون أنها احتفظت هي وإلهها الباطل بصفات غريبة عن البيئة اليونانية.

أما الكتاب والمؤرخون اليونانيون القدماء فيؤكدون أن (ديونيسوس) اليوناني هو نفسه (أُزَيْرِس) المصري، ومن هؤلاء (هيرودوت)، و(ديودور) الصقلي، و(بلوتارخ)، وغيرهم.

ولقد جمع بعض الدارسين الأدلة الكثيرة التي تدل على أن (ديونيسوس) مأخوذ من شخصية (أُزَيْرِس) المصري.

ولقد ربط المصريون القدماء بين (أُزَيْرِس) والأعناب، فلقد رسموه مثل (ديونيسوس) جالسا تحت شجرة العنب والعناقيد تتدلى منها، كما ربطوا بين (أُزَيْرِس) والنبيذ، ففي أقدم النصوص المصرية، وهي نصوص الأهرام نقرأ:

- لقد جاء (أُزَيْرِس) في هيئة برج الجبار
- رب النبيذ في عيد (واج)[327]

وهكذا يمكننا القول أن (ديونيسوس) أحد الشخصيات المشتقة من (أُزَيْرِس)، أوصدى من أصداء (أُزَيْرِس)، وأن لقبه "ذو القرنين" مستعار من لقب (أُزَيْرِس) "رب القرنين" أو "ذو القرنين"، وهذا يؤكد أن (أُزَيْرِس) قد لُقب بذي القرنين في فترة مبكرة من الزمن.

خامسا: (تربتولمس) : Triptolemos

تحكي لنا الأساطير اليونانية أن (تربتولمس) كان أحد أمراء اليونان، وأنه قد أحسن استقبال الإلهة الباطلة (ديمترا) عندما كانت تبحث عن ابنتها، فكافأته (ديمترا) بأن علمته حرفة الزراعة،



الشكل رقم (248) (تربتولمس) يستقل عربته المجنحة.

ثم وهبت له عجلة مجنحة يجرها ثعبانان ليطوف بها العالم، ويعلم الناس الزراعة في كل أنحاء الأرض.

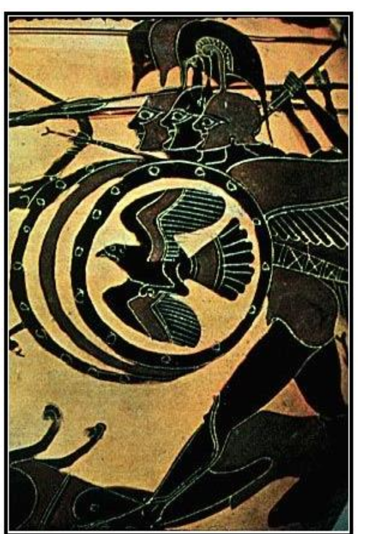
---

[327] - الفقرة 442.

وتقول الأسطورة أن (تربتولمس) طاف العالم على عجلته، حتى إذا جاء أرض (السكيث)، فإن ملكهم قتل أحد الثعبانين، فحرمت (ديمترا) (السكيث) من الزراعة.

وقد يبدو (تربتولمس) وأسطورته بعيدان عن (أُزَيْرِس) ورحلته كما فهمناها، ولكننا ببعض التدقيق سنجد أن (تربتولمس) ليس إلا أحد أصداء (أُزَيْرِس).

لقد فُسِّرت كلمة (تربتولمس) بأنها تعني **"هو الذي يضرب [لتقشير] الحبوب"**[328]، ولكنها فُسِّرت أيضا بـ **"المحارب الثلاثي"**[329].



ولقد كان أحد تصورات اليونانيون القدماء لبرج الجبار أنه عبارة عن محارب له ثلاثة جذوع، وثلاثة رؤوس، وست أذرع، وهو الكائن الذي يظهر في أحد الأساطير باسم (جريون) Geryon.

والمتأمل في برج الجبار في السماء يمكنه أن يتخيل البرج على هيئة إنسان يجلس على عجلة تجرها نجمتي الشعرى اليمانية والشامية، وسأزيد الأمر توضيحا في الصفحات القادمة.

الشكل رقم (249) (جريون) Geryon المحارب الثلاثي.

---

328 - http://www.theoi.com/Georgikos/EleusiniosTriptolemos.html

329 - http://en.wikipedia.org/wiki/Triptolemus

وهكذا يمكننا القول أن (تربتولمس) مأخوذ من (أُزَيْرِس)، فبُرج الجبار هو (أُزَيْرِس) عند المصريين قبل ظهور (تربتولمس) بآلاف السنين، وتعليم الزراعة للبشر في أنحاء العالم إحدى خصائص (أُزَيْرِس) المعروفة.

أما ما تُضيفه أسطورة (تربتولمس) لبحثنا، فبجانب أنها تؤكد أن الرجل الذي رمز له ببرج الجبار كان بشرا، وأنه طاف العالم يعلم الناس الحضارة، فإنها تخبرنا أن هذا الرجل ذهب إلى أرض (السكيث)، والتي هي نفسها أرض يأجوج ومأجوج، وهو الأمر الذي لم نعثر له في النصوص المصرية على دليل واضح عليه.

سادسا: (فيثون) Phaethon:

أسطورة فيثون هي أحد أساطير اليونانيين القدماء، والتي وجدتُ أن بها علاقة ببحثنا هذا.

تقول الأسطورة أن (فيثون) كان ملكا، وأنه كان ابن الإله الباطل (هليـوس) إله



الشكل رقم (251) صورة (فيثون)

أو (هليوس) وهو يقود عربة الشمس.

الشمس عند اليونانيين القدماء، وكانت أمه من البشر، وفي يوم ألحّ على أمه أن تخبره عن حقيقة بنوته (لهليوس)، فاقترحت عليه الأم أن يذهب إلى مطلع الشمس ليلتقي بأبيه في قصره هناك ويسأله ليتأكد بنفسه، وبالفعل يسافر (فيثون) إلى أقصى شرق

العالم، ويلتقي أباه في قصره، ويؤكد الأب لابنه بنوته له ويعده الأب بتحقيق أي رغبة له.
ويفاجئ الابن أبيه بطلب عجيب، وهو أن يقود عربة الشمس بدلا منه، ويحاول الأب أن يثني ابنه، ويعرض عليه أن يطلب منه أي طلب آخر غير أن (فيثون) يصر على طلبه، فيخضع (هليوس) في النهاية.
وينطلق (فيثون) في السماء بعربة الشمس من المشرق، ولكنه يضطرب، وتقترب الشمس من الأرض فتشتعل الحرائق، ولايجد (زيوس) حلا إلا أن يرسل صاعقة لتضرب (فيثون) وتسقطه من السماء، وتقع الجثة المحترقة في بحيرة المنبع لنهر (إريدون).
أما علاقة هذه الأسطورة (بأُزَيْرِس) فواضحة، (ففيثون) ابن إله الشمس مثل ملوك مصر، و(فيثون) ذهب إلى المشرق للقاء إله الشمس، وهي تيمة أسطورية مصرية قديمة، والسفر في السماء مع الشمس أو مع عربة الشمس هو تطوير للسفر مع قارب (رع) الذي تجده يتردد في النصوص المصرية، والغرق في بحيرة وخروج النتن من الجسد هي تيمة أوزيرية أيضا.
كما أن هناك علاقة بين أسطورة (فيثون) وبين برج الجبار وأشكاله المتخيلة، فالرجل الذي يركب عربة في السماء، هو أحد التصورات لبرج الجبار، والرجل الغارق في بحيرة المنبع لنهر (إريدون) هو تصور آخر لنفس البرج؛ فنهر (إريدون) السماوي يبدو وكأنه يسيل من جسد الرجل الغارق/برج الجبار كما سأوضح لاحقا.
أما ما استفدناه من (فيثون) وأسطورته، فهو أنه ربما كانت الحبكة الرئيسة وهي ركوب الرجل مكان (هليوس) إله الشمس الباطل هي محاولة لتفسير معنى اسم (أُزَيْرِس)، الذي يعني حرفيا: "[الرجل] الذي في مكان العين [أي الشمس]".
الأمر الآخر هو أن (أبولينيوس) الرودسي وهو قد عاش في الأسكندرية يصف البحيرة التي سقط فيها (فيثون) وصفا يتشابه

على البحيرة الحمئة الحامية التي ذكرها القرآن الكريم، فيقول أن مياهها داكنة، وهي ساخنة يخرج منها البخار ولاتستطيع الطيور تجاوزها من فرط حرارتها، كما أن رائحة النتن تخرج من جثة (فيثون) الغارقة بها، ويبدو أنه يستقي الوصف من نصوص مصرية قديمة لم تصلنا.

سابعا: (بوزيدون) Poseidon:



الشكل رقم (252) بوزيدون يستقل حصان البحر.

(بوزويدون) هو إله البحر الباطل عند اليونانيين القدماء، وهو أحد آلهة (الأولمب)، واعتبره اليونانيون ربا للبحر والمحيط، والأنهار، والخيل، وأطلقوا عليه لقب "مزلزل الأرض"، ولقب "مروِّض الخيل".

والذي يلفت الانتباه إليه في هذا البحث هو ما قاله (هومر) عن (بوزيدون) في ملحمة (الأوديسا) أنه ذهب إلى أرض مغرب

الشمس وأرض مشرق الشمس ليتلقى الأضاحي والقرابين من سكانهما[330].

وكذلك ما قاله (هسيود) عنه من أنه بنى جدارا أحاط به (الترتروس)، وجعل له بوابة من البرونز حتى لايهرب آلهة (التيتان) الباطلة[331]، وكذلك ماقيل عن بنائه جدران مدينة طروادة.

وقد قلتُ في الباب الثاني أنه ربما يكون (التيتان) مُنحدرون من (التاتان)، وهي أحد أسماء قبائل وسط آسيا، وربما يكون (الترتروس) يقصد به في أصل الأسطورة أرض التتار.

وهكذا تكون شخصية (بوزيدون) هو الشخصية الأسطورية الوحيدة التي قيل عنه صراحة أنه ذهب إلى بلاد مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وأنه بنى جدارا، وبوابة ليمنع قوما من الخروج، وهي السمات الثلاثة الهامة في رحلات ذي القرنين الثلاثة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الطريقة التي يسافر بها (بوزيدون)، والتي يفهم أنه وصل بها إلى مغرب الشمس ومشرق الشمس هي **الإبحار**، وهذا ينطبق مع استنتاجنا حول الطريقة التي وصل بها ذو القرنين إلى مغرب الشمس ومشرقها.

ومن العجيب أن نجد الأسطورة تقول أن (بوزيدون) وهو في صورة بشرية قد بنى جدارا لحماية مدينة طروادة, ولما لم يتلق **أجره** من ملك المدينة فإنه أرسل وحشا بحريا فهدم الجدران.

ورغم التشوُّه الشديد في المعنى، فمازلنا نلمح بعض المكونات الأساسية للقصة، الجدار الذي بني للحماية، والأَجْر الذي لم يعطى

---

330 - http://classiclit.about.com/library/bl-etexts/homer/bl-homer-odyssey-1.htm

331 - http://ancienthistory.about.com/library/bl/bl_text_hesiod_theogony_7.htm

للذي قام بالبناء، الأمر الذي يجعلنا نقول أن القصة منحدرة من قصة ذي القرنين الحقيقية، والتي ذكرها القرآن.

والسؤال هو من أين جاءت شخصية (بوزيدون)، وكيف حمل هذه الخصائص المتعلقة بذي القرنين؟

أرى أن (بوزيدون) منحدر من شخصية (أُزَيْرِس)، فرغم التباين الظاهر بين الشخصيتين، إلا أننا نجد أن (أُزَيْرِس) قد وُصف بصفات بحرية واضحة في نصوص الأهرام، وهي من أقدم النصوص المصرية، ومن أقدم النصوص الدينية على الإطلاق.

فلقد قيل عن (أُزَيْرِس) أنه المحيط، ورسم في كتب العالم السفلي على هيئة مستديرة بحيث تلامس أطراف أصابع يديه أطراف أصابع قدميه، وأرى أن (أُزَيْرِس) كان عند واضعوا نصوص الأهرام ربا للمحيط، كما لُقِّب في نصوص الأهرام بالقوي على البحر.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك حديثا عن جدار أو سور محصن خاص (بأُزَيْرِس) فإننا ندرك العلاقة بين الشخصيتين.

والفائدة التي نستفيدها من ذكر هذه الأساطير عن (بوزيدون)، هي أنها تؤكد أن هناك شخصية حقيقية في الزمن السحيق وصلت إلى بلاد مغرب الشمس، وبلاد مطلع الشمس، وأنها قامت ببناء جدار عظيم، ليمنع بعض الأشرار من الخروج.

ثامنا: (أوريون) Orion:

عند اليونان القدماء أسطورة حول (أوريون)، و(أوريون) هو برج الجبار، تقول الأسطورة أن (أريون) كان بشريا عملاقا، وأنه اعتدى على ابنة أحد الملوك، فاحتال الملك وفقأ عينيه، فذهب (أوريون) سيرا على الماء إلى أقصى شرق العالم ليلتقي (هليوس) إله الشمس الباطل ليرد عليه بصره، وبالفعل وصل (أوريون) إلى (هليوس) الذي أعاد إليه بصره، فرجع (أوريون) وقتل الملك،

وأثناء سباحته أصيب بسهم فمات، ورُفع إلى السماء على هيئة البرج المعروف.

وتؤكد هذه الأسطورة عقيدة قديمة عند اليونانيين القدماء وهي أن الرجل الذي تحول إلى برج الجبار قد ذهب إلى مشرق الشمس، وهذه العقيدة –ولاشك- مأخوذ من عقيدة المصريين القدماء في نفس البرج، وهذا يؤكد لنا أن المصريين القدماء



الشكل رقم (253) برج الجبار

كما يبدو في خيال القدماء.

اعتقدوا أن (أُزَيْرِس)/برج الجبار قد سافر على الماء حتى وصل إلى مشرق الشمس، وهذا يؤكد ما فهمناه واستنتجناه عن (أُزَيْرِس).

أما باقي عناصر الأسطورة مثل حجم (أوريون)، وإصابته بالعمى، ومشيه على سطح الماء، وموته وهو يسبح في الماء بسهم أصابه، أرى أن كل هذه العناصر استمدها واضعوا الأساطير من تخيلات مختلفة لشكل برج الجبار.

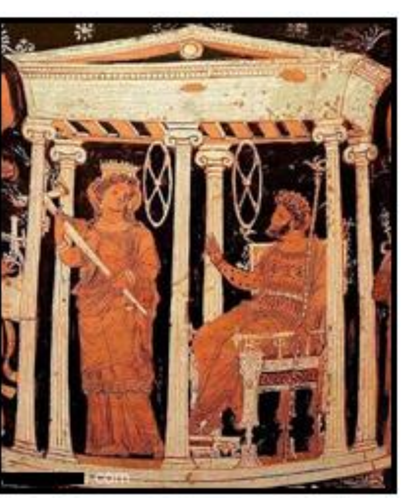
فلقد أدرك الإنسان منذ الزمن القديم أن برج الجبَّار كبير الحجم بشكل هائل، لذا نشأ القول بأنه كان رجلا عملاقا، أما موت (أوريون) بسهم أثناء سباحته فمستمد من شكل البرج الذي قد يبدو للبعض على هيئة رجل ميت أو غريق على سطح ماء نهر المجرة

في السماء، وتبدو النجوم التي في حزام الجبار على هيئة سهم مستقيم يخترق جسد الرجل.

أما اصابة (أوريون) بالعمى ربما يكون مستمد من تصور برج الجبار على هيئة جسد بلا عينين، أما مشي (أوريون) على الماء فربما لأن البرج على هيئة رجل يمشي، وتحت قدميه يقع برج النهر، فكأنه رجل يمشي على سطح الماء.

تاسعا: (هادس) Hades:

(هادس) هو إله العالم السفلي الباطل عند اليونانيين القدماء، وهو في نفس الوقت إله الموتى التي تذهب إليه أرواح الموتى، وقد صوروه وهو جالس على كرسيه، ولديه كلب برأسين، وقيل بثلاث رؤوس.



الشكل رقم (254) (هادس) يجلس على كرسيه.

وأرى أنه صورة مأخوذة من (أُزَيْرِس)، والدليل هو أنه رب العالم السفلي مثل (أُزَيْرِس)، وأنه يصور جالسا على كرسي مثل (أُزَيْرِس)، أما كلبه ذو رأسين فهو يرمز إلى نجمتي الشعرى اليمانية والشامية؛ فقد اعتبرت الشعوب الهندوأوربية النجمتين هما كلبين يتبعان الراعي/برج الجبار.

المبحث الرابع: المجموعة الإيرانية - الهندية

أولا: (يَما) Yama و(يِما) Yima:

يعتقد الدارسون أن اللغتين الإيرانية والسنسكريتية (الهندية القديمة) تعودان لأصل واحد مشترك، كما يعتقدون أن الديانتين المجوسية (الإيرانية)، والهندوسية ترجعان لأصول مشتركة، ويستدلون على ذلك بأدلة عديدة.

ومن الآلهة المتناظرة في الديانتين الإله الباطل (يَما) Yama الهندوسي والملك الأسطوري (يِما)Yima المجوسي، وأثناء بحثي عن ما بقي في ذاكرة الشعوب عن ذي القرنين ورحلته، وجدت نصوصا في الديانتين تؤكد أنهما –(يَما) و(يِما)- هما من أصداء (أُزَيْرِس) المصري.

أولا: (يَما) الهندوسي:

يقول الدارسون أن (يَما) - كما جاء في كتاب (الفِدا)- كان إنسانا، وأنه أول من مات، وأنه رأى الطريق إلى العالم الآخر، ثم إنه صار يُريه للناس الذين يرحلون عن عالمنا، وأنه تحول إلى مِلِك على الموتى. ويضيف كتاب (الفدا) أن يَما تزوج من أخته (يامي)، وأنهما كانا توأمين، وأن لـ (يما) كلبان عظيمان.



الشكل رقم (255) (يما) إله الموت الباطل عند الهندوس يمتطي ظهر ذكر الجاموس.

وفي بعض كتب (البورانا) نجد أن الهندوس يجعلون (يما) إلها قاضيا على الموتى، فعندما يموت الإنسان فإنه يؤتى به إلى (يَما) الذي يجلس على كرسيه، ليحكم عليه طبقا لأعماله، فإن عمل خيرا أمر بإرساله إلى الفردوس الهندوسي، وإن كان شرا أمر بإرساله إلى الجحيم الهندوسي، وهو الذي يسمى ناركا Narka ويقع أسفل الأرض، وإن كان يغلب على (يَما) تصور أنه رب الجحيم.

كما اعتبر الهندوس أن (يما) هو ابن إله الشمس الباطل (سوريا) Surya, وقالوا أنه أخضر اللون أو أسود اللون.

ولعلنا نلاحظ التشابه بين (يما) الهندوسي و(أُزَيْرِس) المصري، فـ (يَما) أول من مات، ولذلك صار ملكا على الموتى، وهذاهو نفس ما اعتقده المصريون القدماء عن (أُزَيْرِس)، وفسروا بهذه العقيدة اللقب "خنتي أَمِنْتيو"، الذي يعني في معناه الحرفي "أول أهل الغرب".

و(يَما) صار قاضيا للأرواح يأمر بالعصاة إلى الجحيم، وبالأبرار إلى النعيم وهو جالس على كرسيه، وهي نفس عقيدة المصريين في (أُزَيْرِس)، وكتاب الموتى به منظر شهير للمتوفى وهم يدخلونه على (أُزَيْرِس) الجالس ليقضي في مصيره.

و(يما) تزوج أخته مثله في ذلك مثل (أُزَيْرِس) الذي تزوج أخته (إيزيس)، و(يما) ابن إله الشمس الباطل (سوريا)، وذلك يشبه (أُزَيْرِس) الذي قيل عنه في بعض النصوص أنه ابن إله الشمس الباطل (رع)، ولو من باب الولاء.

ولقد لوَّن الهندوس جسد (يَما) باللون الأخضر أو باللون الأسود، وكذلك فعل المصريون القدماء مع (أُزَيْرِس).

و(لِيَما) كلبان عظيمان، وهذان الكلبان هما في رأيي الشعرى اليمانية والشعرى الشامية، فلقد تخيلت الشعوب الهندوأوروبية أن برج الجبار صورة لرجل راعٍ، وأن النجمتين هما كلباه يتبعانه. و(يما) في هذا يشبه إلى حد كبير (هادس) فكل منهما رب العالم

السفلي، و(ليما) كلبان بينما (لهادس) كلب ذو رأسين. و(لأزيرس) علاقة وثيقة بالشعرى اليمانية والشعرى الشامية فهما أختاه (إيزيس) و(نفتيس).

ويُفهم من النصوص أن الموتى يرحلون على نفس طريق (يَما)، وهذا يشبه ما اعتقده المصريين القدماء حول موتاهم، وأنهم يسافرون على نفس طريق (أُزَيْرِس).

وهناك نص في كتاب (الفدا) يؤكد أن (يما) قد صعد إلى السماء، وهذا يشابه ما جاء في نصوص الأهرام عن صعود (أُزَيْرِس) للسماء[332].

وبالإضافة إلى ذلك فإن يَما وصف بأنه "سيد المعرفة"، وهو الذي علم (نتشيكيتا) Natchiketa أسرار (برهمن) Brahman وهو الإله الأعلى عند الهندوس، وكذلك علمه أضاحي النيران، والخلود.

وهكذا يمكننا القول أن كهنة الديانة الهندوسية قد استفادوا شخصية (يَما) من شخصية (أُزَيْرِس) المصري، وأن (يَما) الهندوسي ليس إلا صدى من أصداء (أُزَيْرِس).

(يِما) المجوسي:

لقد ذُكر (يِما) في كتاب (الأبستاق) Avesta، وهو كتاب المجوس المقدس أوبالأحرى مابقي منه، وكذلك ذُكر في قصيدة (الشاهنامه)، وهي قصيدة عظيمة ألَّفها الفردوسي الشاعر في القرن العاشر للميلاد باللغة الفارسية، وصاغ فيها أساطير الفرس التي توارثوها عبر مئات السنين، وأطلق الفردوسي على (يِما) اسم (جمشيد).

---

[332] - رج فدا الكتاب العاشر 1، الترنيمة الرابعة عشر يما، http://www.sacred-texts.com/hin/rigveda/rv10014.htm

وعلى وجه العموم فإن يما يظهر في النصوص كإنسان، وهو ملِك على كل البشر، وأن عهده كان العهد الذهبي للناس، غير أن الغرور أصابه، فانهار مُلكه، وغلبه أحد الملوك الأجانب، وقتله.

(يِما) ملك العصر الذهبي:

نحن نجد في (الأبستاق) وصفا أسطوريا للحياة في عصر الملك (يِما)، فالناس لايهرمون ولايموتون، وليس هناك حر شديد ولابرد شديد[333]، وفي (الشاهنامه) يستلهم الفردوسي الفكرة ويقول أن في عصر (جمشيد) لم يكن هناك مرض ولاموت[334]، وربما يشبه هذا نص كتاب (الفدا) التي تقول عن (يَما) أنه الذي عامل الآباء القدماء بلطف ورعاهم[335].

وهذا العصر الذهبي الذي تحدث عنه كل من كاتب (الأبستاق) والشاعر الفردوسي يشبه العصر الذهبي الذي تحدث عنه (هسيود) في أساطيره، وقال أنه ساد عندما كان (كرونوس) يحكم العالم، وهناك أساطير هندوسية تربط بين (يَما) من جهة وكوكب زحل من جهة أخرى، ومن المعلوم أن (كرونوس) كان هو نفسه كوكب زحل عند اليونانيين القدماء.

ويلفت انتباهنا أن الفردوسي صوَّر لنا من (جمشيد) محضِّرا حقيقيا، فهو نظم الناس في طبقات، وهو الذي علمهم البناء والطب، وبحث عن الأحجار النافعة، وهو الذي علمهم الإبحار: "وباختصار فإن حكمته أظهرت فوائد كل شيء".

ويشبه ذلك ما ذكره المؤرخون اليونانيون عن (أُزَيْرِس).

وأرى أن فكرة العصر الذهبي ناتجة عن السلام والرخاء الذي عمَّ العالم بعد قيام ذي القرنين برحلاته حول العالم، وتعليمه الدين

---

333 - Yasns ix 4.5

334 - Shahnamah i.134

335 - Rigved Mandala 10 Hymn135-102

والتعاون والسلام، بجواره تعليمه للزراعة، وتربية الحيوان، والتجارة البعيدة عبر البحار والمحيطات، وباقي أسس الحضارة.

(يِما) وعلاقته بالشمس:

كان (يِما) في التراث المجوسي وثيق العلاقة بالشمس، وعلى الرغم أنه لم يُذكر صراحة أنه ابن لإله الشمس الباطل، إلا أن (الأبستاق) أطلق عليه (يما) ابن (فيفانهت) Vivanhat, وهذا الاسم يشبه إلى حد بعيد الاسم (فيفاسفات) Vivasvat في اللغة السنسكريتية، والتي تعني "المشع ضوءً" وهو أحد ألقاب الشمس.

ومن ناحية أخرى فإن (يِما) حظي بألقاب من قبيل "المضيء"، "اللامع"، "المحاط بالضوء"، **ولكن أهم هذه الألقاب في رأيي هو اللقب (هفارِ- دارِسا) وتعني حرفيا: "الذي يشبه الشمس" أو "شبيه الشمس"[336]، وترجع أهمية هذا اللقب الأخير إلى أنه نفس المعنى الذي استنتجتُه لتفسير معنى كلمة (أُزَيْرِس): "مضاهئ الشمس"، عندما اعتمدت على منهج القرآن الكريم في تفسير العَلَم الأعجمي في القرآن.**

أما الفردوسي فلقد جعل اسم (يما) في قصيدته (جمشيد)، فـ"يما" تحولت لـ"جم"، أما المقطع "شد" فتعني المضيء أوالمشع، فكلمة (جمشيد) تعني "يما المضيئ"، وقال الفردوسي أن (جمشيد) كان حوله هالة من النور، فلما أذنب نُزعت منه، بل إنه قال أنه "كان يجلس على عرشه مثل الشمس في وسط السماء".

وهذا يشبه ماذُكر عن (يما) الهندوسي في كتاب (الفدا):"لعل عين سوريا [الشمس] ترعاه في الأيام والليالي، لعل ضوءه يمتد أمامه دائما"[337]

---

336 - Iranian Mythology Albert J.Carnoy

337 - Rigveda/mandala 10/ Hymn10.9

وهذه الفكرة تشبه ما قيل عن (نينورتا) العراقي أنه "شمس الأرض"، وتشبه أيضا الاسم (فيثون) في أسطورته المشهوره، فاسم (فيثون) لايعني سوى المضيء.

أما أقدم هذه الشخصيات فهو (أُزَيْرِس) فهو الذي وصف في النصوص المصرية بأنه له ضوء، وأن ضوءه كضوء الشمس[338].

(يِما) والموت:

كان (يَما) الهندي أول بشري على وجه الأرض، وكان أول من مات، ورغم أن (يِما) عند الفردوسي هو الملك الرابع في سلسلة الملوك (البشداشية) التي حكمت العالم في فجر التاريخ، فهو أول ملك ينص الفردوسي على موته، وهذا يجعل (يِما)/(جمشيد) يشبه (يَما) الهندوسي.

بالإضافة إلى ذلك فإن الفردوسي في (الشاهنامه) يجعل موت (جمشيد) مشابه لموت (أُزَيْرِس)، (فجمشيد) يموت مقتولا، والذي يَقتله هو الضحَّاك الملك العربي، ويحكي لنا الفردوسي كيف أنه لما أصاب الغرور (جمشيد) فإن ضوءه نُزع منه، وأنه عمد إلى الفرار إلى أقصى شرق العالم، وهناك قبض عليه الضحَّاك، وهو متخف في جوف شجرة، ونشره إلى نصفين بالمنشار.

والذهاب إلى أقصى شرق العالم هي تيمة أوزيرية، كما أن التخفي داخل شجرة يشبه ماحكاه (بلوتارخ) عن التابوت الذي يحمل جثة (أُزَيْرِس) عندما رسى على شاطئ مدينة (جبيل)، فلقد قال أن هناك شجرة نمت وأصبح التابوت داخل الشجرة، وقطع ملك البلاد الشجرة وجعلها عمودا في قصره.

أما فكرة نشر (جمشيد) إلى نصفين فربما لتفسير شكل متخيل لبرج الجبار، وهو أنه صورة لشخصين مقرونين، فهناك أسطورة هندوسية تقول أن برج الجبار في الأصل كان رجلا، ثم إنه شعر

---

[338] - كتاب الموتى الفصل 181.

بالوحدة فانشطر إلى رجل وامرأة، ويدعم هذا أسطورة (يَما) الهندوسيي وزوجه (يمي)، فهما كانا أخوين توأمين.



الشكل رقم (256) (زرادشت)

كما تخيله كهنة الديانة (الزرادشتية).

وربما يكون هذا هو نفسه أصل معنى اسم كل من (يَما) و(يِما)، حيث أن اسم كل منهما يعني التوأم، ويبدو أن هذه التسمية مأخوذة من شكل برج الجبار عندما رآه بعض القدماء على هيئة رجلين مقرونين.

وهذا يشبه ما حكاه اليهود في بعض أساطيرهم عن نفس البرج كما سنوضح في الصفحات التالية.

(يِما) ورحلته على طريق الشمس:

يقص علينا كاتب أو كتبة (الأبستاق) قصة هامة فهو يحكي لنا كيف أن (زرادشت) (وهو نبي الديانة الزرادشتية) سأل إلهه الواحد (أهورا مازدا) عن أول بشري تحدث معه (أهورا مازدا) وعلمه الدين، فأجابه (أهورا مازدا) أنه (يِما)، وأخبره أنه طلب منه أن يحمل الدين ويبلغه للناس، ولكن (يما) رفض وقال أنه لم يُولد ولم يُعلم ليصبح حاملا وداعيا للدين، فيرد عليه (أهورا مازدا) بأنه مادام لم يستجب لطلبه، فإن عليه أن يجعل العالم يكبُر ويتسع، وعليه أن يغذي ويحكم ويراقب العالم، فيوافق (يما)، ويمنحه (أهورا مازدا) خاتما ذهبيا، وخنجرا مرصعا بالذهب.

ثم يخبر (أهورا مازدا) (زرادشت) أنه بعد مدة ثلاثمائة عام فإن البشر والكلاب والطيورتكاثروا لدرجة أنه لم يعد في العالم مكان للقطعان والناس، فمشى (يِما) في الضوء، إلى الجنوب، **على طريق الشمس،** ثم ضغط الأرض بخاتمه، وطعنها بخنجره، وطلب إليها أن تتسع فاتسعت الأرض الثلث، فصار هناك مساحة للبشر والحيوانات.

ولكن أعداد البشر وقطعانهم تتزايد مرة أخرى، ويضطر (يِما) للمشي على **طريق الشمس،** وضغط الأرض بخاتمه، وطعنها بخنجره، وطلب إليها أن تتسع، فتتسع الأرض إلى الثلث، ويتكرر هذا مرة ثالثة.

إننا إذا استثنينا بعض الإضافات الأسطورية مثل ضغط الأرض بالخاتم وطعنها بالخنجر، لوجدنا أن النص يخبرنا أن هناك رجل مشى على طريق الشمس، واستطاع أن يوسع الأرض، ويمكننا أن نفهم أن هذا حدث باكتشاف مناطق جديدة من الأرض، أو قارات جديدة.

إن هذا يشابه أو يطابق ما فعله ذو القرنين، كما أن النص يقترب كثيرا من نص حجر (شباكا) الذي يقول أن (أُزَيْرِس) مشى على طريق (رع)، الأمر الذي يجعلنى أظن أن الإيرانيين القدماء استفادوا هذا النص من عقيدة كهنة (منف)، وربما حدث ذلك أثناء الاحتلال الفارسي لمصر، وربما قبله. وربما وجد الفرس أن شخصية (يما) هي صورة من صور (أُزَيْرِس)، فاستعاروا فكرة نص حجر (شباكا)، وأضافوها إلى كتاباتهم المقدسة.

هل كان (يما) نبيا:

إن النص السابق يحمل لنا معلومة هامة، وهي أن (يِما) كان نبيا، وأن الإله الواحد خاطبه، وهذه هي المرة الأولى التي أجد فيها نصا يخبر أن الذي مشى على طريق الشمس كان نبيا من الأنبياء.

وربما يؤيد ذلك ما جاء عن (يَما) الهندوسي أنه علَّم أحد الكهنة أسرار (برهمن) الإله الأعلى عند الهندوس.

وفي نهاية هذه الرحلة مع (يَما) الهندوسي و(يِما) المجوسي نقول أن ما نستفيده هو أن كل من الشخصيتين صدى من أصداء (أُزَيْرِس)، وأن هناك رجل في الزمن القديم، مشى على طريق الشمس، واكتشف أراض جديدة وأنه صعد إلى السماء، وأن هذا الرجل تم الربط بينه وبين برج الجبار، وأن هذا الرجل كان نبيا.

كما تؤكد لنا هذه الدراسة أن العقائد المصرية كان لها تأثير عظيم على ديانات العالم، فقد تخطت الشام والعراق واليونان، فوصلت إلى الهند وإيران.

ثانيا: (مِترا) Mitra, و(مِثرا) Mithra, و(مِثراس) Mithras:

كان (الآريون) شعبا بدويا محبا للقتال، ولقد غَزَو إيران والهند في العصور القديمة، ولقد صبغ (الآريون) ديانة الشعوب التي غزوها بصبغتهم، لذا فإننا نجدة كثير من الآلهة الباطلة مشتركة بين الهندوس، والمجوس،

ومن هذه الآلهة الباطلة الإله الباطل (مِثرا)، الذي نجده في كتاب الهندوس المقدس الفدا



الشكل رقم (257) (مِثراس)

كما تخيله بعض كهنته.

باسم (مِترا), بينما نجده في كتاب المجوس المقدس الأبستاق باسم (مِثرا).
أما أقدم ذِكر لهذا الإله الباطل فكان في نص معاهدة سلام بين (الهيتيين) Hitties ومملكة (الهوريين) Hurrian Kingdom، وذلك حوالي عام 1400 قبل الميلاد وذكر اسم (مِترا) كإله شاهد على هذه المعاهدة.
بل إن كلمة (مِترا) في أصلها القديم تعني معاهدة أو اتفاق، أو شكل من أشكال الربط أو التحالف.
وفي عقيدة الهندوس نجد أن (مِترا) من الآلهة الشمسية أي أن له علاقة بالشمس، ونجده مختص بالأمانة، والصداقة، والعقود، والاجتماعات.
أما في ديانة الفرس فقد تطور (مِثرا) مع تطور ديانة الفرس، فلقد ظهر (زرادشت) Zoroaster في الفترة مابين 628-551 قبل الميلاد حيث دعا إلى إصلاح شامل في العقيدة، واعتبر أن الإله (أهورامزدا) هو خالق السماوات والأرض وكل شيء في نوع من التوحيد، ولكن يبدو أنه لم يستطع أن يتخلص تماما من آلهة الفرس القديمة، فظل (مِثرا) محل عبادة الفرس حتى بعد ظهور (زرادشت).
ففي (الأبستاق) نقرأ أن (أهورامزدا) يقول أنه هو الذي خلق (مِثرا)، ولكنه "يستحق الصلاة والقرابين مثلي تماما"، ولقد لُقب مِثرا بعظيم (اليازات) Yazata، وهي في الأصل طبقة من الآلهة القديمة الباطلة، تحولت بعد إصلاح (زرادشت) الديني إلى ما يشبه طبقة الملائكة في الديانات الإبراهيمية.
ولقد لُقب (مِثرا) بقاض الأرواح، كما احتفظ بعد (زرادشت) بأدواره القديمة فهو إله الضوء الباطل، وهو إله المعاهدات الباطل، وهو الذي يراقب المتعاهدين ليوقع العقاب على من يخالف العقد أو ينقض العهد.

وقد جعل له الإيرانيون علاقة بالشمس، فهو أحد الآلهة الشمسية، وكذلك وصفوه بأنه مُحارب جبار قوي، وكان المحاربون يتعبدون له وهم على ظهور جيادهم[339].

أما الديانة (المثرائية) فهي إحدى ديانات الأسرار، ولقد انتشرت هذه الديانة في القرن الأول الميلادي إلى القرن الرابع الميلادي بين الجنود الرومان، وغزت معهم مناطق واسعة من أوروبا، وكان معبودها الرئيسي هو (مِثراس) الذي هو -على ما يبدو- امتداد (لمِثرا) الفارسي.

ولما كانت هذه الديانة ديانة سرية، فإن كهنتها لم يتركوا لنا أية كتابات نستطيع عن طريقها أن نفهم عقائد أو شعائر هذه الديانة، لايوجد لدينا الآن إلا بعض كتابات لأناس معاصرين لزمن ازدهار هذه الديانة، ولكنهم ليسوا من أتباع (المثرائية)، وكذلك بقي لدينا تماثيل وجداريات ورسوم، تشير إلى بعض جوانب هذا الدين الغامض.

وما يهمنا في هذا البحث هو أنني وجدت نصوصا تتعلق (بمثرا) في (الأبستاق)، هذه النصوص تشبه بعض التفاصيل في قصة ذي القرنين، كما أن الرسوم والجداريات التي رُسمت حول (مِثراس) تدعم التفسير الذي ذهبتُ إليه.

(فالأبستاق) يحدثنا أن (مِثرا) يقوم برحلة إلى طرفي العالم؛ أقصى المغرب، وأقصى المشرق، وأظن أن هذا النص يعكس حدثا وقع في الماضي رغم أنه سُجل بصيغة المضارع، يقول النص: "[مثرا] الذي يسافر فوق الأرض كل عرضها، بعد غروب الشمس، ويلمس **طرفي الأرض** الواسعة المستديرة، التي يبعد كل من طرفيها عن الآخر."[340].

كما نجد في كتاب (الأبستاق) حديثا عما يُشبه عقابا أو تعذيبا لسكان مغرب الشمس، بينما لايذكر عقابا مماثلا عند مشرق

---

339 - المعتقدات الدينية عند الشعوب ص 126.

340 - XXX95

الشمس، يقول النص: "[مثرا] الذي أحاطت ذراعيه الطويلتان القويتان بقوة مثرا، بالذي **يسيطر** عليه في **أقصى نهر من جهة الشرق،** وبالذي **يضربه** عند **أقصى نهر من جهة الغرب ....** والذي عند حدود الأرض"[341].

و(مِثرا) كما يزعم كتبة الأبستاق يسافر راكبا عربة سماوية، من أقصى غرب العالم إلى وسطه مصاحبا "لعجلة المَلَكية"، والتي أرى أنها ليست إلا الشمس، فقد تصورت الشعوب الآرية أن الشمس عجلة في السماء، وهذا يعني ضمنا أن (مثرا) عَبَرَ العالم السفلي مع الشمس، يقول النص: "الذي يقود عربته ذات العجلات المصنوعة من مادة سماوية، من (كشوار) [أي أرض] (أرزاهي) Arezahi إلى (كشوار - إكسوانيراثا) Xwaniratha تلك اللامعة, مصحوبا بعجلة المَلَكية، والعظمة التي صنعها (مزدا)، والانتصار الذي صنعه (أهورا)".

ويفهم من بعض نصوص الأبستاق أن (مِثرا) كان في وقت من الأوقات **بَشرا،** فعندما نُزع البهاء من (يِما) فإنه أُعطي في المرة الأولى (لمثرا)، وفي المرة الثانية (لطهمورث) Thraetaona، وفي المرة الثالثة ذهبت (لكارسسبا) Keresaspa, ومن المعروف أن كل من (يما)، (طهمورث)، و(كارسسب) من البشر، فيفهم ضمنا أن (مِثرا) من البشر، أوعلى الأقل كان في يوم من الأيام من البشر[342].

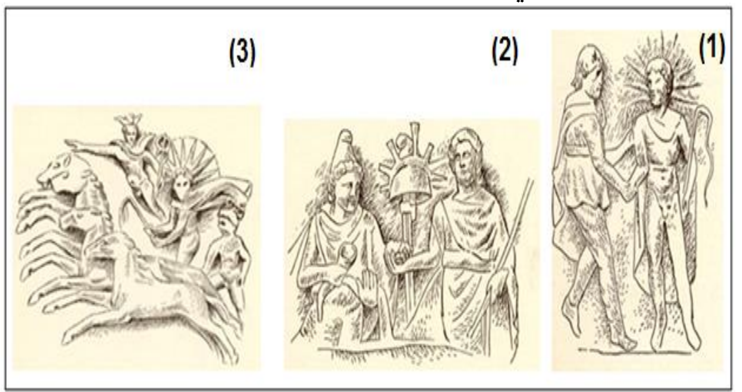
وهذه الأفكار التي نجدها نسجت حول (مِثرا) في الأبستاق، نستطيع أن نستنتج نظيرا لها من فحوى الرسوم، والتماثيل التي صنعها كهنة الديانة (المثرائية) في أوروبا؛ فنحن نجد صورا (لمثراس) على هيئة بشرية، ونراه وهو يصافح (هليوس) إله الشمس الباطل، وهناك تصوير آخر له وهو يتناول الطعام مع (هليوس)، وصورا تصور (مِثراس) يستقل مع (هليوس) عربته

---

341 - XXVII 104

342 - sbe.htm19http://www.avesta.org/ka/yt

وهما يصلان إلى نهاية العالم حيث البحر المحيط الذي يصور على هيئة ثعبان، كما نجد صورا (للمثراس) وهو مع (هليوس) عربته ويرتفعان في السماء.



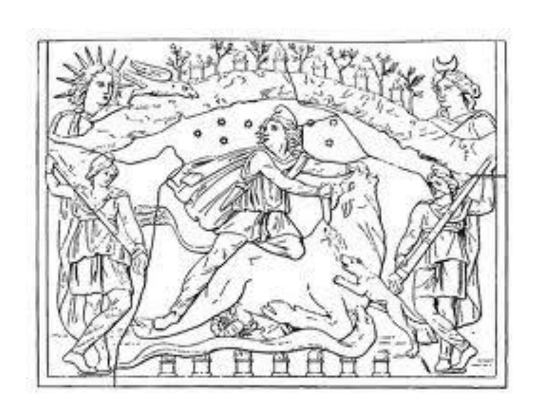
الشكل رقم (258) 1 - مثراس يصافح هليوس 2- هليوس يتناول الطعام مع مثراس، 3- مِثراس الشخصية التي في أقصى الشمال يستقل عربة الشمس مع هليوس ذي الهالة.

أما المنظر الرئيسي في الكهوف التي كانت تقام فيها طقوس الديانة (المثرائية)، فهو منظر يصور (مِثراس) وهو يذبح الثور، ويغلب على ظني أن المنظر هو مستمد من شكل برج الجبار وعلاقته ببرج الثور، (فمثرا) ليس إلا برج الجبَّار، والثور الذي يذبحه هو برج الثور، فكثير من الدارسين يقولون أن الثور الموجود في المنظر ليس إلا برج الثور

(مِثرا)، و(مِثراس)، و(أُزَيْرِس):

يرى الكاتب (مايكل سبيدل) Michael Speidel في كتابه "مثراس أوريون" أن (مِثراس) لم يكن إلا برج الجبار، أو(أُورين)، وأرى أن هذا يفسر بعض النصوص مثل ركوب مثرا لعربة سماوية، أو كونه المحارب، وبعض المناظر مثل مشهد ذبح الثور.

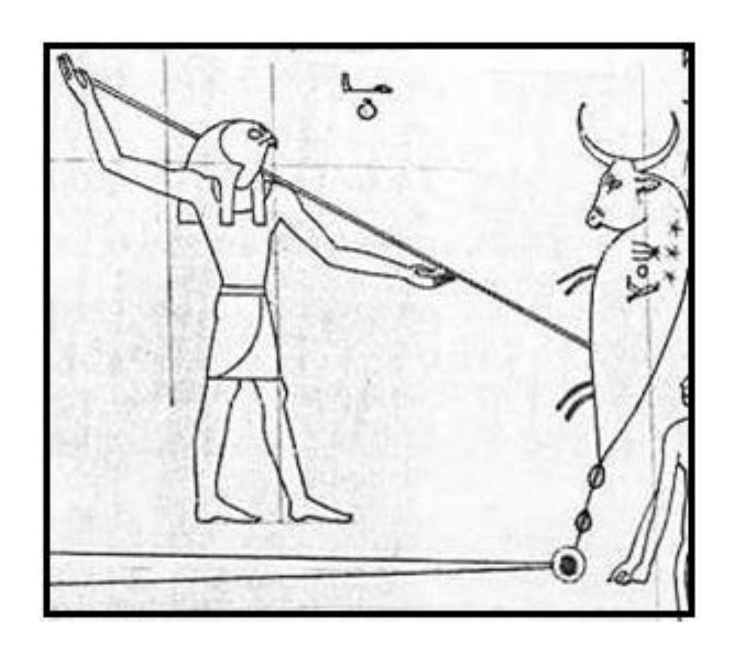
ويؤيد ذلك مشهد السقف من مقبرة (سِنمت) Senmut، وهو أحد أكبر موظفي الملكة (حتشبسوت)، ويصور المشهد أبــراج الســماء،



الشكل رقم (259) مثراس يسيطر على الثور ويهم بذبحه.

ومن ضمنها ما يبدو رجل برأس الصقر، يطعن ثورا، ويرى كثير من الباحثين أن الثور هو برج الثور، ولاشك أن الرجل القريب هو برج الجبار، وهذا يدل على أن فكرة أن الرجل الذي في برج الجبار يقتل الثور الذي هو برج الثور هذه الفكرة كانت موجودة بل ومصورة قبل ألف وخمسمائة عام من ظهور صور (مِثراس) والثور.

وأرى أن مثرا/مثراس ليس إلا صدى من أصداء (أُزَيْرِس)/برج الجبار، فالارتحال مع الشمس، أو ركوب عربة إله الشمس، والوصول إلى المشرق والمغرب، وضرب أوعقاب سكان المغرب، والمرور مع الشمس في العالم السفلي هي كلها تيمات أوزيرية واضحة.



الشكل رقم (260) (حورس) على هيئة رجل يطعن الثور
والذي هو برج الثور من مقبرة (سنمت).

الفصل الرابع

ذو القرنين كما رأته
بعض الشعوب التي زارها

في هذا الفصل سوف نتحدث عن بعض الشعوب التي زارها ذي القرنين، وعن مابقي في ذاكرة هذه الشعوب عن ذي القرنين.

والشخصيات المنحدرة من شخصية ذي القرنين عند هذه الأقوام- والتي سوف نتعرض لها في هذا الفصل- تختلف بعض الشيء عن (أَزَيْرِس) والشخصيات المنحدرة منه، ولكنها تتكامل معها، وتصنع نوعا من التواتر يؤكد ماذكره القرآن عن ذي القرنين، ويؤكد أن ذي القرنين كان شخصية حقيقية عاشت في الزمن السحيق، وأنه كان نبيا، وأنه ذهب إلى (الأنديز)، وعبر المحيط الهادي ووصل إلى جزيرة غينيا الجديدة، وأنه كان يعلِّم الناس الدين والحضارة.

ففي إيطاليا نجد الإله الباطل (ساتَرْن) الذي قيل عنه أنه جاء بسفينته، ثم علَّم الناس الزراعة خاصة زراعة القمح.

وفي (الأنديز) هناك شخصية (بوتشكا) الذي قيل عنه أنه جاء من الشرق، وعلم الناس الحضارة والزراعة، وسن لهم القوانين، ثم سافر في اتجاه الغرب، وفي (الأنديز) أيضا نجد (فيراكوتشا) الذي حكُوا عنه أنه كان يطوف الأرض يعلم الناس الحضارة والدين، ثم إنه عذب قوما تمردوا عليه بإثارة البركان عليهم، ثم غادر مبحرا في المحيط الهادي جهة الغرب.

وفي جزيرة غينيا الجديدة والجزر المحيطة تحكي الأساطير عن الإله الباطل (سيدو) أو (هيدو)، والذي علم الناس الزراعة وتربية الحيوان، وكان طوَّافا يطوف الجزر على قاربه.

وفي العراق القديم نجد النصوص الوافرة تحكي لنا عن (أنْكي) الإله الباطل الذي قدم على العراق بقاربه على ما يبدو، وعلم الناس الحضارة، والدين، والذي طاف العالم، وذهب إلى بلاد مغرب الشمس، وبلاد مشرق الشمس.

إن ما يلفت انتباهنا في هذه المجموعة من الشخصيات هو أن المحضر **غريب** عن البلاد التي يزورها ويحضِّر أهلها، وهو **يَقْدُم** إلى هذه البلاد **بقاربه،** وبعد أن يُتم تحضيرها فإنه **يغادرها،** وهو ما يتكامل مع قصة (أوزيرس) الذي قيل عنه أنه طاف العالم ليحضِّره كما حضَّر مصر، وهو يؤكد صدق قصة ذي القرنين التي رواها القرآن الكريم.

المبحث الأول: (ساتَرْن):

لقد عبد قدماء الرومان إلههم الباطل (ساتَرْن)، واعتبروه أنه رب كوكب زحل، أو هو كوكب زحل نفسه، وقالوا أنه هو والإله اليوناني الباطل (كرونوس) إله واحد. وقد ربط الرومان بين (ساتَرْن) الإله الباطل



الشكل رقم (261) (ساتَرْن) ممسكا بالمنجل.

والزراعة، وخصوصا زراعة القمح، وكذلك بينه وبين الحصاد، ورسموه وهو يحمل آلة الحصاد في يده.

ومن العجيب أن نجد في أحد المصادرالقديمة كلاما يفيد أن هذا الإله الباطل جاء إلى بلاد إيطاليا القديمة في سفينة بعد أن طاف العالم: "إن الإله حامل المنجل قدم إلى نهر (توسكان) في سفينة، بعد أن طاف العالم"[343], ويقول نفس المصدر: "إن الذريّة التقية صورت سفينة على وجه العملة لتكون شاهدا على وصول إله غريب".

ولم يكن الأمر يتعلق بالزراعة وحدها بل كان (لساتَرْن) دور في إحلال السلام الإجتماعي بين القبائل المختلفة، يقول أحد النصوص: "لقد وحَّد البشر أولا، وسن لهم قوانين لكي يطيعوها"[344]، وهذا ما يتشابه مع ما قيل عن (أُزَيْرِس): "هو الذي أوقف المذابح في الأرضين".

المبحث الثاني: (بوتشكا)/(فيراكوتشا)

يقول بعض الدارسين أن الإله الباطل (فيراكوتشا) الذي يعظمه شعب (الإنكا) هو نفسه الإله الباطل (بوتشكا) الذي تقدسه قبيلة (ميوسكا) Muisca, فهو عند القوْمَين المحضِّر الذي علَّم الناس الزراعة، والحرف والحضارة، وعلم أيضا الأخلاق الحميدة، والدين، وشرع القوانين.

ويتميز محضر منطقة الأنديز هذا بأنه **غريب**، (فبوتشكا) جاء من المشرق ورحل إلى المغرب، و(فيراكوتشا) بعد أن حضر القوم فإنه رحل بأن أبحر في المحيط الهادي متجها ناحية الغرب

---

343 - Ovid- Fasti
http://www.theoi.com/Text/OvidFasti1.html

344 - Lactantius

على طوف، وأبحر من منطقة من الساحل تقع تحت خط الاستواء، وهو نفس خط سير ذي القرنين كما استنتجناه من الآيات.

ولقد ذكرت في الباب الأول أن هناك أسطورة في (الإنديز) تقول أن (فيركوتشا) عذَّب قوما رفضوه بأن أثار عليهم البركان، وهذه الصورة تتواتر مع تراث المصريين وكيف أن (أُزَيْرِس) عذب أهل مغرب الشمس (أَمِنْت) بإثارة البركان عليهم كما استنتجت من النصوص والرسوم، وكذلك تتواتر مع قصة تعذيب (نينورتا) لسكان الجبل، والتي تعطي بالتفصيل صورة لهلاك الناس بالبركان الثائر.

ونحن نجد أن سكان (الأنديز) القدماء يربطون بين (فيركوتشا) والشمس، ويربطون أيضا بين (بوتشكا) والشمس. وهذا الربط نفهم سببه؛ وهو أن ذا القرنين - وهو أصل شخصية الإلهين الباطلين- قد تتبّع الشمس في رحلته، ووصل إلى أقصى غرب الأرض، وأقصى شرقها، مثلما تفعل الشمس، ودار حول الأرض في نفس اتجاه دوران الشمس الظاهري، فتم الربط بينه وبين الشمس في جميع الحضارات.

كما جاءنا أوصاف عن الإلهين الباطلين تهمنا في بحثنا هذا، فقد لقب (بوتشكا) مثلا بـ **"رسول الخالق"**، وهو ما يشير إلى أنه كان أحد الأنبياء في الأصل وليس إلها متجســدا، وكذلك



الشكل رقم (262) فيراكوتشا كما تخيله الكهنة.

ماروي أن (فيراكوتشا) كان يبكي عندما يرى البشر قد ضلُّوا الطريق، وارتكبوا المعاصي والذنوب، حتى أنهم صوروا تماثيل وصورا له والدموع تنهمر من عينيه، وهو ما نفهم منه أن (فيراكوتشا) كان بشرا نبيا، أو أحد المؤمنين على الأقل.

المبحث الثالث: (سيدو) Sido

مازالت أساطير شعوب (ميلانيزيا) تذكر (سيدو) الإله الباطل الذي كان يطوف الجزر بقاربه يعلم الناس الزراعة وتربية الحيوان، وقد ذكرت بعض الأساطير أنه ذهب إلى أقصى العالم، وأنه اختفى آخر حياته، وهو ما يشبه أساطير (أُزَيْرِس).

المبحث الرابع: (أنْكي)

(أنْكي) هو أحد أهم الإلهة الباطلة عند (السومريين)، وقد أسماه البابليون (إيا)، وقد وُصف (أنْكي) بأنه رب الماء العذب السفلي، أومحيط الماء العذب السفلي (أبسو)، وهو بحر من الماء العذب الذي يقع أسفل عالمنا، كما جعله العراقيون القدماء ربا للذكاء، والمهارة، والحرف، والحكمة، وقالوا أنه من علّم الناس أسباب الحضارة والمدنية.

وبجوار ذلك فإنهم رَووا عن (أنْكي) أساطير كثيرة، من أهمها أن (أنْكي) هو الإله الباطل الذي حذَّر البشري صاحب السفينة من قدوم الطوفان، وأمره ببناء سفينة لينجو بها هو ومن معه من الغرق، وهكذا تم إنقاذ البشر من الفناء.



الشكل رقم (263) (أنْكي) كما تخيله
الفنان العراقي القديم، والنهران ينبعان من كتفيه.

(أنْكي) وذو القرنين:

في الباب الأول ذكرت أن هناك ملامح كثيرة وصلتنا عن (أنْكي)، تذكِّرنا بقصة ذي القرنين، كما جاءت في القرآن الكريم، وكما فهمتها في هذا البحث؛ فكلمة (أنْكي) تعني سيد الأرض، وهو لقب مناسب لذي القرنين الذي طاف العالم، وعلم الناس الدين والحضارة.

و(أنْكي) كما زعم واضع نص "أنْكي وتنظيم العالم"، يعلِّم الناس الزراعة، والحِرف، والصناعات البسيطة، والبناء وتربية الحيوان، وهي أعمال توصلتُ إلى أنها كانت من أعمال ذي القرنين، وإن لم تذكر في القرآن الكريم.

كما نجد نفس النص يذكر رحلة قام بها (أنْكي) باستخدام قاربه المسمى (وعل أَبْسو)، وفي هذه الرحلة يقوم بزيارة بلاد (ملوحا)، والتي يطلق عليها الجبل الأسود، ويباركها، ثم ينتقل بقاربه إلى بلاد (دلمن)، وهي بلاد مشرق الشمس، حيث "نظَّفها وطهرها، وخصص في أرضها الخصبة حدائق نخيل لكي تؤكل ثمارها".

ولقد فهمتُ أن (ملوحا) أو بلاد الجبل الأسود ليست إلا بلاد مغرب الشمس، وهكذا تكون رحلة (أنْكي) هي رحلة بالقارب إلى بلاد مغرب الشمس، ثم رحلة أخرى من بلاد مغرب الشمس إلى بلاد مشرق الشمس التي أسماها النص (دِلمن)، ومن (دِلمن) أبحر (أنْكي) متجها إلى العراق.

ويقوي فهمنا هذا أن اسم قارب (أنْكي) هو (وعل أَبْسو)، ويفهم من هذا الاسم أن هذا القارب يبحر في البحر (أبْسو) الذي يقع أسفل الأرض.

ويبدو لي أن العراقيين خلطوا بين المياه الجوفية العذبة التي تنبع منها عيون الماء، وبين المحيط الهادي الذي يقع في الجهة المقابلة لمنطقتنا أي أسفل منطقتنا. ومعنى هذا أن (أنْكي) أبحر في المحيط الهادي متجها من بلاد مغرب الشمس إلى بلاد مشرق الشمس.



الشكل رقم (264) (أنْكي) يصل إلى جبل مغرب الشمس ذو البحيرة في قمته وأوتو وهو إله الشمس الباطل يغيب في بحيرة القمة.

ومما يؤكد وصول (أنْكي) بقاربه إلى كل من بلاد مغرب الشمس وبلاد مشرق الشمس، هو خاتمان اسطوانيان تم العثور عليهما في العراق ويرجعان إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

الخاتم الاسطواني الذي يُطلق عليه خاتم (أدَّا) Adda يصور (أنْكي) وهو يصل إلى مغرب الشمس، وبالتحديد إلى جبل مغرب الشمس، ويضع قدمه على الجبل في طريق تذكرنا بمتسلقي الجبال في العصر الحديث، أما الجبل فبقمته حفرة، وهي الفوهة البركانية للجبل على ما يبدو، وإله الشمس الباطل (أوتو) يغرب في الجبل، والدليل على أنه يغرب أن اتجاه وجهه إلى الجهة الأخرى من (أنْكي).



الشكل رقم (265) (أنْكي) على اليمين جالسا في قاربه يرسو على شاطئ جزيرة مشرق الشمس و(أوتو) إله الشمس على اليسار من الصورة يخرج مشرقا ممسكا بمنشاره.

وفي الخاتم الآخر نشاهد بوضوح لحظة وصول (أنْكي) في قاربه إلى بلاد مشرق الشمس، و(أوتو) إله الشمس الباطل يُشرق من بين الجبال في بلاد مشرق الشمس.

ومن نص "أنْكي وتنظيم العالم"، ونص "أنْكي وأحياء بلاد دلمن"، نفهم بوضوح أن (أنْكي) علَّم الناس في جزيرة مشرق الشمس (دلمن) الزراعة والري، وأقام مشاريع للري في هذه البلاد.

إن ما سبق يتواتر مع ما استنتجته من النصوص المصرية القديمة، وما صرح به (ديودور) الصقلي من تعليم (أُزَيْرِس) الناس في أقصى شرق العالم الزراعة، كما يتواتر مع ما يحكيه سكان (غينيا) الجديدة عن (سيدو).

وهناك نص قصير عن (أنْكي) يحكي عن صراع بين (أنْكي) وجبل بعيد، وأن (أنْكي) أبحر إلى هذا الجبل في بحر متلاطم الأمواج، ويزعم النص أن الجبل كان يقذف (أنْكي) بالصخور، وأرى أن البحر المتلاطم ربما يكون المحيط الأطلنطي، والجبل الذي يقذف بالصخور عاليا ليس إلا الجبل البركاني، وربما يكون هذا النص هو ما بقي في ذاكرة العراقيين عن وصول (أنْكي) للجبل البركاني الذي يقع في مغرب الشمس[345].

إن رحلة (أنْكي) بقاربه إلى بلاد مغرب الشمس، وبلاد مشرق الشمس، وعبوره المحيط السفلي، وتعليمه الناس الزراعة والري، يؤكد لنا أن (أنْكي) هو أحد الشخصيات المأخوذة من شخصية ذي القرنين، وإن طالها ما طال شخصية (أُزَيْرِس) من تحريف ونسيان، وإضافة.

(أنْكي) كان غريبا قدم على العراق في قارب:

تتميز شخصية (أنْكي) بالأصالة بمعنى أن العراقيين القدماء لم يقتبسوها من غيرهم من الأمم، بل هم الذين صنعوها بناء على ذكرياتهم حول ذي القرنين، ثم طوروها وصدروها لغيرهم. فلم يستلهم العراقيون القدماء أساطيرهم حول (أنْكي) من أساطير (أُزَيْرِس)، أو الملوك المصريين المتوفيين، أو أحد أصداء

345 - قاسم الشواف، ديوان الأساطير، الكتاب الثالث ص 227، 228.

(أُزَيْرِس)، وإنما جاءت التصورات أصيلة تختلف مع الأساطير الأخرى وتلتقي معها في قصة ذي القرنين.

ربما أول ما يلفت نظرنا هو أن (أنْكي) هو رب (أبسو)، و(أبسو) هذا هو الماء العذب الذي يقع أسفل الأرض، وأستطيع أن أتصور من ذلك أنه لما وصل ذو القرنين إلى العراق، وأخبر الناس هناك أنه عبر المحيط الهادي، وأنه هناك بحر يقع في الجهة السفلية من الأرض، وأنه يفصل بين المغرب والمشرق، فإنهم دُهشوا لذلك وجعلوه ربا لهذا البحر.

ولقد أطلق العراقيون على قارب (أنْكي) "وعل أبسو"، وهو يفيد أنهم كانوا يعلمون أن (أنْكي) قد أبحر في هذا البحر السفلي بقاربه.

وفي نص (الأنيوما إليش) يقول الكاهن أن (إيا/(أنْكي)، قد بنى قصره فوق البحر السفلي (أبسو)، وأنه أطلق على القصر اسم **(أبسو)** أيضا[346]، والقصر الذي يُبنى على الماء هو في الأغلب قارب به قمرة، أو قمرات.

وفي ملحمة جلجامش نجد أن (أنْكي) عندما يحذر صاحب السفينة (الشخصية التي توازي شخصية نبي الله نوح) من الطوفان، نجده ينصحه ببناء سفينة، وبأن يجعل لها سقفا، ويقول له: "وسوف تجعل له سقفا مثل أبسو"[347].

تشكل الجملة الأخير صعوبة لمن يريد تفسيرها، فمن الصعب تصور بحرا له سقف، كما أنه من الصعب تشبيه سفينة ببحر، لذا فإنني أرى أن كاتب (الإنيوما إليش) هنا يقصد بكلمة (أبسو) القارب (أبسو)، وليس البحر (أبسو)، **فقارب (أنْكي) والمسمى (بأبسو) هو الذي يمكن أن يكون له سقف، وليس البحر.**

346 - قاسم الشواف، ديوان الأساطير، الكتاب الثاني ص 123.

347 - اللوح الحادي عشر سطر 31.

إن هذا يفسر لنا الكثير؛ فلقد قَدِم ذو القرنين على العراقيين بقاربه، وكان قاربا مسقوفا، ومجهزا ليقيم به الأيام الطويلة، ولقد دُهش العراقيون الأوائل أيما دهشة من هذا البيت العائم، ومن ساكنه، وحولوا الموضوع إلى هذا الشكل الأسطوري الذي وصلنا[348].

وعندما حدث الطوفان، ونجا صاحب السفينة (نوح) عليه السلام، فإنه مع مرور الدهور ربط العراقيون، بين القصتين؛ قصة النبي الذي جاءهم بقاربه أو بسفينته، وقصة النبي الذي بنى السفينة ونجا بها ومن معه من الطوفان، فجعلوا الأول إلها للثاني، وجعلوه هو من أرشده لبناء السفينة على مثال سفينته هو.

إن القول بأن قارب (أنْكي) كان له سقف، وبه قمرة أوقمرات يفسر لنا الصورة التي وصلت إلينا عن (أنْكي) وهويجلس فيما يشبه الحجرة والماء يحيط به من كل جانب.

كما يفسر ذلك لنا أيضا وجود معبد (أنْكي) والملقب ببيت (أنْكي)، في أريدو وسط المستنقعات، والتي أطلق عليها



الشكل رقم (266) (أنْكي) يجلس على مقعد في مقصورة ومحاطا بالمياه من كل جانب.

348 - من العجيب أننا في نصوص الأهرام نجد أن أزيرس يعبر البحر الي يفصل بين المشرق والمغرب ببيته.

العراقيون الاسم (أبسو) أيضا، فالمقصود في رأيي هو أن معبد (أنْكي) هو تمثيل لقاربه/بيته الذي كان يقيم فيه أثناء تجواله العالم، والذي وفد فيه على العراق.

(أنْكي) و(أوانس) و(أدبا):

بعد غزو الاسكندر الأكبر للمنطقة، وانتشار الثقافة الهلينية، ظهر كاهن عراقي ناطق باللغة اليونانية، وحاول هذا الكاتب أن يكتب تاريخ العراق القديم للقارىء الهليني، هذا الكاتب اسمه (بروس)،Berose أو (برعوشا)، وقد أسمى كتابه (بابيلونيكا) .Babilonica

ونقرأ في هذا الكتاب مايلي: "إلى بلاد بابل، قدم من مناطق أخرى، عدد كبير من الناس، وتمركزوا في بلاد الكلدان [الجزء البحري الواقع في جنوب مابين النهرين]، حيث عاشوا حياة جهل، تماثل معيشة الحيوانات. وفي سنة أولى آنذاك، ظهر على الشاطئ كائن غير عادي [يقال إنه] خرج من البحر الأحمر[المقصود الخليج العربي] ويسمى أوانس Oannes. جسده الكامل كان جسد سمكة، وله تحت رأس السمكة رأس آخر بشري، وكذلك رِجْلان مماثلتان لرِجلي إنسان، وهذا المظهر تم الاحتفاظ به في الذاكرة، إذ لايزال يُمثَّل على هذا الشكل حتى في أيامنا هذه. وكان هذا الكائن الحي يمضي نهاره مختلطا بالبشر دون تناول أي طعام، كما كان يعلمهم الكتابة، والعلوم والفنون، وبناء المدن، وبناء المعابد، وأصول المحاكمات، والهندسة، وكشف لهم أيضا عن كيفية زراعة الحبوب وجني الثمار، وقد علمهم إجمالا كل ما يشكل أسس الحياة المتحضرة. تم ذلك بشكل جيد وكاف، حيث أنه من ذلك الحين لم يتم اكتشاف أي شيء جديد مهم حول هذه المعارف. وعند غروب الشمس كان هذا الكائن أوانس يعود

للغوص في البحر، بغية تمضية لياليه تحت الماء لأنه كان برمائيا، وظهر فيما بعد من هم على مثاله"[349]



في بداية الأمر قال الدارسون أن (أوانس) هذا ليس إلا (أنْكي)، فهو من علَّم الناس في العراق القديم الزراعة والعلوم والفنون، وخصوصا سكان مدينة (أريدو) التي كانت تقع على الخليج العربي وقتها، غير أن اكتشاف لقب (لأدبا) وهو (أوانا) Uanna القريب من (أوانس)، جعل الدارسون يقولون أن المقصود (بأوانس) هو (أدبا) وليس (أنْكي).

الشكل رقم (267) كاهن يلبس زي السمكة،

ويبدو أنه مثال لما استشهد به (بيروس).

ولكن من هو (أدبا)؟ (أدبا) هو بشري، وهو أحد مساعدي (أنْكي) السبعة، وهو كاهن مدينة (إريدو)، وكان وزيرا لأول ملك من الملوك السبعة الذين حكموا قبل الطوفان حسب لائحة الملوك السومرية.

وهناك رأي عند بعض الباحثين أن (أدبا) ليس إلا أحد صُور (أنْكي) نفسه، (فأنْكي) كان إله مدينة (إريدو)، و(أدبا) كان كاهن نفس المدينة، وقد وُصف كل منهما بأنه من أتى بالحضارة للمدينة، والتي تقع على شاطىء الخليج العربي.

وأرى أن كل من (أوانس)، و(أنْكي)، و(أدبا) ليسوا إلا رجلا واحدا، وهو أحد الشخصيات المشتقة من شخصية ذي القرنين،

---

[349] - قاسم الشواف ديوان الأساطير الكتاب الثالث دار الساقي ص 238-239

وإن كانت قصة (أوانس) تعرضت لتطوير وتحريف كبيرين؛ فلقد تحول الرجل الذي قدم بقاربه، إلى رجل داخل سمكة، وواضح من النص أن راوي الأسطورة يخمن شكل الكائن بناء على شكل الصور الجدارية ببعض المعابد في زمنه والتي رآها هو بنفسه، أما قول النص أن الكائن يعود ليلا ليغوص في الماء، فربما كان تحريفا لكون الرجل كان يبيت في قاربه المسقوف كل ليلة.

ونحن نجد في الديانة الهندوسية إلها باطلا هاما يسمى (فِشْنُو) بينه وبين (أنْكي) كثير من التشابهات، ربما من أهمها أن (فشنو) طاف العالم، مثله في ذلك مثل أنكي، وكذلك فإن (فشنو) حذر أحد البشر من قدوم الطوفان، وأمره ببناء سفينة لينجو بها من الغرق هو ومن معه وينقذ البشرية من الهلاك، وهو مما يشير إلى أن (فِشْنُو) مأخوذ من (أنْكي). وتقول الأسطورة أنه عندما حذّر (فِشْنُو) الرجلَ كان متجسدا على هيئة سمكة، ويأتي في الرسوم على هيئة رجل ونصفه السفلي نصف سمكة، أو رجل داخل سمكة، مما يؤكد لنا أن (أوانس) لم يكن إلا (أنْكي).



الشكل رقم (268) طلسم لكائن نصفه الأعلى نصف إنسان، ونصفه الأسفل نصف سمكة،
وُجد على قاعدة معبد (أنْكي) في أريدو، 3200 ق. م.

وهكذا يمكننا القول أن (أنْكي) هو مابقي في ذاكرة العراقيين القدماء من ذكرى قدوم ذي القرنين عليهم في قاربه من الخليج العربي، وتعليمه لهم الدين والحضارة.



الشكل رقم (269) تصورين لتجسد (فِشْنُو) على هيئة السمكة: على اليمين (فِشْنُو) داخل السمكة، وعلى اليسار (فِشْنُو) نصفه الأعلى رجل ونصفه الأسفل سمكة.

(أنْكي) و(نينورتا):

(نينورتا) أحد صور ذي القرنين، فهو الذي عذب سكان الجبل بإثارة البركان عليهم، وهو الذي بنى سدا عظيما في أقصى الشَمال، وهو الذي علّم الناس الزراعة والري، ولكنه كما قلت سابقا أرى أنه صدى من أصداء (أُزَيْرِس)، فبينه وبين (أُزَيْرِس) من التشابه الكثير. كما أن العراقيين اعتبروه ابنا (لإنليل)، ومعنى ذلك أنه أحدث زمنا في الانضمام لقائمة الآلهة العراقية.

وعند توحيد المدن العراقية ومحاولة توحيد دياناتها فلقد ظهر للكهنة - فيما أرى- أوجه التماثل بين كل من (أنْكي) و(نينورتا)، فاخترع كهنة (أنْكي) أسطورة تقول أن (نينورتا) المحارب أصابه

الغرور، وأن (أنْكي) من لقنه درسا قاسيا، وأعاده إلى رشده، يقول النص على لسان (أنْكي)[350]:

- وبما أنك أضمرت أن **تحل محلي.**
- فأنا عمدت إلى إذلال هذا المغرور [الذي هو أنت].

فالكهنة هنا يجعلوا (نينورتا) ينتوي أن يحل محل (أنْكي)، ربما للتشابه الذي لاحظوه بين أدوار كلا الإلهين الباطلين.

المبحث الخامس أصداء (أنْكي)

أولا: (بروميثيوس):

قدَّس اليونانيون القدماء إلها باطلا أطلقوا عليه اسم (بروميثيوس) وهم خاطئون، والكلمة تعني الذي يتدبر الأمر، أو الذي يفكر قبل الفعل، ووصفوه بالذكاء والحكمة، وأنه كان نصيرا للبشر.

ويروون عنه عدة أساطير من أهمها تلك التي يرويها (هسيود) وتقول أنه عندما تنازعت الآلهة الباطلة مع البشر حول القرابين من الماشية، فإن (برومثيوس) تعمد خداع (زيوس) زعيم الآلهة لصالح البشر، وذلك بأن وضع اللحم في داخل معدة الثور، وغلف العظام بالدهن، فاختار (زيوس) كومة العظام المغطاة بالدهن ظنا منه أن بها اللحم، ومن وقتها صارت القرابين التي تقدم للآلهة الباطلة هي العظام وبعض الدهن وفاز البشر باللحم.

---

[350] - قاسم الشواف ديوان الأساطير الكتاب الثاني ص 475.

وتقول الأسطورة أن (زيوس) غضب لذلك أشد الغضب، فنزع النار من البشر، وحرمهم منها، غير أن (برومثيوس) تسلل إلى قمة جبل الأولمب، وفي رواية صعد إلى الشمس في السماء، واستطاع الحصول على شعلة نار، وأن يهبط بها وهو يعدو، ليعطيها للبشر.

الشكل رقم (270) النسر يأكل من كبد (برومثيوس) المقيد في تعذيب أبدي.

ويغضب (زيوس) غضبا عارما فيأمر بخلق المرأة لتصبح مصدر المتاعب والشرور للبشر، ويأمر بأن يقيد (برومثيوس) إلى قمة جبل القوقاز، ليأكل نسر ضخم من كبده ليل نهار، في تعذيب أبدي لاينتهي.

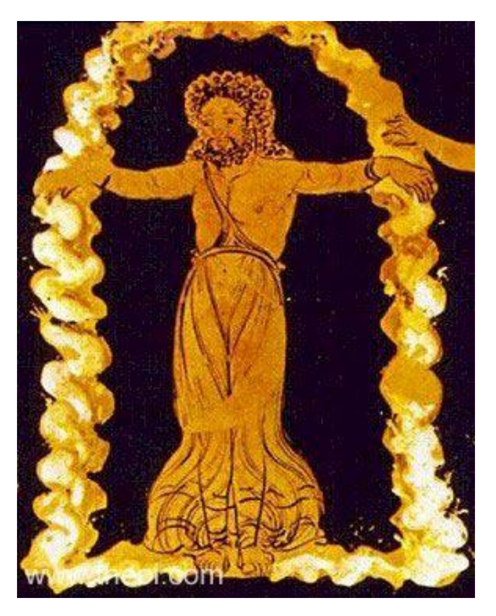
أما (أسكيلاس) Aschylus مؤلف المسرحيات الشهير، والذي عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد، فنجده يطوِّر هذه الأسطورة حول (بروميثيوس) في مسرحيته "بروميثيوس مقيدا" فيجعل (بروميثيوس) يصرح بأن (زيوس) أراد استئصال البشر عن بكرة أبيهم، وأنه لم يجرؤ أحد على معارضته، ولكن (بروميثيوس) تصدى لمخطط (زيوس)، وأنقذ البشر.

ولم يوضح لنا (أسكيلاس) ما الطريقة التي أراد بها (زيوس) أن يفني البشر، غير أن الكتاب اليونانيين المتأخرين مثل (أبلودورس) يخبرنا أن (بروميثيوس) نصح (ديكاليون) بأن يبني سفينة حتى ينجو من الطوفان الذي سيرسله (زيوس) ليُفني به البشر. وهكذا تتطابق الأسطورة مع أسطورة الطوفان العراقية، ويتطابق دور (بروميثيوس) مع دور (أنْكي).

وقد قص علينا (أسكيلاس) أن (بروميثيوس) قد علَّم الناس استخدام النار، وكيفية البناء، والفلك، والرياضيات، والكتابة، واستئناس الحيوانات، وعلمهم كيفية الابحار، والطب، وفن التنبؤ، والأشغال المعدنية، وكل الفنون والحرف الأخرى.

وأضاف اليونانيون - كذبا- أن (بروميثيوس) هو من خلق البشر من طين، وهو نفس مازعمه الكهنة العراقيين عن (أنْكي). وكل هذا يؤكد أن (بروميثيوس) لم يكن سوى النسخة اليونانية من (أنْكي) أوصدى من أصداء (أنْكي).

وأود أن أشير إلى تلك الصورة التي رسمها (هسيود) لعذاب (بروميثيوس) الأبدي والتي أرى أنها مأخوذة من شكل أحد الأبراج السماوية، وهو على الأرجح برج الجبار الذي يمكن تخيله كرجل مصلوب أو مقيد، والدم يسيل من جانبه الأيمن، ويشبه هذا ما ذكره الكتاب المقدس عن رباط برج الجبار، وما ذكره اليهود في أساطيرهم عن المَلَك (عزَّى) المقيَّد في السماء، يقصدون به برج الجبار.



الشكل رقم (271) برومثيوس مصلوبا أو مقيدا.

ثانيا: (فِشْنُو) Vishnu:

(فِشْنُو) هو أحد أهم الآلهة الباطلة عند الهندوس، وهو الإله الباطل الذي مازالت مئات الملايين من الناس تعبده حتى يومنا هذا، وهو أحد الثالوث الهندوسي الباطل، (فبراهما) الذي يخلق، و(شيفا) الذي يدمر، و(فِشْنُو) الذي يحفظ، ويعتقد الهندوس أن الإله الأعلى هو (برهمَن), وأنه أسْمَى من الثالوث، ورغم ذلك فإن كهنة الهندوسية الفِشْنُوية - نسبة إلى (فِشْنُو) وهي التي يتبعها غالبية الهندوس اليوم- يرون أن (فِشْنُو) هو الإله الأسمى، وأنه هو نفسه (برهمَن)، وأن (برهما) و(شيفا) ليسا إلا من تجسدات (فِشْنُو).

ولكنني بتحليل العقائد التي تتصل (بفِشْنُو)، توصلت إلى أنه صورة من صور ذي القرنين، وهورغم كونه صورة محرفة ومشوهة، إلا أنها تستمد بعض سماتها الرئيسية من ذي القرنين، كما نجد بشخصية (فِشْنُو) سمات من (أنْكي)، ومن برج الجبار، وربما أيضا من (أُزَيْرِس).



الشكل رقم (272) (فِشْنُو) كما يتخيله كهنة الهندوس.

(فِشْنُو) طاف العالم، ثم صعد إلى السماء:

إذا بدأنا بنصوص (الفِدا) وهو كتاب الهندوس المقدس، وهو أقدم النصوص الهندوسية، فسنفاجأ بأن (فِشْنُو) لا يتبوأ تلك المكانة العالية، التي نسبت إليه في المراحل التالية من تطور الديانة الهندوسية، بل سنجده إله صغير وغير هام.

أما المفاجأة التالية فهي أن أهم ما تحتفي به كتب (الفدا) حول (فِشْنُو) هو أنه طاف العالم، وتقول النصوص أنه قام برحلة حول العالم نفَّذها بثلاث خطوات فقط[351]، وهذه الرحلة أكدتها نصوص (الفِدا) بطرق مختلفة، فهو الطوَّاف[352]، وهو الذي قاس المناطق الأرضية[353]، وهو الذي طاف الأرضين السبع[354], كما أن كلمة

[351] - 1.22.17, 1.154.3, 1.154.4

[352] - 1.154.2

[353] - 1.154.1

[354] - 1.154.16

(فِشْنُو) من حيث اللغة تعني: "هو الذي يدخل أو دخل في كل مكان".

كما نجد بعض النصوص تقول أن (فِشْنُو) خطا خطوتين طاف بهما الأرض، أما الخطوة الثالثة فقد صعد بها إلى السماء[355]، ويؤكد نفس المعنى قول النصوص أن (فِشْنُو) يسكن أعلى السماء، كما نجد نصوصا تقول أن (فِشْنُو) طاف الأرض ثلاث مرات[356].

أما السبب التي أعلنته (الفدا) لرحلة (فِشْنُو) حول العالم، **فهو لخلق مساحات للبشر وللحيوانات حتى يتمكنوا من العيش[357].**

ويلاحظ الدارسون أن (فِشْنُو) يذكر مع (أندرا) في كتب (الفدا)، وتقول نصوص (الفدا) أيضا أن (فِشْنُو) بخطواته الثلاث صنع مساحة (لأندرا) لكي يقتل الشيطان الذي خطف الأنهار، و(أندرا) هذا هو أهم آلهة كتب (الفدا)، ويظن بعض الدارسون أنه كان الشمس، أو إله الشمس الباطل في عصر وضع كتب (الفدا)، ويدلهم على ذلك أن عربة (أندرا) هي عربة ذهبية، وأن (أندرا) له شعر أصفر، ولحية صفراء، وهي صفات إله الشمس الباطل في الديانات الهندوأوروبية.

وهذا يقوي من كون (فِشْنُو) منحدر من شخصية ذي القرنين، حيث ربطت أساطير الشعوب المختلفة بينه وبين الشمس، وإلهها الباطل.

(فِشْنُو) و(أنْكي):

من أهم عقائد (فِشْنُو) ذات العلاقة (بأنْكي) وأساطيره هي عقيدة التجسدات، وهي تقول أن (لِفِشْنُو) عدة تجسدات Avatars, وأن أول هذه التجسدات هو تجسده على هيئة سمكة، فالأسطورة تقول أنه تجسد على هيئة سمكة صغيرة قفزت في يد

---

355 - 1.154.1, 1.155.5,7.29.7

356 - 6.49.13, 7.100.3

357 - http://en.wikipedia.org/wiki/Vishnu

الملك (مانو) Manu عندما كان يغسل يده في النهر، وتوسلت إليه تلك السمكة أن يحافظ على حياتها، فوضعها الملك في قارورة، ولكن السمكة كبرت، ولم تعد القارورة تسعها، فوضعها الملك في حوض، فلما كبرت مرة أخرى، ولم يعد الحوض يسعها، نقلها إلى المحيط، وهنا كشف (فِشْنُو) عن نفسه للملك، وحذره من الطوفان العظيم، ذلك الطوفان سوف يأتي بعد سبعة أيام ويُهلك كل الأحياء على وجه الأرض.



الشكل رقم (273) (فِشْنُو) في تجسد السمكة.

ويطلب (فِشْنُو) من الملك بناء قارب، وأن يحمل عليه البذور والحيوانات، فقام الملك ببناء القارب، وربط قاربه إلى السمكة (فِشْنُو) بحبل، ولما جاء الطوفان سحبت السمكة القارب إلى قمة أحد الجبال، وبذلك أنقذ (فِشْنُو) البشرية من الفناء.

إن هذا التوازي المدهش بين واحدة من أهم عقائد الهندوس، وبين أسطورة الطوفان العراقية، تجعلني أقول بقدر كبير من الثقة أن كهنة الهندوس الذين وضعوا هذه الأسطورة قد استقوا الفكرة من النصوص العراقية القديمة وأنهم كانوا يرون أن (فِشْنُو) هو نفسه (أنْكي).

وفي أسطورة أخرى نجد كهنة الديانة الهندوسية يعطون (فِشْنُو) دور الوسيط بين مجموعتين من الآلهة الباطلة المتنازعة، وهما (الديفا) و(الأشورا)، وهذا يشبه الدور الذي أُعطي (لأنْكي) في أحد النصوص العراقية القديمة، عندما أعطوه دور الوسيط

بين مجموعتين متنازعتين من الآلهة أيضا، وهما (الإيجيجي) و(الأنوناكي).

ويصور الهندوس (فِشْنُو) وهو يستلقي على البحر المحيط الذي يقع أسفل الأرض، والعجيب أنه نفس الموضع الذي ذكرت بعض النصوص العراقية أن (أنْكي) يرتاح فيه، يقول النص:

- أنْكي في عميق مقره أنجور الجياش.
- حيث لا يمكن لأي إله القاء النظر عليه.
- كان دائم الاسترخاء في فراشه لا يتوقف عن النوم[358].



الشكل رقم (274) (فِشْنُو) يستلقي على الحية (شيشا ناج).

(فِشْنُو) و(يِما) الفارسي.

لقد ذُكر في كتاب الأبستاق أن (يِما) طاف الأرض ثلاث مرات ليوسّع الأرض حتى يحظى البشر والحيوانات بمكان يعيشون فيه، وهو نفس ما ذُكر في كتاب (الفدا) عن (فِشْنُو)، وهذا التوازي المدهش بين أقدم النصوص وأهمها في الديانتين يؤكد ما أراه، فمن الواضح أن كهنة الديانة المجوسية من واضعي نصوص

---

[358] - الكتاب الأول السطور 13، 14، 15 ص64.

(الأبستاق) رأوا أن الذي طاف العالم ووسَّعه، لم يكن إلا بشرا وأنه لم يكن (إلها) كما زعم واضعو نصوص (الفدا).

(فِشْنُو) و(بروميثيوس):

هناك تناظر نجده بين (فِشْنُو) من جهة و(بروميثيوس) من جهة أخرى، هذا التناظر يؤكد لنا أن الإثنين أُخذا من (أنْكي)؛ فكل منهما حذّر من قدوم الطوفان، وأمر ببناء سفينة، وبذلك أنقذ البشرية من الفناء.

وكما كان (لبروميثيوس) دور حاسم في خداع (زيوس)، وضمان النصيب الأفضل من الأضاحي للبشر، فإن (فِشْنُو) هو الآخر استطاع أن يسترد الأضحية مرة أخرى من شياطين (الأشورا).

وهناك أسطورة عن (فِشْنُو) تقترب كثيرا من أسطورة تعذيب (بروميثيوس)، والأسطورة تقول أنه لما زاد فساد الناس واقترافهم للشرور، فإن (شيفا) إله التدمير الباطل قرر إبادة البشر، وانطلق يقتلهم ويلتهمهم، ويشرب دمائهم، بل وأعلن أنه لن يتوقف حتى يشبع جوعه من لحومهم، ويروي عطشه من دمائهم.

غير أن (فِشْنُو) رقَّ قلبه لحال البشر، فاقترح على (شيفا) أن يشرب من دمه هو بدلا من البشر، فوافق (شيفا)، فطعن (فِشْنُو) نفسه بالخنجر في رأسه، فانفجر الدم غزيرا من رأسه، وأخذ (شيفا) يعب من دم (فِشْنُو)، ومرت الدهور الطويلة و(شيفا) يشرب من دم (فِشْنُو)، حتى شعر (شيفا) بالأسى لحال (فِشْنُو)، وتركه.

إن أهم ما في هذه الأسطورة أنها تؤكد أن الإله الطيب المتعاطف مع البشر والذي حال دون هلاك البشر، يدفع الثمن بأن تسيل دماؤه، وهذا مشابه لحد بعيد لأسطورة (بروميثيوس).



الشكل رقم (275) شيفا على اليسار يعب الدم المتفجر من رأس (فِشْنُو) على اليمين.

ويتشابه هذا جزئيا مع أسطورة الطوفان العراقية، حيث حالَ (أنْكي) دون هلاك البشر، غير أن النصوص التي وصلتنا لاتحمل نوعا من العقاب، أوالمصير السيء (لأنْكي) نتيجة فعلته، وذلك رغم أن النصوص صرحت بغضب (إنليل) لنجاة البشر من الهلاك.

وأرى أن أسطورة نزف (فِشْنُو) لها علاقة ببرج الجبار، وأن فكرة أن برج الجبار هو صورة رجل ينزف دما هي ماكان يسيطر على تفكير واضعي الأسطورة، وهو يشبه لحد بعيد ماتردد في نصوص الأهرام عن جسد (أُزَيْرِس) الذي تخرج السوائل منه، تلك السوائل التي تعيش عليها الآلهة.

وأرى أن هذه الفكرة، وهي فكرة الإله الذي يُصلب، ويُعذب بدلا عن البشر، هي الفكرة التي استعارها المسيحيون الأوائل عند وضع عقيدة الفداء على الصليب في المسيحية، فالمسيح/الإله يُصلب، ويُعذب، ويُطعن في جنبه الأيمن، وينزف دما، وذلك بدلا وفداءً عن البشر، وإلا عُذبوا هم.

(فِشْنُو) وبرج الجبار:

والآن يمكننا السؤال هل هناك ثمة علاقة في التراث الهندي بين (فِشْنُو) وبرج الجبار؟ والحقيقة أن هناك علاقة وثيقة، فالنصوص الهندوسية تقول أن أحد النجمات الثلاث في حزام برج الجبار هي الإله (فِشْنُو) الباطل.

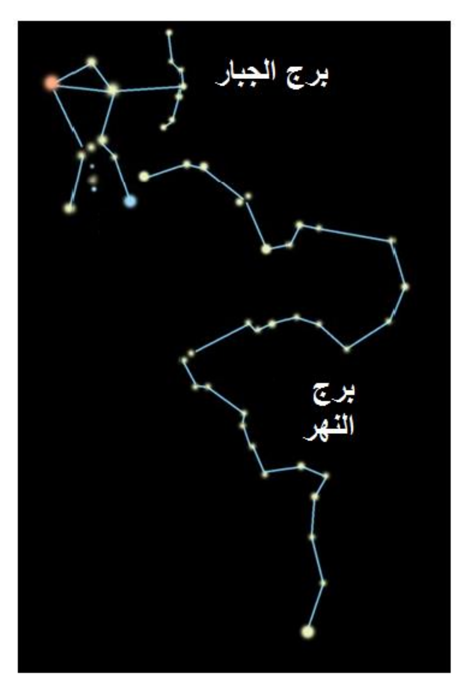
وهناك أسطورة تقول أن نهر (الجانج) المقدس ينزل من السماء، وهو الماء الذي يغسل به (براهما) قدم (فِشْنُو)، وذلك عندما تجسد (فِشْنُو) على هيئة قزم، ثم تضخم حتى صار **عملاقا** وقطع الأرض في خطوتين ثم صعد إلى السماء في الخطوة الثالثة، والعملاق الذي تخيل القدماء أنه في السماء هو برج الجبار، يدل علي ذلك اسمه العربي، والأسطورة اليونانية، ونهر (الجانج) السماوي هو نفسه برج النهر، أوبرج (إريدانوس) الذي يبدو كنهر يسيل من القدم اليسرى لبرج الجبار.



الشكل رقم (276) برج الجبار

كما تخيله القدماء في أبسط الصور.

يؤيد ذلك ماجاء في كتب (الفدا) من ألقاب (لِفِشْنُو)، فقد لُقب بـ "واسع الخطى"، و"بعيد الخطى"، وهما لقبان يليقان بصورة البرج، والذي يبدو كرجل عملاق يخطو في السماء.



الشكل رقم (277) برج النهر يسيل من القدم اليسرى لبرج الجبار.

الفصل الخامس

(أخنوخ)، و(هِرمس) مثلث العظمة، وإدريس

المبحث الأول (أخنوخ)



عند بحثي في تراث الشعوب القديمة عن نصوص تتحدث عن مغرب الشمس أومشرقها، أوذهاب أحد الشخصيات إلى أحدهما أو كلاهما، أوغير ذلك مما له علاقة بذي القرنين ورحلته، عثرتُ علي نصوص هامة في سفر (أُخنوخ) الإثيوبي تُوحي بأن هناك علاقة بين (أُخنوخ) من جهة، وبين ذي القرنين من جهة أخرى.

الشكل رقم (278) صورة متخيلة لأخنوخ وهو يصعد في السماء.

فالنصوص تحكي عن وصول (أخنوخ) إلى منطقة نهاية العالم الغربية، وكذلك إلى منطقة نهاية العالم الشرقية، ليس هذا فقط بل نجد حديثا عن وصول (أخنوخ) إلى الماء الذي يغلي، و"النار التي في الغرب التي تستقبل مغيب الشمس في كل يوم"، وهو نص يقترب كثيرا من النص القرآني: " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ...."، كما وجدت حديثا متكررا يؤكد أن منطقة مغرب الشمس منطقة بركانية نشطة بها العديد من الجبال البركانية، وأن منطقة مشرق الشمس هي منطقة تقع وراء المحيط الهندي، وهو ما يطابق الواقع الجغرافي لمغرب الشمس ومشرقها بشكل كبير.

بالإضافة لما سبق فإن التوراة تصف (أخنوخ) بالصلاح، وأنه رُفع إلى السماء، وتقول المصادر اليهودية الأخرى أن الله علَّمه كل العلوم، وهذا يشابه ما وصف به القرآن ذا القرنين.

ورغم هذا التشابه فإن البَوْن بين الشخصيتين والقصتين لايزال شاسعا، (فأخنوخ) لم يكن ملِكا، ولم يلقب بذي القرنين، وعندما ذهب إلى أقصى الغرب فإنه لم يعذِّب السكان من الكافرين بإثارة البركان عليهم، وبدلا من ذلك فإنه شهد عذاب بعض الملائكة، كما أننا لا نجد في النصوص الواردة عن (أخنوخ) أي ذكر ليأجوج ومأجوج، أو القوم الضعفاء، كما لانجد أي ذكر لبناء (أخنوخ) أي جدار أوسد من السدود.

فمن هو (أخنوخ)؟

(أخنوخ) هو أحد الآباء الصالحين العشرة، وهم الذين أولهم آدم، وآخرهم نوح عليهما السلام، وهم المذكورون في التوراة في سفر التكوين، وعلى ذلك فإن أخنوخ ليس من بني إسرائيل، بل هو والد جد النبي (نوح) عليه السلام، واعتبره كتبة سفر التكوين السابع بعد آدم، يقول سفر التكوين: " 18. وَعَاشَ يَارِدُ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً وَوَلَدَ اخْنُوخَ. 19. وَعَاشَ يَارِدُ بَعْدَ مَا وَلَدَ اخْنُوخَ

ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 20. فَكَانَتْ كُلُّ ايَّامِ يَارِدَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً وَمَاتَ. 21. وَعَاشَ اخْنُوخُ خَمْسا وَسِتِّينَ سَنَةً وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. 22. وَسَارَ اخْنُوخُ مَعَ اللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاثَ مِئَةِ سَنَةٍ وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 23. فَكَانَتْ كُلُّ ايَّامِ اخْنُوخَ ثَلاثَ مِئَةٍ وَخَمْسا وَسِتِّينَ سَنَةً. 24. وَسَارَ اخْنُوخُ مَعَ اللهِ وَلَمْ يُوجَدْ لانَّ اللهَ أَخَذَهُ."[359].

أما في الترجوم (ترجوم جوناثان المزيف) Pseudo Jonthan فإننا نجد أن (أخنوخ) كان عبدا تقيا وأنه رُفع إلى السماء، وأنه تحول إلى ملَك يقال له (ميتاترون)، ولُقب بالكاتب العظيم[360].

ورغم ذلك فلقد جاء في كتابات بعض علماء اليهود المبكرة صورة أخرى (لأخنوخ)؛ فلقد زعموا أن (أخنوخ) لم يكن يحافظ على تقواه، ولذلك رفعه الله إلى السماء، كما قال البعض عنه أنه مات بالطاعون وليس بطريقة إعجازية، ورغم ذلك فلقد كان من القلائل الذين دخلوا الجنة دون أن يذوقوا آلام الموت[361].

ثم حدث تطور في كتابات علماء اليهود، فنجد (أخنوخ) يوصف في كتاب الأسابيع (الجوبليز) بأنه هو الذي اخترع الكتابة، وهو الذي علَّم الناس الحساب والفلك[362].

وبعد ذلك تم نسيان (أخنوخ) لفترة، ليظهر مجددا على هيئة بطل، ومؤلف لعدة كتب، وهي سفر (أخنوخ) الإثيوبي، وسفر (أخنوخ) السلافي، وسفر (أخنوخ) العبري.

---

[359] - سفر التكوين الإصحاح 5
http://www.arabchurch.com/ArabicBible/Genesis/5

[360] - الموسوعة اليهودية
http://www.jewishencyclopedia.com/articles/5772-enoch

[361] - الموسوعة اليهودية.
http://www.jewishencyclopedia.com/articles/5772-enoch

[362] - نفس المصدر السابق.

وفي سفر (أخنوخ) الإثيوبي يعالج الكتبة فكرة سقوط الملائكة، وهي فكرة يهودية مفادها أن بعض الملائكة فُتنوا بنساء البشر، فهبطوا إلى الأرض مخالفين أمر الله، وتزوجوا من بعض النساء، وأفشوا بعض أسرار العلوم للبشر، ويقوم أخنوخ في السفر بدور الوسيط بين الملائكة العاصية، وبين الله عز وجل، وبجوار هذه الفكرة المركزية، يتحدث السفر عن رحلة أرضية (لأخنوخ) في صحبة الملائكة، وعن رحلة سماوية إلى السماء يقوم بها (أخنوخ) حيث يعلّمه الله كل العلوم.

وفي سفر (حانوك) Hanok نجد أن (أخنوخ) قد رُفع إلى السماء، وعُيِّن حارسا على الكنوز السماوية، ورئيس ملائكة العرش، وهو يعلم كل الأسرار والأمور الغامضة، وكل الملائكة رهن إشارته، وهو الذي يقود الأرواح إلى مكان سعادتها، ولُقب بـ "أمير وجه الله"، و"أمير التوراة"، و"أمير الحكمة"، و"أمير العظمة"، وهو الذي كان يتنزل بوحي الله على (موسى) عليه السلام.

وفي (المدراش) الصغير[363] نجد في سفر (هكالوت) Hakalot, رجلا يسمى (اسماعيل)، يرى رؤيا أنه يصعد إلى السماء، فيجد هناك (أخنوخ)، وقد تحول فصار الملك (ميتاترون)، فيحكي له (أخنوخ/ميتاترون) قصته، ومفادها أن الله رفعه إلى السماء عندما انتشر الفساد في الأرض على يد (سميازاي) و(عزئيل)، وذلك ليصبح (أخنوخ) بصعوده شاهدا على أن الله لم يكن قاسيا مع البشر عندما أرسل عليهم الطوفان، وهناك في السماء فُتحت على (أخنوخ) أبواب الحكمة، وعُيِّن (ميتاترون)، ورئيسا لكل الملائكة، وتحول جسده إلى جسد من نور.

وفي سفر (هيي هنوك) Hayy Hanok نجد قصة (أخنوخ) قد طِّورت بشكل كبير، فأخنوخ صار راهبا تقيا طلبت منه الملائكة أن يعود ليخالط الناس، وأن يذكرهم بالتوبة والرجوع

---

363 ـ اسم يطلق على كتب المدراش المتأخرة والصغيرة نسبيا.

إلى الله، وتجمع لديه عدد كبير من التلاميذ، منهم بعض الملوك، وفي النهاية صار ملِكا على الناس، وعلى ملوك الأرض، وساد السلام العالم لمدة 243 سنة هي مدة حكمه، ثم إنه أحب أن يعود إلى خلوته، فصار يظهر مرة كل عام، ثم أخبر أتباعه ورعيته أنه سوف يصعد إلى السماء ليكون ملِكا على الملائكة، كما كان ملِكا على البشر.

وفي نص متأخر يظهر (أخنوخ) إسكافيا، لايغرز غرزة إلا وذكر الله.

وفي الروايات الإسرائيلية التي وصلتنا في كتب التفسير، نجد أن مسلمة أهل الكتاب يذكرون روايات عن نبي الله إدريس عليه السلام، وليس عندي شك أن هذه الروايات كانت روايات في بعض كتب اليهود قبل الإسلام، ولاأشك أنهم كانوا يروونها عن (أخنوخ) وليس إدريس، وأنه لما نزل القرآن الكريم يتحدث عن إدريس، وأنه النبي المرفوع إلى السماء، أبدلوا اسم إدريس في رواياتهم باسم (أخنوخ).

وفي هذه الروايات نجد فكرة رئيسة، وهي أن هناك ملَك من الملائكة يزور إدريس، وبعض الروايات تحدد الملَك بأنه ملَك الشمس، فيطلب منه إدريس أن يصعد به إلى السماء، فيحمله الملَك، ويعرج به في السماء، فيقابله ملَك الموت هابطا ليقبض روح إدريس، فيقبض روح إدريس في السماء الرابعة.

وهناك رواية أخرى يلخصها القرطبي في تفسيره، وينسبها إلى (وهب بن منبه)، ونجدها كاملة في تفسير الدر المنثور، وملخصها هو أن إدريس كان شديد التقوى، فأحبه ملك الموت، وذهب إليه يطلب صحبته، فلما علم إدريس أنه ملك الموت طلب منه أن يقبض روحه ليذوق طعم الموت، ففعل، فلما بعثه الله طلب إدريس من ملك الموت أن يدخله النار ليزداد خوفا منها، ففعل ملك الموت، ثم طلب من الملك أن يدخله الجنة ليزداد عملا لها

ففعل، فلما دخل إدريس الجنة رفض أن يخرج، واختصم هو والملك إلى الله، فحكم الله بأن الحق مع إدريس، وأبقاه في الجنة.

وفي كتب المؤرخين المسلمين، من أمثال اليعقوبي، وابن قتيبة، والطبري، نجد أنهم يعطوننا صورة توراتية معدلة عن (أخنوخ) الذي يسمونه إدريس، فيقولون أنه السابع بعد آدم، ولكنهم يقولون عنه أيضا:

1- أنه كان يعظ أبناء (شيث)، بعدم الهبوط، والاختلاط بأبناء (قابيل).
2- وأنه له علاقة بالحياكة، فهو أول من خاط الثياب.
3- وأنه أول من خط بالقلم.
4- وأنه جاهد في سبيل الله، وسبى من ولد (قابيل).
5- وأنه أول من ركب الخيل.
6- وأنه أُنزل عليه ثلاثين صحيفة.

أصول (أخنوخ):

(أخنوخ) و(أنمدرنكي):

جمهور الدارسين للكتاب المقدس يتفقون على أن سلسة الآباء العشرة التي تبدأ بآدم عليه السلام، وتنتهي بنوح عليه السلام، هي **حديث خرافة**، وأنها مقتبسة من لائحة الملوك السومرية، ولائحة الملوك السومرية هي وثيقة قديمة تَذْكر الملوك الذين ملكوا العراق القديم قبل الطوفان، وتجعلهم عشرة[364]، وعاشرهم هو نفسه صاحب السفينة الذي نجا من الطوفان.

وأكثر من ذلك فإن الدارسين يشيرون إلى أن الملك السابع في لائحة الملوك السومرية، والذي تسميه النسخ **(أنمدرنكي)** قيل عنه أنه رُفع إلى السماء بواسطة كل من الإله (شَمِش) إله الشمس الباطل، والإله (حدد) الباطل، وأنهما علَّماه كيفية التنبؤ، وأنه

---

[364] - في بعض نسخها.

صار أول كاهن للعراقيين القدماء، وأن كل الكهنة منحدرين منه[365].

كما إن الدارسين في شك مريب من عُمر (أخنوخ) المذكور في التوراة، فهو نفس عدد أيام السنة الشمسية، وهذا يضفي صفة شمسية لهذه الشخصية التوراتية تلحقها بآلهة الوثنيين.

(أخنوخ) وأسطورة سقوط الملائكة:

بدأت هذه الأسطورة على يد كتبة سفر التكوين، عندما قالوا: "1. وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَا النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الارْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2. أنَّ ابْنَاءَ اللهِ رَاوا بَنَاتِ النَّاسِ انَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لانْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا.3. فَقَالَ الرَّبُّ: "لا يَدِينُ رُوحِي فِي الانْسَانِ الَى الابَدِ. لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ ايَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً».4. كَانَ فِي الأَرْضِ **طغاة** [حرفيا: نفيليم] فِي تِلْكَ الايَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ايْضا اذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ اوْلادا - هَؤُلاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ."[366]. و(نفيليم) المذكورة تعني عمالقة على الأرجح وليس كما ذهب مترجم النص.

وقول النص: "أبناء الله" المذكورة في النص لاتعني سوى الملائكة، وهكذا فهمها عامة الدارسين من أهل الكتاب.

وجاء من بعدهم كتبة سفر (أخنوخ) الإثيوبي ليزيدوا الأمر إيضاحا وتأكيدا؛ فالملائكة الهابطة هم زمرة من الملائكة قرَّرت أن تترك الحالة الملائكية، وأن تهبط إلى الأرض وأن تتزوج من البشريات، ويُفشي بعض هؤلاء الملائكة بأسرار بعض العلوم للبشر، وينجبون العمالقة الذين يعيثون في الأرض فسادا.

---

[365] - الموسوعة الكاثوليكية.

[366] - سفر التكوين.

وكتنويع على الأصل تجعل بعض الروايات اليهودية في (المدراش) الملائكة الساقطة ملكين فقط.
والأسطورة تشابه أساطير اليونانيين التي تقول بأن الآلهة كانت تتزوج من البشر، كما تشابه أساطير الهندوس، والمجوس التي تزعم وجود صراع بين مجموعتين من الآلهة الباطلة، مجموعة سماوية ومجموعة أرضية، وهذه الفكرة الأخيرة نجد أصولها عند العراقيين وذلك في قصيدة (أتراحسيس).
وقصيدة (أتراحسيس) هي قصيدة عراقية قديمة تحكي تاريخ العالم من وقت بدايته، وتتعرض لمسألة خلق الإنسان، ثم حادثة الطوفان العظيم، وتبدأ القصيدة بفكرة قيام تمرد بين آلهة تعيش على الأرض، تقوم به ضد كبير الآلهة إنليل، وطائفته من آلهة السماء.

(أخنوخ) و(نوسكو):

وأرى أن كتَّاب سفر (أخنوخ) الإثيوبي كانوا يستلهمون من هذه القصيدة القديمة (أتراحسيس)، وأنهم عندما أعطوا أخنوخ دور الرسول بين الله وبين الملائكة الساقطة، كانوا يعطونه دور الإله الباطل (نوسكو)، الذي جعله واضعو القصيدة القديمة الرسول بين إنليل من جهة وآلهة الأرض المتمردة من جهة أخرى.
أما (نوسكو) فهو إله النار، والضوء الباطل، عند العراقيين القدماء، وهو أيضا له صلة بالحضارة، وهو إله العدالة، وقد أُعطي وظيفة وزير إنليل، ورسوله، وقيل عنه أنه "صديق الشمس" أو **"مصاحب الشمس"**، كما لعب دور الوسيط بين البشر والآلهة[367].

---

[367] - http://en.wikipedia.org/wiki/Nusku

ويرى البعض أن (نوسكو) كان يمثل كوكب عطارد عندما يظهر بعد غروب الشمس، وذلك عندما يُمَثل الكوكب بإلهين باطلين، أحدهما يرمز للكوكب عندما يظهر كوكب عطارد في الصباح قبل الإشراق، والآخر عندما يظهر الكوكب بعد غروب الشمس، وهذا في مقابل الإله (نابو) الذي يمثل كوكب عطارد في حالتيه.

وقد لاحظ الباحثان (لوي) و(لوي) أن **(نوسكو) تشارك مع (نابو) في الألقاب**، وأن (نوسكو) رُسم وهو يحمل عصا (نابو)، وألواحه، وذلك في مذبح خصصه الملك الآشوري (لنوسكو) في القرن الثالث قبل الميلاد، وربما يفسر هذا التشابه الكبير الذي يلحظه الباحثين بين شخصية (أخنوخ) و(نابو) كما سأوضح فيما بعد.

(أخنوخ) و(أنْكي):

وفي سفر (أخنوخ) الإثيوبي نجد هناك سفرا منسوبا لنبي الله نوح، ويشغل الإصحاح الرابع والستين من السفر، وهو يعطي صورة أخرى (لأخنوخ) وعلاقته بالطوفان.

فنحن نجد كتبة هذا الإصحاح يعطون (أخنوخ) دور (أنْكي) في قصيدة أتراحسيس القديمة، فالإصحاح يقول: "1- **رأى** نوح في تلك الأيام أن الأرض باتت منحدرة، **وأن الدمار صار قريبا** 2- ثم إنني رفعت قدمي وذهبت إلى نهاية الأرض إلى مسكن جده الكبير أخنوخ 3- وصرخ نوح بصوت متألم: اسمعني، اسمعني، اسمعني ثلاث مرات. وقال: أخبرني ما هو الإجراء الواقع على الأرض، لأن الأرض تتألم، وتهتز بعنف، من المؤكد أنني سوف أهلك معها. 4- بعد هذا كان هناك ارتجاف كبير على الأرض، وسمع الصوت من السماء، وخررت أنا على وجهي عندما جاء جدي الكبير أخنوخ، ووقف إلى جانبي 5 - قال لي لماذا صرخت لي ببكاء حاد ونحيب؟ -6- صدر أمر من الرب ضد هؤلاء الذين

يسكنون على الأرض، حتى يجري تدميرهم، لأنهم عرفوا كل سر من أسرار الملائكة، وكل ظلم، والقوة السرية للشياطين، وكل قوة للذين يقترفون السحر، وكذلك للذين يصنعون تماثيل مصهورة في كل الأرض كلها."[368]

وهذا يشبه إلى حد بعيد ما كتبه الكهنة العراقيين عن قصة الطوفان وعن (أتراحسيس) صاحب السفينة و(أنْكي) في قصيدة (أتراحسيس):

العمود الثالث في الرقيم الثاني:

5- فكان يبكي كل يوم

6- ويجلب القرابين في الصباح

العمود الأول في الرقيم الثالث:

11- وفتح أتراحسيس فاهه

12- وقال مخاطبا سيده

13- أخبرني بمغزى الحلم

15 - ففتح (أنْكي) فاه

16 - وقال مخاطبا عبده:

22- هدِّم بيتك وابن سفينة[369]

ففي كلا النصين الناجي من الطوفان صاحب السفينة يرى رؤيا، فيذهب إلى (شخصية) ليسأله تأويل الحلم، فتخبره هذه الشخصية بأن الطوفان قادم.

ومما يؤكد الاقتباس هو أننا نجد الكاتب يجعل (أخنوخ) يُري نوحَ المياه التي تحت الأرض، وكما نعلم، فإن (أنْكي) كان ربا باطلا لتلك المياه؛ فنقرأ في الإصحاح 65: " أراني بعد هذه [أي أن أخنوخ أرى نوحا] ملائكة المُعاقَبة الذين كانوا مستعدين للقدوم،

---

[368] - سهيل زكار، المحذوف من التوراة كاملا، دار قتيبة سفر أخنوخ الإصحاح الرابع والستون صفحة 95.

[369] - د فاضل عبد الواحد علي الطوفان في المراجع المسمارية، مكتبة الأهالي ص 120، 126.

وفتح المياه الجبارة كلها الموجودة تحت الأرض.-2- ذلك يمكن أن يكون من أجل الحكم، ومن أجل تدمير جميع الذين بقوا وسكنوا على الأرض"[370].

وربما من هذه الفكرة جاءت تسمية (أخنوخ) بهذا الإسم، فأخنوخ هي في أصلها (خنوخ) وأزيدت عليها الألف، ولقد ذكر عبد الرؤف سعده في كتابه أن أصل كلمة (نوح) هو كلمة (نوخ) بمعنى (اللابث)، وذلك لطول عمره، وعلى هذا يكون كل من (نوخ) و(خنوخ) يشتركان في المقطع (نوخ)، فما معنى المقطع الأول من كلمة (خنوخ)، وهو (خن)؟

إن كلمة (خن) باللغة العبرية تعني رحمة، ولقد ذكرت في نفس قصة الطوفان في التوراة، في قول الكاتب: "وأما نوح فوجد رحمة [حرفيا باللغة العبرية: خن] في عيني الرب"[371]

فكأن (خن - نوخ) تعني "رحمة نوح" أو "راحم نوح"، وذلك إشارة دور (أخنوخ) المزعوم في تحذير نوح من الطوفان، وهي تلك الفكرة التي ذكرها كاتب سفر نوح.

(أخنوخ) و(ميتاترون):

جاء في عدد من المصادر اليهودية عن (أخنوخ) أنه تحول في السماء بعد رفعه إلى ملَك من الملائكة، وأنه لُقِّب بـ (ميتاترون)، وأنه صار رئيسا للملائكة، وفي أحد الكتب لقبه اليهود **بِـ "يهواه الصغير"**، وهو شرك بيِّن، فـ (يهواه) هو اسم الله في اليهودية.

ولقد احتار الدارسون في (ميتاترون) هذا، وفي أصله، فكيف يكون (ميتاترون) رئيسا للملائكة ثم لا يُذكر في التناخ/العهد القديم وهو كتاب اليهود المقدس؟ ولقد ذهب (ألكسندر كهوت)Kohut إلى أن (ميتاترون) مأخوذ من (مِثرا) الإله الباطل عند الفرس،

[370] - سهيل زكار المحذوف من التوراة كاملا دار قتيبة سفر أخنوخ الإصحاح الخامس والستون صفحة 95.

[371] - سفر التكوين 8.

كما قال (أدبرج) Odeberg أن الاسم (ميتاترون) مأخوذ من (مِثرا)، وذلك بناء على موقع كل منهما في السماء، ووظيفة كل منهما.

(فمثرا) في الأبستاق الفارسي هو كبير (اليزداتا)، وهي المخلوقات الشبيهة بالملائكة في الديانات الإبراهيمية، ولقد أعطى كهنة الديانة الزرادشتية مكانة عظيمة (لمثرا)، فنسبوا إلى (أهورامزدا) في الأبستاق القول: "لقد خلقته [مثرا] مستحقا للقرابين وتقديم الصلوات مثلي تماما، أنا أهورا مزدا"، وهذا يشبه إطلاق التلمود على (ميتاترون) لقب "يهواه الصغير".

وفي سفر (أخنوخ) العبري، يصور كاتب السفر تحول (أخنوخ) (لميتاترون)، ويجعل (ميتاترون) قريبا جدا من (مِثرا) كما وصفه (الأبستاق)؛ فقد وُصف في السفر بأن جسده تحول إلى نار سماوية، وأن لحمه صار نارا، وأن عروقه لهب، وأن عظامه جمر متقد، وهذا يشبه ما قاله الأبستاق عن (مِثرا): "المضيء بنفسه مثل القمر عندما يجعل جسده مشعا"، وهذا الوصف يشبه أن يكون وصفا لبرج الجبار فهو على هيئة بشرية، ومكوَّن من نجوم مضيئة.

كما وَصف كاتب سفر (أخنوخ) العبري (ميتاترون) بأن له 365 ألف عين، ربما يقصد النجوم التي في برج الجبار، وهذا القول يشبه أيضا ما ذكره كاتب الأبستاق عندما وصف (مِثرا) بأن له عشرة الآف عين، ويشبه هذا وذاك تفسير (بلوتارخ) لمعنى اسم (أُزَيْرِس)، فلقد فسره بأنه يعني "عديد الأعين"، ونحن نعلم العلاقة الوثيقة بين (أُزَيْرِس) وبرج الجبار.

وربما يقوي رأيي بأن (ميتاترون) هو برج الجبار ما قيل في التلمود من أنه عندما دخل الحبر اليهودي (إليشع بن أبيه) Elisha ben Abuyah الجنة وجد (ميتاترون) جالسا، وحيث أنه لايصح الجلوس في حضرة الله، فلقد صرخ (إليشع): "إنه لحقا توجد قوتان في السماء"، يقصد بذلك إلهين اثنين: الله،

و(ميتاترون)، وهو كفر بَوَاح كما ترى، ولقد اعتذر اليهود عن ذلك في التلمود فقالوا أن (ميتاترون) كان جالسا ليكتب أعمال بني إسرائيل، كما أنه يتعرض للضرب بقضيب من نار لإثبات أنه ليس إلها[372].

وأرى أن "الرجل الجالس في السماء" هو أحد التصورات التي تصورها القدماء لبرج الجبار، وسوف أزيد الأمر شرحا في الصفحات القادمة، والضرب بقضيب من نار ربما يكون شكل الشهب التي تبدو وكأنها تضرب برج الجبار.

كما أن الملَك (ميتاترون) لُقب بالاسم (عَزَّا) Azza في سفر هِشِك[373] Sefer ha-heshek, وفي موضع آخر قيل عن هذا المَلَك (عزا) أنه هو الذي عُوقب بأن عُلِّق في السماء، وأنه هو برج الجبار[374].

(أخنوخ) والعلم والحكمة والكتابة:

في سفر أخنوخ الإثيوبي قيل عن (أخنوخ) أنه رُفع إلى السماء، وهناك عُلِّم أسرار السماوات، وأنه عندما نزل إلى الأرض فإنه عَلَّم الناس وخصوصا ابنه هذه العلوم.

وقد لاحظ (أندريه أرلوف) Andrei Orlov في كتابه The Enoch-Metatron Tradition أن هذه التيمات عن (أخنوخ) مأخوذة عن (أنمدورنكي)، وبالتحديد عن لوحة (نينوى) التي ترجمها ونشرها (ويلفرد لامبرت) Wilfred Lambert, ففي اللوحة يرفع الإلهين الباطلين (شميش) و(حدَد) (أنمدرنكي)

---

372 - http://en.wikipedia.org/wiki/Metatron

373 - Gustav Davidson, A Dictionary of Angels: Including the Fallen Angels, Scrollhouse, 1967 ISBN 0-02-907052-X pg. xiii, xxiv,

374 - Gustav Davidson, A Dictionary of Angels, 1967, Free Press

إلى السماء، وهناك يجلسانه على كرسي ذهبي، ثم يُعلمانه التنبؤ، وأسرار السماوات والأرض، ويعطيانه لوح الآلهة، وعندما يعود (أنمدرنكي) إلى الأرض فإنه يعلم الناس ما تعلمه، ويعطيهم لوح الآلهة، ويعلم ابنه[375]. وقد لاحظتُ في نفس اللوح أن واضع اللوح يصف حالة من الفوضى والفساد تسود الأرض، وانتشار الأرواح الشريرة، وذلك قبل أن تُصعد الآلهة (أنمدرنكي) إلى السماء، وهذه الحالة تشبه ما وصفه كتبة سفر أخنوخ عن حال الأرض قبل عروج (أخنوخ) إلى السماء.

وقد جاء في الترجوم أن (أخنوخ) رفع إلى السماء، وأُعطي لقب "الكاتب العظيم" (سفر ربا)، وفي كتاب الأسابيع، وفي الترجوم نسب إلى (أخنوخ) أنه هو الذي اخترع فن الكتابة، وأنه علَّم الناس الفلك والحساب، وفي سفر (أخنوخ) وُصف بأنه "أخنوخ الكاتب"، وأنه "كاتب الأبرار"، و"كاتب المستقيمين".

ويرى بعض الدارسين أن هذه العلاقة بالكتابة، وباختراع الكتابة وتعليمها للناس، مأخوذة من (نابو) إله الكتابة، والحكمة، وألواح القدر عند البابليين والأشوريين، وقد وصف بأنه كاتب (مردوخ) أي الإله الأعظم عن البابليين.

كما قد تمت مساواة (مِثراس) بـ (هرمس)، ومن المعروف أن (هرمس) هو رب الكتابة الباطل عند اليونانيين القدماء، وهو رسول (زيوس) زعيم الآلهة الباطلة.

أخنوخ في الإسرائيليات:

وردت روايات في كتب التفسير عن مسلمة أهل الكتاب تتحدث عن نبي الله إدريس، وهذه الروايات - على مايبدو - هي روايات

---

375 - http://enochtheprophet.blogspot.com/2008/12/enmeduranki.html

اسرائيلية كانت تروى قبل الاسلام عن (أخنوخ)، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن باسم النبي الذي رفعه الله إلى السماء، وسمَّاه إدريس، ربط مسلمة أهل الكتاب بين إدريس القرآني و(أخنوخ) التوراتي، وأعادوا رواية الروايات السابقة بعد تغيير اسم (أخنوخ) إلى إدريس، وبعد إضفاء مسحة إسلامية سطحية لاتخطئها العين.

ويمكننا تقسيم الروايات الإسرائيلية التي جاءت تحكي قصة رفع نبي الله إدريس/(أخنوخ) إلى السماء إلى قسمين اثنين:

القسم الأول هي الروايات التي تقول أن ملك من ملائكة السماء أُعجب بتقوى إدريس وورعه، فاستأذن الله في النزول له، وعندما قابله، طلب منه إدريس الصعود إلى السماء، وعند السماء الرابعة، يصادفان ملك الموت هابطا، فيقبض روح إدريس في السماء الرابعة، ومن هذا القسم تلك الروايات التي عيَّنت الملَك الذي زار إدريس بأنه ملك الشمس.

القسم الثاني من الروايات هي تلك الرواية التي يذكر وهب بن منبه فيها أن ملك الموت قد صاحَبَ النبي إدريس، ولما علِم إدريس حقيقته طلب منه أن يموت ثم يبعث، ثم أن يدخله النار، ثم أن يدخله الجنّة، وبعد أن دخل الجنّة رفض الخروج منها.

ويحسن بي أن أورد الروايتين اللتين ذُكرا فيها إدريس مع ملك الشمس، ففي تفسير القرطبي: "وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس وكعب وغيرهما: أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب أنا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها. يعني الملك الموكل بفلك الشمس؛ يقول إدريس: اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها. فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل مالا يعرف فقال: يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي فيه؟ فقال الله تعالى: "أما إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته" فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيني وبينه خلة. فأذن الله له حتى أتى إدريس، وكان إدريس عليه السلام يسأله.

فقال أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي، فأزداد شكرا وعبادة. فقال الملك: لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فقال للملك: قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي. قال نعم. ثم حمله على جناحه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم قال لملك الموت: لي صديق من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله. فقال: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت علمه أعلمته متى يموت. قال": "نعم" ثم نظر في ديوانه، فقال: إنك تسألني عن إنسان ما أراه يموت أبدا. قال "وكيف"؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال: فإني أتيتك وتركته هناك؛ قال: انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء. فرجع الملك فوجده ميتا."

وجاء في القرطبي أيضا:"وقال السدي: إنه نام ذات يوم، واشتد عليه حر الشمس، فقام وهو منها في كرب؛ فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس حرها، وأعنه على ثقلها، فإنه يمارس نارا حامية. فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومثلها عن يساره يخدمونه، ويتولون أمره وعمله من تحت حكمه؛ فقال ملك الشمس: يا رب من أين لي هذا؟. قال "دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس" ثم ذكر نحو حديث كعب، قال فقال له ملك الشمس: أتريد حاجة؟ قال: نعم وددت أني لو رأيت الجنة. قال: فرفعه على جناحه، ثم طار به، فبينما هو في السماء الرابعة التقى بملك الموت ينظر في السماء، ينظر يمينا وشمالا، فسلم عليه ملك الشمس، وقال: يا إدريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت: سبحان الله ! ولأي معنى رفعته هنا؟ قال: رفعته لأريه الجنة. قال: فإن الله تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة. قلت: يا رب وأين إدريس من السماء الرابعة، فنزلت فإذا هو معك؛ فقبض روحه فرفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى: ورفعناه مكانا عليا."

إن أكثر ما يلفت النظر هو تلك الصداقة الغريبة بين إدريس/أخنوخ، وملَك الشمس، والتي ابتدع لها واضع الرواية سببا **طريفا**، وهو أن إدريس دعا الله ليخفف عن ملك الشمس، فكان ذلك سببا لمحبة ملك الشمس له، ولكن كيف لنا أن نُخدع وقد علمنا علاقة الأبطال المختلفين والآلهة الباطلة بإله الشمس الباطل في شتى الحضارات؟

وربما نلمح أثر الوثنية بشكل أكبر في قول واضع النص على لسان إدريس لملَك الشمس:" أخبرتُ أنك أكرم الملائكة"، فإله الشمس الباطل كان عند المصريين القدماء، وبعض شعوب المنطقة هو زعيم الآلهة الباطلة.

وتكاد تكون الروايتان وصفا لعلاقة (مِثراس) (بهليوس) إله الشمس الباطل، تلك العلاقة التي نستطيع استنتاجها بسهولة من اللوحات التي وصلتنا والتي وجدناها في معابد الديانة المثرائية، ففي أكثر من منظر نرى (مِثراس) يجلس مع (هليوس) جلسة الأصدقاء، أو يتناولان الطعام، أو يتصافحان.



الشكل رقم (279) مثراس على اليمين وهليوس على الشمال في جلسة الأصدقاء

وفي منظر آخر شديد الأهمية نجد (مِثراس) يستقل عربة إله الشمس الباطل (هليوس) ويعرجان في السماء، وهو ما يطابق نص الرواية.



الشكل رقم (280) هليوس يشع الضوء من رأسه يصطحب معه مثراس في أقصى يمين الصورة ويصعد به إلى السماء.

وربما يدعم قولي بأن الروايتين مأخوذتان من عقائد (مِثراس)، هذه الرواية: "وروى الدينوري في المجالسة من طريق أبي قِلابة الجِرْمي ما يشهد، لذلك قال كان رجل يقول اللهم صل على ملَك الشمس، فيكثر من ذلك، فاستأذن ملك الشمس ربه عز وجل أن ينزل إلى الأرض فيزوره، فنزل إلى الأرض، ثم أتى الرجل، فقال إني سألت الله النزول إلى الأرض من أجلك، فما حاجتك؟ قال بلغني أن ملك الموت صديق لك، فاسأله أن يُنْسِئ في أجلي، ويخفف عني الموت، قال فحمله معه فأقعده مقعده من الشمس،

وأتى ملك الموت فأخبره، فقال من هو؟ فقال فلان ابن فلان، فنظر ملك الموت في اللوح فقال إن هذا لا يموت حتى يقعد مقعدك من الشمس، فقال فقد قعد مقعدي من الشمس، فقال لقد توفته رسلنا وهم لا يفرطون، فرجع ملك الشمس فوجده قد مات"[376].

وفي الرواية لمحة من أسطورة (فيثون)، ويزول عجبنا إذا علمنا أن (مِثراس) قد تم مساواته (بفيثون) في بعض المرات؛ ففي إحد معابد الديانة المثرائية في (ديبرج) Dieburg, نجد أن الكاهن قد صور (مِثراس) محاطا بتفاصيل أسطورة (فيثون)، في خلط بين الشخصيتين.

وربما تستمد هذه الفكرة أركانها من تفسير اسم (أُزَيْرِس)، بأنه "مكان الشمس"، بمعنى الرجل الذي كان مكان الشمس.

أما فكرة وجود إدريس وهو ميت في السماء، فربما لهذا علاقة بشكل برج الجبار التي يمكن تصورها على هيئة رجل ميت.

وأغلب ظني أن القائلين بأن (أخنوخ) ميتٌ في السماء الرابعة هم الطائفة الرئيسة من اليهود الذين يحاولون بهذا القول مقاومة روايات وكتب طائفة أخرى من اليهود، تلك الطائفة التي تزعم أن (أخنوخ) تحول إلى رئيسا للملائكة في السماء، وتلقب (بميتاترون)[377].

أما الرواية التي تحكي كيف أن إدريس خدع ملك الموت فيرويها القرطبي عن وهب بن منبه: يقول" كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه عز وجل في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه،

---

376 - كشف الخفاء ومزيل الإلباس

172723/?p=view&post=2.com/knol28http://www.kl

377 - يقول الدارسون أنه ظهرت طائفة من اليهود تعلي من شأن أخنوخ ولا تحتفي بالقدر الكافي بالتوراة أو بموسى.

ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما في سؤالك من قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه لأكون أشد استعدادا له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله في رفعه، فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل، ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة فاستفتح، ففتحت أبوابها فأدخله الجنة، ثم قال ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكا حكيما بينهما فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: "كل نفس ذائقة الموت" (آل عمران: 185) وقد ذقته، وقال: "وإن منكم إلا واردها" (مريم: 71)، وقد وردتها، وقال: "وما هم منها بمخرجين"(الحجر: 48) فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك، ذلك قوله تعالى: " ورفعناه مكانا عليا".

ورغم المسحة الإسلامية فهذه القصة المضحكة في أصلها ليست إلا خرافة سطرها اليهود في كتبهم قبل الإسلام، ولم يكن بطل القصة نبي الله إدريس أو (أخنوخ)، بل كان أحد أحبار اليهود الكبار واسمه (جُشوا بن ليفي) Joshua ben Levi.

ويبدو لي أنه لما حكى اليهود حكايات حول هذا الحبر مشابهة لحكاياتهم حول (أخنوخ) فإنه قد تم الخلط بينهما، ونسب ما لحبرهم (جشوا) (لإخنوخ) الذي حوله مسلمة أهل الكتاب إلى إدريس.

(أخنوخ) كما جاء عند الإخباريين المسلمين:

إن الأسطورة التي رواها المؤرخون والتي تقول إن (أخنوخ)/إدريس كان يعِظ أبناء (شيث) ابن آدم، ويأمرهم بعدم النزول والاختلاط بأولاد قابيل، هي فكرة مأخوذة من تفسير أبناء الله و بنات الناس - اللتان وردتا في سفر التكويين - بأبناء (شيث) الصالحين، وبنات (قايين)/(قابيل).

وهذا الفهم يحاول الهروب من تسمية الملائكة "أبناء الله"، ومن القول بأن الملائكة تزوجت من النساء البشريات، وأول من قال بهذا الحل هو (جولياس) الأفريقي، ثم تبناه القديس (أوجستين).

ولكن هذا الفهم غير مقبول لعدة أسباب منها أن "أبناء الله" في العهد القديم من الكتاب المقدس لا تعني سوى الملائكة، ثانيا أن عامة علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى القدماء متفقين على أن الذي هبط وتزوج النساء هم الملائكة، وثالثا أن الإنجيل المعترف به وحيا من عند الله به إشارة واضحة لقصة سقوط الملائكة.

أما باقي الخصائص التي أضافها مؤرخونا عن (أخنوخ) فوجدتها مأخوذة من أساطير الفرس وما كتبه الفردوسي في قصيدته المشهورة (الشاهنامه) عن الملك الأسطوري (طهمورث).

وأرى أن سبب إختيار (طهمورث) بالذات هو ماقيل عنه أنه أول من تعلم الكتابة وعلمها للناس، فظنوا أنه هو نفسه (أخنوخ)، وراحوا ينقلون باقي ما رواه الفرس عنه وينسبونه إلى (أخنوخ)/إدريس.

فقولهم عن إدريس/(أخنوخ) أنه أول من خاط الثياب مأخوذ عن أسطورة عن (طهمورث) تقول أنه أول من علم الناس الغزل والنسج، وتقول (الشاهنامه) أن الملك السابق (لطهمورث) وهو (هوشنج)، هو من اخترع استخدام فراء الحيوانات كملابس،

ونحن نجد أن ابن قتيبة في كتاب المعارف يقول:"وأول من خاط الثياب، ولبسها، وكانوا من قبل يلبسون الجلود".

أما فكرة جهاد (أخنوخ) لأبناء قابيل فهي مأخوذة من حرب (طهمورث) للشياطين، فالطبري في تاريخه يقول: "وذُكر أنه كان أول من ركب الخيل، لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد"، وقد قيل في (الشاهنامه) عن (هوشنج) والد (طهمورث) أنه أول من أعلن الحرب على الشياطين.

وأرى أن قولهم عن (أخنوخ)/إدريس أنه أول من استرقَّ (أي اتخذ أرقاء أي عبيدا) من أولاد قابيل، مأخوذ من مما قيل عن (طهمورث) في (الشاهنامه) أنه أبقى على حياة الشياطين ليستعملهم.

وما قيل عن (أخنوخ)/إدريس أنه أول من ركب الخيل، ففي الأبستاق نجد حديثا عن امتياط (طهمورث) لظهر خصمه (أهرمن) (يشابه شخصية الشيطان في الديانات الإبراهيمية)، وهو على هيئة حصان. وما ذكره الإخباريون عن عدد الصحف التي أنزلت على (أخنوخ)، وهو ثلاثين صحيفة، مأخوذ هو أيضا من أساطير (طهمورث)؛ فقد قيل أن الشياطين المأسورين لديه علموه الكتابة بثلاثين لغة. ولعلنا نلاحظ أن الإخباريون المسلمون حولوا الملائكة العاصية إلى أبناء قابيل العاصين، عندما تحدثوا عن زواجهم من بنات الناس، وحولوا الشياطين الفارسية، ورئيسهم (أهرمن) إلى أبناء قابيل العاصين أيضا عندما تحدثوا عن أن (أخنوخ) قاتلهم وسبى منهم، مما يشير إلى أن فكرة الملائكة العاصية عند أهل الكتاب مأخوذة من الشياطين أو الآلهة المتمردة الفارسية كما ذكرنا من قبل.

نظرة عامة حول (أخنوخ):

رأينا في الصفحات السابقة كيف اشتق اليهود القصص عن أخنوخ من أساطير الأمم المحيطة بهم، فأخذ كتبة سفر التكويين

كونه السابع بعد آدم ووالد جد صاحب السفينة من لائحة الملوك السومرية وشخصية (أنمدرنكي)، وكذلك استمد كتبة سفر (أخنوخ) فكرة الفوضى ثم صعود (أخنوخ) إلى السماء، وتعلمه أسرار السماوات، ثم العودة وتعليم الناس، وتعليم ابنه، أخذوا هذه التفاصيل من لوحة نينوى عن (أنمدرنكي) أيضا.

وفي سفر أخنوخ وجدتُ أن كتبة السفر أعطوا (لأخنوخ) دور الرسول بين الله وبين الملائكة الهابطة، وهو نفس دور (نوسكو) إله الضوء والنار الباطل في قصيدة (أتراحسيس)، وهو الإله الباطل ذو العلاقة بعُطارد والشمس.

وفي سفر نوح المتضمن في سفر (أخنوخ) نجد أن كاتب السفر يعطي لأخنوخ دور (أنْكي) في حادثة الطوفان، ولقد كان (أنْكي) ربا لكوكب عطارد..

وفي أسطورة تحول (أخنوخ) إلى الملك (ميتاترون) بعد صعوده إلى السماء رأى بعض الباحثين أن (مِثرا)/(مِثراس) هو أصل الفكرة لتشابه في الاسم وفي الوظائف.

وفيما تردد من أن (أخنوخ) أول من خط بالقلم وأنه هو من علم الناس الكتابة، فإن بعض الدارسين يقولون أن اليهود أخذوا هذه الفكرة من (نابو) إله الكتابة والحكمة الباطل عند البابليين.

وفي الروايات الإسرائيلية وجدت أن الأفكار الرئيسة للروايات تعتمد على عقائد الديانة المثرائية وشخصية (مِثراس).

أما أقوال الإخباريين العرب حول إدريس/أخنوخ فلقد استمدوها من التراث الفارسي، ومن قصيدة الشاهنامة، وبالتحديد مما نسج من أساطير حول (طهمورث) أحد الملوك الأسطوريين في التراث الفارسي.

والسؤال الآن ما هي العلاقة بين هذه الشخصيات المتعددة التي استمد منها اليهود صفات (أخنوخ) والقصص حوله؟

أغلب ظني أن اليهود كان عندهم عن طريق الوحي معلومات قليلة جدا عن النبي الذي رُفع إلى السماء، ربما بقدر ما أنزل في القرآن حول هذا النبي العظيم، ولكن اليهود في الفترة التي بدأوا يضعون في التناخ/العهد القديم، والكتب الأخرى، فإنهم قد **عمدوا إلى تراث الأمم المجاورة** وراحوا **يقتبسون** ما يجدونه ملائما من تراثهم الديني والأسطوري.

ويبدو لي أنهم نظروا في تراث الأمم الوثنية عن بطل بشري أو إله باطل قيل عنه أنه صعد إلى السماء، فعثروا على (أنمدرنكي)، (ومِثرا)، (ومِثراس)، و(أُزَيْرِس)، وغيرهم فنقلوا تراثهم مرة في التوراة ومرة في الكتب الأخرى، ونسبوه إلى (أخنوخ).

وربما كان **اليهود طوال الوقت ينقلون عن أساطير (مِثرا)/(مِثراس)**، وربما يكون سبب التشابه بين ما ذكره اليهود حول (أخنوخ) من جهة، وبين آلهة وأبطال أخرى مثل (أنمدرنكي)، و(نوسكو)، و(نابو)، و(أنْكي)، و(أُزَيْرِس) من جهة أخرى، هو مساواة (مِثرا)/(مِثراس) بهذه الشخصيات في مرحلة سابقة.

(فأنمدرنكي) صعد إلى السماء، واسمه يعني رئيس قوى منطقة التقاء السماء بالأرض، وهذا يشبه ما وصف به (مِثراس) من أنه بين السماء والأرض.

وعمر (أخنوخ) المذكور في التوراة، لايربط بينه وبين الشمس فقط, بل يربط بينه وبين (مِثراس)، حيث أن حساب الحروف لاسم (مثراس) هو365، وذلك حسب معتقدات طائفة (الكاباله) اليهودية.

و(نوسكو) هو إله الضوء والنار عند العراقيين القدماء, فلا نستبعد أن يساوي الفرس بعد احتلال فارس للعراق بين (مِثرا) -وهو إله الضوء أيضا- (ونوسكو).

أما (نابو) فقد تمت مساواة (مِثراس) (بهرمس)، وتمت مساواة (هرمس) (بنابو)، ولقد ساوى العراقيين أنفسهم بين (نابو) و(أنْكي) لأنهما يختصان بنفس الكوكب وهو كوكب عطارد، ولقد كان (نوسكو) إله كوكب عطارد إذا ظهر في الليل، وتمت مساواته (بنابو)، وربما ساهم هذا في مساواة (مِثراس) (بنوسكو).

ويبدو لي أن علاقة (أخنوخ) بالكتابة هي علاقة مختلقة، فلقد عاش (أخنوخ) أو بالأحرى النبي الذي رفعه الله إلى السماء في زمن سحيق على الأغلب قبل إختراع الكتابة، فلم يكن هناك كتب منزلة ليدرسها هذا النبي القديم، وإنما أضيفت له العلاقة بالكتابة في مرحلة لاحقة.

أما سبب إضافة صفة الكتابة إلى (أخنوخ)، فأرى أن هذا النبي الذي رفع إلى السماء هو نفسه النبي ذو القرنين الذي طاف الأرض متتبعا الشمس، ثم تمت مساواته بكوكب عطارد ألصق الكواكب بالشمس، وأسرعها حركة، فهو الكوكب الذي يبدو وكأنه يصاحب الشمس، فلما عبدت الشمس في مصر وبعض الأقاليم، واعتبرت الإله الأعلى نظر لكوكب عطارد على أنه **الكاتب** الذي يتبع ملكه (الشمس) ليدوِّن أوامره، ومن هنا جاءت صفة الكاتب لآلهة كوكب عطارد، ثم ألحقت (بأخنوخ).

(أخنوخ) والرحلة الأرضية:

إن أهم ما يهمنا في نصوص (أخنوخ) هو رحلته الأرضية، والتي يزور فيها (أخنوخ) مغرب الشمس ثم مطلع الشمس، والمثير للإهتمام أن كتبة السفر يصفون مغرب الشمس وصفا صحيحا فيصورونه منطقة بركانية مليئة بالجبال البركانية النشطة التي تسيل منها الحمم البركانية، بل ويذكرون النار التي تستقبل مغيب الشمس في كل يوم، كما يقولون عن بلاد مشرق الشمس أنها تقع وراء المحيط الهندي.

والسؤال الذي يثور الآن من أين أتى الكتبة بهذه المعلومات القيّمة؟

أستطيع أن أجيب بأن كتبة السفر استمدوا هذه المعلومات من **المصريين القدماء**، والأدلة على ذلك أنهم يذكرون خلال النص تيمات أسطورية مصرية خالصة، وقد تحدثت عنها بالتفصيل في الباب الأول.

هل استفاد كتاب سفر (أخنوخ) هذه المعلومات من المصريين بشكل مباشر أم غير مباشر؟ يقول بعض الدارسين أن في سفر (أخنوخ) الإثيوبي سمات تؤكد -عند التدقيق فيها- أن النص وضع في منطقة متأثرة باللغة الفارسية و الديانة المجوسية أوالزرادشتية، وهذا يجعلني أرجح أن هذه النصوص أخذت عن الفرس بعد أن أخذوها بدورهم من المصريين، وربما حدث هذا أثناء الاحتلال الفارسي لمصر.

وهناك دليل على اقتباس اليهود رحلة (أخنوخ) من رحلة (مِثرا)، وهو أن رحلة (أخنوخ) كانت مثل رحلة (مِثرا) إلى الجهات الأربع الرئيسة، وليس إلى المشرق والمغرب فقط، هذا بالإضافة إلى التشابه الكبير بين (أخنوخ) من جهة، و(مِثرا)/(مِثراس) من جهة أخرى.

ويتصل بموضوع الرحلة الأرضية المذكورة في سفر (أخنوخ) تلك الرحلة الأرضية التي ذُكرت بطريقة مختصرة في بعض الإسرائيليات، فهناك رواية تقول أن ملك الشمس وضع إدريس/(أخنوخ) في مشرق الشمس، ويمكننا أن نفهم أن ملَك الشمس حمل (أخنوخ) وسافر به إلى مغرب الشمس، ثم عبر به العالم السفلي، ووصلا سويا إلى مشرق الشمس، والصورة هنا أكثر مصرية، وأقرب إلى (أُزَيْرِس)، وإلى الموتى المصريين.

وفي رواية طويلة نجد أن إدريس/(أخنوخ) يطلب من صاحبه ملك الموت أن يموت، فيموت ثم يحيا، فيطلب منه أن يدخله النار، فيدخله ويخرجه، ثم يطلب منه أن يدخله الجنة، والأثر المصري

هنا واضح ولا ريب، (فأُزَيْرِس) مات ثم بعث، وذهب إلى (أَمِنْت) التي تحولت من موضع تعذيب ذي القرنين لكفار مغرب الشمس إلى جهنم حقيقية يصلاها العصاة والكفار، ثم ذهب إلى (سخت عارو)، التي تحولت من منطقة حقول للعراة تقع في مرتفعات جزيرة مشرق الشمس إلى جنة الخلد التي يدخلها الأبرار[378].

وربما يفيد هنا أن أناقش الآن نص التوراة عن (أخنوخ)، في قول النص: **"مشى مع الله"**، فهذه العبارة مأخوذة - في رأيي - من فكرة رحلة أخنوخ مع إله الشمس الباطل، حيث كان إله الشمس الباطل هو الإله الأعلى عند كثير من سكان المنطقة، وأهمهم المصريين القدماء، كما أن اليهود لم يتورعوا عن الاقتباس عن النصوص الوثنية عامة والمصرية خاصة مغيِّرين فيها الحديث عن (رع) إلى الحديث عن الله رب العالمين.

وربما كان مصدر اقتباس اليهود هو نص (الأبستاق)، والذي يتحدث عن رحلة إله الفرس الباطل (مِثرا) مع (عجلة المَلكية)، وهي في رأيي عربة إله الشمس الباطل عند الشعوب الآرية، وربما ظن اليهود أن المقصود بالعربة هنا عربة الله المزعومة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[379]، فقالوا أن (أخنوخ) مشى مع الله.

---

[378] - وإن كانت الأسطورة نسبت في البداية لأحد أحبار اليهود وهو (جُشوا بن ليفي)

[379] - هناك نصوص يهودية قديمة تتحدث عن عربة الله المزعومة والتي يسمموها "مركبة".

المبحث الثاني: (هرمس) مثلث العظمة

اعتقد القدماء من اليونانيين، والرومان، والفرس، والعرب، وغيرهم من شعوب المنطقة بأنه كان هناك رجلا عظيما عاش في الزمن القديم، وأن هذا الرجل كان حكيما أوفيلسوفا، وأنه علم الناس الحكمة، والفلك، وعلم السيميا[380]، وأطلقوا عليه "هرمس الحكيم"، أو "هرمس الهرامسة"، أو "هرمس مثلث العظمة"، وقال بعض أهل الكتاب أنه كان هو نفسه (أخنوخ)، وقال بعض الإخباريين المسلمين أنه هو نفسه نبي الله إدريس.



الشكل رقم (281) هرمس مثلث العظمة،
أو هرمس الهرامسة كما تخيله أحد رسامي العصور الوسطى.

ولقد عبد اليونانيون إلها باطلا، وأطلقوا عليه (هرمس) Hermes, وذلك قبل ظهور الحديث عن هرمس مثلث العظمة بقرون، واعتبروا أنه هو كوكب عطارد، أو إله كوكب عطارد، وأطلقوا عليه "رسول الآلهة"، ربما كانوا في ذلك متأثرين بسرعة حركته مقارنة بباقي كواكب المجموعة الشمسية، وهو نفس السبب

380 - علم تحويل المعادن الرخيصة إلى معدن الذهب.

الذي جعل العرب يطلقون عليه اسم (عُطارد)، وهي الكلمة التي تعني السريع.
ولقد اعتقد اليونانيون أن إلههم الباطل (هرمس) هو من علَّم الناس الكتابة، ومن قبلهم ربط المصريون بين (تحوتي) إله كوكب عطارد وبين الكتابة، وكذلك فعل العراقيون القدماء عندما جعلوا الإله الباطل (نابو) رب كوكب عطارد هو رب الكتابة.
وربما يكون أصل الفكرة, أنه لما كان كوكب عطارد يلازم الشمس في حركتها الظاهرية في السماء، فربما شبهوه بالكاتب الذي يلازم الملِك، حيث عبدت الشمس كملِك الآلهة في مصر وغيرها من بلاد المنطقة.
كما اعتبر اليونانيون القدماء (هرمس) ربا للطُرُق، والرحلات، وقالوا أنه هو من يقود أرواح الموتى في العالم الآخر، وربما اتوحوا ذلك من حركة الكوكب السريعة نسبيا وقربه من الشمس، كما نسج حوله الكهنة كثيرا من الأساطير.
ولكن اليونانيون فرّقوا بشكل واضح بين هذا الإله الباطل (هرمس)، وبين (هرمس) مثلث العظمة، واعتبروا أن الأخير كان **إنسانا** فيلسوفا قديما، علَّم الناس العلوم المختلفة ومن أهمها الفلسفة، والسيمياء، وعلم التنجيم.
ويعتقد البعض أن (هرمس) مثلث العظمة هو نتيجة للدمج بين الإله اليوناني الباطل (هرمس)، وبين الإله الباطل الأقدم (تحوتي)، وذلك لتشابه بينهما؛ فكل منهما هو رب الكتابة والسحر، ولقد وُجد نص عن (تحوتي) يصفه بأنه: "العظيم، العظيم، العظيم"، وربما من هذا الأصل جاء لقب: "العظيم ثلاثا"، أو "مثلث العظمة" التي وُصف بها (هرمس) الحكيم.
وتعتمد (الهرمسية) كديانة وفلسفة على مجموعة كتابات منسوبة (لهرمس) مثلث العظمة، كُتبت باليونانية، ويقول الباحثون أنها لاتعود لأقدم من القرن الثاني بعد الميلاد، وتشيع فيها روح

مصرية متأغرقة، وتتحدث عن الفلسفة والتي تبحث طبيعة الإله والعقل، والكون، وتتحدث عن علم السيمياء، وعلم التنجيم.

ولكننا نجد مؤرخينا المسلمون يذكرون أن (الهرامسة) كثير، وأن أشهر (الهرامسة) ثلاثة، ويبدو في هذا أنهم يساوون بين كلمة (هرمس) وكلمة حكيم أو فيلسوف، كما أنهم يحاولون إيجاد علاقة بين (هرمس) وبين الرقم ثلاثة الموجود في لقبه اليوناني.

ويخبرنا المؤرخون المسلمون أنه كان هناك (هرمس) عراقي، وآخر مصري، وذكر بعضهم أن (الهرمس) العراقي عاش قبل الطوفان، وقال بعضهم أن (الهرمسين) المصري والعراقي هما (هرمس) واحد انتقل من العراق إلى مصر، وعلّم الناس العلوم المختلفة.

ولو ذهبنا نحلل المعلومات السابقة، فسنقول إن (هرمس) هو كوكب عطارد، وإن كوكب عطارد كان في العراق هو الإله الباطل (أنْكي)، والإله الباطل (نابو)، وقد تم الخلط بينهما في العصور المتأخرة، و(لأنْكي) علاقة بالطوفان، وربما من هنا جاء القول بأنه كان هناك (هرمس) عاش قبل الطوفان، ثم إن (أنْكي) قيل عنه أنه علم الناس الحضارة، ومن ضمنها الكتابة، كما أن (لنابو) علاقة وثيقة بالكتابة، والحكمة، بما توازي ما (لتحوتي) في مصر، وقد قيل عن (أنْكي) أنه طاف العالم، وربما كانت بلاد (ماجان) التي ذكر في نصوص (أنْكي) أنه زارها ربما تكون هي مصر.

وأقول ربما في القرون الأولى للميلاد كان هناك من يستطيع الإطلاع وقراءة النصوص العراقية القديمة المكتوبة بالحروف المسمارية، وبهذا تسربت معلومات للبيئة الإغريقية والعربية عن (أنْكي)، ونسبت (لهرمس) حيث (هرمس) هو الاسم اليوناني لكوكب عطارد.

وهكذا فإن (هرمس) العراقي الذي علم الناس الحضارة، وعاش قبل الطوفان ثم انتقل إلى مصر، لم يكن سوى (أنْكي)، أو بالأحرى ذو القرنين.

أما (هرمس) المصري الذي تكلم عنه أهل التاريخ من المسلمين فنجد أنهم يفاجئوننا بأنهم لايتحدثون عن (تحوتي)، فبعضهم يقول أن طاط (أي تحوت أو تحوتي) كان ابنا لهرمس المصري[381].

وبدلا من (تحوتي) نجدهم يذكرون (هرمس) المصري وكأنهم يقصدون (أُزَيْرِس)، فيقولون أنه ملَك مصر، ولم يذكر المصريون القدماء عن (تحوت) أنه كان ملِكا على مصر.

ثم نجد القفطي ينقل في كتابه تاريخ الحكماء: **"وقالوا خرج (هرمس) من مصر، وجاب الأرض كلها، ثم عاد إليها، ورفعه الله إليه بها"**، والذي خرج من مصر وطاف الأرض يعلم الناس الحضارة، ثم عاد إلى مصر، ثم رُفع إلى السماء هو (أُزَيْرِس) كما يُفهم من نصوص (بلوتارخ)، و(ديودور) الصقلي عن (أُزَيْرِس)[382].

ولقد ذكر القفطي أن هناك من يطلق على الهرامسة الثلاثة، (أورين) الأول، و(أورين) الثاني، و(أورين) الثالث، و(أورين) كما هو معروف اسم برج الجبار عند الإغريق، ولقد اعتقد المصريون لآلاف السنين أن برج الجبار هو (أُزَيْرِس)[383].

وخلاصة القول في (هرمس الهرامسة) أن القدماء استقرَّ في اعتقادهم أن هناك رجلا عظيما قد عاش في الأزمنة القديمة، وأن هذا الرجل كان حكيما أوفيلسوفا، وأنه طاف المنطقة يعلّم الناس الحكمة، والسيميا، والتنجيم. والذي أراه أن شخصية (هرمس الهرامسة) بهذا الشكل هو صدى من أصداء ذي القرنين، فلقد كان

---

381 - هرمس الحكيم ص125.

382- هرمس الحكيم ص137.

383 - نفس المصدر السابق.

ذو القرنين نبيا حكيما، ولقد كان عنده من العلوم ما يفوق أبناء عصره، ولقد طاف العالم يعلم البشر الحضارة والإيمان، ولكن سكان العالم القديم من اليونانيين وغيرهم من الشعوب المتأثرة بهم، حولوه إلى فيلسوف مثل فلاسفتهم، يعلِّم الناس العلوم التي ظنوا أنها تليق بالفلاسفة، مثل الفلسفة والتنجيم والسيميا، وهو ما صنع الفرق بين (هرمس الهرامسة) من جهة وذي القرنين من جهة أخرى.

المبحث الثالث: إدريس عليه السلام

إدريس هو نبي من أنبياء الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليمات، ولقد ذكره المولى عز وجل في القرآن الكريم في موضعين إثنين، يقول تعالى: "واذكر في الكتاب إدريسَ إنَّه كان صدّيقًا نبيًّا - ورفعناهُ مكانًا عليًّا"[384]. ويقول جل ذكره: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ"[385].

وبعد نزول الآيات عرَّف مسلمة أهل الكتاب نبي الله إدريس (بأخنوخ) المذكور في التوراة، ربما لأنه الرجل الصالح الذي تم رفعه إلى السماء، وفي مرحلة لاحقة قيل أن إدريس هو نفسه (هرمس) الهرامسة.

وفي مبحث سابق توصلتُ إلى أن (أخنوخ) التوراتي وإن كان يعتمد على أصل صحيح وهو أنه كان هناك نبي قديم، قد رفعه الله إلى السماء، إلا أن اليهود وقد أُنسوا التوراة راحوا يجمعون تراث الأمم الوثنية المجاورة، ثم يثبتونه في التناخ/العهد القديم، وفي كتب أخرى، وينسبونه إلى الله زورا وبهتانا، وعندما جاؤوا إلى النبي الذي رُفع إلى السماء، لم يكن عندهم معلومات كثيرة

---

[384] - سورة مريم الآيتان 56-57

[385] - سورة الأنبياء الآية 85

عن هذا النبي، فاقتبسوا من (مِثرا)، ومن (مِثراس)، ومن (إنمدرنكي)، ومن (هرمس)، ومن (نابو)، ومن (أُزَيْرِس)، وربما من غيرهم.

أما القرآن الكريم، فهو الكتاب الأخير الذي أنزله الله على البشرية، وقد تكفل بحفظه من الضياع والتحريف، ورغم أن القرآن يقول أنه مصدِّق لما بين يديه من كتاب، إلا أنه لايذكر تلك "المعلومات" التي ذكرها أهل الكتاب عن النبي الذي أُصعد إلى السماء؛ فالقرآن:

- لا يسميه (أخنوخ).
- لا يذكر أنه السابع بعد آدم، أو والد جد نوح.
- لا يذكر أن عمره من السنين بعدد أيام السنة الشمسية.
- لا يذكر أنه مشى مع الله.
- لا يقول أنه كان في زمن الملائكة الساقطة، أو أنه كان وسيطا، أو رسولا بينهم وبين الله.
- لا يقول أنه لما رفع إلى السماء صار مَلَكا مقربا.
- لا يقول أنه أول من خط بالقلم، أو أنه علَّم الناس الكتابة.

والسؤال الذي يخطر بالبال الآن: كيف لرجل أمِّي مثل محمد يعيش في القرن السابع - لو كان اقتبس القرآن من اليهود والنصارى- أن يعلم أن كل التفاصيل التي ذكرتُها آنفا ليست إلا إزادات، واقتباسات من الأمم الوثنية، ومن آلهة الوثنيين، لم ينزل الله بها من سلطان، فلا يذكرها في القرآن الكريم؟

لا شك أن هذا وحده إعجاز تَرْكِي، فالقرآن ترك الخرافات التي ذكرتها التوراة، وترك الإزادات التي احتفت بها كتب أهل الكتاب الأخرى حول النبي الذي رُفع إلى السماء فلم يوردها، ولا يستطيع هذا إلا الله العليم الحكيم.

وكل ما يمكننا استفادته من التوراة أن نبي الله إدريس ليس من أنبياء بني إسرائيل، بل هو على الأغلب نبي أقدم من نبي الله إبراهيم، وفي القرآن إشارة إلى ذلك.

وربما يدعم هذا أن أهل الكتاب عرفوا إدريس بأخنوخ لأول وهلة، ولم نجد لأي منهم رأيا مخالفا في ذلك يُعتد به.

وتبقى المشكلة لم تحل، وهي من يكون هو النبي إدريس، وهل له علاقة بذي القرنين؟

الحقيقة أن ما ذكره القرآن عن إدريس النبي جدُ قليل، ولو ذهبنا نبحث في الأحاديث الصحيحة، فلن نجد إلا معلومات قليلة أيضا، أما الروايات الإسرائيلية فقد حلَّلتها بشكل وافٍ في مبحث (أخنوخ)، وتوصلت إلى أنها مجموعة من الأوهام التي اقتبسها اليهود من الديانات الأخرى.

لم يبق لنا الآن إلا طريقتين للحصول على بعض المعلومات عن هذا النبي العظيم؛ الطريقة الأولى هي بتحليل اسم النبي إدريس باستخدام المنهج الذي اكتشفه رؤف أبو سعده، والطريقة الثانية هي استقراء ديانات القدماء وأساطيرهم.

إدريس و(أدار):

اختلف المفسرون رحمهم الله حول اسم النبي إدريس هل هو اسم عربي أم أعجمي، فذهب بعضهم أنه أعجمي بدليل منعه من الصرف، وقال الفريق الآخر أنه عربي وأنه مشتق من الدراسة.

وقد ذهب رؤف أبو سعدة في كتابه القيِّم أن اسم إدريس هو على وزن إفعيل من الدراسة، وأن الاسم لم يصرف كدلالة على كونه ترجمة لكلمة (أخنوخ)، التي هي في أصلها العبري تعني المحنَّك، أي الحكيم.

ونحن إذا افترضنا أن كلمة إدريس كلمة أعجمية، وطبقنا عليها منهج رؤف أبو سعدة نفسه، فسنصل إلى نتيجة مدهشة، وإن كانت مخالفة لما توصل إليه رؤف أبو سعدة نفسه.

إن كلمة إدريس تبدو يونانية الجرس، فهي تنتهي بالسين، الحرف الذي يدل على حالة الرفع في اللغة اليونانية، فهل لو جردناها من السين فهل سنصل إلى شيء؟

إن كلمة إدريس بعد تجريدها من السين تصبح (إِدْرِي)، وهذه الكلمة تذكرني بالمقطع الأول من الاسم التوراتي: (أَدْرَمليك) Adramelech، وهو اسم صنم عُبد في فلسطين، ويقول الدارسون أنه تحريف لكلمة "أَدار المِلِك"، والتي تعني أن (أدار) -وهو إله باطل- هو المِلِك.

ربما يدعم هذا ما وجدته في أحد الأساطير حول نبي الله سليمان، ففي نص الأسطورة يظهر ملك عربي يملك الجزيرة العربية، ومعاصر لسليمان يسميه النص أَدَرِيس Adares[386].

وأرى أن واضع هذا النص الأسطوري حول نبي الله سليمان يستلهم هذا الاسم، بل والفكرة من النص التوراتي، لقد ظن واضع الأسطورة أن (أدرمليك) المذكور في التوراة هو ملك عربي قديم، فقال أنه كان ملكا على العرب معاصرا لسليمان، وأسماه أَدَريس، وهو نطق يوناني لكلمة (أدار)، وهو الاسم الأصلي للإله الباطل.

أي أن اليونانيين ومن تكلم اليونانية نطق (أدار) (أَدَرِيس) Adares، وهو بيت القصيد.

وأرى أن القرآن يجانس على هذا النطق اليوناني، غير أنه وضع الكلمة في أقرب وزن عربي وهو إفعيل، فصارت الكلمة إِدْريس، بدلا من أَدَريس.

والسؤال الآن هل في سياق الآية أي تفسير لمعنى كلمة (أدار) أصل كلمة إدريس، وذلك حسب المنهج القرآني الذي اكتشفه أبو سعده، وهو تفسير العلم الأعجمي في القرآن بالقرآن؟

---

[386] - http://classiclit.about.com/library/bl-etexts/lginzberg/bl-lginzberg-legends-4-5.htm

إن كلمة (أدار) Adar كلمة شائعة في الكتاب المقدس، وغيره وسبب ذلك أنه اسم شهرين من شهور السنة في التقويم اليهودي، وتخبرنا المعاجم العبرية أن (أدار) تعني العالي المرتفع.

وهكذا فإننا إذا أعملنا منهج أبو سعدة سنجد أن كلمة **"عليًّا"** المذكورة في الآية هي الكلمة الفتاح التي تشير لمعنى اسم إدريس في لغته العربية القديمة، وهو العالي المرتفع أو العليّ، فكأن الآية تقول واذكر في الكتاب **عليًّا** إنه كان صديقا نبيا، ورفعناه مكانا **عليّا**.

إن النتيجة السابقة تؤكد أن كلمة إدريس كلمة أعجمية، وأن أصلها (أدار)، وبقي لنا أن نعرف من هو الإله الباطل (أدار).

إن (أدار) هو الاسم الأكادي (الأكادية إحدى اللغات العربية القديمة) للإله الباطل (نينورتا)، و(نينورتا) هذا هو الإله الباطل الذي توصلتُ إلى أنه صورة منحدرة من ذي القرنين، فلقد وُصف بأنه له قرنان، وقيل عنه أنه عذَّب سكان الجبل المتمردين على الآلهة بإثارة البركان عليهم، وقيل أنه بنى سدا في الأفق الشمالي ليحمي جبهة البلاد، كما قيل عنه أنه هو الذي علم الناس الحضارة، وفن الري باستخدام مياه الأنهار.



الشكل رقم (282) (نينورتا)/أدار

كما تخيله الفنان العراقي القديم.

وربما يدعم هذه الفكرة الإشارة الخافتة التي نجدها في نص ملحمة (نينورتا) وطائر (الأنزو)، فهناك إشارة إلى رفع (نينورتا)/أدار إلى السماء، وبقاؤه هناك، يقول النص: " تعالى، دعوه يأتي إلينا، دعوه يبتهج، يلعب، يشعر بالسعادة، دعوه يقيم مع الآلهة، إخوته، دعوه يسمع أسرار الآلهة، ودعوه...مع الآلهة إخوته، ...."، فمن المعروف أن الآلهة في السماء، وسماع أسرار الآلهة يؤكد أن هذا في السماء.

وخلاصة القول هو أن النبي إدريس -على الأرجح- هو نفسه ذو القرنين.

الذي صعد إلى السماء هو نفسه الذي طاف العالم:

أما الطريقة الثانية في البحث عن علاقة نبي الله إدريس بذي القرنين فهي البحث في تراث الأمم والشعوب عن الشخصية التي صعدت إلى السماء، وبالبحث في تراث القدماء عن رجل بشري رُفع إلى السماء، فسنجد النصوص تدلنا على (أُزَيْرِس) في مصر، فهو البشري الذي صعد إلى السماء بعد أن طاف العالم، وزار مغرب الشمس ومشرقها وبنى الجدار.

كما ستدلنا النصوص العراقية على (أدبا) البشري الذي صعد إلى السماء، وهو كما يرى بعض الدارسين أحد صور (أنْكي)، الذي قيل عنه أنه ذهب بقاربه إلى مغرب الشمس، ومشرقها، وعلم الناس العلوم والحضارة.

وستدلنا نصوص (الفدا)، ونصوص الأبستاق على (يَما/يِما) الذي صعد إلى السماء، وهو الذي طاف العالم على طريق الشمس، واكتشف أراضي جديدة.

كما ستدلنا (الفدا) على (فِشْنُو) الذي صعد إلى السماء بعد أن طاف العالم.

وسيدلنا الأبستاق، وعقائد (مِثرا)، والديانة المثرائية – ولو بشكل أقل وضوحا- على أن (مِثرا)/(مِثراس)، الذي ذهب إلى

مغرب الشمس وعذب الناس هناك، وعبر العالم السفلي، وطاف القارات السبع، قد صعد إلى السماء بعد ذلك.

أما الأساطير اليونانية فستخبرنا عن (هِرَكْلِيس) الوحيد الذي رأى مغرب الشمس، ومطلعها، والذي عبر البحر المحيط أقيانوس الذي يفصل بين المغرب والمشرق، وفي النهاية صعد إلى حيث الآلهة/الكواكب في السماء.

وهكذا فإن الشخصيات التي قيل عنها أنها صعدت إلى السماء هي نفسها الشخصيات التي قيل عنها أنها طافت العالم، وزارت مغرب الشمس ومطلعها، وعلمت الناس الحضارة، وهي الشخصيات المنحدرة من شخصية ذي القرنين، وبالتالي يمكننا القول بأن الرجل الذي صعد إلى السماء كان هو نفسه ذا القرنين.

ولا شك أن قولنا أن ذا القرنين كان نبيا عاش في الزمن القديم يقربنا خطوة من كونه النبي إدريس، فلا يبعد أن يكون النبيان نفس الرجل، وإن تحدث القرآن عنها بلقبين مختلفين.

وربما يفسر كون ذو القرنين هو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وأنه نفسه نبي الله إدريس، ربما يفسر ذلك رفع الله لإدريس دون أن يتوفاه، فلكل إنسان ميتتان وحياتان، يُخلق ميتا ثم يبعث فيه الروح في بطن أمه فيحيا، ثم تنزع منه الروح عند موته، ثم تعاد إليه يوم البعث مصداقا لقوله عز وجل: **"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"**[387].

وعلى هذا يكون سبب رفع إدريس عليه السلام حيًّا إلى السماء - في مخالفة لما حدث مع عيسى عليه السلام - أنه استوفى ميتته وبعثه، وذلك عندما أماته الله مائة عام ثم بعثه، والله أعلم.

بقي أن أقول أنه ربما كان وراء إصرار القدماء على الربط بين الرجل الذي طاف العالم من جهة، وبرج الجبار من جهة أخرى، هو أنهم كانوا يعتقدون أن هذا **الرجل قد رُفع إلى السماء**،

---

[387] - سورة البقرة الآية 28.

وبرج الجبار هو أكثر البروج **شبها بهيئة البشر**، لذا تصوروا أن الرجل الذي أُصعد إلى السماء تحول إلى هذا البُرج السماوي.

وتظهر لنا هذه الفكرة الساذجة صريحة واضحة في نص سفر (أخنوخ) العبري، فالنص يحكي لنا أن (أخنوخ) عندما رُفع إلى السماء فإنه تحول إلى (ميتاترون)، وهو الذي لحمه، وعظامه، وعيناه من نار متقده، وأرى أن هذا ليس إلا وصفا لبرج الجبار المكون من نجوم لامعة، يقول النص: **"**عندما تحول أخنوخ إلى (ميتاترون)، فإن جسده تحول إلى نيران سماوية، ولحمه إلى لهيب**...."**[388].

---

[388] - لويس جنزبرج أساطير اليهود
http://classiclit.about.com/library/bl-etexts/lginzberg/bl-lginzberg-legends-1-3l.htm

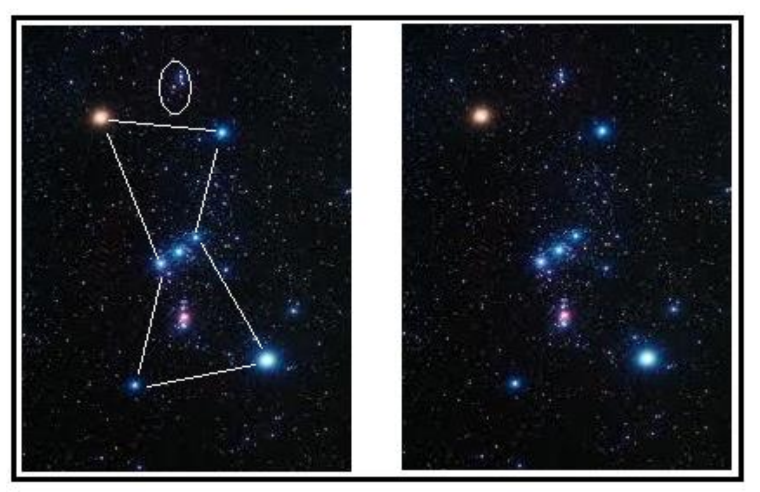
الفصل السادس

ذو القرنين وبُرج الجبَّار

أثناء بحثي في ديانات العالم القديم، وأساطيره عن ذي القرنين وقصته، توصلت إلى قناعة أنه قد حدث ربط وثيق بين ذي القرنين من جهة، وبين برج الجبار من جهة أخرى، وأن ذلك حدث في مرحلة مبكرة جدا من التاريخ، وربما يرجع ذلك إلى أن ذا القرنين قد رُفع إلى السماء (فهو نبي الله إدريس)، وأن برج الجبار هو أكثر البروج شبها بالهيئة البشرية.

وأرى أن البرج قد تم تصوره بأشكال مختلفة، ربما عند نفس الحضارة ونفس القوم، فربما تصوروه على هيئة رجل غارق في النهر، أو رجل يجلس على عرش، أو غير ذلك، وأن هذه الأشكال المختلفة قد أثَّرت أيَّما تأثير في المعتقدات الدينية والأساطير التي نُسجت حول الشخصيات المستمدة من شخصية ذي القرنين، وربما طغت هذه التصورات المتخيّلة على الشخصية الحقيقية حتى لم يبق في الشخصية من أصلها - وهو ذي القرنين- إلا الرائحة، والآن سوف أستعرض الأشكال المُتصورة لبرج الجبار وتأثير ذلك على الأساطير والمعتقدات المختلفة.

المبحث الأول: تصور برج الجبار على هيئة رجل هائل الحجم



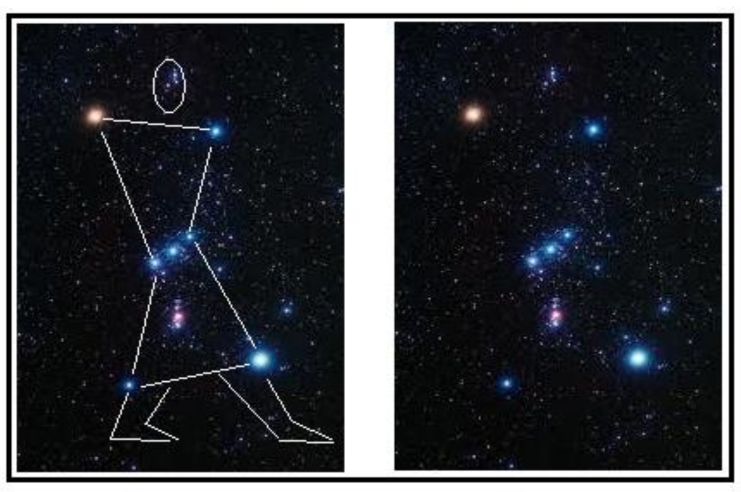
الشكل رقم (283) على اليمين برج الجبار، وعلى الشمال تصور البرج على هيئة رجل عملاق.

هناك (تيمة) مشتركة بين الشخصيات المنحدرة من ذي القرنين، هذه (التيمة) هي ضخامة الحجم، (فأُزَيْرِس) قيل عنه أنه كان يبلغ عدة أمتار طولا، و(أوريون) قبل أن يرفع إلى السماء قيل عنه أنه كان بشريا عملاقا، و(فِشْنُو) قيل عنه في الأسطورة أنه تحول إلى عملاق ثم صعد إلى السماء، ولقد أطلق العرب على البرج برج الجبَّار، والجبّار هو العظيم القوي الطويل.

ولعل ذلك يرجع إلى أن البرج يبدو على هيئة رجل هائل الحجم، وأن الناس في شتى الحضارات قد أدركوا ضخامة حجم البرج, وهو الذي أدى إلى كل ما ذكرتُه من تأثير على معتقدات القدماء.

هذا بينما خلا القرآن الكريم من ذكر حجم ذي القرنين، فلقد كان حجمه طبيعي مثل باقي البشر في عصره، بل والبشر في عصرنا.

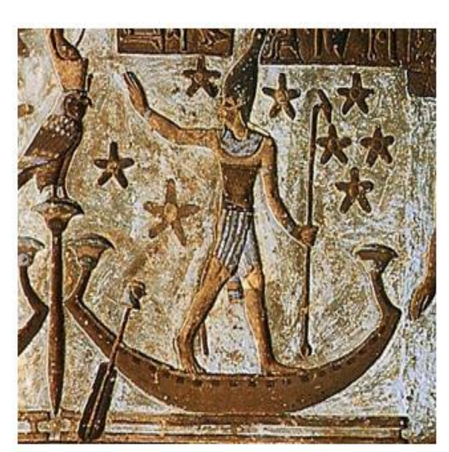
المبحث الثاني: تصور برج الجبار على هيئة رجل يمشي:



الشكل رقم (284) على اليمين برج الجبار، وعلى الشمال تصور البرج على هيئة رجل يخطو.

رأى القدماء البرج على هيئة رجل يخطو، ويبدو أن هذا التخيل أثَّر على كثير من معتقداتهم وأساطيرهم؛ فنجد في أسطورة (أُزَيْرِس) عند كهنة (منف) والتي سجلوها في حجر شباكا، أن (أُزَيْرِس) قد مشى على طرق (رع) إله الشمس الباطل، وذلك بدلا من القول بأنه أبحر على أثر الشمس، فمعظم الرحلة كان إبحارا، وليست مشيا على الأقدام.

وفي الأبستاق نجد أن (يِما) مشى على طريق الشمس، وفي كتاب (الفدا) والكتب الهندوسية الأخرى نجد أن (فِشْنُو) يطوف العالم في ثلاث خطوات، ويلقب بواسع الخطا وبعيد الخطا، وهو وصف يكاد يكون وصفا لبرج الجبّار في السماء.





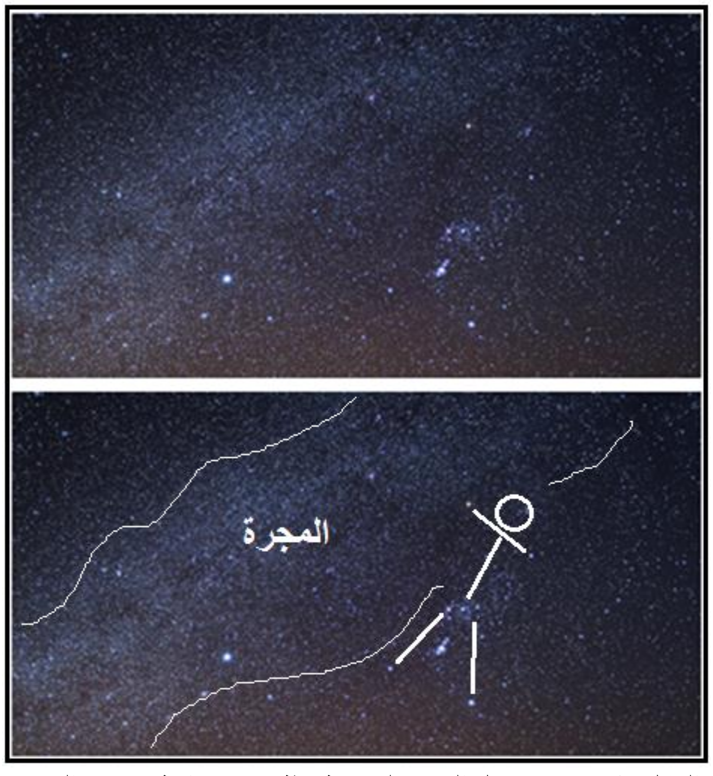
الشكل رقم (285) على اليمين أزيرس يخطو في السماء،
وعلى اليسار (فِشْنُو) يخطو إلى السماء.

وفي أسطورة برج الجبار/(أريون) حكى اليونانيون أن (أوريون) مشى على الماء حتى وصل إلى مشرق الشمس لمقابلة هليوس إله الشمش الباطل، وهنا نجد تفصيلة جديدة أن الشخصية تمشي على الماء، ربما لتخيل برج النهر الذي يقع تحت أقدام برج الجبار، فيظهر الرجل الذي في برج الجبار وكأنه يمشي على الماء.

كما أن العرب أطلقت على نفس البرج اسم **الجوزاء**، وربما كان لفظ جوزاء صيغة مبالغة من الفعل (جاز- يجوز)، أي سلك طريقا يسلكه، ويكون معنى الجوزاء الرجل الطوَّاف.

المبحث الثالث: تصور برج الجبار على هيئة رجل غارق، أو نائم، أو ميت

تخيل بعض الناس أن برج الجبار يبدو على هيئة رجل غارق في الماء، حيث يبدو البرج على هيئة رجل قد فرَّج بين رجليه الممدوتتين، ومد ذراعيه، وهو مايبدو عليه الغريق، والرجل بجوار المجرة، التي تبدو مثل نهر في السماء.



الشكل رقم (286) تخيل البرج على هيئة جثة غريق عائمة في نهر المجرة

وقد ظهرت هذه الفكرة في نصوص الأهرام، وهي من أقدم النصوص التي وصلتنا، (فأُزَيْرِس) في نصوص الأهرام غرق في النيل، ولم يمت داخل تابوت كما أخبرنا (بلوتارخ).

وقد ظهرت الفكرة أيضا في نص حجر (شباكا)، (فأُزَيْرِس) سقط في النيل فعلا، ولكن (إيزيس) و(نفتيس) أسرعتا وأخرجتاه من الماء، وهو تصور آخر لشكل البرج فهو رجل ممدد بجوار نهر النيل.

ولقد حَرَّفت هذه الفكرة من عقيدة موت (أُزَيْرِس)؛ فبدلا من القول أنه مات وتحولت جثته إلى عظام وتراب، كما فهمنا من بعض التراتيل في نصوص الأهرام نفسها، بدلا من ذلك صار موته هو الموت غرقا في النيل، وليس ذلك - في رأيي- إلا من تأثير صورة البرج المتخيلة كما شرحتُها.

وفي أسطورة (فيثون) نجد بعض الكتبة يذكرون أن (فيثون) عندما سقط من السماء، فإنه سقط في البحيرة التي ينبع منها نهر (إريدانوس)، ولقد تخيّل القدماء أن هناك نهر من النجوم ينبع من تحت قدمي برج الجبار، وأطلقوا عليه برج النهر أو(إريدانوس)، فلعل واضع الأسطورة تخيل برج الجبار والهالة التي حوله كأنه رجل غارق في بحيرة، ونهر (إريدانوس) ينبع منها.

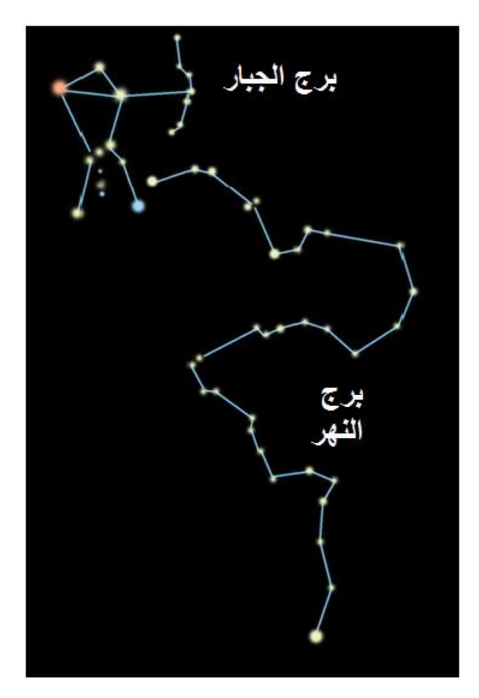
ونلمح نفس الصورة في النص الذي يقول عن (أنْكي) أنه نائم طول الوقت في البحر الجياش، مع فارق أن الرجل هنا نائم وليس بغريق، وكذلك تلك الصورة الشائعة عن (فِشْنُو)، حيث يصور مستلقيا على حية وسط محيط عظيم من المياه.

والروايات الإسرائيلية تقول أن إدريس/أخنوخ قد قبضت روحه في السماء الرابعة، فلعلهم يشيرون إلى شكل برج الجبَّار الذي يشبه رجل ميت في السماء.

المبحث الرابع: تصور برج الجبار على هيئة رجل تخرج من جسده السوائل

يبدو أن بعض القدماء تخيلوا البرج على رجل تخرج المياه، أوالسوائل من جسده, فنجد في نصوص الأهرام فكرة (أَزَيْرِس) الذي تخرج السوائل من جسده، وعند العراقيين نجد هم قد صوروا (أنْكي) ونهرين ينبعان من كتفيه، والهنود القدماء يقولون أن نهر الجانج السماوي المقدس ينبع من تحت قدم (فِشْنُو).

وربما سبب ذلك قرب برج الجبار من المجرة التي تبدو كنهر في السماء، وكذلك قرب البرج من برج النهر (إريدانوس) الذي يبدو وكأنه ينبع من تحت قدم برج الجبار.



الشكل رقم (287) برج النهر (إريدانوس) ينبع من قدم برج الجبار

المبحث الخامس: تصور برج الجبار على هيئة رجل في تابوت أو مصلوب أو مقيد

ويبدو أن بعض القدماء رأى برج الجبار على هيئة رجل في صندوق أو تابوت، والتابوت على سطح النهر السماوي, أو محاطا بالماء، لذا فإننا نجد في أسطورة (بلوتارخ) ذكر أن (أُزَيْرِس) تم قتله بحبسه في تابوت وإلقائه في النيل.



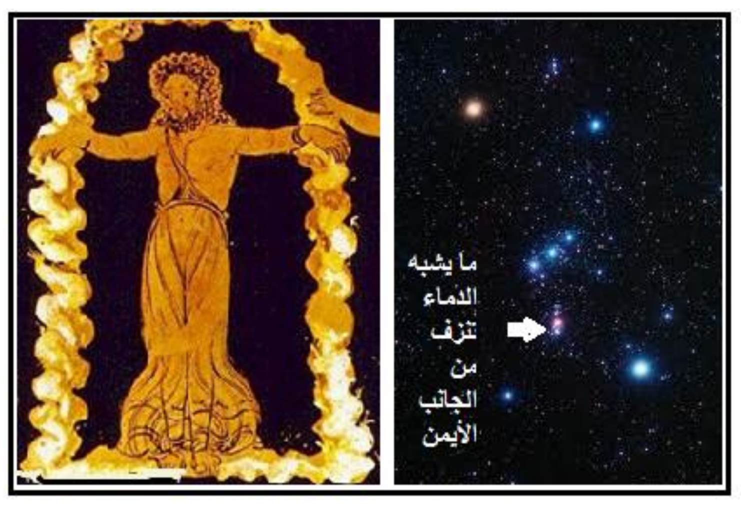
الشكل رقم (288) على اليمين برج الجبار،
وعلى اليسار تخيل البرج على هيئة رجل داخل صندوق.



الشكل رقم (289) الرجل داخل الصندوق يبدو عائما على وجه ماء نهر المجرة التي في السماء.

واليونانيون القدماء تخيلوا أن (برومثيوس) مقيدا، ومصلوبا، في السماء والدماء تنزف من كبده أي من جانبه الأيمن.

كما أن اليهود زعموا أن برج الجبار هو ملَك مقيَّد على سبيل العقاب بين السماء والأرض، وهو مفهوم بالإشارة من الكتاب المقدس، وبالتصريح من بعض الكتابات خارج الكتاب المقدس.



الشكل رقم (290) على اليمين برج الجبار، ومجموعة من النجوم كأنها الدماء تنزف من كبد برج الجبار، وعلى اليسار (برومثيوس) مصلوبا.

المبحث السادس: تصور برج الجبار على هيئة رجل يجلس على كرسي داخل مقصورة

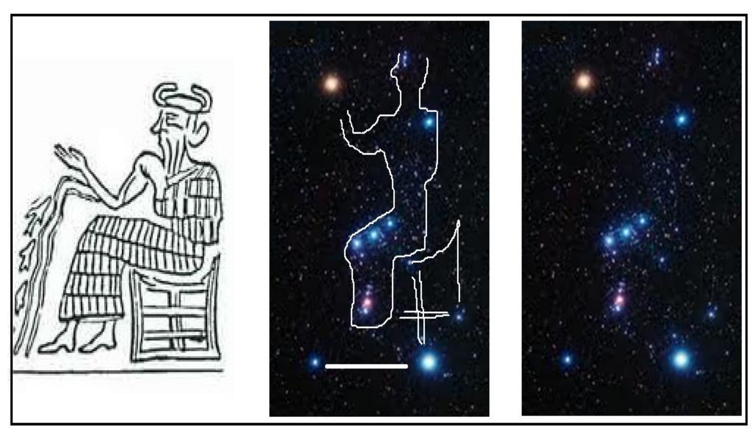
ويبدو أنها من أقدم وجهات النظر فلقد جاءت نصوص الأهرام تتحدث عن أن (أُزَيْرِس) يجلس على عرش، كما جاءت الرسوم تؤكد ذلك فهي تصوره تارة جالس على كرسي، وتارة جالس على كرسي في مقصورة.



الشكل رقم (291) على اليمين برج الجبار، وفي الوسط تخيل البرج على هيئة رجل يجلس على عرش ويرتدي تاج الوجه القبلي وله قرنان، وعلى اليسار رسم يصور أزيرس على العرش مطابق للشكل المتخيل

وهناك رسوم وأختام كثيرة تصور (أنْكي) وهو يجلس على عرش، وهناك خاتم إسطواني يصوره جالسا فيما يشبه الحجرة المحاطة بالمياه، كما رأينا (هادس) يجلس على عرش، و(يما) الهندوسي يجلس على عرش.

أما التراث اليهودي فيؤكد لنا صحة الفكرة، ففي رواية إسرائيلية نجد أن (عِزرائيل) –وهو ملك الموت الذي قلت أنه مستمد من شخصية (أُزَيْرِس) بصفته إله الموت- نجد أن الرواية تصرح أنه يجلس على كرسي في السماء.



الشكل رقم (292) على اليمين برج الجبار، وفي الوسط تخيل البرج على هيئة رجل جالس على الكرسي مادا ذراعه الأيمن، وعلى اليسار رسم (لأنْكي) مشابه للشكل المتخيل السابق.

وفي التلمود نجد أحد أحبار اليهود يدخل الفردوس، فيرى (ميتاترون) جالسا في الجنة، وهي صفة للإله الخالق فقط، وأغلب ظني أن هذه الفكرة مستمدة من تخيل برج الجبار على هيئة رجل جالس على كرسي في السماء.

المبحث السابع: تصور برج الجبار على هيئة رجل يركب عجلة، أو داخل عربة

ويبدو أن بعض الشعوب والأقوام التي اعتمدت على العربات التي تجرها الحيوانات رأت في برج الجبار رجلا يجلس ولكن ليس على كرسي، وإنما على عجلة، بما يشبه الكرسي المتحرك. وربما أوضح مثال على ذلك هو (تربتولمس) الذي صوِّر وهو

يستقل العجلة، التي تجرها حيَّتان، ويبدو لي أن هاتين الحيَّتين هما نجمتي الشعرى الشامية واليمانية.



الشكل رقم (293) على اليمين برج الجبار في الوسط تخيل البرج على هيئة رجل جالس على عجلة مجنحة، على اليسار رسم لتربتوليمس يجلس على عجلة مجنحة مشابه للشكل المتخيل.

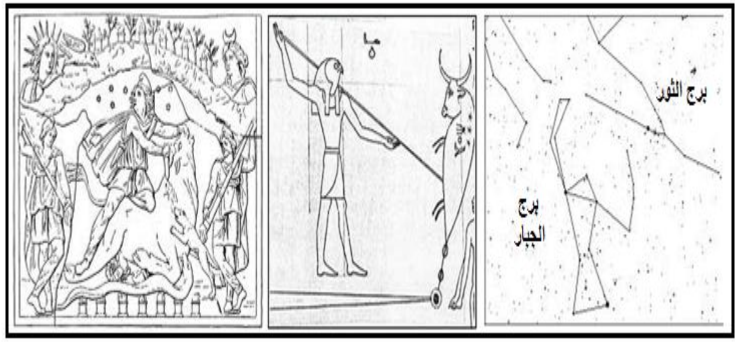
وربما كان هذا التصور لبرج الجبار هو الذي أوحى لبعض القدماء بأسطورة (فيثون) حيث يركب (فيثون) عربة الشمس بدلا من أبيه (هليوس)، وكذلك ما جاء في نص الأبستاق، والذي يقول أن عربة (مِثرا) مصنوعة من مادة سماوية، فهي كما يبدو عربة من النجوم.

المبحث الثامن: تصور برج الجبار على هيئة رجل يصارع الثور

لعل قرب برج الجبار من برج الثور أوحى للبعض بفكرة هذه الأسطورة وهي أن الرجل الذي في برج الجبار يصارع الثور الذي في برج الثور؛ فلقد عثرتُ على رسم يرجع لزمن الملكة

(حتشبسوت) يصوِّر الأبراج السماوية يصور (حورس) يطعن ثورا بالحربة، وعلى ما يبدو فإن (حورس) هنا هو برج الجبار، والثور هو برج الثور.

وعند العراقيين القدماء نجد النصوص تخبرنا بأن (نينورتا) قد هزم الثور السماوي، و(جلجامش) يقال عنه نفس الشيء؛ فهو من ذبح الثور السماوي، و(هِرَكْلِيس) يقتبس نفس الفكرة فيقال عنه أنه من هزم الثور (الكريتي)، و(أوريون) يقال عنه أنه كان يصطاد الحيوانات، و(مثراس) يصور في الأيقونة الرئيسية للديانة المثرائية وهو يذبح الثور الذي في برج الثور.



الشكل رقم (294) على اليمين شكل البرجين البسيط يوحي بصراع بين الرجل في برج الجبار والثور في برج الثور، في الوسط أقدم رسم للبروج في التاريخ يوضح الرجل برأس (حورس) يطعن الثور الذي في برج الثور، على اليسار المشهد الرئيسي في الديانة المثرائية مِثراس يذبح الثور.

المبحث التاسع: تصور برج الجبار على هيئة أكثر من رجل واحد

تخيل اليونانيون أن برج الجبار هو رجل له رجلين وثلاثة جذوع، وثلاثة رؤوس، وستة أذرع، وظهر ذلك في أسطورة

(جريون)، ولمحنا نفس الفكرة في تفسيرٍ لاسم (تربتولمس) والذي يعني المحارب الثلاثي.

ويبدو أن البعض تخيل أنه يخرج من حزام برج الجبار الذي هو نفسه خصره ثلاثة جزوع بعدد النجوم الظاهرة، أو جزعين، ومن هنا جاءت الفكرة.



الشكل رقم (295) على اليمين برج الجبار على اليسار (جريون) ذو الثلاثة جذوع وثلاثة رؤوس، وستة أذرع.

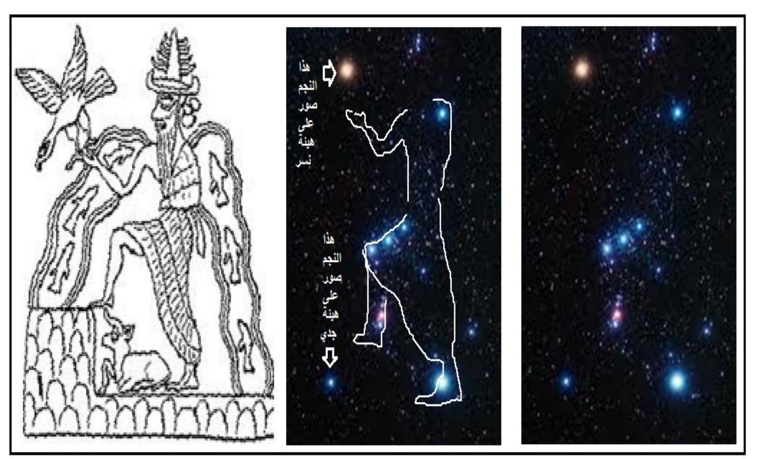
ويبدو أن شعوبا أخرى رأت في برج الجبار شكل شخصين، فهناك عند الهندوس أسطورة (بنجاباتي)، وهو برج الجبار، الذي شعر بالوحدة فانقسم إلى رجل وامرأة، وربما هذه الفكرة هي أصل اسم (يَما) الهندوسي، و(يِما) المجوسي، فاسميهما يعنيان التوأم، وربما لهذا السبب قالت الأسطورة أن (جمشيد)، وهو الشخصية المطوَّرة من (يما)، قد شُقَّ إلى نصفين.

وشبيه بذلك ما قاله اليهود في أسطورتهم عن الملائكة الساقطة، ففي أحد نسخ الأسطورة فإن هناك ملكان هبطا إلى الأرض وعوقب، أحدهما بأن يعلق مقيدا منكسا في السماء، وفي

نسخة أخرى من نفس الأسطورة أن المعلق هما ملكان، وهذا يدل على أن برج الجبار يرى على هيئة رجل ويرى على هيئة رجلين.
.

المبحث العاشر: (أنْكي) في خاتم (أدَّا)، وبرج الجبار

في خاتم (أدَّا) تم تصوير (أنْكي) بشكل قريب من صورة برج الجبار في السماء، حتى النهرين الذين ينبعان من كتفي (أنْكي) يمكن تفسيرهما بقوس النجوم الذي على يمين برج الجبار، وامتداده برج النهر، والنهر الذي على اليسار هو المجرة، وهذا يؤكد العلاقة بين (أنْكي) وبرج الجبار.



الشكل رقم (296) على اليمين برج الجبار، في الوسط الشكل الذي يمكن تخيله في برج الجبار، على اليسار مقارنة بصورة (أنْكي) في خاتم (أدَّا).

الفصل السابع:

تحديد شخصية ذي القرنين وزمنه

المبحث الأول: من كان ذو القرنين؟

ذو القرنين–على أغلب ظني- هو نفسه نبي الله إدريس، الذي رفعه الله مكانا عليا، وهو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه من الموت، وهو شخصية معروفة في كل الحضارات، ومن أشهر هذه الشخصيات، وأقدمها شخصية (أُزَيْرِس) عند المصريين القدماء، والذي احتفظ بلقب ذي القرنين، ولقد تم تأليه شخصية ذي القرنين عند المصريين، وعند كثير من الأمم، حتى أنه في يومنا هذا يعبد مئات الملايين من الهندوس الإله الباطل (فِشْنُو) الذي هو أحد الصور المنحدرة من ذي القرنين، وكذلك تعبد مئات الملايين من النصارى عيسى بن مريم، وقد اقتبس واضعي الديانة المسيحية الكثير من أساطير حيكت حول شخصية ذي القرنين، وأضافوها إلى المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني: متى عاش ذو القرنين

لقد عاش ذو القرنين في عصر سحيق من عصور ما قبل التاريخ، حتى أن أقدم النصوص التي وصلت إلينا مثل نصوص الأهرام في مصر، والتي تتحدث عن (أُزَيْرِس)، ونصوص

العراقيين القدماء حول (أنْكي) و(نينورتا)، هذه النصوص التي تأتينا من النصف الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد، تظهر تماما أنها كتبت بعد أن مرت مئات كثيرة من السنين بعد ذي القرنين، وبعد أن تحولت حقائق القصة إلى أساطير محبوكة وحكايات خرافية. ويبدو لي أن قصة ذي القرنين مرت بفترة شفوية طويلة قبل أن تدوَّن، بدليل أنها أول ما دونت كانت مليئة بالأساطير والخرافات.

وتظهر نقوش الأسرتين الأولى والثانية الفرعونيتين، والتي حكمتا في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد أن ديانة المصريين القدماء لم تكن شيئا آخر غير ما وصلنا بعد هذا بما يقرب من ألف عام في نصوص الأهرام، وهذا يؤكد مرة أخرى أن ذا القرنين والتوحيد الذي أتى به وعلمه المصريين، كان في زمن أقدم من 3200 قبل الميلاد بمئات السنين.



الشكل رقم (297) الملك دن الملك الرابع في الأسرة الأولى يرقص في طقسة دينية أمام تمثال لأزيرس في أعلى يمين النقش.

ويخبرنا علماء التاريخ أنه حدث في بداية الألف الخامسة قبل الميلاد (5000 قبل الميلاد) ثورة زراعية متزامنة في كل من مصر والعراق، فقد تحسنت كثيرا وسائل وطرق الري، وتم تحسين الزراعة، وتحولت الزراعة إلى الزراعة الكثيفة، فهل كان ذو القرنين وراء هذه النهضة الزراعية؟

ربما نفهم هذا مما ذكره العراقيون القدماء عن (نينورتا) ذي القرنين: "وحتى لو كان الماء متوافرا بكثرة، فلم يكن يستخدم في ري الحقول لأن البشر كانو يعتمدون فقط على مياه الأمطار"، فيبدو أنه كانت هناك مشاكل زراعية تختص بالري، فالري كان يعتمد على الأمطار فقط، وحدث أن ازداد الجفاف عاما بعد عام، وعندما ظهر ذو القرنين، علم المزارعين كيفية التحول لاستخدام مياه الأنهار، وما استلزمه ذلك من مشاريع ري عملاقة، اعتمدت بالأساس على إدارة مجموعات كبيرة من البشر، وهندسة الري .

ربما يؤكد ذلك ما روي عن أعمال (نيننورتا) من شق القنوات، وجمع المياه المتبعثرة وايصالها إلى النهر، وبناء السدود، وغيرها، ويقوي الفكرة أيضا ما نسبه المؤرخ (ديودور) عن (أُزَيْرِس) من أنه أقام مشاريع ضخمة عند منابع النيل.

كما يتفق مع ماذكره النص القديم عن (أَنْكي) في مشرق الشمس، والتي توصلت إلى أنها مرتفعات غينيا الجديدة، فالمفهوم أن (أَنْكي) وفَّر الماء، وأرى أن المقصود أنه أقام أنظمة للري.

ويتفق هذا مع آخر ما توصل العلم عن تاريخ الزراعة في غينيا الجديدة، فالزراعة بدأت هناك في فترة سحيقة من التاريخ.

وربما يكون هذا هو سر الربط بين الشخصيات المستمدة من ذي القرنين، والمياه العذبة والأنهار، (فأُزَيْرِس) والنيل، و(أَنْكي) ونهري دجلة والفرات، ومحيط الماء العذب الأسطوري (أبسو)، و(فِشْنُو) الذي صنع مساحة (لأندرا) ليستطيع استعادة الأنهار، و(بوتشيكا) الذي شق الجبل ليصرّف الماء الزائد.

وهذه الأعمال العظيمة التي تتضمن مشاريع الري، مثل بناء السدود، وحفر القنوات، وغيرها والتي تستلزم تعاون مجموعات عظيمة من البشر، تشبه إلى حد كبير ما قام به ذي القرنين للقوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، وذلك عندما بنى ردما أوسدا يفصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وهي القصة التي صرح القرآن بتفاصيلها.

وبالإضافة إلى الري، فلا يبعد أن يكون ذو القرنين قد أدخل الزراعة لمناطق لم تكن تعلمها، وأنه أدخل محاصيل إلى بلاد لم تكن تعلم عنها شيء، (فأُزَيْرِس) هو الذي علم الناس زراعة القمح، وكذلك (ساتَرْن) في إيطاليا، و(ديونيسوس) هو الذي أدخل زراعة أشجار العنب، و(أنْكي) هو الذي علّم الناس غرس النخيل في العراق.

كما أنني لا بد أن أنوه إلى أن ذا القرنين لم يصل إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس ويدور حول الأرض، فقط ليدعو الناس إلى الإيمان أو ليعلم السكان أسس الحضارة والمدنية، بل إنه علم الناس الإبحار، وعلمهم كيفية الوصول إلى البلاد البعيدة، فكان مغرب الشمس (أَمِنْت) أو (ملوحا)، ومشرق الشمس (سخت عارو) أو (دلمن) كانتا جزيرتين حقيقيتين تصلهما سفن المصريين، والعراقيين بعد ذي القرنين، وربما استمر هذا لآلاف السنين، غير أن كتمان العلم، وضياع المعلومات، بموت الربابنة والبحارة المهرة، أدى إلى أن تصبح هذه الأماكن من المناطق الغيبية، والتي لا يزورها إلا الآلهة الباطلة، وأبطال الأساطير.

والتراث القديم يؤكد ذلك، فالنصوص المصرية تذكر حقول (بيرو) التي في (أَمِنْت)، و(أنْكي) يتكلم عن قوارب (دلمن)، و(نينورتا) أقام مراكز تجارية خارج البلاد، و(فِشْنُو) و(يما) وسعًا العالم، والأساطير اليونانية تخبرنا أن سفن الملك المصري التي تذهب إلى (هسبريا) مغرب الشمس، وتتحدث عن (الأنديز) في أقصى غرب العالم، و(أخنوخ) يتكلم عن معادن الأنديز بدقة

شديدة، و(ديودور) الصقلي يؤكد أن الفينيقيين يسافرون إلى أرض شاسعة وراء المحيط الأطلنطي.

نتائج الباب الثالث

- عن طريق تحليل الآيات بيانيا، توصلت إلى أن ذا القرنين على الأغلب كان نبيا، وأنه ربما كان ملكا على مصر، وأن القرآن قد قص عنه بعض الأمور فقط، وأن الله قد علمه من العلوم ما يتوصل به إلى مايريد، وأنه كان يسافر وحده.
- وعن طريق دراسة النصوص المتعلقة (بأُزَيْرِس)، تبين أن (أُزَيْرِس) كان بشرا، وأنه تلقّب بذي القرنين، وأن القرنين هما جبلان عظيمان أحدهما في أرض مغرب الشمس، والآخر في بلاد مشرق الشمس، وأنه كان ملكا على مصر، وأنه أوتي العلوم فراح يعلم الناس الدين والحضارة، وأنه ذهب إلى (أَمِنْت) مغرب الشمس وهي منطقة (الأنديز) الاستوائي، وهناك عذَّب طائفة من الكفار بالإله، وذلك بإثارة البركان عليهم، وعلم الناس هناك الزراعة، والحضارة، ثم عبر المحيط الهادي الذي يقع في الجهة المقابلة لمنطقتنا، ليصل إلى جزيرة (غينيا) الجديدة وهي جزيرة مطلع الشمس، وهي الجزيرة التي بها (سخت عارو) أو حقول العراة، تلك التي تقع في الأودية المرتفعة، ثم ذهب إلى مكان آخر، وهناك بنى في شماله سورا محصنا، ليحمي قوما من الضعفاء، **وبالتالي فإن (أُزَيْرِس) هو ذو القرنين.**
- (أُزَيْرِس) هو نفسه (عزير) المذكور في القرآن، ومعنى اسمه "مضاهئ الشمس"، و(أُزَيْرِس) هو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه.
- انتشرت في العالم القديم كله شخصيات لأبطال من البشر، أو آلهة باطلة، أو أنصاف آلهة كلها مستمدة من شخصية ذي القرنين، وتحمل بعض تفاصيل التيمات الأسطورية التي أضيفت لشخصية (أُزَيْرِس)، حتى أننا يمكننا تسميتها بأصداء (أُزَيْرِس)، ولقد أكدت دراسة هذه الشخصيات صدق ما توصلت له حول شخصية (أُزَيْرِس).

- في مقابل شخصية (أُزَيْرِس)، والشخصيات الصدى، وجدنا بعض الشخصيات في الديانات القديمة، والأساطير منحدرة من شخصية ذي القرنين، وذلك كما رأتها بعض الشعوب التي زارها ذو القرنين نفسه، ومن هذه الشخصيات (بوتشكا) و(فراكوتشا) في (الأنديز)، و(سودو) في جزر (ميلانيزيا)، و(أنْكي) في العراق، ودراستنا لهذه الشخصيات تؤكد ما توصلنا إليه حول (أُزَيْرِس)، لأنها تتكامل معه بشكل يصنع تواترا يؤكد استنتاجاتي.

- النصوص حول (أخنوخ) - وهو النبي المذكور في التوراة أنه رُفع إلى السماء- مستمدة من ميراث الأمم الوثنية حول الشخصيات التي صعدت إلى السماء، بينما (هرمس الهرامسة) شخصية خرافية، وإن كانت تحمل في بعض النصوص ذكرى ذي القرنين، وتطوافه حول العالم، وتعليمه الناس الحضارة، أما نبي الله إدريس فاسمه هو النطق اليوناني للإله الباطل (أدار)/(نينورتا) الذي بجوار أنه أصعد إلى السماء، فهو الذي لقب بذي القرنين، وهو الذي عذب سكان جبل مغرب الشمس، بإثارة البركان عليهم بسبب تمردهم على الإله الأعلى، وهو الذي بنى جدارا سدا في جبهة البلاد الشمالية، وكلها من خصائص ذي القرنين، **ويغلب على ظني أن نبي الله إدريس ونبي الله ذو القرنين هما نفس الرجل.**

- لقد تم الربط في مرحلة مبكرة جدا بين ذي القرنين، وبرج الجبار، لذا فإننا نجد الشخصيات الأسطورية والدينية التي تحمل بعض خصائص ذي القرنين تحمل كثير أو قليل من الأساطير المستوحاة من تصورات لشكل برج الجبار في السماء.

- إن (أُزَيْرِس) هو من أقدم وأقرب الشخصيات إلى ذي القرنين، وذلك حسب النصوص التي وصلتنا، كما أن النبي ذا القرنين هو نفسه النبي إدريس، وهو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وهو عزير، وهذه الشخصيات الثلاثة مذكورة

في القرآن الكريم، أما عن زمنه فلقد عاش في مرحلة سحيقة، وقبل عصر الكتابة ربما في بداية الألف الخامسة قبل الميلاد، أي ما يقرب من سبعة آلاف عام من وقتنا الحالي.

الباب الرابع

الروايات والآراء حول ذي القرنين ومناقشتها

لو طالعنا كتب التفسير وكتب التراث الأخرى التي ناقشت قصة ذي القرنين، محاولين البحث عن من يكون ذي القرنين، وماهي مغرب الشمس، ومطلع الشمس، وبين السدين، وغير ذلك من أمور القصة، لو فعلنا لوجدنا رُكاما مُحيرا ومُربكا من الروايات والآراء المتعارضة، فهناك الروايات المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والروايات المنسوبة إلى صحابته الكرام، وغيرها مما هو منسوب إلى التابعين ومن بعدهم، وتتميز هذه الروايات في مجموعها بضعف الإسناد، وبالتعارض، كما أننا سنجد آراء منسوبة إلى التابعين، وأهل التفسير، وأصحاب كتب التفسير، وكتب التاريخ، وغيرهم.

وفي تحديد شخصية ذي القرنين نجد أن العلماء انقسموا إلى أربع مجموعات رئيسة: المجموعة الأولى وهي التي تقول بأن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين، ومن أمثلتها ابن هشام صاحب السيرة، والفخر الرازي، والسيوطي، والمجموعة الثانية ترى أن الإسكندر ليس هو ذا القرنين، وإنما هو رجل آخر، وهو على الأغلب ملك عربي قديم، معاصر لنبي الله إبراهيم، وربما هو ملك

حميري، والمجموعة الثالثة لم تحسم أمرها واختارت أن تسوق الآراء بدون تحديد شخصية ذو القرنين.

وهناك فريق رابع من العلماء، والدعاة المعاصرين قالوا بأن القرآن قصَّ علينا قصة ذي القرنين، ولم يصرح لنا بمن يكون تحديدا, فليس لنا أن نتكلف معرفة من يكون، فالمقصود ضرب المثل لأخذ العبرة، وليس مجرد الإخبار بالأحداث التاريخية.

وهذا الرأي الأخير غير مسلَّم به، وذلك لعدة أسباب أولها: أننا مأمورون بتدبر القرآن الكريم بشكل عام، ومعرفة شخصية ذي القرنين داخلة في هذا التدبر، ثانيا: أننا نعيش الآن عصر توسع العلوم المختلفة، ومنها علم التاريخ، ولقد أنشئت كليات متخصصة في هذا العلم، وكرَّس آلاف الباحثين حياتهم لدراسة الشخصيات التاريخية المختلفة، وربما تخصص أحدهم في دراسة شخصية واحدة، مثل هتلر أو يوليوس قيصر، أو الملك خوفو، فليس من الحكمة أن نبذل كل هذه الجهود في دراسة كل الشخصيات التاريخية، وندع شخصية ذي القرنين.

أما السبب الثالث فهو أننا عندما تكاسلنا في دراسة الآيات من الناحية الجغرافية، والتاريخية، وفي تحديد شخصية ذي القرنين، فإن أدعياء الإستشراق، ومعهم أعداء الإسلام، والطاعنين في القرآن، نجدهم يثيرون الشبهات حول القرآن، وخصوصا حول ذي القرنين ورحلته، فتارة يقولون أن القرآن يدعي بأن الإسكندر الأكبر كان مؤمنا، وهو خطأ تاريخي، وتارة يقولون أن القرآن يستلهم من حكايات الإسكندر الخرافية، وتارة يقولون بأن القرآن يقول بأن الأرض مسطحة، فالشمس تغرب بأن تهبط في عين حمئة في أقصى غرب العالم، وتطلع من الأرض في أقصى شرق العالم، وأن هناك سد في الشمال يحجز يأجوج ومأجوج من غزو العالم، وكلها أخطاء جغرافية.

وفي هذا الباب سوف أدرس آراء علمائنا الأجلاء، والباحثين المعاصرين دراسة تحليلية، وسوف يتضح لنا أن الإسكندر ليس

هو ذو القرنين، وسوف نناقش أيضا لماذا تتشابه آيات ذي القرنين مع قصص الإسكندر الأكبر، كما سيتضح لنا أيضا أن ذا القرنين ليس هو الملك العربي معاصر إبراهيم، أوالملك العربي الحميري، أو حتى الملك الفارسي قورش.

الفصل الأول

هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين؟

إن من أول الذين قالوا أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين هو ابن هشام صاحب السيرة، وقال بذلك أيضا قتادة من أهل التفسير، أما أصحاب التفاسير فلقد قال بذلك البيضاوي، والسيوطي، والفخر الرازي، وربما الذي حدا بهم للأخذ بهذا الرأي هو المشابه التي رأوها بين قصة ذي القرنين في القرآن الكريم من جهة، وبين ما وصلهم من أخبار الإسكندر الأكبر من جهة أخرى، ويلخص ذلك ما قاله الفخر الرازي في تفسيره: "فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين ملك أكثر المعمورة، وثبت بالتواريخ أن الذي هذا شأنه هو الإسكندر، وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الإسكندر".



الشكل رقم (298) الإسكندر الأكبر يرتدي قرنين على عملة من عهد (ليسيماخوس) حوالي 297-281 قبل الميلاد.

وقد واجه علماؤنا إشكالا ضخما في تعريف ذي القرنين بأنه الإسكندر، فلقد علموا أن الإسكندر تعلَّم على يد أرسطو الفيلسوف اليوناني المشهور، وهم يعلمون أن أرسطو لم يكن مؤمنا موحدا بأي حال، لذا نجد أن كثيرا منهم رفض القول بأن ذا القرنين هو الإسكندر، وحاول البعض حل الإشكال فقالوا ربما يكون الإسكندر تتلمذ على يدي أرسطو، ولكنه خالفه في الدين.

المبحث الأول: الإسكندر الأكبر: تاريخه، ورومانسياته[389]

الإسكندر الأكبر هو ملك يوناني قديم، ولد عام 356 ق.م.، ومات عام 323 ق.م.، ومدة ملكه هي 13 عاما فقط، وذلك من 336 ق.م. إلى وفاته، وهو أحد أبرز القادة العسكريين وأنجحهم في التاريخ، ويقال أنه لم يُهزم في معركة خاضها، وعند وفاته كان مسيطرا على معظم العالم المعروف لدى اليونانيين.

لقد اعتلى الإسكندر بن فيليب عرش مقدونيا - وهي إحدى مقاطعات اليونان- بعد وفاة والده، وورث عن أبيه قيادة تحالف المناطق اليونانية، واستطاع قيادة جيشه والانطلاق شرقا لمواجهة الإمبراطورية الفارسية، واستطاع بعد سلسلة من المعارك تحطيم هذه الإمبراطورية الفارسية والاستيلاء على ممتلكاتها، وتكوين إمبراطورية يونانية تضم آسيا الصغرى، والشام، ومصر، والعراق، وإيران الحالية، وأفغانستان الحالية.

تُوفي الإسكندر المقدوني بعد إثنتي عشرة عاما من الحروب المستمرة، ولكن آثار فتوحاته امتدت لقرون عديدة بعد وفاته، ففي الإمبراطورية الجديدة تمدد الفكر اليوناني والثقافة اليونانية،

---

[389] - قصصه الخيالي.

وامتزجا مع فكر وثقافة المناطق المختلفة، وتكونت ماعُرف بالحضارة الهلينية.

ويحكي التاريخ أن الإسكندر الأكبر قد تعلم على يد أرسطو وهو في سن المراهقة، وأنه كان يحضر ما يشبه المدرسة في أحد المعابد مع نبلاء مقدونيا، وقد علمهم أرسطو الطب، والفلسفة، والأخلاق، والدين، والمنطق، والفن.

مصادرنا التاريخية عن الإسكندر الأكبر:

يخبرنا دارسو التاريخ أن معاصري الإسكندر الأكبر الذين كتبوا عنه هم مؤرخه الخاص (كاليستنس) Callisthenes، والقائدان في جيشه (بطليموس) Ptolemy, (ونيارخوس) Nearchus, وأحد الضبّاط الصغار المدعو (أريستوبولوس) Arstibulus، وكبير الربّابنة (أونيسيكريتوس) Onesicritus[390].



الشكل رقم (299) صورة متخيلة للإسكندر في مرحلة صباه وهو يتلقى الفلسفة على يد الفيلسوف أرسطو.

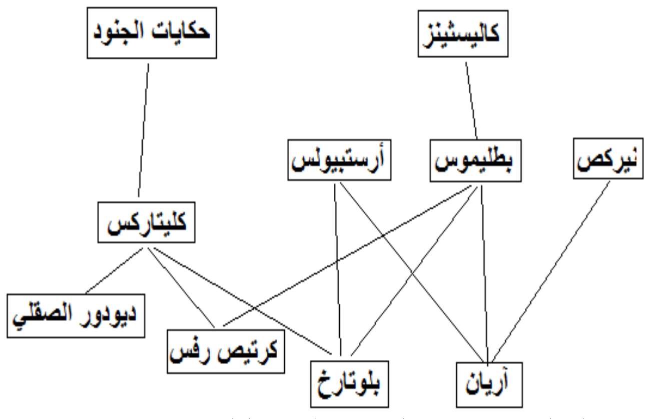
وهؤلاء كانوا مرافقين للإسكندر وشهود عيان على الأحداث، غير أن كتاباتهم لم تصلنا كاملة.

---

390 - http://www.livius.org/aj-al/alexander/alexander_z1b.html

أما المؤرخون الذين كتبوا عن الإسكندر ووصلتنا كتاباتهم، فهم المؤرخ (ديودور) الصقلي Diodorus (القرن الأول ق.م)، يتلوه ما كتبه (كوينتس كورتيوس روفوس) Curtius Rufus (ما بين أواسط وأواخر القرن الأول ق.م)، ثم آريان Arrian (ما بين القرن الأول والثاني الميلادي)، ثم (بلوتارخ) Plutarch (ما بين القرن الأول والثاني الميلادي)، وأخيرًا (جستن) Justin (180 - 255 بعد الميلاد) صاحب المؤلف العائد للقرن الثالث الميلادي.

و**(آريان)** Arrian هو مؤرخ يوناني، وفيلسوف، وقائد في الجيش الروماني، ومؤلفه يحظى بثقة الدارسين، وذلك لأنه أخذ من نصوص (بطليموس) و(أريستوبولوس) كمصدر أساسي[391].



الشكل رقم (300) المصادر التاريخية لتاريخ الإسكندر.

---

391 - http://www.livius.org/aj-al/alexander/alexander_z1b.html

ما هي رومانسيات[392] الإسكندر Alexander romance؟

لقد كان الاسكندر الأكبر ونجاحه عجبا في عجب، فلقد كان شابا صغيرا حاكما لمقاطعة صغيرة، مختلف في أحقيته للعرش، ورغم ذلك فإنه في خلال سنوات قليله نجده يجتاح أكبر إمبراطورية في العالم، وهي الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، ويقتل ملكها ويستولي على كل أملاكها، إن هذا النصر الذي وهبه الله له على صغر سنه وقلة عدد جيشه قد أذهل شعوب العالم، كما كان موته المفاجئ في ظروف غامضة مثارا للعجب والتساؤل.

وبعد وفاته حكم ضباطه أركان الإمبراطورية الواسعة بعد أن اقتسموها فيما بينهم، وحدث نوع من العَوْلَمة والتفاعل الحضاري لأول مرة في التاريخ بين الحضارات المختلفة اليونانية الغازية، والمصرية، والعراقية، والفارسية، والهندية، كل هذا أوجد بيئة خصبة لاختراع أساطير (حكايات خرافية) والتي أُطلق عليها (رومانسيات) حول الإسكندر الأكبر.

ويبدو أن الأساطير حول الإسكندر ظهرت أول ما ظهرت في حياته هو نفسه، وربما كان هذا بتشجيع منه شخصيا، فنحن نجد أن (كاليسثنز) مؤرخه يقول أن البحر كان ينحسر إجلالا وخشية للإسكندر عند ساحل مدينة (قيليقية)، بل بلغت الجرأة بمؤرخ آخر، وهو (أونيسيكريتوس)، أن اخترع قصة فحواها أن الإسكندر التقى بملكة الأمازونيات - وهن مجموعة من النساء المقاتلات الأسطوريات ليس بينهن رجال- وقرأ هذا على (ليسيماخوس)، وهو أحد خلفاء الإسكندر، وكان ضابطا من ضباطه، حتى أن (ليسيماخوس) أجابه مستنكرا كذبه: "أتسائل أين كنت أنا في ذلك الوقت؟".

لقد بدأت تتجمع حكايات أسطورية عن الإسكندر الأكبر من وقت وفاته، وطوال فترة حكم البطالمة لمصر، حتى جاء القرن

392 - قصص خيالية.

الثاني أوالثالث بعد الميلاد فجُمعت هذه الحكايات في مؤلف واحد كتبه مصريون متأغرقون باللغة اليونانية، وهو المؤَلف الذي نسب في فترة إلى (كالستِنز)، ثم صار يطلق عليه الآن كتاب (كالِستِنز المكذوب) "Pseudo Callisthenes"

وهذا الكتاب صار مصدرا لكل النسخ التي وصلتنا، وكذلك النسخ التي لم تصلنا من رومانسيات الإسكندر، فلقد تُرجمت هذه الحكايات إلى اللاتينية، والسريانية، والأرمنية، والجورجية، والعربية، والعبرية، وغيرها.

ولم يتم نقل هذه الحكايات بصورة حرفية جامدة، بل خضعت إلى العديد من التطوير، والإضافة، والتنويع، والتوطين، وهي التي لانجدها في أنواع الكتابة الأخرى، فكل مترجم، وكل كاتب، وكل أمة، كان يُغيِّر في التفاصيل، وينوِّع كما يحلو له، وربما يزيد أو ينقص، حتى أننا نجد تنويعات كثيرة جدا لهذه الحكايات، وسنرى مثالا على ذلك أثناء استعراضنا لبعض النماذج في الصفحات التالية.

السؤال الذي يثور الآن هو: لماذا انتشرت تللك الحكايات/الرومانسيات ولاقت كل هذا القبول؟ يرى البعض أن من أسباب ذلك أن هذه الحكايات كانت تخُص ملكا عظيما مُميزا في التاريخ، ولأنه كانت هناك الكثير من المفارقات في حياة الإسكندر، كما أن هذه الحكايات تمتعت بكثير من المرونة فضمت في سياقها أساطير أقدم، كما أنها استخدمت في إيصال معان حول الحكمة، والأخلاق، والقَدَر، وغيرها.

كما يجب ألا ننسى أنه كان لانتشار الثقافة الهلينية، وتكون طبقة من النُخب في كل البلاد المفتوحة تتحدث بلغة واحدة وهي اللغة اليونانية، وذلك لأول مرة في التاريخ، كان له دور كبير في انتشار الرومانسيات في كل البلاد التي فتحها الإسكندر.

أما أشهر المواضيع التي دارت حولها هذه الحكايات/الرومانسيات التي نُسجت حول الإسكندر فهي:

- حكاية تقص كيف أن الإسكند الأكبر تقابل مع ملكة الأمازونات.
- حكاية تقص أن الإسكندر ذهب إلى أطراف الأرض.
- حكاية تقص أن الإسكندر بنى بوابة في ممر جبلي بالقوقاز ليمنع قبائل الشمال المتوحشة من مهاجمة البلاد التي تقع جنوب جبال القوقاز.
- حكاية تقص أن الإسكندر صعد إلى السماء لاستكشافها.
- حكاية تقص لقاء الاسكندر بطائفة من النساك العراة في الهند، وحواره معهم.
- حكاية تخبرنا أن الإسكندر نزل إلى قاع البحر في ناقوس زجاجي.
- حكاية تقص رحلة الإسكندر للبحث عن نبع الحياة، وراء أرض الظلمات.
- حكاية تبرز دهاء الإسكندر، وقدرته على التنكر، وكيف أنه تنكر ليدخل على كانداس ملكة النوبة بدون أن تعرفه، وكيف تنكر ليقابل داريوس دون أن يدري أنه الإسكندر.
- حكاية تقص كيف أن الإسكندر تقابل مع بورس ملك الهند الأسطوري، وأنهما تصارعا.

وهكذا صار لدينا شخصيتان للإسكندر: الأول هو "الإسكندر التاريخي"، وهو قصة الإسكندر كما روتها المصادر التاريخية، والثاني هو "الإسكندر الأسطوري" الذي صاغته حكايات الإسكندر أو رومانسياته.

وحتى هذا الإسكندر الأسطوري لم يكن له وجها واحدا، بل تعددت ملامحه، وتنوعت تفاصيل حكاياته، فمثلا أجمعت الحكايات أن الإسكندر لم يكن إبن أبيه (فيليب) كما تقول المصادر التاريخية، ثم تنوعت الحكايات عمن يكون أبوه وذلك حسب الأمة التي تقص الحكاية: فالمصريون يقولون أن أباه كان (نختنابو)

الملك المصري الأخير، والفرس يقولون أنه الملك (دارا) الأكبر، حتى العرب زعموا أن أباه حِمْيَري من حِمْيَر.

المبحث الثاني: الروايات التي تصرح بأن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين

في هذا المبحث سأتحدث عن ثلاثة روايات هامة، كلها تصرح أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين، الروايتان الأوليان منسوبتان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت أولهما ضعيفة والثانية مرفوعة خطأ إلى النبي أو موضوعة على مايبدو، أما الرواية الثالثة فهي منسوبة إلى وهب بن منبه وهو أحد أهم من روى الإسرائيليات من التابعين، وروايته طويلة وشديدة الأهمية لذا عمدت إلى تحليلها، والتعليق عليها.

1- حديث عقبة ابن عامر:

يروي الطبري في تفسيره، وبإسناده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرواية الهامة، يقول الطبري: "...فَحَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ قَالَ: ثني عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعُمٍ، عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ تُجِيبَ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: "انْطَلِقْ بِنَا إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ نَتَحَدَّثُ، قَالا: فَأَتَيْنَاهُ فَقَالا: جِئْنَا لِتُحَدِّثَنَا، فَقَالَ: كُنْتُ يَوْمًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَنِي قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا عَلَيْهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "مَا لِي ولَهُمْ، مَالِي عِلْمٌ إلا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ" ثُمَّ قَالَ: "اسْكُبْ لِي مَاءً"، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قَالَ: فَمَا فَرَغَ حَتَّى عَرَفْتُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ:" أَدْخِلْهُمْ عَلَيَّ، وَمَنْ رَأَيْتَ مِنْ أَصْحَابِي"، فَدَخَلُوا فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "إِنْ شِئْتُمْ سَأَلْتُمْ فَأَخْبَرْتُكُمْ عَمَّا تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ مَكْتُوبًا، وَإِنْ شِئْتُمْ أَخْبَرْتُكُمْ"، قَالُوا: بَل أَخْبِرْنَا، قَالَ: "جِئْتُمْ تَسْأَلُونِي عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ،

وَمَا تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ: كَانَ شَابًّا مِنَ الرُّومِ، فَجَاءَ فَبَنَى مَدِينَةَ مِصْرَ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ، فَلَمَّا فَرَغَ جَاءَهُ مَلَكٌ فَعَلا بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُ مَا تَرَى؟ فَقَالَ: أَرَى مَدِينَتِي وَمَدَائِنَ، ثُمَّ عَلا بِهِ، فَقَالَ: مَا تَرَى؟ فَقَالَ: أَرَى مَدِينَتِي، ثُمَّ عَلا بِهِ، فَقَالَ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى الأَرْضَ، قَالَ: فَهَذَا الْيَمُّ مُحِيطٌ بِالدُّنْيَا، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ تُعَلِّمُ الْجَاهِلَ، وَتُثَبِّتُ الْعَالِمَ، فَأَتَى بِهِ السَّدَّ، وَهُما جَبَلانِ لَيِّنَانِ يَزْلِقُ عَنْهُمَا كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ مَضَى بِهِ حَتَّى جَاوَزَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ مَضَى بِهِ إِلَى أُمَّةٍ أُخْرَى، وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ الْكِلابِ يُقَاتِلُونَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ مَضَى بِهِ حَتَّى قَطَعَ بِهِ أُمَّةً أُخْرَى يُقَاتِلُونَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ الْكِلابِ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى قَطَعَ بِهِ هَؤُلاءِ إِلَى أُمَّةٍ أُخْرَى قَدْ سَمَّاهُمْ"[393].

والحديث ضعيف السند، ففيه ابن لهيعة وهو ضعيف، كما أن في السند شخص مجهول، أما عن المتن فنلاحظ أن الحديث يُجزم بأن ذا القرنين هو الإسكندرالأكبر فهو الرومي (أي الأوروبي) باني الإسكندرية بمصر، ولكن هناك في المتن دلائل على أن الرواية مأخوذة من رومانسيات الإسكندر، وأنها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

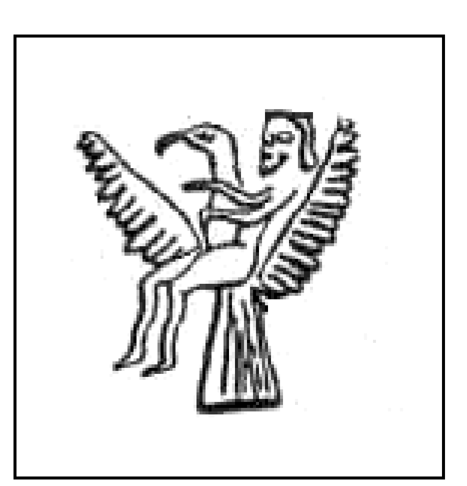
ففكرة صعود الإسكندر في السماء والتي نجدها في الحديث هي (تيمة) رئيسية في رومانسيات الإسكندر، وهي فكرة خرافية تماما، وفكرة الصعود ورؤية البحر المحيط، والسؤال ثلاثة مرات عند ثلاثة ارتفاعات مختلفة، هي في الأصل مأخوذة من أسطورة (إيتانا) العراقية، و(إيتانا) ملك عراقي سومري أسطوري، تحكي الأسطورة أنه لما لم يرزق بأبناء فإنه صعد إلى السماء على ظهر نسر ضخم، ليطلب نبات الإنجاب من الآلهة الباطلة، وتقول

---

[393]- موسوعة الحديث، إسلام ويب
http://www.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_n = 57084&pid=21293&hid=338o

الأسطورة أن النسر عندما علا به فرسخا سأله: "أنظر ياصديقي كيف تبدو الأرض الآن؟" فيجيبه (إيتانا): "الأرض تبدو كتلَّة، والبحر يبدو كقناة"، وعندما علا به فرسخا آخرا، سأله: "كيف تبدو الأرض الآن؟" فأجابه (إيتانا) تبدو كتلَّة"، وعندما علا به النسر فرسخا ثالثا، سأله نفس السؤال، فأجابه (إيتانا): "يبدو البحر كحفرة البستاني"[394]، وهذه أحد خصائص رومانسيات الإسكندر الأكبر، وهي تضمنها بعضا من أساطير الشعوب القديمة.

أما تلك الجغرافيا الخرافية التي نجدها في نص الحديث فهي منقولة نقلا من أساطير اليونانيين القدماء؛ فالقوم الذين وجوههم كوجوه الكلاب هم قبيلة (السينوسفالي) Cynocephaliالتي زعم اليونانيون القدماء أنهم يعيشون في أفريقيا، ويقول الدارسون أن اليونانيين ربما اخترعوا هؤلاء القوم الأسطوريين بعد رؤيتهم لقرود البابون[395].



الشكل رقم (301) (إيتانا) يعرج في السماء على ظهر النسر كما صوره خاتم يرجع تاريخه إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد.

394 - THE MYTH OF ETANA http://www.angelfire.com/tx/gatestobabylon/mythetana.html

395 - http://www.theoi.com/greek-mythology/fabulous-tribes.html

وفي الرواية التي في تفسير يحي بن سلام نجد هذه الزيادة: "ثُمَّ قَطَعَهُمْ فَوَجَدَ أُمَّةً قِصَارًا يُقَاتِلُونَ الَّذِينَ وُجُوهَهُمْ كَوُجُوهِ الْكِلابِ, ثُمَّ مَضَى فَوَجَدَ أُمَّةً مِنَ الْغَرَانِيقِ يُقَاتِلُونَ الْقَوْمَ الْقِصَارَ"، فأما القوم القصار الذين يقاتلون الغرانيق فهم أنفسهم الأقزام Pygmies الذين حكت ملحمة الإلياذة اليونانية أنهم مشتبكون مع طيور الغرانيق المهاجرة في حروب لا تنتهي.



الشكل رقم (302) صورة متخيلة لأحد أفراد قبيلة وجوه الكلاب مأخوذة من حوليات نورمبرج Nuremberg Chronicle ، والتي نشرت عام 1493.

إن هذاالحديث مع ضعف سنده، فإن متنه به من العلل ما ينقله نقلا من دائرة الضعيف إلى دائرة الحديث الموضوع.

2- حديث أن الإسكندر الأكبر كان عربيا حميريا:

يروي ابن عساكر في تاريخ دمشق: "أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُقَاتِلٍ، أَنْبَأَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ، نا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ النَّصِيبِيُّ، إِجَازَةً, نا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاسِطِيُّ، نا عُمَرُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُهَاجِرٍ، نا أَبِي، نا الْوَلِيدِ بْنُ حَمَّادٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، نا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْبَغْدَادِيُّ، نا السَّامُ بْنُ دَاوُدَ، نا أَحْمَدُ بْنُ نُبَاتَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الأَبْرَشِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الْقَرَظِيُّ, قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: **"إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ ابْنَ رَجُلٍ مِنْ حِمْيَرَ حِمَيْرِيًّا وَكَانَ قَدْ وَفَدَ إِلَى الرُّومِ، فَأَقَامَ فِيهِمْ، وَكَانَ يُسَمَّى أَبُوهُ الْفَيْلَسُوفُ لِعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ، فَتَزَوَّجَ فِي الرُّومِ امْرَأَةً مِنْ غَسَّانَ وَكَانَتْ عَلَى دِينِ الرُّومِ فَوَلَدَتْ ذَا الْقَرْنَيْنِ، فَسَمَّاهُ أَبُوهُ الإِسْكَنْدَرَ فَهُوَ الإِسْكَنْدَرُ بْنُ الْفَيْلَسُوفِ مِنْ حِمْيَرَ، وَأُمُّهُ رُومِيَّةٌ غَسَّانِيَّةٌ".**



الشكل رقم (303) صورة متخيلة لصراع الأقزام مع الغرانيق من حوليات نومبرج 1493.

وقد رفض العلماء هذا الحديث ولم يعيروه التفاتا، ويمكنني القول أنه ليس إلا حكاية/رومانسية من رومانسيات الإسكندر والتي تم تعريبها، وبالتالي لايمكن أن يكون من كلام النبي صلى اله عليه وسلم.

(فبلوتارخ) يخبرنا عن رؤيا رآها فليب والد الإسكندر أنه يختم رحم زوجته أوليمبيا، وقدَّم (بلوتارخ) تفسيرا لذلك وهو أن الإسكندر ليس ابن (فليب). وينقل لنا (بلوتارخ) القول أن كاهن (آمون) في واحة سيوه في مصر أخبر الإسكندر عندما ذهب هناك بأن أباه ليس من البشر، وفي قول آخر أن الكاهن أراد أن يناديه باليونانية: "يا بني" فأخطأ، وقال ما يعني يا ابن الإله، وهو الخطأ الذي أسعد الإسكندر.

وبناء على هذه الأقوال جاء واضعي رومانسيات الإسكندر من المصريين ليضعوا حكايتهم الخرافية عن والد الإسكندر "الحقيقي"، فهو ليس (فيليب) وإنما هو (نختنابو) آخر فراعنة مصر، وقالوا أن هذا الفرعون كان ساحرا، وأنه استطاع أن ينتقل عبر البحر، ويصل إلى قصر (فليب) في غيابه، بل واستطاع أن يتنكر في شكل الإله الباطل (آمون)، وأن يُجامع (أوليمبيا) زوجة (فيليب)، ومن هذا اللقاء جاء الإسكندر، فهو ابن (نختنابو) وليس (فيليب)[396].

ومن فارس تأتينا النسخة الفارسية من نفس الرومانسية، ويحكيها لنا الطبري في تاريخه: "وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين، أن الإسكندر هذا الذي حارب دارا الأصغر، هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أم الإسكندر، وأنها ابنة ملك الروم واسمها هلاي، وأنها حُملت إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وجد نتن ريحها وعرقها وسهكها، أمر أن يحتال لذلك منها، فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة، يقال لها بالفارسية: سندر، فطُبخت لها فغُسلت بها وبمائها، فأذهب ذلك كثيرا من ذلك النتن، ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها، وعافها وردها إلى أهلها، وقد علقت منه، فولدت غلاما في أهلها، فسمته باسمها، واسم الشجرة التي غسلت بها

---

396 - http://en.wikipedia.org/wiki/Nectanebo_II

حتى أذهبت عنها نتنها: هلاي سندروس، فهذا أصل الإسكندروس"[397].

وهنا نجد الفُرس جعلوا الإسكندر الأكبر ابنا (لدارا) الأكبر، ويجعلونه بذلك فارسي، وربما مما ألهم واضع النسخة الفارسية من هذه الرومانسية هو ما حكاه (هيرودت) عن الملك الإسكندر **الأول** - وهو أحد أسلاف الإسكندر الأكبر الذي هو الإسكندر الثالث- من أنه زوَّج أخته لأحد النبلاء الفرس[398].

والآن يمكننا أن نفهم هذه الرواية التي رُفعت خطأً للنبي صلى الله عليه وسلم، ونعرف كيف أنها لاتعدو أن تكون النسخة العربية من أحد رومانسيات الإسكندر.

3- رواية وهب بن مُنبّه عن ذي القرنين/الإسكندر الأكبر:

يروي لنا الطبري في تفسيره رواية طويلة عن ذي القرنين، وهي رغم كونها من الإسرائيليات إلا أنها من أهم الروايات التي ذُكرت حول ذي القرنين، وهي تصرح بأن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر، يقول الطبري:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ, قَالَ: ثنا سَلَمَةُ, قَالَ: ثني مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ, قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ, عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْيَمَانِيِّ, وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالأَحَادِيثِ الأُوَلِ, أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ, ابْنُ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِهِمْ, لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ غَيْرُهُ, وَكَانَ اسْمُهُ الإسكندريس, وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَنَّ صَفْحَتَيْ رَأْسِهِ كَانَتَا مِنْ نُحَاسٍ, فَلَمَّا بَلَغَ وَكَانَ عَبْدًا صَالِحًا, قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ, إِنِّي بَاعِثُكَ إِلَى أُمَمِ الأَرْضِ, وَهِيَ أُمَمٌ مُخْتَلِفَةٌ أَلْسِنَتُهُمْ, وَهُمْ جَمِيعُ أَهْلِ الأَرْضِ, وَمِنْهُمْ أُمَّتَانِ بَيْنَهُمَا طُولُ الأَرْضِ كُلُّهُ, وَمِنْهُمْ أُمَّتَانِ بَيْنَهُمَا عَرْضُ الأَرْضِ كُلُّهُ, وَأُمَمٌ فِي وَسَطِ الأَرْضِ مِنْهُمُ الْجِنُّ وَالإِنْسُ, وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ, فَأَمَّا اللَّتَانِ بَيْنَهُمَا طُولُ

---

[397] - تارخ الطبري.

[398] - Herodtus V21

الأَرْضِ: فَأُمَّةٌ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، يُقَالُ لَهَا: نَاسِكٌ . وَأَمَّا الأُخْرَى: فَعِنْدَ مَطْلِعِهَا يُقَالُ لَهَا: مَنْسَكٌ . وَأَمَّا اللَّتَانِ بَيْنَهُمَا عَرْضُ الأَرْضِ, فَأُمَّةٌ فِي قُطْرِ الأَرْضِ الأَيْمَنِ, يُقَالُ لَهَا: هَاوِيلُ . وَأَمَّا الأُخْرَى الَّتِي فِي قُطْرِ الأَرْضِ الأَيْسَرِ, فَأُمَّةٌ يُقَالُ لَهَا: تَاوِيلُ, فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ, قَالَ لَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: إِلَهِيَ إِنَّكَ قَدْ نَدَبْتَنِي لأَمْرٍ عَظِيمٍ لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلا أَنْتَ, فَأَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الأُمَمِ الَّتِي بَعَثْتَنِي إِلَيْهَا, بِأَيِّ قُوَّةٍ أُكَابِرُهُمْ؟ وَبِأَيِّ جَمْعٍ أُكَاثِرُهُمْ؟ وَبِأَيِّ حِيلَةٍ أُكَايِدُهُمْ؟ وَبِأَيِّ صَبْرٍ أُقَاسِيهِمْ؟ وَبِأَيِّ لِسَانٍ أُنَاطِقُهُمْ؟ وَكَيْفَ لِي بِأَنْ أَفْقَهَ لُغَاتِهِمْ؟ وَبِأَيِّ سَمْعٍ أَعِيَ قَوْلَهُمْ؟ وَبِأَيِّ بَصَرٍ أُنْفِذُهُمْ؟ وَبِأَيِّ حُجَّةٍ أُخَاصِمُهُمْ؟ وَبِأَيِّ قَلْبٍ أَعْقِلُ عَنْهُمْ؟ وَبِأَيِّ حِكْمَةٍ أُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ؟ وَبِأَيِّ قِسْطٍ أَعْدِلُ بَيْنَهُمْ؟ وَبِأَيِّ حِلْمٍ أُصَابِرُهُمْ؟ وَبِأَيِّ مَعْرِفَةٍ أَفْصِلُ بَيْنَهُمْ؟ وَبِأَيِّ عِلْمٍ أُتْقِنُ أُمُورَهُمْ؟ وَبِأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَيْهِمْ؟ وَبِأَيِّ رِجْلٍ أَطَؤُهُمْ؟ وَبِأَيِّ طَاقَةٍ أحصيهم؟ وَبِأَيِّ جُنْدٍ أُقَاتِلُهُمْ؟ وَبِأَيِّ رِفْقٍ أَسْتَأْلِفُهُمْ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي يَا إِلَهِيَ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُ يَقُومُ لَهُمْ، وَلا يَقْوَى عَلَيْهِمْ وَلا يُطِيقُهُمْ، وَأَنْتَ الرَّبُّ الرَّحِيمُ الَّذِي لا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا، وَلا يُحَمِّلُهَا إِلا طَاقَتَهَا، وَلا يُعَنِّتُهَا وَلا يَفْدَحُهَا، بَلْ أَنْتَ تَرْأَفُهَا وَتَرْحَمُهَا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي سَأُطَوِّقُكَ مَا حَمَّلْتُكَ، وأَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ، فَيَتَّسِعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَشْرَحُ لَكَ فَهْمَكَ فَتَفْقَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَبْسُطُ لَكَ لِسَانَكَ فَتَنْطِقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَفْتَحُ لَكَ سَمْعَكَ فَتَعِي كُلَّ شَيْءٍ، وَأَمُدُّ لَكَ بَصَرَكَ، فَتَنْفُذُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأُدَبِّرُ لَكَ أَمْرَكَ فَتُتْقِنُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأُحْصِي لَكَ فَلا يَفُوتُكَ شَيْءٌ، وَأَحْفَظُ عَلَيْكَ فَلا يَعْزُبُ عَنْكَ شَيْءٌ, وَأَشُدُّ لَكَ ظَهْرَكَ, فَلا يَهِدُّكَ شَيْءٌ، وَأَشُدُّ لَكَ رُكْنَكَ فَلا يَغْلِبُكَ شَيْءٌ، وَأَشَدُّ لَكَ قَلْبَكَ فَلا يَرُوعُكَ شَيْءٌ، وَأَشَدُّ لَكَ عَقْلَكَ فَلا يَهُولُكَ شَيْءٌ، وَأَبْسُطُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، فَتَسْطُو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأُشُدُّ لَكَ وَطْأَتَكَ, فَتَهُدُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَأُلْبِسُكَ الْهَيْبَةَ فَلا يَرُومُكَ شَيْءٌ، وَأُسَخِّرُ لَكَ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ، فَأَجْعَلُهُمَا جُنْدًا مِنْ جُنَودِكَ، يَهْدِيكَ النُّورُ أَمَامَكَ، وَتَحُوطُكَ الظُّلْمَةُ مِنْ وَرَائِكَ.

وَلَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ, انْطَلَقَ يَوْمَ الأُمَّةِ الَّتِي عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ, فَلَمَّا بَلَغَهُمْ، وَجَدَ جَمْعًا وَعَدَدًا لا يُحْصِيهِ إِلا اللَّهُ، وَقُوَّةً وَبَأْسًا لا يُطِيقُهُ إِلا اللَّهُ، وَأَلْسِنَةً مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءً مُتَشَتِّتَةً، وَقُلُوبًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ كَابَرَهُمْ بِالظُّلْمَةِ، فَضَرَبَ حَوْلَهُمْ ثَلاثَةَ عَسَاكِرَ مِنْهَا، فَأَحَاطَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَحَاشَتْهُمْ حَتَّى جَمَعَتْهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمْ بِالنُّورِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ، فَعَمَدَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا عَنْهُ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمَةَ. فَدَخَلَتْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَأُنُوفِهِمْ وَآذَانِهِمْ وَأَجْوَافِهِمْ، وَدَخَلَتْ فِي بُيُوتِهِمْ وَدُورِهِمْ، وَغَشِيَتْهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْهُمْ، فَمَاجُوا فِيهَا وَتَحَيَّرُوا، فَلَمَّا أَشْفَقُوا أَنْ يَهْلِكُوا فِيهَا عَجُّوا إِلَيْهِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، فَكَشَفَهَا عَنْهُمْ وَأَخَذَهُمْ عَنْوَةً، فَدَخَلُوا فِي دَعْوَتِهِ، فَجَنَّدَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ أُمَمًا عَظِيمَةً، فَجَعَلَهُمْ جُنْدًا وَاحِدًا، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ يَقُودُهُمْ، وَالظُّلْمَةُ تَسُوقُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَتحوشهم مِنْ حَوْلِهِمْ، وَالنُّورُ أَمَامَهُمْ يَقُودُهُمْ وَيَدُلُّهُمْ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي نَاحِيَةِ الأَرْضِ الْيُمْنَى، وَهُوَ يُرِيدُ الأُمَّةَ الَّتِي فِي قُطْرِ الأَرْضِ الأَيْمَنِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا هَاوِيلُ، وَسَخَّرَ اللَّهُ لَهُ يَدَهُ وَقَلْبَهُ وَرَأْيَهُ وَعَقْلَهُ وَنَظَرَهُ وَائْتِمَارَهُ، فَلا يُخْطِئُ إِذَا ائْتَمِرَ، وَإِذَا عَمِلَ عَمَلا أَتْقَنَه. فَانْطَلَقَ يَقُودُ تِلْكَ الأُمَمَ وَهِيَ تَتْبَعُهُ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى بَحْرٍ أَوْ مَخَاضَةٍ بَنَى سُفُنًا مِنْ أَلْوَاحٍ صِغَارٍ أَمْثَالِ النِّعَالِ، فَنَظَمَهَا فِي سَاعَةٍ، ثُمَّ حَمَلَ فِيهَا جَمِيعَ مَنْ مَعَهُ مِنْ تِلْكَ الأُمَمِ وَتِلْكَ الْجُنُودِ، فَإِذَا قَطَعَ الأَنْهَارَ وَالْبِحَارَ فَتَّقَهَا، ثُمَّ دَفَعَ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ لَوْحًا فَلا يُكْرِثُهُ حَمْلُهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ دَأْبُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَاوِيلَ، فَعَمِلَ فِيهَا كَعَمَلِهِ فِي نَاسَكَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا مَضَى عَلَى وَجْهِهِ فِي نَاحِيَةِ الأَرْضِ الْيُمْنَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنْسَكٍ عِنْدَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ، فَعَمِلَ فِيهَا وَجَنَّدَ فيهَا جُنُودًا، كَفِعْلِهِ فِي الأُمَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، ثُمَّ مُقْبِلا فِي نَاحِيَةِ الأَرْضِ الْيُسْرَى، وَهُوَ يُرِيدُ تَاوِيلَ وَهِيَ الأُمَّةُ الَّتِي بِحِيَالِ هَاوِيلَ، وَهُمَا مُتَقَابِلَتَانِ بَيْنَهُمَا عَرْضُ الأَرْضِ كُلُّهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَمِلَ فِيهَا، وَجَنَّدَ فيها كَفِعْلِهِ

فِيمَا قَبْلَهَا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا عَطَفَ مِنْهَا إِلَى الأُمَمِ الَّتِي في وَسَطَ الأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَسَائِرِ النَّاسِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ.

فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَا يَلِي مُنْقَطَعَ التُّرْكِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ, قَالَتْ لَهُ أُمَّةٌ مِنَ الإِنْسِ صَالِحَةٌ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، إِنَّ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كثيرًا, فيهم مشابهة من الإنس، وَهُمْ أَشْبَاهُ الْبَهَائِمِ، يَأْكُلُونَ الْعُشْبَ، وَيَفْتَرِسُونَ الدَّوَابَّ وَالْوُحُوشَ كَمَا تَفْتَرِسُهَا السِّبَاعُ، وَيَأْكُلُونَ خَشَاشَ الأَرْضِ كُلِّهَا مِنَ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ، وَكُلَّ ذِي رُوحٍ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي الأَرْضِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ خَلْقٌ يَنْمَى نَمَاءَهُمْ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ، وَلا يَزْدَادُ كَزِيَادَتِهِمْ، وَلا يَكْثُرُ كَكَثْرَتِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ عَلَى مَا نَرَى مِنْ نَمَائِهِمْ وَزِيَادَتِهِمْ، فَلا شَكَّ أَنَّهُمْ سَيَمْلَئُونَ الأَرْضَ، وَيُجْلُونَ أَهْلَهَا منْهَا وَيَظْهَرُونَ عَلَيْهَا فَيُفْسِدُونَ فِيهَا، وَلَيْسَتْ تَمُرُّ بِنَا سَنَةٌ مُنْذُ جَاوَرْنَاهُمْ إِلا وَنَحْنُ نَتَوَقَّعُهُمْ، وَنَنْتَظِرُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا أَوَائِلُهُمْ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، أَعِدُّوا لِيَ الصُّخُورَ وَالْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ حَتَّى أَرْتَادَ بِلادَهُمْ، وَأَعْلَمَ عِلْمَهُم، وَأَقِيسَ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهِمْ. ثُمَّ انْطَلَقَ يَؤُمُّهُمْ حَتَّى دَفَعَ إِلَيْهِمْ وَتَوَسَّطَ بِلادَهُمْ, فَوَجَدَهُمْ عَلَى مِقْدَارٍ وَاحِدٍ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ, يبْلَغُ طُولِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مِثْلُ نِصْفِ الرَّجُلِ الْمَرْبُوعِ مِنَّا، لَهُمْ مَخَالِبُ فِي مَوْضِعِ الأَظْفَارِ مِنْ أَيْدِينَا، وَأَضْرَاسٌ وَأَنْيَابٌ كَأَضْرَاسِ السِّبَاعِ وَأَنْيَابِهَا، وَأَحْنَاكٌ كَأَحْنَاكِ الإِبِلِ قُوَّةً تَسْمَعُ لَهَا حَرَكَةٌ إِذَا أَكَلُوا كَحَرَكَةِ الْجِرَّةِ مِنَ الإِبِلِ، أَوْ كَقَضْمِ الْبَغْلِ الْمُسِنِّ، أَوِ الْفَرَسِ الْقَوِيِّ، وَهُمْ هُلْبٌ، عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّعْرِ فِي أَجْسَادِهِمْ مَا يُوَارِيهِمْ، وَمَا يَتَّقُونَ بِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ إِذَا أَصَابَهُمْ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أُذُنَانِ عَظِيمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا وَبَرَةٌ ظَهْرُهَا وَبَطْنُهَا، وَالأُخْرَى زُغْبَةٌ ظَهْرُهَا وَبَطْنُهَا، تَسِعَانِهِ إِذَا لَبِسَهُمَا، يَلْتَحِفُ إِحْدَاهُمَا، وَيَفْتَرِشُ الأُخْرَى, وَيَصِيفُ فِي إِحْدَاهُمَا، وَيَشْتُو فِي الأُخْرَى، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ذَكَرٌ وَلا أُنْثَى إِلا وَقَدْ عَرَفَ أَجَلَهُ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ، وَمُنْقَطَعَ عُمْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لا يَمُوتُ مَيِّتٌ مِنْ ذُكُورِهِمْ

حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ صُلْبِهِ أَلْفُ وَلَدٍ، وَلا تَمُوتُ الأُنْثَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ رَحِمِهَا أَلْفُ وَلَدٍ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ، وَهُمْ يُرْزَقُونَ التِّنِّينَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، وَيَسْتَمْطِرُونَهُ إِذَا تَحَيَّنُوهُ كَمَا نَسْتَمْطِرُ الْغَيْثَ لِحِينِهِ، فَيَقْذِفُونَ مِنْهُ كُلَّ سَنَةٍ بِوَاحِدٍ، فَيَأْكُلُونَهُ عَامَهُمْ كُلَّهُ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ، فَيُغْنِيهِمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَنَمَائِهِمْ، فَإِذَا أُمْطِرُوا وَأَخْصَبُوا وَعَاشُوا وَسَمِنُوا، وَرُئِيَ أَثَرُهُ عَلَيْهِمْ، فَدَرَّتْ عَلَيْهِمُ الإِنَاثُ، وَشَبِقَتْ مِنْهُمُ الرِّجَالُ الذُّكُورُ، وَإِذَا أَخْطَأَهُمْ هَزُلُوا وَأَجْدَبُوا، وَجَفَرَتِ الذُّكُورُ، وَحَالَتِ الإِنَاثُ، وَتَبَيَّنَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يَتَدَاعَوْنَ تَدَاعِي الْحَمَامِ، وَيَعْوُونَ عُوَاءَ الْكِلابِ، وَيَتَسَافَدُونَ حَيْثُ الْتَقَوْا تَسَافُدَ الْبَهَائِمِ. فَلَمَّا عَايَنَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ انْصَرَفَ إِلَى مَا بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ، فَقَاسَ مَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ فِي مُنْقَطَعِ أَرْضِ التُّرْكِ مَا يَلِي مُشْرِقَ الشَّمْسِ، فَوَجَدَ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا مِائَةَ فَرْسَخٍ، فَلَمَّا أَنْشَأَ فِي عَمَلِهِ، حَفَرَ لَهُ أَسَاسًا حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ, ثُمَّ جَعَلَ عَرَضَهُ خَمْسِينَ فَرْسَخًا، وَجَعَلَ حَشْوَهُ الصُّخُورَ، وَطِينَهُ النُّحَاسَ، يُذَابُ ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِ، فَصَارَ كَأَنَّهُ عِرْقٌ مِنْ جَبَلٍ تَحْتَ الأَرْضِ، ثُمَّ عَلاهُ وَشَرَفَهُ بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ الْمُذَابِ، وَجَعَلَ خِلالَهُ عِرْقًا مِنْ نُحَاسٍ أَصْفَرَ، فَصَارَ كَأَنَّهُ بُرْدٌ مُحَبَّرٌ مِنْ صُفْرَةِ النُّحَاسِ وَحُمْرَتِهِ وَسَوَادِ الْحَدِيدِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ وَأَحْكَمَهُ، انْطَلَقَ عَامِدًا إِلَى جَمَاعَةِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ، دَفَعَ إِلَى أُمَّةٍ صَالِحَةٍ يُهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، فَوَجَدَ أُمَّةً مُقْسِطَةً مُقْتَصِدَةً، يَقْسِمُونَ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَحْكُمُونَ بِالْعَدْلِ، وَيَتَآسَوْنَ وَيَتَرَاحَمُونَ، حَالُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَأَخْلاقُهُمْ مُشْتَبِهَةٌ، وَطَرِيقَتُهُمْ مُسْتَقِيمَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَآلِفَةٌ، وَسِيرَتُهُمْ مُسْتَوِيَةٌ، وَقُبُورُهُمْ بِأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَى بُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أُمَرَاءُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ قُضَاةٌ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَلا مُلُوكٌ، وَلا أَشْرَافٌ، وَلا يَتَفَاوَتُونَ، وَلا يَتَفَاضَلُونَ، وَلا يَخْتَلِفُونَ، وَلا يَتَنَازَعُونَ، وَلا يَسْتَبُّونَ، وَلا يَقْتَتِلُونَ، وَلا يَقْحَطُونَ، وَلا يُجْرِدُونَ، وَلا تُصِيبُهُمُ الآفَاتُ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ، وَهُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْمَارًا،

وَلَيْسَ فِيهِمْ مِسْكِينٌ، وَلا فَقِيرٌ، وَلا فَظٌّ، وَلا غَلِيظٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ أَمْرِهِمْ، عَجِبَ مِنْهُ، وَقَالَ: أَخْبِرُونِي أَيُّهَا الْقَوْمُ خَبَرَكُمْ، فَإِنِّي قَدْ أَحْصَيْتُ الأَرْضَ كُلَّهَا بَرَّهَا وَبَحْرَهَا، وَشَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، وَنُورَهَا وَظُلْمَتَهَا، فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَكُمْ، فَأَخْبِرُونِي خَبَرَكُمْ، قَالُوا: نَعَمْ، فَسَلْنَا عَمَّا تُرِيدُ، قَالَ: أَخْبِرُونِي، مَا بَالُ قُبُورِ مَوْتَاكُمْ عَلَى أَبْوَابِ بُيُوتِكُمْ، قَالُوا: عَمْدًا فَعَلْنَا ذَلِكَ لِئَلا نَنْسَى الْمَوْتَ، وَلا يَخْرُجُ ذِكْرُهُ مِنْ قُلُوبِنَا، قَالَ: فَمَا بَالُ بُيُوتِكُمْ لَيْسَ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ؟ قَالُوا: لَيْسَ فِينَا مُتَّهَمٌ، وَلَيْسَ مِنَّا إِلا أَمِينٌ مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: فَمَا بالَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ؟ قَالُوا: لا نَتَظَالَمُ, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ حُكَّامٌ؟ قَالُوا: لا نَخْتَصِمُ, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ فِيكُمْ أَغْنِيَاءُ؟ قَالُوا: لا نَتَكَاثَرُ، قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ فِيكُمْ مُلُوكٌ؟ قَالُوا: لا نَتَكَابَرُ، قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لا تَتَنَازَعُونَ وَلا تَخْتَلِفُونَ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أُلْفَةِ قُلُوبِنَا وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِنَا، قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لا تَسْتَبُّونَ وَلا تَقْتَتِلُونَ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أَنَّا غَلَبْنَا طَبَائِعَنَا بِالْعَزْمِ، وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِالأَحْلامِ، قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ كَلِمَتُكُمْ وَاحِدَةٌ، وَطَرِيقَتُكُمْ مُسْتَقِيمَةٌ مُسْتَوِيَةٌ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أَنَّا لا نَتَكَاذَبُ, وَلا نَتَخَادَعُ, وَلا يَغْتَابُ بَعْضُنَا بَعْضًا, قَالَ: فَأَخْبِرُونِي مِنْ أَيْنَ تَشَابَهَتْ قُلُوبُكُمْ, وَاعْتَدَلَتْ سِيرَتُكُمْ؟ قَالُوا: صَحَّتْ صُدُورُنَا, فَنُزِعَ بِذَلِكَ الْغِلُّ وَالْحَسَدُ مِنْ قُلُوبِنَا, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ فِيكُمْ مِسْكِينٌ وَلا فَقِيرٌ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أَنَّا نَقْتَسِمُ بِالسَّوِيَّةِ, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لَيْسَ فِيكُمْ فَظٌّ وَلا غَلِيظٌ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ الذُّلِّ وَالتَّوَاضُعِ, قَالَ: فَمَا جَعَلَكُمْ أَطْوَلَ النَّاسِ أَعْمَارًا؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أَنَّا نَتَعَاطَى الْحَقَّ وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لا تُقْحَطُونَ؟ قَالُوا: لا نَغْفُلُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ, قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لا تُجْرِدُونَ؟ قَالُوا: مِنْ قِبَلِ أَنَّا وَطَّأْنَا أَنْفُسَنَا لِلْبَلاءِ مُنْذُ كُنَّا، وَأَحْبَبْنَاهُ وَحَرَصْنَا عَلَيْهِ، فَعَرِينَا مِنْهُ، قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ لا تُصِيبُكُمُ الآفَاتُ كَمَا تُصِيبُ النَّاسَ؟ قَالُوا: لا نَتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَلا نَعْمَلُ بِالأَنْوَاءِ وَالنُّجُومِ، قَالَ: حَدِّثُونِي أَهَكَذَا وَجَدْتُمْ آبَاءَكُمْ يَفْعَلُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَرْحَمُونَ مَسَاكِينَهُمْ، وَيُوَاسُونَ فُقَرَاءَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ

إِلَيْهِمْ، وَيَحْلُمُونَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَّهُمْ، وَيَصِلُّونَ أَرْحَامَهُمْ، وَيُؤَدُّونَ أَمَانَاتِهُمْ، وَيَحْفَظُونَ وَقْعَهُمْ لِصَلاتِهِمْ، وَيُوَفُّونَ بِعُهُودِهِمْ، وَيَصْدُقُونَ فِي مَوَاعِيدِهِمْ، وَلا يَرْغَبُونَ عَنْ أَكْفَائِهِمْ، وَلا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ أَقَارِبِهِمْ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَمْرَهُمْ، وَحَفِظَهُمْ مَا كَانُوا أَحْيَاءً، وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَخْلُفَهُمْ فِي تَرِكَتِهِمْ "[399].

وأرى أنه لتحليل هذه الرواية الهامة يحسن أن أقسمها إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: وهو الجزء الذي تتضح فيه الشخصية، وخطابها مع المولى عز وجل كما يزعم واضع الرواية.
- القسم الثاني: وهو الرحلة التي يقوم بها البطل إلى أطراف العالم.
- القسم الثالث: وهو المتعلق بيأجوج ومأجوج وبناء السد.
- القسم الرابع والأخير: وهو مرور البطل على القوم الصالحين ونقاشه معهم.

أولا القسم الأول:

يصرح واضع هذه الرواية بأن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر، ويزعم أنه كان مؤمنا بالله وأن الله قد كلمه، وأرسله إلى الناس، ويتضح من القسم الثاني أنه كان يفتح البلاد لدعوة الناس إلى عبادة الله.

وهذا يثير الدهشة ولاريب، فالإسكندر الأكبر لم يكن ذلك الرجل الذي تتحدث عنه الرواية، بل ربما يكون الصورة المناقضة، فقد كان وثنيا، ورغم كونه قائد حربي عبقري، فلقد كان شابا طائشا أرعنا، وهو لم يكن في صحبته أي من الأنبياء، أو حتى المؤمنين.

---

[399]- تفسير الطبري، موسوعة الجديث إسلام ويب.

ويزول العجب إذا علمنا أن الإسكندر الأكبر تحول في حكايات المسيحيين عنه إلى ملك مؤمن، وأهمها ما يعرف بـ (الأسطورة المسيحية) حول الإسكندر، كما ادعى اليهود في إحدى حكاياتهم أن الإسكندر ذهب إلى بيت المقدس، وعظَّم كاهنهم الأعظم، بل وذبح في الهيكل لله رب العالمين.

ثانيا القسم الثاني:

وفي هذا القسم أدرس الرحلة التي قام بها الإسكندر كما روت الرواية، وأعماله غير بناء السد.

1 - جغرافية العالم في رواية وهب:

يقول وهب أن الله أبلغ الإسكندر بأنه سيبعثه إلى أربع أمم في أطراف العالم، واحدة في مغرب الشمس، والأخرى في مطلع الشمس، والثالثة في قطر الأرض الأيمن، والأخيرة في قطر الأرض الأيسر، ولما كان اليهود يعتبرون أن جهة اليمين هي جهة الجنوب، وجهة اليسار هي جهة الشمال، حيث أنهم يتوجهون بوجوههم جهة الشرق عند معرفة الاتجاهات الأربع، فيمكننا تلخيص موقع هذه الأمم كالآتي:

- (ناسك) في مغرب الشمس.
- (منسك) في مشرق الشمس.
- (هاويل) في أقصى الجنوب.
- (تاويل) في أقصى الشمال.

وتصدمنا هذه الأسماء العجيبة من أين أتى بها واضع الرواية؟ وما هذه الأمم التي لم نسمع بها؟

إذا تأملنا كلمة (هاويل) سنجدها تشبه أن تكون (حاويل)[400]، ولكن بنطقها اليوناني، و(حاويل) هي - في رأيي- أصلها "حا - إيل"، و(حا) كان هو الغرب، أو إله الغرب عند المصريين القدماء، أما (إيل) هو اسم الله في اللغة العربية القديمة، وكأن معنى الكلمة "الغرب المملوك لله".



الشكل رقم (304) خريطة العالم

حسب رواية وهب بن منبه عن ذي القرنين.

ومما يعضد ذلك أن (تاويل) تصلح أن تكون "تا- إيل"، وكلمة (تا) في اللغة المصرية القديمة تعني (أرض)، ويكون المعنى "أرض الله"، وهو اسم أطلقه المصريون القدماء بالفعل على مشرق الشمس، حيث اعتقدوا أن أرض المشرق الأقصى تخص إلـههم الأعلى (رع) إله الشمس الباطل.

ولكن تنشأ مشكلة وهي أن رواية وهب تجعل (هاويل) و(تاويل) في يمين العالم ويسار العالم على الترتيب، واللذان أفهمهما على أنهما جنوب العالم وشماله على الترتيب، بينما ما توصلت إليه أنهما في مغرب الشمس، ومشرق الشمس، وأرى أن تفسير ذلك: أنه حدث خطأ أثناء نقل الرواية.

إن قول الرواية أن (هاويل) على يمين العالم، و(تاويل) على شِمال العالم، مطابق للجغرافيا المصرية؛ فالمصري عندما يفكر في الجهات فإنه يتوجه بوجهه إلى جهة الجنوب، فيكون الغرب

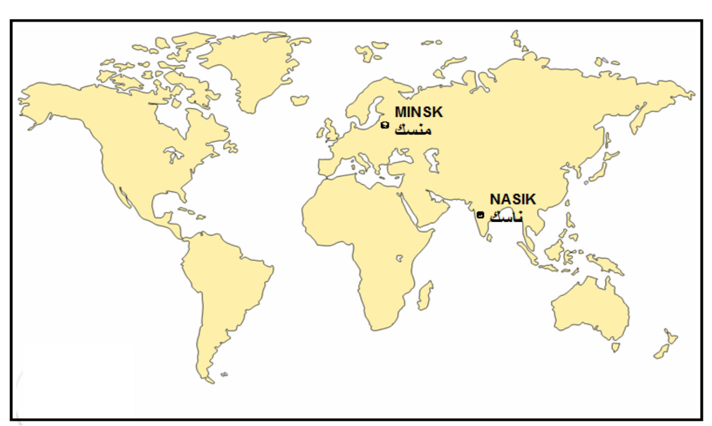
---

400 - حاويلة كلمة مذكورة في الكتاب المقدس، وربما استمد واضع الرواية الكلمة من الكتاب المقدس المكتوب باليونانية، وفي اللغة اليونان تكتب الحاء هاء.

عن يمينه، ويكون الشرق عن يساره، فكأن الذي نقل عن المصريين نقل العبارات عنهم كما هي، ولم يعدلها حسب تصور اليهود للإتجاهات.

أما (ناسك) و(منسك)، فلقد بحثت عنهما في الإنترنت مستخدما برنامج البحث جوجل، وحاولت أن أستخدم كل الاحتمالات في طريقة كتابة الكلمة، وبالفعل أثمر البحث عن مدينتين، الأولى هي مدينة (ناسك)Nasik, وهي تقع في الهند، وهي من أقدس المدن لدى الهندوس، حيث يقال أن الإله (راما) الباطل قد قضى بها 14 عاما.

أما المدينة الأخرى فهي مدينة (مِنسك) Minsik، وهي عاصمة دولة روسيا البيضاء الحالية، وقد ذكرت (منسك) في روايات أخرى، وقيل عنها أنها وراء يأجوج ومأجوج، وبالفعل فإن المدينة تقع وراء منطقة السهوب التي كان تتحرك فيها قبائل الترك[401].



الشكل رقم (305) خريطة توضح موضع مدينتي ناسِك ومِنسك.

---

[401] - وهذا أقدم ذكر لها في التاريخ، حيث أن أول ذكر لمنسك هو في القرن العاشر الميلادي حسب ويكيبديا، بينما يمكننا تأريخ رواية وهب إلى النصف الأول من القرن السابع الميلادي، أو ما قبل ذلك.

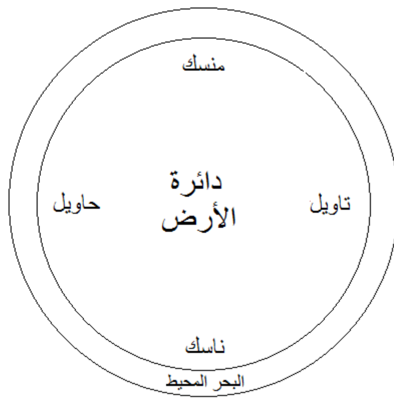
ولكن الرواية تقول أن (ناسك) في مغرب الشمس، و(منسك) في مشرق الشمس، وهذا خطأ وقع فيه واضع الرواية أو بعض من نقلها، ويبدو أن هذا الخطأ بني على الخطأ السابق، عندما نقل اليهود عبارات المصريين عن جهة اليمين، وجهة اليسار دون تمحيص.

كما أنه ليس مصادفة أن تكون هناك مدينة تسمى (ناسك) في الهند، والتي كان يعتبرها اليونانيون في جنوب العالم مثلها مثل أفريقيا، وفي مقابلها مدينة في أقصى الشمال تسمى (منسك)، ووجود هاتين المدينتين في الجنوب والشمال يقوي استنتاجي السابق حول (حاويل) و(تاويل).

وهكذا يمكننا إعادة بناء جغرافية العالم لدى رواية وهب، وهي كما هو ظاهر بعيدة عن حقائق علم الجغرافيا كما نعلمها الآن، وسنحصل على الخريطة التالية.

ويلفت انتباهنا هنا أن الرواية تجعل الإسكندر يذهب إلى الجهات الأربعة الأصلية، وليس الشرق والغرب فقط كباقي الأبطال الذين ذكرنا أساطيرهم عن زيارة مغرب الشمس ومشرق الشمس.

فبغض النظر عن الخطأ في مواضع الأمم الأربعة، والخطأ في كون (ناسك) و(منسك) ليستا في طرفي العالم، فإن واضع الرواية يجعل الإسكندر يفتح بلاد مغرب الشمس، ثم بلاد الجنوب، ثم بلاد مشرق الشمس، ثم بلاد الشمال.



الشكل رقم (306) خريطة توضح موضع مدينتي ناسك ومنسك.

وهذا يخالف ما فعله الأبطال المنحدرين من ذي القرنين، ولكنه يُشْبه مازعمه كِتاب الأبستاق عن (مثرا)، (فمثرا) ذهب إلى الأرض التي تقع في الغرب، ثم إلى التي تقع في الشرق، ثم إلى الأَرْضين اللتين تقعان في الجنوب، ثم إلى الأَرْضين اللتين تقعان في الشمال[402].

2 - ماذا حدث في مغرب الشمس ومطلعها في رواية وهب:

يلفت انتباهي هذا النص الذي يخاطب فيه الله الإسكندر كما يزعم واضع الرواية فيقول: "...وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك..."

وهذا الكلام يشبه أساطير **(مِثرا)** الذي قيل عنه أنه يقود قوى النور لمحاربة قوى الظلام، بل أن هذه المعارك بين جنود النور وجنود الظلام هي محور الديانة الزرادشتية.

وتقول الرواية أيضا:"... فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا؛ فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته،...".

والعجيب أن هذا الحديث عن الظلمة التي تغشى البيوت، وتدخل في الأنوف والأجواف، يشبه ما حدث بالفعل من تعذيب كافري مغرب الشمس بإثارة البركان، فمن أين جاءت هذه المعلومة الصحيحة إلى رواية وهب؟

402- Avesta: Khorda Avesta
sbe.htm10http://www.avesta.org/ka/yt

أرى أن رومانسية الإسكندر اكتسبتها من نص (نينورتا) ووحش الأساج، على الأغلب بطريق غير مباشر بعد مساواة (مِثرا) (بنينورتا).

وهكذا يكون عندنا أدلة على أن حكاية وصول الإسكندر إلى نهايات العالم قد تم تطويرها على يد الفرس، وأنهم قد أضافوا إليها تيمات من أساطير (مِثرا)، منها أن الاسكندر ذهب إلى أركان الاعالم الأربعة، وأنه سخر له جند النور وجند الظلمة، وأنه عذب سكان مغرب الشمس بإدخال الظلمة في أفواههم وأنوفهم وآذانهم.

وربما يشير إلى ذلك ما جاء في النسخة السريانية من رومانسيات الإسكندر من أن (داريوس) خضع وشرع في عبادة الإسكندر فور أن رآه، لأنه ظنه الإله الباطل (مِثرا)، وأنه نزل من السماء ليساعد الفرس في معركتهم[403].

القسم الثالث: يأجوج ومأجوج والردم في رواية وهب:

1- يأجوج ومأجوج:

عندما نقرأ وصف وهب بن منبه ليأجوج ومأجوج لانملك أنفسنا من الابتسام، فوصفه لهم أكثر من خرافي، ورغم أن وهب حاول أن يقيد ما سمعه أو قرأه من أساطير حول يأجوج ومأجوج بالقرآن الكريم، إلا أنه لم يستطع أن يتخلى عن تلك المبالغات الخيالية.

فأين هذه الخرافات من القرآن، ولو كان القرآن من عند بشر فكيف لم يحتو على بعض هذه الخرافات المتكاثرة.

ومن الطريف أن وهب يصف يأجوج ومأجوج بأن لكل منهم أذنان عظيمتان لدرجة أنه يرتدي إحدهما في الصيف، ويتدثر بالأخرى في الشتاء، وهذه الفكرة الأسطورية شديدة الغرابة نجدها

---

403 - Select Passages Illustrating Mithraism 1925 pages 53-54

عند اليونانيين القدماء، فقد ذكر (بليني) الكبير قبيلة أسطورية أطلق عليها (بانُتِّي) Panotii أو(بانتيوي) Panotioi، ووصفها بأن أفرادها لهم آذان عظيمة، وأنهم يستخدمونها كغطاء يتدثرون به في الليالي الباردة، وقال أن هذه القبيلة تعيش في شمال أوروبا[404].

2- بناء السد:

أما ما جاء في الرواية عن السد فإنه مما يمكن تسميته جنون المبالغة؛ فواضع الرواية يجعل طول السد مائة فرسخ وهو مايعادل أكثر من 500 كيلومتر، ويجعل عرضه والمقصود سمكه خمسون فرسخا أي حوالي 250 كيلومتر، ويقول أن أساس السد كان عميقا يصل إلى المياه الجوفية، وأن السد كان مرتفعا أيضا. فمن أين يمكن الحصول على كميات الحديد والنحاس اللازمين لبناء مثل هذا السد؟



الشكل رقم (307) صورة متخيلة لفرد من قبيلة (بانوتي) من حوليات نورمبرج (1493)

غير أنه من الملاحظ أن واضع الرواية جعل الإسكندر يبني سدا جدارا، وليس بوابة، وهو هنا يلتزم بنص القرآن ويدع رومانسيات الإسكندر.

---

404 - Pliny the Elder, Natural History 4. 94
http://www.theoi.com/Phylos/Panotioi.html

القسم الثالث: مرور الإسكندر على الأمة الصالحة في رواية وهب:

من أهم ما يميز رواية وهب هو ذكره لمرور ذي القرنين/الإسكندر الأكبر على أمة صالحة، و يذكر حوارا دار بين القوم وبين ذي القرنين/الإسكندر.

ويتميز هذا الجزء من الرواية بأنه زائد عن القصة القرآنية، فنحن لانجد له نظيرا في قصة ذي القرنين المذكورة في القرآن.

وهذا الجزء يشبه ما جاء في رواية عبيد الله بن أبي جعفر، والتي أخرجها أبو الشيخ في كتاب العظمة، عن ذي القرنين أنه: "مرَّ بقوم قبورهم على أبوابهم، وإذا بثيابهم لون واحد، وإذا هم رجال كلهم ليس فيهم إمرأة."[405].

وكذلك يشبه ما جاء في رواية عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي كما أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق: "أمة...ليس في أبدانهم شيء مما يستمتع الناس به من دنياهم، قد احتفروا قبورهم، فإذا أصبحوا تعاهدوا تلك القبور، فكسوها وصلوا عندها، فرعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قيض الله لهم في ذلك معاش من نبات الأرض"[406].

فمن أين جاء واضعوا حكايات الإسكندر بهؤلاء القوم؟ وهل هم مجرد حكاية مختلقة ليس لها أصل حقيقي؟

يخبرنا (بلوتارخ) أن الإسكندر قد قبض على عشرة من الحكماء النساك في الهند، ذلك وسط مروج (تاكسيلا)، وهم من المشهورون بالمهارة في المحاورة والمناقشة، وذلك لأنهم ألَّبوا أحد الأمراء المحليين عليه، ويخبرنا (بلوتارخ) أن الإسكندر سألهم عشرة أسئلة، وقد أجابوا عليها كلها.

---

405 - السيوطي، تفسير الدر المنثور.

406 - ابن عساكر، تاريخ دمشق.

وقد استلهم اليهود هذه القصة، وأدرجوها في التلمود، غير أنهم بدَّلوا الشخصيات التي قابلها الإسكندر، فبدلا من الحكماء النساك الهنود، جعلوهم شيوخا يهودا من الجنوب[407].

وقد نشأت إحدى الرومانسيات في فترة مبكرة تقص علينا إلتقاء الإسكندر بقوم في الهند، يعيشون حياة عجيبة، فهم لايأكلون اللحم، ويعيشون منعزلين عن نسائهم، وهي تستلهم من نص (بلوتارخ) فكرة الإسئلة التي يوجهها الإسكندر للنسَّاك.

وأرى أن هذا الجزء من رواية وهب يستلهم من هذه الرومانسية، كما يبدو لي أن اليهود استبدلوا النساك الهنود بطائفة قديمة منقرضة من اليهود كانت تسمى **(الإيسينيين) Essenes.**

و(الإيسينيون) طائفة من اليهود عاشت في القرن الثاني قبل الميلاد، في منطقة فلسطين، وتميزوا بكونهم من المتدينين المتزمتين، وقد عاشوا حياة شيوعية فيما بينهم، ورغم مبالغتهم في التقشف، والتنسك، فإن علماء اليهود لم يذكروهم في كتبهم، ربما لأنهم كانوا يخالفون الفريسيين والصدوقيين، والذين كان منهم العلماء والكهان.

لم يذكر (الإيسينيين) إلا بعض الكتاب من الرومان، فلقد ذكرهم (بليني) Pliny وأشاد بهم وبورعهم، وكذلك فعل (فيلو) Philo، وهو يهودي متأغرق عاش في الإسكندرية، و(جوزيفس) Josephus، وهو يهودي مترَوِّم، و(هيبوليتص) روما Hippolitus of Rome .

وعند مقارنة نصوص الروايات التي تصف الأمة الصالحة بالنصوص القديمة التي وصلتنا عن (الإيسينيين) نتأكد أن الرواية قصدت (الإيسينيين) رغم كونها لم تصرِّح بذلك.

---

[407] - Tamid 31

فالرواية تقول "يهدون بالحق وبه يعدلون"، وهي عبارة قرآنية نزلت تصف طائفة من قوم موسى، يقول تعالى: "وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[408]، وفي هذه إشارة مِن **مُؤَسْلم** الرواية - سواء أكان وهب أو غيره- إلى أن الأمة الصالحة هم من اليهود.

كما أن كون الأمة صالحة مؤمنة موحدة في زمن الإسكندر يعني ضمنيا أنهم من اليهود، والمعنى العام للرواية يشير إلى أنهم مجموعة من الثُقاة الورعين، وهذه هي نفسها شهادة (بليني)، و(فيلو)، و(هيبوليتص).

وتقول رواية وهب عنهم: " يقسمون بالسوية...، حالهم واحدة ...، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ...، وليس فيهم مسكين، ولا فقير"

وهذا يشبه إلى حد التطابق ما ذكره الكتاب القدماء عن الإيسيين، فلقد أجمعوا على أنهم كانوا يعيشون حياة شيوعية فيما بينهم، بمعنى أنهم لا يملكون شيئا حتى بيوتهم، وأنهم كانوا يضعون ما يكسبون في بيت مال عام لهم، وكذلك مخزن عام لهم، وكانوا معروفون بأنهم كأفراد لايملكون نقودا، كما ذكرت النصوص أنه ليس بينهم رجل أغنى من الآخر، وكذلك ذكر إكرامهم ضعفائهم، وكبار السن فيهم[409].

ومن مظاهر تقشفهم وبساطتهم هو ما ذكره (فيلو) من أنهم يرتدون نفس الرداء، وهذا يطابق ما جاء في رواية عبيد الله ابن أبي جعفر "وإذا ثيابهم لون واحد"، كما أن السبب المذكور لهذا الزي الموحد، وهو لأنه "لايكاد الرجل منا يلبس ثيابا أحسن من صاحبه، إلا رأى له بذلك فضلا على جليسه"، وهو نفس السبب

---

[408] - سورة الأعراف الآية 181.

[409] - الموسوعة اليهودية: essenes.

الذي بررت به نصوص اليونانيين ارتداء (الإيسينيين) رداء موحدا.

وجاء في رواية عبد الله أنهم: "رجال ليس فيهم إمرأة"، ولقد ذكر (بليني) و(فيلو) أن (الإيسينيين) رجال ليس معهم نساء أو أطفال.

كما نجد أن رواية وهب تؤكد أنهم أطول الناس أعمارا، وهذا يشبه تماما ما قاله (هيبوليتص) وهو: "إن غالبيتهم يتمتعون بحياة طويلة فكثير منهم يبلغ عمر مائة عام أو يزيد".

وفي رواية عبد الرحمن الخزاعي نجد أن الأمة الصالحة نباتية لايأكلون اللحم، وعندما سألهم ذو القرنين عن ذلك أجابوه قائلين: "كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لشيء"، وهذا يشبه ما ذكره أحد آباء الكنيسة عنهم، وهو (إبيفانيس) Epiphanius فقال أنهم "لا يأكلون اللحم".

وهكذا نتأكد أن اليهود عندما صاغوا هذه النسخة من رومانسيات الإسكندر كانوا يقصدون (الإيسينيين) بالتحديد، وليس أي أمة أو طائفة أخرى.

أما لماذا اختار مطورو الرومانسية من اليهود طائفة (الإيسينيين) تحديدا وليس أية طائفة أخرى، فبالإضافة لبعض التشابه بين الطائفة والنساك الهنود في التقشف والزهد والتنسك، فلأنهم علموا أن هناك مجموعة من (الإيسينيين) قد هاجروا إلى الهند، وبالتحديد إلى (ملابار) Malabar، وهي ولاية (كيرلا) الحالية، والتي تقع في جنوب غرب شبه القارة الهندية، ولقد جاءنا دليل على وجود هذه الطائفة في تلك المنطقة من ملحمة قديمة باللغة (التاميلية) تذكر (الإيسينيين)، وهذه الملحمة الهندية يعود زمن تأليفها إلى إلى القرن الثاني أو الثالث الميلاديين.

وهكذا فإنه رغم البعد الشاسع بين منطقة (كيرلا) في جنوب الهند، ومنطقة (البنجاب) في شمال الهند، إلا أن اليهود استبدلوا (الإيسينيين) الزهاد بالنساك الهنود، على أساس أن هؤلاء وهؤلاء

يعيشون في الهند، وهذه هي أحد أهم خصائص الرومانسيات حيث يستطيع كل شعب أن يغير فيها ويحور ويجعلها تناسبه كما يحلو له.

والذي نستفيده مما سبق أن الذي مرَّ على الأمة الصالحة ليس ذو القرنين الذي جاءت قصته في القرآن، وإنما هو الإسكندر المقدوني، والقصة لاتعدو حكاية مختلقة منسوجة على منوال حكاية أقدم تَحْكي مقابلة الإسكندر لبعض النساك من الهنود.

ولو كان القرآن يقتبس من الرومانسيات، أومن اليهود، فماله لم يذكر قصة مرور الإسكندر على اليهود العبَّاد الزهَّاد، رغم أن القصة مليئة بـ"العظات"؟ ولماذا لم يغتر بحلاوة هذه الأسطورة، وكونها تتكلم عن المؤمنين الصالحين؟ لاشك أن القرآن من عند الله.

كلمة عامة حول رواية وهب عن ذي القرنين:

بعد أن طوفنا في أقسام الرواية الأربعة يمكنني أن أقول أن الأقسام الثلاثة الأولى من الرواية تدل على أن الرواية في أصلها هي إحدى نسخ الأسطورة المسيحية للإسكندر، وأغلب الظن أنها نسخة يهودية فارسية.

فالإسكندر في الرواية مؤمن بالله، ولكن ليس مسيحيا كما تزعم الأسطورة المسيحية، كما يدلنا زعم واضع الرواية طواف الاسكندر على الأمم الأربعة بدلا من الاقتصار على مغرب الشمس ومشرق الشمس المذكورين في الإسطورة المسيحية، يدلنا على أن هذه النقطة مستمدة من أساطير (مثرا)، بالإضافة إلى ذلك فإن فكرة اتخاذ الاسكندر جند من النور والظلمة تؤكد استلهام واضع الرواية من التراث الفارسي حول (مِثرا).

أما القسم الرابع من النص هو نسخة يهودية من أحد رومانسيات الإسكندر المعروفة والمنتشرة.

والملاحظ أن واضع نص الرواية حاول تجنب إيراد أية تفاصيل تعارض النص القرآني, بل وسعى إلى الاقتباس منه، وهو ما يمكن أن نسميه (أسلمة) الرواية.

وهكذا فإن رواية وهب الطويلة عن ذي القرنين ليست إلا إعادة صياغة لبعض رومانسيات الإسكندر تم تجميعها وتنقيحاها في ضوء النص القرآني.

وفي نهاية هذا المبحث الذي تحدثت فيه عن الروايات التي تصرح بكون ذو القرنين هو الإسكندر الأكبر يتبين لنا أن تلك الروايات التي تزعم أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر هي روايات ضعيفة السند، أو موضوعة، وهي ليست إلا نسخا (مُؤسْلَمة) من رومانسيات الإسكندر.

المبحث الثالث: الآراء والروايات التي لاتصرح باسم الإسكندر وإن كانت تعنيه

أولا: الآراء التي لا تصرح بأن الإسكندر هو ذو القرنين، وإن كانت تعنيه:

وردت آراء في تحديد شخصية الإسكندر، وبدا أن هذه الآراء تقصد شخصا آخر غير الإسكندر، غير أنه عند دراسة هذه الشخصيات المقترحة وجدت أنها في حقيقتها ليست إلا الإسكندر الأكبر نفسه.

1- مرزبان بن مردبة:

قال ابن اسحق في السيرة النبوية أن ذا القرنين هو (مرزبان ابن مردبه)، ولم أجد تعليقا من أحد العلماء حتى من كان لهم علاقة بالفرس، واللغة الفارسية على هذا الاسم.

إن كلمة (مرزبان) تعني في اللغة الفارسية حامي أو حارس الحدود، أما كلمة (مَرْدُما) Mardoma فإنها تعني الناس، أما اسم الإسكندر في اللغة اليونانية (ألكساندروس) فهو يعني حامي

أو مدافع عن الإنسان أوالبشر. فكأن "مرزبان ابن مردما" هو ترجمة فارسية لمعنى اسم الإسكندر (ألكساندروس) في لغته اليونانية.

2- إسكندر قبل الإسكندر:

نتج عن ضعف المعلومات المتوفرة لدى علمائنا الأجلاء أن وجدنا منهم من يقول أنه هناك اسكندر قبل الإسكندر المقدوني، وأن هذا الإسكندر القديم هو ذو القرنين، فمرة يسمونه الإسكندر الرومي[410]، ومرة هو الإسكندر بن دارا[411]، ومرة ثالثة أن أباه هو أول القياصرة[412].

والحقيقة أن الإسكندر الأكبر هو الإسكندر الثالث، أي أنه سبقه على عرش مقدونيا حاكمان يسمى كل منهما الإسكندر Alexander, عاش الأول في الفترة من 498 إلى 454 قبل الميلاد، بينما تولى الإسكندر الثاني حكم مقدونيا في الفترة من 371 إلى 369 قبل الميلاد، ولكنهما كانا ملكين ضعيفين من ملوك (مقدونيا)، بل إن الأول خضع للفرس عند غزوهم لبلاد اليونان.

أما الإسكندر الرومي فهو ليس إلا الإسكندر المقدوني، وقد كان العرب يطلقون على اليونان الروم أيضا، فكلمة الروم عندهم كانت شاملة لكل أجناس الشعوب الأوروبية.

وأما الإسكندر ابن (دارا)، فهو اسم مستلهم من حكاية/رومانسية تقول أن الإسكندر الأكبر ليس ابن (فليب)، وإنما ابن رجل آخر، والنسخة الفارسية من هذه الرومانسية تجعل الإسكندر الأكبر ابنا (لدارا) الأكبر، والنسخة المصرية تقول أنه

---

410 - الألوسي تفسير مفاتيح الغيب.

411 - ابن تيمية.

412 - قتادة.

ابن (نختنابو)، والنسخة العربية نقول أنه حميري من حمير باليمن.
أما الإسكندر الذي أبوه أول القياصرة، فهو أيضا الإسكندر الأكبر، ففي سفر (المكابيين) الأول: "الإسكندر بن فيلبس المكدوني بعد خروجه من أرض كتيم، وايقاعه بداريوس مَلِك فارس وماداي، مَلَكَ مكانه، وهو أول من مَلَكَ على اليونان"413، فيبدو أن هذا الرأي مأخوذ من نص سفر (المكابيين) الأول مع تحريف بسيط.

ثانيا: الروايات التي لاتصرح بأن الإسكندر هو ذو القرنين، وإن كانت تعنيه:

لقد جاءت روايات تتحدث عن ذي القرنين، ولاتصرح بأنه الإسكندر ولكن عند دراستها وتحليلها نجد أنها لاتعدو أن تكون بعضا من رومانسيات الإسكندر، وأنه جرى لها عملية **"أَسْلَمَة"** بمعنى تغيير بعض التفاصيل والألفاظ التي تتعارض مع نص قصة ذي القرنين أو الاسلام بصفة عامة، وإضافة بعض التعبيرات الإسلامية، وبعض هذه الرومانسيات كان قد جرى تهويدها سابقا، بل وسجِّلت في كتاب التلمود المقدس عند اليهود، فلما نزل القرآن باسم ذي القرنين وقصته، وظن البعض من مسلمة أهل الكتاب ومن أخذ عنهم أن ذا القرنين هو نفسه الإسكندر المقدوني، لم يجدوا غضاضة في رواية هذه الحكايات باسم ذي القرنين مباشرة، وبدون ذكر أصولها عندهم.

أولا: رواية عين الحياة:

ومن أهم هذه الروايات هي الرواية التي يرويها أبو الشيخ في كتاب العظمة، عن علي زين العابدين، وفي نهاية الرواية هناك

---

413 - سفر المكابين الأول 1:1

حديث نبوي، غير أنه مرسل من علي زين العابدين أيضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

تقول الرواية:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الآمُلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ سَامٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ, عَنْ أَبِيهِ: "أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ, قَالَ: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَالِحًا, وَكَانَ مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةٍ ضَخْمٍ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَانَ لَهُ خَلِيلٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ يُقَالُ لَهُ زِيَافِيلُ, وَكَانَ يَأْتِي ذَا الْقَرْنَيْنِ يَزُورُهُ، فَبَيْنَا هُمَا ذَاتَ يَوْمٍ يَتَحَدَّثَانِ، إِذْ قَالَ لَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: حَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ عِبَادَتُكُمْ فِي السَّمَاءِ؟ قَالَ: فَبَكَى, ثُمَّ قَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، وَمَا عِبَادَتُكُمْ عِنْدَ عِبَادَتِنَا فِي السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ قِيَامٌ لا يَجْلِسُونَ أَبَدًا، وَمِنْهُمْ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ أَبَدًا، وَرَاكِعٌ لا يَسْتَوِي قَائِمًا أَبَدًا، وَرَافِعٌ وَجْهَهُ لا يَطْرُقُ شَاخِصٌ أَبَدًا، يَقُولُ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، رَبِّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ، رَبِّ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. قَالَ: فَبَكَى ذُو الْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا زِيَافِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعِيشَ حَتَّى أَبْلُغَ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّي حَقَّ طَاعَتِهِ، قَالَ: وَتُحِبُّ ذَلِكَ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ, قَالَ زِيَافِيلُ: فَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَيْنًا تُسَمَّى عَيْنُ الْحَيَاةِ, مَنْ شَرِبَ مِنْهَا شَرْبَةً لَمْ يَمُتْ أَبَدًا حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ الْمَوْتَ. قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: فَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ مَوْضِعَ تِلْكَ الْعَيْنِ؟ قَالَ زِيَافِيلُ: لا، غَيْرَ أَنَّا نَتَحَدَّثُ فِي السَّمَاءِ أَنَّ لِلَّهِ ظُلْمَةً فِي الأَرْضِ لَمْ يَطَأْهَا إِنْسٌ وَلا جِنٌّ، وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ الْعَيْنَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ. قَالَ: فَجَمَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عُلَمَاءَ أَهْلِ الأَرْضِ، وَأَهْلَ دِرَاسَةِ الْكُتُبِ، وَآثَارَ النُّبُوَّةِ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي، هَلْ وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَفِيمَا عِنْدَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ قَبْلَكُمْ، أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ عَلَى الأَرْضِ عَيْنًا سَمَّاهَا عَيْنَ الْحَيَاةِ؟ قَالُوا: لا. قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: فَهَلْ وَجَدْتُمْ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ فِي الأَرْضِ ظُلْمَةً لَمْ يَطَأْهَا إِنْسٌ وَلا جِنٌّ؟ قَالُوا: لا, قَالَ عَالِمٌ مِنْهُمْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لِمَ تَسْأَلُ عَنْ

هَذَا؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَهُ زِيَافِيلُ, فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ, إِنِّي قَرَأْتُ وَصِيَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَوَجَدْتُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ فِي الأَرْضِ ظُلْمَةً لَمْ يَطَأْهَا إِنْسٌ وَلا جَانٌّ، قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: فَأَيْنَ وَجَدْتَهَا فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: وَجَدْتُهَا عَلَى قَرْنِ الشَّمْسِ، فَبَعَثَ ذُو الْقَرْنَيْنِ، فَحَشَرَ النَّاسَ، وَالْفُقَهَاءَ وَالأَشْرَافَ وَالْمُلُوكَ، ثُمَّ سَارَ يَطْلُبُ مَطْلَعَ الشَّمْسِ، فَسَارَ إِلَى أَنْ بَلَغَ طَرَفَ الظُّلْمَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَإِذَا الظُّلْمَةُ لَيْسَتْ بِلَيْلٍ، وَهِيَ ظُلْمَةٌ تَفُورُ مِثْلَ الدُّخَانِ، فَعَسْكَرَ، ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَهْلِ عَسْكَرِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْلُكَ هَذِهِ الظُّلْمَةَ . فَقَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَالْمُلُوكِ لَمْ يَطْلُبُوا هَذِهِ الظُّلْمَةَ فَلا تَطْلُبْهَا، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَتَشَعَّبَ عَلَيْنَا مِنْهَا أَمْرٌ نَكْرَهُهُ, وَيَكُونُ فِيهِ فَسَادُ أَهْلِ الأَرْضِ، فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: لا بُدَّ أَنْ أَسْلُكَهَا, فَخَرَّتِ الْعُلَمَاءُ سُجُودًا، ثُمَّ قَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُفَّ عَنْ هَذِهِ، وَلا تَطْلُبْهَا, فَإِنَّا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا طَلَبْتَهَا ظَفِرْتَ بِمَا تُرِيدُ، وَلَمْ يَسْخَطِ اللَّهُ عَلَيْنَا لَكَانَ، وَلَكِنَّا نَخَافُ الْمَقْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَتَشَعَّبَ عَلَيْنَا مِنْهَا أَمْرٌ يَكُونُ فِيهِ فَسَادُ أَهْلِ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا. فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: إِنَّهُ لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَسْلُكَهَا, قَالُوا: فَشَأْنَكَ, قَالَ: أَخْبِرُونِي أَيُّ الدَّوَابِّ بِاللَّيْلِ أَبْصَرُ؟ قَالُوا: الْبِكَارَةُ، فَأَرْسَلَ فَجُمِعَ لَهُ سِتَّةُ آلافِ فَرَسٍ أُنْثَى بِكَارَةٌ، فَانْتَخَبَ مِنْ عَسْكَرِهِ سِتَّةَ آلافِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ, فَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ فَرَسًا، وَعَقَدَ لِلْخَضِرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُقَدِّمَتَهُ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ، وَبَقِيَ هُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلافِ رَجُلٍ, وَقَالَ لِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ فِي الْعَسْكَرِ: لا تَبْرَحُوا عَسْكَرِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَإِنْ نَحْنُ رَجَعْنَا إِلَيْكُمْ وَإِلا، فَارْجِعُوا إِلَى بِلادِكُمْ، فَقَالَ الْخَضِرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّكَ تَسْلُكُ ظُلْمَةً لا تَدْرِي كَمْ مَسِيرَتُهَا، وَلا يُبْصِرُ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِالظُّلَلِ إِذَا أَصَابَتْنَا؟ فَدَفَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى الْخَضِرِ خَرْزَةً حَمْرَاءَ، فَقَالَ: إِذَا أَصَابَكُمُ الظُّلَلُ، فَاطْرَحْ هَذِهِ الْخَرْزَةَ إِلَى الأَرْضِ، فَإِذَا صَاحَتْ، فَلْيَرْجِعْ أَهْلُ الظِّلالِ، فَسَارَ الْخَضِرُ بَيْنَ يَدَيْ ذِي الْقَرْنَيْنِ يَرْتَحِلُ الْخَضِرُ، وَيَنْزِلُ ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَقَدْ عَرَفَ الْخَضِرُ مَا يَطْلُبُ ذُو

الْقَرْنَيْنِ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ يَكْتُمُ ذَلِكَ، فَبَيْنَا الْخَضِرُ يَسِيرُ إِذْ عَارَضَهُ وَادٍ، فَظَنَّ أَنَّ الْعَيْنَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي، فَلَمَّا أَتَى شَفِيرَ الْوَادِي، قَالَ لأَصْحَابِهِ: قِفُوا، وَلا يَبْرَحَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَوْقِفِهِ، وَرَمَى الْخَضِرُ بِالْخَرْزَةِ فَإِذَا هِيَ عَلَى حَافَةِ الْعَيْنِ، فَنَزَعَ الْخَضِرُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْعَيْنَ، فَإِذَا مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَتَوَضَّأَ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَبِسَ ثِيَابَهُ, ثُمَّ رَمَى بِالْخَرْزَةِ نَحْوَ أَصْحَابِهِ فَوَقَعَتِ الْخَرْزَةُ، فَصَاحَتْ فَرَجَعَ الْخَضِرُ إِلَى صَوْتِ الْخَرْزَةِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ فَرَكِبَ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ.

قَالَ: وَمَرَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ، فَأَخْطَأَ الْوَادِيَ. فَسَلَكُوا تِلْكَ الظُّلْمَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا, ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى ضَوْءٍ لَيْسَ بِضَوْءِ شَمْسٍ وَلا قَمَرٍ, أَرْضٍ خَضْرَاءَ حَشَّاشَةٍ, وَإِذَا فِي تِلْكَ الأَرْضِ قَصْرٌ: مَبْنِيٌّ طُولُهُ فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ, مُبَوَّبٌ، لَيْسَ عَلَيْهِ أَبْوَابٌ, فَنَزَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعَسْكَرِهِ, ثُمَّ خَرَجَ وَحْدَهُ حَتَّى نَزَلَ ذَلِكَ الْقَصْرَ، فَإِذَا حَدِيدَةٌ قَدْ وُضِعَ طَرَفَاهَا عَلَى حَافَتَيِ الْقَصْرِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا, فَإِذَا طَائِرٌ أَسْوَدُ كَأَنَّهُ الْخُطَّافُ مَزْمُومٌ بِأَنْفِهِ إِلَى الْحَدِيدِ, مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ الطَّائِرُ خَشْخَشَةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا ذُو الْقَرْنَيْنِ, قَالَ الطَّائِرُ: مَا كَفَاكَ مَا وَرَاءَكَ حَتَّى وَصَلْتَ إِلَيَّ؟, ثُمَّ قَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ حَدِّثْنِي, قَالَ: سَلْ مَا شِئْتَ, قَالَ: هَلْ كَثُرَ بِنَاءُ الْجِصِّ وَالآجُرِّ؟ قَالَ: نَعَمْ, قَالَ: فَانْتَفَضَ الطَّائِرُ انْتِفَاضَةً انْتَفَخَ, ثُمَّ انْتَفَضَ حَتَّى بَلَغَ ثُلُثَ الْحَدِيدَةِ, ثُمَّ قَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ أَخْبِرْنِي, قَالَ: سَلْ, قَالَ: كَثُرَ شَهَادَاتُ الزُّورِ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: نَعَمْ, فَانْتَفَضَ الطَّائِرُ, ثُمَّ انْتَفَخَ حَتَّى بَلَغَ ثُلُثَيِ الْحَدِيدَةِ . قَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ حَدِّثْنِي, هَلْ كَثُرَ الْمَعَازِفُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: نَعَمْ, فَانْتَفَضَ الطَّائِرُ حَتَّى مَلأَ الْحَدِيدَةَ سَدَّ مَا بَيْنَ جِدَارِي الْقَصْرِ، قَالَ: فَفَرَقَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فَرَقًا شَدِيدًا قَالَ الطَّائِرُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، لا تَخَفْ حَدِّثْنِي، قَالَ: سَلْ, قَالَ: هَلْ تَرَكَ النَّاسُ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ بَعْدُ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَانْتَفَضَ الطَّائِرُ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: حَدِّثْنِي يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، قَالَ: سَلْ، قَالَ: هَلْ تَرَكَ النَّاسُ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ بَعْدُ،

قَالَ: لا، فَانْتَفَضَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: حَدِّثْنِي يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، قَالَ: سَلْ, قَالَ: هَلْ تَرَكَ النَّاسُ الْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَعْدُ؟ قَالَ: لا, فَعَادَ الطَّائِرُ كَمَا كَانَ, ثُمَّ قَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، اسْلُكْ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الَّتِي فِي أَعْلَى الْقَصْرِ.

قَالَ: فَسَلَكَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ, وَهُوَ خَائِفٌ حَتَّى إِذَا اسْتَوَى عَلَى صَدْرِ الدَّرَجَةِ, إِذَا سَطْحٌ مَمْدُودٌ فِي وَادٍ عَلَيْهِ رَجُلٌ قَائِمٌ, أَوْ مُتَشَبِّهٌ بِالرَّجُلِ, شَابٌّ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ رَافِعٌ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ, وَاضِعٌ يَدَهُ عَلَى فِيهِ, فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ, قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا ذُو الْقَرْنَيْنِ, فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا صَاحِبُ الصُّورِ, قَالَ: فَمَا بَالِي أَرَاكَ وَاضِعَ يَدِكَ عَلَى فِيكَ, رَافِعَ وَجْهِكَ إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ قَدِ اقْتَرَبَتْ, فَأَنَا انْتَظِرُ مِنْ رَبِّي أَنْ يَأْمُرَنِي أَنْ أَنْفُخَ, ثُمَّ أَخَذَ صَاحِبُ الصُّورِ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ, كَأَنَّهُ حَجَرٌ, فَقَالَ: خُذْ هَذَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ, فَإِنْ شَبِعَ هَذَا الْحَجَرُ شَبِعْتَ, وَإِنْ جَاعَ جُعْتَ, فَأَخَذَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الْحَجَرَ, ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَحَدَّثَهُمْ بِالطَّيْرِ وَمَا قَالَ لَهُ، وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ, فَجَمَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَهْلَ عَسْكَرِهِ, فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَذَا الْحَجَرِ، مَا أَمْرُهُ؟ فَأَخَذَ الْعُلَمَاءُ كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ, فَوَضَعُوا الْحَجَرَ فِي إِحْدَى الْكِفَّتَيْنِ, ثُمَّ أَخَذُوا حَجَرًا مِثْلَهُ, فَوَضَعُوهُ فِي الْكِفَّةِ الأُخْرَى, فَإِذَا الْحَجَرُ الَّذِي جَاءَ بِهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِثْلُ جَمِيعِ مَا وُضِعَ مَعَهُ حَتَّى وَضَعُوا مَعَهُ أَلْفَ حَجَرٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ, انْقَطَعَ عِلْمُنَا دُونَ ذَلِكَ, أَسِحْرٌ هَذَا أَمْ عِلْمٌ؟ مَا نَدْرِي هَذَا, قَالَ: وَالْخَضِرُ يَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ, وَهُوَ سَاكِتٌ, فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلْخَضِرِ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ هَذَا عِلْمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ, فَأَخَذَ الْمِيزَانَ بِيَدِهِ, ثُمَّ أَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي جَاءَ بِهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ, فَوَضَعَهُ فِي إِحْدَى الْكِفَّتَيْنِ, ثُمَّ أَخَذَ حَجَرًا مِنْ تِلْكَ الأَحْجَارِ مِثْلَهُ, فَوَضَعَهُ فِي الْكِفَّةِ الأُخْرَى، ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَوَضَعَهُ مَعَ الْحَجَرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ، ثُمَّ رَفَعَ الْمِيزَانَ، فَاسْتَوَى، قَالَ: فَخَرَّ الْعُلَمَاءُ سُجَّدًا، وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَا نَبْلُغُهُ. قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلْخَضِرِ: فَأَخْبِرْنِي مَا هَذَا؟ قَالَ الْخَضِرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ سُلْطَانَ اللَّهِ قَاهِرٌ لِخَلْقِهِ, وَأَمْرُهُ نَافِذٌ

فِيهِمْ, وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَى خَلْقَهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ, فَابْتَلَى الْعَالِمَ بِالْعَالِمِ, وَابْتَلَى الْجَاهِلَ بِالْجَاهِلِ، وَابْتَلَى الْجَاهِلَ بِالْعَالِمِ، وَالْعَالِمَ بِالْجَاهِلِ، وَإِنَّهُ ابْتَلانِي بِكَ، وَابْتَلاكَ بِي، قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: حَسْبُكَ، قَدْ قُلْتَ فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لَكَ صَاحِبُ الصُّورِ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَّبَ لَكَ الْبِلادَ وَأَعْطَاكَ مِنْهَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا، وَأَوْطَأَكَ مِنْهَا مَا لَمْ يُوطِئْ أَحَدًا, فَلَمْ تَشْبَعْ, فَأَبَتْ نَفْسُكَ إِلا شَرَّهَا, حَتَّى بَلَغْتَ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ, وَمَا لَمْ يَطْلُبْهُ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ، فَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لَكَ صَاحِبُ الصُّورِ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ لا يَشْبَعُ أَبَدًا دُونَ أَنْ يُحْثَى عَلَيْهِ التُّرَابُ، قَالَ: فَهَوْنًا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقْتَ يَا خَضِرُ فِي ضَرْبِ هَذَا الْمَثَلِ, لا جَرَمَ لا أَطْلُبُ أَثَرًا فِي الْبِلادِ, وَبَعْدَ مَسِيرِي هَذَا حَتَّى أَمُوتَ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَاجِعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسَطِ الظُّلُمَاتِ وَطِئَ الْوَادِيَ الَّذِي كَانَ فِيهِ زَبَرْجَدٌ فَقَالَ الَّذِينَ مَعَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ, مَا هَذَا الَّذِي تَحْتَكَ, وَسَمِعُوا خَشْخَشَةً تَحْتَهُمْ, قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: خُذُوا فَإِنَّهُ مِنْ أَخَذَ نَدِمَ، وَمَنْ تَرَكَ نَدِمَ، فَأَخَذَ مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، وَتَرَكَ عَامَّتُهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا شَيْئًا، فَلَمَّا خَرَجُوا فَإِذَا هُوَ زَبَرْجَدٌ، فَنَدِمَ الآخِذُ وَالتَّارِكُ، ثُمَّ رَجَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِهَا، فَأَقَامَ بِهَا، حَتَّى مَاتَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رَحِمَ اللَّهُ أَخِي ذَا الْقَرْنَيْنِ، لَوْ ظَفِرَ بِالزَّبَرْجَدِ فِي مَبْدَئِهِ مَا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى يُخْرِجَهُ إِلَى النَّاسِ، لأَنَّهُ كَانَ رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُ ظَفِرَ بِهِ، وَهُوَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا لا حَاجَةَ لَهُ فِيهَا". وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبادئ ذي بدء عند تحليلنا لهذه الرواية الطويلة أن نقسمها إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول يتحدث عن محاولة ذي القرنين الحصول على الخلود وفشله، وفوز الخضر بدلا منه بالخلود.

- والقسم الثاني يتحدث عن مقابلة حدثت بين ذي القرنين وطائر أسود عجيب ينطق، وهو مقيد في موضع ما.
- والقسم الثالث يتحدث عن مقابلة بين ذي القرنين والملَك صاحب الصور، الذي أعطاه حجرا عجيبا.
- والقسم الرابع يتحدث عن أحجار الزبرجد والحصول عليها من أرض الظلمات.

أما القسم الأول أوقُل الرواية الأولى فهي النسخة الإسلامية من حكاية/رومانسية من إحدى حكايات الإسكندر القديمة المعروفة، وهي بحث الإسكندر عن "عين الحياة"، وهي من أقدم رومانسيات الإسكندر، ويبدو أنها كتبت في الإسكندرية، وفيها يسافر الإسكندر عبر أرض الظلمات ليصل إلى نبع أو عين الحياة، ولكنه لا يصل إلى هذا النبع، وبدلا منه فإن طاهيه المسمى (أندرياس) - وذلك في النسخة اليونانية الأولى- يصل إلى النبع ويحصل على الخلود.

وهذه الرومانسية من أشهر الرومانسيات ومنها نسخ كثيرة، حتى أن أصحاب التلمود أدرجوها فيه باسم الإسكندر الأكبر.

ورأى بعض الدارسين أن هناك مشابهة بين هذه الرومانسية، وبين ملحمة (جلجامش)، فكلا الشخصيتين تبحث عن الخلود وتسافر إلى أقصى شرق العالم، وكل منهما لايُوفق في الحصول على الخلود.

ولكني أرى أن التشابه الأكبر هو بين هذه الرومانسية، وبين التراث الجنائزي المصري، فالملك المصري المتوفى بعد موته يسلك العالم السفلي والذي من أهم مميزاته أنه مظلم، حتى يصل إلى أقصى شرق العالم، وهناك يعود إلى الحياة بأن يغتسل في بحيرة مشرق الشمس التي يغتسل فيها رع إله الشمس الباطل كل صباح، وفوق ذلك نجد أن نصوص الأهرام تُسمي هذه العين **عين الحياة.**

بل إن الرواية مازالت تحتفظ ببعض الكلمات والمفاهيم **الأصيلة** مثل: أن موضع العين **"عَلَى قَرْنِ الشَّمْسِ"**، فقرن الشمس كما توصلتُ هو جبل (الأَخِت)، وواضح أن المقصود هنا هو جبل (الأَخِت) الشرقي، وهو الذي يقع بعد ظلمة العالم السفلي، كما أن الرواية تصرح بأن الظلمة ليست مثل ظلمة الليل، وإنما مثل الدخان، وهذا يشبه كثيرا ما استنتجته عن ظلمة (أَمِنْت) والعالم السفلي حين قلت أنها في الأصل ظلمة ناتجة عن إنبعاثات البركان الثائر، والذي يقع في أرض مغرب الشمس.

وهذا التشابه مفهوم سببه؛ فلقد كُتبت الرومانسيات أول مرة في الإسكندرية بأيدي مصريين متأغرقين، فلا يبعد أن يستلهموا من التراث المصري القديم، وأن تظهر بعض المفاهيم "الصحيحة" عن قرن الشمس، أو نوع الظلمة، ويمكننا تعليل (تيمة) فشل الإسكندر في الحصول على الخلود والتي ذكرت الباحثين بملحمة (جلجامش)، يمكننا تعليلها بموت الاسكندر المفاجىء وهو في ريعان الشباب رغم اتساع الممالك التي فتحها.

بل إنني أقول أن هذه الرومانسية هي مابقي في عصرنا الحديث من أسطورة رحلة الموتى المصريين إلى مشرق الشمس.

وهكذا يتضح لنا أن التشابه بين هذه الرومانسية ورحلة (جلجامش) في طلب الخلود سببه أن كلا من الحكايتين ينهلان من نفس المنبع، وهو التراث الجنائزي المصري.

ومن أهم مميزات هذه الرواية الإسلامية أنها تصنع علاقة بين ذي القرنين والخضر، فالخضر في مقدمة ذي القرنين على ألفي فارس، ويبدو أن هذه الرواية هي الأصل الذي بنى عليه العلماء المسلمين أن الخضر كان وزيرا لذي القرنين، وواستنتجوا من ذلك أن ذا القرنين ليس الإسكندر الأكبر.

وقلت أنه في النسخ الأقدم من الحكاية، وحتى في نسخة التلمود، أن الذي يصل إلى عين الحياة، ويحصل على الخلود بدلا

من الإسكندر، هو طاهي الإسكندر، والذي يُسمى (أندرياس) وليس الخضر.
ولقد راجعت أسماء الشخصيات التاريخية المحيطة بالإسكندر الأكبر فوجدت عجبا، فهناك بالفعل ضابط بسلاح الفرسان يطلق عليه (جلوكياس) Glaucias المقدوني، وقد إشترك في معركة (جواجاميلا) Guagamela, وهي المعركة الفاصلة بين الإسكندر و(داريوس)، وكان الإسكندر يجعل سلاح الفرسان في مقدمة الجيش، وأما معنى كلمة (جلوكياس) فهي الأخضر أو الخَضِر[414].
وفي بعض الروايات نجد أن (الخضر) ابن خالة لذي القرنين، وربما القائل بهذا يخلط بين (كاليستنز) مؤرخ الإسكندر، وزميله في التعلم عند أرسطو، وبين الخضر، أما القرابة المذكورة في المصادر التاريخية فهي قرابة بين (كاليستنز) وأرسطو فقد كان ابن أخت لأرسطو.
أما المَلَك الذي يصادق ذا القرنين في أول الرواية، والذي يسميه هذا النص (زيافيل)، فإننا نجد له أسماء أخرى في بعض الروايات، فهو (رباقيل) في تفسير القرطبي وعند البيهقي، وفي الدر المنثور (زرافيل)، وهو في تفسير الثعالبي **(رفائيل)**، وأرى أن الأخير هو الصحيح حيث أني بحثت فلم أجد أي ملَك سميَّ بالأسماء الأخرى في مصادر أهل الكتاب، وأغلب ظني أن الأسماء المختلفة هي تصحيف لاسم المَلَك (رفائيل).
أما لماذا اختار واضع هذه الرواية هذا الاسم بالذات، ففي سفر (أخنوخ) الإثيوبي يجعل كاتب السفر علاقة بين الملك (رفائيل) وبين الظلمة، يقول النص: "ومرة أخرى قال الرب لرافئيل قيد عزازيل من يديه وقدميه، وألقه في الظلمة... وغطه بالظلمة،

---

414 - http://en.wikipedia.org/wiki/Glaucias_of_Macedon

ودعه يقيم هناك للأبد...وفي يوم القيامة العظيم، سوف يلقى في النار"[415].

القسم الثاني من الرواية، أو الرواية الثانية:

وهي التي تتحدث عن لقاء بين ذي القرنين وطائر أسود معلق في حديدة بين السماء والأرض، ثم يسأل هذا الطائر عن أشياء، ربما يقصد بها أن يعلم متى تقوم الساعة.

وأرى أن هذه الحكاية هي أسطورة يهودية عن **(عزازيل)**، وهو في بعض النسخ زعيم الملائكة الساقطة، وهو الذي علَّم الناس صناعة الأسلحة، والحروب، هو الذي علَّم النساء التزين، وأدوات التزين، وهو الذي علَّم البشر السحر[416]، وفي سفر (أخنوخ) الإثيوبي يخبرنا واضع السفر أن الله أمر الملك (رفائيل) بأن يقبض عليه ويسجنه في الظلمة.

وفي نص رؤيا إبراهيم Apocalypse of Abraham, وهو نص يهودي غير معترف بصحته، نجد أن كاتب النص يجعل (عزازيل) يأتي إلى إبراهيم على هيئة طائر غير طاهر، ويحدثه، ويبدو أن فكرة أن (عزازيل) يبدو على هيئة طائر لايؤكل لحمه هي فكرة يهودية قديمة.

وهكذا فإنني أستنتج أن الطائر المقيد الذي لقيه ذو القرنين في الظلمة هو نفسه (عزازيل)، زعيم الملائكة العاصية.

القسم الثالث، أو الرواية الثالثة:

والذي تتحدث عن لقاء ذي القرنين مع الملَك الذي يحمل الصُور، ثم أن الملَك يعطي ذي القرنين حجرا عجيبا، فالحجر لايعدله شيء في الميزان، ويفسره له الخضر بأن الحجر مثل نفس

---

[415] - سهيل زكار المحذوف من التوراة كاملا، سفر أخنوخ الإصحاح العاشر:4-6.

[416] - سهيل زكار المحذوف من التوراة كاملا، سفر أخنوخ.

الإنسان لاتقنع بشيء حتى يحثى على الإنسان التراب، هذه الحكاية منقولة نقلا من رومانسية يهودية عن الإسكندر مسجلَّة في التلمود.

وفي مقابل هذه النسخة نجد النسخة التلمودية تقول أن الإسكندر وصل حتى باب الفردوس، وطلب الدخول، فجاءه الجواب أن الجنة لايدخلها إلا المتقون، فطلب أن يُعطى أي شيئ، فأعطيت له كرة صغيرة، وعندما عاد وجد أن هذه الكرة تزن كل الذهب والفضة التي يملكها، فسأل أحبار اليهود فأجابوه أنها كرة عين الإنسان، وأنها لو غطيت بالتراب فلن تزن شيئا.

ويتضح لنا أثر الأسلمة على هذه الرواية التلمودية، فلقد استُبدل الملَك الذي يحمل الصور بالملَك الذي يحرس الجنة، لأن الإسلام لايقبل القول بأن الجنة في الأرض وأنه يمكن لأحد أن يصل إليها أثناء حياته، هذا بخلاف الديانة اليهودية.

القسم الرابع، أو الرواية الرابعة:

وهي التي تتحدث عن الزبرجد، وهي تتصل بأفكار اليهود حول جبل قاف الذي يقع في أطراف الأرض، ويحيط بالأرضين، ولقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق روايات عن وصول ذي القرنين إلى جبل قاف، وأنه من الزبرجد، وهذه الروايات سنتحدث عنها لاحقا.

أما من الناحية التاريخية فإنه قبل فتوحات الإسكندر الأكبر لم يكن الزبرجد معروفا في اليونان أو في أوربا، وانما بدأ تعرف تلك البلاد على الزبرجد الذي يعتبر من الأحجار الكريمة الشرقية بعد الفتوحات التي ربطت المشرق بالمغرب، وربما لهذا السبب ربط واضعي الرومانسيات بين الإسكندر الأكبر وبين الزبرجد.

وبناء على ما سبق فإن الحديث الذي يقع في نهاية الرواية، والذي حاول به واضع الرواية تأكيد روايته الطويلة: " رَحِمَ اللَّهُ أَخِي ذَا الْقَرْنَيْنِ،..."، هذا الحديث به علة واضحة؛ فهو يتحدث

عن الإسكندر الذي يريد اليهود أن يقولوا أنه كان في بداية عهده طماعا جشعا، حتى قابل المَلَك الذي أعطاه درسا حول جشع الإنسان، فصار زاهدا في الدنيا، وليس هذا هو ذو القرنين الذي حدثنا عنه القرآن، كما أن الرواية مخالفة لليقيني من العلم الحديث، وفي نفس الوقت مطابقة لخرافات اليهود.

ثانيا: رواية ذي القرنين وبلقيس ملكة اليمن:

يروي لنا ابن أبي حاتم وابن عساكر عن مجاهد هذه الرواية التي يظهر فيها ذو القرنين معاصرا لملكة اليمن (بلقيس)، تقول الرواية: "إن ذا القرنين ملك الأرض كلها إلا بلقيس صاحبة مأرب، وإن ذا القرنين كان يلبس ثياب المساكين ثم يدخل المدائن فينظر من عورتها قبل أن يقاتل أهلها، فأُخبرت بلقيس بذلك، فبعثت رسولا يصور لها صورته في مُلكه حين يقعد، وصورته في ثياب المساكين، ثم جعلت كل يوم تطعم المساكين فتجمعهم، فجاءها رسولها بصورته فجعلت إحدى صورتيه على باب بيتها، والأخرى على باب الأصطوان، فكانت تطعم المساكين كل يوم فإذا فرغوا عرضتهم واحدا واحدا، حتى جاء ذو القرنين في ثياب المساكين فدخل مدينتها ثم جلس المساكين إلى طعامها، فلما فرغوا أخرجتهم واحدا واحدا، وهي تنظر إلى صورته في ثياب المساكين، حتى مر ذو القرنين فنظرت إلى صورته، فعرفته، فقالت: احبسوا هذا، فقال لها: لم حبستني، فإنما أنا مسكين من المساكين، قالت: أنت ذو القرنين، وهذه صورتك في ثياب المساكين، والله لا تفارقني، أو تكتب أمانا بملكي، أو أضرب عنقك. فلما رأى ذلك كتب لها أمانا بملكها، فلم ينج منه أحد غيرها".

وتزول دهشتنا عندما نعلم أن هناك رومانسية من رومانسيات الإسكندر تتحدث بأنه تنكَّر وقابل الملكة (كانداك) Candace

ملكة بلاد النوبة، ولكنها اكتشفت حقيقته، لأنها كانت تحتفظ برسم لوجهه[417].

وهذه الرومانسية جاءتنا في كتابات الكاتب والمؤرخ الفرنسي (فرويسارت) Froissart, والذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، غير أننا لانشك أنه أخذها من مصادر أقدم، فلقد احتوت نسخة كتاب (كاليسثنز)

المزيف على حكاية عن لقاء تم بين الإسكندر الأكبر وبين الملكة (كانداك)، وتقول الحكاية الأولى أنهما التقيا بجيشيهما وانسحب الإسكندر، وتقول الحكاية الأخرى أنه كان بينهما لقاء غراميا[418].

كما أن فكرة تنكر الإسكندر وذهابه إلى أعدائه هي فكرة قديمة نجدها في النسخة الأصلية للرومانسيات التي كتبت في القرن الثالث الميلادي، وذلك في الحكاية التي تقول أن الإسكندر تنكَّر وذهب ليلتقي بعدوه (داريوس) أو (دارا) كسرى الفرس.

ويبدو أن ماتم هو تعريب للأسطورة؛ فاستبدلت الملكة بلقيس المشهورة عند العرب بالملكة (كانداك) المجهولة لديهم.

ثالثا: رواية ذي القرنين ومَلَك جبل قاف:

جائتنا مجموعة روايات تزعم وصول ذي القرنين إلى جبل قاف، بل ومقابلته للمَلَك المكلف بهذا الجبل.

تقول إحدى الروايات، والتي توجد في تفسير الدر المنثور للسيوطي: "وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه: أن ذا القرنين لما بلغ الجبل الذي يقال له قاف، ناداه ملك من الجبل أيها الخاطئ ابن الخاطئ، جئت حيث لم يجئ أحد قبلك

---

417 - http://www.columbia.edu/dlc/garland/deweever/C/candace.htm

418 - http://en.wikipedia.org/wiki/Candace_of_Meroe

ولا يجئ أحد بعدك، فأجابه ذو القرنين: وأين أنا؟ قال له الملك: أنت في الأرض السابعة. فقال ذو القرنين: ما يُنجيني؟ فقال: يُنجيك اليقين. فقال ذو القرنين: اللهم ارزقني يقينا، فأنجاه الله، قال له الملك: إنك ستأتي إلى قوم فتبنى لهم سدا، فإذا أنت بنيته وفرغت منه فلا تحدث نفسك انك بنيته بحول منك أو قوة، فيسلط الله على بنيانك أضعف خلقه فيهدمه، ثم قال له ذو القرنين: ما هذا الجبل؟ قال: هذا الجبل الذي يقال له قاف، وهو أخضر، والسماء بيضاء، وانما خضرتها من هذا الجبل، وهذا الجبل أم الجبال، والجبال كلها من عروقه، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية حرك منه عرقا، ثم إن الملك ناوله عنقودا من عنب وقال له حبة ترويك وحبة تشبعك، وكلما أخذت منه حبة عادت مكانها حبة، ثم خرج من عنده فجاء البنيان الذي أراد الله".

وفي هذه الرواية نجد أن هناك مَلَك في جبل قاف، وفي رواية لابن عساكر: "ملك منبطح على وجهه آخذ بأصل جبل"، وفي رواية أخرى: "ملك قابض على ظهر جبل وهو جبل قاف"، وفي رواية ثالثة: "ملك قابض على طرفي جبل قاف"، فلو علمنا أن جبل قاف هو الجبل الذي تعتمد عليه السماء كما جاء في بعض الروايات، لأمكننا أن نستنتج أن جبل قاف وملَكه ليس إلا أَسْلَمة لأسطورة للجبل/الإله الباطل (أطلس) الذي يحمل السماء في الأساطير اليونانية.

أما البطل اليوناني التي زار الجبل/الإله الباطل أطلس والتقى به فهو (هِرَكْلِيس).

أما تنبؤ الملَك الذي يقبض على الجبل لذي القرنين بما سوف يفعله، فإنه يشبه ما حدث عندما زار الإسكندر الأكبر واحة سيوة ليستشير إلهه الباطل (زيوس- أمون)، وكان يفعل ذلك إقتداء (بهِرَكْلِيس) البطل اليوناني القديم.

والذي أراه أن هذه الرواية هي نسخة مُؤَسلمة، من إحدى رومانسيات الإسكندر التي لم تصلنا، ويخلط فيها واضع

الرومانسية بين الإسكندر الأكبر، وزيارته للإله الباطل (آمون) في معبده في سيوة، وبين (هِرَكْلِيس)، وزيارته ولقائه بأطلس في (هسبريا)، ولاغرابة في ذلك فلقد حرص الإسكندر أثناء حياته على التشبه (بهِرَكْلِيس)، حتى أن بعض العملات صُكَّت، وهي تحمل صورة الإسكندر وهو يرتدي رأس الأسد المُمَيِّز لهِرَكْلِيس.



الشكل رقم (308) عملة تحمل صورة الإسكندر يرتدي رأس الأسد متشبها (بهركليس).

رابعا: رواية ذي القرنين ورسالته إلى أمه:

جاءت بعض الروايات تحكي أن ذا القرنين عندما حانت ساعة وفاته، فإنه شَرع يكتب رسالة إلى أمه، ليصبِّرها على خبر وفاته الذي صار قريبا، فيروي ابن عساكر عن سعيد بن أبي هلال: " أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة كتب إلى أمه يأمرها أن تصنع طعاما، ثم تجمع عليه نساء أهل المدينة، فإذا وضع الطعام بين أيديهن، فاعزمي عليهن ألا تأكل منه امرأة ثكلى، ففعلت ذلك فلم تمد امرأة يدها إليه، فقالت: سبحان الله، كلكن ثكلى، قلن: أي والله ما منا امرأة إلا أثكلت."

وربما تغرنا المسحة الإسلامية في الرواية، ولكن هذه الصبغة ليست إلا صبغة مصنوعة، فلقد جاءتنا من القرون الأولى للميلاد رسائل وهمية كتبها الإسكندر إلى أمه.

وفوق ذلك فإن ابن عساكر يروي لنا رواية أخرى يوضح لنا فيها تصريحا أن ذا القرنين الذي كتب لأمه ساعة وفاته ليس إلا الإسكندر الأكبر، يقول ابن عساكر في تاريخه: "حدثني بعض من قرأ الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل فمرض مرضا شديدا أشفق من مرضه أن يموت بعدما دوَّخ البلاد وحول العباد واستعبد الرجال وجمع الأموال ونزل بأرض بابل, فدعا كاتبه، فقال: خفف عَلِيّ في الموتة بكتاب تكتبه إلى أمي تعزيها بي، واستعن ببعض علماء أهل فارس، ثم اقرأه عليه، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم من **الإسكندر،** قال ابن سمعان وهو بنى الإسكندرية وعمل الوشي الإسكندراني، فباسمه سميت الإسكندرية والإسكندراني، فكتب من الإسكندر بْن قيصر رقيق أهل الأرض بجسده قليلا، ورقيق أهل السماء بروحه طويلا، إلى أمه روقية ذات الصفاء التي لم تمنع بثمرتها في دار القرب، وهي مجاورته عما قليل في دار البعد، يا أمتاه يا ذات الحلم، أسألك برحمتي وودي وولادتك إياي، هل وجدت لشيء قرارا باقيا أو خيالا دائما،..."[419]

خامسا: ذو القرنين والأمة الصالحة، والرجل الحكيم:

يروي لنا ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق رواية طويلة بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي يقول فيها: " إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَتَى عَلَى أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْتَمْتِعُ النَّاسُ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ قَدِ احْتَفَرُوا قُبُورًا، فَإِذَا أَصْبَحُوا تَعَاهَدُوا تِلْكَ الْقُبُورَ، فَكَنَسُوهَا وَصَلُّوا عِنْدَهَا، وَرَعَوْا الْبَقْلَ كَمَا تَرْعَى الْبَهَائِمُ، وَقَدْ قُيِّضَ لَهُمْ مَعَاشٌ مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ، فَأَرْسَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى

419 - ابن عساكر تاريخ دمشق اسلام ويب.

مَلِكِهِمْ: أَجِبِ الْمَلِكَ ذَا الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَأَقْبَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتَأْتِيَنِّي، فَأَبَيْتَ فَهَا أَنَا قَدْ جِئْتُكَ. فَقَالَ لَهُ: لَوْ كَانَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ لأَتَيْتُكَ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي رَأَيْتُ، لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنَ الأُمَمِ عَلَيْهَا؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: لَيْسَ لَكُمْ دُنْيَا وَلا شَيْءٌ، أَمَا اتَّخَذْتُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا؟ فَقَالُوا: إِنَّمَا كَرِهْنَاهُمَا، لأَنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ مِنْهَا شَيْئًا إِلا تَاقَتْ نَفْسُهُ وَدَعَتْهُ إِلَى أَفْضَلَ مِنْهُمَا، قَالَ: مَا بَالُكُمُ احْتَفَرْتُمْ قُبُورًا، فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ تَعَاهَدْتُمُوهَا، فَكَنَسْتُمُوهَا وَصَلَّيْتُمْ عِنْدَهَا؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِذَا نَظَرْنَا إِلَيْهَا، فَأَمَّلْنَا الدُّنْيَا مَنَعَتْنَا قُبُورُنَا مِنَ الأَمَلِ، قَالَ: أَرَاكُمْ لا طَعَامَ لَكُمْ إِلا الْبَقْلُ مِنَ الأَرْضِ فَلا اتَّخَذْتُمُ الْبَهَائِمَ مِنَ الأَنْعَامِ مَا حَلَبْتُمُوهَا وَرَكِبْتُمُوهَا، وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا؟ فَقَالُوا: كَرِهْنَا أَنْ نَجْعَلَ بُطُونَنَا لَهَا قُبُورًا، وَرَأَيْنَا أَنَّ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ بَلاغًا، وَإِنَّمَا يَكْفِي ابْنَ آدَمَ أَدْنَى الْعَيْشِ مِنَ الطَّعَامِ، وَإِنَّ مَا جَاوَزَ الْحَنَكَ مِنْهُ لَمْ نَجِدْ لَهُ طَعْمًا كَائِنًا مَا كَانَ مِنَ الطَّعَامِ, ثُمَّ تَنَاوَلَ مَلِكُ تِلْكَ الأُمَّةَ بِيَدِهِ خَلْفَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَتَنَاوَلَ جُمْجُمَةً فَقَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ, أَتَدْرِي مَنْ هَذَا؟ قَالَ: لا، وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: هَذَا مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَغَشَمَ وَظَلَمَ، وَعَتَا, فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ حَسَمَهُ بِالْمَوْتِ، فَصَارَ كَالْحَجَرِ الْمُلْقَى قَدْ أَحْصَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ حَتَّى يَجْزِيَهُ فِي آخِرَتِهِ، ثُمَّ تَنَاوَلَ جُمْجُمَةً أُخْرَى بَالِيَةً، فَقَالَ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، أَتَدْرِي مَنْ هَذَا وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: مَلِكٌ مَلَّكَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَهُ قَدْ كَانَ يَرَى مَا يَصْنَعُ الَّذِي قَبْلَهُ بِالنَّاسِ مِنَ الظُّلْمِ، وَالْغَشْمِ، وَالتَّجَبُّرِ فَتَوَاضَعَ لِلَّهِ وَخَشَعَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَصَارَ كَمَا تَرَى قَدْ أَحْصَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ حَتَّى يَجْزِيَهُ فِي آخِرَتِهِ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَى جُمْجُمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: وَهَذِهِ الْجُمْجُمَةُ كَأَنْ قَدْ كَانَتْ كَهَاتَيْنِ، فَانْظُرْ يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: هَلْ لَكَ فِي صُحْبَتِي، فَأَتَّخِذَكَ أَخًا وَوَزِيرًا، وَشَرِيكًا فِيمَا آتَانِيَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْمَالِ؟ قَالَ: مَا أَصْلُحُ أَنَا وَأَنْتَ فِي مَكَانٍ، وَلا أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا. قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ:

وَلِمَ؟ قَالَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَكَ عَدُوٌّ وَلِي صَدِيقٌ، قَالَ: وَعَمَّ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُعَادُونَكَ لِمَا فِي يَدَيْكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ، وَلا أَجِدُ أَحَدًا يُعَادِينِي لِرَفْضِي ذَلِكَ، وَلِمَا عِنْدِي مِنَ الْحَاجَةِ وَقِلَّةِ الشَّيْءِ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ"[420].

والجزء الأول من الرواية، والذي يتحدث عن الأمة الصالحة يشابه الجزء الذي يمر فيه الإسكندر على الأمة الصالحة في رواية وهب ابن منبه، وقد تحدثت عنه سابقاً.

وإذا رجعنا لما ذكره المؤرخون عن لقاء الإسكندر بالحكماء الهنود، فبجوار ما ذكره (بلوتارخ) عن أسئلة وجهها الإسكندر لعشرة من الحكماء النساك الهنود، توجد قصة أخرى يرويها لنا المؤرخ (آريان)، يقول فيها أن الإسكندر الأكبر ذهب ليرى مجموعة من الحكماء الهنود اعتادوا أن يلتقوا بالمروج الخضراء ليتحدثوا في أمور الحكمة، ولكنهم عندما رأوه هو وجنوده لم يعيروه التفاتا، وعندما سألهم خلال المترجمين قالوا له: "إن الإنسان لا يستطيع أن يمتلك أكثر من مساحة الأرض التي يقف عليها، وأنت لست إلا رجلا مثلنا، غير لأنك أشغلت نفسك في السفر لمئات الأميال بعيدا عن وطنك، وأرهقت نفسك والآخرين معك، وفي النهاية سوف تموت، ولن تمتلك من الأرض أكثر مما يواري جسدك"[421].

ويروي لنا (آريان) رواية أخرى، وهي كيف أن الاسكندر التقى بمجموعة من الحكماء في مدينة تاكسيلا، وكيف أعجب بقدرتهم على التحمل، وكيف أنه أراد أن يصطحب أحدهم معه. ولكن أكبرهم سنا وهو (دانداميس) رفض أن يصاحب الإسكندر

420- ابن عساكر، تاريخ دمشق، اسلام ويب
http://www.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?indexstartno=0&hflag=1&pid=128163&bk_no=499&startno=4

421 - Alexander and the Indian sages
.html60http://www.livius.org/aj-al/alexander/alexander_t

بنفسه أو أن يسمح لأحد تلامذته بمصاحبته، وقال له: "أنا لاأريد شيئا منك، لأن ما أمتلكه يكفيني، وإني أرى أن الرجال الذين تقودهم لم ينالوا خيرا من تطوافهم العالم برا وبحرا، وأرى أن رحلاتهم ستكون بلا نهاية. أنا لا أرغب في شيء يمكنك إعطائي إياه، ولست خائفا أن تحرمني من أي خير قد تمتلكه، إن الهند بفاكهتها تكفيني ما دمت حيا، وعندما أموت فسوف أتخلص من جسدي الرديء الذي يلازمني"[422].

ولقد ظهرت قبل الإسلام حكاية/رومانسية تحكي التقاء الإسكندر بالحكماء الهنود، وهي تعتمد على ماروواه المؤرخين، ولقد عمد واضعو الرومانسية إلى بنائها من ثلاثة أقسام، في القسم الأول تصل رسالة من الحكماء إلى الإسكندر تفيد أنهم يعلنون العصيان المدني، أو التمرد السلمي، الثاني: يذهب الإسكندر لزيارتهم ويسألهم مجموعة من الأسئلة أو الأحاجي، وفي النهاية يطلب مقابلة قائدهم (دانداميس)، وفي القسم الثالث يصف له (دانداميس) طريقة حياتهم تحت الأشجار، وبجوار النهر، وكيف أن أحدهم يلتقي بزوجته مرة في كل شهر حتى ينجب طفلين اثنين. ثم إن الإسكندر أعطاهم الهدايا، **ولكنهم طلبوا منه أن يعطيهم الخلود**، ولكنه بيَّن لهم أنه لايستطيع ذلك، ومنح (دانداميس) ذهبا وخبزا، وخمرا، وزيتا، فلم يقبل منه سوى الزيت، ثم انصرف الإسكندر[423].

وفي الرواية التي روها ابن عساكر عن عبد الرحمن الخزاعي نجد مشابهة لتركيب رومانسية لقاء الإسكندر بالحكماء الهنود ففي

---

422 - نفس المصدر السابق.

423 - Naked Philosophers-The Brahmans in Alexander Historains & the Alexander Romance
http://www.safhr.org/index.php?option=com_docman&task=cat_view&gid=582&Itemid=139

البداية الأسئلة ثم الحديث عن موت الإسكندر، ثم رفض الزعيم الالتحاق بركب الإسكندر.

وقد روى بن عساكر رواية قصيرة نسبيا تشبه رواية (آريان) عن الحوار الذي دار بين الإسكندر و(دانداميس) كما تشبه أيضا رومانسية الإسكندر، تقول الرواية: "أن ذا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب مرَّ برجل معه عصا يقلب عظام الموتى، وكان إذا إتى مكانا أتاه ملك ذلك المكان فسائلوه بعلم ما به، فعجب ذو القرنين فأتاه فقال: لم لا تأتيني ولم تسألني؟، قال: لم يكن لي إليك حاجة وعلمت أنك إن يكن لك إلي حاجة فستأتيني، قال: فقال له ما هذا الذي تقلب؟ قال عظام الموتى هذا عملي منذ أربعين سنة أعرف الشريف من الوضيع، وقد اشتبهوا علي. فقال له ذو القرنين: هل لك أن تصحبني وتكون معي؟ قال إن ضمنت لي أمرا صحبتك. قال ذو القرنين: ما هو؟ قال تمنعني من الموت إذا نزل بي. قال ذو القرنين: ما أستطيع ذلك. قال: فلا حاجة لي في صحبتك."

كما روى ابن عساكر رواية مشابهة، والجديد فيها أن راويها نسبها للإسكندر وليس لذي القرنين، تقول الرواية: " مرَّ الاسكندر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة وبادوا، فقال: هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه الدنيا أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكون في المقابر. فدعا به، فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت عظامهم وعظام عبيدهم سواء. فقال له: فهل لك أن تتبعني فأورثك شرف آبائك إن كانت لك همة؟ قال: إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر فيه وسرور بغير مكروه. قال: لا. قال: فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن هو عنده عز وجل ويملكه. قال الاسكندر: وهذا أحكم منا".

وهذا يدل بآكد دلالة على أن كل هذه الروايات السابقة وإن ذُكرت باسم ذي القرنين، لم تكن إلا نسخا من حكايات/رومانسيات

الإسكندر، وليس لها علاقة بذي القرنين المذكور في القرآن إلا في رؤوس من رواها.

سادسا: ذو القرنين وقصة التقاضي العجيبة:

يروي لنا ابن عساكر في تاريخ دمشق هذه القصة عن ذي القرنين، يقول: عن قتادة عن الحسن: "أن ذا القرنين كان يتفقد أمور ملوكه، وعماله بنفسه وكان لا يطلع على أحد منهم خيانة إلا أنكر ذلك عليه، وكان لا يقبل ذلك حتى يطلع هو عليه بنفسه، قال: فبينا هو يسير متنكرا في بعض المدائن، قال: فجلس إلى قاض من قضاتهم أياما لا يختلف إليه أحد في خصومه، فلما أن طال ذلك بذي القرنين ولم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضي وهم بالانصراف، إذ هو برجلين قد اختصما إليه، فادعى أحدهما فقال: أيها القاضي إني اشتريت من هذا دارا عمرتها ووجدت فيها كنزا، وإني دعوته إلى أخذه فأبى علي. فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: ما دفنت ولا علمت به فليس هو لي ولا أقبضه منه. قال المدعي: أيها القاضي مر من يقبضه فيضعه حيث أحببت. فقال القاضي: تفر من الشر وتدخلني فيه ما أنصفتني، وما أظن هذا في قضاء الملك. فقال القاضي: هل لكما في أمر أنصف مما دعوتماني إليه؟ قالا نعم قال للمدعي: ألك ابن؟ قال: نعم. وقال للآخر: ألك ابنة؟ قال: نعم. قال: اذهب فزوج ابنتك من ابن هذا، وجهزوهما من هذا المال، وادفعوا فضل ما بقي إليها يعيشان به، فتكونا قد صليتما بخيره وشره. فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضي: ما ظننت أن في الأرض أحدا يفعل مثل هذا، أو قاضي يقضي بمثل هذا. فقال القاضي وهو لا يعرفه: فهل أحد يفعل غير هذا؟ قال ذو القرنين: نعم. قال القاضي: فهل تمطرون في بلادكم؟ فعجب ذو القرنين من ذلك فقال: بمثل هذا قامت السموات والأرض".

وهذه الحكاية نفسها مذكورة في كتب الميدراش اليهودية ومنسوبة للإسكندر الأكبر[424].

وهكذا رأينا بمالايدع مجالا للشك أن كثيرا من الروايات التي رويت عن ذي القرنين ولم تصرح بأنه الإسكندر الأكبر، لم تكن تقصد في حقيقتها إلا الإسكندر، وأنها ليست إلا تنويعات "مُؤَسْلَمَة" من حكايات/رومانسيات الإسكندر المقدوني.

المبحث الرابع: الأسطورة المسيحية عن الإسكندر الأكبر

نشر العالم (بَدج) Budge كتابا في عام 1889 ترجم فيه بعضا من رومانسيات الإسكندر من المخطوطات السريانية، ومن ضمنها الأسطورة المسيحية Christian Legend والمتعلقة بالإسكندر الأكبر.

وفي العام التالي ذهب (نولدكه) - وهومستشرق معروف- إلى القول بأن قصة ذي القرنين في القرآن قد استُلهمت من الأسطورة المسيحية السريانية، وأن ذا القرنين الذي ذكره القرآن ليس إلا الإسكندر الأكبر. وقد وافق نولدكه كثيرٌ من الباحثين الغربيين[425]،

---

[424] - الموسوعة اليهودية.

King Kaẓia and His Judgment (Yer. B. M. ii. 8c; Gen. R. xxxiii.; PesiḲ.; Lev. R.; Tan., Emor, as above):

[425] - منهم على سبيل المثال: I. Friedländer, *Die Chadhirlegende Und Der Alexanderroman*, 1913, Druck Und Verlag Von B. G. Teubner: Leipzig, p. 278; J. Horovitz, *Koranische Untersuchungen*, 1926, Walter De Gruyter: Berlin & Leipzig, p. 111; A. R. Anderson, "Alexander's Horns", *Transactions And Proceedings Of*

وبدا لكثير من المستشرقين أن البحث في "مصدر" قصة ذي القرنين في القرآن، وتحديد شخصية ذي القرنين قد وصلا إلى نهايتهما.

يقول (فان بلادل) Van Bladel: "وهكذا فإنه بشكل ملفت للنظر، فإن كل تفصيلة في قصة القرآن القصيرة لها نظير مُطوّل في أسطورة الإسكندر السريانية. في كل من النصيَّن نجد أن ترتيب الأحداث واحد. وقد أشير بالفعل إلى تماثل تام بين كلمات بعينها بين النص القرآني بالعربية، ونص الأسطورة السرياني، فالماء عند مغرب الشمس منتن في النصين، وهو توافق تام بين

The American Philological Association, 1927, Volume LVIII, pp. 110-111; A. R. Anderson, *Alexander's Gate, Gog And Magog, And The Inclosed Nations*, 1932, The Mediaeval Academy Of America: Cambridge, MA, pp. 29-30; C. C. Torrey, *The Jewish Foundation Of Islam*, 1967, Ktav Publishing House, Inc.: New York, p. 35 and 125.; A. Jeffery, *The Koran: Selected Suras*, 1958, The Heritage Press: New York, NY, p. 220, n. 9; J. A. Boyle, "The Alexander Romance In The East And West", *Bulletin Of The John Rylands University Library Of Manchester*, 1977, Volume 60, pp. 19-20.; M. S. Southgate, *Iskandarnamah: A Persian Medieval Alexander Romance*, 1978, Columbia University Press, New York, p. 201; Ibn Warraq, *Why I Am Not A Muslim*, 1995, Prometheus Books: Amherst, NY, p. 61; A. Rippin, *Muslims: Their Religious Beliefs And Practices*, 2003, Routledge, p.

كلمتين ليستا شائعتين، وإن كانتا تعطيا نفس المعنى (السريانية ساريا، والعربية حمئة)"[426].

وقد زعم (نولدكه) ومن تابعه من الدارسين: أن الأسطورة المسيحية قد كتبت عام 515 ميلادية، واستَدل بنبوءة في داخل النص تقول بأن بعد 826 من بناء السد على يد الإسكندر فإن (الهُن) Hunسوف يغزون المناطق جنوب القوقاز، وقال أن هذه النبوءة لابد أنها كتبت بعد الحدث، أي بعد غزو قبائل من شمال القوقاز (الهُن السفير) للمنطقة، وهو ما حدث عام 515 ميلادية، وعلى هذا القول تكون الأسطورة قد كتبت قبل الإسلام، وقبل نزول القرآن، وهذا يزيد من احتمال أن يكون القرآن قد أخذ من الأسطورة المسيحية.

ولكننا نجد الباحثين الإسلاميين يردُّون على هذا الإدعاء بأن نفس الفقرة من نص الرومانسية يخبرنا بنبوءة أخرى، وهي أن هناك غزو من نفس القبائل بعد مرور 940 عام من بناء السد، وبحساب بسيط نستطيع أن نفهم أن النص يقصد غزو (الخزر) للقوقاز وأرمينيا عام 629 ميلادية، ومعنى ذلك أن النص قد كتب بعد ظهور الإسلام ونزول سورة الكهف[427].

ويرى بعض الدارسين الغربيين أن الأسطورة المسيحية قد كتبت كنوع من الدعاية السياسية لهرقل قيصر الروم بعد انتصاره على الفرس، وأن هذا حدث في حدود عام 630 ميلادية، كما

---

[426] - Dhul-Qarnayn http://www.wikiislam.net/wiki/Dhul-Qarnayn

[427] - On The Sources Of The Qur'anic Dhul-Qarnayn http://www.islamic-awareness.org/Quran/Sources/BBhorned.html

يرى الأسطورة لا تشير لفتح المسلمين لبيت المقدس، وللشام عام 636، وهذا يعني أن الرومانسية قد كتبت قبل هذا التاريخ[428].

ويرى بعض الدارسين المسلمين **أنه لايمكننا تحديد موعد انتهاء تطوير نص الرومانسية،** فهي كغيرها من نصوص رومانسيات الإسكندر، خضعت للتطوير عبر الزمن، ولم يجد الكتَّاب حرجًا في الإضافة إليها وتغييرها عبر السنين[429]، وهو رأي قوي أؤيده.

تحليل لرومانسية الأسطورة المسيحية:

تبدأ الرومانسية بعنوان طويل أو ما يشبه المقدمة، ثم يأتي نص طويل، ويمكننا تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

- الأول هو عزم الإسكندر على الوصول إلى نهاية العالم، ورحلته، وفشله في تحقيق هدفه.
- القسم الثاني هو بناء الإسكندر لبوابة ففي ممر جبلي لصد هجمات القبائل المتوحشة من (الهُن)، ونبوءته بغزوات للمتوحشين.
- القسم الثالث: هو معركته مع ملك الفرس وحلفائه، وانتصاره عليهم.

القسم الأول من الأسطورة المسيحية:

يقول عنوان الرومانسية: "الأعمال البطولية، للإسكندر بن فيليب المقدوني، وكيف ذهب إلى أطراف العالم، وصنع بوابة من

---

428 - http://en.wikipedia.org/wiki/Alexander_the_Great_in_the_Quran#Stoneman 2003 Alexander the Great in the Quran

429 - نفس المصدر السابق.

الحديد، وأغلقها في وجه رياح الشمال: الهن، حتى لايأتوا وينهبوا البلاد".

وفي القسم الأول، نجد أن واضع الرومانسية يخبرنا كيف أن الإسكندر جمع قواده، ورجال بلاطه، وأخبرهم عن تساؤلات تراوده، وهي: ماهو عرض الأرض؟، وماهو ارتفاع السماء؟، وما عدد الأقاليم التي يحكمها أقرانه من الملوك؟، وعلام تعتمد السماء؟، ثم يخبرهم برغبته في الذهاب، لرؤية علام تعتمد السماء، وما الذي يحيط بكل المخلوقات، ولكن رجالاته يخبرونه بأن هذا مستحيل لأن في نهاية الأرض يوجد بحر مُنتن سام، وهو الأقيانوس، ولايقترب منه أحد إلا ومات.

ولكن الإسكندر يصمم على الذهاب، فيستجيبون له، فيقود جيشا عظيم العدد، ويصطحب معه آلاف الحدادين من مصر، ويبحر لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام حتى يصل إلى اليابس الذي يقع وراء الأحد عشر بحرا، التي يمكن الإبحار بها، وهي الأرض التي تشرف مباشرة على الأقيانوس، وفي هذه الأرض عسكر الإسكندر وجيشه، ثم أرسل الإسكندر بعض المحكوم عليهم بالإعدام من الجنود إلى الأقيانوس على سبيل التجربة، وبمجرد أن وصلوا إلى شاطئ البحر المنتن ماتوا في الحال، وشاهد الإسكندر وقواده ماحدث من بعيد، وتأكد أنه لايمكن الوصول إلى طرف السماوات، فتراجع هو وجيشه.

إلى هنا نشعر أن هذه الحكاية انتهت، فالإسكندر في أول الحكاية يعلن أن رحلته هي لمعرفة على أي شيء تعتمد السماء، وفي نهاية الحكاية يفشل، وينسحب، ويشبه هذا فشله في الوصول إلى عين الحياة في الحكاية الأخرى، كما أن عنوان النص يخبرنا أن الرواية حول ذهاب الإسكندر إلى أطراف العالم، وليس إلى أمم مغرب الشمس، ومشرقها.

ولكننا نجد أن النص يُكمل: "لذا فإن المعسكر تجهز للرحيل، وذهب الإسكندر وفِرَقه بين البحر المنتن، والبحر اللامع، إلى

المكان الذي تدخل فيه الشمس نافذة السماء، لأن الشمس ليست إلا عبدا لله، ولاتتوقف عن الجريان، لا ليلا ولا نهارا. إن موضع إشراق الشمس فوق البحر، والناس الذين يقيمون هناك عندما يحين وقت إشراقها يهربون بعيدا، ويخبئون أنفسهم في البحر حتى لايحترقوا بأشعتها، ثم بعد ذلك تمر الشمس خلال منتصف السماء إلى المكان الذي تدخل فيه نافذة السماء، وحيث تمر توجد جبال رهيبة، والناس الذين يقيمون هناك لهم كهوف منحوتة في الصخر، وعندما يرون الشمس تمر [فوقهم]، فإنهم يهربون بعيدا، وكذلك الطيور، من أمام وجه الشمس، ويختبئون في الكهوف، وذلك لأن الصخور تتشقق، بسبب أشعة الشمس الحارقة، وتتساقط، وكائنا من كان سواء أكان إنسانا أو حيوانا إذا مسته هذه الصخور، فإنه يحترق في الحال،

وعندما تدخل الشمس نافذة السماء، فإنها تنحني وتظهر الخضوع أمام الله العظيم، وتسافر وتنزل طوال الليل خلال السماوات، وفي النهاية تجد نفسها في مكان إشراقها".

ولنا على هذا القسم من الرومانسية عدة ملاحظات:

أولا: أن النص يخبر أن الإسكندر بعد فشله في تخطي الأقيانوس، يذهب "إلى المكان الذي تدخل فيه الشمس نافذة السماء"، وهذه العبارة يشرحها النص بعد ذلك فنفهم أن "المكان الذي تدخل فيه الشمس نافذة السماء" هو مكان غروب الشمس، وليس هناك ذكر لذهاب الإسكندر إلى مشرق الشمس.

ثانيا: الغرض المعلن من الرحلة هو معرفة علام تعتمد السماء، وانتهت هذه الرحلة بالفشل، وبدا كأن الحكاية قد انتهت، غير أننا نجد الكاتب يستطرد فيخبرنا بأن الإسكندر ذهب لمكان مغرب الشمس، ولا يخبرنا لماذا ذهب، وماذا فعل هناك، ثم يبدأ في ذكر بعض "المعلومات" عن الشمس فيذكر كيفية إشراق الشمس، وذهابها إلى الغروب، وغروبها، وماذا تفعل بعد غروبها وكيفية وصولها إلى المشرق، كما يشرح لنا ماذا يفعل سكان المشرق

عندما تشرق عليهم الشمس، وماذا يفعل سكان مغرب الشمس عندما تغرب عليهم الشمس، وهذا كله ليس له علاقة بالإسكندر ورحلته الأمر الذي يجعلني أظن أن هذا الجزء **مُقحم** على النص الأصلي، وأنه ليس جزء أصيلا منه.

يؤكد ذلك أنه في عنوان الرومانسية لاذكر لزيارة الإسكندر لمغرب الشمس، ومشرقها، كما أن هذه الإضافة مليئة بالتصورات الإسلامية مثل حركة الشمس الدائبة، وسجود الشمس بعد غروبها.

لذا فإني أرى أن هذا الجزء ربما يكون قد أضيف للنص الأصلي بعد فتح المسلمين للمنطقة، وبعد أن سمع رجال الدين السُريان القرآن وقصة ذي القرنين، وآيات جريان الشمس الدائب، وسجود المخلوقات، وحديث سجود الشمس.

ثالثا: أرى أن الفكرة الرئيسة التي بني عليها القسم الأول من الأسطورة المسيحية الرئيسية هي فكرة وصول الإسكندر لنهاية العالم، وهذه الفكرة تعتمد في الأساس على عبارة وردت في سفر (المكابيين) الأول الذي يقول: "وذهب [الإسكندر] إلى نهايات العالم، ..."[430].

وبالإضافة إلى هذه الفكرة الرئيسية فهناك فكرة فرعية وهي أعمدة السماء، التي نجد الإسكندر في الرومانسية يذهب إلى نهاية العالم ليراها، هذه الفكرة جاءت في سفر أيوب: " أعمدة السماء ترتعد، وترتاع من زجره"[431].

رابعا: يرى الباحثون الغربيون أن فكرة البحر المنتن الذي يقع في أطراف العالم، والذي يسميه نص الرومانسيه أُقيانوس هو الأصل لعبارة القرآن: "وجدها تغرب في عين حمئة"، ويقولون أن من يذهب إلى نهاية العالم الغربية لن يرى الشمس تغرب في عين وإنما يراها تغرب في البحر المحيط.

---

[430] - سفر المكابين 1: 3

[431] - Job 26:11 says, "The pillars of heaven tremble, and are astonished at his reproof."

والحقيقة أن فكرة وجود الأقيانوس وهو في الأصل بحر أو نهر من الماء العذب يحيط بالأرض كالحلقة هي فكرة يونانية، غير أن اليونانيون في القرون الأولى قبل الميلاد رسموا خرائط للعالم، وجعلوا المحيط الأطلنطي جزء من الأقيانوس.

كما أن أرسطو - وهو معلم الإسكندر الأكبر- في كتابه Meteorologica قال أن المحيط الأطلنطي هو بحر موحل قليل العمق ومياهه راكده لاتحركها الرياح[432].

وهكذا فإنني يمكنني القول أن هذا القسم من الأسطورة المسيحية يعتمد على خرافات ثلاث، الأولى هي ذهاب الإسكندر إلى نهايات الأرض، وهو المذكور في الكتاب المقدس في سفر (المكابيين) الأول، وخرافة أعمدة الأرض المذكورة أيضا في الكتاب المقدس في سفر أيوب، وخرافة أن المحيط الأطلنطي هو بحر موحل راكد وهو ما ذكره أرسطو.

أما العين الحمئة الحامية فهي عين وليست بحرا، وهي إعجاز علمي كما أوضحنا، فهي بحيرة في فوهة جبل بركاني نشط، وبها (جَيزر)، ومثالها الحالي بحيرة الحميم في دولة (دومينيكا).

خامسا: إن وصف قوم مشرق الشمس في الأسطورة المسيحية يشبه وصف قوم مطلع الشمس في كتب التفسير، ففي الرومانسية يقول عنهم واضع النص: "والناس الذين يقيمون هناك عندما يحين وقت إشراقها يهربون بعيدا، ويُخبئون أنفسهم في البحر حتى لايحترقوا بأشعتها".

وتنقل لنا كتب التفسير روايات عن الحسن، وقتادة، وابن جريج في وصف أرض مطلع الشمس وسكانها، يقول الحسن: " كَانَتْ أَرْضًا لَا تَحْتَمِل الْبِنَاء، وَكَانُوا إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ الشَّمْس تَغَوَّرُوا فِي الْمَاء، فَإِذَا غَرَبَتْ خَرَجُوا يَتَرَاعَوْنَ كَمَا تَرْعَى الْبَهَائِم"، ويقول قتادة: " ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَان لَا يَسْتَقِرّ عَلَيْهِ الْبِنَاء، وَإِنَّمَا يَكُونُونَ فِي أَسْرَاب لَهُمْ حَتَّى إِذَا زَالَتْ عَنْهُمْ الشَّمْس خَرَجُوا إِلَى

---

432 - The history of atlantis

مَعَايِشهمْ وَحُرُوثِهِمْ"، ويقول ابن جريج: " لَمْ يَبْنُوا فِيهَا بِنَاء قَطُّ، وَلَمْ يَبْنِ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِنَاء قَطُّ، وَكَانُوا إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ الشَّمْس دَخَلُوا أَسْرَابًا لَهُمْ حَتَّى تَزُول الشَّمْس، أَوْ دَخَلُوا الْبَحْر، وَذَلِكَ أَنَّ أَرْضهمْ لَيْسَ فِيهَا جَبَل، وَجَاءَهُمْ جَيْش مَرَّة فَقَالَ لَهُمْ أَهْلهَا: لَا تَطْلُعَن عَلَيْكُمْ الشَّمْس وَأَنْتُمْ بِهَا. فَقَالُوا: لَا نَبْرَح حَتَّى تَطْلُع الشَّمْس، مَا هَذِهِ الْعِظَام؟ قَالُوا: هَذِهِ جِيَف جَيْش طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ الشَّمْس هَا هُنَا فَمَاتُوا. قَالَ: فَذَهَبُوا هَارِبِينَ فِي الْأَرْض"[433].

ومن الواضح أن الروايات الثلاثة مأخوذة من خرافات أهل الكتاب عن الناس الذين يسكنون في أقصى شرق العالم.

ونحن لا نجد أي من هذه الخرافات في النص القرآني، والمعنى المراد من الآية القرآنية هو أن القوم الذين يسكنون مطلع الشمس من العراة، الذين لايسترهم شيئا عن الشمس فهم من العراة، وهم سكان مرتفعات (غينيا) الجديدة.

القسم الثاني من الأسطورة المسيحية:

في القسم الثاني يتحدث نص الرومانسية عن وصول الإسكندر وجيشه إلى منطقة القوقاز، ومقابلته للسكان هناك، وسؤاله لهم عن ملك البلاد، وعن الجبل، وإخبار القوم للإسكندر بأن (الهُن) Hun موجودون في الجهة الأخرى من الجبل، ويصفون له (الهن)، ثم يقرر الإسكندر بناء بوابة من الحديد والنحاس، ويشرع في بنائها مستعينا بآلاف الحدادين الذين اصطحبهم من مصر، ثم ينقش على البوابة نبوءته التي تتحدث عن غزو (الهن) للمنطقة والذي سيحدث بعد زمنه بمئات السنين.

النواحي الجغرافية:

هذا الجزء نجد واضع نص الرومانسية يقدم لنا جغرافيا رديئة جدا للمنطقة، وبغض النظر عن الأسماء الغريبة والغير حقيقية

---

433 - تفسير الطبري.

للجبال، فإننا نجده يخبرنا أن الإسكندر يصل إلى منبع نهر الفرات، وأن الإسكندر يجده ينبع من كهف، ثم يخبرنا واضع النص أن الإسكندر وجنوده ارتقوا جبلا عاليا، وأنه من فوق قمة الجبل رأى الجهات الأربع للسماوات، والمقصود أنه رأى أطراف العالم الأربعة، ثم يقرر الإسكندر التوجه إلى الشمال فيصل إلى (أرمينيا)، و(أذربيجان)، ونفهم من ذلك أنه وصل إلى منطقة القوقاز.

وبعد أن يذكر لنا واضع النص بعض المواضع الخرافية، يخبرنا أن الإسكندر عسكر بجيشه عند ممر جبلي عند جبل عظيم يطلق عليه جبل موسى، ثم أرسل رجاله إلى سكان هذه المناطق ليطمئنوهم أنهم لم يأتوا للغزو، وليطلبوا من الناس إرسال 300 شيخ من شيوخ المناطق لمقابلة الإسكندر، وعندما قابلهم الإسكندر سألهم من يكونون ولمن يدفعون الضرائب، ومن ملك هذه البلاد؟، فأخبروه أن ملك هذه البلاد هو (تولبارك) ملك الفرس، وأنهم يدفعون الضرائب إليه.

ثم يسألهم الإسكندر عن الجبل العظيم الذي عسكر عند سفحه، والذي نفهم أنه جبل موسى، فيخبره الشيوخ بأنه يمتد حتى الهند، وأن به ممرات لو سار بها إنسان بدون أن يكن معه أجراس تصلصل، فإنه يهلك في الحال، كما أخبروه أن الجبل هو الحد الفاصل الذي جعله الله بينهم وبين (الهُن) على الجهة الأخرى.

ثم يسألهم الإسكندر عن (الهن)، فيخبره الشيوخ بأن ملوك (الهن) هم: **جوج، وماجوج**، و(نوال)، وهم ملوك أبناء (يافث)، وأن بعض (الهن) عيونهم زرقاء، وبعض نساؤهم محاربين، ذوات ثدي واحد، كما ذكروا له أن (الهن) يلبسون الجلود، ويأكلون اللحم النيء والموتى، ويشربون دماء البشر والحيوانات، وهم لايحبون مهاجمة الحصون والمدن، وإنما يفضلون المناطق المفتوحة، وهم أسرع من الريح، وهم يجرون بين الأرض

والسماء لأنهم سحرة، ورماحهم وسيوفهم وعرباتهم تلمع كالبرق، وجميع البشر يخافونهم لأنهم غير محبين لجنس البشر.
ثم يسألهم الإسكندر عن الأمم التي تسكن وراء (الهن)، فيخبره الشيوخ أن وراء (الهن) يوجد سكان (بيت أمرداث) -Beth Amardath، والناس الكلاب، ووراء الناس الكلاب توجد أمة (المينين) Menine، ووررائها أودية وسهول وكهوف خالية سوى من الحيَّات العظيمة، والتي تبتلع أي إنسان يذهب هناك، ووراء ذلك جنة عدن، وهي معلَّقة بين الأرض والسماء، تحيطها البحار والبحر المحيط المنتن.
ونلاحظ في هذا الجزء أن واضع الأسطورة يفاجئنا بأن الإسكندر في منطقة قريبة من (أرمينيا) و(أذربيجان)، وذلك رغم أنه أنهى الجزء السابق بأن الإسكندر ذهب إلى أقصى غرب العالم، كما نلاحظ أن واضع النص يقول أن الإسكندر تعجب كثيرا من البحرالمحيط المنتن، ويبدو أنه نَسى أنه ذكر لنا أن الإسكندر في القسم الأول من الأسطورة قد وصل إلى هذا البحر بنفسه، وأنه أرسل بعض الجنود إلى البحر، وأنه رآهم يموتون عندما اقتربوا منه، وأرى أن هذين دليلين على أنه في وقت من الأوقات كان القسم الأول والقسم الثاني من الأسطورة المسيحية روايتين منفصلتين.
كما أنه من الجدير بالذكر أن النص مليء بالخرافات الجغرافية، والمستمدة من أساطير اليونان، كما نلاحظ أن الجزء الأخير والذي يصف الأمم التي وراء (الهن) يشبه ما جاء في رواية عقبة بن عامر المرفوعة، وربما كان هو مصدر الرواية.

بناء البوابة:

ثم يحدثنا واضع الأسطور عن بناء البوابة فيقول أن الإسكندر قرر بناء البوابة من الحديد والنحاس مستعينا بثلاثة آلاف حداد يعملون في الحديد، وثلاثة آلاف حداد يعملون في البرونز، وقام

الحدادون بوضع البرونز على الحديد وعجنوهما كما يُعجن الصلصال، وصنعوا البوابة طولها إثنى عشرة ذراعا وعرضها ثمانية أذرع، وجعلوا العارضة السفلية والعلوية كل منهما إثنى عشرة ذراعا.

ونلاحظ خرافية الفكرة؛ فكيف يعجن المعدن المنصهر كما يعجن الصلصال الذي يعجن باليد؟

النبوءة:

ثم يقص علينا واضع/واضعي النص كيف أن الإسكندر نقش على البوابة نبوءته عن هجوم (الهُن) في الأزمنة التالية، فأخبر أن (الهن) سوف يخرجون ويحتلون بلاد الروم والفرس، ثم يعودون مرة أخرى لبلادهم، ولكنهم في تمام 826 عام سوف يخرجون ثانية، ويأسروا شعوب المنطقة، ويقطعوا الطرق، ويجعلون الأرض تهتز بسبب خروجهم.

وفي تمام 940 عام عندما تأتي نهاية العالم، فإن المخلوقات سوف ترتكب المعاصي وسوف تزيد ذنوب الناس حتى تصل عنان السماء، لذا فإن الله سوف يجمع الأمم التي وراء البوابة، وسوف يحتشدون خلفها بسيوفهم ورماحهم وينظرون إلى السماء ويسألون الله أن يفتح البوابة لهم، وسوف يرسل الله إشارة من السماء، وسوف ينادى صوت من السماء البوابة فتتحطم وتسقط بإشارة من الله، ولن تُفتح البوابة بالمفتاح الذي صنعته لها.

وسوف تمر حشود (الهن) من البوابة التي صنعها الإسكندر، وسوف تتحطم العارضة السفلية بحوافر خيل الجنود، وتتحطم العارضة العلوية بأسنة رماح جنود (الهن).

وعند خروج (الهن) سوف يأمر الله ممالك (الهن) والفرس والعرب أن تأتي من أطراف السماوات، وأن تشتبك في معارك طاحنة، وسوف تذوب الأرض في الدماء وأشلاء الرجال، ولكن

مملكة الإغريق سوف تأتي، وستذوب قوى الأمم أمامها، ولن تقف أمة أمام أمة الروم.

ويجعل واضع الرومانسية الإسكندر يستشهد بماورد في سفر (إرميا): "سينفتح الشر من الشمال على كل سكان الأرض".

ونلاحظ على هذا الجزء من الأسطورة المسيحية عدة ملاحظات:

الأولى: أن واضع النص يخبرنا أن البوابة سوف تندك ثم يعود فيخبرنا بمرور قوات يأجوج ومأجوج من البوابة، ويبدو لي أن النص الأصلي كان يتحدث عن مرور القوات من البوابة، وأنه لما نزل القرآن يخبر عن دك السد وانتشر القرآن في مناطق السريان، أخذوا هذه (التيمة) من القرآن، وتم اقحامها في السياق.

الثانية: أن فكرة تجمُّع (الهن)/ يأجوج ومأجوج ودعائهم لله بفتح البوابة يشبه الحديث الذي ورد في المصادر الإسلامية، ورُفع إلى الرسول خطأ وهو من كلام كعب، وربما يكون مصدر رواية كعب.

الثالثة: يقول الدارسون أن هذه النبوءات - مثلها مثل بعض نبوءات العهد القديم- قد كتبت بعد الحدث، والموعد الأول المضروب وهو 826 بعد بناء البوابة يوافق هجوم (الهن-السافير) Hunnic-Savirs, عام 515 ميلادية، والموعد الأخير المضروب وهو 940 عام بعد بناء البوابة يوافق هجوم (الخزر)، والذي حدث عام 628 ميلادية، واستنتجوا من ذلك أن النص قد أعيد صياغته في عام 628, بعد غزو (الخزر) على أقل تقدير.

الرابعة: هناك رأي مُوَافق عليه بين الدارسين أن هذا النص قد صيغ كدعاية للقيصر (هرقل) بعد انتصاره على الفرس واسترداده بيت المقدس والصليب المقدس، مستدلين بالجزء الأخير من النص الذي يتنبأ فيه الإسكندر بانتصار الروم في آخر الزمان.

الخامسة: يقول بعض الدارسين أن آخر تاريخ لتعديل النص سابق على فتح المسلمين للعراق والشام عام 636 ميلادية، ويستدلوا على ذلك بخلو النص من أي ذكر لفتح العرب المسلمين، غير أن هذا مردود عليه بأنه قد يضاف للنص بعض تفاصيل دون ذكر فتح العرب للبلاد، ولقد خضعت نصوص رومانسيات الإسكندر للتطوير باستمرار.

وبشكل عام فإن في القسم الثاني من الأسطورة المسيحية، بينما يؤكد واضعي الأسطورة المسيحية أن الإسكندر قد بنى بوابةً في ممر جبلي في أحد سلاسل الجبال، فإن القرآن يخبرنا أن ذا القرنين بنى **سدا/ردما**، بين جبلين ينتميان إلى سدين/سلستي جبال مختلفتين، وبينما امتلأ نص الرومانسية **بالأخطاء** الجغرافية، والعلمية عن موضع (الهن)، والأمم التي وراءهم، وعن طريقة بناء البوابة، فإن النص القرآني قد خلا تماما من أية أخطاء.

وقد يقول قائل إن المستشرقين يقرُّون بخرافية بناء البوابة في الأسطورة، فما الداعي لتأكيد ذلك؟

الهدف هو إظهار **استحالة** كتابة نص في القرن السادس الميلادي، أوالسابع الميلادي مثل هذا دون الوقوع في أخطاء هائلة سواء جغرافية، أوعلمية، أوتاريخية، أومنطقية. وهذا يؤكد أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لو كان القرآن قول بشري المصدر لوقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها كتّاب الرومانسية، أو وقع في بعضها على الأقل.

ولا يمكن القول بأن عدم وقوع في أخطاء هو ناتج عن قِصَر النص القرآني، لأننا وجدنا روايات إسلامية قصيرة جدا وتقع في العديد من الأخطاء.

أصول فكرة بناء الإسكندر لبوابة حديدية في القوقاز، والنبوءة بهدمها آخر الزمان:

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هل بنى الإسكندر الأكبر بوابة حديدية في القوقاز حقا؟ أم أن الأمر لايعدو حكاية خرافية من حكايات الإسكندر؟

الحقيقة أن هناك إجماع بين الباحثين في هذا المجال على أن الإسكندر المقدوني لم يبن بوابة حديدية في القوقاز، بل إنه لم يذهب إلى منطقة (القوقاز) من الأساس، وهذا هو الثابت في المصادر التاريخية التي تتحدث عن الإسكندر، ومن أهمها كتاب (إريان).

إن أول من ذكر أن الإسكندر بنى بوابة من الحديد ليصد هجمات المتوحشين هو (جوزيفس) المؤرخ اليهودي[434]، وهؤلاء المتوحشين هم (السكيث)، والذي ذكر في موضع آخر أنهم هم يأجوج ومأجوج[435].

ومن العجيب أن (جوزيفس) يذكر أن بعض الملوك قد فتح بوابة الإسكندر ليُمرر هذه القبائل المتوحشة[436].

وبعد (جوزيفس) نجد أن القديس (جيروم) St.Jerom والذي لقب بالقديس في كل من الكنيستين الكاثوليكية والشرقية، قد كتب في رسالته رقم 77 والمعنونة بـ (إلى الأقيانوس) (To Oceanus) يقول فيها: "لأن الأخبار جاءت بأن حشود الهُن تدفقت عبر كل الطريق من ميوتس...حيث تحجز بوابة الإسكندر الناس المتوحشين خلف القوقاز"[437].

---

434 - Jewish War 7.244-251

435 - Jewish Antiquities 1-123

436 - Jewish War 7.244-251& Jewish Antiquities 18.97

437 - Wwwnewadvent.org/fathers/3001077.htm

وبعد القديس (جيروم) نجد المؤرخ (جوردانس)Jordanes -المتوفى عام 555 ميلادية- يذكر كيف أن الإسكندر بنى بوابة في القوقاز، وأنها سُميت بعد ذلك بوابة قزوين[438].

أما المؤرخ البيزنطي (بروكوبيس) Procopius of Caesarea المتوفى بعد عام 562 ميلادية، فلقد زعم أن (الهُن) هم يأجوج ومأجوج وأن الإسكندر أغلق عليهم بوابته[439].

وفي النهاية تأتينا حوليات (فرديجار) لتخبرنا أن القيصر هِرَقْل فتح بنفسه بوابة الإسكندر التي في القوقاز ليستعين بالقبائل المتوحشة على قتال العرب المسلمين، أثناء فتح الشام[440].

ومن الملاحظ أن (جوزيفس) في القرن الأول الميلادي هو أول من ذكر أن الإسكندر بنى بوابة في القوقاز، كما أنه الوحيد -كما يبدو- الذي جعلها بوابة حديدية.

ويبدو لي أن جوزيفس أخذ الفكرة من **الدوائر اليهودية التي كانت تعيش بالإسكندرية** في هذا الوقت من اليهود المتأغرقين، وأن الفكرة بدأت كحكاية من حكايات الإسكندر.

والسؤال الآن هو لماذا الإسكندر؟، ولماذا بوابة، وليست جدارا؟ ولماذا من حديد؟

أرى أن منشأ الفكرة هو **الاستلهام من الأساطير اليونانية**، فـ (هومر) يقص علينا كيف أن (التيتان) حُبسوا في (التارتروس)

---

438 - JORDANES THE ORIGIN AND DEEDS OF THE GOTHS translated by Charles C. Mierow http://people.ucalgary.ca/~vandersp/Courses/texts/jordgeti.html

439 Historia and Fabula.page 125 De bello Persico 1.10 Peter G. Bietenholz

440 - Peter G. Bietenholz, Historia and Fabula.page 125, Fredegar 4.66

خلف بوابة من الحديد، و(هسيود) يقص علينا كيف أن (الكُكلوبز) حُبسوا أيضا في (الترتروس) خلف بوابة من البرونز.

كما أننا رأينا كيف امتزجت رومانسيات الإسكندر بالأساطير اليونانية منذ مراحل الرومانسيات المبكرة.

ويبدو أن بعض كتَّاب الإسكندرية كان يدرك الصلة بين (الترتروس) و(التيتان) و(الكُكلوب) من جهة وبين سكان سهوب شمال القوقاز ووسط آسيا والقبائل المتوحشة التي تعيش هناك من جهة أخرى.

أما النبوءة التي نجدها في الأسطورة المسيحية، والتي تقول بأن البوابة ستفتح أو تهدم في آخر الزمان وستخرج القبائل المتوحشة من وراء البوابة لغزو العالم، هذه الفكرة ربما استمدها واضعها من سفر حزقيال، ونبوءته التي تتحدث عن هجوم يأجوج ومأجوج على بني إسرائيل في أرض فلسطين آخر الزمان، ويؤكد ذلك عبارة في سفر (إرميا)، نجد أن واضعو الأسطورة المسيحية يضعونها على لسان الإسكندر الأكبر:"من الشمال سوف ينفتح الشر على كل سكان الأرض"[441].

اتهام الدارسين الغربيين للقرآن بالاستلهام من الأسطورة المسيحية:

يزعم منتقدو القرآن أن القرآن أخذ من الأسطورة بضع (تيمات)، بحيث أنه لايمكن أن تكون مصادفة، وهو ما جعل (نولدكه) ومن بعده جمهور الباحثين الغربيين يقولون أن القرآن استلهم من الأسطورة المسيحية السريانية، وهذه (التيمات) هي:

1- إيمان الإسكندر، وهو لم يكن مؤمنا.
2- فكرة الذهاب إلى أقصى العالم، وهو تاريخيا لم يذهب.
3- فكرة بناء السد/البوابة من حديد ونحاس ليصد يأجوج ومأجوج، وهو لم يبن أية سدود أو بوابات.

---

[441] - إرميا 1 :14.

4- فكرة النبوءة بهدم البوابة آخر الزمان، وخروج يأجوج ومأجوج على الناس، وليس هناك بوابة تحجز أناسا، فهي فكرة خرافية.

5- ذكر قرنين للإسكندر، وهي فكرة معتمدة على صورة الإسكندر على العملة وهو يرتدي قرني (آمون)، ولقد كانت هذه العملة شائعة جدا، وهو لم يكن لديه قرنان.

6- ذكر البحر المنتن، والتعبير عنه بأن الشمس تغرب في عين حمئة، وهو بالطبع محض خرافة.

7- ذكر سكان المشرق الذين ليس بينهم وبين الشمس حاجز، وهي فكرة خرافية أسطورية.

8- جاء السؤال عن ذي القرنين مع السؤال عن أصحاب الكهف، فكما استلهم القرآن قصة ذي القرنين من الأسطورة المسيحية في المصادر السريانية، فإن نفس المصادر السريانية تذكر قصة النائمون السبعة.

وقد حاول بعض الفاضلين من الباحثين المسلمين في الرد على هذه الشبهات إثبات أن الأسطورة المسيحية السريانية **كتبت بعد نزول القرآن**، وأنها مشابهة بدرجة أكبر للروايات التي وردت في التفسير حول قصة ذي القرنين[442].

غير أنني أرى أن هذا لا يحل المشكلة؛ فمعظم (التيمات) التي ذكرتْها الأسطورة المسيحية هي تيمات قديمة أقدم من نزول القرآن.

فوصول الإسكندر إلى نهاية العالم ذُكر بالفعل في سفر (المكابيين) في القرن الأول قبل الميلاد، وذكر أيضا ضمنيا في حكاية/رومانسية عين الحياة، وبناء الإسكندر لبوابة من الحديد لترد المتوحشين ذكره (جوزيفس) في القرن الأول الميلادي، وقرني الإسكندر هي فكرة قديمة قدم العملة التي أصدرها (ليسيماخوس) Lysimachos of Thrace أحد خلفاء

---

[442] - On The Sources Of The Qur'anic Dhul-Qarnayn

الإسكندر، وقد صُكت في القرن الثالث قبل الميلاد، وفكرة أن المحيط الأطلنطي مُوحل، هي فكرة قديمة ترجع لعصر أفلاطون وأرسطو أستاذ الإسكندر نفسه، أما فكرة أن الناس في أقصى شرق العالم يتعرضون لأشعة الشمس مباشرة فهي فكرة بدائية شديدة القدم، ونجدها أيضا في الأساطير اليونانية.

أما ما جاء جديدا في الرومانسية وهو مشابه للنص القرآني فهو أن الإسكندر الأكبر مؤمن موحِّد، والأمر الآخر هو نبوءة أن البوابة ستُفتح أوتتحطم آخر الزمان، وسيخرج يأجوج ومأجوج من ورائها على العالم.

ويمكنني القول أن نقاط التشابه التي أشار إليها المستشرقون بين الأسطورة المسيحية والقصة القرآنية، تـ**ظل مجرد نقاط تشابه**، وليس تطابق ولاقتباس، ففي الأسطورة المسيحية ليس هناك رحلة حقيقية إلى مغرب الشمس ثم إلى مشرق الشمس، كما أن ليس هناك عين حمئة حامية، ولاذكر لتعذيب كافري مغرب الشمس، ولا لإحسانٍ لمؤمنيهم، ولاذكر للسدين، ولا للمنطقة التي دونهما، وفي الأسطورة تُبنى بوابة وليس سدا/ردما، هذا غير عشرات الأخطاء التاريخية، والجغرافية والعلمية التي لم يقع فيها النص القرآني.

أما سبب التشابه بين قصة ذي القرنين في القرآن، ورومانسيات الإسكندر فهو ما أفردتُ له **المبحث السادس من هذا الفصل.**

المبحث الخامس: أوجه أخرى للتشابه بين القصة القرآنية وقصص الإسكندر

وأثناء بحثي في المصادر المختلفة عثرت على أوجه جديدة للتشابه بين تاريخ وحكايات/رومانسيات الإسكندر الأكبر من جهة، وبين قصة ذي القرنين القرآنية من جهة أخرى، وهذه

التشابهات تتعلق برحلة الإسكندر لواحة سيوة في مصر، ومقابلته للحكماء الهنود في الهند.

أولا: رحلة الإسكندر إلى واحة سيوة:

يخبرنا كل من (آريان) و(استرابو)، و(بلوتارخ)، وديدور الصقلي أن الإسكندر زار واحة سيوة المصرية، ويقول (آريان) أنه يعتمد في روايته على ما كتبه كل من (بطليموس Ptolemy, و(أرستوبلس) Aristoboulos, وهما كانا شاهدا عيان على زيارة الإسكندر للواحة، وهو مما يعطي رواية (آريان) قوة وتأكيدا.

ويقول المؤرخ أن الإسكندر زار سيوة ليذهب إلى معبد (آمون)، ليستشير الإله (آمون) الباطل في بعض الأمور، ورغم أن واحة سيوة كانت تقع بعيدا عن بلاد اليونان، إلا أنها كانت تعد ثالث موقع مقدس لليونانيين القدماء، وكانوا يعتقدون اعتقادا جازما أنه يمكن استشارة الإله/الصنم (آمون) في الأمور المختلفة، وأن الجواب يكون عن طريق إلهامٍ يُلهِم به الإله/الصنم كاهنَ المعبد، والذي بدوره يُخبر السائل.

والمفاجأة أنني عثرتُ على نص (لهيرودت) والذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أي قبل الإسكندر بأكثر من مائة عام- يذكر فيه عينًا في واحة سيوة، يقول النص:



الشكل رقم (309) بقايا معبد آمون في واحة سيوة حيث ذهب الإسكندر الأكبر.

"وللآمونيين نبعٌ آخر غير الذي يخرج من الملح، إن ماء هذا النبع يكون فاترا عند الفجر، وعندما تنشط الأسواق يكون أبرد، وعند الظهيرة يكون باردا تماما، وفي هذا الوقت يسقون حدائقهم، وبعد الظهيرة تذهب برودة الماء تدريجيا، وعند الغروب يعود الماء فاترا مرة أخرى، وتظل حرارة الماء تزيد حتى أن الماء **يغلي** ويفور عند منتصف الليل، وبعد ذلك يبرد تدريجيا حتى الصباح، وهذا النبع يُطلق عليه عين الشمس"[443].

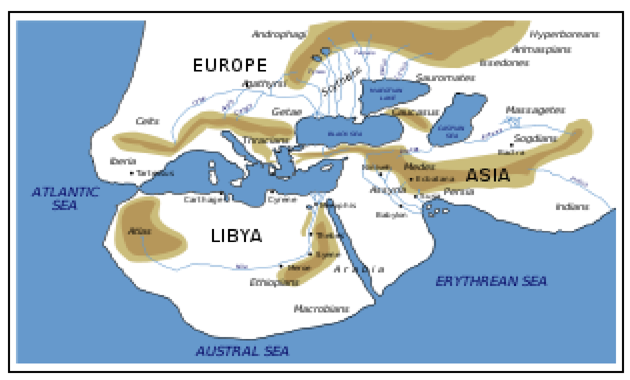
فهنا نجد عدة تشابهات مع قصة القرآن الكريم:

1- فواحة سيوة هي أبعد مكان جهة الغرب ذهب إليه الإسكندر.

2- هناك عين كانت تُسمى قبل الإسكندر بعين الشمس.

3- يقول (هيرودت) أن العين كانت تغلي أي أنها عين حامية.

غير أنه لا يمكن إطلاق اسم مغرب الشمس على واحة سيوة، فعلميا الأرض تمتد بعدها جهة المغرب مسافات شاسعة، كما أن القدماء من قبل (هيرودت) كانوا يعلمون ذلك.



الشكل رقم (310) خريطة العالم حسب وصف هيرودت، ويتضح فيها أن سيوة لا تقع في النهاية الغربية للعالم

[443] - Herodotus Book 4.181

وصحيح أن العين كانت تُسمى عين الشمس، غير أنه لايمكن لأحد أن يرى الشمس كأنها تهبط في هذا العين، أولاً لأنها صغيرة، ثانياً لأنها تقع في مكان منخفض، فإذا كُنتَ قريبا منها أو بعيدا عنها سترى الشمس تهبط وراءها في الأفق.

وقد قال (هيرودت) أن العين تغلي، ولكنه ذكر أنها تغلي عند منتصف الليل، بينما عند الغروب فإن ماء العين يكون فاترا، وهذا مخالف لنص الآية التي تقول أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة حامية، كما أن ماء العين الآن لا يغلي مطلقا، وهو ليس عكرا أو موحلا، ولاتنبعث منه رائحة كريهة، أي أن العين ليست حامية ولاحمئة[444].

ثم أنه لايوجد ذِكرٌ أن الإسكندر قد ذهب إلى هذه العين، أو رآها، أو أنه شاهد غروب الشمس في العين.

ثانيا: الهنود العراة الذين قابلهم الإسكندر في الهند:

يقول (هيرودت) في وصفه للهند: "أن الهنود يعيشون في المكان الأقرب إلى الشرق، وإلى مطلع الشمس، وأن ماوراءهم إلا الصحاري والرمال"[445].

ويقول أن هناك شعب من الهنود يعيش حياة بسيطة متقشفة، وهم "لا يملكون منازل للسكنى"[446].

وقد أخبرنا (بلوتارخ)، و(آريان) أن الإسكندر قابل الحكماء الهنود، ولقد ذكرا أن هؤلاء الحكماء كانوا عراة؛ فلقد أطلق عليهم (بلوتارخ) الفلاسفة العراة Gymnosophists, وذكر (آريان) أنهم كانو عراة.

---

[444] - فيديو لعين الشمس وماؤها غيرعكر

http://www.youtube.com/watch?v=qF5_4gqhPp4

[445] - Herodotus The History of the Persian Wars A Description of India III.98

[446] - نفس المصدر السابق.

ولقد نشأت حكاية/رومانسية حول مقابلة الإسكندر لهؤلاء القوم، وفي الرومانسية يحي لنا بشكل أسطوري واضع الرومانسية لقاء الإسكندر للهنود، وحواره معهم، وما يهمنا هنا أن واضع الرومانسية يؤكد على كون القوم الذين قابلهم الإسكندر الأكبر في الهند كانوا من العراة، وليس لديهم منازل يسكنون فيها، بل يعيشون في العراء، وربما كان يستلهم مما ذكره (هيرودت) عن بعض أقوام الهند.

وهذه الرومانسية هي التي حوَّلها اليهود لمقابلة بين الإسكندر ويهود الهند من طائفة (الإيسينيين)، كما فصَّلتُ في الصفحات السابقة.

وهنا نلاحظ أوجه للتشابه بين ما ذكرتُه من نص (هيرودت)، وتاريخ الإسكندر، ورومانسية الإسكندر من جهة، وبين النص القرآني من جهة أخرى:

1- (فهيردوت) يخبر أن الهنود هم أقرب الناس لمشرق الشمس، وليس وراءهم أمة أخرى، فيمكن القول أنهم يسكنون في مطلع الشمس.

2- و(آريان) و(بلوتارخ) يخبرانا عن مقابلة الإسكندر للفلاسفة العراة.

3- وإحدى رومانسيات الإسكندر تخبرنا أن الإسكندر التقى في الهند قوما عراة لاملابس لهم، ويعيشون في العراء، فلا منازل لهم.

والقرآن يقول: "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا"، فكأن الهنود الذين بلا ملابس ولابيوت تقيهم وهج الشمس، ويسكنون أقصى شرق العالم المعمور، ووصل إليهم الإسكندر وقابلهم هم المقصودون بالآية.

وهذا تشابه قوي، غير أن قول الآية: "حتى إذا بلغ مطلع الشمس" فاصل في أن القوم يسكنون أقصى شرق العالم، أي آخر

الأرض جهة المشرق، وليس قبل الصحاري والرمال كما يدعي نص هيرودت، وقول الآية: **"وجدها تطلع"**، هو إشارة إلى أن المقصود قوم يسكنون المرتفعات، في منطقة أقصى شرق العالم، وهو الأمر المنطبق على سكان أودية المرتفعات في جزيرة غينيا الجديدة، وليس على الهند.

كما أنه لا بد من القول بأن المصادر التاريخية مثل (هيرودت)، و(آريان)، و(بلوتارخ) وغيرهم من المؤرخين، لم يكن ليهود الجزيرة إليها من سبيل، ومن غير المتصور أن يصل إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الأمي من قوم أميين لايقرأون العربية، فمابالك باليونانية.

المبحث السادس: تفسير مشابهة قصة ذي القرنين لحكايات وتاريخ الإسكندر

توصلت ففي هذا البحث أن ذا القرنين هو نبي قديم أقدم كثيرا من الإسكندر الأكبر، ورغم ذلك لانزال نلحظ أن **التشابه** بين النص القرآني من جهة والحكايات/الرومانسيات حول الإسكندر، وخصوصا الأسطورة المسيحية من جهة أخرى، وهو **تشابه أكبر من أن يكون مصادفة**، فياترى ما السر وراء كل هذا التشابه؟ **ألم يكن من الأفضل أن يبتعد القرآن عن أي وجه مشابهة مع نصوص الإسكندر؟**

تحليل روايات سبب النزول:

لتفسير وجود هذا التشابه نحتاج لمراجعة أسباب نزول آيات ذي القرنين؛ تقول أشهر الروايات التي جاءت في نزول قصة ذي القرنين أنه عندما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام فإن قريشا قررت أن ترسل بعضا من رجالها إلى أحبار يهود المدينة، لتسألهم عن محمد صلى الله عليه وسلم، فأرسلوا (لجنة)

مكونة من رجلين اثنين: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وفي رواية أخرى خمسة أفراد، منهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وقالت قريش للرجلين: "سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء".

يمكننا أن نفهم أنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشا أنه نبي من عند الله، وقرأ عليهم آيات القرآن وهي تنهى عن عبادة الأصنام، وتذكر موسى وداوود وسليمان، فإن رجال قريش وجدوا شبها بين كلام النبي وكلام اليهود في عصرهم، فاليهود لا يعبدون الأصنام، وهم يذكرون الأنبياء ومنهم موسى، ويقرأون في كتبهم، فبرغم أن قريشا لم تدن باليهودية، غير أنها كانت تثق أن أحبار اليهود - بما لديهم من علم- أقدر على معرفة حقيقة إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أم لا.

تقول الرواية أنه عندما سأل الرجلان أحبار اليهود عن النبي، ووصفاه لهم، فإن الأحبار طلبوا منهما أن يسألا النبي عن ثلاثة مسائل:

1- "عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب".

2- و"**عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه".**

3- و"عن الروح ما هو".

وإذا قمنا بتحليل هذا الجزء من الرواية يمكننا القول: بأنه من المنطقي أن يحاول أحبار اليهود أن يسألوا النبي **عن شيء لا تعرفه العرب،** فقريش تُقيم في مكة، وتستقبل العرب من كافة أنحاء الجزيرة العربية كل عام في موسم الحج، فلابد أن يكون القرشيون ملمِّين بأخبار العرب، وأيامهم، وملوكهم، وأساطيرهم أيضا، فليس من المنطقي أن يختبروا القرشي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما هو أدرى به منهم.

وقد يقول قائل: الأقرب للمنطق أن يسألوه عن رجل قصته في كتبهم هم، وأنا أتفق معه في ذلك، ولكن الظاهر لي أن أحبار يهود المدينة شكُّوا في أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم اتصل أو يتصل ببعض اليهود في الجزيرة، فلم يسألوه عن رجل مذكور في كتبهم، وذلك رغم أنها كانت كتب سرية، لايطلع عليها إلا أقل القليل.

والأدلة على ذلك أنه ليس هناك في التوراة حديثا عن رجل طواف، ذهب المغرب، والمشرق، وبنى سدا، وليس هناك في كتبهم ذكر لأصحاب الكهف، ولا عن طبيعة الروح، ولقد وردت رواية تشير إلى هذا المعنى، وحتى لو كانت هذه الرواية غير صحيحة فإنه تعبر عن معنى دار بخلد بعض الناس في صدر الإسلام، ففي رواية عن السدي: قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: **"**يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين أنك سمعت ذكرهم منا،...**"**[447].

فياترى من أين أتى اليهود بأسئلتهم الثلاثة؟ أرى أنهم أتوا بها من **البيئة السريانية** من نصارى الشام، فرومانسية الأسطورة المسيحية عن الإسكندر كانت موجودة في البيئة السريانية قبل الإسلام، كما أن أصحاب الكهف الذين سأل اليهود عنهم النبي مذكورين في نفس المصادر، حتى أن بعض النصوص عن أهل الكهف منسوبة للقديس يعقوب السروجي، وهو نفس القديس الذي نُسبت إليه رومانسية الأسطورة المسيحية عن الإسكندر الأكبر، كما أنه هناك كتابات فلسفية سريانية عن ماهية الروح ترجع لنفس العصر.

وربما يعضد ما جاء في رواية السدي، من أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: **"**...فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد**"**[448]، وليس هناك نبي ذكر في التوراة

---

[447] - أخرجه ابن أبي حاتم.

[448] - أخرجه ابن أبي حاتم.

في مكان واحد وإنما الرواية تقصد - فيما أرى- الإسكندر الأكبر الذي ذُكر مرة واحدة في سفر (المكابيين)، وهذا السفر لايعتبره اليهود وحيا من عند الله بينما تتمسك به الكنائس الشرقية، وتعده من العهد القديم.

إذا لقد إختار اليهود أن يسألوا النبي ثلاث أسئلة من خارج نطاق اتصال النبي الجغرافي، ومن خارج دائرة اتصاله اللغوي، ومن خارج نطاق اتصاله الديني المتوقع، وهذا يجعل هذه الأسئلة صعبة حقا.

ويبدو لي أن أحد أحبار اليهود قد سافر – ربما مصادفة- في وقت سابق على حادثة السؤال واضطلع على بعض أساطير السريان، وأنه كان متأكدا من أن لا أحد من يهود الجزيرة - فضلا عن عربها- على علم بحكاية الإسكندر أي الأسطورة المسيحية عن الإسكندر، أو قصة أصحاب الكهف، أو الآراء الفلسفية حول ماهية الروح، وأرى أن هذا الحبر هو الذي اقترح هذه الأسئلة.

وفي الرواية الأشهر عن ابن عباس نجد أن اليهود لا يذكرون اسم ذي القرنين، فقط يقولون رجل طوَّاف، بينما في روايات أخرى ذكر اليهود اللقب "ذا القرنين" في سؤالهم، وأرى أن تلك الروايات التي ذكرت اللقب ذا القرنين هي روايات قد **رويت بالمعنى**، وتفتقر الدقة، فرغم أن الإسكندر رسم بقرني (آمون) على العملة، وتحدثت الرومانسيات عن قرنيه، إلا أنه لم يُطلق عليه لقب ذي القرنين قبل نزول آيات القرآن الكريم.

بقي أمر واحد وهو أن المرء يشعر أن الإسئلة **مفتوحة** بشكل كبير بمعنى: رجل طوَّاف؟ قد يكون أي رجل، وفتية ذهبوا؟ قد يكونوا أية فتية، وماهية الروح؟ قد يقال في ذلك أي كلام.

ما أود أن أشير إليه هنا هو أن جزءا كبيرا من السؤال هو محاولة معرفة إن كان النبي محمد يعلم من يقصدون في صدورهم، فلسان حالهم يقول: أخبرنا - لو كنت نبيا يا محمد- عمن نقصد بسؤالنا، فلو ذكر لهم النبي رجلا طوافا غير الإسكندر

الأكبر مثلا فسوف يعتبر اليهود الإجابة إجابة خطأ، ولو أجاب عن سؤال الفتية بأي فتية كان أمرهم عجبا، غير أصحاب الكهف لاعتبر اليهود أن الإجابة خطأ، ونفس الأمر بالنسبة لسؤالهم عن الروح إن أية إجابة غير ما قرأه أو درسه الحبر بالسريانية من فلسفة حول ماهية الروح، كان سيعلِّق عليه اليهود بأنه إجابة خطأ.

ربما يعضد ذلك الفهم ما أراد واضع رواية عقبة بن عامر أن يوصله لنا، فالرواية تقول بأن النبي علم الأسئلة قبل أن يسأله إياها اليهود، وأنه هو الذي أخبر اليهود بها.

منهج القرآن في الرد على تحدي اليهود بالسؤال عن الرجل الطوَّاف:

بعد دراستي للموضوع من شتى جوانبه توصلت لما يمكنني أن أسميه **منهج القرآن** في الرد على سؤال اليهود، لقد كان اليهود المكلفين من قبل كفار مكة يسألون النبي على سبيل التحدي، ولكن ويالأسف كانوا لايعلمون الإجابة الصحيحة عن أسئلتهم، فهم يسألون عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ويقصدون الاسكندر الأكبر الأسطوري وليس الإسكندر الحقيقي، يعتمدون على نص الأسطورة المسيحية والتي يصدقونها فيظنون أن إجابة سؤالهم الصحيحة هي أن الطوَّاف هو الإسكندر، وأنه بلغ أطراف الدنيا، وأنه كان مؤمنا، وأنه بان البوابة التي تحجز المتوحشين ورائها.

ولقد اختار القرآن أن يذكر قصة الطوَّاف الحقيقي باني السد، ولكنه صاغ القصة القرآنية بحيث يَفهم منها اليهود ومن ورائهم العرب أن القرآن يقصد الإسكندر الأكبر كما حكت عنه الأسطورة المسيحية وغيرها من الرومانسيات، وذلك رحمة باليهود وبالعرب، بل وبباقي الأمم في هذه الأعصار الذين لم تبلغ معارفهم حقائق قصة الاسكندرالأكبر، فكان ذلك من باب

مخاطبتهم بما يعرفون، من دون أن يتطرق الباطل إلى القصة القرآنية.

والقرآن إذ اختار هذا المنهج فإنه عمد إلى قصة ذي القرنين الحقيقي، والأسطورة المسيحية حول الإسكندر، فانتقى من الأحداث ما يتشابه بين القصتين، وفي سبيل ذلك أعرض عن قصص كثيرة ومعلومات هامة عن ذي القرنين الحقيقي، وأشار إلى أن ماسيذكره عن ذي القرنين هو طرفا من أخباره: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا".

أما ما اهتم القرآن بذكره:

1- أن الرجل كان مؤمنا، ملكا، صاحب علوم، وكان له علاقة بقرنين.

2- أنه بلغ أطراف العالم حيث تغرب الشمس وتشرق.

3- أنه بنى بناء ليحمي القوم الضعفاء من جيرانهم المفسدين البرابرة.

4- أنه تنبأ بانهيار هذا البناء في المستقبل.

أما عن الطريقة التي توسل بها القرآن فتتمثل في:

1- الابتعاد عن الالفاظ والجمل التي تقطع بأن الشخصية التي يتحدث عنها هي الاسكندر الأكبر: فلا نجد في القرآن مثلا اسم الاسكندر أو أنه رومي، أو أنه بان الإسكندرية، كما لا نجد تحديدا لتاريخ حياته، أو أسماء الأمصار التي فتحها.

2- اعتماد الألفاظ والجمل المفتوحة، أو التي تتحمل وجهين أو أكثر من المعاني، فقوله "ويسألونك عن ذي القرنين" تحتمل أن يكون هذا لقبا من ألقابه، كما تحتمل ما قيل في الأسطورة أن الإسكندر كان له قرنان في رأسه، وقوله: "مكنًّا له في الأرض" يحتمل أنه كان ملكا أو غير ذلك، والأرض المقصودة قد تكون اليونان أومصر أوغيرها من البلدان، وقوله: "آتيناه من كل شيء سببا" قد يكون هذا التعليم عن طريق الوحي، أوعن طريق

المعلمين من البشر،وقوله: "فأتبع سببا" قد يكون طريقا في البر أو طريقا في البحر، وهكذا.

3- المجانسة لبعض مافي الأسطورة المسيحية من تفاصيل، فلقد ظن الإنسان القديم أن الأرض مسطحة وأنه إذا ذهب إلى أقصى غرب العالم فسيرى الشمس وهي تغرب قريبا منه، وأنه إذا بلغ أقصى شرق العالم فستكون الشمس قريبة منه جدا وسيراها وهي تشرق، وبتلك الأفكار البسيطة جاءت الأسطورة المسيحية، ونجد أن القرآن يجانس هذا فيذكر أن ذا القرنين عندما ذهب إلى أقصى غرب العالم فإنه رأى الشمس وهي تغرب في عين حمئة، وعندما ذهب إلى أقصى المشرق وجد الشمس تطلع على قوم من العراة, فذكر غروب الشمس في المغرب، وذكر طلوع الشمس في مطلع الشمس. كما أننا نلحظ المجانسة في موضوع النبوءة, فواضع الأسطورة المسيحية وضعها بعد غزو بعض قبائل الشمال المتوحشة لمناطق جنوب جبال القوقاز، فقال في الأسطورة أن الاسكندر كتب على بوابته أن بعد كذا وكذا من السنين سوف تمر هذه القبائل المتوحشة من البوابة وتغزو، وهو ما يعرف بنبوءة ما بعد الحدث، وهو كثير شائع في التناخ/العهد القديم، وكتب الأبوكريفا،ونحن نجد القرآن فد أتى مجانسا لهذه النبوءة، فنجد القرآن اختار قولا من أقوال ذي القرنين عن دمار السد، وكيف أن الله سيجعله دكاء عندما يأتي أجله الذي قدره الله له، ثم يخبر المولى عز وجل في الآية التالية كيف أن يأجوج ومأجوج ماجوا في الأرض، فيظن صاحب القرآءة العجلى أن النص القرآني مشابه لنص الأسطورة المسيحية، والحقيقة أن ذا القرنين لم يزد على أن قال أن السد فيه رحمة وأنه عندما يحين موعد انهياره فسينهار، ولكن القرآن أتى بالسياق بهذه الطريقة ليجانس نص الأسطورة.

وهذا المنهج هو نفس المنهج الذي اتبعه القرآن عندما قص علينا قصة الطوفان العظيم، فلقد جاءت القصة في كتاب أهل

الكتاب وقد أصابها التحريف لتطاول الزمن عليها، فبدلا من أن يكون الطوفان محدودا يصيب قوم نوح، جعله كاتب أو كتبة سفر التكوين طوفانا جبارا شمل اليابس كله، وهلكت في كل نفس حية، إلا ما في السفينة، وهو ما ثبت أنه مخالف للحقائق العلمية. فلما جاءت القصة في القرآن، وجدنا أن القرآن يراعي حال المستمعين فيورد بعض الكلمات والتي يفهم منها أن الطوفان كان شاملا للأرض كلها، ولكنه في نفس الوقت لا يأتي بكلمة قاطعة تفيد ذلك، وإنما يأتي بما يستنتج منه أن الطوفان لم يعم كل الأرض.

ودعونا لا ننسى أن الهدف الأساسي من نزول القصة في القرآن هو العظة والعبرة، وضرب المثل لحاكم مصلح مؤمن، يمكنه الله، ويعطيه ألوان العلوم فيسير في الأرض بالصلاح، فلذلك لا ضير إذا تأخرت معرفتنا بمن يكون ذو القرنين تحديدا، أوارتبط ذلك باكتشافاتنا، فالقرآن كتابة هداية وإيمان، وليس كتاب تاريخ أو علوم كونية.

ولقد أحكم الله آياته بحيث إذا تقدمت العلوم، وخاصة علم التاريخ، واكتُشفت النصوص القديمة وحُلت شفرة الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية، استطعنا معرفة من يقصد القرآن بذي القرنين، يقول المولى عز وجل: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"[449].

لذا فإنه ليس مصادفة أن الذي ترجم الأسطورة المسيحية من السريانية إلى الإنجليزية وهو العالِم (ولاس بدج)، هو نفسه الذي ترجم من الهيروغليفية كثيرا من النصوص الجنائزية المصرية، والتي تؤكد أن (أُزَيْرِس) هو ذو القرنين الذي أراده القرآن، وتؤكد على صدق القرآن. **فكأن حل المعضلة العلمية يظهر في نفس وقت استحكام حلقاتها، فسبحان العليم الخبير.**

---

[449] - فصلت:53.

لقد كانت مشكلة القائلين بأن القرآن لايقصد الإسكندر الأكبر هي التشابه الكبير بين القصة القرآنية من جهة، وبين الأساطير والحكايات حول الإسكندر الأكبر من جهة أخرى، وكان لابد من سبب منطقي يفسِّر هذا التشابه الذي لايمكن أن يكون مصادفة، وأرى أن تفسيري هذا منطقي ومقبول، ويحل الإشكال.

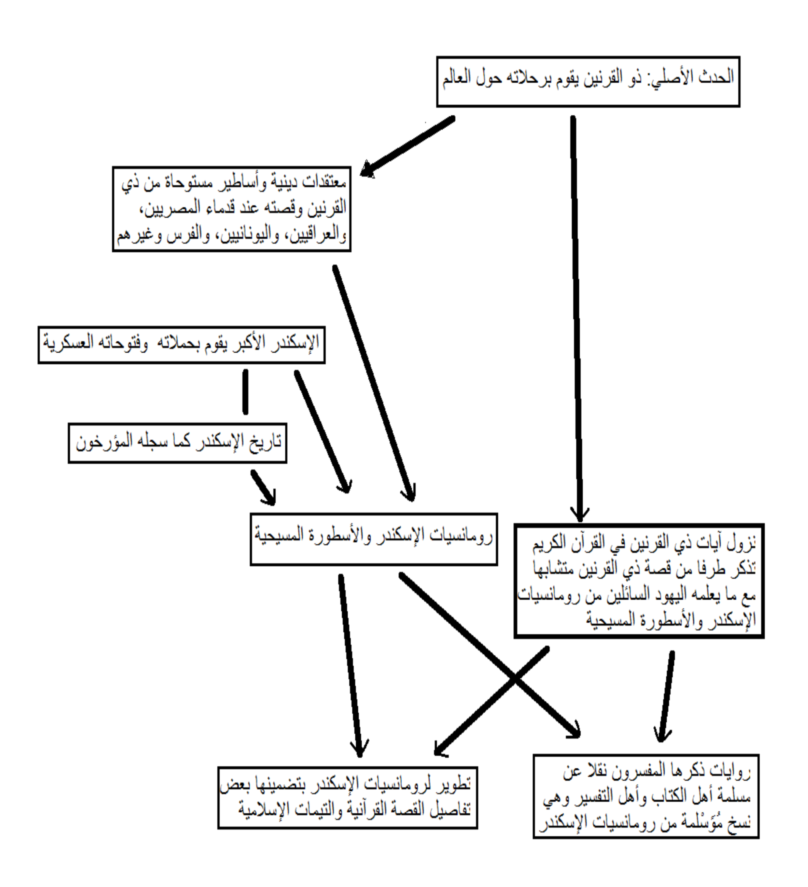
وهذا يختلف تماما عن دعاوى ومزاعم أطلقها البعض بأن القرآن لايلتزم الصدق التاريخي، بمعنى أنه يذكر القصص بهدف المغزى، ولا يلتزم أن تكون مطابقة لواقع الأحداث، وذلك مراعاة للناحية الأدبية الجمالية، أو مراعاة لمعارف المستمعين. وهذا كذب وافتراء على القرآن، فالقرآن كتاب عزيز " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "[450]، فكيف يحتوي القصص على باطل أو كذب؟ كيف يخامره باطل وهو كلام الله، "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً"[451]، " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً "[452].

---

[450] - فصلت 42

[451] - النساء: 87

[452] - النساء: 122



الشكل رقم (311) تخطيط يوضح تطور قصة ذي القرنين الحقيقية، وكيف انحدرت منها رومانسيات الإسكندر وعلاقتها بالقرآن، وبالروايات الإسلامية عن ذي القرنين.

المبحث السابع: آراء وشبهات حول رأيي والإجابة عليها

أولا: رأي للإسلاميين:

وعند هذه المرحلة من النقاش أكاد أسمع صوت بعض المسلمين يقول: ما دام هناك كل هذا التشابه بين قصة ذي القرنين القرآنية من جهة، وبين حكايات وتاريخ الإسكندر من جهة أخرى، فلماذا لا يكون الإسكندر هو ذو القرنين ببساطة؟ وأما موضوع الوثنية التي اتهم بها الاسكندر فربما كان الرجل مؤمنا وكَذِب عليه المؤرخون كما فعل كتبة العهد القديم مع الأنبياء والصالحين، وأما بالنسبة لبناء البوابة فلعل (جوزيفس) هو الذي على صواب في ذكر أن الإسكندر بنى بوابة بالفعل، وربما أخطأ في ذلك (آريان) وباقي المؤرخين؟

والحقيقة أن وجهة النظر هذه بها بعض الوجاهة، غير أن حقيقة دِين الإسكندر يظل عائقا حقيقيا، ليس لتلمذته على يد الفيلسوف أرسطو فقط كما ذهب علماؤنا الأجلاء، بل إن جميع المصادر التاريخية كلها تؤكد على أن الإسكندر كان وثنيا، فهو يذهب لمعبد (آمون) في سيوة، وهو يذبح (لزيوس) قبل المعركة، بل إن المصادر تتهمه بالإدعاء بأنه إله أو إبن إله، وأنه طلب من الناس السجود له على سبيل التحية والتعظيم، وهو مالم يكن معتادا عند اليونانيين القدماء.

ثم إن رجلا شهيرا مثل الإسكندر الأكبر إذا آمن فإنه من المنطقي أن تصل إلينا إشارات عن دينه الجديد، فلا يمكن دفن الحقيقة كاملة، وخصوصا أن خلفاؤه وهم من كبار ضباطه قد مجَّدوه وأعلوا ذكره بعد وفاته، حتى أنبياء العهد القديم، فرغم أن كتبة العهد القديم كذبوا عليهم كثيرا، غير أنهم لم يستطيعوا تغيير صورتهم إلى النقيض.

وفي المقابل فإننا نجد النصوص عن (أُزَيْرِس) تؤكد أنه كان صاحب دين جديد على الأقل، وأنه عذب المتمردين على الإله الذين نطقوا بكلمة الكفر.
وتقول الأسطورة أن الإسكندر الأكبر قد بنى بوابة، وتلح على ذلك بينما يؤكد القرآن أن ذا القرنين إنما بنى سدا ردما، وشتان بين الإثنين، وتقول المصادر التاريخية عن الإسكندر أنه لم يبن بوابة ولا سدا, بل تقول أنه لم يذهب أصلا لمنطقة القوقاز، وبالتالي فالمصادر التاريخية تكذِّب الأسطورة، هذا بينما قيل عن (أُزَيْرِس) أنه بنى جدارا أوسورا محصنا عند أبناء الضعف، وهذا أقرب.

والإسكندر لم يصل إلى أقصى الأرض من جهة المغرب، وهي بلاد مغرب الشمس، والتي حددتها بأنها بلاد الأنديز الاستوائي، ولم يصل لأقصى الأرض من جهة المشرق، وهي بلاد مطلع الشمس، والتي حددتها بأودية مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، بينما وصل (أُزَيْرِس) إلى الموضعين كما استنتجت في الباب الأول.
والإسكندر الأكبر لم يعذب كفار المنطقة الغربية التي وصل إليها، وهي واحة سيوة - إن اعتبرنا أنها مغرب الشمس جدلا- ولم يحسن إلى مؤمنيهم، بينما جاءت النصوص المصرية تؤكد أن (أُزَيْرِس) عذب كفار مغرب الشمس، وأحسن لمؤمنيهم.
كما أن الإسكندر الأكبر لم يلقَّب بذي القرنين، بينما لُقب (أُزَيْرِس) بهذا اللقب.
وفي النهاية فإن القرآن لم يأت بعبارة واحدة قاطعة بأن ذا القرنين هو الإسكندر، فلم يقل أنه رومي، أو أنه بنى مدينة الإسكندرية، أو غيرها من العبارات التي لو جاءت لامتنع الشك في كونه الإسكندر.

ثانيا شبهة لأعداء القرآن:

وربما يقول بعض الطاعنين على القرآن: الآن لقد اكتملت الصورة، واتضح تماما أن القرآن **يأخذ، ويستلهم** من رومانسيات وتاريخ الإسكندر، ويذكر أخطاء تاريخية:

1- لقد رُسم الإسكندر على العملة بقرني (آمون)، وذكر قرنيه في الأسطورة المسيحية، فأطلق عليه القرآن ذا القرنين.

2- كان الإسكندر ملكا على اليونان، واستطاع تكوين امبراطورية ضخمة في سنوات قليلة، فقال القرآن عنه: "إنا مكنا له في الأرض".

3- تتلمذ الإسكندر على يد أرسطو، الذي علمه العلوم المختلفة، لذا قال القرآن: "وآتيناه من كل شيء سببا".

4- سار الإسكندر بجيشه، واستطاع هزيمة الفرس، وفتح مصر، ثم سافر غربا برفقة بعض قواده، إلى واحة (آمون) ليصل معبد (آمون)، فيسأله عن بعض ما يشغل باله، وفي هذه الواحة توجد عين الشمس التي قال عنها (هيرودت) أنها تغلي في منتصف الليل، لذا قال القرآن:"حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية".

5- خرج الإسكندر من مصر وقاتل الفرس حتى حطم جيوشهم، واستولى على بلادهم، ثم اتجه صوب الهند، والتي قال عنها (هيرودت) أنها أقصى البلاد من جهة الشرق، وهناك قابل شعبا من العراة الذين يعيشون في العراء، لذا قال القرآن: "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لكم نجعل لهم من دونها سترا".

6- ولقد بنى الإسكندر بوابة من الحديد في القوقاز ليصد قبائل (السكيث) المتوحشة، والتي هي يأجوج ومأجوج، كما قال (جوزيفس)، لذا قال القرآن أن ذو القرنين بنى سدا من الحديد حتى لا يخرج يأجوج ومأجوج على الناس.

7- ولقد تنبأ الإسكندر كما جاء في الأسطورة المسيحية بأن يأجوج ومأجوج سوف يخرجون في آخر الزمان، لذا قال القرآن على لسان ذي القرنين: "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء"، وقال في موضع آخر: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج - وهم من كل حدب ينسلون".

8- ولقد ادعت الأسطورة المسيحية أن الإسكندر كان مؤمنا، لذا نجد القرآن يؤكد على إيمان ذي القرنين.

وأجيب على هذا الإدعاء الباطل بالآتي:

1- رغم أن الإسكندر رسم بقرنين إلا أنه لم يلقب بذي القرنين قبل نزول القرآن، أما من لقب بهذا اللقب فهو (أُزَيْرِس).

2- "إنا مكنَّا له في الأرض" هي إشارة –على الأغلب- إلى مصر، والذي مكن له في مصر قبل رحلته هو (أُزَيْرِس)، وليس الإسكندر.

3- لم يذهب الإسكندر الأكبر إلى مغرب الشمس، وهو بلاد الأنديز الاستوائي، وعين الشمس بسيوة حسب إدعاء (هيرودت) نفسه لاتغلي عند الغروب، ومن الناحية العلمية لايمكن لأي عين في سيوة أن تغلي لأن العيون التي تغلي هي عيون الماء في الأراضي البركانية، ولم يذكر أحد أن الإسكندر وجد هناك مجموعة من المؤمنين ومجموعة من الكافرين، فعذب الكافرين وأحسن إلى المؤمنين، بينما التراث المصري، يدعمه التراث العراقي والتراث اليوناني، وتؤكده أساطير شعب الإنكا في الأنديز، أن ذا القرنين قد ذهب إلى بلاد الأنديز الاستوائي، وهناك عند العين الحمئة الحامية عذب بعض الكافرين بإثارة البركان عليهم، وأحسن إلى المؤمنين بأن علمهم أسس الحضارة ومن أهمها الزراعة والري، فكيف يخالف القرآن النصوص حول الإسكندر الأكبر فيوافق الحقائق العلمية، والتاريخ الأقدم، إلا أن يكون من عند الله، وأنه لايقتبس من أساطير وتاريخ الإسكندر.

4- لم يصل الإسكندر الأكبر إلى بلاد مطلع الشمس وهي أقصى البلاد من جهة الشرق، ولم يقابل سكان مطلع الشمس الذين يسكنون مرتفعات جزيرة مشرق الشمس غينيا الجديدة، بينما إعادة قرآءة النصوص المصرية والعراقية تؤكد وصول شخصية ذي القرنين إلى جزيرة مشرق الشمس غينيا الجديدة، ومقابلته سكان أودية جبالها من العراة الذين يزرعون حقولهم هناك.

5- كما أن القرآن أخبر أن ذا القرنين بنى سدا وليس بوابة بينما جاءت الأسطورة بأن الإسكندر بنى بوابة، والنصوص المصرية القديمة تقول بأن الشخصية الملقبة بذي القرنين التي ذهبت إلى مغرب الشمس ومشرقها **بنت جدارا أو سورا محصنا في الشمال**، وليس بوابة، والنصوص العراقية تؤكد نفس الفكرة فالشخصية التي وصفت بذي القرنين، وعذَّبت المتمردين بالبركان بنت **جدارا عظيما في أقصى الشمال**، فلو كان القرآن يأخذ من أساطير الإسكندر فلماذا يخالف أساطير الإسكندر هنا، ويوافق النصوص الأقدم التي كانت مطمورة في عصر نزول القرآن، ومكتوبة بالهيروغليفية، والمسمارية واللتين لم يكن على وجه الأرض من يستطع قرائتهما؟

6- أمَّا التشابه بين القصة القرآنية بشكل عام، وبين أساطير وتاريخ الإسكندر فله سببان، الأول أن رومانسيات الإسكندر كُتبت في الإسكندرية، واستلهمت من أساطير المصريين القدماء، وتلك الأساطير منحدرة بدورها من قصة ذي القرنين الحقيقية، وبالتالي فإن رومانسيات الإسكندر مشابهة لقصة ذي القرنين. والسبب الثاني أن اليهود عندما سألوا النبي على سبيل الاختبار عن الرجل الطوَّاف الذي بلغ المغرب والمشرق كانوا يقصدون الإسكندر الأكبر، فجاء القرآن بطَرَفٍ من قصة ذي القرنين الحقيقي، وتضمن هذا الجزء النقاط التي تتشابه فيها أساطير وتاريخ الإسكندر مع قصة ذي القرنين الحقيقي، وذلك حتى يظن اليهود أن القرآن يقصد الإسكندر الأكبر، فيعترفون بأن القرآن حق، وأن

محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبي من عند الله، وهذا من باب الرحمة بهم، ومخاطبتهم على قدر عقولهم ومعارفهم.

الفصل الثاني

ذو القرنين شخص آخر غير الإسكندر

المبحث الأول: ملك عربي معاصر لنبي الله إبراهيم عليه السلام

لقد جاءتنا روايات عن بعض السلف مفادها أن ذا القرنين كان على عهد نبي الله إبراهيم عيه السلام، وعليها اعتمد فريق من أهل التفسير على نفي أن يكون الإسكندر هو ذو القرنين.

فقد أخرج ابن أبي حاتم، عن علياء بن أحمر: "أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة جبال، فقال: ما لكما ولأرضي؟ فقالا: نحن عبدان مأموران أُمرنا ببناء هذه الكعبة. قال: فهاتا بالبيِّنة على ما تدعيان. فقام خمسةُ أكباش فقلن: نحن نشهد أن إسماعيل وإبراهيم عبدان مأموران أُمرا ببناء هذه الكعبة، فقال: قد رضيت وسلمت ثم مضى."[453]

وقال السهيلي عن ذي القرنين: "والظاهر من علم الأخبار أنهما اثنان: أحدهما كان على عهد إبراهيم -عليه السلام -, ويقال: إنه الذي قضى لإبراهيم -عليه السلام - حين تحاكموا إليه في بئر السبع بالشام."[454].

---

453 - تفسير الدر المنثور.

454 - تفسير القرطبي.

ومن طريق عثمان بن ساج: أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له فقال: "وكيف وقد أفسدتم بئري؟!"، فقال: "لم يكن ذلك عن أمري."، يعني أن بعض الجُند فعل ذلك بغير علمه[455].

وقد ذكر الأزرقي، وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة، هو وإسماعيل عليه السلام[456].

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير: "حج ذو القرنين ماشيا -أول من حج- فسمع به إبراهيم فخرج يتلقاه"[457].

وروى عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله وغيرهما، أن ذا القرنين حجَّ ماشيا، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه، ودعا له ورضاه، وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد[458]. وعن أصبغ بن زيد الوراق عن بعض أصحابه قال: "كان إبراهيم خليل الرحمن جالسا بمكان فسمع صوتا فقال: ما هذا الصوت. قيل له هذا ذو القرنين قد أقبل في جنوده. فقال لرجل عنده: "أئت ذا القرنين فاقرئه السلام." فأتاه فقال: "إن إبراهيم يقرئك السلام."، قال: "ومن إبراهيم؟"، قال: "خليل الرحمن"، قال: "وإنه لهاهنا؟"، قال: "نعم."، قال: فنزل. قال: فقيل له أن بينك وبينه هنيهة. قال: "ما كنت لأركب في بلد فيه إبراهيم"، قال: فمشى إليه قال فسلَّم عليه وأوصاه إبراهيم، فأوحى الله إلى ذي القرنين أن الله قد سخَّر لك السحاب فاختر أيها شئت، إن شئت صعابها، وإن شئت ذللها. فاختار ذلولها، فكان إذا انتهى إلى مكان من برٍّ، أو بحْر لا يستطيع أن يتقدم، احتملته السحاب فقذفته وراء ذلك حيث شاء"[459].

---

[455] - فتح الباري لابن حجر العسقلاني

[456] البداية والنهاية ابن كثير.

[457] - ابن عساكر تاريخ دمشق.

[458] - ابن كثير البداية والنهاية.

[459] - ابن عساكر تاريخ دمشق.

وعندما درست هذه الأخبار، ورجعت إلى العهد القديم، توصلت إلى أنها "حكايات" مستمدة من قصص العهد القديم حول نبي الله إبراهيم عليه السلام.

ففي العهد القديم نجد أن كاتب أو كتبة سفر التكوين يقصُّون علينا كيف أن إبراهيم عليه السلام انتصر على بعض أعدائه، وأثناء عودته خرج (ملكي صديق) ملك مدينة بيت المقدس (شاليم) للقائه، يقول النص: "17 فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ لاسْتِقْبَالِهِ، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ كَسْرَةِ كَدَرْلَعَوْمَرَ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى عُمْقِ شَوَى، الَّذِي هُوَ عُمْقُ الْمَلِكِ.18 وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا للهِ الْعَلِيِّ.19 وَبَارَكَهُ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،20 وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهُ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"[460].

وكتبة النص جاءوا هنا بأمر غريب عليهم؛ فقد جعلوا من هذا الملك رجلا مؤمنا رغم كونه ليس من بني إسرائيل أو آباء إسرائيل، ليس هذا فقط، وإنما جعلوه هو الذي يُبارك نبي الله إبراهيم، مما أثار نقاشا لايزال محتدما بين الباحثين في العهد القديم إلى هذا اليوم.



الشكل رقم (312) (ملكي صديق) كما تخيله الفنان الإيطالي، رسم بالموزايك كاتدرائية سانت (أبوليناري) الجديدة التي ترجع إلى عام 500م بمدينة (رافينّا) الإيطالية.

---

460 - سفر التكوين 14.

وما يهمنا في هذا الكتاب هو أن هذا النص في سفر التكوين يمتدح ملك عربي قديم ويجعله مؤمنا، ويذكر ذهابه لمقابلة نبي الله إبراهيم، وأرى أنه لما نزلت آيات ذي القرنين فإن بعض مسلمة أهل الكتاب اجتهدوا في البحث عن هذا الملك العظيم في التوراة، فوجدوا أن التوراة لم تمدح ملكا غير إسرائيلي، وتصفه بالإيمان، غير هذا الملك العربي (ملكي صديق).

وفي مزامير داود نقرأ: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ».2 يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ.3 شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ.4 أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: **«أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ»**.5 الرَّبُّ عَنْ يَمِينِكَ يُحَطِّمُ فِي يَوْمِ رِجْزِهِ مُلُوكًا.6 يَدِينُ بَيْنَ الأُمَمِ. مَلأَ جُثَثًا أَرْضًا وَاسِعَةً. سَحَقَ رُؤُوسَهَا.7 مِنَ النَّهْرِ يَشْرَبُ فِي الطَّرِيقِ، لِذلِكَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ."[461]

والحديث في المزمور يدور عن ملك يمكّن الله له في الأرض، ويجعله الله على رتبة ملكي صديق، غير أن لهذا النص الغامض **قرآءة أخرى،** تجعل ملكي صديق هو المخاطب في الآية الرابعة هكذا: " أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: **«أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ يا مَلْكِي صَادَقَ»**"[462].

وهكذا فقد فهم البعض أن (ملكي صديق) هو أحد الملوك العظام الفاتحين المؤمنين، ويبدو أن هذا الفهم هو الذي جعل مسلمة أهل الكتاب يظنون أن (ملكي صادق) هو ذو القرنين الذي ذكره القرآن. وأغلب ظني أن **فكرة التقاء نبي الله ابراهيم بذي القرنين مأخوذة من لقائه بملك بيت المقدس (ملكي صادق).**

في سفر (أشعياء) الإصحاح 41 نقرأ: " من بعث من المشرق **(الصدِّيق)،** دعاه إلى قدميه، دفع الأمم أمامه، وسلطه على ملوك،

---

[461] - المزامير 110.

[462] - Kugel, James L. Traditions of the Bible, pp.278-279

جعلهم كالتراب لسيفه، وكالقش المنذري لقوسه"[463]،والآية التالية تقول:"لقد طاردهم، مر بسلام، **في طريق لم يطأه بقدميه"**[464].

وكلمة الصديق، وهي كلمة Tsedeq العبرية هنا يفهمها مفسرو الكتاب المقدس أنها تعني الصالح المبرور، غير أنني -مثل بعض الباحثين- أرى أن المقصود بها شخصية معينة تسمت بهذا الاسم، وهو على الأرجح المعبود الباطل صدّيقSydyk[465].

وأرى أن ما فهمه بعض أهل الكتاب، أو بعض مسلمة أهل الكتاب من نص أشعياء السابق أن الملك المقصود هنا (صديق) هو نفسه الملِك (ملكي صديق) المذكور في سفر التكوين، حيث أن أحد تفسيرات معنى الاسم (ملكي صديق) هو الملك (صدِّيق)[466].

وننتقل إلى فكرة أخرى وهي: ركوب ذو القرنين السحاب، وهي معلومة ذكرت في الروايات، ياترى من أين جاءت؟

يقول سفر أشعياء عن (صديق):"لقد طاردهم، مر بسلام، **في طريق لم يطأه بقدميه"**[467]، والسؤال الذي يدور في الذهن هو كيف يسير في طريق بغير أن يطأه؟ مفسرو العهد القديم يقولون بأن المعنى أنه فتح بلادا جديدة لم يذهب إليها من قبل، ولكني أرى أن المعنى أنه لم يكن يمشي على الأرض، بل كان يتحرك في السماء حسب اعتقاد واضع النص، وأرى أن (صدِّيق) سفر

---

[463] - http://biblos.com/isaiah/41-2.htm.

[464] - http://biblos.com/isaiah/41-3.htm.

[465] - صديق Sydyk هو معبود باطل لسكان بلاد الشام من الشعوب العربية القديمة.

[466] - http://en.wikipedia.org/wiki/Melchizedek#Etymology

[467] - http://biblos.com/isaiah/41-3.htm.

(أشعياء) مستمد من أحد آلهة الوثنيين الكنعانيين، وبالتحديد من الإله الباطل (صدِّيق)، والذي كان إله كوكب المشترى[468].

أما إذا ذهبنا نبحث في تراث بني إسرائيل والقبائل المحيطة بهم عن رجل يركب السحب، ويمكن أن يكون له علاقة بذي القرنين، فلن يطول بنا البحث، فسنعثر على الإله الباطل (بعل)، الذي عبدته قبائل المنطقة، وتبعهم في ذلك بعض بني إسرائيل.

لقد كان (راكب السحاب) لقبا معروفا للإله الباطل (بعل)، أما المفاجأة الحقيقية فهي أن بعل هذا صوِّر على هيئة رجل يرتدي غطاء رأس حربي يخرج منه قرنان.



الشكل رقم (313) تقليد مشابه للأصل يصور الإله الباطل بعل.

468 ـ أغلب ظني أن الإله (صديق) الباطل، إله أهل الشام القدماء، وكذلك شخصية (صديق) المستمدة منه، والتي ذكرها كتبة سفر أشعياء في سفره، وقالوا عنه أنه أتى من المشرق وفتح بلادا وأذل ملوكا وطاردهم في طريق لم يسلكه بقدمه، مستمد من شخصية ذي القرنين الحقيقية، فمجيء ذو القرنين من الرمشرق بعد أن غادر إلى المغرب كان معجزة بكل المقاييس، وهو جل رحلته كانت إبحارا في قاربه، والذي تحول عند كثير من الشعوب إلى رحلات في السماء مع الشمس أو إله الشمس الباطل كما أوضحت في الفصول السابقة.

ويبدو لي أنه قبل نزول القرآن تم الربط بين (صدِّيق) الذي ذكر في سفر (أشعياء)، والذي سلك طريقا بدون أن يطأه بقدمه، وبين (بعل) الذي يلقب براكب السحب، وربما كان عنصر الربط أن كل من الإله الباطل (صديق)، والإله الباطل (بعل) هو رب كوكب المشترى حسب معتقدات القوم.

فلما نزل القرآن الكريم يتحدث عن ذي القرنين، وجد بعض اليهود، أو مسلمة أهل الكتاب عندهم في **الحكايات التي تروى على هامش التوراة** حكاية عن الملك (صديق) العربي الذي قابل النبي ابراهيم، والذي أعطاه الله الأمم، وقهر الملوك، وأنه كان يركب السحب، وأن له قرنين في خوزته، فظنوه هو ذا القرنين ونشأت هذه الروايات التي وصلتنا.

وفي موضع آخر يذكر الكتاب المقدس قصة لإبراهيم النبي عليه السلام مع ملك آخر، وهو الملك (أبي مليك) ملك الفليسطينيين[469]، يقول النص: "وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ أَبِيمَالِكَ وَفِيكُولَ رَئِيسَ جَيْشِهِ كَلَّمَا إِبْرَاهِيمَ قَائِلَيْنِ: «اللهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ.23 فَالآنَ احْلِفْ لِي بِاللهِ ههُنَا أَنَّكَ لاَ تَغْدُرُ بِي وَلاَ بِنَسْلِي وَذُرِّيَّتِي، كَالْمَعْرُوفِ الَّذِي صَنَعْتُ إِلَيْكَ تَصْنَعُ إِلَيَّ وَإِلَى

---

469 - الفلستيون (مفرده فلستي من أرض فلستة) هم أبناء شعب قديم مذكور في الكتاب المقدس (بالعبرية: פלשתים پلشتيم) على أنهم من شعوب البحر التي هاجرت من كريت (قد تكون جزيرة كريت الحالية حسب رأي مؤرخي الكتاب المقدس) واستقرت في المنطقة الساحلية الجنوبية من أرض كنعان. وفي وثائق مصرية قديمة يعرفون باسم PRST.,r] وقد جاءت على ذكرهم أيضاً احدى الجداريات الفرعونية بوادى الملكات (الأقصر) والتي تعود لزمن الملكة حبشبسوت - الاسرة الخامسة على أنهم حطوا برحالهم ساحل مريوط، فقام الفراعنة باجلائهم عن مصر فانقسموا لجماعتين الجزء الأكبر حط رحالة بفلسطين التاريخية اما الجزء الاصغر فتوجة غربا مستقرا بمدينة درنة الليبية وحولها.

الأَرْضِ الَّتِي تَغَرَّبْتَ فِيهَا».24 فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «أَنَا أَحْلِفُ».25 وَعَاتَبَ إِبْرَاهِيمُ أَبِيمَالِكَ لِسَبَبِ بِئْرِ الْمَاءِ الَّتِي اغْتَصَبَهَا عَبِيدُ أَبِيمَالِكَ.26 فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «لَمْ أَعْلَمْ مَنْ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ. أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْنِي، وَلاَ أَنَا سَمِعْتُ سِوَى الْيَوْمِ».27 فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَأَعْطَى أَبِيمَالِكَ، فَقَطَعَا كِلاَهُمَا مِيثَاقًا.28 وَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ سَبْعَ نِعَاجٍ مِنَ الْغَنَمِ وَحْدَهَا.29 فَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِبْرَاهِيمَ: «مَا هِيَ هذِهِ السَّبْعُ النِّعَاجِ الَّتِي أَقَمْتَهَا وَحْدَهَا؟»30 فَقَالَ: «إِنَّكَ سَبْعَ نِعَاجٍ تَأْخُذُ مِنْ يَدِي، لِكَيْ تَكُونَ لِي شَهَادَةً بِأَنِّي حَفَرْتُ هذِهِ الْبِئْرَ».31 لِذلِكَ دَعَا ذلِكَ الْمَوْضِعَ «بِئْرَ سَبْعٍ»، لأَنَّهُمَا هُنَاكَ حَلَفَا كِلاَهُمَا.32 فَقَطَعَا مِيثَاقًا فِي بِئْرِ سَبْعٍ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.33 وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلاً فِي بِئْرِ سَبْعٍ، وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ.34 وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً."[470].

ويبدو أن مسلمة أهل الكتاب استمدوا من هذه القصة أيضا بعض رواياتهم عن ذي القرنين، فالرواية التي يرويها علياء بن أحمر، ويذكر فيها أن ذا القرنين سأل نبي الله إبراهيم عن بنائه البيت العتيق في أرضه، يشبه حديث (أبيمليك) عن أن إبراهيم يعيش في أرضه، و(تيمة) الأكباش الخمسة التي تكلمت وشهدت على أن إبراهيم وإسماعيل مأمورين ببناء الكعبة، تشبه كثيرا (تيمة) النعاج السبعة التي كانت "شهادة" على أن إبراهيم عليه السلام قد حفر البئر في نص العهد القديم.



الشكل رقم (314) صورة متخيلة للملك أبيمليك .

470 - سفر التكوين.

وأوضح من ذلك ما ذكره ابن حجر العسقلاني من طريق عثمان بن ساج أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له فقال: وكيف وقد أفسدتم بئري فقال لم يكن ذلك عن أمري، يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير علمه، فهذا مطابق أكثر لنص التوراة.

ويؤكد الاقتباس ما ذكره السهيلي أن ذا القرنين هو من حَكَم لإبراهيم في بئر في مدينة بئر سبع، فمن الواضح أن المقصود هو (أبيمليك).

وهكذا يتضح لنا أن هذه الأخبار التي تجعل ذا القرنين معاصرا لإبراهيم **ليست إلا حكايات مستلهمة من التوراة،** مع كثير من الخلط وسوء الفهم، ويتضح لنا أيضا أن هذه الأخبار ترجع لمَلِكين غير إسرائيليين مذكورين في التوراة، وربما تم خلطهما بالإله (بعل) الباطل، والملكين لايُذكر عن أحدهما أنه بلغ مغرب الشمس، أومطلع الشمس، أوبين السدين، أو عذَّب كافري مغرب الشمس، أوأحسن لمؤمنيهم، أوأنه بنى سدا ليحمي قوما ضعفاء من طغيان يأجوج ومأجوج عليهم، الأمر الذي يؤكد أن ذا القرنين لم يكن أحدهما.

المبحث الثاني: ملك عربي حِمْيَري

هناك رأي قديم جديد في تحديد شخصية ذي القرنين، وهو أن ذا القرنين ملكٌ من ملوك اليمن القدماء، وبالتحديد ملك من ملوك مملكة حِمْيَر، وكان ملوكها يلقبون بالتَبابعة، وواحدهم (تُبَّع)، ولقد جاء ذكر تُبَّع في القرآن الكريم.

وأصحاب هذا الرأي يستدلون بعدة أدلة:

أولها: أن هناك روايات عن بعض الصحابة والسلف تقول بذلك: فلقد أخرج الفاكهي في أخبار مكة وابن عساكر في تاريخ

دمشق أن ابن عباس سُئل عن ذي القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز، فقال: "هو من حِمْيَر"، ولكن سند الرواية ضعيف.

وفي كتاب التيجان عن وهب ابن منبه عن عبد الله ابن عباس: أنه سئل عن ذي القرنين ممن كان، فقال: هو من حمير، وهو الصعب بن ذي مراثد، وهو الذي مكَّن الله له في الأرض وآتاه الله من كل شيء سببا، فبلغ قرني الشمس، وداس الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج، فقيل له: فالإسكندر الرومي؟ قال كان روميا حكيما بنى على البحر منارا،...".

وقد سُئل كعب الأحبار عن ذي القرنين فقال: "الصحيح عندنا من علوم أحبارنا وأسلافنا أنَّه من حِمْيَر، وأنَّه الصَّعْب".

ثاني الأدلة: أن ذِكر ذي القرنين مستفيض أشعار العرب، وخصوصا أشعار الحميريين؛ يقول ابن كثير في تفسيره: "وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآَية التي في سورة الكهف {تغرب في عين حامية} قال ابن عباس لمعاوية ما نقرؤها إلا حمئة، فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرؤها؟ فقال: عبد الله كما قرأتها، قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن، فأرسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال له كعب سل أهل العربية فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب، قال ابن حاضر: لو أني عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة، قال ابن عباس: وإذاً ما هو؟ قلت: فيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه إياه:

بلغ المشـارق والمغارب يبتغي ***
أسـباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ***
في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخلب؟ قلت: الطين بكلامهم، قال: فما الثأط؟ قلت: الحمأة، قال: فما الحرمد؟ قلت: الأسود، قال: فدعا ابن عباس رجلاً أو غلاماً فقال: اكتب ما يقول هذا الرجل."

ويقول ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

قال أعشى بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمسى ****
بالحنو في جدث هناك مقيم

والحِنْو بكسر الحاء وسكون النون في ناحية المشرق.

وقال الربيع بن ضبيع:

والصعب ذو القرنين عمر ملكه ****
ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا ***
باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال تبع الحميري:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ***
ملكا تدين له الملوك وتحشد
من بعده بلقيس كانت عمتي ***
ملكتهم حتى أتاها الهدهد

وقال بعض الحارثين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قوما من مضر:

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه ***
في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتُبَّعين وذي القرنين يقبله ***
أهل الحجى وأحق القول ما قبلا

وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي ابن الصحابي:
ومن ذا يعادينا من الناس معشر ***
كرام وذو القرنين منا وحاتم
ونُسب إلى قُس بن ساعدة حكيم العرب المشهور أنه قال في أحد خطبه: "أيّها الناس، هل أتاكم ما لم يأت آبائكم الأولين، أو أخذتم عهداً من السنين، أم عندكم من ذلك يقين، أم أصبحتم من ريب المنون آمنين، بل أصبحتم والله في غفلة لاعبين، أين الصعب ذو القرنين، جمع الثقلين، وأداخ الخافقين، وعُمِّر ألفين، لم تكن الدنيا عنده إلاّ كلمحة عين، من لم يتعظ اتُعظ به"[471].

ثالث الأدلة: أن الإخباريون العرب يذكرون "غزوات عالمية" قام بها الملوك التبابعة، فلقد رووا أن الملك (ناشر النعم) قد جمع حِمير وقبائل قحطان، وخرج بالجيوش إلى المغرب حتى بلغ البحر المحيط، فأمر ابنه "شمَّر يرعش" إن يركب البحر، فركب في عشرة آلاف مركب، وسار يريد وادي الرمل، ونزل "ناشر النعم" على صنم "ذي القرنين" فأخرج عساكره إلى الإفرنج و"السكس" وأرض "الصقالبة"، فغنموا، وسبوا، ورجعوا إليه بسبي عظيم. ولما رجع "شمر" من المحيط إلى أبيه، أمر بمنارة فبنيت إلى جانب منارة ذي القرنين، ثم أمر فكتب في صدر التمثال الذي عليها من النحاس بالمسند: هذا الصنم لياسر أنعم الحميري، وليس وراءه مذهب، فلا يتكلفن ذلك فيعطب. ونسبوا إليه فتح الحبشة، و إرسال العساكر إلى أرض "الروم بني الأصفر"، وملكهم يومئذ "باهان بن سحور بن مدين بن روم بن سامك بن رومي بن عيص بن سامك بن رومي بن عيص، وهو الأصفر بن يعقوب" وذكروا أنه غلب على أرض على الترك، وسار إلى

[471] - ملوك حمير وأقيال اليمن ص 136.

التبت والصين وأرض الهند. فلما بلغ "نهاوند" و "دينور"، مات بها فدفنه ابنه "شمر" في ديار الغربة، وولي الملك بعده[472].

أما عن الملك (شمَّر يرعش)، فقد أفاض الإخباريون العرب في ذكره فهو عندهم (تُبَّع) الأكبر الذي ذكره الله سبحانه في القرآن، لأنه لم يقم للعرب قائم قط أحفظ لهم منه، فكان جميع العرب، بنو قحطان وبنو عدنان، شاكرين لأيامه، وكان أعقل من رأوه من الملوك وأعلاهم همّة وأبعدهم غوراً وأشدهم مكراً لم حارب، فضربت به العرب الأمثال، وكان -على زعمهم- معاصراً لـ (قباذ ابن شهريار) الفارسي[473].

ولما بلغه أن (الصغد) و(الكرد) وأهل (نهاوند) و(دينور) هدموا قبر "ناشر النعم" وفرقوا رخامه، وزجاجه، وما كان فيه من جزع وغيره، غضب غضباً شديداَ، ونذر لله نذراً ليرفعن ذلك القبر بجماجم الرجال حتى يعود جبلاً منيفاً شامخاً كما كان، ثم سار بجيوشه وبأهل جزيرة العرب، فسار إلى أرمينية، فبلغ ذلك (قباذ)، فأمر الترك بالمسير إلى أرمينية، فسارت الترك تريد أرمينية فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم هزمهم فقتلهم قتلاً ذريعاً، ثم سار نحو المشرق فتغلب على (قباذ)، واستولى على الفرس، وأعاد بناء قبر أبيه. ثم هدّم المدائن (بدِينَوَرَ) و(سنجار) بين (نهاوند) و(دينور) "فجميع الأرض التي خربها شمر يهرعش، سماها بنو فارس (شمركند)، أي شمر خرّب باللسان الفارسي، فأعربته العرب بلسانها، فقالوا "سمرقند"، وهو اسمها اليوم، ثم بسط سلطانه على الهند، وعيّن أحد أبناء ملوك الهند ملكاً على الصين، ثم عاد فسار إلى مصر، ومنها إلى الحبشة، فاستولى عليها، وهرب الأحباش إلى غربي الأرض، إلى البحر المحيط، فتبعهم "شمر" حتى بلغ البحر، ثم رجع قافلاً المشرق، فمرّ بمدينة "شدّاد بن عاد" على البحر، فأقام بها خمسة أحوال، ثم ذهب لزيارة قبر

---

[472] - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

[473] - نفس المصدر السابق.

والده، ثم رجع إلى بلاده إلى "قصر غمدان"، فأقام فيه إلى إن توفي، وعمره ألف سنة وستون عاماً، بعد أن ملك الأرض كلها. وزعم بعض أهل الأخبار انه هو الذي بنى الحيرة بالعراق[474].

وقال الأخباريون إن "شمَّر يرعش" قد فرض على فارس ألف درع يؤدونها كل عام، وكان عامله عليهم "بلاس بن قباذ"، وجعل على الروم ألف درع، يؤدونها كل عام، وكان عامله على الروم "ماهان بن هرقل"، وجعل على أهل بابل وعمان والبحرين ألف[475].

وفي كتاب التيجان يُروى عن وهب أن ذا القرنين كان من ملوك حمير وأنه طاف الأرض، مصطحبا معه الخضر، ووصل إلى الأندلس، ثم ركب السفن هو وجيشه مبحرا في بحر الظلمات حتى وصل إلى عين حمئة في البحر تغرب الشمس فيها، وهناك جزائر فيها بعض البشر، ثم عاد فسار يطلب المشرق، فبلغ جزائر البحر الزوراء التي تزاور عنها الشمس عند طلوعها، فوجد عندها قوماً صغار الوجوه مشعرين كأنهم قرود، لا يظهرون إلا بالليل، ثم وجد قوماً من يأجوج سوداً وجوههم كوجوه الخنازير، وهم في مطلع الشمس لا يظهرون إلا بالليل من شدة الحر، ثم أبحر مرة أخرى في البحر المحيط حتى بلغ الأرض البيضاء، ثم عاد وبنى السد، ثم مات ودفن في قراقر في طرق الحجاز[476].

رابع الأدلة: وهو مجموعة من الأدلة منها أن كلمة (ذو) في لقب (ذي القرنين) مشهورة بين اليمنيين، فنجد أن أبا الريحان البيروني يذكر أن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم كان من

---

474 - نفس المصدر السابق.

475 - نفس المصدر السابق.

476 - وهب ابن منبه، كتاب التيجان.

حِمير؛ مستدلا باسمه؛ فملوك حمير كانوا يلقبون بذي، كذي نواس وذي يزن وغير ذلك[477].

كما أن الأخبار التي تقول بأن ذا القرنين ذهب للحج عند الكعبة، وأنه قابل ابراهيم الخليل هناك تشير إلى أنه عربي.

وفوق ذلك فإن اليمنيين مشهورون ببناء **السدود** لحجز المياه منذ الأزمنة الغابرة، فربما كان لهذا التقدم التقني دور في بناء ذي القرنين لسد يأجوج ومأجوج، وبالتالي فإن هذا يقوي كون ذي القرنين أحد ملوك اليمن البارعين في بناء السدود.

خامس الأدلة: أن طائفة من العلماء الكبار قالوا أن ذا القرنين ليس الإسكندر الأكبر منهم ابن تيمية، وابن حجر العسقلاني، وابن كثير، وفي نفس الوقت فقد ذكروا الرأي والروايات التي تشير إلى أن ذا القرنين هو أحد التبابعة ملوك حمير، ولم يتعقبوها بالنفي، أو بالتفنيد.

كما أن هناك مجموعة من **المؤرخين** يرون أن ذا القرنين كان حِميريا، منهم المقريزي، والهَمْدَاني، ونشوان الحميري.

وهناك من الباحثين المُحدثين والمُعاصرين من يرى أن ذا القرنين كان أحد ملوك حِمير، ومن أشهرهم محمد راغب الطّباخ الذي ألف كتابه: "ذو القرنين وسد الصين من هو وأين هو؟"، وأكد فيه على أن ذا القرنين لم يكن إلا ملكا حِميريا من اليمن.

ويمكننا الرد على هذا الرأي كالآتي:

أولا: أن ما أثبتته العلوم والكشوف الأثرية الحديثة، بما فيها من نقوش أثرية بخط المسند، كلها تؤكد أن شأن ملوك حِمير كان أقل كثيرا مما زعم المؤرخون.

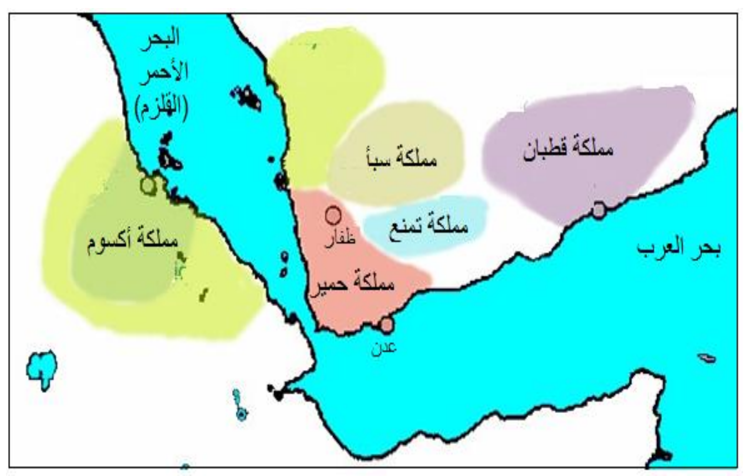
فلقد عُرفت حمير في القرن الأول قبل الميلاد، وذكرت في بعض مصادر اليونان والرومان، ولكن الباحثين لم يعثروا على

---

[477] ـ أبو الريحان البيروني، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية.

اسم حِمير بين النقوش القديمة التي ترجع لمئات السنين قبل الميلاد.

لقد ظهرت مملكة حِمير للوجود حوالي عام 110 قبل الميلاد، وامتدت إلى عام 520 بعد الميلاد، وكانت دويلة صغيرة في اليمن، وقد انشغلت في حروب مستمرة مع جيرانها خاصة السبئيين، وحافظت على وجودها بالكاد طوال هذه الفترة.



الشكل رقم (315) خريطة توضح مملكة حمير،
والممالك المحيطة بها في بلاد اليمن.

وأما عن ملوك الحميريين والذين لقبهم العرب بالتبابعة، فإن النقوش التي عُثر عليها وتمت قرآءتها تدل على أن هؤلاء الملوك كانوا مشغولين تماما بقتال جيرانهم، وأنهم كانوا أضعف كثيرا من أن يغزو أحدهم المغرب أوالمشرق؛ يقول جواد علي في كتابه تعقيبا على ذكر الإخباريين لأساطيرهم حول الملك ناشر النعم: "أما نحن، فلا نعلم شيئاً من أمر هذه الفتوح والغزوات، ولا من أمر هذا المنظوم أو المنثور. وإنما الذي نعرفه أنه كان يُسمى "ياسر يهنعم"، لا "ناشر النعم" كما جعله الأخباريون، وأنه عاش

في القرن الثالث للميلاد، وبينه وبين سليمان مئات من السنين، وأنه لا يمكن أن يكون قد خلف "بلقيس" معاصرة "سليمان" على حد زعم أهل الأخبار، ولا أن يكون قد انتزع الملك من "سليمان". ولا أن يكون صاحب فضل ونعمة على حِمير، لأنه أنقذهم من حكم "سليمان". وكل ما في الأمر أن الاسم كان بالنسبة إلى أهل الأخبار غريباً، فصيّروه "ناشر النعم"، وابتكروا له قصصاً في تفسير معنى ذلك الاسم".

ولقد ظهرت بعض النقوش تشير إلى أن (شمر يرعش) أرسل بعض قواته إلى أنحاء الجزيرة العربية، يقول جواد علي: " ويظهر من نص عثر عليه منذ عهد غير بعيد، أن قائداً من قواد "شمر" كان قد قاد أعراباً غزا بهم ملك "أسد"، وأرض "تنخ" أي "تنوخ" التي تخص "فرس"، أي "فارس". وذلكِ أن أرض "تنخ" "تنوخ"، كانت تحت حكم مملكتين، يقال لإحداهما "قطو"، وللأخرى "كَوك" أو "كوكب"، وقد أنزل أعراب "شمر" بهما خسائر فادحة. ثم عاد ذلك القائد بعد نجاحه في غزوه هذا صحيحاً معافي إلى نجران، حيث قدم إلى الآلهة، شكره، وسجل ذلك في النص المذكور.وقصد القائد بأرض "تنخ" أرض الأحساء في الزمن الحاضر، وكانت منزل قبائل "تنوخ" في ذلك الزمن. وقصد ب "قطو" "قطوف" "القطيف"، Qtw'f وفي إشارة القائد إلى مهاجمة تلك الأرضين، أي أرض تنوخ، التي كانت تحت سيادة "فرس"، أي الفرس الساسانيين، تأييد لروايات الأخباريين التي تذكر أن "شمر يهرعش" "شمر يرعش" غزا أرض الفرس"[478].

ومن الطريف أن النقوش **لم تظهر اسم (الصعب)** الذي زعم الإخباريون، أنه ذو القرنين، كما لم تظهر لقب ذي القرنين، ولا حكت لنا عن رحلة ملك إلى مغرب الشمس، ولا إلى مشرقها، ولاعن أعماله فيهما، ولاعن بنائه لسد يأجوج ومأجوج، ولا أشارت إلى ما يشبه ذلك.

---

478 ـ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

إذا فإن النقوش والكتابات القديمة أظهرت أن ما قاله الإخباريون عن غزو العالم من قبل ملوك حمير كان نوعا من **المبالغة**، وأن مبلغ القوم كان أن يرسل الملك عشرات من جنده إلى بعض أعدائه من العرب، ليقاتلهم.

وتبرز الكتابات أمرا آخر هاما، وهو أن الحميريين وملوكهم في هذا الوقت كانوا من الوثنيين، وكانوا يعبدون صنما يسمونه **(المُقْه)**[479]، وبذلك يسقط وجه آخر من الاستدلال للذين يقولون بأن ذا القرنين كان أحد ملوك حِميَر.

ثانيا: من الناحية التاريخية فقد تصدى ابن خلدون للمؤرخين العرب، وأنكر عليهم ما يزعمونه حول غزوات عالمية قام بها الحميريين، يقول ابن خلدون:

ومن الأخبار الواهية للمؤرخين: ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن، وجزيرة العرب، أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية، والبربر، من بلاد المغرب، وأن أفريقش بن قيس بن صيفي، من أعاظم ملوكهم الأُول، وكان لعهد موسى عليه السلام، أو قبله بقليل، غزا إفريقية وأثخن في البربر، وأنه الذي سماهم بهذا الاسم، حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة، فأخذ هذا الاسم عنه، ودعوا به من حينئذ، وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير، فأقاموا بها، واختلطوا بأهلها، ومنهم صنهاجة، وكتامة، ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيلي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير، وتأباه نسَّابة البربر، وهو الصحيح، وذكر المسعودي أيضا أن ذا الإذعار من ملوكهم، قبل إفريقش، وكان على عهد سليمان عليه السلام، غزا المغرب ودوخه، وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده، وأنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب، ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل، فرجع وكذلك يقولون في تُبَّع الآخر، وهو

---

[479] ـ نفس المصدر السابق

أسعد أبو كرب، وكان على عهد (يستأنف) من ملوك الفرس الكيانية أنه ملك الموصل، وأذربيجان، ولقي الترك فهزمهم، وأثخن، ثم غزاهم ثانية، وثالثة، كذلك، وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس، وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك، وراء النهر، وإلى بلاد الروم، فملك الأول البلاد إلى سمرقند، وقطع المفازة إلى الصين، فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها، ثم فأثخنا في بلاد الصين، ورجعا جميعا بالغنائم، وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد، وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها، ودوخ بلاد الروم ورجع[480].

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة، وذلك أن مُلك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب، وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن، وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهات، فبحر الهند من الجنوب، وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق، وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب، كما تراه في مصور الجغرافيا، فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقا من غير السويس، والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما، ويبعد أن يمر بهذا المسلك مَلِكٌ عظيم في عساكر موفورة من غير أن يصير من أعماله هذه ممتنع في العادة. وقد كان بتلك الأعمال العمالقة، وكنعان بالشام، والقبط بمصر، ثم ملك العمالقة مصر، وملك بنو إسرائيل الشام، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم، ولا ملكوا شيئا من تلك الأعمال وأيضا، فالشقة من البحر إلى المغرب بعيد، والأزودة والعلوفة للعساكر كثيرة، فإذا ساروا في غير أعمالهم، احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم، وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه، ولا يكفي ذلك للأزودة وللعلوفة عادة،

---

480 - ابن خلدون المقدمة.

http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_3227.pdf

وإن نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله، فلا بد وأن يمروا في طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها، ودوخوها، لتكون الميرة منها، وإن قلنا أن تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم، فتحصل لهم الميرة بالمسالمة، فذلك أبعد، وأشد امتناعا، فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة[481].

وأما وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط في ذكره في المغرب على كثرة سالكه، ومن يقصد طرقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة، وهو على ما ذكروه من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله[482].

وأما غزوهم بلاد الشرق، وأرض الترك، وإن كان طريقه أوسع من مسالك السويس، إلا أن الشقة هنا أبعد، وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك، ولم يُقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس، ولا بلاد الروم، وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق، وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات، وما بينهما في الأعمال، وقد وقع ذلك بين ذي الإذعار منهم و(كيكاوس)، من ملوك الكيانية، وبين تبع الأصغر أبي كرب و(يستاسف) معهم أيضا، ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية، والساسانية، في من بعدهم بمجاوزة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت، وهو ممتنع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات، مع بعد الشقة كما مر، **فالأخبار بذلك واهية مدخولة، وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها، فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح؟**[483]

---

[481] - نفس المصدر السابق
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_3227.pdf

[482] - نفس المصدر السابق
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_3227.pdf

[483] - نفس المصدر السابق
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_3227.pdf

وقول ابن إسحاق في خبر يثرب والأوس والخزرج أن تبعا الآخر سار إلى المشرق محمولا على العراق وبلاد فارس، وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر، فلا تثق بما يلقى إليك من ذلك، وتأمل الأخبار، واعرضها على القوانين الصحيحة، يقع لك تمحيصها بأحسن وجه، والله الهادي إلى الصواب.[484] "

ثالثا: أن الأشعار التي تذكر ذو القرنين وأنه عربي من حمير لم تنقل إلينا مسندة، وهي على الأغلب **منحولة،** وسبب ذلك نزعة التفاخر بالآباء التي جُبل عليها العربي، ثانيا التنافس الشديد بين القبائل القحطانية من جهة، والقبائل العدنانية من جهة أخرى، والذي أدى لمحاولة القبائل اليمنية القحطانية لادعاء أي شرف -حتى ولو بالباطل- في مواجهة القبائل العدنانية التي تفتخر عليهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم.

ونحن إذا درسنا هذه الأشعار دراسة نقدية سنجدها لاتُنبئ عن أصالة؛ فهي إما تتبع النص القرآني تماما بشكل يؤكد أنها صيغت بعد نزول القرآن، أو أنها تتحدث عن أمر خرافي ليس له علاقة بذي القرنين وقصته، مثل الأبيات التي تتحدث عن طول عمر الصعب ذي القرنين الذي عاش ألفين سنة، والتي ذكرها ابن حجر العسقلاني.

وفي رواية وهب عن الصعب ذي القرنين في كتاب التيجان، نجد الرحلة خرافية تماما وتتضمن عدة رومانسيات للإسكندر قد بيناها في الصفحات الفائتة.

رابعا: قد أثبتُ أن القول بأن ذا القرنين قد حج البيت وأنه التقى بنبي الله إبراهيم، هو زعم مأخوذ من التوراة، وأنه قول باطل.

---

484 - نفس المصدر السابق

خامسا: أنه من المستبعد جدا أن يختبر اليهود نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسألوه عن ملك يمني قديم قد "استفاض ذكره في أشعار العرب".

سادسا: أن العلماء الأجلاء أمثال ابن كثير، وإن لم ينتقدوا الرأي الذي يقول بأن ذا القرنين أحد ملوك حمير، إلا أنهم أيضا لم يظهروا تأييدهم له، والموافقة عليه، وربما سبب ذلك أنه ربما دار في خلدهم بعض ما أشرتُ إليه.

وملخص القول: لا يصح القول بأن ذا القرنين كان أحد التبابعة من ملوك حمير، لعدم كفاية الأدلة على ذلك، وبسبب موانع تاريخية، وجغرافية، ومنطقية.

المبحث الثالث: الملك الفارسي قورش الأكبر

هذا رأي ظهر في العصر الحديث، وأول من قال به من المسلمين هو أبو الكلام أزاد[485], وتبناه المودودي، وبعض علماء الشيعة، ومن مصر عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق.

ويقول عبد المنعم النمر أن أول ما لفت نظر أبي الكلام هو أن السائلين كانوا من اليهود، واستنتج من هذا أن ذا القرنين لابد

485 - هو محيي الدين أحمد بن خير الدين المشهور بلقب أبو الكلام آزاد، ولد في مكة عام 1888م / 1306 هـ وتوفي في دلهي في 22 فبراير 1958م / 3 شعبان 1377 هـ. وقد أخذ كنية أبو الكلام لكونه خطيباً بارعاً أما كلمة آزاد فتعني في اللغة الأردية "الحرُ". ينحدر أبو الكلام من أسرة أفغانية هاجرت إلى الهند زمن الإمبراطور بابر مؤسس الدولة المغولية في الهند سنة 1526م / 932 هـ.، وهو مناضل سياسي إسلامي ناضل ضد الإنجليز وانضم إلى غاندي، وتعرض للسجن، وعارض تقسيم الهند إلى دولتين، وبعد الإستقلال شغل منصف وزير الثقافة لمدة خمس سنوات، قم بترجمة معاني القرآن للغة الأردية.

أن يكون قد ذُكر في كتب اليهود المقدسة، والتي كانوا متأكدين أن النبي لم يطلع عليها[486].

لذا فإن أبا الكلام ذهب يبحث في التوراة حتى عثر على نص توراتي في سفر دانيال يذكر كبشا ذا قرنين، يقول النص: "3 فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَرَأَيْتُ وَإِذَا **بِكَبْشٍ وَاقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ**، وَالْوَاحِدُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِ، وَالأَعْلَى طَالِعٌ أَخِيرًا"، ويقول أيضا في تفسير الرؤيا: **"20 أَمَّا الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ مَادِي وَفَارِسَ."**[487]. ومن هنا جاءت الفكرة: فلم لايكون ذو القرنين هو قورش، فهو الذي وحَّد الميدين والفرس في دولته، وأصبح بذلك المؤسس لدولة الفرس الإخمينية؟ كما أن قورش الأكبر هو من سمح لليهود المأسورين في بابل بالعودة إلى ديارهم بالقدس، وما حولها، وكذلك بإعادة بناء الهيكل، وقد ذُكر قورش في التوراة، وقيل أن الله ألهمه إعادة اليهود إلى أرض فلسطين[488], بل ولقب بمسيح الله[489].



الشكل رقم (316) صورة فوتوغرافية لأبي الكلام أزاد.

---

[486] - مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184

[487] - سفر دانيال الإصحاح الثامن.

[488] - عزرا1: 1-8.

[489] - أشعياء 45:1.

وقد درس أبو الكلام أزاد ما قاله المؤرخون اليونانيون عن قورش، فوجدهم: "قد أجمعوا أنه كان ملكا عادلا، كريما، سمحا، نبيلا مع أعدائه، صعد إلي المقام الأعلى من الإنسانية معهم."[490]. وبالفعل فإن المؤرخ اليوناني (كسينوفون) Xenophon ينقل لنا صورة جيدة لقورش، فهو قد عامل الشعوب التي أخضعها باحترام كأنه أب لهم.

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر أن أبو الكلام تأكد ظنه عندما تم اكتشاف صورة جدارية لقورش وفوق رأسه قرنان[491]

أما عن العين الحمئة التي تقع في بلاد مغرب الشمس، فهي " الماء المائل للكدرة والعكارة، وليس صافيا. وذلك حين بلغ الشاطيء الغربي لآسيا الصغري، ورأي الشمس تغرب في بحر (إيجه)، في المنطقة المحصورة بين سواحل تركيا الغربية شرقا، واليونان غربا، وهي كثيرة الجزر والخلجان"[492].



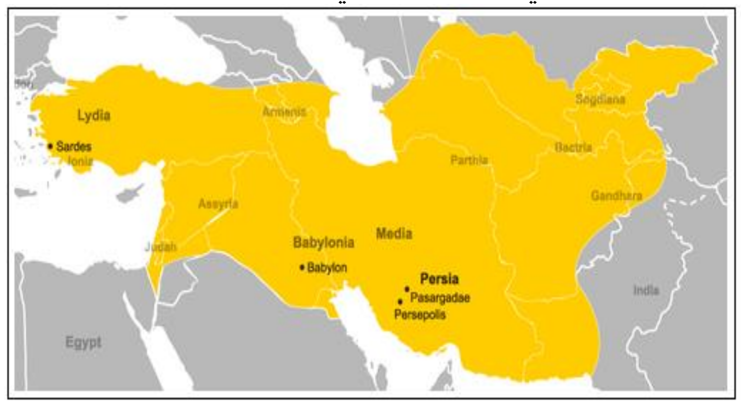
الشكل رقم (317) تقليد مطابق لأصل اللوحة الجدارية.

490 - مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.

491 - مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.

492- مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.

وأما "المقصود بمطلع الشمس هو: رحلته الثانية شرقا، التي وصل فيها إلي حدود باكستان، و أفغانستان الآن، ليؤدب القبائل البدوية الجبلية التي كانت تغير علي مملكته"[493].



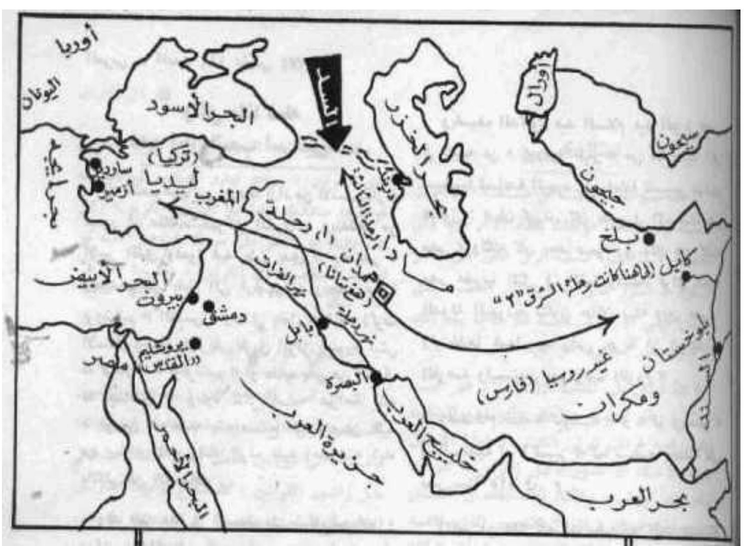
الشكل رقم (318) خريطة توضح امبراطورية قورش.

وأما يأجوج ومأجوج فهم القبائل المتوحشة التي كانت تجوب السهوب شمال القوقاز، وتعبر جبال القوقاز لتغير على الشعوب الواقعة جنوبها، فأقام قورش سدا هناك، وذلك في الممر الذي كان يمر منه المتوحشون، ويقول النمر: "ويؤكد أزاد كلامه بأن الكتابات الأرمنية – و هي كشهادة محلية – تسمي هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم "بهاك غورائي" أو "كابان غورائي" و معني الكلمتين واحد و هو مضيق "غورش" أو "ممر غورش" و "غور" هو اسم "غورش أو كورش". ويُضيف أزاد فوق هذا شهادة أخري لها أهميتها أيضا، وهي شهادة لُغةِ بلاد جورجيا، التي هي القوقاز بعينها، فقد سُمي هذا المضيق باللغة الجورجية من الدهور الغابرة **باسم الباب الحديدي**"[494].

---

493 - مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.

494 - مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.



الشكل رقم (319) خريطة توضح رحلة قورش لمغرب الشمس، ولمطلع الشمس، والسّد، حسب رأي أبي الكلام.

مناقشة هذا الرأي:

أولا: الكبش ذو القرنين: لا شك أن أبو الكلام كان موفقا في استنتاجه الرئيسي الذي بنى عليه نظريته، فما دام اليهود هم الذين سألوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، على سبيل الاختبار، فمن المرجح أنهم يسألونه عن شخصية ذُكرت في كتبهم.

ووصل أبو الكلام إلى أن الكبش ذا القرنين في رؤيا دانيال هو أقرب شيء لما يبحث عنه، فاستنتج أن قورش التي أطلق عليه كتبة سفر أشعياء مسيح الرب هو نفسه ذو القرنين الذي جاء ذكره في القرآن.

ولكن أبو الكلام ليس أول من قال بهذا فلقد وصل إلى نفس الاستنتاج الباحث الغربي (ردسلب) Redslob وذلك قبل أبو الكلام بسنوات طويلة[495].

ولكننا إذا دققنا في نص سفر دانيال، لتوصلنا إلى تفسير مختلف، ولنبدأ بدراسة النص:

" 1 فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ بَيْلْشَاصَّرَ الْمَلِكِ، ظَهَرَتْ لِي أَنَا دَانِيآلَ رُؤْيَا بَعْدَ الَّتِي ظَهَرَتْ لِي فِي الابْتِدَاءِ.2 فَرَأَيْتُ فِي الرُّؤْيَا، وَكَانَ فِي رُؤْيَايَ وَأَنا فِي شُوشَانَ الْقَصْرِ الَّذِي فِي وِلاَيَةِ عِيلاَمَ، وَرَأَيْتُ فِي الرُؤيَا وَأَنَا عِنْدَ نَهْرِ أُولاَيَ.3 فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَرَأَيْتُ وَإِذَا **بِكَبْشٍ وَاقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ**، وَالْوَاحِدُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِ، وَالأَعْلَى طَالِعٌ أَخِيرًا.4 رَأَيْتُ الْكَبْشَ يَنْطَحُ غَرْبًا وَشِمَالاً وَجَنُوبًا فَلَمْ يَقِفْ حَيَوَانٌ قُدَّامَهُ وَلاَ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ، وَفَعَلَ كَمَرْضَاتِهِ وَعَظُمَ.5 وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُتَأَمِّلاً إِذَا بِتَيْسٍ مِنَ الْمَعْزِ جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ وَلَمْ يَمَسَّ الأَرْضَ، وَلِلتَّيْسِ قَرْنٌ مُعْتَبَرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.6 وَجَاءَ إِلَى الْكَبْشِ صَاحِبِ الْقَرْنَيْنِ الَّذِي رَأَيْتُهُ وَاقِفًا عِنْدَ النَّهْرِ وَرَكَضَ إِلَيْهِ بِشِدَّةِ قُوَّتِهِ.7 وَرَأَيْتُهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِ الْكَبْشِ، فَاسْتَشَاطَ عَلَيْهِ وَضَرَبَ الْكَبْشَ وَكَسَرَ قَرْنَيْهِ، فَلَمْ تَكُنْ لِلْكَبْشِ قُوَّةٌ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَهُ، وَطَرَحَهُ عَلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَبْشِ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ. فتَعَظَّمَ تَيْسُ المَعْزِ جِدًّا. وَلَمَّا اعْتَزَّ انْكَسَرَ الْقَرْنُ الْعَظِيمُ، وَطَلَعَ عِوَضًا عَنْهُ أَرْبَعَةُ قُرُونٍ مُعْتَبَرَةٍ نَحْوَ رِيَاحِ السَّمَاءِ الأَرْبَعِ.9 وَمِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا خَرَجَ قَرْنٌ صَغِيرٌ، وَعَظُمَ جِدًّا نَحْوَ الْجَنُوبِ وَنَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ فَخْرِ الأَرَاضِي.10 وَتَعَظَّمَ حَتَّى إِلَى جُنْدِ السَّمَاوَاتِ، وَطَرَحَ بَعْضًا مِنَ الْجُنْدِ وَالنُّجُومِ إِلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُمْ.11 وَحَتَّى إِلَى رَئِيسِ الْجُنْدِ تَعَظَّمَ، وَبِهِ أُبْطِلَتِ الْمُحْرَقَةُ الدَّائِمَةُ، وَهُدِمَ مَسْكَنُ مَقْدِسِهِ."[496]

---

[495] - http://www.islamic-awareness.org/Quran/Sources/BBhorned.html

[496] - سفر دانيال الإصحاح 8.

وفي تفسير الرؤيا يقول النص على لسان جبريل عليه السلام: "وَقَالَ: «هأَنَذَا أُعَرِّفُكَ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ السُّخَطِ. لأَنَّ لِمِيعَادِ الانْتِهَاءَ.20 أَمَّا **الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ مَادِي وَفَارِسَ.**21 وَالتَّيْسُ الْعَافِي مَلِكُ الْيُونَانِ، وَالْقَرْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ هُوَ الْمَلِكُ الأَوَّلُ.22 وَإِذِ انْكَسَرَ وَقَامَ أَرْبَعَةٌ عِوَضًا عَنْهُ، فَسَتَقُومُ أَرْبَعُ مَمَالِكَ مِنَ الأُمَّةِ، وَلكِنْ لَيْسَ فِي قُوَّتِهِ.23 وَفِي آخِرِ مَمْلَكَتِهِمْ عِنْدَ تَمَامِ الْمَعَاصِي يَقُومُ مَلِكٌ جَافِي الْوَجْهِ وَفَاهِمُ الْحِيَلِ.24 وَتَعْظُمُ قُوَّتُهُ، وَلكِنْ لَيْسَ بِقُوَّتِهِ. يُهْلِكُ عَجَبًا وَيَنْجَحُ وَيَفْعَلُ وَيُبِيدُ الْعُظَمَاءَ وَشَعْبَ الْقِدِّيسِينَ."[497].

إننا إذا استقرأنا رمز القرن في الكتاب المقدس، لوجدناه يرمز للملِك، والقرون ترمز للملوك، وذلك بتفسير نصوص الكتاب المقدس نفسه؛ ففي نفس السفر وهو سفر دانيال في الإصحاح السابع: "وَالْقُرُونُ الْعَشَرَةُ مِنْ هذِهِ الْمَمْلَكَةِ هِيَ عَشَرَةُ مُلُوكٍ يَقُومُونَ، وَيَقُومُ بَعْدَهُمْ آخَرُ، وَهُوَ مُخَالِفٌ الأَوَّلِينَ، وَيُذِلُّ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ."

وفي تفسير قرن التيس نجد: "21 وَالتَّيْسُ الْعَافِي مَلِكُ الْيُونَانِ، وَالْقَرْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ هُوَ الْمَلِكُ الأَوَّلُ"

وفي نفس الإصحاح، يقول الكاتب على لسان جبريل في تفسير **القرن الصغير:**"23وَفِي آخِرِ مَمْلَكَتِهِمْ عِنْدَ تَمَامِ الْمَعَاصِي يَقُومُ **مَلِكٌ** جَافِي الْوَجْهِ وَفَاهِمُ الْحِيَلِ."

وفي سفر الرؤيا من العهد الجديد يقول الكاتب السفر: "وَالْعَشَرَةُ الْقُرُونِ الَّتِي رَأَيْتَ هِيَ **عَشَرَةُ مُلُوكٍ** لَمْ يَأْخُذُوا مُلْكًا بَعْدُ، لكِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ سُلْطَانَهُمْ كَمُلُوكٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مَعَ الْوَحْشِ."

وهكذا يمكننا فهم ما هو الكبش ذو القرنين، وما هما قرناه، إن الكبش ليس إلا رمز للملكة الفرس الإخمينية التي سوف تنتهي تحت ضربات مملكة اليونان –وهي التيس- بقيادة قرنها وهو الإسكندر الأكبر، وعلى هذا يكون القرنان هما ملكان عظيمان

---

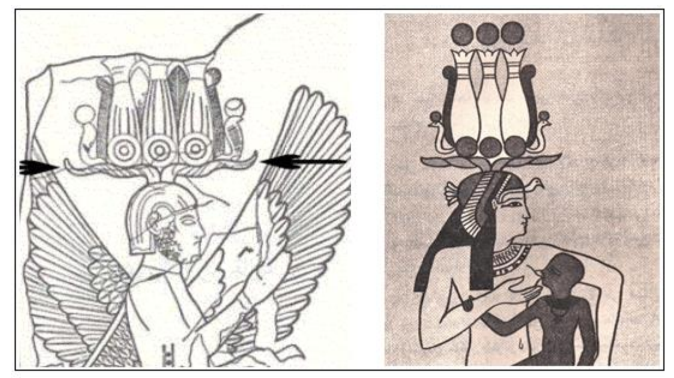
[497] - سفر دانيال الإصحاح 8.

لهذه الأمة، ويؤكد ذلك أن النص يخبرنا أن القرنان لم يطلعا في نفس الوقت بل الأعلى طلع أخيرا.

إذا لا ريب أن المقصود من القرنين هو ملكان عظيمان من ملوك مملكة الفرس الإخمينية، ولن نحتار في تحديدهما فهما قورش الأكبر، ودارا الأكبر.

كما أن الكبش المهزوم لايمكن أن يكون رمزا لذي القرنين، الذي بلغ مغرب الشمس، ومشرقها، وبنى السد على يأجوج ومأجوج.

ثانيا: تمثال قورش: أما عن التمثال الجداري لقورش والذي يظهر فيه الملك وعلى رأسه قرنان، هذا التمثال الذي اعتبره أبو الكلام تأكيدا لأن قورش هو ذو القرنين، فأقول إن هذين القرنين، والزينة التي تعلوهما هما قرنان لأحد إلهات المصريين القدماء الباطلة، وبالتحديد هي الإلهة الباطلة (سوبيك- نيت)، وهي واحدة من أقدم ربات المصريين القدماء الباطلة.



الشكل رقم (320) على اليمين صورة للإلهة الباطلة (سوبيك- نيت) أحد أشكال الإلهة الباطلة (نيت)، وهي ترضع الطفل (حورس)، وفوق رأسها قرنين وتاج، وعلى اليسار رسم لجدارية قورش، وهو يرتدي القرنين والتاج. وهما يشبهان تماما قرني وتاج الإلهة الباطلة.

لقد كان هناك كاهن طبيب كان يعيش في مدينة سايس المصرية يُسمى (ياتشت حيرو) Udja-Hor، هذا الكاهن كان الكاهن الأكبر للإلهة (نيت) الباطلة، وقد استطعنا عن طريق نص منقوش على تمثاله المحفوظ في الفاتيكان، استطعنا أن نعلم أن هذا الكاهن "هو الذي استقبل الملك الفارسي قمبيز عند زيارته لسايس بعد فتحه لمصر، وأنه شرح له مدى قِدَم وعظمة الربة نيت، وقاده خلال الهياكل المختلفة التي تم تجميعها معا في معبدها"[498].

ويخبرنا النص أن الكاهن أخبر الملك قمبيز: "أن نيت هي الأم القديرة التي ولدت رع، وهي أول من أنجبت أي شيء، وأنها فعلت هذا عندما لم يكن قد ولد لأي شيء آخر، وأنها نفسها لم تولد أبدا"[499].

ويقول النص أن قمبيز قد قدم الهبات للإلهة الباطلة تماما كما فعل كل ملك إله آخر[500]. وهكذا نكون قد علمنا مصدر قرنيّ قورش، فهما قرنا الإلهة الباطلة المصرية (نيت)، والتي تقرب إليها قمبيز ابن قورش، ولايبعد أن يكون قمبيز قد أمر بصناعة تمثال لوالده على هذه الهيئة. ومهما كان الأمر، فإن قرني الإلهة الباطلة (نيت) لا يصلحان أن يجعلا من قورش ذا القرنين.



الشكل رقم (321) تمثال (ياتشت – حيرو) كاهن الإلهة الباطلة (نيت) والمحفوظ في الفاتيكان.

---

498 - آلهة المصريين والاس بدج مكتبة المدبولي القاهرة الجزء الأول ترجمة محمد حسين يونس صفحة 545.

499 - نفس المصدر السابق.

500 - نفس المصدر السابق.

ثالثا: دين قورش: أما بالنسبة لدين قورش وأخلاقه، فرغم أن المصادر تجمع على أنه سمح لليهود بالعودة إلى ديارهم، فإن الباحثين مختلفين إزاء أسباب ذلك، فهناك من يرى أن قورش كان يؤمن بالديانة الزرادشتية، والتي بها نوع من التوحيد، على الأقل في منشأها، وبالتالي شعر بالتعاطف مع اليهود.

غير أن الأدلة الأثرية تدحض هذا الرأي؛ فهناك إسطوانة عُثر عليها مرقومة بالخط المسماري، أطلق عليها العلماء أسطوانة قورش، ويؤكد نص الإسطوانة أن قورش كان وثنيا، ففي الجزء الثاني يقول النص أن الإله (مردوخ) هو الذي اختار قورش، والجزء الرابع ابتهالات من قورش (لمردوخ)، والجزء السادس تفاصيل عملية البناء التي أمر بها قورش في بابل ومن أهمها إعادة بناء المعابد للآلهة الباطلة.

وبينما نجد أن (عزرا) في سفره [501] يقول أن الله هو الذي أوحى إلى قورش بإعادة اليهود إلى وطنهم، إلا أن نص الإسطوانة عندما يتحدث عن إعادة الأقوام إلى أوطانها، فإنه يتحدث عن أوامر الإله الباطل (مردوخ)[502].



الشكل رقم (322) أسطوانة قورش.

---

[501] - عزرا 1 1-8.

[502] - ويكيبديا Cyrus the Great in the Bible

إذا فقورش كان متسامحا مع الأقوام والشعوب التي فتح بلادها، بل إنه كان يتقرب إلى آلهة هذه البلاد المغلوبة، لينال رضى سكانها، أين هذا من ذي القرنين، الذي خيره الله فاختار أن يعذب الكافرين، ويحسن إلى المؤمنين، شتان بين الرجلين.

رابعا: رحلات قورش: أما عن رحلات قورش أو فتوحاته فإن أقصى توجهه للغرب هو غرب آسيا الصغرى، وهي دولة تركيا الحالية، وهذا الموضع لايطلق عليه بأي حال مغرب الشمس، وليس هناك أي عيون حمئة حامية، ولم يذكر التاريخ أن قورش عذّب قوما هناك بسبب كفرهم، وأحسن إلى آخرين لأنهم مؤمنين.

وبالمثل فإن مناطق باكستان وأفغانستان الذي قيل أن قورش وصل إليهما ليستا مطلع الشمس، وسكانها ليسوا من العراة.

أما عن السد الذي في القوقاز، فلم يسجل التاريخ أن قورش قد بنى سدا أو حتى بوابة هناك، ولم يعثر على أي آثار لسد في هذه المنطقة يشبه سد ذي القرنين الذي وصفه القرآن.

وهكذا يتضح لنا بما لايدع مجالا للشك أن قورش ليس هو ذو القرنين.

المبحث الرابع: شخصيات أخرى

أولا: هل كان ذو القرنين مَلَكًا من الملائكة؟

فلقد أخرج ابن عبد الحكم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب الأضداد، وأبو الشيخ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رجلًا ينادي بمنى ياذا القرنين فقال له عمر: "ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء، فما لكم وأسماء الملائكة"[503].

[503] ـ الألوسي، تفسير مفاتيح الغيب.

ويبدو أن جبير بن نفير أحد التابعين كان هو أيضا يرى أن ذا القرنين كان ملكا من الملائكة، فقد أخرج ابن أبي حاتم عنه أنه قال: "ذو القرنين ملك من الملائكة أهبطه الله إلى الأرض، وآتاه الله من كل شيء سببا".

أما العلماء فكان لهم رأي آخر، فإننا نجد ابن كثير يقول: "وأغرب من قال ملكا من الملائكة"، بينما يعلق الألوسي على رواية عمر بن الخطاب: "وهذا قول غريب بل لا يكاد يصح، والخبر على فرض صحته ليس نصًا في ذلك إذ يحتمل ولو على بعد أن يكون المراد أن هذا الاسم من أسماء الملائكة عليهم السلام فلا تسموا به أنتم وأن تسمى به بعض من قبلكم من الناس"[504].

وربما نشأ هذا القول نتيجة العجائب التي قام بها ذو القرنين، وهو قول لادليل عليه، فالأصل أنه إذا ذكر في القرآن اسم فهمنا أنه إنسان مالم ينص أو يشار لغير ذلك، يدل على ذلك قوله عز وجل: "...وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..." فاحتاج إلى أن ينص على أنهما ملكان، وإلا انصرف الذهن إلى أنهما بشريان.

كما أن الملائكة يفعلون ما يُؤمرون، ولايُخيرون، بينما خيَّر الله ذا القرنين، في قوم مغرب الشمس، مما يدل على أنه رجل من البشر.

ثانيا: هل كان ذو القرنين داعيا إلى الله، وقتل وبعث مرتين؟

وصلتنا روايات منسوبة لعلي بن أبي طالب عن ذي القرنين، تقول بأن ذا القرنين كان رجلا صالحا دعا قومه للإسلام، فضربوه على قرنه فمات ثم بعثه الله، فدعاهم مرة ثانية فضربوه على قرنه الآخر فمات.

ففي تفسير ابن كثير: "وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: سئل عليّ رضي الله عنه عن ذي

---

504 - نفس المصدر السابق.

القرنين، فقال: كان عبدا ناصحا لله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فسُميّ ذا القرنين، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك".

والرواية لم يلتفت إليها العلماء، وفكرة الموت والبعث تذكرنا بالآلهة الباطلة التي كان يعتقد عبّادها أنها تموت ثم تبعث، ومنها (أُزَيْرِس)، و(تموز)، و(أدونيس).

وربما يكون مصدر فكرة الرواية هو عقائد الإله الباطل (ديونيسوس)، فلقد لقب (ديونيسوس) بذي القرنين[505]، ولقب بـ "المولود مرتين"، وقيل عنه أنه له قوى تنبؤ تشابه ما كان (لأبولو)[506]، بل وتقول عنه الأساطير أنه سافر حتى بلغ الهند وأقصى شرق العالم، وربما وصلت الفكرة للبيئة الإسلامية ونُسبت للإمام علي، ومصدرها هو بعض مسلمي أهل الكتاب من الشام أو العراق، ممن اطلع على الثقافة اليونانية.

ثالثا: هل (أفريدون) هو ذو القرنين؟

ذكر بعض علماؤنا الأجلاء رأيا يقول بأن (أفريدون) هو ذو القرنين، و(أفريدون) هو نفسه (فريدون) المذكور في قصيدة الشاهنامة، وهو ملك أسطوري، استطاع بمساعدة (كاواه) أن يقتل (الضحَّاك) الشرير الذي كان يحكم العالم، واستطاع أن يحكم العالم من بعده، وأن يكون حاكما صالحا، فرد المظالم التي كانت

---

505 ـ تحدثت عن هذا سابقا، واستنجت أن ديونيسوس هو صدى من أصداء أزيرس المصري.

506 ـ كان عند اليونانيين الوثنيين أنبياء، وكانوا يقصدون بهذه الكلمة الرجل الذي يتلقى وحيا من إلهه الباطل أو من صنم هذا الإله، ويحمل الوحي ننبوءة بالمستقبل، وهو مفهوم بعيد تماما عن مصطلح نبي في دين الإسلام، وربما تسربت هذه الفكرة للمصادر المسيحية، فلما جاء القرآن، وذكر ذا القرنين، ظن بعض مسلمي أهل الكتاب أنه ديونيسوس لأنه يحمل اللقب.

في عهد (الضحاك)، وهو أول من ذلّل الفِيَّلة، وعمل الترياق، وأمر الناس بعبادة الله، والإنصاف، والإحسان.

ولقد قسم (إفريدون) العالم من بعده بين أبنائه الثلاث، فأعطى المغرب-ويشمل مُلك الروم- (لسالم)، وأعطى المشرق، ويشمل وسط آسيا، والصين- إلى (تُور)، وأعطى إيران وهي وسط العالم وأفضل مكان، إلى إبنه (إيراج).

ويقول الدارسون في الأساطير الإيرانية أن (أفريدون) مشتق من اسم إله باطل قديم فيي اللغة الهندية الإيرانية الأولى، وهو (تريتنس) Traitaunas, وقد انشعب هذا الإله الباطل إلى الإله الباطل (تريت)Triat الهندي في كتاب الفدا المقدس عند الهندوس، و(ثريتا) في كتاب الأبستاق المجوسي، وكل من الكلمتين تعني الثالث[507].

ويرى البعض أنه قد يكون (إفريدون) في أصل الأساطير الإيرانية هو بطل قتل التنين المسمى (أزي دهاك)، والذي تحول إلى ملك عربي شرير، وتحول البطل الذي قتله إلى الملك العادل (إفريدون).

وأيا ما كان الأمر فإن (الشاهنامة)، ومن قبلها الأساطير الإيرانية، لم تنسب (لإفريدون) هذا أنه تلقب بذي القرنين، أو أنه بلغ مغرب الشمس، أو مطلع الشمس، أو بين السدين، أو أنه عذب كافري المغرب، وأحسن إلى مؤمنيهم، ولا أنه بنى سدا ليحمي قوما من إعتداء يأجوج ومأجوج عليهم، فأنَّى (لإفريدون) بعد ذلك أن يكون هو ذا القرنين؟

والعجيب حقا أن المؤرخين المسلمين قد وثقوا في قصيدة (الشاهنامة)، واعتبروها مرجعا في تاريخ العالم، وقد اتضح أن الشخصيات والأحداث التي روت فيها أسطورية، لاتمُت للحقيقة بصلة تذكر.

---

[507] - http://en.wikipedia.org/wiki/Fereydun

رابعا: هل إخناتون هو ذو القرنين؟



الشكل رقم (323) تمثال إخناتون.

فصَّل حمدي بن حمزة أبو زيد في كتابه: "فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج" نظريته الجديدة في تفسير قصة ذي القرنين القرآنية، وتحديد شخصية ذي القرنين.

وتوصل أبو زيد إلى أن ذا القرنين هو الملك المصري القديم (إخناتون)، وأن مغرب الشمس هو جزر المالديف، أما مطلع الشمس فهي جزر (كيريباتي)، وأن السد في بعض مناطق الصين، وأن يأجوج ومأجوج هم قبائل المغول، والترك.

ولكن (إخناتون) كان عابدا للشمس، ولامجال لجعله موحدا أو عابدا لخالق الشمس، فالنصوص التي وصلتنا عنه لم يكتبها خصومه الوثنيين، بل نقشها كتبته تحت إشرافه الشخصي، وهي تؤكد أنه كان صاحب ثورة دينية، كان الهدف منها ترك عبادة الآلهة، والاكتفاء بعبادة إله واحد – ولكن ويالالأسف - وهو قرص الشمس (آتون).



الشكل رقم (324) إخناتون وأسرته يتعبدون لقرص الشمس آتون.

ولقد قال أبو زيد أن مغرب الشمس ومطلع الشمس هما منطقتان تقعان على خط الاستواء، ورغم أنه أصاب في ذلك إلا أنه لم يفسر لنا ذلك جغرافيا.

أما مغرب الشمس فلقد قال أبو زيد أنها جزر المالديف، لأن بقربها في المحيط الهندي تحدث ظاهرة الحلقات الحلزونية بسبب التيارات البحرية، وتكون مياهها دافئة، وقد عُثر في الجزر على قوارب أثرية من القصب، تشبه قوارب المصريين القديمة.

وكما ترى فإن الدلالة ضعيفة، فإن الذي يبحر من مصر عبر البحر الأحمر ويبحر في اتجاه مشرق الشمس، ويرى الشمس تشرق من جزر الماليف، فإنه لايمكن أن يُطلق علي هذه الجزر

في -هذه الحالة- اسم مغرب الشمس، كما أن الحلقات الحلزونية ليست عينًا، وليست مياهها حامية، أوحمئة.

أما مطلع الشمس فقد جعله أبو زيد جزر (كريباتي) في المحيط الهادي، وذلك - حسب قوله- لأنها أول مناطق العالم تطلع عليها الشمس في كل صباح، ولكنه هنا يعتمد على وضع افتراضي اعتباطي وضعه البشر منذ فترة قريبة، وهو خط الطول (جرينتش)، وخط الطول التاريخي، وهما خطان لا يعتمدان على أي حقيقة جغرافية، فكيف نُلْزِم القرآن بما افترضه البشر بعد نزول القرآن بقرون؟ ثم لماذا لم يقل أبو زيد بأن آخر البلاد جهة الغرب قبل خط الطول التاريخي هي آخر بلاد تغرب عليها الشمس وأنها هي مغرب الشمس؟

أما السد فلقد اعتمد أبو زيد على أنه قد وجد معنى لكلمتي يأجوج ومأجوج، أو لكلمتين قريبتين منهما في اللغة الصينية، فاختار جدارا من أقدم جُدر الصين، وقال أنه هو سد ذي القرنين، رغم أن هذا الجدار مخالف في أوصافه لسد ذي القرنين الذي وصفه القرآن وصفا دقيقا.

وأرى أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا، جعله الله في ميزانه، لكن لكل ما سبق فإني أرى أن نظرية أبو زيد هي نظرية لاتصح.

نتائج الباب الرابع

- الاسكندر الأكبر ليس هو ذا القرنين الذي ذكره الله في القرآن الكريم، لأن الإسكندر الأكبر كان وثنيا مُشركا، بينما كان ذو القرنين نبيا من الصالحين، ولأن الإسكندر لم يصل إلى مغرب الشمس، ولا إلى مطلع الشمس، ولا إلى منطقة بين السدين، بينما وصل إليها ذو القرنين، والإسكندر لم يبن سدا ليفصل بين يأجوج ومأجوج وبين بعض المستضعفين، بينما بنى ذو القرنين سدا من حديد ونحاس، والإسكندر لم يُعذب طائفة من كافري مغرب الشمس، ولم يحسن إلى مؤمنيهم، بينما فعل ذو القرنين، وأخيرا فإن الإسكندر لم يلقب بذي القرنين قبل نزول القرآن، بينما كان هذا لقبا لذي القرنين.

- التشابه بين قصة ذي القرنين وبين قصة وحكايات الاسكندر **مقصود** من الله العليم الخبير، لقد اختار الله عز وجل النقاط المتشابهة بين قصة ذي القرنين الحقيقي، وبين القصص المنسوبة إلى الإسكندر الأكبر، حتى يظن اليهود أن القرآن يعني الاسكندر، ومن ثَم يشهدوا بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو نبيٌ من عند الله، فإذا جاء العصر الحديث وتقدمت علوم دراسة التاريخ والجغرافيا توصلنا لمعرفة شخصية ذي القرنين، مصداقا لقوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"[508].

- لم يكن ذو القرنين ملِكا عربيا معاصرا لإبراهيم عليه السلام، والروايات الواردة في ذلك هي أساطير مأخوذة من العهد القديم، أوبالتحديد من الروايات الشفوية التي نسجت حول نصوص سفر التكوين عن الملِكين القديمين المعاصرين لنبي الله

---

[508] - فصلت :53

إبراهيم عليه السلام: (مليكي صديق) ملك مدينة بيت المقدس، و(أبيمليك) ملك الفلسطينيين، وربما استمدت رافدا من عقيدة الإله الباطل (بعل) عند الكنعانيين جيران بني إسرائيل في أرض فلسطين.

- لم يكن ذو القرنين أحد ملوك حِمْيَر من التبابعة، رغم مزاعم بعض العرب، فلقد كان التبابعة أضعف من أن يغزو المغرب أوالمشرق، وهو الزعم الذي فنده ابن خلدون في مقدمتة، وفندته الكشوف الأثرية في العصر الحديث.

- قورش ليس ذي القرنين، فلم يبلغ مغرب الشمس، ولا مطلعها، ولم يعذب قوما بسبب كفرهم ولم يحسن لآخرين بسبب إيمانهم، ولقد احترم الديانات الوثنية وآلهة الوثنيين، وليس هو الكبش ذو القرنين المذكور في العهد القديم، وقرناه في أحد الجداريات ليسا إلا قرنا الإلهة الباطلة المصرية (نيت).

- ذو القرنين لم يكن مَلَكا من الملائكة، ولم يكن داعيا إلى الله قُتل مرتين ثم أحياه الله تعالى، ولم يكن (أفريدون) الملك الفارسي الأسطوري، ولم يكن (إخناتون) الفرعون المصري القديم.

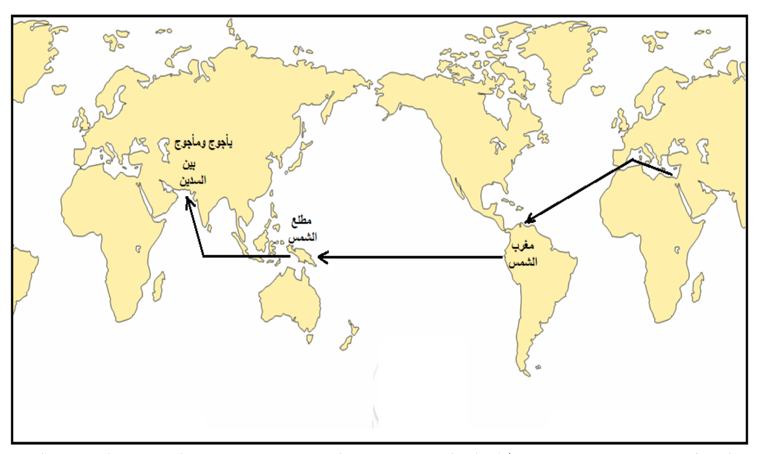
الخــاتمة

نتائج البحث، ومواضع الإعجاز، والشبهات والرد عليها

أولا: نتائج البحث:

1- استطعتُ بفضل الله وحده ثم عن طريق تحليل الآيات تحليلا بيانيا جغرافيا التوصل إلى تحديد منطقة مغرب الشمس، ومنطقة مطلع الشمس، ومنطقة بين السدين، وماهية العين الحمئة الحامية، وتحديد القوم الذين الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا في مطلع الشمس، ومعرفة هذا ماهية هذا الستر، وكذلك تحديد من يكون يأجوج ومأجوج وحل معضلتهم، وتحديد المكان المتوقع لسد ذي القرنين، وتحديد الطريقة التي سافر بها ذو القرنين إلى مغرب الشمس، ثم إلى مطلع الشمس، ثم إلى منطقة بين السدين؛ فمغرب الشمس هو منطقة الأنديز الاستوائية، ومطلع الشمس هي مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، ومنطقة بين السدين هي حوض (سيستان) الذي يقع في دولة أفغانستان، والعين الحمئة الحامية هي بحيرة بركانية لبركان نشط بها (جيزر) تشبه بحيرة الحميم بدولة (دومينيكا) الحالية، أما القوم الذين لم يجعل الله لهم من دون الشمس سترا ويسكنون مطلع الشمس فهم سكان مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، والستر المقصود هو الملابس، فهم من العراة، أما يأجوج ومأجوج فهم أسلاف الترك، أو الترك والمغول الذين كانوا يقطنون منطقة وسط آسيا، وهم ليسوا محبوسين الآن،

بل ولم يحبسوا يوما، وتوصلت إلى أن الممر الذي يقع على الحدود بين إيران وأفغانستان هو الموضع المتوقع للسد، والذي أرى أنه قد هُدم منذ وقت طويل، أما الطريقة التي سافر بها ذو القرنين إلى المواضع الثلاث، فقد كانت بركوب البحر، والسير غربا في أغلب أوقات الرحلات الثلاث، فلقد قطع البحر المتوسط، وعبر المحيط الأطلنطي ليصل إلى مغرب الشمس، ثم عبر المحيط الهادي ليصل إلى مطلع الشمس، ثم أبحر في المحيط الهندي ليصل إلى منطقة بين السدين.



الشكل رقم (325) خريطة العالم موضح عليها رحلات ذي القرنين الثلاث إلى مغرب الشمس ثم إلى مطلع الشمس ثم إلى بين السدين.

2- وعن طريق قراءة جديدة في تراث الأمم السابقة وصلت إلى تأكيدات للنتائج السابقة، كما توصلت إلى نتائج أخرى، منها أن قرني ذي القرنين هما جبلان عظيمان أحدهما في مغرب الشمس، والآخر في مطلع الشمس، وأن القرآن عرض شيئا يسيرا من أعمال ذي القرنين، فهو بجوار ما ذكره القرآن المُحَضِّر الذي طاف العالم ليُحضره، وينشر السلام، والإيمان، وهو الملك الذي جعله الله ملكا على مصر، وهو المُعلَّم الذي أوتي العلم الكوني

الذي استطاع به الارتحال إلى أطراف العالم، واستطاع به نشر الحضارة بين البشر في الأماكن التي وصلها، وقيادتهم في مشاريع الريّ العملاقة، وبناء سد يأجوج ومأجوج، وكذلك استطعت التوصل إلى البلد التي مَكَّن الله لذي القرنين فيه، ومنها خرج ليجوب العالم، فهي مصر، وإلى الطريقة التي عذّب بها ذو القرنين كافري مغرب الشمس، فلقد تم ذلك بأن فجَّر عليهم البركان المجاور فاصطلوا بدخانه، وناره، ورماده، كما استطعت معرفة كيف قال ذو القرنين للمؤمنين من أمره يُسرا، فلقد علمهم مما علمه الله، علمهم الزراعة والريّ، وشئون الحضارة، وبذلك يسر عليهم شؤون حياتهم، واستطعت التوصل إلى ماذا فعل ذو القرنين في مطلع الشمس، فبجوار أنه دعاهم للإيمان فإنه علمهم شئون الحضارة خاصة الزراعة والري، كما توصلت إلى أن ذا القرنين زار بلاد أخرى غير مغرب الشمس، ومطلعها، وبين السدين، من أهمها بلاد العراق القديم، كما توصلت إلى أنه بعد أن دار حول العالم فإنه عاد إلى مصر.

3- وبدراسة تراث القدماء وجدت أن (أُزَيْرِس) هو ذو القرنين، أو هو -على الأقل- ما بقي في ذاكرة المصريين عن ذي القرنين ورحلته، فلقد لُقب بذي القرنين، ولقد كان ملكا على مصر، وبعد أن حضَّر المصريين، فقد طاف العالم ليحضر شعوبه المختلفة، وقيل عنه أنه مشى على طريق الشمس، وذهب إلى مغرب الشمس، وهناك عذَّب الكافرين الذين رفضوا دينه، وجعلوه وراءهم ظهريا، بينما أحسن إلى المؤمنين هناك فأقطعهم الأراضي الزراعية، وقيل أنه عبر إلى مشرق الشمس، وأنه ذهب إلى حيث الزُرَّاع الذين يزرعون حقولهم عند سفح جبل مشرق الشمس، وقيل عنه، أنه ذهب إلى أرض ما، وهناك بنى في شمالها سوره الحربي المحصن. وبجوار (أُزَيْرِس) فإن كل من (أَنْكي)، و(نينورتا) في العراق مُستمَدان من شخصية ذي القرنين، وعند اليونانيين فإن كثير من أبطالهم مُستمد من شخصية ذي القرنين

مثل (هِرَكْلِيس)، (بوزيدون)، و(ديونيسوس)، بل إن بعض الملوك التاريخيين نُسجت حولهم أساطير مستمدة أساسا من قصة ذي القرنين، وأشهرهم (جلجامش)، والإسكندر الأكبر. وقد استطعت استنتاج أن (أُزَيْرِس) الذي هو ذو القرنين هو نفسه عُزير المذكور في القرآن، وهو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وذكر أيضا في القرآن، وهو نفسه نبي الله إدريس على الأرجح. كما استطعت تفنيد الآراء التي تقول أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر، أو أنه ملك عربي معاصر لنبي الله إبراهيم، أو ملك من التبابعة ملوك حمير، أو قورش الأكبر ملك الفرس.



الشكل رقم (326) أزيرس يرتدي تاجه، والقرنين.

4- وفي مجال دراسة الديانات القديمة، والدين المقارن، وعلم الأساطير المقارن توصلتُ في هذه الدراسة - بفضل الله وحده- لنتائج غير مسبوقة فقد حلّت الدراسة شفرة ديانة المصريين القدماء، فالمصريين بُعث فيهم نبي الله (أُزَيْرِس)/عزير الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، فنشأ عن ذلك إيمانهم المتين بالبعث، ثم إن هذا النبي العظيم علمهم الدين وأسس الحضارة وخاصة الزراعة والري، ثم طاف العالم لينشر الإيمان والحضارة فهو ذو القرنين،

ومن هذه الرحلة نشأت عقيدة رحلة الموتى، وكثير من عقائد المصريين ومنها على سبيل المثال بناء الأهرام فهي بناء على مثال جبل مغرب الشمس البركاني والذي تصور المصريين القدماء أن الشمس تغرب بالدخول فيه، واعتبروه موتا مؤقتا للشمس، ومنها أيضا جنة (سخت عارو)، والتي ليست إلا حقول العراة في مطلع الشمس وهي أودية مرتفعات جزيرة (غينيا) الجديدة، وبعد أن عاد هذا النبي العظيم إلى مصر فإنه رُفع إلى السماء فهو نفسه نبي الله إدريس، ومن هنا جاءت عقيدة عروج المتوفَّى إلى سماء النجوم، وبعد أن مرت السنين والدهور فلقد تحرّفت عقيدة المصريين القدماء، فعبدوا الشمس التي كان يتبعها ذو القرنين في رحلاته، وعبدوا شخصيات مستمدة من ذي القرنين أشهرها شخصية (أُزَيْرِس)، وشخصية (حورس)، وربما شخصية (بتاح) وشخصية (تحوتي)، أما باقي العقائد فإنها جاءت من عبادة الحيوان والطوطم، ومن عبادة البروج والنجوم المختلفة، والأساطير التي نسجت عنها. وبجوار الديانة المصرية فإننا نجد البحث يميط لنا اللثام عن كثير من أصول العقائد، والأساطير في الديانات والمعتقدات الأخرى، ويكفي أن (فِشْنُو) المعبود الرئيسي عند غالبية الهندوس اليوم، هو صورة منحدرة من شخصية ذي القرنين كما وضَّحْتُ. كما استطعت في هذه الدراسة أن أصل إلى تحديد الكثير من المناطق الأسطورية مثل (أَمِنْت) و(سخت عارو)، والعالم السفلي، عند المصريين القدماء، و(دلمن) و(أبسو) عن العراقيين القدماء، و(هسبريا)، و**(أطلانطس)، والبحر المحيط** عند اليونانيين القدماء، **وجنة عدن** في الكتاب المقدس، وغيرها.

ثانيا: مواضع الإعجاز القرآني في قصة ذي القرنين:

في رحلتنا -التي طالت بعض الشيء- في هذا الكتاب مررنا بمواضع إعجاز عديدة في قصة ذي القرنين التي وردت في القرآن

الكريم، والمراد بالإعجاز هو إتيان القرآن الكريم بمعلومات يعجز البشر وقت نزول القرآن أن يأتوا بمثلها، ولم نعلم حقيقة هذه المعلومات إلا منذ قرون أو عقود قليلة، وهو دليل دامغ على أن القرآن ليس بكلام البشر بل تنزيل من العليم الخبير.

ويمكننا تقسيم الإعجاز الوارد في آيات ذي القرنين إلى: إعجاز علمي جغرافي، وفيه يأتي النص بحقائق علمية جغرافية أويشير إليها لم تكن معلومة في عصر التنزيل أو قبله، ولم يكتشفها الإنسان إلا من مدد قليلة.

وكذلك إلى إعجاز تاريخي يقص فيه القرآن أحداثا تاريخية قديمة لم تكن معلومة في عصر التنزيل، واستطعنا معرفتها وإعادة بناءها فقط في العصر الحديث نتيجة قرآءة الخطوط القديمة مثل الهيروغليفية، والمسمارية، واكتشاف بعض الأسفار المفقودة مثل سفر أخنوخ، ومقارنة النصوص المختلفة، بل ومعرفة طرفا من أساطير الشعوب النائية، وهي الشعوب التي لم يكتشف وجودها إلا بعد نزول القرآن بقرون عديدة.

وبالإضافة إلى الإعجازين الجغرافي، والتاريخي يوجد الإعجاز البياني، وأقصد به هنا صياغة القصة القرآنية بحيث يفهم منها اليهود أن القرآن يريد الإسكندر، وعندما تنتشر العلوم نستطيع معرفة من هو ذو القرنين الحقيقي، وأنه ليس الإسكندر وإنما (أَزَيْرِس)/عزير.

(أ): الإعجاز العلمي الجغرافي:

1- **مغرب الشمس، ومطلع الشمس:** أثبتُ - بفضل الله- أن هناك للأرض "مغرب شمس"، و"مطلع شمس"، بناء على حقائق جغرافية واضحة، وهو ما نص عليه القرآن، ولم يكن للبشر علم بالمنطقتين في زمن نزول القرآن لأنهما لم تكتشفا إلا بعد نزول القرآن بما يقرب من ألف عام، ولقد أشار القرآن لعبور ذي القرنين مباشرة من مغرب الشمس إلى مطلع الشمس، وهو الأمر الذي لم يكن مقبولا في عصر نزول القرآن حتى بين الأوساط "العلمية".

2- **العين الحمئة الحامية:** عثرتُ بفضل الله على مثيل للعين الحمئة الحامية التي ذَكرتْها الآيات، وهي نوع نادر من العيون البركانية النشطة، والتي لم يعلم العالم عنها شيئا إلا منذ عقود قليلة، ولقد نص القرآن على وجود هذه العين في منطقة مغرب الشمس، وهذه المنطقة بالفعل منطقة براكين نشطة.

3- **مطلع الشمس، وسكانه:** وصف القرآن منطقة مشرق الشمس وصفا دقيقا؛ فلقد أطلق عليها مطلع الشمس، وقال أن الشمس تطلع على سكانه، وهو بهذا يشير إلى أنها منطقة مرتفعات، وأن سكان المنطقة يعيشون في أودية الجبال العالية، وأخبر القرآن أنهم عراة، وهو مالم يتم اكتشافه إلا قبل أقل من مائة عام، وهو إعجاز جغرافي باهر.

4- **منطقة بين السدين، ويأجوج ومأجوج:** وصفَ القرآن منطقة بين السدين - وهي أرض القوم الذين لايكادون يفقهون قولا- وصفا جغرافيا دقيقا منطبقا على حوض (سيستان)، وهي الجغرافيا التي لم نكن نعلمها إلا بعد تقدم علم الجغرافيا في العصر الحديث.

5- **خُلُو القرآن من أي أخطاء جغرافية:** لقد خلا القرآن الكريم -رغم تعرضه لمسائل جغرافية دقيقة- من أية أخطاء جغرافية، وهذا وحده دليل كاف على إلهية مصدر القرآن، ويزداد الأمر وضوحا إذا قارنّا النص القرآني بالنصوص الأخرى سواء الأقدم منه، أوالمعاصره له، والأحدث منه، والتي غصَّت بالأخطاء الجغرافية.

(ب): الإعجاز التاريخي:

1- **وجود الشخصية، وحدوث الرحلة إلى المناطق الثلاث:** تواترت النصوص القديمة من مصر، والعراق، واليونان، والأساطير من منطقتي (الأنديز)، و(غينيا) الجديدة، بوجود رجل عاش في الزمن شديد القدم، وأن هذا الرجل لقب بذي القرنين، وأنه مُكِّن له في الأرض بمعنى أنه كان ملكا على مصر، وأنه

كان لديه من العلوم الشيء الكثير الذي استطاع به تحضير سكان مصر، وتحضير العالم، ولقد خرج من مصر، وأنه أبحر في البحر المتوسط، ثم عبر المحيط الأطلنطي حتى وصل إلى (الأنديز) (مغرب الشمس)، ومن هناك أبحر في المحيط الهادي، وعبره فوصل إلى جزيرة (غينيا) الجديدة (مشرق الشمس)، وهناك التقى بالعراة سكان الجبل، والذين يزرعون حقولهم، ثم ذهب إلى أرض أخرى بنى في شمالها جدارا محصنا، وهذه المعلومات كانت مجهولة تماما للبشر في عصر الرسالة، وخصوصا للعرب الأميين، وهو ما أعتبره إعجازا تاريخيا عظيمًا للقرآن الكريم الذي ذكر القصة منذ 1400 عام.

2- **تعذيب كفار مغرب الشمس والإحسان إلى مؤمنيهم:** جاءت النصوص **المصرية** باللغة الهيرغليفية تؤكد أن هذه الشخصية التي دارت حول العالم قد عذبت كفار قوم مغرب الشمس، وقد أحسنت إلى مؤمنيهم، وأن التعذيب كان بإثارة البركان عليهم، وأن الإحسان كان بتعليم الزراعة، وأكدت ذلك الحدث النصوص **العراقية** التي دُونت بالكتابة المسمارية، وكذلك النصوص اليونانية، وذلك بتحريف قليل أو كثير يزداد كلما بعدنا عن زمن الحدث التاريخي، أما الذي أكد حدوث هذا الحدث التاريخي هو أسطورة لسكان (الأنديز) تؤكد أن المحضر الذي جاء من الشرق وأبحر فيما بعد مرتحلا في المحيط الهادي، قد عذّب قوما من المتمردين بإثارة البركان عليهم، ثم علّم الذين اتبعوه الزراعة، وهو تواتر لايمكن أن يكون مصادفة، وهو يؤكد إعجاز القرآن في ذكر هذه الحادثة القديمة، والتي لم يكن البشر في عصر الرسالة يدرون عنها شيئا.

3- **بناء السد:** علمنا من النصوص المصرية والعراقية أن الذي طاف العالم، وعذب المتمردين بالبركان قد بنى جدارا أو سورا محصنا عند قوم من الضعفاء، وليس بوابة، في شمال منطقة

ما، وهو ما يصدق القصة القرآنية، بينما كانت القصة الشائعة في عصر البعثة النبوية أن الإسكندر الأكبر قد بنى بوابة.

4- **معرفة تاريخ ورومانسيات الإسكندر الأكبر:** أوضحتُ في هذا البحث كيف أن النص القرآني على دراية تامة بتاريخ وقصص الإسكندر، وأنه اختار نقاط التشابه بين قصة ذي القرنين، وتاريخ وحكايات الإسكندر الأكبر، بحيث يظن اليهود أن النص يقصد الإسكندر الأكبر.

5- **عدم الوقوع في خطأ تاريخي واحد:** ورغم أن قصة ذي القرنين ذكرت أحداثا تاريخية إلا أنه لم تقع في خطأ تاريخي واحد، رغم أن المصادر المصرية، والعراقية، واليونانية والإيرانية والهندية وغيرها مليئة عن آخرها بالأخطاء التاريخية الصارخة.

ثالثا: الشبهات والرد عليها:

أثار المستشرقون وأعداء الإسلام كثيرا من الشبهات حول القرآن، وشككوا في مصدره، فقالوا أنه من كلام البشر، ومن أكثر الآيات التي يوردونها في شبهاتهم هي آيات ذي القرنين، فزعموا أن القرآن يقول بأن الأرض مسطحة، ويقول أن الشمس تهبط في عين ماء، ويقول أن هناك أمتين عظيمتين محبوستان خلف جدار، كما زعموا أن القرآن يأخذ من أساطير الإسكندر الأكبر التي كانت شائعة في عصره، ويقول أنه كان مؤمنا، وأنه بنى سدا في القوقاز، وهو مخالف تماما للحقائق التاريخية.

(أ): الشبهات العلمية الجغرافية، والرد عليها:

تقول الشبهة: القرآن يقول بأن الشمس تدخل عند الغروب في عين حمئة. **والرد** هو أنه كان غروب في رأي العين، فلقد كانت العين في قمة جبل بركاني ثائر بقمته بحيرة فوهة نشطة تشبه بحيرة الحميم بدولة دومينيكا الحالية.

1- تقول الشبهة: القرآن يقول بأن الأرض مسطحة، فهو يقول بأن الشمس تغرب في عين من عيون الأرض، ويقول بأن هناك أرض مغرب الشمس، وهناك أخرى مطلع الشمس، كما أنه يذكر كيف وجد ذو القرنين الشمس تغرب عندما وصل إلى مغرب الشمس، ويذكر كيف وجدها تشرق عندما بلغ مطلع الشمس، ويقول أيضا أن قوم مطلع الشمس لايحجبهم شيئا عن الشمس. **والرد:** لقد أثبتُ في بحثي هذا أنه رغم أن الأرض كروية، فإن كتلة اليابسة لها مغرب، ولها مشرق، وأثبتُ أن الحضارات القديمة كانوا يعلمون وجود المنطقتين، ويسمونهما مغرب الشمس، ومطلع الشمس، ولقد جاء القرآن بالمصطلحين مغرب الشمس ومطلع الشمس حسب العرف اللغوي السائد في عصر نزوله للدلالة على أقصى اليابس من جهتي الغرب والشرق، وكذلك ليتفق مع تسمية القدماء لهذه المناطق، أما ذكر القرآن لوجدان ذي القرنين الشمس تغرب في المغرب وتطلع في مطلع الشمس، فهو نوع من **المجانسة المقصودة** لتصورات اليهود الجغرافية، وللحكايات الشائعة في عصر نزول القرآن، وللوصف الخرافي لمنطقتي مغرب الشمس، ومشرقها، وهي مجانسة لا تتورط في أي خطأ أو باطل، وهذا يشبه ما حدث من اقتراب النص القرآني من رمانسيات الإسكندر.

2- تقول الشبهة: القرآن يقول بأن ذا القرنين بنى سدا وحبس وراءه قوم يأجوج ومأجوج، وهما أمتان تبلغان أضعاف البشر أضعافا كثيرة، وأنه قبل يوم القيامة يندك السد وتخرج جموعهم فتجتاح الأرض كلها، **وهذا هو رأي علماء المسلمين القدماء بلا مخالف،** ولقد ثبت علميا - بما لايدع مجالا للشك- أنه لاوجود لأمتين عظيمتين خلف سد من السدود، وهو خطأ بيِّن واضح. **والرد** هو أن الذي صنع هذا المفهوم هو فهم لبعض الآيات والأحاديث على غير الوجه الصواب، وساهم في ذلك رفع بعض الإسرائيليات خطأ للنبي صلى الله عليه وسلم، فالقرآن ينص ويؤكد

على أن السد هو بين القوم الذين لايكادون يفقهون قولا وبين يأجوج ومأجوج، وليس بين العالم أو البشر من جهة وبين المفسدين من جهة أخرى، كما أن "وعد ربي" لاتذكر فقط في الدلالة على يوم القيامة، أما آيات الأنبياء فتقصد –في رأيي- فتح أراضي يأجوج ومأجوج على أيدي بعض الغزاة، وأنه سيتزامن مع ذلك عودة القرية المُهلكة، والتي أحياها الله من جديد، وهي سكان المملكة الشمالية أو مملكة إسرائيل إلى أرض مملكتهم في فلسطين، وأما الأحاديث التي تذكر أن يأجوج ومأجوج هم من سيخرج وهم من كل حدب ينسلون فهو مما أراه أُدرج في الحديث من فهم الرواة، وأما حديث "ويل للعرب" فهو مجرد مجاز وضرب مثل، والمقصود هو الفتن، وأما حديث بعث النار، فيأجوج ومأجوج المذكورين فيه أريد بهم الأمم المعاصرة للنبي من غير المؤمنين، وأما حديث حفر السد كل يوم، فهو لايعدو أن يكون إسرائيلية من كلام كعب الأحبار.

(ب): الشبهات التاريخية:

1- تقول الشبهة: القرآن يستلهم من رومانسيات الإسكندر، ويقع في أخطاء تاريخية فادحة، فيقول أن الإسكندر كان مؤمنا، وأنه بلغ مغرب الشمس، ومطلعها وهو مالم يحدث، وأنه بنى سدا من حديد في القوقاز وهذا كله مخالف لحقائق التاريخ. والرد هو أن القرآن لم يقصد الإسكندر الأكبر، فذو القرنين هو نبي قديم، وهو نفسه (أُزَيْرِس)، ونص القرآن مطابق أكثر بكثير لقصة (أُزَيْرِس) بعد أن أعدنا قرآئتها وبنائها، أما مشابهة القصة القرآنية لقصة وأساطير الاسكندر الأكبر فهو أمر **متعمد**، فلقد أتى القرآن بصفات وأفعال ذي القرنين المشتركة مع ما نُسب للإسكندر الأكبر، وذلك حتى يظن اليهود السائلون أنه يريد الإسكندر الأكبر، فيشهدوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله، وذلك دون أن يذكر القرآن أي باطل أو كذب في القصة، وهو من

باب الترفق بالناس والرحمة بهم، ومن باب مخاطبتهم بما يعرفون، وهذا يُمكن أن يحدث في الأمور العلمية الكونية والتاريخية البعيدة عن العقيدة أو الشريعة.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. موسوعات العلوم الإسلامية والحديث النبوي الشريف على شبكة الإنترنت.
3. الكتاب المقدس.
4. The Pyramid Texts Translation by Samuel http://www.sacred-texts.com/egy/pyt/
5. أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة د.عبد المنعم أبو بكر، ود. محمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. ولاس بدج، آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي.
7. إريك هور نونج، وادي الملوك أفق الأبدية، العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة المدبولي، الطبعة الثانية
8. ولاس بدج، برت إم هرو، كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة فيليب عطية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية.
9. The Egyptian Heaven and Hell by E. A. Wallis Budge http://www.sacred-texts.com/egy/ehh.htm
10. قاسم الشواف، ديوان الأساطير، دار الساقي.
11. Theoi Greek mythology http://www.theoi.com/
12. رؤوف أبو سعدة، العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن، من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن، دار الهلال.
13. حمدي بن حمزة الصريصري الجهني، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج، الطبعة الثانية.
14. فهد السالم، كشف السر التاريخي، يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج، واقترب الوعد الحق، شركة دار الإشعاع للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
15. سهيل ذكار، المحذوف من التوراة كاملا، دار قتيبة، الطبعة الأولى.

16. د فاضل عبد الواحد علي الطوفان في المراجع المسمارية، مكتبة الأهالي.
17. ترجمة كتاب نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم لـ جيمس بريتشارد.
18. ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنا و كشف عنها - أبو الكلام أزاد مقال للدكتور عبد المنعم النمر بمجلة العربي العدد 184.
19. سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم، مكتبة المنار الإسلامي، الطبعة الثانية سنة 2000.
20. أحمد غسان سبانو، هرمس الحكيم، دار قتيبة, الطبعة الأولى، 2002
21. اسماعيل حامد، هرمس الحكيم، دار مشارق.

لا يمر في حياة الإنسان إلا عدد محدود من الكتب التي
يمكن القول إنها تكفي لتغيّر نظرتك الى التاريخ.
وهذا الكتاب واحد منها.
لقد أعاد الدكتور حاتم الهمدان بناء الأسطورة
المتعلقة بـ"ذي القرنين" وبرهن أنها كانت واقعا
وتعود لرجل عاش في عهد سحيق،
وان ديانة التوحيد التي تُنسب الى إخناتون إنما استمدت منه.
واستند الى أدلة قاطعة تثبت ان ذا القرنين
ليس هو الأسكندر الأكبر على الإطلاق كما ظل الإعتقاد
سائدا لوقت طويل. وأثبت بأدلة جمة من النصوص
والبراهين التاريخية والجغرافية أنه النبي المصري إيزيرس،
وأن هذا النبي هو من قصده القرآن الكريم في سورة الكهف.
إنه عمل خالد، كالقليل جدا من الأعمال
التي تمكن مؤلفوها أن يكتبوا التاريخ من جديد.

الناشر

